

مَعَالِجُ التَّفَكُّرِ

وَدَقَائِقُ التَّدَبُّرِ

تَفْسِيرُ تَدْبِيرِيٍّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِحَسَبِ تَرْتِيبِ الْزُّوْلِ  
وَفُقْ مَنْهَجِ كِتَابِ «قَوَاعِدِ التَّدَبُّرِ الْأَمْثَلِ» لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

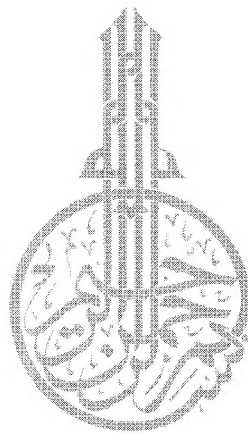
المجلد الحادي عشر

تفسير السور التالية :

الحجر/٥٤ والأنعام/٥٥ والصافات/٥٦ ولقمان/٥٧

عبد الرحمن حسن حبّكه الميّداني

دار القلم  
دمشق



مِجَالِجِ التَّفَكُّرِ  
وَدَقَائِقِ التَّنَبُّرِ

أسَّسَهَا:  
محمد عيسى قَوْلَة  
سنة ١٩٦٧ م

دار القلم  
دمشق

الطبعة الثانية  
١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

[www.alkalam-sy.com](http://www.alkalam-sy.com)

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤



## سورة الحِجْرِ

١٥ مصحف ٥٤ نزول

وهي مكيّة كُلُّهَا

وقيل إِلَّا الآية (٨٧) فَمَدَنِيَّة

وسُمِّيت سورة «الحجر» لانفرادها

بذكر لفظة الحِجْرِ فيها وهي أرضُ ثمود



(١)

## نص السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا  
 وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا  
 وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا  
 يَسْتَخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ  
 لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ  
 ﴿٧﴾ مَا نُزِّلَ الْمَلَكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾

- ١ - سَكَتَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى الْحُرُوفِ الثَّلَاثَةِ مِنْ: (الرَّ) سَكَنَتْهُ لَطِيفَةٌ مِنْ دُونَ تَنْفَسٍ.
- ٢ - قَرَأَ نَافِعٌ، وَعَاصِمٌ، وَأَبُو جَعْفَرٍ: [رُبَّمَا] بِفَتْحِ الْبَاءِ دُونَ تَشْدِيدِ.  
 وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ [رُبَّمَا] بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ مَفْتُوحَةً.
- ٣ - قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو، وَرَوْحٌ: [وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ] بِكَسْرِ هَاءِ الضَّمِيرِ وَمِيمِ الْجَمْعِ  
 وَضَلًّا.
- وَقَرَأَهَا حَمَزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ، وَرُوَيْسٌ، وَخَلْفٌ: [وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ] بِضَمِّهِمَا وَضَلًّا.
- وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ بِكَسْرِ الْهَاءِ وَضَمِّ الْمِيمِ وَضَلًّا.
- أَمَّا عِنْدَ الْوَقْفِ فَرُوَيْسٌ وَخَذَهُ بِضَمِّ الْهَاءِ وَسَكُونِ الْمِيمِ، وَالْبَاقُونَ بِكَسْرِ الْهَاءِ  
 وَسَكُونِ الْمِيمِ.
- ٨ - قَرَأَ شُعْبَةُ: [مَا تُنْزِلُ الْمَلَكَةَ]. وَقَرَأَهَا حَفْصٌ، وَحَمَزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ،  
 وَخَلْفٌ: [مَا تُنْزِلُ الْمَلَكَةَ]. وَقَرَأَهَا الْبَرِّيُّ: [مَا تُنْزِلُ الْمَلَكَةَ] بِتَشْدِيدِ التَّاءِ  
 مَعَ الْمَدِّ الْمَشْبَعِ.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ  
 قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا  
 بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾  
 لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ  
 بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ  
 أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ  
 بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ  
 ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ  
 مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْرُونَ  
 ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ  
 مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾  
 وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوَفِّحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا كُنُوزَهُ وَمَا  
 أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ  
 ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾

= وقرأها باقي القراء العشرة: [مَا تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ].

وبين هذه القراءات تكامل، والمؤدّي واحد.

١٥ - • قرأ أبْنُ كثير: [سُكَّرَتْ] بكسر الكاف دون تشديد.

وقرأها باقي القراء [سُكَّرَتْ] بكسر الكاف مع التشديد.

٢٢ - • قرأ حمزة وخلف: [الرَّيْحَ] بالإنفراد.

وقرأها باقي القراء العشرة: [الرَّيَّاحَ] بالجمع.

وبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد.

وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ  
 مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ  
 السُّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ  
 صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ  
 رُّوحِي فَقَعُوا لَهُمُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ  
 ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَتَّبِعِلَيْسُ  
 مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِيََسْجُدَ لِبَشَرٍ  
 خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ  
 رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ  
 فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾  
 إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ  
 فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ  
 ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ  
 عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ

٤٠ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب: [الْمُخْلِصِينَ] بكسر اللام.

وقرأها باقي القراء العشرة: [الْمُخْلِصِينَ] بفتح اللام.

وبين القراءتين تكامل فكري.

٤١ - • قرأ يعقوب: [عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ] وقرأها باقي القراء العشرة: [عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ].

وبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد.

لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ  
 مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا  
 بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى  
 سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِّنْهَا  
 بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِيُّ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾  
 وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنِ ضَيْفِ  
 إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ  
 ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ  
 أَبَشِّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا

٤٤ - • قرأ شُعْبَةُ: [جُزْءٌ] بضم الزاي.

وقرأها أبو جَعْفَرُ: [جُزْءٌ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [جُزْءٌ].

٤٥ - • قرأ ابن كثير، وابن ذكوان، وشعبة، وحمزة، والكسائي: [وَعُيُونٍ] بكسر العين.

وقرأها الباقون: [وَعُيُونٍ] بضم العين.

٤٩ - • قرأ أبو جعفر: [نَبِّئِي] وكذلك حمزة وهشام في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [نَبِّئِي] بالهمزة المحققة.

٤٩ - • فتح ياء المتكلم نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، من [عِبَادِي]

ومن [أَنِّي أَنَا]: [عِبَادِي أَنِّي أَنَا].

وقرأها باقي القراء العشرة بالإسكان. [عِبَادِي أَنِّي أَنَا].

٥٣ - • قرأ حمزة: [إِنَّا نُبَشِّرُكَ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [إِنَّا نُبَشِّرُكَ].

والقراءتان لغتان عربيّتان.

٥٤ - • قرأ نافع: [تُبَشِّرُونَ].

وقرأها ابن كثير: [تُبَشِّرُونَ] مع المدّ المشبع في الوصل والوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [تُبَشِّرُونَ] بفتح النون. ومؤدّى القراءات واحد.

بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرَاتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَيُّنَا بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَانْقُضُوا إِلَهُ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾

٥٦ - • قرأ أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [يَقْنَطُ] بكسر النون.

وقرأها باقي القراء العشرة: [يَقْنَطُ] بفتح النون.

والقراءتان لغتان عربيتان.

٥٩ - • قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [لَمُنَجُّوهُمْ] مِنْ فعل «أَنْجَى».

وقرأها باقي القراء العشرة: [لَمُنَجُّوهُمْ] مِنْ فعل «نَجَّى».

وهما لغتان عربيتان متكافئتان.

٦٠ - • قرأ شعبة: [قَدَرْنَا] وقرأها باقي القراء العشرة [قَدَرْنَا]. وهما لغتان عربيتان

بمعنى تحديد مقادير عناصير الأشياء.

٦٥ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر: [فَأَسْرِ] مِنْ فعل: «سَرَى». وقرأها باقي

القراء العشرة: [فَأَسْرَى] مِنْ فعل: «أَسْرَى». وهما لغتان عربيتان.

٦٨ و ٦٩ - • أثبت ياء المتكلم في: [فَلَا تَفْضَحُونِي] وفي: [وَلَا تُخْزُونِي] يعقوب في

الوصل والوقف.

وحذفها باقي القراء العشرة في الوصل والوقف أيضاً: [فَلَا تَفْضَحُونِ] و[وَلَا تُخْزُونِ].

قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ  
 كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾  
 فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا  
 عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ  
 ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِبَسْبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ  
 ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ  
 وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ  
 ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِّنَ  
 الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا  
 أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
 وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ  
 الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ  
 سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْءَاتِ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا  
 مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ

٧١ - فتح ياء المتكلم من: [بَنَاتِي إِنْ] نافع، وأبو جعفر. وأسكنها باقي القراء العشرة.

٨٢ - قرأ ورش، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: [بُيُوتًا] بضم الباء.

وقراها باقي القراء العشرة: [بُيُوتًا] بكسر الباء.  
والقراءتان لغتان عربيتان.



لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أُنزِلْنَا  
 عَلَى الْمُقْسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾  
 فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ  
 بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾  
 الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ  
 نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ  
 مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

٨٩ - • فتح ياء المتكلم من: [إِنِّي أَنَا] نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر. وأسكنها باقي القراء العشرة.

٩٤ - • قرأ حمزة، والكسائي، ورؤيس، وخلف بإشمام الصاد زايًا في [فاصدع]. وقرأها باقي القراء العشرة بالصاد الخالصة.

٩٥ - • قرأ أبو جعفر: [المستهزين] بحذف الهمزة. وقرأها باقي القراء العشرة: [المستهزين] بإثبات الهمزة.

(٢)

### موضوع سورة (الحجر)

يَدُورُ مَوْضُوعُ هَذِهِ السُّورَةِ حَوْلَ مُتَابَعَةِ مُعَالَجَةِ مُشْرِكِي مَكَّةَ، وَلَا سِوَا أَعْتَمَتِهِمْ وَكُبَرَاؤِهِمُ الْمُعَانِدُونَ، حَوْلَ قَضِيَّتَيْنِ كُبْرَيَيْنِ هُمَا:

الأولى: تَكْذِيبُهُمْ رَسُولَ رَبِّهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ، وَمَا يَلْزَمُ عَنْ هَذَا التَّكْذِيبِ مِنْ تَصَرُّفَاتٍ.

الثانية: تَكْذِيبُهُمْ بِالْقُرْآنِ الَّذِي يُبَلِّغُهُمُ الرَّسُولُ ﷺ آيَاتِ نُجُومِهِ الْمُتَنَزَّلَاتِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّهُ ذَكَرٌ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَهَذِهِ الْمُعَالَجَةُ تُوجَّهُ الْعِنَايَةُ لِلطُّورِ الَّذِي وَصَلُوا إِلَيْهِ إِبَّانَ نَزُولِ هَذِهِ

السورة، وللموقف العنادي الكفري الإجرامي المتفاقم الذي كانوا عليه.

ويُدور موضوع السورة أيضاً حول مُتَابَعَةِ تَرْبِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ وَيُلْحَقُ بِهِ الدُّعَاءُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ ﷺ، ثُمَّ سائر المؤمنين.

ومن لوازم تكذيبهم العنادي الوقح ما يلي:

(١) إعلانهم تكذيب الرسول بما يُنذِرهم بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الْمُؤَجَّلِ إلى يوم القيامة، والمُعَجَّلِ في الدنيا، الأمر الذي جَعَلَهُمْ يَطْلُبُونَ عَلَى سَبِيلِ التَّحَدِّي أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ الْمُعَجَّلُ، وهو ما جاء بيانه في الآية (٩٢) من سورة (الإسراء/ ١٧ مصحف/ ٥٠ نزول):

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ فَيَلَا ﴿٩٢﴾﴾.

مُسْقِطِينَ مِنْ تَصَوُّرِهِمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمَهِّلُهُمْ وَيُمْلِي لَهُمْ، لِيَمْنَحَهُمْ أَطْوَلَ مُدَّةٍ يُرَاجِعُونَ فِيهَا اخْتِيَارَاتِهِمْ، وَرَغْبَةً فِي أَنْ يُؤْمِنَ وَيُسَلِّمَ مِنْ لَدِيهِمْ اسْتِعْدَادًا مَا لَأَنْ يُؤْمِنُوا وَيُسَلِّمُوا مِنْ عَامَّتِهِمْ وَخَاصَّتِهِمْ طَلَبًا لِلنَّجَاةِ وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ.

(٢) مُوَاجَهَتُهُمُ الصَّرِيحَةَ لِلرَّسُولِ ﷺ بِشَتِيمَةٍ يُكَذِّبُ مَضْمُونَهَا الْوَاقِعَ الَّذِي صَارَ مَشْهُودًا لِلْجَمِيعِ، إِذْ قَالُوا لَهُ، كَمَا جَاءَ فِي السُّورَةِ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿١﴾﴾.

وَعَرَضُهُمْ مِنْ هَذِهِ الشَّتِيمَةِ الَّتِي وَاجَهُوهَ بِهَا، أَنْ يُغَضِبُوهُ غَضَبًا يُنْزِلُ بِهِ عَلَيْهِ تَمَنُّعُهُ مِنْ مُتَابَعَةِ تَأْدِيَةِ رِسَالَةِ رَبِّهِ.

(٣) مُطَالَبَتُهُمْ لَهُ بِتَحْضِيضِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ، أَيْ: فَإِذَا لَمْ تَأْتِنَا بِالْمَلَائِكَةِ فَأَنْتَ كَاذِبٌ مِنَ الْكَاذِبِينَ.

وَتَأْتِي الْبَيِّنَاتُ وَالْمُعَالَجَاتُ الرَّبَّانِيَّةُ فِي السُّورَةِ مُلَائِمَةً لِهَذَا الطَّوَرِ الْعِنَادِيِّ الْإِجْرَامِيِّ الْوَاقِحِ، الْمُتَصَلِّبِ عَلَى الْبَاطِلِ الْيِّنِ الْبُطْلَانِ.

وَتَأْتِي تَرْبِيَةُ اللَّهِ وَوَصَايَاهُ فِي السُّورَةِ لِرَسُولِهِ، وَلَحْمَلَةِ رِسَالَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ، وَلِسَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ، مُلَائِمَةً لِهَذَا الطَّوَرِ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ مَلَأُ مُشْرِكِي مَكَّةَ.

(٣)

### دُرُوسُ سُورَةِ (الحَجَرِ)

يمكن تقسيم سورة (الحَجَرِ) إلى سبعة دُرُوس، وهي ما يلي:

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: الآيات من (١ - ١٥).

وفي هذا الدَّرْسِ مُتَابَعَةُ مُعَالَجَةِ أَيْمَةِ الْكُفْرِ فِي مَكَّةَ وَاتِّبَاعِهِمْ إِبَّانَ تَنْزِيلِ هَذِهِ السُّورَةِ، تُجَاهَ تَكْذِيبِهِمْ بِالْقُرْآنِ، وَتَكْذِيبِهِمُ الرُّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَتُجَاهَ حَضِّهِمْ إِيَّاهُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِالْمَلَائِكَةِ، حَتَّى يُصَدِّقُوهُ فِي نُبُوتِهِ وَرِسَالَتِهِ وَبِلَاغَاتِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَتُجَاهَ حَضِّهِمْ إِيَّاهُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِالْمَلَائِكَةِ حَتَّى يُصَدِّقُوهُ فِي نُبُوتِهِ وَرِسَالَتِهِ وَبِلَاغَاتِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَتُجَاهَ اسْتِهْزَائِهِمْ بِمَا يُنْذِرُهُمْ بِهِ مِنْ إِهْلَاكِ مُمَاطِلٍ لِإِهْلَاكِ اللَّهِ كُفَّارَ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ، وَبِمَا بَلَّغَهُمْ إِيَّاهُ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ كُلِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى آخِرِ وُجُودِ النَّاسِ عَلَى الْأَرْضِ، مُتَوَهِّمِينَ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُهْمَلَ وَيُنْسَى بَعْدَ وَفَاةِ مُحَمَّدٍ وَالمُهْتَمِّينَ بِهِ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، ثُمَّ لَا يَتَّهَيُّ لَهُ الْحِفْظُ الدَّائِمُ حَتَّى آخِرِ حَيَاةِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ.

وفيه بَيَانُ مَكَابَرَتِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَجُحُودِهِمُ الْحَقَّ الْجَلِيَّ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْبَاطِلِ، وَلَوْ أَجْرَى اللَّهُ لَهُمْ آيَةً خَارِقَةً تَجْعَلُهُمْ يَعْرِجُونَ فِي السَّمَاءِ وَيُشَاهِدُونَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِيهَا مَا يُشَاهِدُونَ، إِذْ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبْصَارَهُمْ حِينَئِذٍ مَحْجُوبَةٌ لَا تَرَى أَشْيَاءَ مِنْ وَاقِعِ تَشَاهِدِهِ الْأَبْصَارَ حَقًّا، وَيَزْعُمُونَ عَقَبَ هَذَا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ قَدْ أَثَّرَ فِيهِمْ سِحْرُ الرُّسُولِ فَجَعَلَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يَعْرِجُونَ فِي السَّمَاءِ، وَيُشَاهِدُونَ فِيهَا مَا يُشَاهِدُونَ، إِمْعَانًا مِنْهُمْ فِي الْمَكَابَرَةِ وَالْعِنَادِ.

## الدَّرْس الثاني: الآيات من (١٦ - ٢٥).

وفي هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ بَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، الدَّلَالَتِ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ الْجَلِيلَةِ الْهَادِيَةِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَتَوْحِيدِهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَأَنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ بِالسَّابِقِينَ مِنَ النَّاسِ فِي الْقُرُونِ الْخَوَالِي، وَالْعَلِيمُ بِاللَّاحِقِينَ، وَأَنَّهُ بِحُكْمَتِهِ خَلَقَهُمْ لِيَبْلُوَهُمْ، ثُمَّ لِيَجَازِيَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ عَلَى مَا قَدَّمُوا بِاخْتِيَارَاتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

## الدَّرْس الثالث: الآيات من (٢٦ - ٤٤).

وفي هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ لَقَطَاتٍ مِنْ قِصَّةِ خَلْقِ آدَمَ وَمَا رَافَقَهَا مِنْ أَحْدَاثٍ، وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ مَخْلُوقٌ لِيُوضَعَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، الَّذِي يَسْتَلْزِمُ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ الْحِسَابَ، وَفَضْلَ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزَ الْجَزَاءِ يَوْمَ الدِّينِ.

## الدَّرْس الرابع: الآيات من (٤٥ - ٥٠).

وفي هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ لَقَطَاتٍ مِنْ جَزَاءِ الْمُتَّقِينَ يَوْمَ الدِّينِ، مَعَ بَيَانِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابَهُ هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ. وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الدَّرْسُ مِنْ تَوَابِعِ الدَّرْسِ الثَّالِثِ.

## الدَّرْس الخامس: الآيات من (٥١ - ٧٧).

وفي هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ لَقَطَاتٍ مِنْ قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقِصَّةِ لُوطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ قَوْمِهِ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقَوْمِهِ مِنْ تَعْذِيبٍ وَإِهْلَاكِ شَامِلَيْنِ، لِيُعْتَبَرَ بِهِمَا الْمَعَالِجُونَ الْمَكَابِرُونَ الْمَعَانِدُونَ.

## الدَّرْس السادس: الآيات من (٧٨ - ٨٤).

وفي هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ مُوجِزٍ لِإِهْلَاكِ أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ قَوْمِ الرُّسُولِ

شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيُعْتَبَرَ بِهِ الْمَعَاجُونَ، ولأَصْحَابِ الْحِجْرِ قَوْمَ الرَّسُولِ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمْ قَبِيلَةُ «ثمود».

الدَّرْسُ السَّابِعُ: الآيات من (٨٥ - ٩٩) آخر السورة.

وَفِي هَذَا الدَّرْسِ تَرْبِيَّةٌ بِوَصَايَا لِلرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَفِيهِ طَمَآنَةٌ لَهُ وَتَسْلِيَةٌ، وَتَكْلِيفٌ لَهُ بِأَنْ يُسَبِّحَ بِحَمْدِ رَبِّهِ وَيَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ، وَبِأَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ بِمَحَابِّهِ الشَّامِلَةِ لِقِيَامِهِ بِوُظَائِفِ رِسَالَتِهِ حَتَّى يَأْتِيَهُ يَقِينُ الْمَوْتِ.



(٤)

### التدبر التحليلي للدرس الأول من دُرُوس سورة (الحجر) الآيات من (١ - ١٥)

قال الله عزَّ وجلَّ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ① رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ② ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ③ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ④ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ⑤ وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ⑥ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ⑦ مَا نُنْزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ⑧ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⑨ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ⑩ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ⑪ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ⑫ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ⑬ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ ⑭ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ⑮﴾.

## القراءات:

(١) • سَكَتَ أبو جعفر على الحروف الثلاثة من: (الر) سَكَّتْهُ لَطِيفَةً مِنْ دُونَ تَنْفُسٍ.

(٢) • قرأ نافع، وعاصم، وأبو جعفر: [رُبَّمَا] بِفَتْحِ الباء دون تَشْدِيدٍ. وقرأها باقي القراء العشرة: [رُبَّمَا] بِتَشْدِيدِ الباء مُفْتُوحَةً.

(٣) • قرأ أبو عمرو، ورَّوح: [وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمْلُ] بِكَسْرِ هاء الضمير وميم الجمع وضلاً.

وقرأها حمزة، والكسائي، ورؤيس، وخلف: [وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمْلُ] بضمِّهما وضلاً.

وقرأها باقي القراء العشرة بِكَسْرِ الهاء وضمِّ الميم وضلاً [وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمْلُ].

أما عند الوقف فقرأ رؤيس وحده بضمِّ هاء الضمير وسكون الميم، وقرأها الباقون بكسرِ الهاء وسكون الميم وهي وُجُوهٌ مِنَ النُّطْقِ عَرَبِيَّةٌ.

(٨) • قرأ شعبة: [مَا تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ] بالمبني لما لم يُسَمَّ فاعله، و«الملائكة» نائبُ فاعلٍ.

وَقَرَأَهَا حَفْصٌ، وَحَمْزَةٌ، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلْفٌ: [مَا تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ] بِالْمَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ، وَ«الملائكة» مفعول به، والفاعل المتكلم العظيم جلَّ جلاله.

وَقَرَأَهَا الْبَرِّيُّ: [مَا تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ] بِتَشْدِيدِ التَّاءِ مَعَ الْمَدِّ الْمَشْبَعِ، أَصْلُهَا: «مَا تَنْزَلُ» أَدْغَمَتِ التَّاءُ بِالتَّاءِ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [مَا تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ] بِحَذْفِ إِحْدَى تَائِي «تَنْزَلُ».

وَكُلُّهَا وُجُوهٌ عَرَبِيَّةٌ، وَبَيَّنَ الْمُبْنِي لِلْمَعْلُومِ، وَالْمُبْنِي لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ تَكَامُلٌ فِي الْأَدَاءِ الْبَيَانِي، فَالْمَلَائِكَةُ يُنَزِّلُهَا اللَّهُ، وَهِيَ تُنَزَّلُ، وَهِيَ تَنْزَلُ طَاعَةً لِأَمْرِ اللَّهِ.

(١٥) • قرأ ابن كثير: [سُكِّرَتْ] بِكَسْرِ الْكَافِ دُونَ تَشْدِيدِ، أَي: سُدَّتْ فَحُجِبَتْ عَنِ الرُّؤْيَى الْحَقِّ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [سُكِّرَتْ] بِكَسْرِ الْكَافِ مَعَ التَّشْدِيدِ، أَي: سُدَّتْ سَدًّا شَدِيدًا.

وَدَلَّتِ الْقَرَاءَتَانِ عَلَى أَنَّ بَعْضَهُنَّ يَقُولُونَ: «سُكِّرَتْ» وَآخَرُونَ يَقُولُونَ: «سُكِّرَتْ» بِحَسَبِ اخْتِلَافِهِمْ فِي نِسْبَةِ جُحُودِهِمْ.

تمهيد:

بَدَأَ هَذَا الدَّرْسَ بِالتَّنْوِيهِ بِمَجْدِ الْقُرْآنِ الدَّالِّ عَلَى صِدْقِ مَبْلَغِهِ عَنِ رَبِّهِ، رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، تَوَطُّئَةً لِمُعَالَجَةِ الْكَافِرِينَ الْمَكْذِبِينَ لِلرَّسُولِ، وَالْمُكْذِبِينَ بِالْقُرْآنِ أَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَجَاءَ فِيهِ تَوْصِيَةُ الرَّسُولِ ﷺ بِأَنْ يَذَرَ الْكَافِرِينَ الْمَعَانِدِينَ الْمُصْرِينَ عَلَى الْجُحُودِ، بَعْدَ أَنْ وَصَلُوا إِلَى حَالَةِ مَيُوسٍ مَعَهَا مِنْ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ بِإِرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةِ، فَقَدْ بَلَّغَهُمُ الرَّسُولُ، وَبَيَّنَ لَهُمْ، وَأَطْمَعَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ، وَقَدَّمَ لَهُمْ كُلَّ وَسَائِلِ الْإِقْنَاعِ الْمُمَكِّنَةِ وَكُلَّ أَسَالِيبِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا مَعَ إِذْرَاكِهِمْ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ، وَأَنَّ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ صَادِقٌ فِيمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ.

وَجَاءَ فِيهِ بَيَانٌ مُوَاجَهَتِهِمُ الْوَقْهَةَ لِلرَّسُولِ بِأَنَّهُ لَمَجْنُونٌ، وَمَطَالَبَتُهُمْ لَهُ بِتَحْضِيضِ أَنْ يَأْتِيَهُمُ بِالْمَلَائِكَةِ.

وَجَاءَ فِيهِ الْإِجَابَةُ عَلَى مَقُولَةِ مَطْوِيَّةٍ قَالَهَا أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ فِي

مَكَّة، مُفَادُهَا: أَنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي يَتْلُوهُ عَلَيْنَا هُوَ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ حَتَّى آخِرِ أَجْيَالِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ، فَهَلْ هُوَ يَمْلِكُ إِذَا مَاتَ أَنْ يَحْفَظَ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ بَعْدِهِ، دُونَ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِلضِّيَاعِ، أَوْ النَّسْيَانِ، أَوْ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ، فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُنْزِلَ الْقُرْآنِ عَلَى هَذَا التَّشْكِيكِ بِقَوْلِهِ فِي هَذَا الدَّرْسِ:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ .

أي: إِنَّ مُنْزِلَهُ الْأَزَلِّيَّ الْأَبَدِيَّ هُوَ الَّذِي جَعَلَهُ ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ جَمِيعًا، وَهُوَ الَّذِي تَكْفَّلَ بِحِفْظِهِ، وَقَدْ تَحَقَّقَ هَذَا مُنْذُ زَمَنٍ تَنْزِيلِهِ، حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا، وَسَيَبْقَى مُتَحَقِّقًا كَمَا وَعَدَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ الْمُجْرِمُونَ الْمُعَانِدُونَ الْمُصِرُّونَ عَلَى الْبَاطِلِ.

وَجَاءَ فِي هَذَا الدَّرْسِ مُعَالِجَةٌ لِلْمُعَانِدِينَ بِالْوَعِيدِ، مَعَ ضَرْبِ الْمَثَلِ بِالْمُهْلَكِينَ السَّابِقِينَ مِنْ كُفَّارِ أَهْلِ الْقُرَى أَمْثَالِهِمْ، الَّذِينَ وَاجَهُوا رُسُلَ رَبِّهِمْ وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ عَنْهُ، بِالْكَفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ.

وَجَاءَ فِيهِ بَيَانٌ أَنَّ أَيْمَةَ الْكُفْرِ الْمُكَابِرِينَ الْمُعَانِدِينَ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، قَدْ بَلَّغُوا حَضِيضَ الْكُفْرِ الْعِنَادِيِّ الْإِجْرَامِيِّ، فَلَوْ فَتَحَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ آيَاتِهِ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ، وَجَعَلَ لَهُمْ مِعْرَاجًا فَظَلُّوا طَوَالَ نَهَارِهِمْ يَعْرُجُونَ فِيهِ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ فِي غُرُوجِهِمْ آيَاتِ اللَّهِ، لَقَالُوا: إِنَّمَا سُدَّتْ أَبْصَارُنَا، فَنَحْنُ لَا نَرَى إِلَّا أَوْهَامًا وَخِيَالَاتٍ، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ.

### التدبر التحليلي:

قول الله تعالى:

• ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾﴾ .

• ﴿الرَّ﴾: هَذِهِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمَقْطَعَةِ الَّتِي بَدَأَ اللَّهُ بِهَا بَعْضَ



الشُّور، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ مَا يَكْفِي بِشَأْنِهَا فِي تَدْبِيرِ أَوَّلِ سُورَةِ (القلم/ ٤ نزول).

• ﴿... تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾:

جاءت الإشارة إلى آيات القرآن باسم الإشارة في: ﴿تِلْكَ﴾ الموضوعية للإشارة إليها البعيدة مع قربها، لِعَرْضِ الدَّلَالَةِ عَلَى ارْتِفَاعِ مَكَانَتِهَا فِي بِلَاغَتِهَا، وفي المعاني السَّامِيَةِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا دَلَالَاتُ جُمْلَتِهَا، وارتِفَاعِ مَكَانَتِهَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ سِوَى اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهَا، وهو ما جاء مُصَرِّحاً بِهِ فِي نُصُوصٍ أُخْرَى.

وُسَمِّيتْ أَجْزَاءُ السُّورَةِ الَّتِي تَنْتَهِي بِفَاصِلَاتِهَا «آيَاتٍ» لِأَنَّ فِيهَا عَلَامَاتٍ دَالَّاتٍ عَلَى كَوْنِهَا مُنْزَلَاتٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَيْسَتْ مِنْ كَلَامِ إِنْسٍ وَلَا جِنٍّ وَلَا غَيْرِهِمَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ.

الآية: فِي اللُّغَةِ هِيَ الْعَلَامَةُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مَا، مُدْرِكٌ بِالْحَوَاسِّ أَوْ غَيْرِ مُدْرِكٍ بِهَا، كَالْفِكْرِيَّاتِ وَالْوُجْدَانِيَّاتِ.

وَأُطْلِقَ عَلَى مَا أُنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ مِنْ بَيَانِ كَلَامِي لَفْظِ «الْكِتَابِ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى وُجُوبِ تَدْوِينِهِ بِالْكِتَابَةِ، وَجَعَلِهِ بَيْنَ النَّاسِ كِتَاباً مُحَرَّراً يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، مَحْمِياً مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّغْيِيرِ بِالزِّيَادَةِ، أَوْ النَقْصِ، أَوْ التَّبْدِيلِ، وَ«ال» فِي لَفْظِ «الْكِتَابِ» لِلْكَمَالِ.

وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ لَفْظُ «قُرْآنٍ» وَ«الْقُرْآنِ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى وُجُوبِ ضَبْطِهِ، قِرَاءَةً لِمَا كُتِبَ مِنْهُ مُنْضَبِطاً، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ تِلَاوَةُ الْمُحْفُوظِ مِنْهُ مَطَابِقَةً لِقِرَاءَةِ مَا كُتِبَ فِي الصُّحُفِ مِنْهُ.

لفظ «قُرْآنٍ» مصدر لفعل «قَرَأَ». يقال لغة: «قَرَأَ الْكِتَابَ، يَقْرُؤُهُ، قِرَاءَةً، وَقُرْآنًا» أَي: تَتَبَعَ كَلِمَاتِهِ نَظْراً وَنَطَقَ بِهَا.

وشاع في الاستعمال إطلاق قراءة القرآن على تلاوة المحفوظ منه، ولو لم يصاحب ذلك تتبع المكتوب منه في الصحف.

وجاء في الآية عطف ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ على ﴿الْكِتَابِ﴾ باعتبار اختلاف الوصف.

• ﴿مُبِينٍ﴾: أي: جليّ واضح من فعل «أبان» اللازم. ومبين للمعارف، والعُلوم، والحقائق، والتكاليف، التي شاء الله إعلام من يشاء من عباده معرفتها، للإيمان بها، وطاعة أوامر الله ونواهيه فيها، من فعل «أبان» المتعدي.

يقال لغة: «أبان الشيء» أي: وضح وظهر، فهو «مبين» ويقال: «أبان نور المصباح جذران العُرْفَةِ» أي: أظهرها وأوضحها.

جاء تصدير السورة بهذه الآية التي تتضمن قضيتين:

القضية الأولى: أن القرآن كلام الله رب العالمين.

القضية الثانية: أن محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله حقاً وصدقاً، إذ لا يستطيع إنس ولا جِن أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

وقد كفر كبراء مشركي مكة إبان التنزيل بهاتين القضيتين كفراً عنادياً جحودياً، مع وضوح الحق لهم، وجاءت معالجتهم وتوصية الرسول ﷺ بشأنهم ملاحظاً فيهما كفرهم بهاتين القضيتين معاندين مكابرين جاحدين.

وقد جاء في القرآن تصدير بعض السور بما يشبه هذه الآية:

(١) ففي أول سورة (الشعراء/ ٢٦ مصحف/ ٤٧ نزول) قال الله

تعالى:

﴿طَسَّرَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾.

(٢) وفي أول سورة (النمل/ ٢٧ مصحف/ ٤٨ نزول) قال الله تعالى:

﴿طسَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْفُرْقَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾﴾.

(٣) وفي أول سورة القصص/ ٢٨ مصحف/ ٤٩ نزول) قال الله

تعالى:

﴿طسم ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾.

(٤) وفي أول سورة (يونس/ ١٠ مصحف/ ٥١ نزول) قال الله تعالى.

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾.

(٥) وفي أول سورة (يوسف/ ١٢ مصحف/ ٥٣ نزول) قال الله

تعالى.

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾﴾.

(٦) وفي أول سورة (الحجر/ ١٥ مصحف/ ٥٤ نزول) التي بدأت

تدبرها قال الله تعالى.

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾﴾.

(٧) وفي أول سورة (لقمان/ ٣١ مصحف/ ٥٧ نزول):

﴿الْم ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾.

وَنُذِرُكَ مِنْ هَذِهِ التَّصْدِيرَاتِ أَنَّ السُّورَةَ الَّتِي صُدِّرَتْ بِهَا تَتَضَمَّنُ

بَيِّنَاتٍ تَتَعَلَّقُ بِالْقُرْآنِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ الْحَكِيمِ.

• قول الله تعالى:

• ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾:

«رُبَّمَا» بتخفيف الباء وتشديدها، هي «رُبَّ» وهي حَرْفٌ جَرٌّ لَا يَجُرُّ

إِلَّا النَّكْرَةَ، وقد لَحِقَتْهَا هُنَا «مَا» الرَّائِدَةُ فَكَمَّتْهَا عَنِ الْعَمَلِ، والغالبُ على

«رُبَّ» المَكْفُوفَةِ بـ «مَا» عن العمل أَنْ تَدْخُلَ على فعلٍ ماضٍ، وقد تدخل

على فعلٍ مُضارعٍ تنزيلاً له منزلة الماضي للإشعار بأنه سَيَحَقَّقُ وَقُوْعُهُ.  
ومعناها التأكيد هنا:

• ﴿يُودُّ﴾: أي: يَرْغَبُ بِشِدَّةٍ وَقُوَّةٍ.

• ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: هُمُ الْمَعْنِيُّونَ بِالْمَعَالَجَةِ فِي السُّورَةِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، وَهُمْ أَيْمَةُ الْكُفْرِ الْعِنَادِيِّ الْمَصْرُونَ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ، وَجُحُودِهِمُ الْقُرْآنَ الَّذِي يَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ بَلَاغاً عَنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، مَعَ اسْتِيقَانِ نَفُوسِهِمْ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَلَيْسَ كَلَامَ إِنْسٍ وَلَا جِنٍّ.

فَالْمَعْنَى: سَيَأْتِي زَمَنٌ لَيْسَ بِالْبَعِيدِ يَكْثُرُ فِيهِ أَنْ يُوَدَّ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ الْمَعَانِدُونَ الْمَصْرُونَ عَلَى بَاطِلِهِمْ، لَوْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ الزَّمَنِ مُسْلِمِينَ مِنْ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ الْمَنَاصِرِينَ لِدَعْوَتِهِ، إِذْ يُحَقِّقُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ وَلَاتِبَاعِهِ الْمُسْلِمِينَ النَّصْرَ الْمُؤَزَّرَ عَلَى كِبَرَاءِ مُشْرِكِي مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ.

وَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا النَّصْرَ الْعَظِيمَ فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى، وَتَمَنَّى كَثِيرٌ مِنَ الْمَعْنِيِّينَ بِالْبَيَانِ يَوْمَئِذٍ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، لِيَحْمُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْهَزِيمَةِ الشَّنِيعَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ بِهِمْ، وَقُتِلَ فِيهَا مَعْظَمُ أَيْمَتِهِمْ وَصَنَادِيدِهِمْ، وَأُسِرَ عَدَدٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ.

أَمَّا تَمَنِّيهِمْ عِنْدَ الْمَوْتِ، أَوْ بَعْدَهُ، أَوْ بَعْدَ الْبُعْثِ، وَعَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، أَوْ بَعْدَ دُخُولِهِمْ فِيهَا، لَوْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مُسْلِمِينَ، فَهَذَا أَمْرٌ مَقْطُوعٌ بِهِ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهِمْ، وَقَدْ جَاءَتْ بِهِ نُصُوصٌ قَرَأْنِيَّةٌ صَرِيحَةٌ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْآيَةَ هُنَا الْمُبْدُوءَةُ بِعِبَارَةِ: ﴿رُبَّمَا يُودُّ﴾ يُفْصَدُ بِهَا مَا تَحَقَّقَ وَقُوْعُهُ فِي الْمَعَارِكِ الَّتِي انْتَصَرَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَظَفَرُوا بِالْغَنَائِمِ الْوَفِيرَةِ، وَلِهَذَا اخْتِيرَ فِي الْآيَةِ عِبَارَةُ: ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾. أَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ فَإِنَّهُمْ يَتَمَنُّونَ جَمِيعاً لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ، إِذِ الْمُسْلِمُونَ قَدْ يَدْخُلُ فِيهِمُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَلَكَّمَا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَالْمَنَافِقُونَ الَّذِينَ أَعْلَنُوا إِسْلَامَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ.

وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْإِمَاحِ يُشْعِرُ بَوَعْدٍ فِيهِ طَمَآنَةٌ  
لِلْمُسْلِمِينَ بِالنَّصْرِ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَفِيهِ إِذْكَارٌ لِلْكَافِرِينَ بِأَنَّهُمْ سَيُغْلَبُونَ وَسَيَوَدُّ  
كَثِيرٌ مِنْهُمْ لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، حَتَّى يَظْفَرُوا مَعَهُمُ بِالنَّصْرِ، وَلَا يَكُونُوا هُمْ  
الْمَهْزُومِينَ الْمَغْلُوبِينَ.

● قول الله تعالى لِرَسُولِهِ فِي وَصِيَّةٍ تَرْبَوِيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِهِؤَلَاءِ الْأُئِمَّةِ

الْمَعَانِدِينَ :

● ﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٣) :

أي: وَبِمَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُكَابِرِينَ الْمُعَانِدِينَ قَدْ أَصْرُوا عَلَى بَاطِلِهِمْ،  
وَصَارَتْ اسْتِجَابَتُهُمْ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ بِإِرَادَاتِهِمْ الْحُرَّةِ مَيُّوسًا مِنْهَا،  
فَنُوصِيكَ بِأَنْ تَتْرُكَهُمْ مُوجِّهًا هَمَّكَ وَهَمَّتَكَ لِدَعْوَةِ غَيْرِهِمْ مِنَ الَّذِينَ لَمْ  
يَصِلُوا إِلَى دَرَكَةِ الْيَأْسِ مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ، وَلَا تُضِعْ جَهْدَكَ وَوَقْتَكَ بِهِؤَلَاءِ  
وَهُمْ غَيْرُ مَظْمُوعٍ فِي اسْتِجَابَتِهِمْ.

فَإِذَا تَرَكْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِمَتَاعَاتِ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا تَتَمَتَّعُ الْأَنْعَامُ وَالْبَهَائِمُ الْعَجَمَاوَاتِ، وَإِنَّهُمْ يُلْهِمُهُمْ فِي  
حَيَاتِهِمْ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْمَلُوهُ لِنَجَاتِهِمْ وَفُوزِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، الْأَمَلُ  
الَّذِي لَا يَتَحَقَّقُ لَهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ، إِذْ يَجِدُونَ أَنََّّهُمْ قَدْ خَسِرُوا رَأْسَ مَالِهِمْ  
كُلَّهُ، وَخَسِرُوا نُفُوسَهُمْ، وَقَذَفُوا أَنْفُسَهُمْ بِاخْتِيَارَاتِهِمْ فِي دَارِ الْعَذَابِ يَوْمَ  
الدِّينِ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ بَعْدَ أَنْ يَجِدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي دَارِ الْعَذَابِ، يَذُوقُونَ  
الْحَرِيقَ، أَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ، وَكَانُوا ظَالِمِينَ لِنُفُوسِهِمْ بِمَا قَدَّمُوا لِآخِرَتِهِمْ  
فِي دُنْيَاهُمْ.

● ﴿ذَرَّهُمْ﴾: أي: اتركهم، أَمَاتَ الْعَرَبُ مَاضِي هَذَا الْفِعْلِ  
وَمَصْدَرُهُ، وَلَمْ يُبْقُوا مِنْهُ إِلَّا الْمَضَارِعَ وَالْأَمْرَ مِنْهُ.

● ﴿وَيَتَمَتَّعُوا﴾: أي: وَيَنْتَفِعُوا بِمَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. الْمَتَاعُ: كُلُّ  
شَيْءٍ يُنْتَفَعُ بِهِ وَالْفَنَاءُ يَأْتِي عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا.

• ﴿وَيْلٌ لَهُمُ الْأَمَلُ﴾: أي: وَيَشْعَلُهُمْ فَيَسْتَهْلِكُ أَوْقَاتَهُمْ وَطَاقَاتِهِمُ الْأَمَلُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ وَاقِعٌ مَطْمُوعٌ فِيهِ، بَلْ هُوَ أَوْهَامٌ وَتَصَوُّرَاتٌ ذَهْنِيَّةٌ ضَائِعَاتٌ.

قول الله تعالى:

• ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٥﴾﴾:

تَذُلُّ هَاتَانِ الْآيَتَانِ عَلَى أَنَّ الْمَعْنِيَيْنِ بِالْبَيَانِ، قَدْ طَالَبُوا الرَّسُولَ بِأَنْ يُحَقِّقَ اللَّهُ مَا أُنْذَرُهُمْ بِهِ، مِنْ إِهْلَاكِ مُمَائِلٍ لِإِهْلَاكِ كُفَّارِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ، وَهُمْ لَا يَقْصِدُونَ فِي الْحَقِيقَةِ أَنْ يُهْلِكَهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنْ يُعْلِنُونَ بِهَذَا أَنَّ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا غَيْرُ صَادِقٍ فِي إِنْذَارِهِ لَهُمْ، مُغْتَرِّينَ بِإِمْهَالِ اللَّهِ لَهُمْ.

فَأَبَانَ اللَّهُ لَهُمْ أَنَّ مَقَادِيرَهُ ذَوَاتُ آجَالٍ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَجَالَ مُحَدَّدَةٌ، وَمَكْتُوبَةٌ مُدَوَّنَةٌ، وَمَعْلُومَةٌ دَوَامًا، فَمَا مِنْ أُمَّةٍ تَسْبِقُ أَجَلَهَا الْمَقْدَّرَ لَهَا، فِي أَيِّ شَيْءٍ تَمَّ بِهِ قَضَاءُ رَبِّهَا، وَمَا مِنْ أُمَّةٍ تَمْلِكُ تَأْخِيرَ أَجَلِهَا الْمَقْدَّرَ لَهَا، فِي أَيِّ شَيْءٍ تَمَّ بِهِ قَضَاءُ رَبِّهَا.

• ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾: أي: إِلَّا قُدِّرَ وَقُضِيَ لِإِهْلَاكِهَا أَجَلٌ، وَلَهَا فِي ذَلِكَ كِتَابٌ مَعْلُومٌ لِلَّهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ تَعْجِيلُ عِقَابِ مُسْتَحِقِّي الْعِقَابِ عَنْ أَجَلِهِ الْمَقْدَّرِ الْمُقْضَى لَهُ، أَوْ تَأْخِيرُهُ، وَتَعْجِيلُ إِهْلَاكِ مُسْتَحِقِّي الإِهْلَاكِ أَوْ تَأْخِيرُهُ، عَنْ أَجَلِهِ الْمَقْدَّرِ الْمُقْضَى لَهُ.

فَالْمَعْنَى: وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ أَهْلِ قَرِيَةٍ كَافِرِينَ كَانُوا يَسْتَحِقُّونَ التَّعْذِيبَ وَالْإِهْلَاكَ، إِلَّا فِي أَجَلِهِمُ الْمَقْدَّرِ الْمُقْضَى لَتَعْذِيبِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ، وَهَذَا الْأَجَلُ مُدَوَّنٌ فِي كِتَابٍ، وَمَعْلُومٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا مِنْ أُمَّةٍ مِنْهَا سَبَقَ تَعْذِيبُهَا وَإِهْلَاكُهَا الْأَجَلَ الْمَقْدَّرَ لَهَا، وَمَا مِنْ أُمَّةٍ مِنْهَا تَأَخَّرَ تَعْذِيبُهَا

وإِهْلَاكُهَا عَنِ الْأَجَلِ الْمُقَدَّرِ الْمُقْضِي لَهَا. وَكَذَلِكَ الْحَالُ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ، فَمَا مِنْ أُمَّةٍ يَسْبِقُ مُسْتَقْبَلًا تَغْذِيْبُهَا وَإِهْلَاكُهَا الْأَجَلَ الْمُقَدَّرَ الْمُقْضِي لَهَا، أَسْنَدَ السَّبْقِ لِلْأُمَّةِ وَالْمُرَادُ سَبْقُ تَغْذِيْبِهَا وَإِهْلَاكِهَا. وَمَا مِنْ أُمَّةٍ تَسْتَطِيعُ بِكُلِّ وَسَائِلِهَا أَنْ تَسْتَأْخِرَ تَغْذِيْبَهَا وَإِهْلَاكِهَا، عَنِ الْأَجَلِ الْمُقَدَّرِ الْمُقْضِي لَهَا.

**الأجل:** يأتي في اللغة للدلالة على ثلاثة معانٍ:

- (١) غاية الوقت المحدد لشيء ما، أو المأذون به لشيء ما.
  - (٢) الوقت المحدد أو المناسب لحصول شيء ما وابتداء زمانه.
  - (٣) المدة المحددة لشيء ما، والمحصورة بين أول وآخر.
- ﴿وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ﴾ أي: وَمَا يَسْتَطِيعُونَ تَأْخِيرَ أَجَلِ تَغْذِيْبِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ. يُقَالُ لغة: «استأخر» أي: «تأخر».

وأرى: أَنَّ السَّيْنَ والتَّاءَ للدَّالَّةِ عَلَى عَمَلِ أَمْرٍ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ أَجْلِهِمْ، وَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ التَّأْخِيرَ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ يَحَاوِلُونَ اسْتِخْدَامَهَا، لِأَنَّ مَقَادِيرَ اللَّهِ وَأَفْضِيَّتَهُ نَافِذَةٌ فِي أَوْقَاتِهَا حَتْمًا، دُونَ تَعْجِيلٍ أَوْ تَأْجِيلٍ، فَلَا رَادَّ لِقَضَاءِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ فِي أَيِّ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ، لَا بِالسَّبْقِ وَلَا بِالتَّأْخِيرِ عَنِ أَجْلِهِ، وَلَا بِالتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ فِي شَيْءٍ مِنْهُ.

قول الله تعالى:

• ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾﴾:

سبق في نجوم التنزيل بيان أَنَّ القرآنَ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ، أي: لِكُلِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى آخِرِ مُمْتَحَنٍ مُكَلَّفٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مُنْذُ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ، فيجب عليهم أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيَتَفَهَّمُوا مَعَانِيَهُ، وَيَضَعُوا مَا هُوَ مَطْلُوبٌ مِنْهُمْ فِيهِ فِي ذَاكَرَاتِهِمْ وَيَتَذَكَّرُوهُ عِنْدَ كُلِّ مَنَاسِبَةٍ دَاعِيَةٍ لِلتَّذَكُّرِ.

(١) فجاء في آخر سورة (القلم/ ٦٨ مصحف/ ٤ نزول) قول الله عز وجل بشأن القرآن .

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ :

(٢) وجاء في أواخر سورة (التكوير/ ٨١ مصحف/ ٧ نزول) قول الله عز وجل بشأن القرآن أيضاً :

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ .

(٣) وجاء في آخر سورة (ص/ ٣٨ مصحف/ ٣٨ نزول) قول الله عز وجل بشأنه أيضاً :

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾ .

(٤) وجاء في سورة (يوسف/ ١٢ مصحف/ ٥٣ نزول) قول الله عز وجل بشأنه خطاباً لرَسُولِهِ :

• ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٧٤﴾﴾ .

فَكَبَّرَ عَلَى كِبَرَاءِ مُشْرِكِي مَكَّةَ أَنَّ يَكُونَ الْقُرْآنَ ذِكْرًا لِكُلِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّ يَكُونَ مُحَمَّدٌ رَسُولًا لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ فِي عَصْرِهِ وَبَعْدَهُ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ، فَوَاجَهُوهُ بِالشَّتْمَةِ قَائِلِينَ لَهُ :

﴿... يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ :

أي: أَلَمْ يَكْفِكَ أَنْ تَكُونَ رَسُولًا لِأَهْلِ الْحِجَازِ وَأَنْ يَكُونَ كِتَابُكَ ذِكْرًا لَهُمْ؟! أَلَمْ يَكْفِكَ أَنْ تَكُونَ رَسُولًا لِلْعَرَبِ؟! أَلَمْ يَكْفِكَ أَنْ تَكُونَ رَسُولًا لِأَهْلِ عَصْرِكَ فِي بِلَادِ الدُّنْيَا، وَأَنْ يَكُونَ كِتَابُكَ ذِكْرًا لَهُمْ؟!

مَا هَذِهِ الدَّعْوَى الْعَرِيضَةُ الَّتِي تَرْعُمُ فِيهَا أَنَّكَ رَسُولٌ لِلْعَالَمِينَ، كُلِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّ كِتَابَكَ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ، كُلِّ الْعَالَمِينَ، إِنَّ هَذِهِ الدَّعْوَى لَا يَدْعِيهَا إِلَّا مَجْنُونٌ، فَالرُّسُلُ مِنْ قَبْلِكَ لَمْ يَدْعُوهَا .



هَلَّا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ لَكَ بِأَنَّكَ صَادِقٌ فِيمَا تَدَّعِيهِ، إِنْ كُنْتَ حَقًّا مِنَ الصَّادِقِينَ. دَلَّتْ عَلَى هَذَا مَقُولَتُهُمْ: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٧﴾.

﴿لَوْ مَا﴾ حَرْفُ تَحْضِيضٍ، مِثْلُ «هَلَّا» وَمِنْهُمَا «لَوْلَا».

فَمِنَ الظَّاهِرِ أَنَّ مَقَالَتَهُمْ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ لَا تَتَّصِفُ اعْتِرَافًا مِنْهُمْ بِأَنَّ مَا يُنْلَوُ عَلَيْهِمْ مِنْ قُرْآنٍ هُوَ مُنَزَّلٌ عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ، بَلْ هُمْ يُرَدُّونَ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِهْزَاءِ مَا جَاءَ فِي بَيَانَاتِهِ لَهُمْ مِنْ أَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِمْ لَهُ بَعْدَهَا: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ مُؤَكِّدِينَ بِ «إِنَّ»، وَالْجُمْلَةَ الْاِسْمِيَّةَ، وَاللَّامَ الْمَرْحَلَةَ.

■ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَى قَوْلِهِمْ لَهُ: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٧﴾ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ ﴿٨﴾.

أَي: لَدَيْكُمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ مَا يَكْفِي لِإِفْنَاعِكُمْ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ رَبِّكُمْ حَقًّا وَصِدْقًا، وَأَنْتُمْ مُسْتَيْقِنُونَ فِي نُفُوسِكُمْ مِنْ صِدْقِهِ وَصِدْقِ مَا يُبَلِّغُكُمْ عَنْ رَبِّهِ، فَمُطَالَبَتُكُمْ إِيَّاهُ بِأَنْ يَأْتِيَكُمْ بِالْمَلَائِكَةِ أَمْرٌ بَاطِلٌ لَيْسَ لَهُ وَجْهٌ حَقٌّ، وَاللَّهُ رَبُّكُمْ لَا يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ مِنْ مَوَاقِعِهَا فِي السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ إِلَّا تَنْزِيلًا مُتَّصِفًا بِالْحَقِّ الَّذِي يَقْتَضِي الْأَمْرَ الْحَكِيمَ تَنْزِيلَهَا، وَإِذْ كَانَ طَلَبُكُمْ أَمْرًا بَاطِلًا فَاللَّهُ لَا يُنَزِّلُهَا وَلَا يَأْتِي بِهَا إِلَيْكُمْ، فَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.

● ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾: أَي: وَإِنْ أَنْزَلْنَا الْمَلَائِكَةَ اسْتِجَابَةً لَطَلَبِهِمْ، ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا وَهُوَ الَّذِي سَيَكُونُ مِنْهُمْ، إِذْ طَلَبَهُمْ طَلَبُ الْمُتَعَنِّتِ، لَا طَلَبُ الْبَاحِثِ عَنْ دَلِيلٍ يُفْنِعُهُ بِصِدْقِ الرَّسُولِ، فَإِنَّ رَبَّهُمْ سَيُعَذِّبُهُمْ حِينَئِذٍ

فَوَرَّأَ وَيُهْلِكُهُمْ، وَلَا يُمَهِّلُهُمْ وَلَا يُؤَخِّرُ أَجَلَ إِهْلَاكِهِمْ، وَيَكُونُ حَالُهُمْ كَحَالِ كُفَّارِ ثُمُودَ قَوْمِ الرَّسُولِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ طَلَبُوا آيَةَ النَّاقَةِ فَلَمَّا آتَاهُمُ اللَّهُ آيَةَ النَّاقَةِ أَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ.

• ﴿إِذَا﴾ يَرَى النَّحْوِيُّونَ أَنَّهَا لَا تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى إِذَا افْتَقَرَ مَا قَبْلَهَا إِلَى مَا بَعْدَهَا. وَارَى أَنَّهَا بِمَعْنَى «حِينَئِذٍ» بِالنَّظَرِ إِلَى جُمْلَةِ الْمَعْنَى.

• ﴿مُنْظَرِينَ﴾: أَي: مُمَهِّلِينَ مُؤَخِّرِينَ.

■ قول الله تعالى:

• ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾:

دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَخْذًا مِنْ إِحْوَآتِ الْآيَةِ السَّادَةِ، أَنَّ الْمَعْنِيَيْنِ بِالْبَيَانِ قَالُوا لِلرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ: أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي تَتْلُوهُ هُوَ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ حَتَّى آخِرِ إِنْسَانٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَهَلْ أَنْتَ ضَامِنٌ بَعْدَ مَوْتِكَ، أَنْ يَبْقَى هَذَا الْقُرْآنُ مَحْفُوظًا مِنَ النُّسْيَانِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ وَالتَّخْرِيفِ، مَا دَامَ فِي الْأَرْضِ بَشَرٌ، مَهْمَا تَتَابَعَتِ الْأَجْيَالُ وَتَوَالَتِ الْقُرُونُ وَالْأَحْقَابُ؟! وَمَا هِيَ وَسِيلَتُكَ لِحِفْظِهِ وَأَنْتَ بَيْنَ الْمَوْتَى؟!

فَرَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ مُتَحَدِّثًا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

أَي: لَيْسَ مُحَمَّدٌ هُوَ الَّذِي جَاءَ بِالْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى يَحْفَظَهُ فِي النَّاسِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَانْقِطَاعِ عَمَلِهِ فِيهِمْ.

﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ لَا غَيْرُنَا ﴿نَزَّلْنَا﴾ هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي جَعَلْنَاهُ ﴿الذِّكْرَ﴾ لِلْعَالَمِينَ حَتَّى آخِرِ مُتَحَنِّنٍ مُكَلَّفٍ فِيهِمْ، وَكَلَّفْنَاهُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿وَإِنَّا﴾ فِي الْوُجُودِ أَزْلًا بِلَا بَدَايَةَ وَأَبْدًا بِلَا نِهَايَةَ ﴿لَهُ لِحَفِظُونَ﴾ الْمُتَكَلِّفُونَ بِحِفْظِهِ، وَالضَّامِنُونَ لَهُ.

إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - لَمَّا اخْتَارَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الدِّينُ

خَاتِمَةَ رِسَالَاتِهِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، جَعَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَجَعَلَ كِتَابَهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ خَاتِمَةَ كُتُبِهِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَإِذْ كَانَ هَذَا الْكِتَابَ آخِرَ كُتُبِهِ لِلنَّاسِ، كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ السَّامِيَةِ أَنْ يَحْفَظَهُ مِنَ النِّسْيَانِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَ الزِّيَادَةِ وَ النِّقْصِ، فَتَدَخَّلَ قَضَاؤُهُ وَقَدَرُهُ بِتَهْيِئَةِ وَسَائِلِ حِفْظِهِ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَوْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَفْعَلْ مِثْلَ هَذَا الْحِفْظِ فِي النَّاسِ لَكُتُبِهِ السَّابِقَةِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَجْعَلَهَا ذِكْرًا لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، حَتَّى آخِرِ أَجْيَالِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ.

■ قول الله تعالى خطاباً لِرَسُولِهِ:

• ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾﴾:

• ﴿شَيْعٍ﴾: جَمْعُ «شَيْعَةٍ» وهم القوم أو الجماعة من الناس الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ عَلَى أَمْرٍ مَا - وَكُلُّ قَوْمٍ أَوْ جَمَاعَةٍ لَهُمْ أَمْرٌ وَاحِدٌ هُمْ مُتَّفَقُونَ عَلَيْهِ، أَوْ لَهُمْ مَذْهَبٌ وَاحِدٌ يَسِيرُونَ عَلَيْهِ، أَوْ لَهُمْ طَرِيقَةٌ وَاحِدَةٌ يَتَّبِعُونَهَا، وَلَوْ لَمْ يُنَاصِرْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا فِي زَمَنِ وَاحِدٍ.

والمرادُ بِعِبَارَةِ: ﴿شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ جَمَاعَاتُ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ الَّذِينَ أَرْسَلَ اللَّهُ لَهُمْ رَسُولًا مِنْ أَهْلِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ، فَاسْتَهْزَؤُوا بِهِمْ.

فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ تَسْلِيَةُ لِلرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فِي مُقَابِلِ مَا لَقِيَهِ مِنْ اسْتَهْزَاءِ كُفَرَاءِ مُشْرِكِي قَوْمِهِ، إِذْ كَبُرَ فِي نَفْسِهِمْ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا لِكُلِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ يَكُونَ كِتَابُهُ الَّذِي يَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ ذِكْرًا لِكُلِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى آخِرِ أَجْيَالِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ.

فَأَبَانَ اللَّهُ لَهُ أَنَّهُ مَا مِنْ رَسُولٍ مِنْ قَبْلِهِ إِلَّا كَانَ كُفَّارُ قَوْمِهِ يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ وَبِدَعْوَتِهِ، فَهَذَا هُوَ سُلُوكُ كُفَّارِ النَّاسِ جَمِيعًا مَعَ رُسُلِ رَبِّهِمْ.

قول الله تعالى:

﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ :

﴿نَسْلُكُهُ﴾: أي: نُدْخِلُهُ. السُّلُوكُ فِي شَيْءٍ: هُوَ الدُّخُولُ فِيهِ.

وَقَدْ ظَهَرَ لِي أَنَّ الضَّمِيرَ فِي نَسْلُكُهُ يَعُودُ عَلَى «رَسُولٍ» مِنْ آيَةٍ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾﴾ .

فَالْمَعْنَى: مِثْلَ ذَلِكَ الدُّخُولِ الَّذِي دَخَلَهُ كُلُّ رَسُولٍ سَابِقٍ فِي قُلُوبِ مُجْرِمِي قَوْمِهِ، فَقَابَلُوا عِلْمَهُمْ بِدَعْوَتِهِ وَبَلَاغَاتِهِ بِالْكَفْرِ وَالتَّكْذِيبِ وَالْجُحُودِ وَالاسْتِهْزَاءِ، نَسْلُكُ رَسُولِنَا الْخَاتِمِ فِي قُلُوبِ سَائِرِ الْمُجْرِمِينَ، فَيَكْذِبُونَهُ وَيَكْفُرُونَ بِهِ وَيَجْحَدُونَ نُبُوتَهُ وَرِسَالَاتَهُ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ مَهْمَا قَدَّمَ لَهُمْ مِنْ آيَاتٍ صِدْقَةٍ.

﴿... وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ : أي: وَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ فِي مُجْرِمِي الْأَوَّلِينَ، وَهِيَ سُنَّتُهُ فِي تَعْذِيبِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ، وَسُنَّتُهُ فِي نَصْرَةِ رُسُلِهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ وَاتَّبَعُوهُمْ، وَفِي تَنْجِيَّتِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْهَلَاكِ الْعَامِ الشَّامِلِ الَّذِي أَنْزَلَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْمُجْرِمِينَ.

وَفِي هَذَا تَسْلِيَةٍ وَطَمَآنَةٍ وَوَعْدٍ بِالنَّصْرِ وَالتَّايِيدِ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَلِلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، فَسُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي خَلَتْ فِي الْأَوَّلِينَ سُنَّةٌ ثَابِتَةٌ لِأَنَّهَا مُطَابِقَةٌ لِاخْتِيَارِهِ الْحَكِيمِ، فَمَا أَجْرَاهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - فِي الْأَوَّلِينَ، يُجْرِي نَظِيرَهُ فِي الْآخِرِينَ. وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِهِ تَحْوِيلًا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْمَعْنِيِّينَ بِالْبَيَانِ وَهُمْ كُفَرَاءُ مُشْرِكِي مَكَّةَ الْمَكَابِرُونَ الْجَا حِدُونَ الْمَعَانِدُونَ:

• ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ :

• ﴿بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾: أي: بَاباً مِّنْ أَبْوَابِ مَعَارِجِ الْعُرُوجِ فِي السَّمَاءِ، آيَةً مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ الْخَوَارِقِ، لِتَشْهَدَ لِلرَّسُولِ بِأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقًّا وَصِدْقًا.

• ﴿فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾: أي: فَصَارُوا يَعْرُجُونَ فِيهِ طَوَالَ نَهَارِهِمْ عَلَى تَوَالِي الدَّقَائِقِ وَالْأَنَاءِ. «لَا يُقَالُ: ظَلَّ يَفْعَلُ كَذَا» إِلَّا كَانَ يَفْعَلُهُ فِي النَّهَارِ. وَاخْتِيرَ فِعْلُ «ظَلَّ» هُنَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى وَضُوحِ مُشَاهَدَتِهِمْ لِعُرُوجِهِمْ، وَلَمَّا يَمُرُّونَ بِهِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي حَالَةِ الْعُرُوجِ، لِأَنَّ النَّهَارَ كَاشَفٌ بِضَوْوِهِ لِلْأَشْيَاءِ.

الْعُرُوجُ: الارتفاع والصعود.

• ﴿إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَرُنَا﴾ و[سَكَّرَتْ] فِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى. أي: إِنَّمَا سُدَّتْ فَحْجَبَتْ عَنْ رُؤْيَا الْأَشْيَاءِ، أَوْ حُجِبَتْ بِرُؤْيَا صُورٍ وَخَيَالَاتٍ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، إِذْ هِيَ مِنْ أَوْهَامِ مُخَيَّلَاتِنَا.

• ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾: أي: بَلْ مَا نَرَاهُ مِنْ عُرُوجٍ، وَمَا نَرَاهُ مِنْ أَشْيَاءٍ عَجِيبَةٍ عَظِيمَةٍ فِيهِ هُوَ أَثَرٌ مِنْ أَثَارِ السِّحْرِ الَّذِي سَحَرَنَا بِهِ مُحَمَّدٌ، وَلَيْسَ آيَةً حَقِيقَةً خَارِقَةً مُعْجِزَةً تَشْهَدُ لَهُ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا، وَبِأَنَّ مَا يَتْلُوهُ عَلَيْنَا كَلَامٌ مُنَزَّلٌ مِنْ لَدُنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَالْمَعْنَى: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَعْنِيِّينَ بِالْبَيَانِ قَوْمٌ مُتَعَنِّتُونَ مُكَابِرُونَ، يُعَانِدُونَ الْحَقَّ الَّذِي هُمْ مُسْتَقِيفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُ حَقٌّ، وَيُطَالِبُونَ بِالْآيَاتِ الْخَوَارِقِ عَلَى سَبِيلِ الْمُجَادَلَةِ بِالْبَاطِلِ، وَلَوْ اسْتَجَبْنَا لِمَطَالِبِهِمْ فَخَرَقْنَا سُنَّةَ مَنْ سُنِنَا الْكُوْنِيَّةَ، لَمَّا آمَنُوا، وَلَزَعَمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا شَيْئًا، فَإِنْ أُلْزِمُوا بِشُهُودِ الْخَارِقِ الْعَظِيمِ قَالُوا: هَذَا مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ السِّحْرِ فَنَحْنُ مَسْحُورُونَ، وَلَيْسَ لِمَا نَشْهَدُهُ حَقِيقَةً فِي الْوَاقِعِ.

وَمِنْ أُمُثَلَةِ ذَلِكَ: لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِّنْ أَبْوَابِ مَعَارِجِ الْعُرُوجِ فِي

السَّمَاءِ، آيَةً مِنْ آيَاتِنَا الْخَارِقَاتِ لِسُنَّتِنَا فِي كَوْنِنَا، لِنَشْهَدَ لِرَسُولِنَا مُحَمَّدٍ بِأَنَّهُ نَبِيُّنَا وَرَسُولُنَا حَقًّا وَصِدْقًا، فَظَلُّوا طَوَالَ نَهَارِهِمْ فِيهِ يَعْجُرُونَ، وَيُشَاهِدُونَ مِنْ آيَاتِنَا فِي السَّمَاءِ مَا يُشَاهِدُونَ مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِنَا، لَقَالُوا مُعَانِدِينَ مُكَذِّبِينَ أَبْصَارَهُمْ فِيمَا شَهِدَتْ: لَمْ نَشْهَدْ شَيْئًا، وَمَا حَصَلَ لَنَا إِلَّا أَنَّ أَبْصَارَنَا قَدْ سُدَّتْ فَحُجِبَتْ عَنْ رُؤْيَا الْأَشْيَاءِ، وَحِينَ تَبْهَرُهُمُ الْمَشَاهِدُ الْمُدْهِشَةُ يَسْتَدْرِكُونَ فَيَقُولُونَ: بَلْ نَحْنُ مَسْحُورُونَ، فَمَا نُشَاهِدُهُ هُوَ أَخِيلَةٌ إِيَّاهُمُ تَحْدُثُ لِلْأَبْصَارِ مِنْ أَثَرِ السَّحْرِ.

إِذَنْ: فَلَا فَائِدَةَ تُرْجَى مِنَ الِاسْتِجَابَةِ لِطَلَبِهِمُ الْآيَاتِ الْخَارِقَاتِ الْمَعْجَزَاتِ، وَإِجْرَاؤُنَا لِهَذِهِ الْآيَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَؤُلَاءِ عَمَلٌ بَاطِلٌ، لَا نَفْعَ لَهُ بِمُقْتَضَى حُكْمَتِنَا فِي اخْتِيَارَاتِنَا لِتَصَارِيفِ الْأُمُورِ فِي كَوْنِنَا الَّذِي أَثَقَّنَا فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ صُنْعًا.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الْأَوَّلِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْحَجَرِ).  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَدَدِهِ وَمَعُونَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



(٥)

### التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (الحجر) الآيات من (١٦ - ٢٥)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ۖ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۖ إِلَّا مَنْ أَسْرَفَ أَلسَّمْعَ فَأَنبَعُ شِهَابٍ مُبِينٌ ۖ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْرُونٍ ۖ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ ۖ وَمَنْ لَسْتُمْ لَكُمْ بِرِزْقَيْنَ ۖ ۝٢٠ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ۖ ۝٢١ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَلْقَيْنَا كُفُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُمْ

يَحْزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَعْرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحَشْرِهِمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ .

### القراءات:

(٢٢) • قرأ حمزة، وخلف [الريخ] بالإنفراد.

وقراها باقي القراء العشرة [الرياح] بالجمع.

وبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد، إذ يرسل الله عز وجل أحيانا الريخ ذات أجزاء لواقح، ويرسل الرياح أحيانا أخرى لواقح، فالرياح أنواع مختلفة، وليست نوعاً واحداً.

### تمهيد:

في هذا الدرس عرض لطائفة من آيات الله في كونه، الهادية إلى أن الله عز وجل واحد في ربوبيته، وواحد في إلهيته، مع بيان شمول علمه كل شيء، وكمال حكمته في قضائه وقدره.

### التدبر التحليلي:

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مِنْ أَسْفَلِ السَّمَاءِ فَنُفِثَ فِيهَا شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ :

• ﴿بُرُوجًا﴾: أصل معنى البروج في اللغة القصور العالية المشرفة الظاهرة المتطاولة في السماء، ويقال لغة: «برج الشيء يبرج بُروجاً» أي: ارتفع وظهر. ويقال: «تبرجت السماء» أي: ازيئت بالكواكب.

وأطلقت البروج على منازل الكواكب والنجوم السيارة.

وأطلق العرب كلمة «بروج» على مواقع أو منازل في السماء تخيلوا

أَنَّهَا مَنَازِلُ لِلشَّمْسِ، وَجَعَلُوهَا اثْنِي عَشَرَ مَوْقِعًا، بَعْدَ شُهُورِ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ، إِذْ تَعُودُ فِي نَهَايَةِ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ تُرَى الشَّمْسُ فِي الْمَوْقِعِ الْأَوَّلِ الَّذِي رَصَدُوهُ فِي أَوَّلِهَا، وَأُظْلِفُوا عَلَى الْمَسَافَةِ الَّتِي تُحَالُ الشَّمْسُ قَدْ اجْتَاَزَتْهَا فِي السَّنَةِ «دَائِرَةُ الْبُرُوجِ» وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ ذَلِكَ نَاتِجٌ عَنْ حَرَكَةِ الْأَرْضِ لَا عَنْ سَيْرِ الشَّمْسِ عَلَى دَائِرَةِ ذَاتِ مَوَاقِعَ سَمَوِهَا الْبُرُوجِ.

وَسَمَّوْا هَذِهِ الْبُرُوجَ كَمَا يَلِي عَلَى التَّرْتِيبِ بَدْءًا مِنْ بُرْجِ أَوَّلِ فَصْلِ الرَّبِيعِ.

(١) الحمل (٢) الثور (٣) الجوزاء (٤) السرطان (٥) الأسد (٦) السنبلة (٧) الميزان (٨) العقرب (٩) القوس (١٠) الجدي (١١) الدلو (١٢) الحوت.

أُظْلِفُوا هَذِهِ الْأَسْمَاءَ أَخْذًا مِنَ الصُّورَةِ الَّتِي ظَهَرَتْ لَهُمْ عِنْدَ الرِّصْدِ، مِنْ مَجْتَمَعِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ عِنْدَ تَحْدِيدِ كُلِّ بُرْجٍ مِنْ هَذِهِ الْبُرُوجِ.

• ﴿شِهَابٌ مُبِينٌ﴾: أَي: شِهَابٌ ظَاهِرٌ تَرَاهُ الْأَبْصَارُ. الشَّهَابُ: هُوَ الشُّعْلَةُ السَّاطِعَةُ مِنَ النَّارِ. وَيُظَلَّقُ عَلَى النَّجْمِ الْمُضِيءِ اللَّامِعِ.

وَيُظَلَّقُ عَلَى جِزْمِ سَمَاوِيٍّ يَسْبَحُ فِي الْفَضَاءِ فَإِذَا دَخَلَ فِي جَوْ الْأَرْضِ انْجَذَبَ إِلَيْهَا فَاشْتَعَلَ وَصَارَ بَعْدَ ذَلِكَ رَمَادًا.

• ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾: يَدُلُّنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ، عَلَى أَنَّ مِنْ آيَاتِهِ الدَّلَالَاتِ عَلَى شُمُولِ عِلْمِهِ، وَجَلِيلِ حِكْمَتِهِ وَإِتْقَانِهِ لِصُنْعِهِ فِي كَوْنِهِ، وَوَحْدَتِهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، أَنَّهُ أَتَقَنَّ حَرَكَةَ الْأَرْضِ فِي مُقَابِلِ مَوَاقِعِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، إِنْتِقَانًا بَدِيعًا عَجِيبًا، يَتِمَكَّنُ بِهِ النَّاسُ فِي الْأَرْضِ مِنْ تَحْدِيدِ مَنَازِلِ فِي السَّمَاءِ تَظْهَرُ فِيهَا الشَّمْسُ، وَيَعْرِفُونَ بِهَا بَدْءَ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ وَنَهَايَتَهَا، وَأَقْسَامَ شُهُورِهَا وَفُضُولِهَا الْأَرْبَعَةَ.

هَذَا الْإِتْقَانُ الْعَجِيبُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِمَّنْ لَهُ الرُّبُوبِيَّةُ وَحْدَهُ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ الْمُتَقِنُ الْقَدِيرُ عَلَى مَا يَشَاءُ.



أي: وَمَنْ لَهُ هَذِهِ الصِّفَاتُ الْعَظِيمَاتُ الْجَلِيلَاتُ، لَا يُمَكِّنُ عَقْلاً أَنْ يَخْلُقَ النَّاسَ بِصِفَاتِهِمُ الَّتِي اخْتَارَ أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُمْ عَبَثًا، دُونَ أَنْ يَضَعَهُمْ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، وَيَبْعَثَ لَهُمْ رَسُولًا، وَيُنْزِلَ لِهِدَايَتِهِمْ كُتُبًا، وَيُكَلِّفَهُمْ تَكَالِيفَ حَكِيمَةً تُلَاقِئُ مَا فَطَرَهُمْ عَلَيْهِ، وَيَتَّبِعَ ذَلِكَ بِالحِسَابِ، وَفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ، عَلَى مَا اخْتَارُوا وَقَدَّمُوا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ.

ويؤكد الله الجملة بعبارة ﴿لَقَدْ﴾ للتنبيه على مضمون الدلالات.

• ﴿... وَزَيَّنَّا لِلنَّاطِرِينَ﴾: التَّزْيِينُ: التَّحْسِينُ والتَّجْمِيلُ.

وهذا التَّزْيِينُ ظاهرٌ لكلِّ ذِي نَظَرٍ يَرَى بِهِ السَّمَاءَ.

أَمَّا التَّزْيِينُ بِالنُّجُومِ فَمِنْ المَعْلُومِ عِلْمِيًّا أَنَّ نُجُومَ السَّمَاءِ المَوْزَعَةَ فِي مَجَرَّتِنَا، وَفِي المَجَرَّاتِ فَوْقَهَا، لَا تَظْهَرُ زِينَتُهَا لِأَعْيُنِ النَّاطِرِينَ فِي الْأَرْضِ، إِلَّا بوساطَةِ الْخَصَائِصِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الغِلَافِ الغَازِي حَوْلَ الْأَرْضِ، ولولاه لَمْ تَكُنْ زِينَةً لِلنَّاطِرِينَ.

وهَذَا التَّزْيِينُ مِنْ آيَاتِ اللهِ فِي كَوْنِهِ الَّتِي رُوِيَ فِيهَا إِمْتَاعُ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ، لَدَى سَبْحِ أَبْصَارِهِمْ فِي أَبْعَادِ السَّمَاءِ، إِذْ يُشَاهِدُونَ الطُّيُورَ، وَالسُّحُبَ، وَالزُّرْقَةَ الهَادِئَةَ، وَالنُّجُومَ البَدِيعَةَ المَوْزَعَةَ فِي السَّمَاءِ بِالمِليَّاتِ.

• ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (٧٧) إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَنْبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿٧٨﴾:

الشَّيْطَانُ: اسْمُ جنسٍ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مُعْوٍ مُضِلٍّ مُتَمَرِّدٍ مُفْسِدٍ، مِنَ الجنِّ والإنسِ، وإِبْلِيسَ إِمَامًا كُلِّ الشَّيَاطِينِ وَرَئِيسَهُمْ، وَالَّذِينَ كَانُوا يَسْتَرْقُونَ السَّمْعَ مِنَ الشَّيَاطِينِ هُمُ مِنْ شَيَاطِينِ الجنِّ.

الرَّجِيمُ: المَلْعُونُ المَطْرُودُ، والأَضْلُ فِيهِ أَنَّ المَطْرُودَ يُرْجَمُ بالحجارة، أي: يُرْمَى بها.

﴿اسْتَرْقَ السَّمْعَ﴾: أي: اتَّخَذَ مَا يَسْتَطِيعُ مِنْ وَسِيلَةٍ لِيَسْرِقَ الْأَقْوَالَ بِسَمْعِهِ. وَكَانَ الشَّيَاطِينُ يَسْتَرْقُونَ بِمَسَامِعِهِمْ مَا تَتَحَادَثُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ، أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِمْ مِنْ أَوْامِرٍ وَأَنْبَاءٍ، فَمُنِعُوا مِنْ ذَلِكَ بَعْدَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالشُّهْبِ، كَمَا سَبَقَ إِضَاحُهُ لَدَى تَدْبِيرِ سُورَةِ (الْحَجِّ/ ٤٠ نزول).

﴿فَاتَّبَعَهُ﴾: أي: فَتَبِعَهُ بِسُرْعَةٍ وَقُوَّةٍ، فَقَتَلَهُ، أَوْ مَسَّهُ بِحَرِيقٍ وَأَنْزَلَ بِهِ ضُرًّا.

جاءَ هَذَا الْبَيَانُ إِضَافَةً ذَاتَ فَائِدَةٍ جَلِيلَةٍ، دَالَّةٌ عَلَى عِنَايَةِ اللَّهِ الْخَاصَّةِ بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي تَكَفَّلَ اللَّهُ لَهُ بِحِفْظِ كِتَابِهِ، وَعِصْمَةِ رَسُولِهِ مِنَ النَّاسِ.

لَقَدْ حَفِظَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاءَ بَدْءاً مِنْ نِهَايَاتِ الْغُلَافِ الْغَازِي، الَّذِي جَعَلَهُ مُحِيطاً بِالْأَرْضِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرْجُومٍ مَطْرُودٍ، فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَرْقِيَ السَّمْعَ مِنْ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ، لَدَى تَبْلِيغِهِمْ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ لِمَلَائِكَةِ الْأَرْضِ، لِيَقُومَ هَذَا الشَّيْطَانُ بِتَبْلِيغِهِ لَوْلِيهِ الشَّيْطَانِ مِنَ الْإِنْسِ.

وَحِينَ يَسْتَرْقِي بَعْضُهُمْ بِالتَّصَنُّتِ مَا يُمَكِّنُ لَهُ أَنْ يَسْمَعَهُ، إِذْ يَخْطِفُ شَيْئاً مِمَّا يُقَالُ بِحِيلَتِهِ وَسُرْعَتِهِ، فَإِنَّ شَهَاباً مُبِيناً وَاضِحاً يَتَّبِعُهُ بِسُرْعَةٍ وَقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ، فَيَحْرِقُهُ فَيَمِيتُهُ، أَوْ يُعْطِلُ أَجْهَرَتَهُ، فَيَجْعَلُهُ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى نَقْلِ مَا اخْتَلَفَهُ، وَغَيْرَ قَادِرٍ عَلَى تَبْلِيغِهِ، أَوْ يَجْعَلُهُ يَتَّقَلُّبُ فِي عَذَابٍ أَلِيمٍ<sup>(١)</sup>.

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٦﴾﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُتَابَعَةٌ لِعَرْضِ بَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، وَفِيهَا ثَلَاثُ قَضَايَا:

الْقَضِيَّةُ الْأُولَى: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾: أي:

(١) بَقِيَّةُ هَذَا الْمَوْضُوعِ مَوْجُودَةٌ فِي تَدْبِيرِ سُورَةِ (الْحَجِّ/ ٤٠ نزول).

جَعَلْنَاهَا ذَاتَ امْتِدَادٍ فِي بُعْدَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ مِنْهَا، كَتَمَدَّدِ السَّقَاءِ، وَهُوَ ظَرْفُ الْمَاءِ الْمُتَّخِذِ مِنَ الْجِلْدِ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِالْقِرْبَةِ.

وَيُقَالُ لُغَةً: تَمَدَّدَ الرَّجُلُ، أَي: تَمَطَّى وَتَطَاوَلَ.

وَأَصْلُ الْمَدِّ فِي اللُّغَةِ: الْجَذْبُ.

وَقَدْ يَكُونُ الْمِرَادُ بِمَدِّ الْأَرْضِ مَدَّهَا بِالْخَيْرَاتِ، وَالْمَعَادِنِ، وَمَوَادِّ الْخَضْبِ، وَالْعُنَاصِرِ النَّافِعَةِ لِلْعِبَادِ. تقول لغة: «مَدَدْتُ الْأَرْضَ مَدًّا» إِذَا زِدْتَ فِيهَا تُرَابًا أَوْ سَمَادًا مِنْ غَيْرِهَا، لِيَكُونَ أَعْمَرَ لَهَا، وَأَكْثَرَ رِيعًا لَزَرْعِهَا.

ويقال للِرَّمَالِ وَالسَّمَادِ: مِدَادُ الْأَرْضِ.

وفهم المدّ على معنئيه المشهودين هو من التدبّر الأمثل.

هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، مِنْ مَظَاهِرِ عِنَايَةِ اللَّهِ بِالنَّاسِ عَلَيْهَا، رِزْقًا لَهُمْ وَلِأَنْعَامِهِمْ، وَنَفْعًا وَخَيْرًا عَظِيمًا.

**القضية الثانية:** دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِي﴾:

أَي: وَأَلْقَيْنَا فِي الْأَرْضِ جِبَالًا رَوَاسِي ثَوَابِتَ رَوَاسِيخَ تُثَبِّتُ قِشْرَتَهَا، حَتَّى لَا تَمِيدَ، أَي: حَتَّى لَا تَتَحَرَّكَ وَتَضْطَرِبَ بِسَبَبِ الضَّغْطِ الْغَازِي الَّذِي فِي دَاخِلِهَا.

يُقَالُ لُغَةً: «رَسَا الشَّيْءُ يَرْسُو رَسْوًا وَرُسُوًّا» أَي: ثَبَتَ، وَيُقَالُ: «رَسَا الْجَبَلُ» أَي: ثَبَتَ أَصْلُهُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ.

كلمة «رواسي» هي في الأصل صفةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْدُوفٍ، هي الجبال، وَلِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا صِفَةً لِلْجِبَالِ اسْتُغْنِيَ عَنْ ذِكْرِ الْمَوْصُوفِ، وَنُزِلَتِ الصِّفَةُ مَنْزِلَتُهُ فِي أَصْلِ الدَّلَالَةِ، مَعَ زِيَادَةِ مَعْنَى الرُّسُوحِ وَالثَّبُوتِ.

وَلَعَلَّ فِي كَوْنِ الْجِبَالِ مُلْقَاءَ إِلْقَاءِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْأَرْضَ كَانَتْ مُمَدَّدَةً

كَالسَّقَاءِ، ثُمَّ حَصَلَتْ فِيهَا تَفْجُرَاتٌ بُرْكَانِيَّةٌ، نَجَمَ عَنْهَا تَرَامِي حُمَمٍ بُرْكَانِيَّةٍ فِي الْجَوْ، وَأُلْقِيَتْ هَذِهِ الْحُمَمُ فِي الْفُجُوتِ الَّتِي أَحْدَثَتْهَا الْبَرَائِكُنُ الْعَظَمَى، فَكَانَتْ الْجِبَالُ الرَّوَاسِي.

وَقَدْ تَكَرَّرَ التَّنْبِيهُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى امْتِنَانِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ بِالْجِبَالِ الرَّوَاسِي فِي (١١) نَصّاً سَبَقَ عَرَضُهَا مَعَ شَيْءٍ مِنَ التَّدْبِيرِ، لَدَى تَدْبِيرِ سُورَةِ (ق/ ٣٤ نزول)<sup>(١)</sup>.

**القضية الثالثة:** دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾: أَي: وَأَنْبَتْنَا فِي الْأَرْضِ نَبَاتًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ذِي مِقْدَارٍ قَابِلٍ لِأَنْ يُوزَنَ، فَالْصِّفَةُ الْجَامِعَةُ لِنَبَاتَاتِ الْأَرْضِ كُلِّهَا، مَا كَانَ مِنْهَا غِذَاءً، وَمَا كَانَ مِنْهَا دَوَاءً، وَمَا كَانَ مِنْهَا صَالِحًا لِلصَّنَاعَاتِ الْمُخْتَلِفَاتِ، حَتَّى مَا تَحْتَوِي مِنَ الْغَازَاتِ وَالرَّوَائِحِ الطَّيِّبَةِ وَالْكَرِيهَةِ، أَنَّهَا ذَوَاتُ مَقَادِيرَ قَابِلَةٍ لِأَنْ تُوزَنَ بِمَوَازِينَ.

وَفِي هَذَا الْبَيَانِ مِفْتَاحٌ يَهْدِي عُلَمَاءَ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ لِصِنَاعَةِ الْمَوَازِينِ الدَّقِيقَةِ، الَّتِي تَزِنُ كُلَّ شَيْءٍ تُنْبِتُهُ الْأَرْضُ، أَوْ يَخْرُجُ مِنْ نَبَاتِهَا، حَتَّى مَقَادِيرَ الْغَازَاتِ وَالرَّوَائِحِ وَالطَّاقَاتِ، مَهْمَا قَلَّتْ.

وَهَذَا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْإِنْفَانِيَّةِ فِي كَوْنِهِ، الدَّلَالَاتِ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ الْجَلِيلَاتِ الْعَظِيمَاتِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خُطَابًا لِلنَّاسِ:

• ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَكُمْ بِرَزْقِينَ﴾ ﴿٢٠﴾:

﴿مَعِيشٌ﴾: جَمْعُ «مَعِيشَةٍ» وَهِيَ مَا يُعَاشُ بِهِ. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: «يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ «مَعَايشَ» مَا يَعِيشُونَ بِهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْوُصْلَةُ إِلَى مَا يَعِيشُونَ بِهِ». الْعَيْشُ: الْحَيَاةُ.

فَمِنْ مَنِ اللَّهِ وَنِعْمِهِ عَلَى النَّاسِ أَنَّهُ قَدْ جَعَلَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا يَعِيشُونَ بِهِ فِيهَا، مِنْ مُخْتَلِفِ الْأَجْنَاسِ، وَالْأَنْوَاعِ، وَالْأَصْنَافِ، بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْحَاجَاتِ.

﴿... وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُمْ بِرَزَقِينَ﴾ ﴿١٦﴾: ﴿: أَي: وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مَنْ تَحِبُّونَ أَنْ يَكُونُوا لَكُمْ، مَمْلُوكِينَ، أَوْ تَابِعِينَ، مِنْ أَوْلَادٍ أَوْ أَزْوَاجٍ أَوْ خَدَمٍ تَجِبُ عَلَيْكُمْ النَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ، إِلَّا أَنْكُمْ لَسْتُمْ لَهُمْ بِرَازِقِينَ، بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ نَرْزُقُهُمْ، مَرَّاً هَذَا الرِّزْقُ عَنْ طَرِيقِكُمْ، فَلَا تَتَصَوَّرُوا أَنَّكُمْ بِإِنْفَاقِكُمْ عَلَيْهِمْ مَعَايِشَهُمْ تَرْزُقُونَهُمْ، إِنَّا نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ، وَنَرْزُقُهُمْ عَنْ طَرِيقِكُمْ، لِنَمْتَحِنَكُمْ فِيمَا آتَيْنَاكُمْ، مِمَّنْ تَحِبُّونَ أَنْ يَكُونُوا لَكُمْ، وَمِمَّا تَحِبُّونَ مِنْ أَمْوَالٍ هِيَ وَسَائِلٌ لِلْمَعَايِشِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَلَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خِزَانَةٌ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ ﴿١٧﴾:

خَزَائِنُ: جمع «خِزَانَةٌ» وهي مَكَانُ الْخَزَنِ لِلْحِفْظِ.

أَي: وَمَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ قَابِلٍ لِأَنْ يُوَضَعَ فِي خِزَانَةٍ مَا، إِلَّا هُوَ مِلْكُ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - وَعِنْدَ اللَّهِ وَتَحْتَ سُلْطَانِهِ خَزَائِنُهُ الْمُوزَعَةُ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ، أَجْنَاساً، وَأَنْوَاعاً، وَأَصْنَافاً، وَأَفْرَاداً، وَمِنْهَا الْقُوَى الْمَحْزُونَةُ فِي الْأَشْيَاءِ كَالْكَهْرْبَاءِ.

وَهُوَ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - الَّذِي يُنْزِلُ مِنْ أَفْرَادِ الْأَشْيَاءِ، أَوْ أَصْنَافِهَا، أَوْ أَنْوَاعِهَا، أَوْ أَجْنَاسِهَا، لِلنَّاسِ وَلِلسَّائِرِ الْأَحْيَاءِ مِنْ خَلْقِهِ، مَا تَقْتَضِي حِكْمَتُهُ أَنْ يَمْنَحَهُمْ إِيَّاهُ، وَلَا يَكُونُ تَنْزِيلُهُ لِأَيِّ شَيْءٍ جُزَافاً، دُونَ تَقْدِيرِ حَكِيمٍ، إِنَّهُ لَا يُنْزِلُ شَيْئاً مَا مِنْ خَزَائِنِهِ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ لَهُ، ضِمْنَ تَصَاريفِهِ الْحَكِيمَةِ، الَّتِي هِيَ آثَارُ قَدَرِهِ وَقَضَائِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ، صَغِيراً كَانَ أَمْ كَبِيراً، جَلِيلاً كَانَ أَمْ حَقِيراً.

وَكُلُّ مَا يُخْرِجُهُ اللَّهُ مِنْ خَزَائِنِهِ فِي تَصَارِيفِهِ الْمُخْتَلِفَةِ خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا هُوَ تَنْزِيلٌ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْأَرْضِ، لَأَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ فِي الْمَقَامِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى، وَكُلُّ تَصَارِيفِهِ فِي خَلْقِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ لَدُنْهُ، إِذِ الْأَمْرُ أَمْرُهُ، وَالْخَلْقُ خَلْقُهُ.

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْسَقَيْنَكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (٢٢):

الإرسال: هُوَ التوجيه لأداء رسالة ما بتؤدة وترفق وحكمة، فإرسال الرياح يتضمن أداء وظيفة ما من الوظائف الكونية.

الرياح: جمع «الريح» وهو الهواء إذا تحرك، و«الريح» اسم جنس، وقد جاء بالإفراد في قراءة حمزة، وخلف، وهو يعُمُّ أنواع الرياح، فالقراءتان متكافئتان، وهما من التنوع في البيان، أو متكاملتان إذا حملنا الجمع على الأنواع.

لواقح: جمع «لاقح» وهي: حاملة اللقاح الذي يدخل في الشيء فيكون له أثر إخصاب في الأحياء والنباتات، وأثر تكاثف لبخار الماء الذي ينزل من السحاب مطراً أو ثلجاً أو برداً.

وفي كون الرياح لواقح للسحب إذ يتسبب تلقيحها لها في إنزال الأمطار، نجد لدى علماء البحث العلمي للظواهر الكونية ما يدل على أن الرياح تحمل إلى بخار الماء في السحب جسيمات صغيرة تسمى «نويات التكاثف» وتتألف هذه النويات من الغبار، وأملاح البحار، وبعض المواد الكيميائية المنبعثة من المصانع وعوادم السيارات، وعند تكاثف بخار الماء تنطلق حرارة تجعل السحب ساخنة، ويساعد هذا التسخين على رفع السحب إلى الأعلى، وبهذا تصير أكثر برودة، وقد فسر تكون قطرات

الأمطار في مثل هذه السحب بنظريّة الاندماج ونظريّة البلّورات الثلجيّة<sup>(١)</sup>.  
 ويُسمّى الهواء حول الأرض الغلاف الغازي، ويبقى حول الأرض  
 بفعل جاذبيّتها له، وهو يتألّف من (٧٨٪) من «غاز النيتروجين» و«٢١٪»  
 من «غاز الأكسجين» و«١٪» من «غاز الأرجون وغيره من الغازات».  
 ويختلط بهذا الغلاف الغازي ممّا ليس منه ذرّات من بخار الماء الذي  
 يتبخّر من المحيطات والبحيرات والأنهار ومن التربة الرطبة ومن النباتات،  
 وكلّ ماء يجفّ من الأشياء على الأرض.

ويحمل هذا الغلاف الغازي «الهباء الجويّ» وهو جسيمات صلبة  
 صغيرة جدّاً لا ترى بالعين، إلّا في مكان مظلم نفذت إليه أشعة الشمس  
 من كوة مثلاً فيرى بعضه يتطاير في الهواء.

وهذا الغلاف الغازي، وما يختلط به من بخار الماء، وما يحمله من  
 دقائق الجسيمات الصلبة، ذو وظائف متعدّدة للحياة، باستثناء الملوثات  
 التي يضيفها النّاس إلى الجو، وهذه الملوثات تضرّ بصحة الإنسان وتؤذي  
 النباتات والحيوانات وتدمّر مواد البناء<sup>(٢)</sup>.

ومن هذه الملوثات عوادم السيّارات، وما ينبعث في الجو من  
 المصانع والحرائق وغيرها.

وهذا التلوّث من الفساد الذي ظهر في البرّ والبحر والجو بما كسبت  
 أيدي الناس، وأشدّه ضرراً آثار التفجيرات الذريّة، والأشعة الذريّة، وما  
 تخلّفه أسلحة الدمار الشامل.

وجاءت عبارة ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ بعد بيان إرسال الرياح لواقع

(١) انظر الموسوعة العربيّة العالمية، المجلد (٢٣) صفحة (٤١٧): أسباب سقوط المطر  
 (الطبعة الثانية).

(٢) انظر المرجع السابق المجلد (٢٦) صفحة (٢١٧ - ٢١٨).

بحرف «الفاء» الدالة على الترتيب مع التعقيب، للدلالة على أَنَّ الرِّيحَ بما تَحْمِلُ مِنْ جُسَيْمَاتٍ ضَلْبَةٍ صَغِيرَةٍ جَدًّا، تكونُ بِمَثَابَةِ التَّلْفِيحِ لِبُخَارِ المَاءِ فِي السَّحَابِ بوساطَةِ الجسيمات، إِذْ تَتَكَوَّنُ حَوْلَهَا حَبَّاتُ المَطَرِ أو الثَّلْجِ أو البَرَدِ، وَعَقِبَ ذَلِكَ يَنْزِلُ المَاءُ مِنَ السَّمَاءِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِتَدْيِيرِ اللَّهِ الحَكِيمِ وَفِعْلِهِ جَلَّ جلالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ، وَأَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

● ﴿فَأَسْقِينَكُمُوهُ﴾: يَخَاطَبُ اللَّهُ النَّاسَ بِضَمِيرِ المتكلم العَظِيمِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَسْقَاهُمُ الْمَاءَ الْحُلُوَّ الْعَذْبَ السَّائِعَ لِلشَّارِبِينَ بِتَدْيِيرَاتِهِ الْحَكِيمَاتِ، إِذْ جَعَلَ الْبُخَارَ يَتَصَاعَدُ فِي الْجَوِّ بِفِعْلِ الْحَرَارَةِ الَّتِي تُمَدُّ بِهَا أَشْعَةُ الشَّمْسِ، وَيَتَكَوَّنُ سُحْبًا، وَأَرْسَلَ الرِّيحَ حَامِلَاتٍ لِجُسَيْمَاتِ اللَّقَاحِ، فَاجْتَمَعَتْ حَوْلَهَا حَبَّاتُ المَطَرِ أو الثَّلْجِ أو البَرَدِ، فَتَقَلَّتْ بِالتَّكَاثُفِ، فَقَوِيَتْ جاذِبِيَّةُ الْأَرْضِ عَلَى اجْتِدَابِهَا إِلَيْهَا، فَنَزَلَتْ مَاءً عَذْبًا سَائِعًا لِلشَّارِبِينَ وَالشَّارِبَاتِ، مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ، وَجَرَتْ بِهِ السُّيُولُ وَالْأَنْهَارُ، وَاخْتَرَنَ الْكَثِيرُ مِنْهُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ وَتَجَوُّفَاتِهَا.

● ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾: أَي: وَخَزَنَاهُ فِي مَخَازِنَ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ وَتَجَاوِيفِهَا، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ الْمَالِحِ حَاجِزًا حَتَّى لَا يَخْتَلِطَ بِهِ، وَجَعَلْنَاهُ يَنْبُعٌ مِنَ الْعُيُونِ وَيَجْرِي سَوَاقِي وَأَنْهَارًا، وَمَا أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِخَازِنِينَ لَهُ فِي مَخَازِنِهِ مِنَ الْأَرْضِ، بَلْ نَحْنُ سَلَكْنَاهُ فِي مَسَالِكِهِ إِلَى مَخَازِنِهِ، وَحَفِظْنَاهُ فِيهَا، وَنُخْرِجُ مِنْهُ لِمَنَافِعِكُمْ عَلَى وَفْقِ حِكْمَتِنَا فِي ابْتِلَائِكُمْ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بَسْطًا أَوْ قَبْضًا.

■ قول الله تعالى يتحدث بضمير المتكلم العَظِيمِ:

● ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ (٢٣):

أَي: وَإِنَّا لَنَحْنُ لَا أَحَدٌ غَيْرُنَا فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ نُحْيِي مَنْ نَشَاءُ وَمَا نَشَاءُ أَنْ نَجْعَلَهُ ذَا حَيَاةٍ، وَنُمِيتُ مَنْ نَشَاءُ وَمَا نَشَاءُ أَنْ نُمِيتَهُ مِنَ الْأَحْيَاءِ.



أَمَّا الْقَتِيلُ مِنْ قَبْلِ ذِي إِرَادَةٍ بِقَتْلِهِ فَإِنْ كَانَ أَجَلَ حَيَاتِهِ قَدْ انْتَهَى، مَكَنَ اللَّهُ مُرِيدَ قَتْلِهِ مِنْ اتِّخَاذِ الْأَسْبَابِ الْقَاتِلَةِ، ثُمَّ لَا يَكُونُ مَوْتُهُ إِلَّا بِإِمَاتَةِ اللَّهِ لَهُ، وَإِذَا كَانَ الْقَاتِلُ مُعْتَدِيًا ظَالِمًا عَاقَبَهُ اللَّهُ عَلَى اتِّخَاذِهِ أَسْبَابَ الْقَتْلِ، لِأَنَّهُ اتَّخَذَهَا بِإِرَادَتِهِ الْحَرَّةَ، وَأَرَادَ حُرًّا مُخْتَارًا أَنْ يَكُونَ قَاتِلًا ظُلْمًا وَعُدْوَانًا لِحَاجَةٍ فِي نَفْسِهِ.

وإِنَّا لَنَحْنُ نُمَلِّكُ ذَا الْحَيَاةِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ فِي حَيَاتِهِ، أَوْ مَا لَهُ بِهِ حَاجَةٌ أَوْ رَغْبَةٌ، فَإِذَا أَمْتَنَاهُ لَمْ تَبْقَ لَهُ مِلْكِيَّةٌ لَشَيْءٍ، وَعِنْدُنَا يَظْهَرُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَالِكُ لِمَا كَانَ يَمْلِكُ الْعَبْدُ مِنْ مُمْتَلَكَاتٍ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ، وَلَمَّا كَانَ مَالٌ أَمْلَاكَ الْمَوْتَى إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ يُوزَعُّهَا عَلَى بَعْضِ الْأَحْيَاءِ بِحُكْمَتِهِ، أَطْلَقَ عَلَى نَفْسِهِ وَصَفَ «الْوَارِثِ» إِذِ الْوَارِثُ هُوَ الَّذِي لَهُ حَقٌّ فِي امْتِلَاكِ مِقْدَارٍ مِمَّا مِنْ مَالٍ مُورَثِهِ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ بَدْءًا، وَوَسْطًا وَخَتَمًا، وَهُوَ الْمَالِكُ لَذَوَاتِ الْمَالِكِينَ.

الإحياء: يَكُونُ بِتَرْوِيجِ الْأَرْوَاحِ لِلنَّفُوسِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ لَهَا حَيَاةٌ.

الإِمَاتَةُ: تَكُونُ بِفَضْلِ الْأَرْوَاحِ عَنِ النَّفُوسِ الْحَيَّةِ.

وَكِلَاهُمَا مِنْ أَفْعَالِ اللَّهِ وَحْدَهُ فِي كَوْنِهِ، لَا شَرِيكَ لَهُ.

جاء هذا البيان في هَذِهِ الْآيَةِ مُؤَكِّدًا بِالْمُؤَكَّدَاتِ: «إِنَّ - وَالْجُمْلَةُ الْأَسْمِيَّةُ - وَاللَّامُ الْمَرْحَلَةُ» وَمَقْصُورًا بِتَعْرِيفِ طَرَفِي الْإِسْنَادِ، وَهُمَا اسْمُ «إِنَّ» أَي: «نَا» وَخَبَرُهَا أَي: «نَحْنُ» وَكَذَلِكَ فِي جُمْلَةٍ: «وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ».

قول الله عَزَّ وَجَلَّ يَتَحَدَّثُ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ أَيْضًا:

• ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخِيرِينَ﴾ ﴿٢٤﴾:

الْمُسْتَقْدِمُونَ: هُمُ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا إِلَى الْمَوْتِ قَبْلَ الْمُخَاطَبِينَ.

الْمُسْتَأْخِرُونَ: هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَمُوتُوا بَعْدُ سَوَاءً أَكَانُوا فِي الْحَيَاةِ، أَمْ

لَمْ يَأْتُوا إِلَى ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَعْدُ، وَسَيَأْتُونَ إِلَيْهَا بِمَقْتَضَى تَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ السَّابِقِ لِجَمِيعِ النَّاسِ إِلَى آخِرِ حَيَاةِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ.

وَيُؤَكِّدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعِبَارَةٍ: ﴿وَلَقَدْ﴾ أَنَّ عِلْمَهُ شَامِلٌ لِلَّذِينَ عَاشُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْآخِرَةِ بِالْمَوْتِ، وَلِلَّذِينَ هُمْ يَعِيشُونَ فِي ظُرُوفِهَا وَلِلَّذِينَ سَيَعِيشُونَ فِيهَا وَبَعْدَ ذَلِكَ يَكُونُ الْمَوْتُ طَوْرًا مِنْ أَطْوَارِ وُجُودِهِمْ، الَّذِي سَوْفَ يَكُونُ بَعْدَهُ الْبُعْثُ لِلْحِسَابِ وَفَضْلُ الْقَضَاءِ وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ.

وعِلْمُهُ تَعَالَى شَامِلٌ لِدَوَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَاخْتِيَارَاتِهِمْ فِي رِحْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ.

اسْتَقْدَمَ: بِمَعْنَى «تَقَدَّمَ» وَاسْتَأَخَّرَ: بِمَعْنَى «تَأَخَّرَ». السَّيْنُ وَالتَّاءُ فِيهِمَا لَتَوْكِيدِ تَحَقُّقِ الْوَصْفِ بِالتَّقَدُّمِ وَالتَّأَخُّرِ، مَعَ مَا فِي الصَّيْغَةِ مِنْ وَقْعٍ حَسَنِ عَلَى السَّمْعِ.

وَالْفِعْلُ فِيهِمَا فِيهِ مَعْنَى الْمَطَاوَعَةِ الْجَبْرِيَّةِ، أَي: قَدَّمَ هُمُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ فَاسْتَقْدَمُوا، وَأَخَّرَهُمُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ فَاسْتَأَخَّرُوا.

وجاء البيان في هَذِهِ الْآيَةِ تَوْطِئَةً لِلْبَيَانِ الْآتِي عَنْ الْآخِرَةِ فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ، وَمَا جَاءَ قَبْلَهَا كَانَ تَوْطِئَةً لِلْبَيَانِ فِيهَا، يَظْهَرُ هَذَا بِالتَّأَمُّلِ، فَيَأْتِي هَذَا الدَّرْسُ السَّابِقَاتِ قَدَمَتِ الدَّلِيلُ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، الَّتِي يَلْزَمُ عَنْهَا وَحْدَانِيَّتُهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَيَلْزَمُ عَنْهُمَا أَنَّ اللَّهَ قَدِيرٌ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، لَمْ يَخْلُقِ النَّاسَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَبَثًا، وَإِنَّمَا خَلَقَهُمْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَيَلْزَمُ عَقْلًا عَنْ الْإِبْتِلَاءِ وَوُجُودِ حَيَاةٍ أُخْرَى يَكُونُ فِيهَا الْحِسَابُ وَفَضْلُ الْقَضَاءِ وَتَنْفِيزُ الْجَزَاءِ.

■ قول الله عز وجل خِطَابًا لِلرَّسُولِ وَلِكُلِّ صَالِحٍ لِلخُطَابِ:

• ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٥﴾ :

خُتِمَ هَذَا الدَّرْسُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى الْغَايَةِ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهِيَ مُحَاسَبَتُهُ عَلَى مَا قَدَّمَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَفَضْلُ الْقَضَاءِ بِشَأْنِهِ، وَتَنْفِيزُ مُجَازَاتِهِ يَوْمَ الدِّينِ. وَاخْتِيارَ مِنْ أَحْدَاثِ يَوْمِ الدِّينِ حَدَثٌ حَسَرَ الْخَلَائِقُ فِي الْمَحْشَرِ، وَهُوَ يَسْتَلْزِمُ فِكْرًا الْأَحْدَاثِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَهُ وَالَّتِي جَاءَ بَيَانُهَا فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَسْتَلْزِمُ فِكْرًا الْأَحْدَاثِ الَّتِي تَكُونُ بَعْدَهُ، وَالَّتِي جَاءَ بَيَانُهَا فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ يَتَضَمَّنُ دَلِيلًا عَلَى يَوْمِ الدِّينِ يَوْمَ الْجَزَاءِ الْأَكْبَرِ وَمَا يَجْرِي فِيهِ، مِنْ حِسَابٍ وَفَصْلِ قِضَاءٍ وَجَزَاءٍ، إِذِ الْحَكِيمُ لَا يَخْلُقُ النَّاسَ بِصِفَاتِهِمُ الَّتِي فَطَرَهُمْ عَلَيْهَا دُونَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَعَدَّ فِي خُطَّةِ التَّكْوِينِ ذَلِكَ. وَذَكَرَ وَصَفَ أَنَّهُ تَعَالَى: ﴿عَلِيمٌ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَحْكَامَهُ بِعِبَادِهِ يَوْمَ الدِّينِ تَكُونُ دَائِرَةً حَوْلَ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ، وَلَا تَكُونُ جُزَافًا غَيْرَ مَبْنِيَّةٍ عَلَى عِلْمٍ شَامِلٍ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثاني من دروس سورة (الحجر).  
والحمد لله على مَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَمَعُونَتِهِ وَفَتْحِهِ.



(٦)

التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الحجر)

الآيات من (٢٦ - ٤٤)

قال الله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَنَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِّقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَلَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ

أَمَلَيْتِكُمْ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِلَيْسَ ابْنُ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَتَّبِلِيسَ مَا لَكَ إِلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتُمْ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٤﴾

### القراءات:

(٤٠) • قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وابنُ عامر، ويعقوب: [المُخْلِصِينَ] بِكسْرِ اللَّام. وقرأها باقي القراء العشرة: [المُخْلَصِينَ] بفتح اللَّام.

وبين القراءتين تكاملٌ فكري، أي: هم أخلصوا لله عباداتهم فجعلَهُمُ اللهُ مِنَ الْمُخْلِصِينَ عِنْدَهُ.

(٤١) • قرأ يعقوب: [هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ] أي: هو في أعلى منزلة، وهو مُسْتَقِيمٌ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ] أي: هذا صراطٌ عليّ بيانه، وعليّ المكافأة على الالتزام بسُلوْكِه، وهو مُسْتَقِيمٌ. فبين القراءتين تكاملٌ في أداء المعنى المراد.

(٤٤) • قرأ شُعْبَةُ: [جُزْءٌ]. وقرأها أبو جعفر: [جُزْءٌ] وقرأها باقي القراء العشرة [جُزْءٌ].

وهذه القراءات لغاتٌ عربية للكلمة.

## تمهيد:

هذا الدرس موصولٌ بخطِّ الْمُعَالَجِينَ في السُّورَةِ، وهم أئمةُ المُشْرِكِينَ في مَكَّةَ وأتباعُهُم المتأثِّرونَ بهم، وهذه الصَّلَةُ تَتَضَحُّ مِنْ خِلالِ عَرَضِ قِصَّةِ خَلْقِ آدَمَ، وَرَفُضِ إِبْلِيسَ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ طَاعَةً لِرَبِّهِ جَاحِداً إِلَهِيَّتَهُ.

وفي هَذَا الدرسِ بَيَانُ لِقِطَاطٍ مِنْ قِصَّةِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ أَيْنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا النَّصُّ وَاحِدٌ مِنْ سِتَّةِ نُصُوصٍ مُطَوَّلَةٍ جَاءَتْ فِي سِتِّ سُورٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، عَدَا مُتَفَرِّقَاتٍ قَصِيرَاتٍ. وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ هَذِهِ النُّصُوصِ السِّتَّةِ مَعَ بَعْضِ الْمُتَفَرِّقَاتِ فِي دِرَاسَةِ تَكَامُلِيَّةٍ، فِي الْمَلْحَقِ الرَّابِعِ مِنْ مَلَا حَقِّ تَدَبُّرِ سُورَةِ (ص/ ٣٨ نزول) فِي الْمَجْلَدِ الثَّالِثِ<sup>(١)</sup>، وَلِذَا فَإِنِّي أَقْتَصِرُ هُنَا عَلَى تَدَبُّرِ فِقَرَاتِ هَذَا النَّصِّ دُونَ تَوْجِيهِ الْعِنَايَةِ لِلتَّكَامُلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النُّصُوصِ الْآخَرَى.

## التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ (٢١)

فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانُ أَحَدِ الْأَطْوَارِ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ بِهَا جَسَدَ آدَمَ، الْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ الَّذِي اشْتَقَّ اللَّهُ مِنْهُ زَوْجَتَهُ حَوَاءَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ جَعَلَ كُلَّ النَّاسِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا، وَنَسْلاً لَهُمَا.

**الصَّلْصَالُ:** الطِّينُ الْيَاسِسُ الَّذِي إِذَا نُقِرَ بِشَيْءٍ أُعْطِيَ صَوْتاً فِيهِ

تَرْجِيعٌ.

(١) انظر الصفحات من (٦٦٨ - ٧٢٩) من المجلد الثالث «قصة خلق آدم وما رافقه من

الْحَمَأ: الطَّيْنِ الْأَسْوَدُ الْمُتَيْنِ .

الْمَسْنُونُ: الْمَصْقُوقُ الْمُمَلَّسُ .

فِي هَذَا الطَّوْر كَانَتْ قَدْ تَحَوَّلَتْ طِينُهُ جَسَدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِخَلْقِ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ - فَصَارَتْ حَمَأً مَسْنُونًا، ثُمَّ جَعَتْ فَصَارَتْ صَلْصَالًا . وَاقْتَصَرَ النَّصُّ هُنَا عَلَى بَيَانِ هَذَا الطَّوْر، وَهُوَ وَاحِدٌ مِنْ أَطْوَارٍ كَثِيرَةٍ، أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ بَعْضًا مِنْهَا، وَفِيهَا دَلَالَةٌ بِاللُّزُومِ الْفِكْرِيِّ عَلَى مَا يَهْتَدِي الْفِكْرُ أَوْ الْبَحْثُ الْعِلْمِيُّ إِلَيْهِ، وَإِذْ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ مِنْ طِينٍ فَذُرِّيَّتُهُ كَذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِهِ .

• ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (٢٧):

الْجَانُّ: هُوَ أَبُو الْجِنِّ، وَإِبْلِيسُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ .

نَارِ السَّمُومِ: هِيَ النَّارُ الَّتِي تُحْدِثُهَا الرِّيحُ الْحَارَّةُ .

فَأَبَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ خَلَقَ أَجْسَادَ الْجِنِّ مِنْ نَارِ السَّمُومِ، إِذْ خَلَقَ آبَاهُمْ الْأَوَّلَ مِنْ نَارِ السَّمُومِ، فَذُرِّيَّتُهُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِهِ .

وَأَبَانَتْ أَنَّ الْجَانَ وَبَعْضَ ذُرِّيَّاتِهِ مَخْلُوقُونَ مِنْ قَبْلِ الْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

■ قول الله تعالى خطاباً للرَّسُولِ ﷺ فَلِكُلِّ صَالِحٍ لِلْخُطَابِ بِأَسْلُوبِ

الْخُطَابِ الْإِفْرَادِي:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ (٢٨)

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَجِدِينَ﴾ (٢٩):

أَي: وَضَعَ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي مَا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَخْدَاثٍ تَتَعَلَّقُ بِخَلْقِ الْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ، الَّتِي جَرَتْ فِي وَقْتِ أَطْوَارِ خَلْقِهِ، وَمِنْهَا مَا يَلِي:

قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ، وَالْمُرَادُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَخَذًا مِنْ دَلَالَةِ الْآيَةِ (٦٩) مِنْ سُورَةِ (ص/ ٣٨ نزول): إِنِّي سَاخُلُقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، وَكَانَ مُنْدَسًّا فِيهِمْ إِبْلِيسُ الَّذِي هُوَ مِنَ الْجَنِّ وَلَيْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، مُتَسَتِّرًا بِأَعْمَالِ الْمَنَافِقِينَ، مُبْتَغِيًا الْعُلُوَّ فِي صُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ بِعَوَامِلٍ مَا نَفْسِهِ مِنْ كِبَرٍ وَعُجْبٍ بِالنَّفْسِ، وَأَعْرَاهُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُلْبَسَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِعِبَادَاتِهِ لِلتَّشَابُهِ الْجَسَدِيِّ الْقَابِلِ لِلتَّشَكُّلِ كَالْمَلَائِكَةِ.

● ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾: أي: فَإِذَا أَتَمَمْتَ تَقْوِيمَهُ وَتَعْدِيلَ خَلْقِهِ، حَتَّى صَارَ سَوِيًّا مُكْتَمِلًا لِلْعَايَةِ الْمَخْلُوقِ لَهَا، وَهِيَ الصُّورَةُ الْبَشَرِيَّةُ الْكَامِلَةُ.

يُقَالُ لُغَةً: «سَوَّى فُلَانٌ الشَّيْءَ»: أَي: قَوَّمَهُ وَعَدَلَ بَيْنَ أَجْزَائِهِ فَجَعَلَهُ سَوِيًّا، وَيُقَالُ لِلْغُلَامِ إِذَا تَمَّ شَبَابُهُ: قَدْ اسْتَوَى.

● ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾: أي: وَنَفَخْتُ فِيهِ رُوحًا مِنْ جِنْسِ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِي، وَمِلْكٌ مِنْ مِلْكِي.

إِضَافَةُ الرُّوحِ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ هِيَ عَلَى مَعْنَى الْمَلِكِ، إِذْ كُلُّ مَا خَلَقَ هُوَ مِلْكُهُ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ و﴿وَادْخُلِي جَنِّي﴾ و﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾.

الرُّوحُ: خَلْقٌ مِنَ خَلْقِ اللَّهِ، يَكُونُ وَجُودُهُ بِأَمْرِ التَّكْوِينِ الْمَبَاشِرِ، دُونَ وَسَاطَةِ أَسْبَابٍ مِنْ مَخْلُوقٍ سَابِقٍ لَهُ، فَإِذَا نُفِخَتْ ذَرَّةٌ مِنْهُ فِي شَيْءٍ صَارَ حَيًّا وَفَقَّ التَّكْوِينِ الَّذِي خُلِقَ لَهُ.

● ﴿فَقَعُوا لَهُمْ سَاجِدِينَ﴾: الْوُقُوعُ وَالسُّقُوطُ وَالْخُرُورُ، يُرَادُ بِهَا سُرْعَةُ الْهَبُوطِ وَالنُّزُولِ، حَتَّى يَكُونُوا سَاجِدِينَ.

وَهَذَا السُّجُودُ هُوَ طَاعَةٌ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَتَكْرِيمٌ وَتَوْقِيرٌ لِأَدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَكْفِيرٌ عَمَّا كَانُوا كَانُوا كَتَمُوهُ مِنْ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا الْمَخْلُوقِ

الْجَدِيدِ، حِينَ أَخْبَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّ هَذَا الْمَخْلُوقَ الْبَشَرَ، سَتَكُونُ لَهُ ذُرِّيَّةٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَسْفِكُونَ الدَّمَاءَ، وَقَالُوا فِي نَفْسِهِمْ: مَا الدَّاعِي لِخَلْقِهِ.

السُّجُود: هو الخضوع والانحناء والتطامن، وغايته وضع الجبهة على الأرض. والسُّجُود في الاصطلاح الشرعي يكون بوضع الساجد لله جبهته على الأرض، مع الكففين، والركبتين والقدمين، لقول الرسول ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ».

وَأَبَانَ كَيْفِيَّتَهُ بِسُجُودِ قَلَدِهِ أَصْحَابِهِ فِيهِ، وَتَوَارَثَهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ تَقْلِيداً عَمَلِيّاً، وبياناً قولياً.

﴿سَاجِدِينَ﴾: مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ حَالٌ.

■ قول الله تعالى:

• ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

أي: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمَأْمُورِينَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ قَدْ سَجَدُوا كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَسَجَدُوا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، إِلَّا أَنَّ إِبْلِيسَ الَّذِي كَانَ مُنْذَساً بَيْنَهُمْ، وَقَدْ وَجَّهَ اللَّهُ لَهُ الْأَمْرَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ مَعَهُمْ، بِاعْتِبَارِهِ مُنْذَساً فِيهِمْ، وَيَعْتَبِرُ نَفْسَهُ وَاحِداً مِنْهُمْ، أَبَى أَنْ يَسْجُدَ لِآدَمَ طَاعَةً لِأَمْرِ اللَّهِ لَهُ، وَاسْتَكْبَرَ أَنْ يَكُونَ سَاجِداً مَعَ السَّاجِدِينَ مِنْ مَلَائِكَةِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى.

دَلَّتْ: ﴿كُلُّهُمْ﴾ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنِ السُّجُودِ مِنْهُمْ أَحَدٌ. وَدَلَّتْ ﴿أَجْمَعُونَ﴾ عَلَى سُجُودِهِمْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ عَلَى رَأْيِ الزَّمْخَشَرِيِّ.

وَدَلَّتْ عِبَارَةٌ: ﴿مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ،



وَأَنَّهُ كَانَ مِأْمُورًا بِأَنْ يَسْجُدَ مَعَهُمْ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ جِنْسِهِمْ، وَظَاهِرٌ أَنَّهُ أَبَى أَنْ يَسْجُدَ اسْتِكْبَارًا، وَاخْتَارَ أَنْ يَعْصِيَ رَبَّهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَانْفَرَدَ وَحْدَهُ بِعَدَمِ السُّجُودِ، رَافِضًا أَنْ يَكُونَ سَاجِدًا مَعَ الْمَأْمُورِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ، إِذَا اعْتَبَرَ نَفْسَهُ نِفَاقًا وَاحِدًا مِنْهُمْ.

■ قول الله تعالى:

• ﴿قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٢٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٣﴾ قَالَ فَخُذْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٥﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بَيَانُ خُلَاصَةِ الْجُلُوسَةِ الْأُولَى مِنْ جُلُوسَاتِ مُحَاكَمَةِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - لِإِبْلِيسَ عَلَى رَفْضِهِ طَاعَةَ أَمْرِ رَبِّهِ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ.

• ﴿قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٢٢): أَي: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِإِبْلِيسَ مُتَرَفِّقًا بِمُسَاءَلَتِهِ، وَمُخَاطَبًا لَهُ بِاسْمِهِ الْمَعْرُوفِ بِهِ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْمَعْرُوفِ بِهِ بَيْنَ الْجِنِّ: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾: أَي: أَيُّ عُذْرٍ لَكَ حَمَلَكَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ سَاجِدًا مَعَ السَّاجِدِينَ مِنْ مَلَائِكَةِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَقَدْ تَسَلَّلَتْ فِي صُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ مُتَرَفِّقًا، حَتَّى اعْتَبَرْتَ نَفْسَكَ وَاحِدًا مِنْهُمْ، حَرِيصًا عَلَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الْفَضْلِ وَالْمَنْزَلَةِ الرَّفِيعَةِ عِنْدِي مِثْلُ مَا لَهُمْ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ غُنْصُوكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُخْلُوقِينَ مِنْ نُورٍ، بَلْ أَنْتَ مِنَ الْجِنِّ الْمُخْلُوقِينَ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَيْضًا أَنَّ الْأَمْرَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ مُوجَّهٌ مِنْ رَبِّكَ لَكَ كَمَا هُوَ مُوجَّهٌ لِلْمَلَائِكَةِ، نَظَرًا إِلَى أَنَّكَ اعْتَبَرْتَ نَفْسَكَ وَاحِدًا مِنْهُمْ.

فَلَمْ يُخَفِ إِبْلِيسُ فِي جَوَابِهِ اخْتِقَارَهُ لِآدَمَ، نَازِرًا إِلَى أَحَدِ أَطْوَارِ خَلْقِ جَسَدِهِ، وَإِلَى كَوْنِهِ بَشَرًا.

﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتُهُ مِنْ صَلَاحٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾: ﴿٣٣﴾

فأَبَانَ إِبْلِيسُ أَنَّ آدَمَ بَشَرٌ شَبِيهُهُ بِأَجْسَادِ حَيَوَانَاتِ الْأَرْضِ، فِي عَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَى اخْتِرَاقِ الْأَجْوَاءِ الْعُلْيَا، وَالْوُصُولِ إِلَى السَّمَاوَاتِ، كَالْمَلَائِكَةِ وَبَعْضِ الْجِنِّ، وَذَكَرَ الْمَرَحَلَةَ الْأَخِيرَةَ مِنْ أَطْوَارِ خَلْقِ جَسَدِهِ، وَهِيَ مَرَحَلَةُ: ﴿صَلَاحٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾.

هَذَا الرَّدُّ مِنْ إِبْلِيسَ يُعَبِّرُ عَنِ اسْتِكْبَارِهِ. وَتَرْفُعِهِ وَاسْتِنْكَافِهِ عَنِ أَنْ يَسْجُدَ لِمَنْ يَعْتَبِرُهُ دُونَهُ فِي الْخَلْقِ، وَيُعَبِّرُ عَنِ شَكِّهِ فِي حُكْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَوْجِيهِ الْأَمْرِ بِالسُّجُودِ لآدَمَ، وَاعْتِرَاضِهِ عَلَيْهِ، وَيُعَبِّرُ عَنِ جُحُودِهِ لِإِلَهِيَّةِ اللَّهِ الرَّبِّ.

إِنَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَذْكُرْ لِنَفْسِهِ عُذْرًا حَقِيقِيًّا، بَلْ أَجَابَ بِمَا يَكْشِفُ عَنْ كِبَرِهِ وَوَفَاقَتِهِ فِي مُحَاطَةِ رَبِّهِ.

فَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ إِصْدَارِ الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِالْإِخْرَاجِ مِنْ مَنَازِلِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَبِالرَّجْمِ لِلطَّرْدِ وَالْإِبْعَادِ، مَعَ صَبِّ اللَّعْنَةِ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فِي النَّصِّ:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿قَالَ فَخُذْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾: ﴿٣٥﴾

رَجِيمٌ: أَي: مَرْجُومٌ بِالْحِجَارَةِ وَنَحْوِهَا، وَالْمُرَادُ الطَّرْدُ مِنْ مَنَازِلِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى.

أَي: وَفِي يَوْمِ الدِّينِ يَجْرِي حِسَابُكَ عَلَى كُفْرِكَ بِإِلَهِيَّةِ رَبِّكَ لَكَ، وَيَجْرِي إِصْدَارُ الْحُكْمِ عَلَيْكَ بِمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ عَذَابٍ.

■ فَوَضَعَ إِبْلِيسُ فِي نَفْسِهِ خُطَّةَ إِغْوَاءِ بَنِي آدَمَ.

• ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٣٦﴾: ﴿٣٦﴾

أَي: قَالَ إِبْلِيسُ مُعْتَرِفاً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِرُبُوبِيَّتِهِ: رَبِّ بِمَا أَنَّكَ حَكَمْتَ عَلَيَّ بِالْإِخْرَاجِ وَالرَّجْمِ وَاللَّعْنَةِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، فَأَمْهَلْنِي حَيًّا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، وَقَدْ كَانَ يَوْمُ الْبَعْثِ لِلْحِسَابِ، وَفَضْلُ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ، مَعْلُومًا لِلْجَنِّ وَالْمَلَائِكَةِ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ، لِأَنَّ الْجَنِّ مَخْلُوقُونَ مُمْتَحَنِينَ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْإِنْسِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْجَزَاءَ يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْبَعْثِ مِنْهُ، وَمِنَ اللَّوَاظِمِ الَّتِي تُدْرِكُ بِالْعَقْلِ أَنَّ الْجَزَاءَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَسْبُوقًا بِالْحِسَابِ وَبِفَضْلِ الْقَضَاءِ.

■ فَأَعْطَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْلِيسَ بَعْضَ طَلِبِهِ، وَوَعَدَهُ بِأَنْ يُنْظَرَهُ إِلَى سَاعَةِ انْتِهَاءِ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَإِمَاتَةِ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ فِيهَا، وَجَعَلَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ لَهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانَهُ، لَا إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ.

● ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٢٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٢٨)﴾:

أَي: قَالَ اللَّهُ لَهُ: بَعْضُ مَا طَلَبْتَهُ مُجَابًّا، فَإِنَّكَ مِنَ الْأَحْيَاءِ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، كَجِبْرِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، وَمِيكَائِيلَ.

■ وَلَمَّا اسْتَوْثَقَ إِبْلِيسُ مِنْ إِمْهَالِ اللَّهِ لَهُ فِي الْحَيَاةِ الْأُولَى إِلَى سَاعَةِ انْتِهَاءِ ظُرُوفِهَا، أَعْلَنَ عَزَمَهُ عَلَى أَنْ يَعْمَلَ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ وَسَائِلِ إِغْوَاءٍ وَإِغْرَاءٍ وَتَرْزِيٍّ، لِإِغْوَاءِ آدَمَ وَمَنْ يُخْرِجُ اللَّهُ مِنْ نَسْلِ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا مَنْ كَانَ مُخْلِصًا أَوْ مُخْلَصًا لِلَّهِ.

● ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٢٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ (٣٠)﴾:

قُرئ: [الْمُخْلَصِينَ] بِفَتْحِ اللَّامِ، أَي: الَّذِينَ تَسْتَخْلِصُهُمْ وَتَصْطَفِيهِمْ، فَتَعَصِمُهُمْ مِنَ الْغَوَايَةِ، بِسَبَبِ مَا فَطَرْتَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكَمَالِ، لِتَوْهَلُهُمْ لِلنُّبُوءَةِ وَالرَّسَالَةِ، أَوْ لِلنُّبُوءَةِ فَقَطْ.

وَقُرِئَ: [الْمُخْلِصِينَ] بِكُسْرِ اللام، أي: الَّذِينَ يُخْلِصُونَ لَكَ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ، فَأَنْتَ تَحْمِيهِمْ مِنَ الْعَوَايَةِ بِسَبَبِ إِخْلَاصِهِمْ لَكَ.

• ﴿فِيمَا أَغْوَيْتَنِي﴾: أي: فَبِسَبَبِ مَا حَكَمْتَ عَلَيَّ بِهِ مِنَ الْعَوَايَةِ.

• ﴿لَأَرِيَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: لَأَحَسِّنَ لَهُمْ مَتَاعَاتِهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَرْيِينًا أَدْلِيهِمْ بِهِ إِلَى مَعْصِيَتِكَ وَمُخَالَفَةِ أَوْامِرِكَ وَنَوَاهِيكَ، حَتَّى دَرَكَةِ الْكُفْرِ بِإِلَهِيَّتِكَ وَرَبُوبِيَّتِكَ.

• ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أي: وَلَأَوْقَعَنَّهُمْ فِي الْعَوَايَةِ، وَهِيَ الْإِمْعَانُ فِي الضَّلَالِ وَالْبُعْدُ عَنْ صِرَاطِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، أَجْمَعِينَ.

• ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٤١) و ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ﴾ (٤٢) لَا أُغْوِيَهُمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤) وفي قراءة يَعْقُوبُ: [صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ].

أي: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِإِبْلِيسَ اللَّعِينِ: إِنِّي قَدَرْتُ وَقَضَيْتُ لِمَنْ أَضَعُّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، صِرَاطًا اعْتِقَادِيًّا وَعَمَلِيًّا آمَرُهُمْ أَنْ يَسْلُكُوهُ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ، وَهَذَا الْمَشَارُ إِلَيْهِ الْمَطْوِيُّ هُوَ صِرَاطٌ عَلَيَّ رَفِيعٌ عَلَى قِمَّةٍ، وَدُونَهُ مِنْ ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ سُبُلُ الضَّلَالَةِ وَالْعَوَايَةِ، وَهِيَ مُنْحَدِرَةٌ إِلَى أَوْحَالِ الْعَذَابِ، وَمُوصِلَةٌ مَنْ تَابَعَ سُلُوكَهَا إِلَى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا مُخَلَّدًا. وَهَذَا الصِّرَاطُ عَلَيَّ بَيَانُهُ لِكُلِّ الَّذِينَ أَضَعُّهُمْ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فِيمَا أُنْزِلَ عَلَيَّ رُسُلِي، وَهُوَ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ عَلَى قِمَّةٍ.

وقال الله عزَّ وجلَّ لإِبْلِيسَ: إِنَّ عِبَادِي الَّذِينَ هُمْ خَلَقِي وَمَلَكَ لِي لَا أَجْعَلُ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا تُؤْثِرُ عَلَيْهِمْ بِهِ، تَأْثِيرًا جَبْرِيًّا تُلْغِي بِهِ إِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةَ، فَهُمْ مَحْمُيُونَ مِنْكَ وَمِنْ جُنُودِكَ بِحِمَايَتِي لَهُمْ، إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ بِإِرَادَاتِهِمُ الْحَرَّةَ غَيْرِ الْمَجْبُورَةِ، فَهَؤُلَاءِ لَا أَتَوَلَّى حِمَايَتَهُمْ مِنْكَ وَمِنْ جُنُودِكَ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمَوْعِدٌ هَؤُلَاءِ الْغَاوِينَ الْكَافِرِينَ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ وَيَذُوقُونَ الْعَذَابَ فِيهِ أَجْمَعِينَ.

﴿لَمَوْعِدُهُمْ﴾: أي: لِهَيِّ الْمَكَانِ الْمَوْعُودُونَ بِالْعَذَابِ فِيهِ أَجْمَعِينَ.

وَوَصَفَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ جَهَنَّمَ بِأَنَّ لَهَا سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، بِحَسَبِ أَنْوَاعِ الْجَرَائِمِ الْعُظْمَى الَّتِي كَانَ الْغَاوُونَ قَدْ ارْتَكَبُوهَا فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، فَلِكُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ جُزْءٌ مِنْهُمْ مَقْسُومٌ لَهُ، وَكُلُّ جُزْءٍ مِنْهُمْ يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ الْمَخْصَصِ لَهُ مِنْ أَبْوَابِهَا السَّبْعَةِ.

وَلَمْ يُصَرِّحِ اللَّهُ عزَّ وجلَّ لإِبْلِيسَ فِي هَذِهِ الْجَلْسَةِ مِنْ جَلَسَاتِ مُحَاكَمَتِهِ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي جَهَنَّمَ مَعَ الْغَاوِينَ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يُفْهَمُ مِنَ النَّصِّ بِاللَّزُومِ الْعَقْلِيِّ، وَقَدْ جَاءَ التَّصْرِيحُ بِهِ فِي نُصُوصٍ أُخْرَى:

جَهَنَّمَ: اسْمٌ عَلَمٌ مِنْ أَسْمَاءِ دَارِ الْعَذَابِ الَّتِي أَعْتَدَهَا اللَّهُ لِيُعَذَّبَ فِيهَا الْكَافِرِينَ الْمُجْرِمِينَ وَالْعَصَاةَ يَوْمَ الدِّينِ. وَلَفْظُ «جَهَنَّمَ» مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالتَّأْنِيثِ.

وَيُقَالُ لِلْقَعْرِ الْبَعِيدِ: «جَهَنَّمَ». وَيُقَالُ: «بِئْرُ جَهَنَّمَ» أَي: بَعِيدَةُ الْقَعْرِ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الثَّالِثِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْحَجَرِ).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



(٧)

## التدبر التحليلي للدرس الرابع من دُروس سورة (الحجر) الآيات من (٤٥ - ٥٠)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا  
فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلِيٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا  
هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي  
هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾:

### القرئات:

(٤٥) • قرأ أبْنُ كثير، وأَبْنُ ذَكْوَانَ، وشُعْبَةُ، وحمزة، والكِسَائِيُّ:  
[وَعُيُونٍ] بِكَسْرِ الْعَيْنِ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَعُيُونٍ] بِضَمِّ الْعَيْنِ.

القراءتان لُغَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ.

(٤٩) • قرأ أَبُو جَعْفَرٍ: [نَبِّئْ] بآيَاءِ السَّاكِنَةِ بَدَلَ الهمزة الساكنة في  
الْوَقْفِ والوَصْلِ، وَكَذَلِكَ حَمَزَةُ وَهْشَامٍ فِي الْوَقْفِ فَقَطْ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [نَبِّئْ] بِالْهَمْزَةِ السَّاكِنَةِ فِي الْوَصْلِ  
والوَقْفِ.

(٤٩) • فَتَحَ يَاءَ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ: [عِبَادِي] وَمِنْ: [أَنِّي أَنَا] فِي عِبَارَةٍ:  
[عِبَادِي أَنِّي أَنَا]. نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر.

وقرأهما باقي القراء العشرة بالإِسْكَانِ.

فَتَحَ يَاءَ الْمُتَكَلِّمِ وَإِسْكَانَهَا لُغَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ.

## تمهيد:

جاء البيان في هذا الدرس بشأن ثواب المتقين يوم الدين في جنات النعيم، في مقابل ما جاء من جزاء الغاوين في عذاب جهنم، الذي عرض الدرس الثالث لفظة موجزة منه. وفي هذا الدرس لقطات من أحوال أهل الجنة، وتوجيه للرسل، فلكل داع إلى الله بأن يبشر بأن الله غفور رحيم وأن عذابه هو العذاب الأليم.

## التدبر التحليلي:

■ قول الله تعالى:

• ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾: أي: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا الْخُلُودَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ، بالإيمان الصحيح وعمل صالح يدل عليه، فَمَنْ هُمْ أَعْلَىٰ دَرَجَةٍ أَوْ أَعْلَىٰ مَرْتَبَةٍ، يَكُونُونَ يَوْمَ الدِّينِ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ.

﴿جَنَّاتٍ﴾: جمع جنّة، وهي ما يحتوي على أشجار وثمار وزروع وأنهار وقصور وتوابعها، مع كل ما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الأعين.

وجاء لفظ «جَنّاتٍ» مجموعاً لأنّ دار النعيم يوم الدين فيها جنّاتٌ متعدّدة باعتبار أقسامها، ويجمعها جميعاً اسم «جنّة» باعتبار أنّها كلّها بمثابة دار للنعيم، كشأن دار الحياة الدنيا بكلّ ما فيها.

﴿وَعُيُونٍ﴾: أي: وَعُيُونٍ تَجْرِي أَنْهَاراً عَظُمَىٰ وَدُونَ ذَلِكَ، وجاء بيان أنهار الجنّة بأنّها مِنْ مَّاءٍ كَامِلٍ الْعَذُوبَةِ وَالصِّفَاءِ، وَعَسَلٍ مُّصَفًّى يَجْرِي، وَلَبَنٍ يَجْرِي لَا يَتَغَيَّرُ طَعْمُهُ كَامِلِ الصِّفَاتِ، وَخَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ لَا يَسْكُرُ الشَّارِبُونَ مِنْهَا.

■ قول الله تعالى:

• ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾: عِبَارَةٌ مُّقْتَطَعَةٌ مِمَّا سَيَجْرِي مِنْ

اسْتَقْبَالِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ عِنْدَ دُخُولِهَا، إِذْ تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُمْ: ادْخُلُوهَا مَصْحُوبِينَ بِسَلَامٍ تَحِيَّةٍ تَكْرِيمِيَّةٍ لَكُمْ، وَحَالَةٌ كَوْنِكُمْ آمِنِينَ دَوَامًا بَعْدَ دُخُولِهَا مِنْ كُلِّ مَا يُخَافُ مِنْهُ، حَتَّى النَّفْصِ مِنْ بَعْضِ مَا تُحِبُّونَ مِنْ لَذَاتٍ وَنَعِيمٍ مُتَجَدِّدٍ لَا يَنْقَطِعُ، وَلَا تَنْفَدُ وَسَائِلُهُ أَبَدًا بِلَا نِهَآيَةٍ.

■ قول الله تعالى بضمير المتكلم العظيم:

• ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾:

﴿وَنَزَعْنَا﴾: النَّزْعُ: جَذَبُ الشَّيْءِ وَاقْتِلَاعُهُ مِنْ مَكَانِهِ، فَإِنْ كَانَ لَهُ جُذُورٌ مُتَعَلِّغَةٌ، فَنَزَعُهُ اقْتِلَاعُهُ مِنْ جُذُورِهِ.

﴿مِنْ غَلٍّ﴾: الْغِلُّ كُلُّ مَا يَدْخُلُ فِي الصُّدُورِ مِنْ عَدَاوَةٍ، وَضِعْنٍ، وَحَقْدٍ، وَحَسَدٍ، وَغَشٍّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَمَادَّةُ الْكَلِمَةِ تَدُورُ حَوْلَ الدُّخُولِ فِي الْأَشْيَاءِ مِنْ مَادِّيَّاتٍ وَمَعْنَوِيَّاتٍ.

• ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ﴾: أَي: وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ حَالَةً كَوْنِهِمْ إِخْوَانًا مُتَاخِينَ مُتَوَادِّينَ مُتَحَابِّينَ فِي الْجَنَّةِ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَيَتَذَكَّرُونَ وَيَتَحَادَّثُونَ بِمَا يَسُرُّهُمْ وَيَزِيدُ مِنْ نَعِيمِهِمْ.

التقابل: هُوَ مُوَاجَهَةُ الْوُجُوهِ لِلْوُجُوهِ، بِخِلَافِ التَّدَابُّرِ.

• ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾: أَي: لَا يَلَامِسُ أَجْهَرَةُ الْإِحْسَاسِ فِيهِمْ تَعَبٌ مَا، لِأَنَّهُمْ لَا يَكْدَحُونَ فِيهَا لِلْحُصُولِ عَلَى مَطَالِبِهِمْ، بَلْ تَأْتِيهِمْ عَفْوًا صَفْوًا، وَمَا لَدَيْهِمْ مِنْ قُوَى يُحَقِّقُونَ بِهِ لَذَاتِهِمْ وَأَنْوَاعَ نَعِيمِهِمْ الْمُتَجَدِّدِ بِلَا انْقِطَاعٍ.

النَّصَبُ: التَّعَبُ النَّاشِئُ عَنْ بَذْلِ الطَّاقَاتِ حَتَّى الْجَهْدِ.

• ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾: أَي: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ يَكُونُونَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، فَلَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا أَبَدًا.



جَاءَ التَّعْيِيرُ هُنَا بَعْدَ الإِخْرَاجِ مِنَ الْجَنَّةِ كِنَايَةً عَنِ الْخُلُودِ الْأَبَدِيِّ فِيهَا .

■ قول الله تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ فَلِكُلِّ دَاعٍ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقُّ مِنْ أَمَّتِهِ :

● ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ :

هاتان الآيتان ملائمتان لِمَا جَاءَ قَبْلَهُمَا مِنْ وَعِيدِ بِعَذَابِ جَهَنَّمَ فِي آخِرِ الدَّرْسِ الثالث، وتبشيرٍ لِلْمُتَّقِينَ بِجَنَّتِ النَّعِيمِ فِي آيَاتِ الدَّرْسِ الرَّابِعِ قَبْلَهُمَا .

وَجَاءَ بِأُسْلُوبِ تَكْلِيفِ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ بِالْإِنْبَاءِ بِمَا جَاءَ فِيهِمَا، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ وَحْدَهُ الْغَفُورُ لِكُلِّ الذُّنُوبِ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ، وَأَنَّ عَذَابَهُ هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ، لِتَعْلِيمِهِ أُسْلُوباً مِنْ أَسَالِبِ الدَّعْوَةِ، وَهُوَ الْأُسْلُوبُ الْقَائِمُ عَلَى الْإِظْمَاعِ بِغُفْرَانِ اللَّهِ لَذُنُوبٍ مَنْ اسْتَغْفَرَهُ وَتَابَ إِلَيْهِ وَبِأَنَّهُ رَحِيمٌ بِهِ، الْمَقْرُونِ بِالْتَّحْذِيرِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُوجَدُ أَشَدُّ مِنْهُ إِلَّا مَاءً، حَتَّى لَا يَيَاسَ الْمَذْنُوبُونَ مِنْ مَغْفِرَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَا يَسْتَهِينُوا بِعَذَابِهِ الْأَلِيمِ، فَيَتَمَادَوْا فِي مَعَاصِيهِمْ وَأَنْحَرَفِهِمْ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ .

نَبِّئْ: أَي: أَخْبِرْ وَأَعْلِمْ، وَيُسْتَعْمَلُ النَّبَأُ كَثِيراً فِي الْخَبَرِ ذِي الْخَطَرِ وَالشَّانِ الْبَارِزِ .

الْغُفُورُ: صِيغَةُ مَبَالِغَةٍ لِاسْمِ الْفَاعِلِ «غَافِرٌ» وَهُوَ السَّاتِرُ لِلْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، وَمِمَّا يُدْرِكُ عَقْلاً أَنَّ سَتَرَ الذُّنُوبِ يَجْرُ وراءَهُ عَدَمُ الْمُواخَذَةِ عَلَيْهَا، وَفِي الْعِبَارَةِ تَوْكِيدٌ وَقْصُرٌ .

الرَّحِيمُ: صِيغَةُ مَبَالِغَةٍ لِاسْمِ الْفَاعِلِ «رَاحِمٌ» وَوُصِفَ اللَّهُ بِهَذَا الْوُصْفِ مَعَ قُصْرِهِ عَلَيْهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يُوجَدُ ذُو رَحْمَةٍ تُعَادِلُ أَوْ تُقَارِبُ رَحْمَتَهُ رَحْمَةَ اللَّهِ بِعِبَادِهِ .

وفي كلِّ مِنَ الْآيَتَيْنِ توكيد بـ «أَنَّ - والجملة الاسميّة - وضمير  
الْفُضْلِ) وقَصْرٌ بِتَعْرِيفِ طَرَفِي الْإِسْنَادِ: «أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ» و«هُوَ الْعَذَابُ  
الْأَلِيمُ».

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الرَّابِعِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الحجر).  
والحمد لله على معونته ومدّته وتوفيقه وفتحته.



(٨)

### التدبر التحليلي للدّرس الخامس من دروس سورة (الحجر) الآيات من (٥١ - ٧٧)

قال الله عزّ وجلّ:

﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ  
وَحِلُونَ ۖ ٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْحَلْ إِنَّا نَبْشُرُكَ بِعِلْمٍ عَليمٍ ۖ ٥٣﴾ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن  
مَسْنَى الْكِبَرِ فِيمَ تُبْشِرُونَ ۖ ٥٤﴾ قَالُوا بَشْرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفٰنِطِينَ ۖ ٥٥﴾  
قَالَ وَمَنْ يَقْطَعُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّي إِلَّا الضَّالُّونَ ۖ ٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ  
٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۖ ٥٨﴾ إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ  
أَجْمَعِينَ ۖ ٥٩﴾ إِلَّا أَمْرَانَهُ قَدَرْنَا إِنَّا لَمِنَ الْغٰدِرِينَ ۖ ٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ  
الْمُرْسَلُونَ ۖ ٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكْرُونَ ۖ ٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ  
يَمْتَرُونَ ۖ ٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ ۖ ٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ  
وَاتَّبِعْ أَزْوَاجَهُمْ وَلَا يَلْفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۖ ٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذٰلِكَ  
الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ۖ ٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۖ ٦٧﴾  
قَالَ إِنَّ هٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون ۖ ٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ ۖ ٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ  
تَنْهَكْ عَنِ الْعِلْمِ ۖ ٧٠﴾ قَالَ هٰؤُلَاءِ بَنَاتٌ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۖ ٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي  
سَكْرَتِهِمْ يَعْهَوْنَ ۖ ٧٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۖ ٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا

عَلَيْهِمْ حِجَابَةٌ مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ :

### القراءات:

(٥٣) • قرأ حمزة: [إِنَّا نَبْشُرُكَ] مِنْ فِعْلٍ: «بَشَرَهُ».

وقراها باقي القراء العشرة: [إِنَّا نُبَشِّرُكَ] مِنْ فِعْلٍ: «بَشَرَهُ».

والقراءتان لغتان عَرَبِيَّتَانِ.

(٥٤) • قرأ نافع: [تُبَشِّرُونَ]. وقرأها ابن كثير: [تُبَشِّرُونَ] بِتَشْدِيدِ النون، مع المدّ المشبع في الوصل والوقف، أصلها تُبَشِّرُونَنِي وقرأها باقي القراء العشرة: [تُبَشِّرُونَ] بِفَتْحِ النون.

كَسَرُ النون مُشَدَّدَةٌ وَغَيْرُ مُشَدَّدَةٍ هُوَ عَلَى تَقْدِيرِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ الْمَحذُوفَةِ إِيجَازًا لَفْظِيًّا.

(٥٦) • قرأ أبو عمرو، والكِسَائِيُّ، ويعقوب، وخَلَفٌ: [يَقْنِطُ] بِكَسْرِ النُّونِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [يَقْنِطُ] بِفَتْحِ النُّونِ.

والقراءتان لُغَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ.

(٥٩) • قرأ حمزة، والكِسَائِيُّ، ويعقوب، وخَلَفٌ: [لَمُنْجُوهُمْ] مِنْ فِعْلٍ «أَنْجَى».

وقراها باقي القراء العشرة: [لَمُنْجُوهُمْ] مِنْ فِعْلٍ: «نَجَّى».

والقراءتان لغتان عَرَبِيَّتَانِ مُتَكَافِئَتَانِ، فالمهموز أخو المضعف.

(٦٠) • قرأ شُعْبَةُ: [قَدَرْنَا]. وقرأها باقي القراء العشرة: [قَدَرْنَا].

والقراءتان لغتان عَرَبِيَّتَانِ.

(٦٥) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر: [فَاسِرٍ] مِنْ فَعَلَ: «سَرَى».

وقراها باقي القراء العشرة: [فَاسِرٍ] مِنْ فَعَلَ: «أَسَرَى».

والقراءتان لغتان عَرَبِيَّتَانِ لمعنى واحد، وهو السَّفَرُ ليلاً.

(٦٨ و ٦٩) • أَثْبَتَ يَاءَ الْمُتَكَلِّمِ فِي: [فَلَا تَفْضَحُونِي] وَفِي: [وَلَا تُخْزُونِي] يَعْقُوبُ فِي الْوَضَلِ وَالْوَقْفِ.

وَحَذَفَهَا بَاقِي الْقُرَاءِ الْعَشْرَةُ فِي الْوَضَلِ وَالْوَقْفِ أَيْضاً: [فَلَا تَفْضَحُونَ] و[وَلَا تُخْزُونَ] وهي مع الحذف ملاحظةٌ ذَهْنًا.

(٧١) • فَتَحَ يَاءَ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ: [بَنَاتِي إِنَّ] نَافِعٌ، وَأَبُو جَعْفَرٍ. وَأَسْكَنَهَا بَاقِي الْقُرَاءِ الْعَشْرَةَ.

تمهيد:

فِي هَذَا الدَّرْسِ يُكَلِّفُ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنْ يُنَبِّئَ الْمَعَالَجِينَ فِي السُّورَةِ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ، نَبَأَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَوَّلًا فَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ هُوَ إِسْحَاقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ زَوْجَتِهِ «سَارَةَ» الْعُجُوزِ الْعَقِيمِ، وَأَخْبَرُوهُ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَهُمْ لِإِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطَ.

وَالْعَرَضُ مِنْ إِنْبَاءِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَوْمَهُ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ، تَحْذِيرُهُمْ مِنْ عِقَابِ مَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ بِهِمْ، فَيُهْلِكُهُمْ بِهِ إِهْلَاكًا جَمَاعِيًّا شَامِلًا كَمَا أَهْلَكَ اللَّهُ قَوْمَ لُوطَ، وَلَا يُشْتَرِطُ أَنْ تَكُونَ وَسِيلَةُ الْإِهْلَاكِ مُمَاثِلَةً لِلْوَسِيلَةِ الَّتِي أَهْلَكَ اللَّهُ بِهَا قَوْمَ لُوطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فهذا الدَّرْسُ مَوْضُوعٌ مَوْضُوعِيًّا بِالْدُّرُوسِ السَّابِقَةِ لَهُ فِي السُّورَةِ.

وَمَا جَاءَ فِي هَذَا الدَّرْسِ قَدْ سَبَقَ تَدْبِيرُهُ تَدْبِيرًا تَكَامُلِيًّا، مَعَ سَائِرِ النُّصُوصِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِلُوطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ فِي الْمُلْحَقِ الْخَامِسِ مِنْ

مَلَا حِقِ تَدْبُرُ سُوْرَةَ (الأعراف/ ٣٩ نزول)<sup>(١)</sup>. وَلِذَا فَإِنِّي أَقْتَصِرُ هُنَا عَلَى تَدْبُرِ فِقْرَاتِ هَذَا النَّصِّ، دُونَ تَوْجِيهِ الْعِنَايَةِ لِلتَّكَامُلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَائِرِ التُّصُوصِ حَوْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ.

### التدبر التحليلي:

■ قول الله تَعَالَى يُكَلِّفُ رَسُوْلَهُ أَنْ يُنْبِئَ مُشْرِكِي مَكَّةَ الْمَتَعَتَيْنِ:

• ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٥١):

أي: وَأَخْبِرْهُمْ يَا مُحَمَّدُ النَّبَأَ الَّذِي نَقَضَهُ عَلَيْكَ، الصَّادِرَ عَنْ قِصَّةِ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ كَانُوا رُسُلًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، جَاءُوا إِلَيْهِ عَلَى صُورِ بَشَرٍ حَسَنٍ.

الضَّيْفُ: الَّذِي يَنْزِلُ عِنْدَ غَيْرِهِ «يَسْتَوِي فِيهِ الْمَذْكُورُ وَالْمُؤَنَّثُ، وَالْمَفْرَدُ وَالْمُثَنَّى وَالْجَمْعُ» وَيُجْمَعُ عَلَى: «أَضْيَافٍ، وَضُيُوفٍ، وَضِيَافٍ، وَضَيْفَانٍ».

■ قول الله تَعَالَى:

• ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ (٥٢):

أي: وَنَبِّئُهُمْ عَنْ قِصَّةِ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْكَائِنَةِ وَقْتُ دُخُولِهِمْ عَلَيْهِ فَقَالُوا لَهُ: سَلَامًا. ﴿إِذْ﴾ ظرفية بمَعْنَى «حِينَ».

وجاء في غير هَذَا النَّصِّ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: ﴿سَلَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾.

• ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾: أي إِنَّا مِنْكُمْ خَائِفُونَ، يُقَالُ لَعَةً: «وَجِلَ،

يَوْجَلُ، وَجَلًا، وَمَوْجَلًا»: أي: خَافَ وَفَزِعَ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْكُلُوا مِنْ طَعَامِهِ الَّذِي قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ.

(١) انظر الملحق الخامس «دراسة تكاملية للنصوص بشأن لوط عليه السلام وقومه في القرآن المجيد» في الصفحات من (٢٧٩ - ٣٥١) من المجلد الخامس.

■ قول الله تعالى:

• ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (٥٣):

أي: قَالَ الرُّسُلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَتَصَوَّرُ أَنَّهُمْ ضَيْفٌ مِنَ الْبَشَرِ، لَا تَخَفْ مِنَّا، إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ سَيَأْتِيكَ مِنْ زَوْجِكَ «سَارَةَ» فَتَحْنُ مَلَائِكَةُ رُسُلٌ مُرْسَلُونَ مِنْ رَبِّكَ، لِنُقَدِّمَ لَكَ هَذِهِ الْبَشَارَةَ.

■ قول الله تعالى:

• ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونِ﴾ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَفْنَأُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾:

الاستفهام في: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ فِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْبَشَارَةِ.

• ﴿عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾: أي: أَبَشَّرْتُمُونِي مَعَ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ وَالشَّيْخُوخَةُ الْمَضْعُفَةُ عَادَةً عَنِ الْإِنْجَابِ. «على» هنا بمعنى «مع».

«أَنْ» مَصْدَرِيَّةٌ تُؤَوَّلُ مَعَ مَا بَعْدَهَا بِمَصْدَرٍ، أي: مَعَ مَسِّ الْكِبَرِ لِي.

المعنى: أَبَشَّرْتُمُونِي وَقَدْ صَارَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْكِبَرِ تَمَاسُّ، وَلَمْ يَقُلْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَصَابَنِيَ الْكِبَرُ، أَوْ نَزَلَ بِي الْكِبَرُ، لِيَكُونَ صَادِقًا فِي عِبَارَتِهِ، إِذْ مَا زَالَتْ لَدَيْهِ قُوَّةٌ وَقُدْرَةٌ عَلَى الْإِنْجَابِ، فَقَدْ تَزَوَّجَ بَعْدَ «سَارَةَ» امْرَأَةً اسْمُهَا «قُطُورَةُ» وَأَنْجَبَ مِنْهَا سِتًّا بَنِينَ.

ويظهر أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَجْرَحَ مَشَاعِرَ زَوْجَتِهِ «سَارَةَ» الْوَاقِفَةَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ تَتَسَمَّعُ الْحَوَارِ، بِأَنَّ السَّبَبَ فِي عَدَمِ الْإِنْجَابِ هُوَ مِنْهَا لَا مِنْهُ، فَهُوَ مَا زَالَ قَادِرًا عَلَى الْإِنْجَابِ ضِمْنَ نِظَامِ الْأَسْبَابِ الرَّبَّانِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ، فَقَالَ: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ وَسَكَتَ عَنِ الْعِلَّةِ الْمَوْجُودَةِ لَدَى زَوْجَتِهِ «سَارَةَ» الْعَجُوزِ الْعَقِيمِ، فَقَدْ كَانَتْ طَوَالَ مَا قَبْلَ سِنِّ الْيَأْسِ عَقِيمًا، ثُمَّ شَاخَتْ وَصَارَتْ عَجُوزًا.

وَرُبَّمَا وَقَعَ فِي ظَنِّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيَأْمُرُهُ بِأَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً ذَاتَ اسْتِعْدَادٍ لِلْإِنْجَابِ، وَمِثْلُ هَذَا الظَّنِّ وَقَعَ فِي نَفْسِ زَوْجَتِهِ «سَارَةَ» الْوَاقِفَةُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ تَسْمَعُ الْحَوَارِ.

• ﴿فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾؟ أي: فَبِأَيِّ سَبَبٍ لَدَيَّ أَمْلِكُهُ يَكُونُ مِنْ آثَارِهِ أَنْ أُنْجِبَ وَلَدًا فَأَنْتُمْ تُبَشِّرُونَنِي بِهِ.

لَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُلْتَزِمًا بِأَنْظِمَةِ اللَّهِ السَّبَبِيَّةِ فِي كُلِّ مَا يَخْصُصُهُ، وَمُتَأَدِّبًا مَعَ رَبِّهِ بِشَأْنِهَا، غَيْرَ حَرِيصٍ عَلَى أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرْقَهَا مِنْ أَجْلِ وَلَدٍ يَأْتِيهِ مِنْ «سَارَةَ» زَوْجَتِهِ.

• ﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ (٥٥): أي: بَشِّرْنَاكَ بِخَبَرٍ عَنِ اللَّهِ مُتَّصِفٍ بِالْحَقِّ الَّذِي سَيَتَحَقَّقُ حَتْمًا، فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ الْيَائِسِينَ.

الْقُنُوطُ: هُوَ فِي اللُّغَةِ الْيَأْسُ.

لَمْ يَجِئُوهُ عَنِ السَّبَبِ، وَإِنَّمَا أَجَابُوهُ عَلَى ظَاهِرِ عِبَارَتِهِ، لَا عَلَى مُرَادِهِ مِنْهَا.

• ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (٥٦):

اسْتَفْهَامٌ يُرِيدُ بِهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْيَ قُنُوطِهِ، أي: لَا أَحَدَ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ الْجَاهِلُونَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى مَا يَشَاءُ، فَأَنَا لَمْ أَشْعُرْ بِالْقُنُوطِ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِي حَتَّى تَنْهَوْنِي عَنْهُ، وَأَشْعَرَهُمْ بِهَذَا أَنَّهُ كَانَ يَسْأَلُهُمْ عَنِ السَّبَبِ فَقَطْ، حِينَ قَالَ لَهُمْ: ﴿... فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾؟.

وَجَاءَتْ تَتَمَّاتٌ فِي نُصُوصٍ أُخْرَى ذَكَرْتُهَا فِي الْمَلْحَقِ الْخَامِسِ مِنْ مَلَا حَقِّ تَدْبِيرِ سُورَةِ (الْأَعْرَافُ/ ٣٩ نَزُول) وَهُوَ «دِرَاسَةُ تَكَامُلِيَّةٍ لِلنُّصُوصِ بِشَأْنِ لَوْطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ».

■ وَأَحَسَّ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الرُّسُلِ الْمَلَائِكَةِ عِنْدَهُ، حَرَكَاتٍ أَوْ تَهَامُسًا دَلَّهُ عَلَى أَنَّهُمْ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَأَنَّ لَدَيْهِمْ أَمْرًا خَطِيرًا يُرِيدُونَ تَنْفِيزَ أَمْرِ اللَّهِ لَهُمْ فِيهِ، وَقَدْ يَكُونُ قَدْ فَهِمَ مِنْ بَعْضِ عِبَارَاتِهِمْ شَيْئًا، فَسَأَلَهُمْ:

• ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾؟: أي: فَمَا أَمْرُكُمْ وَمَا شَأْنُكُمْ الَّذِي تَتَخَاطَبُونَ فِيهِ.

الْخُطْبُ: هُوَ فِي اللَّغَةِ الْأَمْرُ وَالشَّأْنُ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ الْمَخَاطَبَةُ.

• ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾: أي: فَهُمْ بِسَبَبِ كَوْنِهِمْ قَدْ بَلَغُوا حَضِيضَ الْجُرَامِ يَسْتَحِقُّونَ الْإِهْلَاكَ الشَّامِلَ وَاسْتَشْنَوْا آلَ لُوطٍ، فَقَالُوا:

• ﴿إِلَّا آءَال لُوطٍ إِنَّا لَمُّجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾﴾: أي: إِلَّا لُوطًا وَآلَهُ، فَإِنَّا لَا نُهْلِكُهُمْ بَلْ نُنَجِّيهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْهَلَاكِ وَالْعَذَابِ الَّذِي نُنْزِلُهُ بِقَوْمِهِ الْمُجْرِمِينَ.

وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْاِسْتِثْنَاءُ بَيَانًا قُرْآنِيًّا صَادِرًا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْفَهْمَ قَوْلُ اللَّهِ بَعْدَهُ:

• ﴿إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّا لَمِنَ الْفَٰرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ وفي القراءة الأُخْرَى: [قَدَرْنَا]: أي: بِسَبَبِ كَوْنِهَا كَافِرَةً، وَكَانَ هَوَاهَا مَعَ قَوْمِهَا فِي فَوَاحِشِهِمْ، لَا مَعَ زَوْجِهَا لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالْمَعْنَى: قَدَرْنَا وَقَضَيْنَا أَنَّ تَكُونَ امْرَأَتُهُ مِنَ الْغَابِرِينَ الْمُهْلَكِينَ مَعَ قَوْمِهَا.

تَقْدِيرُ مَقَادِيرِ الْأَشْيَاءِ سَابِقٌ لِقَضَاءِ اللَّهِ بِهَا، ثُمَّ يَكُونُ التَّنْفِيزُ عَلَى وَفْقِ التَّقْدِيرِ وَالْقَضَاءِ.



هذا بيانٌ صادرٌ عن الله - جلّ جلاله وعظم سلطانه - إذ التقديرُ لا يكون من الرُّسل من الملائكة، بل هم أدواتٌ تنفيذٌ لِقَدَرِ الله وقضائه.

﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: كلمة «الغابر» تأتي في اللُّغَةِ بِمَعْنَيْنِ:

الأول: الماكث الذي لا يتحوّل.

الثاني: الذاهبُ الماضي الذي لم يَبْقَ لَهُ وجود.

وكلا هَٰذَيْنِ الْمَعْنَيْنِ ينطبقانِ على امرأة لوط عليه السلام، فَقَدْ جَعَلَهَا اللهُ تَمَكُّثٌ فِي أَرْضِ قَوْمِهَا، بِإِهْلَاكِهَا قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا وَتُفَارِقَ حُدُودَهَا، وَأَهْلَكَهَا اللهُ مَعَ قَوْمِهَا فَذَهَبَتْ مَعَ الْذَاهِبِينَ مِنْهُمْ بِالْإِهْلَاكِ الرَّبَّانِي، وَمَضَتْ مَعَ الْمَاضِينَ، وَلَمْ يَبْقَ لَهَا فِي أَرْضِهَا وَجُودٌ حَيٌّ.

وهذا من اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي مَعْنِيَيْهِ، وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ عُلَمَاءِ أَصُولِ الْفَقْهِ، وَتَشْهَدُ لَهُ نُصُوصٌ قَرَأْنِيَّةٌ مُتَعَدِّدَةٌ، وَهُوَ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الْإِيْجَازِ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

قول الله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿١١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿١٢﴾﴾:

دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ الرُّسُلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ جَاءُوا عَلَى صُورِ شَبَابٍ مُرْدٍ حَسَنٍ، مَرُّوا بِآلِ لُوطٍ قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ، وَعَنْ طَرِيقِهِمْ طَلَبُوا مُوَاجَهَتَهُ، فَأَذِنَ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنْ يَدْخُلُوا إِلَيْهِ، وَعَصَى بِذَلِكَ أَوَامِرَ كِبَرَاءِ قَوْمِهِ، إِذْ سَبَقَ أَنْ عَزَلُوهُ عَزْلاً اجْتِمَاعِيًّا، وَنَهَوْهُ عَنْ أَنْ يَلْقَى أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.

لَقَدْ عَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يَرْفُضَ اسْتِقْبَالَ ضُيُوفٍ مِنْ غَيْرِ قَوْمِهِ نَزَلُوا بِسَاحَتِهِ، وَطَلَبُوا الْاجْتِمَاعَ بِهِ.

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ وَتَفَحَّصَ وُجُوهَهُمْ وَأَلْبَسَتْهُمْ لَمْ يَعْرِفْ مِنْ أَيِّ قَوْمٍ

هُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿... إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾: أي: إِنَّكُمْ مَجْهُولُونَ بِالنَّسْبَةِ إِلَيَّ، لَا أَعْرِفُ أَشْخَاصَكُمْ وَلَا أَعْرِفُ مِنْ أَيِّ قَوْمٍ أَنْتُمْ.

ورأى أَنَّهُمْ شَبَّانُ مُرْدٍ حَسَانٍ، وَأَدْرَكَ أَنَّ قَوْمَهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونُوا قَدْ عَلِمُوا بِمَقْدَمِهِمْ إِلَيْهِ، فَتَعَاطَمَ لَدَيْهِ تَصَوُّرُ مَا سَيَحْدُثُ لَهُ مِنْ مُصِيبَةٍ مِنْ قَبْلِ قَوْمِهِ، الَّذِينَ سَيَأْتُونَ إِلَيْهِ طَالِبِينَ مِنْهُ أَنْ يُمَكِّنَهُمْ مِنْ مُمَارَسَةِ الْفَاحِشَةِ فِي هَؤُلَاءِ الشَّبَّانِ، كَعَادَتِهِمْ مَعَ كُلِّ غَرِيبٍ شَابٍّ ذِي وَسَامَةٍ، فَسَاءَهُ مَقْدَمُهُمْ إِلَيْهِ، وَنَزُولُهُمْ ضُيُوفًا عِنْدَهُ.

■ لَكِنْ طَوَى هَذَا النَّصُّ أَحْدَاثًا جَرَتْ بَيْنَ لُوطٍ وَقَوْمِهِ، وَاقْتَصَرَ عَلَى بَيَانِ مَا يَلِي جَوَابًا عَلَى سُؤَالِهِ لَهُمْ مُسْتَوْثِقًا مِنْ أَنَّهُمْ رُسُلُ رَبِّهِ حَقًّا وَصِدْقًا، وَأَنَّهُمْ جَاءُوا لَتَعْذِيبِ قَوْمِهِ وَإِهْلَاكِهِمْ.

● ﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: ﴿١٣﴾:

أي: جِئْنَاكَ بِتَعْذِيبِ قَوْمِكَ وَإِهْلَاكِهِمْ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي كَانُوا يَشْكُونَ فِيهِ حِينَمَا كُنْتَ تُنْذِرُهُمْ وَتَحْذَرُهُمْ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ لَهُمْ، وَإِهْلَاكِ شَامِلٍ يَعُمُّ كُلَّ قُرَاهِمُ وَكُلِّ أَحْيَائِهِمْ.

﴿يَمْتَرُونَ﴾: أي: يَشْكُونَ وَيُجَادِلُونَ مُكَذِّبِينَ.

■ وَقَالُوا لَهُ أَيْضًا:

﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: ﴿١٤﴾:

دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ لُوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ شَدِيدَ الْقَلْقِ خَائِفًا مِنْ مُصِيبَةٍ تَحُلُّ بِهِ مِنْ قَبْلِ قَوْمِهِ، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ فُجُورِهِمْ وَمَجَانَتِهِمْ وَوَفَاقَتِهِمْ، وَإِقْبَالِهِمْ لِقَضَاءِ أَوْطَارِهِمْ بِعُنْفٍ وَإِكْرَاهٍ وَظُلْمٍ وَعُدْوَانٍ، فَكَانَتْ حَالَتُهُ النَّفْسِيَّةُ مُحْتَاجَةً لِهَذَا الْبَيَانِ الْمَوْكِدِ.

فَالْمَعْنَى: وَأَتَيْنَاكَ بِالْبَيِّنَاتِ الْحَقِّ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فِي كُلِّ مَا نَقُولُ لَكَ.

■ وَبَعْدَ أَنْ هَدَّوْا قَلْقَهُ، وَسَكَّنُوا خَوْفَهُ، وَجَّهُوا لَهُ تَعْلِيمَاتِ الرَّحِيلِ عَنْ أَرْضِ قَوْمِهِ، قَائِلِينَ لَهُ:

• ﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾:

أي: فَاسْرِ بِأَهْلِكَ لَيْلاً، مُبْتَعِداً بِهِمْ عَنْ أَرْضِ سَدُومَ. يُقَالُ لُغَةً: «سَرَى اللَّيْلَ، وَسَرَى بِهِ» أي: قَطَعَهُ بِالسَّيْرِ. وَيُقَالُ: «سَرَى بِفُلَانٍ لَيْلاً، وَأَسْرَى بِهِ» أي: جَعَلَهُ يَسِيرُ بِهِ.

• ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾: أي: بِطَائِفَةٍ مِّنَ اللَّيْلِ تَكْفِي لاجْتِيَاذِكُمُ الْأَرْضَ الَّتِي سَيَنْزِلُ عَلَيْهَا عَذَابُ اللَّهِ، وَوَسَائِلُ إِهْلَاكِهِ لِأَهْلِ سَدُومَ. الْقِطْعُ مِنَ اللَّيْلِ: الطَّائِفَةُ مِنْهُ.

• ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾: أي: وَاْمَشِ أُنْتَ وَرَاءَ أَهْلِكَ لِتَسُوقَهُمْ، وَلَا تَمْشِ أَمَامَهُمْ.

• ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾: أي: وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ لِيَنْظُرَ مَا سَيَحُلُّ بِأَرْضِ سَدُومَ.

وَلَمْ يَأْتِ فِي هَذَا النَّصِّ اسْتِثْنَاءُ امْرَأَتِهِ اِكْتِفَاءً بِمَا جَاءَ فِي نَصِّ سُورَةِ (هود/ ٥٢ نزول) السَّابِقِ نَزولاً.

• ﴿... وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾: تَدُلُّ هَذِهِ الْعِبَارَةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ خَصَّصَ لَهُمْ دَلِيلاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَدُلُّهُمْ فَيَأْمُرُهُمْ بِأَنْ يَسِيرُوا فِي الطَّرِيقَاتِ، وَإِلَى الْجِهَاتِ الَّتِي يُعَيِّنُهَا لَهُمْ.

الفِعْلُ فِي: ﴿تُؤْمَرُونَ﴾ بِصِغَةِ الْمَضَارِعِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَمراً سَيُوجَّهُ لَهُمْ الْأَمْرَ بِالسَّيْرِ فِي الطَّرِيقَاتِ، وَإِلَى الْجِهَاتِ أَنَا فَنَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

- ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ﴾ (١١):
- ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾: أي: وأمضينا وأنهينا إلى لوط عن طريق الوحي إليه، وهذا بيان من الله تبارك وتعالى.
- ﴿ذَلِكَ الْأَمْرُ﴾: أي: ذلك الأمر الجليل العظيم المهور الحطير.
- «ذَلِكَ» مفعول به لفعل «قَضَيْنَا». «الْأَمْرُ» بدلٌ من «ذَلِكَ» أو عطف بيان.

جاء في هذه العبارة استعمال اسم الإشارة الموضوع للبعيد، للدلالة على أن الأمر العظيم الفطيع الذي كان مستبعداً جداً، قد تم به القضاء الرباني، وصار حقيقةً وشيكةً الوقوع.

- ﴿... أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ﴾: هذه العبارة بدلٌ من: ﴿ذَلِكَ الْأَمْرُ﴾ لتفسيره، ورفع إبهامه الذي جاء بأسلوب فيه تهويل وتَعْظِيم. وهو بدلٌ كلٍّ من كلٍّ.

دَابِرُ الشَّيْءِ: أي: تابعه وآخره.

والمراد باسم الإشارة: ﴿هَتُولَاءِ﴾ قوم لوط، وكلُّ ما يتبعهم من أحياء وأشياء.

- ﴿مَقْطُوعٌ﴾ أي: مقطوعٌ بالإهلاك والتَّبِير والتَّفْتِيت، فهو مَقْطُوعٌ عن البقاء في الوجود بأوصافه وأشكاله وهَيئَاتِهِ مِنْ ظُرُوفِ الحياة الدنيا.
- جاء الاكتفاء بالتَّعْيِيرِ بالقَطْع، والمراد القَطْعُ عَنِ الوجود في ظُرُوفِ الحياة الدنيا.

أضْلُ القَطْع: البَتْرُ لفصل الشَّيْءِ عَمَّا هُوَ مَوْصُولٌ بِهِ، فَقَطْعُ الحيِّ عن الحياة يَكُونُ بإِهْلَاكِهِ وإِمَاتَتِهِ، وَقَطْعُ الأَبْنِيَةِ وَالْفَرْى يَكُونُ بتدْمِيرِهَا وإِزَالَةِ كُلِّ أثرٍ لَهَا، وَقَطْعُ الشَّيْءِ عَنِ الوجود يَكُونُ بإِعْدَامِهِ.

• ﴿مُصْبِحِينَ﴾: أي: حَالَة كَوْنِهِمْ دَاخِلِينَ فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ. يقال لغة: «أَصْبَحَ فُلَانٌ» أي: دَخَلَ فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ، وَهُوَ أَوَّلُ النَّهَارِ عِنْدَ الصُّبْحِ.

■ قول الله تَعَالَى:

• ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَأَنْفُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ ﴿٧١﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بَيَانٌ مُوجِزٌ لِمَا كَانَ يَتَخَوَّفُ مِنْهُ لَوْطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذَا عَلِمَ قَوْمُهُ بِاسْتِصْفَايَتِهِ فِي دَارِهِ لَشُبَّانٍ مُرْدٍ حَسَانٍ.

• ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٦٧):

أَرَى أَنَّ الْمَرَادَ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ كُبْرَاؤُهَا وَأَصْحَابُ الْأَمْرِ الْمَطَاعِ فِيهَا، وَمَعَهُمْ أَتْبَاعُهُمْ وَأَنْصَارُهُمْ.

• ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: أي: يَتَجَدَّدُ لَدَيْهِمُ الْفَرَحُ وَالسُّرُورُ وَالِابْتِهَاجُ بِوُجُودِ شُبَّانٍ مُرْدٍ حَسَانٍ غُرَبَاءَ فِي دَارِ لَوُطٍ، وَيُبَشِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهَذِهِ الْغَنِيمَةِ السَّهْلَةِ، سَعْيًا لِلذَّهْنِ الشَّاذَّةِ الْفَاجِرَةِ، وَلَعَلَّ الْحَادِثَةَ تَكُونُ سَبَبًا لِلتَّخْلُصِ مِنْ لَوْطٍ وَأَهْلِهِ، إِذْ كَانُوا قَدْ نَهَوْهُ عَنْ أَنْ يَلْتَقِيَ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.

يُقَالُ لُغَةً: «اسْتَبَشَرَ» أي: فَرِحَ وَسُرَّ. وَيُقَالُ لُغَةً: «اسْتَبَشَرَ فُلَانٌ فُلَانًا» أي: بَشَّرَهُ بِمَا يُفَرِّحُهُ وَيَسُرُّهُ.

• ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ (٦٨) وَأَنْفُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾:

أي: وَلَمَّا وَصَلَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ إِلَى دَارِهِ وَاجْتَمَعُوا حَوْلَهَا، وَالْحُوا عَلَيْهِ أَنْ يُمَكِّنَهُمْ مِنْ ضَيْوْفِهِ، وَأَخَذُوا يُرَاوِدُونَهُ عَنْ ضَيْوْفِهِ، فَاسْتَعْصَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَبَى أَنْ يُمَكِّنَهُمْ مِنْ ضَيْوْفِهِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا

تَفْضَحُونِي بَيْنَ النَّاسِ، إِذْ يُشَاعُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْحَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي أَنَّ «لوطاً» مَكَّنَ كُبرَاءَ فُسَّاقٍ سَدُومَ مِنْ فِعْلِ الْفَاحِشَةِ فِي ضُيُوفِهِ الْمَرْدِ الْحَسَنِ.

وقال لهم: اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِي بَيْنَ النَّاسِ، أَي: وَلَا تُوقِعُونِي فِي الذُّلِّ وَالْهَوَانِ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ شَرَفِي وَظَهَارَتِي وَمَكَانَتِي فِي نُفُوسِ كُلِّ الْأَقْوَامِ مِنْ حَوْلِكُمْ.

• ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعِلْمِ﴾ (٧١): أَي: أَلَمْ نَعْزِلْكَ؟ أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنْ أَنْ تَلْتَقِيَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، مِنْ قَوْمِنَا أَمْ مِنَ الْغُرَبَاءِ؟ فَكَيْفَ تَسْتَقْبِلُ فِي دَارِكَ ضُيُوفًا غُرَبَاءَ؟ الاستفهام إنكاريٌّ توبيخي.

اتَّخَذُوا هَذَا ذَرِيعَةً لِإِخْرَاجِهِ، أَوْ تَوَظُّتَهُ لِإِخْرَاجِهِ مِنْ أَرْضِهِمْ، بِسَبَبِ مَعْصِيَتِهِ لِأَوَامِرِهِمْ وَنَوَاهِيهِمْ، بَعْدَ أَنْ عَزَلُوهُ عَزْلًا اجْتِمَاعِيًّا.

• ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتٌ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (٧٢):

إِنَّ لُوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ وَجَدَ نَفْسَهُ مُخْرَجًا، وَعَاجِزًا عَنْ مُقَاوَمَتِهِمْ، وَغَيْرَ مُسْتَعِدٍّ لِأَنْ يُمَكِّنَهُمْ مِنْ ضُيُوفِهِ، وَكَانَ يَعْلَمُ مِنْ عَادَاتِهِمْ وَتَقَالِيدِهِمْ أَنََّّهُمْ لَا يَعْتَدُونَ عَلَى نِسَاءٍ لَا حَقَّ لَهُمْ بِمَعَاشِرَتِهِنَّ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الزَّوَاجِ، حِفَظًا عَلَى أَنْسَابِهِمْ، أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ بِعَرَضِ بَنَاتِهِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنََّّهُمْ لَنْ يَقْبَلُوا ذَلِكَ، وَلَوْ فَعَلُوا لَافْتَضَحُوا وَسَقَطُوا مِنْ أَعْيُنِ قَوْمِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، وَلَفَجَرَتْ نِسَاؤُهُمْ نِكَايَةً بِهِمْ.

لَكِنَّ عَادَةَ إِثْبَانِ الذُّكُورِ لَمْ تَكُنْ تُثِيرُ غَيْرَةَ نِسَائِهِمْ إِثَارَةً كَبِيرَةً، وَكَانَتْ فِي نَظَرِهِمْ جَمِيعًا بِمَثَابَةِ الْأُمُورِ الْعَادِيَةِ، كَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَدَلَّتْ عِبَارَةُ: ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ بِاسْتِخْدَامِ حَرْفِ الشَّرْطِ «إِنْ» عَلَى أَنَّ لُوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ عَلَى عِلْمٍ بِأَنََّّهُمْ لَنْ يَقْبَلُوا عَرَضَهُ، لِأَنَّ حَرْفَ

الشَّرْطُ «إِنْ» يُقْصَدُ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْأَمْرِ الْمَشْكُوكِ فِيهِ، أَوْ فِيمَا لَا يُنْتَظَرُ وُقُوعُهُ، باستثناء حالاتِ الشَّرْطِ الْعَامِّ.

فَأَعْرَضُوا عَنْ عَرَضِهِ، وَقَالُوا لَهُ مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ (هود/ ٥٢ نزول):

﴿... لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ (٧٩).

■ قول الله تعالى خطاباً لِرَسُولِهِ وَيُلْحَقُ بِهِ كُلُّ مُتَلَقٍّ مِنْ بَعْدِهِ:

• ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٦):

﴿لَعَمْرُكَ﴾: قَسَمٌ بِالْعَمْرِ. الْعَمْرُ، وَالْعُمُرُ، وَالْعُمُرُ: الْحَيَاةُ. وَفِي الْقَسَمِ يُسْتَعْمَلُ بَفَتْحِ الْعَيْنِ لَا غَيْرَ.

اللَّامُ لَامُ الْقَسَمِ «عَمْرُكَ» مُبْتَدَأٌ مُضَافٌ إِلَى ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ، وَالْخَبَرُ مُحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: «قَسَمِي» أَوْ «يَمِينِي» وَهُوَ لَازِمُ الْحذفِ.

وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ جُمْلَةٌ: «إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ».

السَّكْرَةُ: الْمَرَّةُ مِنَ السُّكْرِ، وَهُوَ غَيْبُوبَةُ الْعَقْلِ بِسَبَبِ الشَّرَابِ الْمُسْكِرِ، أَوْ الْعَضَبِ، أَوْ الشَّهْوَةِ الْعَارِمَةِ الطَّاعِغَةِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: أَيُّ: يَتَحَيَّرُونَ وَيَتَرَدَّدُونَ مُنْطَمِسِي الْبَصَائِرِ. الْعَمَهُ فِي الْبَصِيرَةِ: كَالْعَمَى فِي الْبَصَرِ.

فَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ قَوْمَ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا سَاعَتِيذٍ غَائِبِي الْعَقْلِ كَالسُّكَارَى، مُنْطَمِسِي الْبَصَائِرِ عُمَى الْقُلُوبِ.

فَكَانَ تَغْذِيهِمْ وَإِهْلَاكُهُمْ أَمْرًا حَكِيمًا لَتَخْلِيصِ الْمَجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ مِنْ شُرُورِهِمْ.

■ قول الله تَعَالَى:

● ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾:

جاء في هذه الآيات بيانٌ يتعلّق بإهلاك قوم لوط عليه السّلام، وأنّ في آثار ديارهم المدمّرة آياتٍ لأولي الأبواب، وللَّذِينَ لَدَيْهِمْ اسْتِعْدَادٌ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُوا.

● ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾: أي: فَأَخَذْتُ أَرْوَاحَهُمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا صَيْحَةً صَوْتِيَّةً عَظُمَى بَعْدَ إِشْرَاقِ الشَّمْسِ.

وَكَانَ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِجْزَ عَذَابٍ عِنْدَ الصُّبْحِ قَبْلَ إِمَاتَتِهِمْ، وَاسْتَفَرَّ فِيهِمْ، حَتَّى جَاءَتْهُمْ الصَّيْحَةُ الْمُهِلِكَةُ الْمُمِيتَةُ بَعْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، أَخَذًا مِنْ دَلَالَاتِ نُّصُوصٍ أُخْرَى.

● ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾:

أي: فَجَعَلْنَا أَرْضَهُمْ، فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا، وَسَافِلَهَا عَلَيْهَا، وَأَمْطَرْنَا مَطَرًا مِنْ حِجَارَةٍ عَلَيْهِمْ، وَهَذِهِ الْحِجَارَةُ مِنْ سِجِّيلٍ، أي: أَصْلُهَا طِينٌ تَحَجَّرَ، وَرُبَّمَا كَانَ لِلنَّارِ أَثَرٌ فِي جَعْلِهِ مُتَحَجَّرًا.

يَتَحَدَّثُ الرَّبُّ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ لِإِرْهَابِ الْكَافِرِينَ الْمَعَانِدِينَ الْمُتَمَادِينَ فِي غِيهِمْ، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

● ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾: أي: إِنَّ فِي ذَلِكَ الْعِقَابِ الْبَاقِيَةِ آثَارُهُ فِي أَرْضِهِمْ، وَهِيَ أَرْضُ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ، لآيَاتٍ مُّتَعَدِّدَاتٍ لِّلْمُتَفَكِّرِينَ بِتَعَمُّقٍ، اسْتِدْلَالًا بِسِمَاتِ الْأَشْيَاءِ ذَوَاتِ الدَّلَالَاتِ عَلَى



الأحداث، أو على ما وراءها من خفايا. الآيات: العلامات الدالات على أشياء غير ظاهرات.

التَّوَسُّمُ: هو النَّظَرُ الْفِكْرِيُّ بِتَعَمُّقٍ فِي سِمَاتِ الْأَشْيَاءِ وَصِفَاتِهَا، لِمَعْرِفَةِ دَلَالَاتِهَا. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: ﴿لَا بَيْتَ لِمُتَوَسِّمِينَ﴾: أي: لِلْمُتَبَصِّرِينَ. وَقَالَ ثَعْلَبُ: الْوَاسِمُ النَّاطِرُ إِلَيْكَ مِنْ قَرْنِكَ إِلَى قَدَمِكَ.

• ﴿وَلِئَلَّا يَلْسَبِيلَ مُقِيمٍ﴾ (٧٦): أي: وَإِنْ قُرِئَ قَوْمٌ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّتِي غَمَرَهَا الْبَحْرُ الْمَيِّتُ لِبَطْرِيقٍ وَاضِحٍ مُقِيمٍ ثَابِتٍ غَيْرٍ مُتَغَيِّرٍ، يُشَاهِدُ مَوَاقِعَهَا مَنْ يَزُورُ أَرْضَ سَدُومَ، أَوْ يَصِلُ إِلَى الْبَحْرِ الْمَيِّتِ وَيُشَاهِدُهُ.

• ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٧): أي: إِنَّ فِي ذَلِكَ الْحَدَثِ الْعَظِيمِ، الَّذِي جَرَى لِقَوْمٍ لُوطٍ وَلِقَرَاهِمَ، لَآيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْجَزَائِيَّةِ الْعِقَابِيَّةِ، وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ الْمُجْرِمِينَ. هَذِهِ الْآيَةُ يَنْتَفِعُ بِدَلَالَتِهَا الَّذِينَ لَدَيْهِمُ الْاسْتِعْدَادُ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُوا.

اسم الفاعل في عبارة: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِقُوَّةِ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ يَصْلُحُ لِأَنَّهُ يَقَعَ عَلَى الْحَالِ وَعَلَى الْاسْتِقْبَالِ بِحَسَبِ الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ.

يُلاحَظُ أَنَّ الْجُمْلَةَ فِي الْآيَاتِ: «٧٥ و ٧٦ و ٧٧» مُؤَكَّدَاتٌ بِ «إِنَّ - وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ - وَاللَّامُ الْمَرْحَلَةُ لِلْخَبَرِ» لِأَنَّ مُعْظَمَ الْمُتَلَقِّينَ يَغْفُلُونَ عَنْ التَّبَصُّرِ بِمَضَامِينِهَا، فَهَمُّ بِحَاجَةٍ إِلَى التَّوَكِيدِ الْمَشْدَّدِ، لِتَحْرِيزِ أَفْكَارِهِمْ عَلَى دِقَّةِ التَّأَمُّلِ وَحُسْنِ التَّبَصُّرِ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ آيَاتِ الدَّرْسِ الْخَامِسِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الحجر).

والحمدُ لله على مَعُونَتِهِ وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



(٩)

## التدبر التحليلي للدرس السادس من دروس سورة (الحجر)

الآيات من (٧٨ - ٨٤)

قال الله عز وجل:

﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾:

القراءات:

(٨٢) • قرأ ورش، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب:

﴿بُيُوتًا﴾ بِضَمِّ الْبَاءِ.

وقراها باقي القراء العشرة ﴿بُيُوتًا﴾ بِكَسْرِ الْبَاءِ.

والقراءتان لغتان عربيتان.

تمهيد:

في هذا الدرس عرض موجز جداً لإهلاك أصحاب الأيكة، قوم الرسول شعيب عليه السلام، رغبة في أن يعتبر به المعالجون، وإهلاك أصحاب الحجر، وهم «ثمود» قوم الرسول صالح عليه السلام، رغبة أيضاً في أن يعتبر به المعالجون.

التدبر التحليلي:

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾:

﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: هم مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَام، وَقَدْ سَبَقَ فِي سورة (الشعراء/ ٤٧ نزول) التعريف بِهِمْ.

الْأَيْكَةُ: الشجر الكثيف الكثير الملتف، وقد كان لهؤلاء الْقَوْمُ غِيْضَةً ذَاتُ شَجَرٍ كَثِيفٍ كَثِيرٍ مُلْتَفٍّ، عُرِفُوا بِهَا، فَاشْتَهَرُوا بِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ.

• ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾ (٧٨):

«إِنْ» هي الْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَهِيَ هُنَا مُهْمَلَةٌ عَنِ الْعَمَلِ. فَصَارَ مَعْنَاهَا مُشَابِهًا لِمَعْنَى «قَدْ». وَاللَّامُ الدَّاخِلَةُ عَلَى «ظَالِمِينَ» هِيَ اللَّامُ الْفَارِقَةُ بَيْنَ الْمُخَفَّفَةِ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَبَيْنَ «إِنْ» النَّافِيَةِ، وَتُقَيَّدُ التَّوَكِيدَ.

﴿ظَالِمِينَ﴾: أَي: لَظَالِمِينَ بِكُفْرِهِمْ وَجَرَائِمِهِمُ الْكَبِيرِ غَيْرِ الْكُفْرِ، فَالْمَرَادُ بِالظُّلْمِ هُنَا الْكُفْرُ الْإِرَادِيُّ الْعِنَادِيُّ وَلَوْازِمُهُ فِي السُّلُوكِ، وَبِسَبَبِ ظُلْمِهِمُ الشَّنِيعِ اسْتَحَقُّوا التَّعْذِيبَ وَالْإِهْلَاكَ.

• ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ...﴾: الْإِنْتِقَامُ: الْمَعَاقِبَةُ عَلَى الذَّنْبِ.

يَتَحَدَّثُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ، أَي: فَعَاقَبْنَاهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمُ الشَّدِيدِ الشَّنِيعِ بِالتَّعْذِيبِ وَالْإِهْلَاكِ.

• ﴿... وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (٩٧): وَإِنَّ الْأَيْكَةَ الَّتِي كَانَ أَصْحَابُهَا قَوْمُ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَام، وَإِنَّ أَصْحَابَهَا الْمُهْلَكِينَ، لَتَوْجَدُ آثَارَهُمْ فِي طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَيُظْهِرُ أَنَّ مَكَانَ قَرَيْتِهِمْ قَدْ كَانَ مُعَايَرًا لِمَكَانِ غِيْضَتِهِمْ.

لفظ: «إِمَامٍ» يُطْلَقُ عَلَى الطَّرِيقِ لِأَنَّهُ يُؤْتَمُّ بِهِ لِلْوُصُولِ إِلَى الْغَايَةِ الْمَقْصُودَةِ، وَهَذَا الطَّرِيقُ يَمُرُّ بِجَانِبِ غِيْضَتِهِمْ وَبِجَانِبِ قَرَيْتِهِمْ، فَهُمَا يُشَاهِدَانِ بِجَانِبِ طَرِيقٍ مُبِينٍ، وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْآثَارُ ظَاهِرَةً إِبَّانَ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ، يَعْرِفُهَا السَّالِكُونَ إِلَى مِصْرَ، وَالْعَائِدُونَ مِنْهَا إِلَى مَوَاطِنِهِمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾ وَعَٰيِنَهُمْ ءَٰيَاتُنَا فَكَانُوا عَلَيْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾:

في هذه الآيات بيانٌ مُوجزٌ جدًّا لإهلاكِ كُفَّارِ ثمود قوم النبي الرُّسول صالح عليه السلام، مع تعريفٍ مُوجزٍ جدًّا بِهِمْ، وإلماحٍ مُوجزٍ لسببِ إهلاكِهِمْ، وهو إعراضُهُمْ عَنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ، وَعَدَمُ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَةِ رَسُولِهِ صَلَاحٍ عَلَيْهِ السَّلَام.

والغرضُ تحذِيرُ الكَفَرَةِ الْمُعَانِدِينَ الَّذِينَ تُعَالِجُهُمْ سُورَةُ الْحِجْرِ بَيِّنَاتِهَا<sup>(١)</sup>.

• ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾﴾:

الحِجْر: أرضٌ بَيْنَ المَدِينَةِ والشَّامِ، تُعْرَفُ بِاسْمِ «وَادِي الْقُرَى» وَتَقَعُ عَلَى الطَّرِيقِ مِنْ خَيْبَرٍ إِلَى تَبُوكَ، وَفِيهَا بَقَايَا مِنْ آثَارِ «ثَمُودٍ» وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا الْآنَ: «مَدَائِنُ صَلَاحٍ».

جاء هذا البيان مُؤكِّدًا بـ [لَقَدْ]: وَيَرَى الْمُعْرِضُونَ أَنَّ اللَّامَ واقعةٌ في جوابِ قَسَمٍ مَنَوِي، و«قَدْ» حَرْفٌ تَحْقِيقٌ.

أفادَ هَذَا الْبَيَانُ أَنَّ ثَمُودًا كَذَّبُوا الْمُرْسِلِينَ، وَقَدْ ظَهَرَ لِي أَنَّ لَفْظَ «الْمُرْسِلِينَ» يُرَادُ بِهِ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا عَدَدًا مِنَ الْمُرْسَلِينَ بَعَثَهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ، وَأَنَّ آخِرَهُمْ صَلَاحٌ عَلَيْهِ السَّلَام، وَهُوَ الَّذِي حَصَلَ إِهْلَاكُهُمْ فِي آخِرِ مَسِيرَتِهِ الدَّعْوِيَّةِ فِيهِمْ.

وَتَكْذِيبُ ثَمُودَ «لصالح» وَمَنْ سَبَقَهُ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ، كَانَ تَكْذِيبًا لِنُبُوتِهِمْ

(١) انظر الملحق الثالث من ملاحق سورة (النمل/ ٤٨ نزول) وهو «دراسة تكاملية للنصوص بشأن صالح عليه السلام وقومه ثمود».

وَرِسَالَاتِهِمْ، وَتَكْذِيبًا لِّمَا جَاءُوا بِهِ عَنْ رَبِّهِمْ مِنْ بَيِّنَاتٍ دِينِيَّةٍ، وَأَيَّاتٍ إِعْجَازِيَّةٍ.

• ﴿وَأَيَّلْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (٨١):

يتحدث ربنا بضمير المتكلم العظيم، للإشعار بعظم الآيات التي أتاها ثموداً. وهي الآيات الإعجازية والبيانية، فالإعجازية قد كانت لإثبات صدق الرسل في نبوتهم ورسالاتهم، والبيانية لتعريفهم بواجباتهم تجاه ربهم عقيدة وسلوكاً في ابتلائهم في ظروف الحياة الدنيا.

﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: أي: فاستقروا من أمرهم حتى أخرج رحلة امتحانهم أنهم أعرضوا عن آياتنا الإعجازية والبيانية فلم يكثرثوا لها ولم يعبؤوا بها، ولم يعملوا بما تقتضيه منهم.

الإعراض: منزلة وسطى بين الإقبال والإدبار، وأصل الإعراض إعطاء الجانب، فعارضوا الإنسان صفحتا خديه.

والمراد: أنهم لم يستجيبوا لدعوة رسل ربهم، وأدنى ما كان من بعضهم الإعراض، وأشد منه الإدبار والتولي الذي كان من عتاتهم، وكان الإعراض كافياً لإهلاكهم جميعاً، ثم يجازون يوم القيامة بحسب جرائمهم.

• ﴿وَكَانُوا يَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ (٨٢): أي: وكانوا أهل حضارة عمرائية، بحسب مستوى أهل أزمانهم، وبلغ من أمرهم في العمران أنهم كانوا يحتون من الجبال بيوتاً ليسكنوها آمينين، من غارات المغيرين، ومن حوادث السيول ونحوها.

في العبارة حذف من السهل إدراكه، تقديره: ﴿يَحْتُونُ﴾ مساكين في ﴿الْجِبَالِ﴾ ليسكنوها ﴿ءَامِنِينَ﴾.

• ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ﴾ (٨٣): أي: فَأَخَذْتُ أَرْوَاحَهُمْ مِنْ أَجْسَادِهِمُ الصَّيْحَةَ الصَّوْتِيَّةَ الْعَظِيمَةَ الْمَهْلِكَةَ حَالَةً كَوْنِهِمْ دَاخِلِينَ فِي الصَّبَاحِ، والمرادُ أَنَّ الصَّيْحَةَ كَانَتْ سَبَبًا فِي اخْتِذِ أَرْوَاحِهِمْ.

يُقَالُ لغة: «أَصْبَحَ الرَّجُلُ» أي: دَخَلَ فِي الصَّبَاحِ، وهو أَوَّلُ النَّهَارِ.

• ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨٤): أي: فَمَا كَفَاهُمْ فَصَّرَفَ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ وَإِهْلَاكَهُ لَهُمْ، مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فِي حَيَاتِهِمْ مِنْ وَسَائِلِ قُوَّةٍ وَدِفَاعٍ وَأَمْنٍ، لِأَنَّ مَا يُقَدِّرُهُ اللَّهُ وَيَقْضِيهِ نَافِذٌ حَتْمًا، وَلَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ مَا فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، بِيَدِهِ مَفَاتِيحُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ الْقَدِيرُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ، لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ، وَلَا حَاجَزَ دُونَ تَنْفِيدِ قَضَائِهِ.

ضُمِّنَ فعلُ «أَغْنَىٰ» بِمَعْنَى «كَفَىٰ» مَعْنَى فِعْلِ «صَرَفَ» فَعُدِّي تَعْدِيَّتِهِ بِحَرْفِ الْجَرِّ «عَنْ» فَأَغْنَى الْفِعْلُ عَنْ فِعْلَيْنِ، وَأَغْنَتْ الْجُمْلَةُ عَنْ جُمْلَتَيْنِ، وَهَذَا مِنَ الْإِيجَازِ الْبَدِيعِ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ السَّادِسِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْحَجَرِ).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ مَدَدِهِ وَمُعُونَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



(١٠)

التدبر التحليلي للدرس السابع من دروس سورة (الحجر)

الآيات من (٨٥ - ٩٩) آخر السورة

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾  
فَأَصْفَحَ أَصْفَحَ الْجَمِيلِ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمَدَّنْ عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا

تَحَزَنَ عَلَيْهِمْ وَخَفِضَ جَنَاحَكَ لِمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾  
 كَمَا أُنزَلْنَا عَلَى الْمُقَسِّمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ  
 لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾  
 إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ  
 يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ  
 مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ .

### القراءات:

(٨٩) • فَتَحَ يَاءَ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ: [إِنِّي أَنَا] نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر. وأسكنها باقي القراء العشرة.

(٩٤) • قرأ حمزة، والكسائي، ورؤيس، وخلف بإشمام الصاد زايًا في [فَأَصْدَعْ]. وقرأها باقي القراء العشرة بالصاد الخالصة.

(٩٥) • قرأ أبو جعفر: [الْمُسْتَهْزِينَ] بحذف الهمزة.

وقرأها باقي القراء العشرة: [الْمُسْتَهْزِينَ] بإثبات الهمزة على

الأصل.

### تمهيد:

في هَذَا الدَّرْسِ تَوْجِيهٌ تَرْبَوِيٌّ لِلرَّسُولِ ﷺ، يَتَعَلَّقُ بِمَسِيرَتِهِ الدَّعَوِيَّةِ، وَبِبَعْضِ مَا هُوَ مَطْلُوبٌ مِنْهُ فِيهَا، وَيُلْحَقُ بِالرَّسُولِ كُلُّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ.

وَالْوَصَايَا الرَّبَّانِيَّةُ الَّتِي اشْتَمَلَ عَلَيْهَا هَذَا الدَّرْسُ الْمَوْجَّهَةٌ لِلرَّسُولِ ﷺ فَلِكُلِّ حَمَلَةٍ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ تَسْعُ وَصَايَا:

الوصية الأولى: أَنْ يَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ.

الوصية الثانية: أَنْ لَا يَمُدَّ عَيْنَيْهِ إِلَى مَا مَتَعَ اللَّهُ بِهِ أَصْنَافًا مِنْ

النَّاسِ.

**الوصية الثالثة:** أَنْ لَا يَحْزَنَ عَلَى الَّذِينَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمُ الْكُفْرَ،  
الذي يَنْتَهِي بِهِمْ إِلَى الْعَذَابِ الْأَبَدِيِّ فِي الْجَحِيمِ.

**الوصية الرابعة:** أَنْ يَخْفِضَ جَنَاحَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ تَأْنِيسًا لَهُمْ وَرَحْمَةً بِهِمْ،  
وتواضعاً مُؤَلِّفًا لِقُلُوبِهِمْ.

**الوصية الخامسة:** أَنْ يَقُولَ لِلْمَعَانِدِينَ: ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾  
أي: بعذاب الله.

**الوصية السادسة:** أَنْ يَصْدَعَ بِمَا يُؤْمَرُ أَنْ يُبَلِّغَهُ لِلنَّاسِ تَبَاعًا، دُونَ  
تَوَانٍ وَلَا تَقْصِيرٍ.

**الوصية السابعة:** أَنْ يُعْرِضَ عَنِ الْمَشْرِكِينَ الْمَعَانِدِينَ الْمَصْرِينَ عَلَى  
شُرْكَهِمْ، وَيَهْتَمَّ بِدَعْوَةِ الَّذِينَ لَمْ يَصِلُوا إِلَى دَرَكَةِ الْيَأْسِ مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ  
لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ.

**الوصية الثامنة:** أَنْ يُسَبِّحَ بِحَمْدِ رَبِّهِ وَيَكُونَ مِنَ السَّاجِدِينَ لَهُ.

**الوصية التاسعة:** أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ بِكُلِّ مَا أَمَرَهُ أَنْ يَعْبُدَهُ بِهِ، وَلَا سِيمًا  
قِيَامُهُ بِوُضَائِفِ رِسَالَتِهِ التَّبْلِيغِيَّةِ وَالِدَّعْوِيَّةِ، حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ وَهُوَ الْمَوْتُ  
الَّذِي تَنْتَهِي بِهِ حَيَاتُهُ.

وفي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْوَصَايَا النَّفِيسَةِ لِحَامِلِ رِسَالَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى رَبِّهِ، جَاءَتْ  
بَيِّنَاتٌ رَبَّانِيَّةٌ مَلَأَتْ لَهَا تَعْقِيْبًا، أَوْ تَمْهِيدًا.

هَذِهِ الْوَصَايَا قَدْ جَاءَ فِي السُّورَةِ مَا يَقْتَضِي تَوْجِيْهَهَا لِلرَّسُولِ ﷺ،  
فَقَدْ كَانَ مَوْقِفَ أَئِمَّةِ الْمَشْرِكِينَ إِبَّانَ نُزُولِ سُورَةِ (الْحَجَرِ) مُوَاجَهَتُهُمْ  
لِلرَّسُولِ بِأَذْيَتَيْنِ كُبْرَيَيْنِ:

**الأدب الأولى:** شَتِيْمَتُهُمْ لَهُ بِوَقَاحَةٍ بِأَنَّهُ لَمَجْنُونٌ، وَغَرَضُهُمْ صَدُّ  
جَمَاهِيرِهِمْ عَنِ الاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ وَعَنِ اتِّبَاعِهِ، مَعَ تَصَوُّرِهِمْ أَنَّ هَذِهِ الشَّتِيْمَةَ قَدْ



تَجْعَلُ مُحَمَّدًا يُخَفِّفُ مِنْ نَشَاطِهِ فِي دَعْوَتِهِ، بِمَا يُنْزِلُ بِهِ مِنْ حُزْنٍ وَغَضَبٍ،  
فقد جاء في أوائل السُّورَةِ بَيَانُ هَذَا فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا  
بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾﴾.

لقد وصلوا في الوقاحة إلى دَرَكَةٍ مُوَاجِهَةِ الرَّسُولِ بِالشَّيْمَةِ، مُؤَكِّدِينَ  
فيها أَنَّهُ لَمَجْنُونٌ، بِالْمُؤَكَّدَاتِ: «إِنَّ - وَالْجُمْلَةَ الْاسْمِيَّةَ - وَاللَّامَ  
الْمُزْحَلَّةَ».

**الأدبِيَّةُ الثَّانِيَّةُ:** الاسْتِهْزَاءُ بِهِ عَلَنًا فِي الْمَحَافِلِ وَالْمَجَامِعِ الْعَامَّةِ، بُغْيَةً  
صَدَّه عَنْ دَعْوَتِهِمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَعَنْ دَعْوَةِ جَمَاهِيرِهِمُ الَّذِينَ يَتَأَثَّرُونَ  
بِهِمْ، أَوْ بُغْيَةً اسْتِثَارَةَ غَضَبِهِ إِزْعَاجًا وَإِيلَامًا، وَرُبَّمَا قَابِلَ شَتَائِمِهِمْ بِمِثْلِهَا،  
فَتَكُونُ هَذِهِ الْمَقَابِلَةُ بِمَثَابَةِ الشَّاهِدِ عَلَى صِحَّةِ اتِّهَامِهِمْ لَهُ بِالْجُنُونِ، وَرُبَّمَا  
كَانَ التَّشَاتُّمُ مُفْتَاَحًا لِصِرَاعِ جَسَدِيٍّ، هُمْ فِيهِ حِينِيذٌ أَكْثَرَ قُدْرَةً عَلَيْهِ، وَأَكْثَرَ  
أَنْصَارًا.

مع مَا فِي الاسْتِهْزَاءِ مِنْ صَدِّ جَمَاهِيرِهِمْ عَنِ الاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ وَعَنْ  
اتِّبَاعِهِ، لِمَا فِي الاسْتِهْزَاءِ الْعَامِّ مِنْ إِيحَاءٍ خَبِيثٍ فِي نُفُوسِ الْجَمَاهِيرِ،  
يُشْعِرُهُمْ بِأَنَّهُ مَنْ يُوَجِّهُ الاسْتِهْزَاءَ ضِدَّهُ جَدِيرٌ بِأَنْ يُسْتِهْزَأَ بِهِ.

فَقَدْ جَاءَ فِي أَوَائِلِ السُّورَةِ بَيَانُ اسْتِهْزَائِهِمْ هَذَا فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ  
وَجَلَّ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا  
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٧﴾﴾:

أي: فَاسْتِهْزَاءٌ هَؤُلَاءِ بِكَ لَهُ نَظَائِرُ فِي كُفَّارِ الْأَوَّلِينَ بِرُسُلِ رَبِّهِمْ،  
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا، وَلَا تَكْتَرِثْ لاسْتِهْزَائِهِمْ وَلَا تَعَبَأْ بِهِ.

## التدبر التحليلي:

■ قول الله تعالى يَتَحَدَّثُ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ الْمَنْزَهَ عَنِ الْعَبَثِ وَالْفِعْلِ الْبَاطِلِ:

• ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (٨٥):

أي: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمَا خَلَقْنَا النَّاسَ فِي الْأَرْضِ وَسَخَّرْنَا لَهُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَبَثًا، بَلْ خَلَقْنَا كُلَّ ذَلِكَ مُتَّصِفًا بِالْحَقِّ الَّذِي لَا بَاطِلَ فِيهِ وَلَا عَبَثَ، وَهُوَ أَنْ نَجْعَلَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا مَرَحَلَةً لِمُتَحَانِ الَّذِينَ نَضَعُهُمْ فِيهَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَكُلُّ مُتَمَتِّحٍ فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ نُؤْتِيهِ بِحُكْمَيْنَا مَا يُلَاقِيهِ امْتِحَانُهُ بِحَسَبِ الْفِطْرَةِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي فَطَرْنَاهُ عَلَيْهَا.

وَإِنَّ السَّاعَةَ الَّتِي يَكُونُ بَعْدَهَا يَوْمُ الدِّينِ لَآتِيَةٌ حَتْمًا، إِذْ نَبْعَثُ الْمَوْتَى لِلْحَيَاةِ الْآخِرَى، الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْحِسَابُ، وَفَضْلُ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيذُ الْجَزَاءِ، بِالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ، أَوْ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

وَعَلِمَ أَنَّ رِحْلَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رِحْلَةً قَصِيرَةً جَدًّا فِي جَنْبِ الْآخِرَةِ، فَإِذَا أُودِيتَ فِي اللَّهِ وَأَنْتَ تُؤَدِّي وَطَائِفَ رِسَالَةِ رَبِّكَ، فَلَا تَحْزَنْ وَلَا تُقَابِلِ الْأَدِيَّةَ بِمِثْلِهَا، بَلِ اصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ، وَهَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى.

**الصَّفْحُ الْجَمِيلُ:** يَكُونُ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ مُقَابَلَةِ مَنْ يُؤْذِيكَ بِمِثْلِ أَدِيَّتِهِ، وَعَدَمِ الْاشْتِعَالِ بِدَفْعِ أَذَاهُ عَنْكَ، فَإِعْرَاضُكَ عَنْهُ يُحِيطُ أَدِيَّتَهُ عَنْ أَنْ تَكُونَ لَهَا آثَارٌ ضَارَّةٌ لَكَ أَوْ لِدَعْوَتِكَ.

أَصْلُ الصَّفْحِ فِي اللُّغَةِ: الْجَنْبُ، فَصَفْحُ كُلِّ شَيْءٍ جَانِبُهُ. وَيُقَالُ: صَفَحَ فُلَانٌ عَنِ الْمَذْنِبِ، أَي: أَعْرَضَ عَنْ ذَنْبِهِ، فَلَمْ يُؤَاخِذْهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُقَابِلْهُ بِمِثْلِهِ، وَهَذَا الْمَعْنَى مَأْخُودٌ مِنْ أَنَّهُ أَعْطَاهُ جَانِبَهُ مُعْرِضًا عَنْهُ، غَيْرَ مُوَاجِهٍ لَهُ بِالْعِقَابِ.

والجمالُ في هَذَا الصَّفْحِ يَكُونُ بِإِبْقَاءِ الْوَجْهِ طَلْقاً سَمْحاً لَا تَظْهَرُ عَلَيْهِ علاماتُ الْعُصْبِ أو الغيظ والكراهية، وبإبقاء الكلام عاديّاً لَا تَظْهَرُ فِيهِ أماراتُ الاضطراب، أو الإلماحات المُستخفيات، ويكون أيضاً بَعْدَمِ شُغْلِ الْقَلْبِ بِرَغَبَاتِ الانتقام.

■ قول الله تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٦) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمْدَنْ عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾:

• ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٦): في هَذِهِ الْآيَةِ تَمْهِيدٌ لِمَا سَيُوصِي اللَّهُ بِهِ رَسُولُهُ بَعْدَهُ، وَهُوَ يَتَعَلَّقُ بِبَيَانِ كَمَالِ صِفَاتِهِ.

أي: إِنَّ رَبَّكَ الَّذِي يُمِدُّكَ دَوَاماً بِعَطَاءَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَقَدْ اضْطَفَاكَ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَهُوَ يَحْمِيكَ وَيَرْعَاكَ، هُوَ الْخَلَّاقُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ دَوَاتِ وَصِفَاتِ وَأَحْوَالِ وَتَصَارِيفِ. وَهُوَ الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْعَلِيمُ بِمَا فَطَرَ عَلَيْهِ عِبَادَهُ، وَالْعَلِيمُ بِمَا يُلَائِمُّ كُلَّ فَرْدٍ مِنْهُمْ مِنْ عَطَاءٍ وَمَنْعٍ، وَمِنْ نَصْرِ وَخَذْلَانٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مُتَنَاقِضَاتٍ وَمُتَضَادَّاتٍ وَمُخْتَلِفَاتٍ، فَهُوَ حَكِيمٌ فِيمَا يَخْلُقُ.

الْخَلَّاقُ: صِغَةُ مُبَالَعَةٍ لِاسْمِ الْفَاعِلِ: «خَالِقٌ» أَي: هُوَ خَالِقُ كُلِّ ذَاتٍ وَكُلِّ حَدَثٍ، حَتَّىٰ مَا يَفْعَلُهُ الْعِبَادُ بِإِرَادَتِهِمْ الْحَرَّةَ، دُونَ إِلْغَاءِ إِرَادَتِهِمْ الْحَرَّةَ الَّتِي هِيَ مَنَاطُ ابْتِلَائِهِمْ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِذْ مَا يُرِيدُونَهُ جَازِمِينَ يَخْلُقُهُ لَهُمْ، مَا لَمْ يُعَارِضْ مَا سَبَقَ فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.

العليم: صِغَةُ مُبَالَعَةٍ لِاسْمِ الْفَاعِلِ «عَالِمٌ» أَي: هُوَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً جَلَّ جَلَالُهُ وَتَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ:

• ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٨٧):

وفي هذه الآية تمهيد آخر يتعلّق ببيان بعض ما امتنّ الله به على رُسوله باصطفائه بالنبوة وبالرسالة الخاتمة، وبإنزال نفايس من القرآن المجيد عليه، ممّا لم يؤتِه غيره من عباده حتى أولي العزم من الرسل.

**المثاني:** جمع «مثناة». وهي الطيّة الواحدة التي تُثنى، من قولهم: «ثنى الشيء يثنيه» أي: ردّ بعضه على بعض، فالقماش الذي يُثنى بعضه على بعض بصفة متوالية تُسمّى طيَّاته «مثاني».

وقد وصف الله عزّ وجلّ القرآن كلّهُ بأنّه «مثاني» فقال تعالى في سورة (الزمر/ ٣٩ مصحف/ ٥٩ نزول):

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ لِنَقُشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١٣٣﴾﴾

أي: ومن يحكم الله عليه بالضلال لأنّه ضلّ بإرادته الحرّة، فما له من حاكم يحكم له بالهداية، إنّ الحكم إلّا لله.

وقد ذكر أهل التأويل وجوهاً متعدّدة لتفسير كون القرآن مثاني، وهي تعتمد على ما في لفظ «مثاني» من معنى التكرير، كتكرير آيات سورة «الفاتحة» في ركعات الصلوات.

والذي ظهر لي بعد النظر الطويل في تدبّر آيات القرآن المجيد، أنّ المراد بوصف القرآن بأنّه مثاني أنّ له سطوحاً ظاهرة، وهي ما يدرك من الكلمات المقرّوات في ظهر كلّ مثناة منه، وأنّ فيه مطويات في باطن الثنّيات هي محذوفات لفظاً، ويمكن إدراكها ذهنياً، عن طريق اللوازم الفكرية، أو الدلالات اللفظية، كحرف جرّ، أو حرف عطف، أو تعدية الفعل لغير ما يتعدى به لغةً، إلى غير ذلك من أمور كثيرة تعتمد عليها المحاذيف، كالعطف على محذوف بما يُسمّى الفاء الفصيحة، وقد رأيت

أَنَّ كُلَّ حُرُوفِ الْعُظْفِ قَدْ تَعَطَّفَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى مَحذُوفٍ مَطْوِيٍّ، وَكَمَلْهُ فَرَاعَاتِ الْقِصَصِ الْقُرْآنِيَّةِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، إِذْ تَبَدُّو فِي الظَّاهِرِ أَنَّهَا مُكَرَّرَاتٌ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ مُتَكَامِلَاتٌ فِيمَا بَيْنَهَا، يَتَدَاخَلُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، فَيَكْمُلُ بَعْضُهَا الظَّاهِرُ هُنَا الْبَعْضُ الْمَطْوِيَّ فِي مَثَانِي النَّصِّ أَوْ النَّصُوصِ الْآخَرَى، وَكَالْحَذْفِ مِنَ الْأَوَائِلِ لِدَلَالَةِ مَا فِي الْآخِرِ، وَالْحَذْفِ مِنَ الْآخِرِ لِدَلَالَةِ مَا فِي الْأَوَائِلِ مِنَ النَّصِّ. وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْإِعْجَازِ الْإِيجَازِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

وَأَفْضَلُ تَعْبِيرٍ عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ مَثَانِي، فَهُوَ كِتَابٌ مُتَشَابِهٌ فِي الْحُسْنِ وَالْكَمَالِ، وَمَثَانِي تَظْهَرُ فِي السُّطُوحِ الْمَقْرُوءَةِ مِنْ مَثَانِيهِ جُمْلٌ وَكَلِمَاتٌ، وَتُوجَدُ مَطْوِيَّاتٌ دَاخِلَ الْمَثَانِي تُسْتَخْرَجُ بِالتَّأَمُّلِ الدَّقِيقِ، وَبِالِاسْتِنْبَاطِ الْعَمِيقِ، ضِمْنَ ضَوَابِطِ الْفِكْرِ، وَقَوَاعِدِ الْاسْتِعْمَالِ اللَّغَوِيِّ وَأَمَارَاتِهِ، إِمَّا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ، أَوْ عَنْ طَرِيقِ الْمَجَازِ.

وَأَفْضَلُ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ مَثَانِي مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الْفَاتِحَةِ) إِذْ هِيَ جَامِعَةٌ لِكُلِّيَّاتِ كُبْرَى، هِيَ بِمَثَابَةِ عُنُونَاتِ عَامَّاتٍ لِلدِّينِ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِعِبَادِهِ، الَّذِينَ خَلَقَهُمْ لِيَبْلُوَهُمْ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلِتَارِيخِهِمْ تُجَاهَهُ مِنْذُ أَوَّلِ نَشَأَتِهِمْ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَقَدْ أَبْنَتْ هَذَا لَدَى تَدَبُّرِ سُورَةِ (الْفَاتِحَةِ) فِي الْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّ «الْفَاتِحَةَ» هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَهِيَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، فَلَا عُذُولَ عَنْ هَذَا الَّذِي صَحَّ عَنِ الرَّسُولِ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ الْمَعْلَى، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ:

«لَأَعْلَمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ».

قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُخْرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، قُلْتُ: يَا

رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: لَا عَلَّمَتَكَ أَعْظَمَ سُورَةَ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ: «نَعَمْ. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ».

فَالْفَاتِحَةُ هِيَ سَبْعُ آيَاتٍ مِنَ الْمَثَانِي الْقُرْآنِيَّةِ، إِذِ الْقُرْآنُ كُلُّهُ مَثَانِي، وَهِيَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أَمَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلَهَا، وَقَدْ صَحَّ هَذَا أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

■ قول الله تعالى لرسوله ﷺ في الوصية الثانية:

• ﴿لَا تَدْنُ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ...﴾ (١١١) :

جاء في هذه العبارة بَيَانُ الْوَصِيَّةِ الثَّانِيَةِ مِنْ وَصَايَا اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ لِرَسُولِهِ.

أي: لَا تَنْظُرْ نَظَرَ تَشَهٍّ إِلَى مَا أَمْدَدْنَا بِهِ أَصْنَافًا مِنَ الْمَشْرِكِينَ وَسَائِرِ الْكَافِرِينَ مِنْ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَا مُتَحَانِهِمْ وَاخْتِبَارِهِمْ بِهَا، فَاخْتِبَارُهُمْ بِهَا هُوَ الْمَلَأْتُمْ لِمَا فَطَرْتُمْ أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِ.

أَزْوَاجًا مِنْهُمْ: أي: أَصْنَافًا مِنَ النَّاسِ وَلَوْ كَانُوا كَافِرِينَ. يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ لَفْظُ «الزَّوْجِ» عَلَى الصَّنْفِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

وجاء التعبير بِمَدِّ الْعَيْنِ بَدَلَ النَّظَرِ، لِبَيَانِ أَنَّ نَظَرَ التَّشَهِّيِّ وَالطَّلَبِ يَخْتَلِفُ عَنِ النَّظَرِ الْعَادِيِّ الْعَابِرِ. فَنَظَرُ التَّشَهِّيِّ يَقْتَرِنُ بِدَوَافِعَ تَمَتُّدِ آثَارِهَا مِنْ دَاخِلِ النَّفْسِ، وَسَائِرَةٍ عَلَى خُطُوطِ الْأَشْعَةِ الْوَاصِلَةِ إِلَى النَّظَرِ، لِتَتَنَاوَلَ الْمُشْتَهَى وَتَمْتَلِكَهُ، حَتَّى كَأَنَّ الْعَيْنَيْنِ يَدَانِ مُمْتَدَّتَانِ تَبْتَغِيَانِ أَخْذَ مَا اشْتَهَتْهُ النَّفْسُ، لِتَسْتَوِلِيَ عَلَيْهِ وَتَمْتَلِكَهُ.

وفي هذا معنى الاعتراض على حكمة الله في عطائه ومنعه، وفي

التوسعة على بعض عباده، والتضييق على آخريَن منهم، لِيَبْلُو كُلاًّ مِنْهُمْ بما يَلَايُمُ فِطْرَتَهُ الَّتِي فَطَرَهُ عَلَيْهَا.

﴿مَتَعْنَا بِهِ﴾: أي: جَعَلْنَا مِنْ آتِنَاهُ سَعَةً مِنْ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، يَنْتَفِعُ به انْتِفَاعاً مُؤَقَّتاً صائراً إِلَى الزَّوَالِ.

المتاع: مَا يَنْتَفِعُ بِهِ وَمَصِيرُهُ إِلَى الزَّوَالِ والفناء.

وجاء في سُورَةِ (طه/ ٢٠ مصحف/ ٤٥ نزول) في آيَةِ مَدَنِيَّةٍ مَضْمُونَةٍ إِلَى سورة مَكِّيَّةٍ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ والمقصود كُلُّ حَامِلٍ لِرِسَالَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ حَيْثُ وَابَقَى﴾ (١٣١).

وَقَدْ سَبَقَ شَرْحُ هَذِهِ الْآيَةِ لَدَى تَدْبِيرِ سُورَةِ (طه/ ٤٥ نزول).

■ قول الله تَعَالَى لِرَسُولِهِ فِي الْوَصِيَّةِ الثَّلَاثَةِ:

● ... وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ...: أي: وَلَا تَحْزَنْ عَلَى الْكَافِرِينَ الْمَكَابِرِينَ الْمَعَانِدِينَ بِسَبَبِ تَعْرِيزِهِمْ أَنْفُسَهُمْ لِعَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا.

فَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ شَدِيدَ الشَّفَقَةِ عَلَى قَوْمِهِ، وَلَا سِيَمَا عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبُونَ، شَدِيدَ الرَّحْمَةِ بِهِمْ، حَرِيصاً عَلَى أَنْ يُؤْمِنُوا لِيَنْجُو مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ، وَلِيُظَفِّرُوا بِالسَّعَادَةِ الْخَالِدَةِ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ.

فإِضْرَارُهُمْ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِرْكٍ وَكُفْرٍ بِرِسَالَتِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ، فِي مُقَابِلِ شَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ، أَمْرٌ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُحْزِنَهُ، لِأَنَّ مَنْ يُحْزَمُ مِمَّا هُوَ شَدِيدُ الْحِرْصِ عَلَيْهِ يَحْزَنُ لِفَوَاتِهِ، بِمُقْتَضَى طَبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَهَذَا الْحُزْنُ يُؤَثِّرُ عَلَى نَفْسِهِ، وَقَدْ يُثَبِّطُ مِنْ نَشَاطِهِ فِي مَجَالِ تَأْدِيَةِ رِسَالَتِهِ الْمَأْمُورِ بِأَنْ يَبْذُلَ فِيهَا قُصَارَى مَا يَمْلِكُ مِنْ جَهْدٍ وَمُجَاهَدَةٍ لِتَوْصِيلِهَا لِلنَّاسِ.

فَالْحَزَنُ يُشْغِلُ الْحَزِينَ عَنِ الْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ الْجَهَادِيَّةِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ الرَّجَاءَ وَالتَّفَاؤُلَ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ إِرَادَةَ اللَّهِ الْحَكِيمَةَ قَدْ قَضَتْ بِأَنْ يَضَعَ النَّاسَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، وَأَنَّ عَلَى كُلِّ مُمْتَحِنٍ مُكَلَّفٌ أَنْ يَخْتَارَ بِنَفْسِهِ مَصِيرَهُ، بَعْدَ الْبَيَانِ الْكَافِي لَهُ.

فَمَنْ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ طَرِيقَ جَهَنَّمَ وَهُوَ كَامِلُ الْأَهْلِيَّةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْإِرَادِيَّةِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْزَنَ أَحَدٌ مِنْ أَجْلِهِ، إِنَّهُ إِذَا لَمْ يَشْفَقْ هُوَ عَلَى نَفْسِهِ، وَهِيَ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، أَفَيَسْتَحِقُّ أَنْ يَحْزَنَ أَحَدٌ مِنْ أَجْلِهِ؟!

■ قول الله تعالى لرسوله في الوصية الرابعة:

• ﴿... وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨):

أي: تواضع للمؤمنين، وأحفظهم بالحنان والرحمة والرعاية والحفظ. وقد جاء في هذه العبارة استعارة خفض الجناح للدلالة على هذه الأمور، أخذاً من حركة الطائر حينما يخفض جناحه تواضعاً لطائر آخر، وحينما يخفض جناحه ليحيط فراخه الصغار ويضمها إلى دفة صدره ويجللها بريشه، رَحْمَةً بِهَا، وَحَنَانًا عَلَيْهَا، وَرِعَايَةً وَحِمَايَةً وَحِفْظًا.

ومثل هذا التعبير يُسَمَّى عِنْدَ الْبَلَاحِيِّينَ اسْتِعَارَةً مَكْنِيَّةً، إِذْ حُذِفَ الْمُسْتَعَارُ الَّذِي هُوَ فِي الْأَصْلِ مَشَبَّهٌ بِهِ، وَهُوَ الطَّائِرُ، وَاسْتُخْدِمَ فِي اللَّفْظِ بَعْضُ لَوَازِمِهِ.

■ قول الله تعالى لرسوله في الوصية الخامسة:

• ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ (٨٩):

أي: وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُعَانِدِينَ الْمَصِرِينَ عَلَى بَاطِلِهِمْ، الَّذِينَ بَلَّغُوا دَرَكَةَ الْمَيُوسِّسِ مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمْ ذَوَاتِ



الْحُرِّيَّةَ فِيمَا تُرِيدُ وَتَحْتَارُ، إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ، أَي: وَصَلْتُ رِسَالَتِي مَعَكُمْ إِلَى غَايَةِ فَقَرَاتِهَا وَهِيَ إِنْذَارُكُمْ بِعَذَابِ اللَّهِ الْخَالِدِ فِي جَهَنَّمَ يَوْمَ الدِّينِ، مَعَ مَا قَدْ يُنْزَلُ بِكُمْ مِنْ عَذَابٍ مُعَجَّلٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَدْ يَأْتِي مَعَهُ أَوْ عَقِبَهُ إِهْلَاكُكُمْ، إِذَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ ذَلِكَ.

الإِنْذَارُ: الإِخْبَارُ بِمَكْرُوهِ قَادِمٍ.

الْمُبِينُ: أَي: الْمَوْضِحُ لَكُمْ مَا أَنْذَرُكُمْ بِهِ بِجَلَاءٍ، لَا عَنْ طَرِيقِ الرُّمُوزِ وَالْإِشَارَاتِ وَالْإِلْمَحَاتِ الْخَفِيَّاتِ.

وَقَدْ جَاءَتْ الْعِبَارَةُ بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ تَحْمِلُ إِعْلَانًا مُؤَكَّدًا بِشِدَّةٍ بِالْمُؤَكَّدَاتِ: «إِنْ - الْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ - ضَمِيرُ الْفَصْلِ - تَعْرِيفُ طَرَفِي الْإِسْنَادِ».

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى تَعْقِيبًا عَلَى الْوَصِيَّةِ الْخَامِسَةِ:

• ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقَسِّمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بَيَانٌ لِسُنَّةِ اللَّهِ فِي إِنْذَارِ الْكَافِرِينَ السَّابِقِينَ وَاللَّاحِقِينَ، وَمِنْهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا أَوْ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ كِتَابِ اللَّهِ الْمَنْزَلِ لَهُمْ وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ، فَيُجْزَوْنَ كِتَابَ اللَّهِ، فَيُثَبِّتُونَ مِنْهُ مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، وَيَحْذِفُونَ أَوْ يُخْفُونَ مِنْهُ مَا لَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، كَمَا فَعَلَ أَهْلُ الْكِتَابِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مِنْ كِتَابٍ، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ أَنْذَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْمُجْزِئِينَ الْكَافِرِينَ بِعَذَابٍ خَالِدٍ فِي جَهَنَّمَ يَوْمَ الدِّينِ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ أَنَّ عِتَاةَ مُشْرِكِي مَكَّةَ وَأَيُّمَةَ الْكُفْرِ فِيهِمْ، قَدْ طَالَبُوا الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ بِأَنْ يَأْتِيَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا الْقُرْآنِ، أَوْ يُبَدِّلَ مَا لَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ وَعَقَائِدَهُمْ وَتَقَالِيدَهُمْ مِنْهُ، وَهَذِهِ تَجَزِئَةٌ مُمَاثِلَةٌ لِمَا فَعَلَ أَهْلُ الْكِتَابِ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَالْإِنْذَارُ الَّذِي سَبَقَ أَنْ وَجَّهَهُ اللَّهُ

لَأُولَئِكَ الْمُجَرَّيْنِ، يُوجِّهُهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ إِذْ ذَارًا مُمَآئِلًا لِأَئِمَّةِ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، وَلِكُلِّ أُمَّثَلِهِمْ وَأَشْبَاهِهِمْ حَتَّى آخِرِ مُمْتَحَنٍ مُكَلَّفٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَفِي بَيَانٍ مَطْلَبِ أَيْمَّةِ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ فِي مَكَّةَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ، أَنَّ يُبَدَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (يونس/ ٥١ نزول):

﴿وَإِذَا تَنَاسَلْنَا عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِئْتُمُ بِشُرْعٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلُوهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾:

وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ هَذِهِ الْآيَةِ لَدَى تَدَبُّرِ سُورَةِ (يونس/ ٥١ نزول). وَيُظْهَرُ أَنَّ أَيْمَّةَ مُشْرِكِي مَكَّةَ مَا زَالُوا إِبَّانَ نُزُولِ سُورَةِ (الحجر/ ٥٤ نزول) يُطَالِبُونَ الرَّسُولَ بِأَنْ يُبَدَّلَ مَا لَا يُوَافِقُ هَوَاهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَأْتِي بِمَا يُوَافِقُ هَوَاهُمْ، وَهَذَا مِنَ التَّجْزِئَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَهُوَ يُشَابِهُ مَا فَعَلَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فِي كِتَابِ رَبِّهِمْ، فَاسْتَحَقَّ مُشْرِكُو مَكَّةَ أَنْ يُنْذَرُوا بِعَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ كَمَا أُنْذِرَ الْمُجَرَّيُونَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِكِتَابِ رَبِّهِمْ.

وَبَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ يُمَكِّنُ أَنْ نَفْهَمَ بوضوح فقراتِ هَذِهِ الْآيَاتِ التَّعْطِيبِيَّةِ لِلْوَصِيَّةِ الْخَامِسَةِ.

• ﴿كَمَا أُنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾: الْمُقْتَسِمُونَ: هُمُ الْمُتَعَمِّدُونَ الْمُتَكَلِّفُونَ تَقْسِيمَ الشَّيْءِ وَتَجْزِئَتِهِ. وَالْمُرَادُ بِهِمْ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، الَّذِينَ آمَنُوا بِبَعْضِ كِتَابِ رَبِّهِمْ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ عَلَى وَفْقِ أَهْوَاءِهِمْ، فَحَذَفُوا مِنْهُ مَا لَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ أَوْ أَخَفَوْهُ، وَنَشَرُوا مَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ.

• ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾: أَي: جَعَلُوا كِتَابَ رَبِّهِمْ قِطْعًا

وَأَجْزَاءً، فَأَثْبَتُوا مِنْهُ مَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ، وَحَذَفُوا أَوْ أَخَفَوْا مَا لَمْ يُوَافِقْ أَهْوَاءَهُمْ.

**عِصِينَ:** جَمْعُ «عِصَّةٍ» وَهِيَ الْقِطْعَةُ، جُمِعَ جَمْعَ الْمَذْكُرِ السَّالِمِ لُغَةً عَلَى خِلَافِ الْقِيَاسِ.

والمعنى: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِأَيِّمَةِ الشَّرِّكَ وَالْكَفْرِ الْمُعَانِدِينَ بِالْبَاطِلِ: إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ لَكُمْ أَنْذِرْكُمْ بِعَذَابِ اللَّهِ رَبِّكُمْ يَوْمَ الدِّينِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِنْذَارًا مُمَآثِلًا لِمَا أُنْزِلَ مِنْ إِنْذَارٍ عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ، مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، الَّذِينَ جَزَّوْا كِتَابَهُ فَقَبِلُوا مِنْهُ مَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ، وَحَذَفُوا أَوْ أَخَفَوْا مِنْهُ مَا خَالَفَ أَهْوَاءَهُمْ.

﴿فَوَرَبِّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿لَنَسْتَلَنَّهِنَّ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٩٧﴾ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٨﴾: فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبَعْدَ سُؤَالِهِمْ وَمُحَاسَبَتِهِمْ نَقْضِي بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، ثُمَّ نَأْمُرُ بِتَنْفِيزِ أَحْكَامِنَا فِيهِمْ، عَذَابًا فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا، وَهَذَا يُفْهَمُ بِاللَّزُومِ الْفِكْرِي.

يَسْتَوِي فِي هَذَا الْمُقْتَسِمُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَالْمُقْتَسِمُونَ بَعْدَ بَعْتِكَ، فَسَتَنَّا فِي عِبَادِنَا وَاحِدَةً.

أُظْلِقَ عَلَى مَا أُنْزِلَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ لَفْظُ «الْقُرْآنَ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّفَهُمْ أَنْ يَكْتُبُوهُ حِمَايَةً لَهُ وَحِفْظًا، وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَقْرَؤُوهُ لِيَتَذَبَّرُوا مَعَانِيَهُ مِنَ التَّصْرِ الْمَكْتُوبِ.

الْخَطَابُ مُوجَّهٌ لِلرَّسُولِ ﷺ وَيُرَادُّ بِهِ إِسْمَاعُ الْمَعْنِيِّينَ بِالْمَعَالَجَةِ بِأَسْلُوبٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ.

■ قول الله تعالى لِرَسُولِهِ فِي الْوَصِيَّةِ السَّادِسَةِ:

● ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ...﴾

أي: فَارْفَعْ صَوْتَكَ يَا مُحَمَّدُ بما تُؤْمَرُ بِتَبْلِيغِهِ مُتَابِعاً لِمَا نُنَزِّلُ عَلَيْكَ، وَأَعْلِنُهُ إِعْلَاناً عَامّاً، وَلَا تَقْتَصِرْ عَلَى الدَّعْوَةِ الْإِفْرَادِيَّةِ فِي آذَانِ الْمَدْعُوِّينَ .

فِي الصَّدْعِ مَعْنَى تَوَجِيهِ الدَّعْوَةِ الصَّرِيحَةِ الْعَلَنِيَّةِ بِقُوَّةٍ تَجْعَلُ النُّفُوسَ الْمُتَحَجِّرَةَ الْمُتَصَلِّبَةَ تَنْصَدِعُ، كَمَا تَنْصَدِعُ الْأَوَانِي الرُّجَاجِيَّةُ، أَوْ كَمَا تَنْصَدِعُ الْحَجَارَةُ فَتَتَشَقَّقُ مُتَأَثِّرَةً بِقُوَّةِ مَا يَضْطَرِّدُ بِهَا، لَكِنَّهَا تَبْقَى مُتَمَاسِكَةً الْإِتِّصَالَ فَلَا تَنْكَسِرُ .

وَالصَّدْعُ بِهَذَا الْمَعْنَى كِنَايَةٌ عَنْ قُوَّةِ الْجَهْرِ بِالْبَيَانِ الْمَقْرُونِ بِالْحُجَّةِ الْمُؤَثِّرَةِ فِي النُّفُوسِ وَالْقُلُوبِ .

الصَّدْعُ: هُوَ فِي اللُّغَةِ أَصْلُهُ الشَّقُّ فِي الشَّيْءِ الصَّلْبِ، كَالصَّخْرِ، وَالرُّجَاجِ، وَالْأَرْضِ، وَيَأْتِي الصَّدْعُ بِمَعْنَى الْجَهْرِ وَالْإِعْلَانِ .

■ قول الله تَعَالَى لِرَسُولِهِ فِي الْوَصِيَّةِ السَّابِعَةِ:

• ﴿وَأَعِزِّضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۖ﴾ (٩٤):

أي: وَأَعْطِ عَارِضَكَ لِلْمُشْرِكِينَ الْمَعَانِدِينَ الْمَكَابِرِينَ الْمَصْرِينَ عَلَى بَاطِلِهِمْ، الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَى دَرَكَةِ الْيَأْسِ مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، وَاكْتَشَفَتْ هَذَا فِيهِمْ بَعْدَ مُعَالَجَاتٍ كَثِيرَاتٍ طَوَالَ سِنِي دَعْوَتِكَ مُنْذُ بَعَثْتِكَ حَتَّى نُزُولِ سُورَةِ (الْحَجَرِ/ ٥٤ نَزُول) وَوَجَّهَ عِنَايَتَكَ لِأَخْرِيْنَ غَيْرِ مِيُؤُوسٍ مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ .

■ وَقَدْ اتَّبَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ بِمَنَّةٍ ائْتَنَّ بِهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ تَعَالَى لَهُ:

• ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۖ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٩٦):

جاء عند مُحَمَّدٍ بنِ إِسْحَاقٍ فِيمَا ذَكَرَ ابْنَ كَثِيرٍ، أَنَّ عُظَمَاءَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالرَّسُولِ ﷺ حَمَسَهُ نَفَرٌ، وَكَانُوا ذَوِي أَسْنَانٍ وَشَرَفٍ فِي قَوْمِهِمْ، وَهُمْ:

(١) - «الْأَسْوَدُ بْنُ أَبِي زَمْعَةَ» وَهُوَ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ .

رُويَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ دَعَا عَلَيْهِ لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُ مِنْ أَذَاهُ وَاسْتَهْزَأَهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَغْمِ بَصَرَهُ، وَأَثْكِلْهُ وَلَدَهُ».

(٢) - «الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَعُوثَ» مِنْ بَنِي زُهْرَةَ.

(٣) - «الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ» مِنْ بَنِي مَخْرُومٍ، وَكَانَ رَأْسَ الْمُسْتَهْزِئِينَ،

وَهُوَ الَّذِي جَمَعَهُمْ.

(٤) - «الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ» مِنْ بَنِي سَهْمٍ.

(٥) - «الْحَارِثُ بْنُ الطَّلَاطِلَةِ» مِنْ خُرَاعَةَ. وَرُويَ أَنَّهُ «الْحَارِثُ بْنُ

قَيْسٍ» وَأَنَّهُ عَيْطَلَّةٌ، أَوْ عَيْطَلٌ.

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، أَنَّ

جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقَامَ وَقَامَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنْبِهِ:

• فَمَرَّ بِهِ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَعُوثَ فَأَشَارَ إِلَى بَطْنِهِ فَاسْتَسْقَى<sup>(١)</sup> بَطْنَهُ،

فَمَاتَ مِنْهُ.

• وَمَرَّ بِهِ «الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ» فَأَشَارَ إِلَى أَثَرِ جِرَاحٍ بِأَسْفَلِ كَعْبٍ

رِجْلِهِ، وَكَانَ أَصَابُهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِسَتَيْنِ، وَهُوَ يَجُرُّ إِزَارَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ

مِنْ خُرَاعَةَ يَرِيشُ نَبْلًا لَهُ<sup>(٢)</sup>، فَتَعَلَّقَ سَهْمٌ مِنْ نَبْلِهِ بِإِزَارِهِ، فَخَدَشَ رِجْلَهُ

ذَلِكَ الْخَدَشَ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ، فَاثْتَفَضَ بِهِ فَقَتَلَهُ.

• وَمَرَّ بِهِ «الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ» فَأَشَارَ إِلَى أَخْمَصِ قَدَمِهِ، فَخَرَجَ عَلَى

حِمَارٍ لَهُ يُرِيدُ الطَّائِفَ، فَرَبَضَ (أَي: الْحِمَارُ) عَلَى شِبْرِقَةٍ، فَدَخَلَتْ فِي

أَخْمَصِ قَدَمِهِ (أَي: الْعَاصِ) فَقَتَلَهُ<sup>(٣)</sup>.

(١) يقال لغة: «سَقَى بَطْنَهُ، وَاسْتَسْقَى، وَأَسْقَاهُ اللَّهُ» إِذَا اجْتَمَعَ فِيهِ مَاءٌ أَصْفَرٌ، وَهُوَ مَرَضٌ

مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْأَطْبَاءِ بِدَاءِ الِاسْتِسْقَاءِ.

(٢) يَرِيشُ نَبْلًا لَهُ: أَي: يَضَعُ لَهُ الرِّيشَ.

(٣) الرُّبُوضُ لِلدَّوَابِّ كَالْبُرُوكِ لِلْإِنْسَانِ. وَالشَّبْرِقُ: نَبْتُ حِجَازِيٍّ يُؤْكَلُ وَلَهُ شَوْكٌ، وَإِذَا يَبَسَ

سُمِّيَ: «الضَّرْبِيعُ».

وَمَرَّ بِهِ «الْحَارِثُ بْنُ الظَّلَاطِلَةِ» فَأَشَارَ إِلَى رَأْسِهِ فَاْمْتَحَطَ قَيْحًا فَقَتَلَهُ . انتهى .

فَكَفَى اللَّهَ عِزًّا وَجَلًّا رَسُولُهُ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَهْزِئِينَ الْكِبَارَ مِنْ قَوْمِهِ  
بَعَاهَاتٍ خَاصَّةٍ أَهْلَكَهُمْ بِهَا ، وَامْتَنَّ عَلَى رَسُولِهِ بِذَلِكَ ، إِذْ كَانُوا يُرْعِجُونَهُ  
وَيَحْزِنُونَهُ بِمَا يَبْلُغُهُ مِنْ اسْتِهْزَاءَاتِهِمْ ذَوَاتِ الْأَثَرِ الصَّادِّ عَنْهُ وَعَنْ دَعْوَتِهِ ،  
عَلَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَا زَالُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ .

وَأَبَانَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا كُفْرَهُمُ الشَّرْكَ بِأَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ،  
افْتِرَاءً عَلَيْهِ ، وَضَلَالًا مُبِينًا ، وَتَوَعَّدَهُمْ بِمَا سَوْفَ يُلَاقُونَهُ يَوْمَ الدِّينِ ، مِنْ  
عَذَابٍ أَلِيمٍ جَزَاءَ كُفْرِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِرَسُولِهِ ، فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى :  
﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ أَي : فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ صِدْقَ إِنْدَارَاتِ الرَّسُولِ لَهُمْ .

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ فِي الْوَصِيَّةِ الثَّامِنَةِ مَعَ التَّوْطِئَةِ لَهَا :

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ  
السَّاجِدِينَ ﴿ ٩٨ ﴾ :

يُؤَكِّدُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا لِرَسُولِهِ بِعِبَارَةٍ ﴿ لَقَدْ ﴾ مَعَ مَخَاطَبَتِهِ لَهُ بِضَمِيرِ  
الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ ، أَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَأَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، يَعْلَمُ حَتَّى مَا  
يَحْدُثُ فِي صُدُورِ عِبَادِهِ مِنْ انْقِبَاضِ نَفْسِيٍّ وَضِيقٍ بِأَيِّ سَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ ،  
وَمِنْهَا مَا يَقُولُ النَّاسُ مِنْ مُزْعَجَاتٍ وَأَقْوَالٍ غَيْرِ مُسْتَحَبَّاتٍ فِي نَفْسٍ مِنْ  
قِيلَتْ فِيهِ ، لَمَّا فِيهَا مِنْ غَمَزٍ أَوْ لَمَزٍ أَوْ تَجْرِيحٍ .

فَأَوْصَى اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا رَسُولُهُ بِوَصِيَّةٍ فِيهَا دَوَاءٌ دِينِيٌّ يَشْتَمِلُ عَلَى أَمْرَيْنِ :

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ : أَنْ يُسَبِّحَ بِحَمْدِ رَبِّهِ ، أَي : أَنْ يُرَدِّدَ فِي ذِكْرِهِ لِرَبِّهِ

عِبَارَةً : «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» وَهِيَ اخْتِصَارٌ لِعِبَارَةِ : أُسَبِّحُ سُبْحَانَ اللَّهِ ،  
وَأُحَمِّدُ اللَّهَ بِحَمْدِهِ لِنَفْسِهِ : أَي : أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْتَوْفِيَ حَقَّ اللَّهِ مِنْ  
التَّسْبِيحِ ، وَأَنَا مَهْمَا حَمَدْتُ اللَّهَ فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُحْصِيَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ بِمَا  
يَسْتَحِقُّ ، فَاسْبَحْ سُبْحَانَ اللَّهِ لِنَفْسِهِ ، وَأُحَمِّدْهُ بِمَا أَثْنَى بِهِ عَلَى نَفْسِهِ .

تَسْبِيحُ اللَّهِ: هو تَزْيِيهُ اللَّهِ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ: هو الثناء على الله بِصِفَاتِ كَمَالِهِ، على وَفْقِ المحامدِ الَّتِي يَحْمَدُ اللَّهُ بِهَا ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ على مَا يَعْلَمُ مِنْ كَمَالَاتِهِ.

الأمر الثاني: أَنْ يَكُونَ سَاجِدًا لِرَبِّهِ، مِنْ فِئَةِ السَّاجِدِينَ الْكَامِلِينَ، الْمُؤَدِّينَ غَايَةَ الْخُضُوعِ وَالذُّلِّ لَهُ، وَالتَّضَرُّعِ فِي دُعَائِهِ لَهُ.

(ال) في لفظ ﴿التَّسْجِدِينَ﴾ للكمال.

إِنَّهُ بَاسْتِعْمَالِ هَذَا الدَّوَاءِ التَّعْبُدِيِّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَشْرَحُ اللَّهُ لَهُ صَدْرَهُ، وَيَصْرِفُ عَنْهُ مَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ مِنْ ضِيقٍ، بِسَبَبِ إِذْءَاتِ الْكُفْرَةِ الْمُشْرِكِينَ لَهُ.

قول الله تَعَالَى لِرَسُولِهِ فِي الْوَصِيَّةِ التَّاسِعَةِ:

• ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْنِيكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩):

أَي: وَتَابِعْ عِبَادَتَكَ لِرَبِّكَ، وَمِنْهَا قِيَامُكَ بِوُظَائِفِ رِسَالَتِكَ الَّتِي حَمَلَكَ رَبُّكَ أَعْبَاءَهَا وَاضْطَفَاكَ لَهَا مِنْ دُونِ سَائِرِ خَلْقِهِ، حَتَّى آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ عُمْرِكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

فَأَنْتَ مُكَلَّفٌ أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي عِبَادَتِكَ لِرَبِّكَ بِمُخْتَلِفِ أَنْوَاعٍ وَأَصْنَافٍ الْعِبَادَاتِ الْمُطْلُوبَةِ مِنْكَ، وَمِنْهَا أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي أَدَاءِ وَظَائِفِ رِسَالَتِكَ تَبْلِيغًا وَتَعْلِيمًا وَتَرْبِيَّةً وَنُصْحًا وَإِشَادًا، وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيًا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَقِيَادَةً حَكِيمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ. ﴿حَتَّى يَأْنِيكَ الْيَقِينُ﴾: أَي: حَتَّى يَأْتِيكَ الْمَوْتُ الَّذِي لَا يَشُكُّ فِيهِ شَاكٌّ مِنْ عُقْلَاءِ الْأَحْيَاءِ.

وبهذا انتهى تدبر سورة (الحجر/ ٥٤ نزول).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



(١١)

**ملحق: حَوْلَ مستخرجات بلاغية من سورة (الحجر/ ٥٤ نزول)**

تَشْتَمِلُ هذه السُّورَةُ عَلَى رَوَائِعِ بِلَاغِيَّةٍ كَثِيرَةٍ، وَأَكْتَفِي بِاسْتِخْرَاجِ مَا يَلِي مِنْهَا:

**أولاً: مِنَ الْكِنَايَاتِ فِي السُّورَةِ:**

(١) قول الله تَعَالَى بِشَأْنِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ:

• ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (٤٨):

في هذ الآية كِنَايَتَانِ:

الأولى: في عبارة ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾: أي: هُمْ لَا يَكْدَحُونَ لِكَسْبِ أَرْزَاقِهِمْ وَمَا يَشْتَهُونَ، بَلْ يَأْتِيهِمْ مَا يَطْلُبُونَ مِنْهَا عَفْوَاً صَفْوَاً.

الثانية: في عبارة ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾. أي: هُمْ خَالِدُونَ مُنْعَمُونَ بِنِعْمِهَا أَبَداً بِلَا نِهَايَةٍ.

(٢) قول الله تَعَالَى حِكَايَةَ لِمَقَالَةِ الرُّسُلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ

السَّلَام:

• ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٥٧) ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ (٥٨):

أي: هُمْ مُرْسَلُونَ إِلَى إِهْلَاكِ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ وَتَعْذِيبِهِمْ، فَبِإِذْنِهِ وَصَفَهُمْ لِقَوْمٍ لُّوِطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ، مَعَ قَرِينَةٍ إِرْسَالِهِمْ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ، كِنَايَةً عَنْ أَنَّهُمْ يَحْمِلُونَ رِسَالَةَ تَعْذِيبٍ وَإِهْلَاكِ لَهُمْ.

**ثانياً: مِنَ الْإِيجَازِ بِالْحَذْفِ فِي السُّورَةِ:**

قولُ الله تَعَالَى فِي وَصْفِ «ثَمُودَ» قَوْمِ النَّبِيِّ الرَّسُولِ صَالِحٍ عَلَيْهِ

السَّلَام:



• ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ (٨٢):

أي: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ﴾ صُحُورًا ﴿مِنَ الْجِبَالِ﴾ وَيَتَّخِذُونَ مِنْهَا مَسَاكِينَ لِيَسْكُنُوهَا ﴿ءَامِنِينَ﴾.

ثالثاً: مِنَ التَّضْمِينِ فِي السُّورَةِ:

قول الله تَعَالَى بِشَأْنِ إِهْلَاكِ ثَمُودَ قَوْمِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

• ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ (٨٣) ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨٤):

أي: فَمَا كَفَاهُمْ فَصَرَفَ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ لَهُمْ وَإِهْلَاكُهُ لَهُمْ، مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ مِنْ وَسَائِلِ قُوَّةٍ وَدِفَاعٍ وَأَمْنٍ.

ضُمِّنَ فِعْلُ «أَغْنَىٰ» مَعْنَى فِعْلِ «صَرَفَ» فَعُدِّي تَعْدِيَّتُهُ بِحَرْفِ الْجَرِّ «عَنْ» فَأَغْنَى الْفِعْلُ عَنْ فِعْلَيْنِ، وَأَغْنَى الْجُمْلَةُ عَنْ جُمْلَتَيْنِ.

رابعاً: مِنْ اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي مَعْنِيهِ فَأَكْثَرَ:

(١) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ اسْتِثْنَاءِ امْرَأَةٍ لُوطٍ مِنَ النَّاجِينَ مِنْ أَهْلِهِ:

• ﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥٩) ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٦٠):

الغابر: الماكث الَّذِي لَا يُغَادِرُ. وَالذَّاهِبُ الْمَاضِي الَّذِي لَمْ يَبْقَ لَهُ وَجُودٌ.

هذان المعنيان يُنْطَبِقَانِ عَلَى امْرَأَةِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهِيَ لَمْ تَسْتَطِعْ مَغَادَرَةَ أَرْضِ الْقَوْمِ مَعَ زَوْجِهَا وَابْنَتَيْهَا، وَلَمْ يَبْقَ لَهَا وَجُودٌ حَيٌّ فِي الْأَرْضِ، بَلْ هَلَكَتْ مَعَ الْهَالِكِينَ، وَذَهَبَتْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَعَ الذَّاهِبِينَ.

(٢) وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي وَصْفِ قَوْمِ لُوطٍ إِذْ جَاءُوا إِلَى دَارِهِ حِينَ عَلِمُوا بِاسْتِضَافَتِهِ شَبَانًا مُرْدًا حَسَنًا، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ رُسُلٌ إِهْلَاكِهِمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَتَّبِعُونَ الْفَاحِشَةَ فِيهِمْ:

• ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: ﴿١٧﴾:

أي: يَفْرَحُونَ بما سَيُصِيبُونَ مِنْ اسْتِمْتَاعٍ يُحِبُّونَهُ، وَيُبَشِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بما يُفْرِحُهُمْ.

يُقَالُ لغة: «اسْتَبَشَرَ» أي: فَرِحَ وَسُرَّ. ويقال: «اسْتَبَشَرَ فُلَانٌ فُلَانًا» أي: بَشَّرَهُ بِمَا يُفْرِحُهُ وَيَسُرُّهُ.

خامساً: مِنَ الْقَصْرِ فِي السُّورَةِ مَا يَلِي:

(١) قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾: ﴿٤١﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَصْرٌ إِهْلَاكُ كُلِّ قَرْيَةٍ أَهْلَكَتْ عَلَى كَوْنِ إِهْلَاكِهَا مُسَجَّلًا فِي كِتَابٍ مَعْلُومٍ قَبْلَ إِهْلَاكِهَا.

وَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ مِنْ قَصْرِ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ، أَيْ بِالْإِضَافَةِ إِلَى كَوْنِ إِهْلَاكِهَا الْحَاصِلِ عَمَلًا مُرْتَجَلًا غَيْرَ مَسْبُوقٍ بِتَقْدِيرٍ وَقَضَاءٍ وَتَسْجِيلٍ فِي كِتَابٍ.

وَأَدَاةُ الْقَصْرِ فِيهَا النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ.

(٢) وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ كُفَّارِ الْأَوَّلِينَ:

• ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: ﴿١١﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَصْرٌ كُفَّارِ الْأَوَّلِينَ عَلَى صِفَةٍ اسْتَهْزَائِهِمْ بِرُسُلِ رَبِّهِمْ.

وَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ مِنْ قَصْرِ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ، أَيْ: بِالْإِضَافَةِ إِلَى كَوْنِهِمْ لَا يَسْتَهْزِئُونَ بِرُسُلِ رَبِّهِمْ.

وَأَدَاةُ الْقَصْرِ فِيهَا النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ.

(٣) وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٣٣﴾﴾ :

في هَذِهِ الْآيَةِ قَصْرَان: قَصْرُ الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَقَصْرُ وِرَاثَةِ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بِمَعْنَى ظُهُورِ مِلْكِيَّةِ اللَّهِ لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْأَكْوَانِ، لِأَنَّ اللَّهَ إِذَا أَمَاتَ كُلَّ الْأَحْيَاءِ ظَهَرَ انْفِرَادُهُ فِي الْمُلْكِ، وَسَقَطَتِ الْمِلْكِيَّاتُ الصُّورِيَّةُ الَّتِي كَانَ قَدْ مَنَحَهَا لِعِبَادِهِ.

وهو في الْجَمَلَتَيْنِ قَصْرٌ حَقِيقِي، مِنْ قَصْرِ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ.

وأداة القصر فيهما تَعْرِيفٌ طَرَفِي الْإِسْنَادِ.

(٤) قول الله عَزَّ وَجَلَّ خُطَاباً لِرَسُولِهِ:

• ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ :

في هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ قَصْرَان:

الأول: قَصْرُ صِفَتَيِ الْغُفُورِ الرَّحِيمِ عَلَى اللَّهِ، فَلَا يَتَّصِفُ بِكَمَالِ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ.

وهو قَصْرٌ حَقِيقِي مِنْ قَصْرِ الصِّفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ.

الثاني: قصر صِفَةِ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْبَالِغِ غَايَةِ الْإِيلَامِ عَلَى عَذَابِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَتْ قُدْرَتُهُ.

وهو قَصْرٌ حَقِيقِي مِنْ قَصْرِ الصِّفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ.

وأداة القصر فيهما تعريف طَرَفِي الْإِسْنَادِ.

(٥) قول الله تعالى بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿٥٨﴾﴾ :

في هَذَا الْبَيَانِ قَصْرٌ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا عَلَى

كَوْنِهِ مُتَّصِفًا بِالْحَقِّ، لَرَدِّ فِكْرَةِ الْعَبَثِ الَّتِي هِيَ بَاطِلٌ لَا يَكُونُ مِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ.

وَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِي لِدَفْعِ تَصَوُّرَاتِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْجِزَاءِ الرَّبَّانِيِّ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ.

وَأَدَاةُ الْقَصْرِ فِيهِ النِّفْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ.

(٦) وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٦):

فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَصْرٌ صِفَتِي الْخَلَّاقِ الْعَلِيمِ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَهُوَ قَصْرٌ حَقِيقِيٌّ مِنْ قَصْرِ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ.

وَأَدَاةُ الْقَصْرِ فِيهِ تَعْرِيفُ طَرَفِي الْإِسْنَادِ.

(٧) وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خُطَابًا لِرَسُولِهِ:

• ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ (٨٩):

فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَصْرٌ كَوْنِ الرَّسُولِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَصْرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، عَلَى أَنَّهُ النَّذِيرُ الْمُبِينُ لَهُمْ.

وَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِي، أَيْ: بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا يُؤَدِّي لَهُؤُلَاءِ مِنْ وَظَائِفِ رِسَالَتِهِ. وَهُوَ مِنْ قَصْرِ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ.

وَأَدَاةُ الْقَصْرِ فِيهِ تَعْرِيفُ طَرَفِي الْإِسْنَادِ.

سادساً: مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى الْقَرِيبِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ الْمَوْضُوعِ لِلْبَعِيدِ لِدَوَاعِ بِلَاغِيَّةٍ، فِي السُّورَةِ:

(١) قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ (٩٠):

جاءت الإشارة إلى آيات القرآن القريبة المثلوة باسم الإشارة في ﴿تِلْكَ﴾ الموضوع للبعيد، للدلالة على ارتفاع منزلتها وعلو شأنها، بلاغة ومضامين فكرية علمية وتربوية وغيرهما.

(٢) وقول الله عز وجل بشأن قوم لوط وإخباره بأن إهلاكهم صار أمراً مفضياً لا بد من تنفيذه:

• ﴿وَفَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحِينَ ﴿١١﴾﴾:

جاءت الإشارة إلى أمر إهلاكهم القريب الوقوع باسم الإشارة في ﴿ذَلِكَ﴾ الموضوع للمشار إليه البعيد، للدلالة على أن الأمر العظيم الفطيع الذي كان مستبعداً جداً، قد تم به القضاء الرباني وصار حقيقة وشيكة الوقوع.

سابعاً: من التوكيد بالمؤكدات في السورة لوجود الداعي إليه:

أورد هنا النصوص التي استخرجتها دون بيان وتحليل، إذ قد سبق في المستخرجات البلاغية من السور التي سبق تدبرها أمثلة كثيرة يمكن القياس عليها بسهولة ويسر.

(١) قول الله تعالى:

• ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّمَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾:

(٢) وقول الله تعالى:

• ﴿... وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ... ﴿٨٥﴾﴾:

(٣) وقول الله تعالى:

• ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾:

(٤) وقول الله تَعَالَى لِرَسُولِهِ :

• ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ (٨٧) :

(٥) وقول الله تعالى :

• ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٢) :

(٦) وقول الله تَعَالَى خِطَاباً لِرَسُولِهِ :

• ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (٩٥) :

(٧) وقول الله تعالى له أيضاً :

• ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧) :

وبهذا تَمَّ هَذَا الملحق والحمد لله على معونته وتوفيقه ومَدَدِهِ وفتحِهِ .



## سورة الأنعام

٦ مصحف ٥٥ نزول

وهي سورة مكِّيَّة كلّها

في أصح الأقوال

وعدد آياتها ١٦٥





(١)

## نصّ السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ  
 ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ  
 طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾  
 وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا  
 تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا  
 عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ  
 أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ  
 مِنْ قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ  
 عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمْ فَاهْلَكْنَاهُمْ بِدُؤُنِهِمْ  
 وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي

٤ - • قرأ ورش، والسوسي، وأبو جعفر: [وَمَا تَأْتِيهِمْ] بإبدال الهمزة ألفاً، وكسر الهاء.  
 وكذلك حمزة في الوقف.

وقرأ يعقوب: [وَمَا تَأْتِيهِمْ] بالهمزة دون إبدال وبضم الهاء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَمَا تَأْتِيهِمْ] بالهمزة وكسر الهاء.

٦ - • قرأ السوسي، وأبو جعفر: [وَأَنْشَأْنَا] بإبدال الهمزة بعد الشين ألفاً.

وكذلك حمزة في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَأَنْشَأْنَا] بالهمزة دون إبدال.

قِرطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنْزٌ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ

٧ - • قرأ يعقوب: [بِأَيْدِيهِمْ] بضم هاء الضمير.

وقرأها باقي القراء العشرة: [بِأَيْدِيهِمْ] بكسر هاء الضمير.

١٠ - • قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمة، ويعقوب: [وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُ] بكسر دال «لقد» في الوصل، وبالهمزة.

وقرأها أبو جعفر: [وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُ] بضم الدال، وإبدال الهمزة ياءً.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُ] بضم الدال وبالهمزة.

١٤ - • فتح نافع، وأبو جعفر ياء المتكلم من [إِنِّي أُمِرْتُ]. وأسكنها باقي القراء العشرة.

١٥ - • فتح نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ياء المتكلم من: [إِنِّي أَخَافُ]. وأسكنها باقي القراء العشرة.

عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ  
فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْأَمِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بَضْرٍ  
فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بَخِيرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾  
قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا  
الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً  
أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ  
﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ  
خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى  
اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ  
نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ

١٦ - • قَرَأَ شُعْبَةً، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [مَنْ يُصْرِفْ] بالفعل

المبني للمعلوم، أي: مَنْ يُصْرِفِ اللَّهُ عَنْهُ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [مَنْ يُصْرِفْ] بالفعل المبني لما لم يُسَمَّ فاعله.

وبين القراءتين تكاملٌ في الأداء البياني.

١٩ - • قرأ ابن كثير: [الْقُرْآنُ] بحذف الهمزة.

وقرأها باقي القراء العشرة: [الْقُرْآنُ] بإثبات الهمزة.

٢٢ - • قرأ يعقوب: [وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ] بالياء في الفعلين، أي:

يَحْشُرُهُمُ اللَّهُ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ] بالنون في

الفعلين، والفاعل ضمير المتكلم العظيم.

وبين القراءتين تَفَنُّنٌ بياني.

نَزْعُمُونَ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا  
 مُشْرِكِينَ ﴿٢٤﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا  
 يَفْتَرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ  
 يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى  
 إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيزُ  
 الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلَكُونَ إِلَّا  
 أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْلَنَا  
 نُرْدُ وَلَا نُكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ  
 مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ  
 لَكَاذِبُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ  
 ﴿٣٠﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا

٢٣ - • قرأ نافع، وأبو عمرو، وشعبة، وأبو جعفر، وخلف: [ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْهُمْ] بقاء المضارعة، وينصب «فتنة».

وقرأها ابن كثير، وابن عامر، وحفص: [ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْهُمْ] بقاء المضارعة، ورفع «فتنة».

وقرأها باقي القراء العشرة: [ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فَتَنْهُمْ] بقاء المضارعة، وينصب «فتنة» وهي وجوه عربية جائزة، ومتكافئة من جهة المعنى.

٢٣ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [وَاللَّهِ رَبَّنَا] أي: يا ربنا، وقرأها باقي القراء العشرة: [وَاللَّهُ رَبَّنَا] بالجر.

٢٧ - • قرأ حفص، وحمزة، ويعقوب: [وَلَا نُكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ] بنصب الفعلين.

وقرأها ابن عامر: [وَلَا نُكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ] برفع الفعل الأول ونصب الفعل الثاني.

وقرأها باقي القراء العشرة: برفع الفعلين.

بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣١﴾ قَدْ حَسَرَ  
 الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَعْتَهُ قَالُوا  
 يَحْسَرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ  
 أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ  
 وَلِلْآخِرَةِ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٣﴾ قَدْ نَعْلَمُ  
 إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ  
 بِبَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ يَحْجِدُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ كَذَبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ  
 فَصَبِرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُودُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ  
 اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٥﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ  
 إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْطِطِعْتَ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي  
 السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا  
 تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ

٣٢ - • قرأ ابن عامر: [وَلِلْآخِرَةِ] أي: وَلِلْآخِرَةِ الْآخِرَةُ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلِلْآخِرَةِ الْآخِرَةُ] على أن «الآخرة» وصف للدار.

وبين القراءتين تفنُّن في البيان، والمؤدَّى واحد.

٣٢ - • قرأ نافع، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] بتاء

المخاطبين. وقرأها باقي القراء العشرة: [أَفَلَا يَعْقِلُونَ] بياء الغائبين.

وبين القراءتين تكامل في الأداء البياني.

٣٣ - • قرأ نافع: [لِيَحْزُنَكَ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [لِيَحْزُنَكَ]. أَحْزَنَهُ وَحَزَنَهُ لغتان عربيان.

٣٣ - • قرأ نافع، والكسائي: [لَا يُكَذِّبُونَكَ] من فعل: «أَخَذَبَهُ».

وقرأها باقي القراء العشرة: [لَا يُكَذِّبُونَكَ] من فعل: «كَذَّبَهُ».

والقراءتان متكافئتان، فالهمز أخو التضعيف.

وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ  
 آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ  
 أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ  
 يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ  
 ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُفٌّ وَبِكُمْ  
 فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ  
 مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ  
 السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ  
 تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ  
 ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ  
 لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ

٣٦ - • قرأ يعقوب: [يُرْجَعُونَ] بالبناء للمعلوم.

وقرأها باقي القراء العشرة: [يُرْجَعُونَ] بالبناء لما لم يُسمَّ فاعله.

وبين القراءتين تكامل، أي: يُرْجَعُهُمُ اللَّهُ فَيُرْجَعُونَ مُطَاوِعِينَ بالجبر.

٣٧ - • قرأ ابن كثير: [يُنْزِلَ] من فعل: «أنزل».

وقرأها باقي القراء العشرة: [يُنْزِلَ] مِنْ فعل: «نزل».

والقراءتان متكافئتان، لأنَّ الهمز آخر التضعيف.

٣٩ - • قرأ أبو جعفر: [وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ] بإبدال الهمزة ألفاً.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ] بالهمزة الساكنة.

٣٩ - • أَشَمَّ صَادَ [صِرَاطٍ] صَوْتُ الزاي قبل، ورؤيس، وخلف عن حمزة.

وقرأها باقي القراء العشرة: صاداً خالصة.

٤٢ و٤٣ - • قرأ أبو جعفر، والسُّوسي: [بِالْبَأْسَاءِ] و[بِأَسْنَا] بإبدال الهمزة ألفاً

فيهما. وهذا الإبدال من اللهجات العربية.

وقرأهما باقي القراء العشرة: [بِالْبَأْسَاءِ] و[بِأَسْنَا] بالهمزة على الأصل.

فَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾  
 فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ  
 حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾  
 فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ  
 أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ  
 غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ  
 يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنُكِّمُ عَذَابَ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ  
 جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ  
 الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ  
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمْ  
 الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي  
 خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ  
 إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا  
 تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ

٤٤ - • قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ورؤيس: [فَتَحْنَا] بِتَشْدِيدِ التَّاء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَتَحْنَا] بِتَخْفِيفِ التَّاء.

وبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد، وهما يدلان على أن بعض الأقسام يَفْتَحُ الله لَهُمْ فَتْحًا عَادِيًّا، وَأَنَّ آخَرِينَ يُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ كُلِّ شَيْءٍ بتوسعة زائدة على الفتح المعتاد، بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ حُكْمَةُ السَّيِّئَةِ.

٤٦ - • أشم الصاد صوت الزاي في: [يَصْدِفُونَ] حمزة، والكسائي، وخلف،

ورؤيس. وقرأها باقي القراء العشرة: بالصاد الخالصة.

لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَّا بَيْنَنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ

٥٢ - • قرأ ابن عامر: [بِالْغَدَاةِ] وقرأها باقي القراء العشرة: [بِالْغَدَاةِ].

الْغَدَاةُ، وَالْغَدَاةُ لَغَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ لِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ مَا بَيْنَ الْفَجْرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ.

٥٤ - • قرأ نافع، وأبو جعفر، بفتح همزة: [أَنَّهُ مَن] وكسّر همزة: [فَإِنَّهُ].

وَقَرَأَهُمَا ابْنُ عَامِرٍ، وَعَاصِمٌ، وَيَعْقُوبُ، بِفَتْحِ الْهَمْزَيْنِ.

وَقَرَأَهُمَا بَاقِي الْقُرَاءِ الْعَشْرَةِ، بِكَسْرِ الْهَمْزَيْنِ.

وَهِيَ وَجْهٌ جَائِزَةٌ عَرَبِيَّةٌ.

٥٥ - • قرأ نافع، وأبو جعفر: [وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ] بنصب «سبيل».

وَقَرَأَهُمَا شُعْبَةُ، وَحُمَزة، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلْفٌ: [وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ] بِيَاءِ

الْمُضَارَعَةِ وَبَرَفِ «سَبِيل».

وَقَرَأَهُمَا بَاقِي الْقُرَاءِ الْعَشْرَةِ: [وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ] بِتَاءِ الْمُضَارَعَةِ وَبَرَفِ

«سَبِيل».



الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا  
 عِندِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ ۚ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ  
 خَيْرُ الْفَصِّلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَن عِندِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ  
 الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾  
 وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ  
 وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي  
 ظُلْمَتٍ إِلَّا رِيشٌ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾  
 وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ  
 يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ  
 يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ  
 وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا  
 وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ۖ أَلَا لَهُ  
 الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسْبَيْنِ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُجْحِكُمْ مِّن ظُلْمَتِ الْبَرِّ

٥٧ - • قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم، وأبو جعفر: [يَقْضُ الْحَقَّ].

وقراها باقي القراء العشرة: [يَقْضِ الْحَقَّ].

وبين القراءتين تكاملاً في أداء المعنى المراد.

٦١ - • قرأ حمزة: [تَوَفَّتْهُ] مع الإمامة.

وقراها باقي القراء العشرة: [تَوَفَّتْهُ]. وهما وجهان عربيان جائزان.

٦١ - • قرأ أبو عمرو: [رُسُلُنَا] بإسكان السين.

وقراها باقي القراء العشرة: [رُسُلْنَا] بضم السين.

وهما لغتان عربيّتان.

٦٣ - • قرأ يعقوب: [قُلْ مَن يُجْحِكُمْ] من فعل «أَنْجَى».

وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَتَجَنَّبُنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ  
 الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ  
 تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ  
 أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ  
 أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ  
 قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ  
 وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ  
 عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ

= وقرأها باقي القراء العشرة: [قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ] من فعل: «نَجَّى».  
 والقراءتان متكافئتان.

٦٣ - • قرأ شعبة: [وْخُفْيَةً] بكسر الخاء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وْخُفْيَةً] بضم الخاء.

«خُفْيَةً وَخُفْيَةً» لغتان عربيتان.

٦٣ - • قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: [لَّيْنٍ أَنْجَانًا].

وقرأها باقي القراء العشرة: [لَّيْنٍ أَنْجَيْنَا].

وبين القراءتان تكامل، إذ بعض الناس يخاطبون ربهم بهذا، وآخرون يقولون:  
 لَّيْنٍ أَنْجَانًا.

٦٤ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن ذكوان، ويعقوب: [قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ]  
 من فعل «أَنَجَّى» المهموز.

وقرأها باقي القراء العشرة: [قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ] من فعل «نَجَّى» المضعف.

٦٥ - • قرأ السوسي، وأبو جعفر: [بَأْسٍ] بإبدال الهمزة ألفاً.

وقرأها باقي القراء العشرة: [بَأْسٍ] بالهمزة الساكنة.

٦٥ - • قرأ أبو عمرو، وابن ذكوان، وعاصم، وحمزة بكسر تنوين: [بَعْضٍ أَنْظُرْ] في الوصل.

وقرأها باقي القراء العشرة: بضم تنوين: [بَعْضٌ أَنْظُرْ] في الوصل.

٦٨ - • قرأ ابن عامر: [يُنْسِيَنَّكَ] من فعل «نَسَى».

وقرأها باقي القراء العشرة: [يُنْسِيَنَّكَ] من فعل «أَنَسَى» والقراءتان متكافئتان.

بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُوتُ  
مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرٌ لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُ  
﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ  
الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ  
دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ  
مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ  
وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ  
اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا  
اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ  
يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ اثْنًا قُلْ إِنِّي هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ  
وَأَمَرَنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ  
وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ  
الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ  
وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
لِأَبِيهِ ءَا زَرَ اتَّخَذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ءِإِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ

٧١ - • قرأ حمزة: [اسْتَهْوَتْهُ] مع الإمامة.

وقرأها باقي القراء العشرة: [اسْتَهْوَتْهُ].

وهما وجهان عربيان جائزان.

٧٤ - • قرأ يعقوب: [ءَا زَرَ] بالضم على أنه علم مُنَادَى.

مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ  
 هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى  
 الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي  
 لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ  
 هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا  
 تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ  
 قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ

= وقرأها باقي القراء العشرة: [ءازر] بالفتح على أنه بدلٌ أو عطف بيان مجرور بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف.

٧٤ - • فتح نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر ياء المتكلم في: [إِنِّي أَرَاكَ].

وأسكنها باقي القراء العشرة.

٧٩ - • فتح نافع، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر ياء المتكلم من: [وَجْهِيَ لِلَّذِي].

وأسكنها باقي القراء العشرة.

٨٠ - • قرأ نافع، وابن عامر، بخُلفٍ عن هشام، وأبو جعفر: [أَتُحَاجُّونِي] بكسر النون دُونَ تَشْدِيد.

وقرأها باقي القراء العشرة: بالتشديد: [أَتُحَاجُّونِي] أصلها «أَتُحَاجُّونِي». وهو الوجه الثاني لابن عامر برواية هشام.

٨٠ - • أثبت ياء المتكلم في: [وَقَدْ هَدَانِي] يعقوب في الوصل والوقف. وأثبتها أبو عمرو، وأبو جعفر في الوصل فقط.

ولم يُثَبِّتها باقي القراء العشرة، وهي مُلَاحَظَةٌ ذَهْنًا دَلَّتْ عَلَيْهَا الكسرة على النون.

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا  
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ  
أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ  
الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ  
يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾  
وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ  
نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ  
وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ  
دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي  
الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ  
الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِلْيَاسَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا  
فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ

٨١ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: [مَا لَمْ يُنَزَّلْ] من فعل: «أُنْزِلَ».

وقرأها باقي القراء العشرة: [مَا لَمْ يُنَزَّلْ] من فعل: «نَزَلَ».

والقراءتان متكافئتان، فالهَمْزُ أخو التضعيف.

٨٣ - • قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [دَرَجَاتٍ مِّنْ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [دَرَجَاتٍ مِّنْ] على الإضافة.

القراءتان مِنَ التَّفْنُنِ في التعبير.

٨٥ - • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [وَزَكَرِيَّا].

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَزَكَرِيَّا] بإثبات الهمزة.

وهما نُطْقَانِ مستعملان لهذا الاسم.

٨٦ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [وَالْيَاسَعَ].

وَأَجْنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ  
يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ  
فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ  
﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا  
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا  
قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ  
مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ  
قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا  
ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ تَعْلَمُ ذُرَّهُمْ فِي خَوَاصِّهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ

= وقرأه باقي القراء العشرة: [وَالْيَسَعَ].

وهما نطقان لهذا الاسم.

٨٧ - • قرأ قُتَيْل، ورؤيس: [صِرَاطٍ] بالسَّيْن. وقرأها خلف عن حمزة بالإشمام.

وقرأها الباقون بالصاد: [صِرَاطٍ].

٨٩ - • قرأ نافع: [وَالنُّبُوَّةَ]. وقرأها باقي القراء العشرة: [وَالنُّبُوَّةَ].

٩٠ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وأبو جعفر: [أَقْتَدَهُ] بإثبات  
هاء السَّكْتِ في الوصل والوقف. وكذلك قرأها حمزة، والكسائي، ويعقوب،  
وخلف، وابن عامر في الوقف فقط.

وقرأها حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [أَقْتَدِ] في الوصل.

وقرأها هشام: [أَقْتَدِوْهُ] في الوصل بكسرة للهاء دون إشباع لمد الهاء.

وقرأها ابن ذكوان مثل هشام في الوصل مع إشباع كسرة الهاء.

٩١ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: [يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ] بياء  
المضارعة الَّتِي تُسْتَعْمَلُ للغائبين.

وقرأها باقي القراء العشرة: بياء المخاطبين: [تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ].

أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَإِنِّي تُوَفَّكُونَ ﴿٩٥﴾

٩٢ - • قرأ شعبة: [وَلِنُنْذِرَ] بياء الغائب.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلِنُنْذِرَ] بقاء المخاطب. وهو الرسول ﷺ.  
وبين القراءتين تكامل في الأداء البياني.

٩٣ - • قرأ يعقوب: [أَيْدِيهِمْ] بضم هاء الضمير، وهو لغة.

وقرأها باقي القراء العشرة: بكسر هاء الضمير.

٩٤ - • قرأ نافع، وحفص، والكسائي، وأبو جعفر: [تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ].

ومؤدّى القراءتين واحد، وهما من التفتن في التعبير.

٩٥ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة: [الْمَيِّتِ] بإسكان الياء في الموضعين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [الْمَيِّتِ] بتشديد الياء المكسورة.

فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُمُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ

٩٥ - • قرأ ورش، والسوسي، وأبو جعفر، [تَوْفُكُونَ] بإبدال الهمزة واوًا مَدِّيَّة، وهو من اللهجات العربية.

وقراها باقي القراء العشرة: [تَوْفُكُونَ].

٩٦ - • قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: [وَجَعَلَ اللَّيْلَ] بالفعل الماضي: ونصب «الليل».

وقراها باقي القراء العشرة: [وَجَاعِلُ اللَّيْلِ] باسم الفاعل وجرَّ الليل.

٩٨ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورواح: [فَمُسْتَقَرٌّ] بِكسْرِ القاف، اسم فاعل من «استقر».

وقراها باقي القراء العشرة: [فَمُسْتَقَرٌّ] اسم مكان.

٩٩ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [إِلَى ثَمَرِهِ]. وقراها باقي القراء العشرة: [إِلَى ثَمَرِهِ]: «ثَمَرٌ» و«ثَمَرٌ» جَمْعُ «ثَمَرَةٍ» فالمعنى واحد.

١٠٠ - • قرأ نافع، وأبو جعفر: [وَوَخَّرُوا] بِشَدِيدِ الرَّاءِ، أي: بالغوا بالافتراء.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَوَخَّرُوا] براء مفتوحة دُون تَشْدِيدِ.



السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا

= والقراءتان تُعْبَرَانِ عَنْ حَالَيْنِ لِقَرِيبَيْنِ مِنَ الْكَافِرِينَ الْمُفْتَرِينَ عَلَى اللَّهِ .

١٠٥ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: [دَارَسْتَ].

وقرأ ابن عامر، ويعقوب: [دَرَسْتَ].

وقرأ باقي القراء العشرة: [دَرَسْتَ].

١٠٨ - • قرأ يعقوب: [عُدُّوْا].

وقرأها باقي القراء العشرة: [عَدُّوْا].

١٠٩ - • قرأ أبو عمرو: [وَمَا يُشْعِرُكُمْ] بجزم الراء. وله وجه آخر عن الدَّوْرِي، وهو

اختلاسُ ضَمَّةِ الراء.

إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنَقَلَبُ أَفْعِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ  
يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴿١١١﴾  
وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ  
شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ  
يَجْهَلُونَ ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ  
وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ  
رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَلِنَصْغِي إِلَيْهِ أَفْعِدَةٌ  
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ

= وقرأها باقي القراء العشرة: [وَمَا يُشْعِرُكُمْ] بالرفع.

١٠٩ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وخلف، وهو وجه لشعبة: [إِنهَا إِذَا] بكسر همزة «إِنْ» وقرأها باقي القراء العشرة: [أَنَّهَا إِذَا] بفتح همزة «أَنْ» وهو الوجه الثاني لشعبة.

١٠٩ - • قرأ ابن عامر، وحمزة: [لَا تُؤْمِنُونَ] بناء المخاطبين.

وقرأها باقي القراء العشرة: بياء الغائبين: [لَا يُؤْمِنُونَ].  
وبين القراءتين تكامل في الأداء البياني.

١١١ - • قرأ أبو عمرو: [إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ] بكسر هاء الضمير وميم الجمع.  
وقرأها حمزة، والكسائي، ويعقوب. وخلف: [إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ] بضم هاء  
الضمير وميم الجمع.

وقرأها باقي القراء العشرة: بكسر هاء الضمير وضم ميم الجمع: [إِلَيْهِمُ  
الْمَلَائِكَةُ] وكلُّها لغات عربية.

١١١ - • قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: [قُبُلًا].

وقرأها باقي القراء العشرة: [قُبُلًا].

القراءتان لغتان بمعنى المقابلة والمواجهة والمعانية.

١١٢ - • قرأ نافع: [لِكُلِّ نَبِيٍّ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [لِكُلِّ نَبِيٍّ].

مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ  
إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ  
مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ  
كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تَطِيعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن  
سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾  
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ  
﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ  
﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ  
فُضِّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا  
لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بَغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ

١١٤ - • قرأ ابن عامر، وحفص: [مُنَزَّل] بفتح النون وتشديد الزاي المفتوحة، من فعل: «نَزَلَ».

وقراها باقي القراء العشرة: [مُنَزَّل] مِّنَ فعل: «أَنْزَلَ».

١١٥ - • قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ] بالإنفراد.

وقراها باقي القراء العشرة: بالجمع: [وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ].

والمعنى فيهما واحد، لأنَّ المفردة المضاف إلى المعرفة بحكم الجمع.

١١٩ - • قرأ نافع، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: [وَقَدْ فُضِّلَ لَكُمْ مَّا حَرَّمَ].

وقرأ شعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف: [وَقَدْ فُضِّلَ لَكُمْ مَّا حَرَّمَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [وَقَدْ فُضِّلَ لَكُمْ مَّا حَرَّمَ].

ومؤدَّى هذه القراءات واحد، وهي من التثنية في التعبير.

١١٩ - • قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: [لِيُضِلُّونَ] أي: لِيُضِلُّونَ غَيْرَهُمْ.

وقراها باقي القراء العشرة: [لِيُضِلُّونَ].

وبين القراءتين تكاملٌ في أداء المعنى المراد، أي: هُمْ يَضِلُّونَ عَنْ صِرَاطِ

الْحَقِّ بِأَهْوَائِهِمْ، وَيُضِلُّونَ غَيْرَهُمْ.

﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَهَرَ الْآثِمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْآثِمَ  
 سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ  
 أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ  
 لِيُجَدِّلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوْ مَن كَانَ مِثْلًا  
 فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي  
 الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا  
 مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا  
 يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ  
 مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ  
 الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا  
 يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ  
 وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا

١٢٢ - • قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: [أَوْ مَن كَانَ مِثْلًا] بِشَدِيدِ الْبَاءِ.  
 وقرأها باقي القراء العشرة: [أَوْ مَن كَانَ مِثْلًا] بِإِسْكَانِ الْبَاءِ. «مِيت» و«مِيت»  
 لغتان بمعنى واحد.

١٢٤ - • قرأ ابن كثير، وحفص: [يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ] بِالْإِفْرَادِ.  
 وقرأها باقي القراء العشرة بالجمع: [يَجْعَلُ رِسَالَتِهِ].  
 والمعنى فيهما واحد، لأنَّ المفرد المضاف إلى المعرفة بحكم الجمع.  
 ويُضَافُ إِلَىٰ هَذَا أَنَّ بَعْضَ رُسُلِ اللَّهِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِسَالَةً وَاحِدَةً دُفْعَةً  
 وَاحِدَةً، وَأَنَّ آخَرِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِسَالَاتٍ مُّتَعَدَّاتٍ نَّجْمًا بَعْدَ نَجْمٍ، مِثْلَ  
 مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

١٢٥ - • قرأ ابن كثير: [ضَيِّقًا].

يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَظَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمْعَشَرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ

= وقرأها باقي القراء العشرة: [صَيِّقًا]. ومؤدى القراءتين واحد.

١٢٥ - • قرأ نافع، وشعبة، وأبو جعفر: [حَرْجًا] بكسر الراء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [حَرْجًا] بفتح الراء.

ومؤدى القراءتين واحد.

«حَرْج» صفة مشبهة باسم الفاعل.

«حَرْج» مصدر وُصِفَ به على سبيل المبالغة.

١٢٥ - • قرأ ابن كثير: [يَصْعَدُ] وقرأها شعبة: [يَصَاعَدُ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [يَصْعَدُ]. أضلها [يَصْعَدُ].

في قراءتي «يَصَاعَدُ» و«يَصْعَدُ» معنى التكلّف، فبينهما وبين «يَصْعَدُ» تكامل زوعي فيه أحوال الناس في حالات ضُعُودهم.

١٢٦ - • قرأ قُتَيْبٌ، وَرَوَيْسٌ: [سِرَاطٌ] بالسّين. وقرأها خَلْفٌ عن حمزة بالإشمام.

وقرأها باقي القراء العشرة بالصاد الخالصة: [صِرَاطٌ].

١٢٨ - • قرأ حفص، وَرَوْحٌ: [وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ] بياء المضارعة، أي يُخْشَرُهُمُ الله.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَيَوْمَ نَخْشَرُهُمْ] بضمير المتكلم العظيم.

ومؤدى القراءتين واحد.

يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ عَائِنِي وَيُذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ أَلْحِيَّةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَشَاءَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنْ مَا تُوعِدُونَ لَا تِلْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنْ عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا

- ١٣٢ - • قرأ ابن عامر: [عَمَّا تَعْمَلُونَ] بتاء المخاطبين.  
 وقرأها باقي القراء العشرة: [عَمَّا يَعْمَلُونَ] بضميم الغائبين. وبين القراءتين تكامل في الأداء البياني.
- ١٣٣ - • قرأ أبو جعفر: [إِنْ يَشَاءْ] بإبدال الهمزة ألفاً في: «يَشَاء».  
 وقرأها باقي القراء العشرة: [إِنْ يَشَاءْ] بالهمزة.
- ١٣٥ - • قرأ شعبة: [عَلَى مَكَاتِبِهِمْ] بالجمع.  
 وقرأها باقي القراء العشرة بالإنفراد: [عَلَى مَكَاتِبِهِمْ].
- ١٣٥ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [مَنْ يَكُونُ] بالياء.  
 وقرأها باقي القراء العشرة: [مَنْ تَكُونُ]. بالتاء.
- ١٣٦ - • قرأ الكسائي: [بِزَعْمِهِمْ]. وقرأها باقي القراء العشرة: [بِزَعْمِهِمْ] وهما لغتان.

يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى  
 شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ  
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ  
 وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ  
 وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ حِجْرٌ لَا  
 يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا  
 وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا  
 كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ  
 خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَرْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِيتَةً

١٣٧ - • قرأ ابنُ عامرٍ: [وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ  
 شُرَكَائِهِمْ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ  
 شُرَكَائُهُمْ].

وفي قراءة ابن عامر إثباتٌ وَجْهِ عَرَبِيٍّ جَائِزٍ. والمؤدَّى في القراءتين  
 واحد.

قراءةُ ابنِ عامرٍ فيها الفصلُ بَيْنَ المضاف: «قَتَلَ» والمضاف إِلَيْهِ «شُرَكَائِهِمْ»  
 بِمَفْعُولٍ «قَتَلَ» وهو «أَوْلَادُهُمْ» أي: زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَقْتُلَ  
 شُرَكَائَهُمْ أَوْلَادَهُمْ، إمَّا بِتَسْلِيمِهِمْ إِلَى سَدَنَةِ الْأَضْنَامِ لِقَتْلِهِمْ، وإمَّا بِقَبُولِ  
 حُكْمِهِمْ فِي أَنْ يَقْتُلُوا أَوْلَادَهُمْ.

١٣٨ - • قرأ الكسائي: [بِزَعْمِهِمْ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [بِزَعْمِهِمْ]. وهما لُغَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ.

١٣٨ و ١٣٩ - • قرأ يعقوب: [سَيَجْزِيهِمْ] بضم هاء الضمير.

وقرأها باقي القراء العشرة: [سَيَجْزِيهِمْ] بكسر هاء الضمير.

١٣٩ - • قرأ ابن عامر: [وَإِنْ تَكُنْ مِيتَةً]. وأبو جعفر: [مِيتَةً]. وشُعْبَةُ: [مِيتَةً] مع  
 التاء في «تَكُنْ».

فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ

= وقرأ ابن كثير: [وَأِنْ يَكُنْ مَيْتَةً]. وباقي القراء العشرة: [مَيْتَةً] مع الياء في «يكن».

١٤٠ - • قرأ ابن كثير، وابن عامر: [الَّذِينَ قَتَلُوا] بتشديد التاء. وقرأها باقي القراء العشرة: [الَّذِينَ قَتَلُوا] بتخفيف التاء.

رُوعي بالتشديد الذين أكثروا القتل، وبالتخفيف الذين كان مِنْهُمْ قَتْلٌ ما.

١٤١ - • قرأ نافع، وابن كثير، [أَكْلُهُ]. وقرأها باقي القراء العشرة: [أَكْلُهُ] «الأكل» و«الأكل» لغتان بمعنى الثمر.

١٤١ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [مِنْ ثَمَرِهِ] بضم الثاء والميم. وقرأها باقي القراء العشرة: [مِنْ ثَمَرِهِ] بفتح الثاء والميم. وهما لغتان عربيتان جمع «ثمرة».

١٤١ - • قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، ويعقوب [حَصَادِهِ] بفتح الحاء وقرأها باقي القراء العشرة: [حَصَادِهِ] بكسر الحاء وهما لغتان عربيتان.

١٤٢ - • قرأ نافع، والبرقي، وأبو عمرو، وشعبة، وحمزة، وخلف: [خُطَوَاتٍ] بإسكان الطاء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [خُطَوَاتٍ] بضم الطاء. وهما لغتان عربيتان.



عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّانِّ أَثْنَيْنِ وَمِنَ  
 الْمَعْزِ أَثْنَيْنِ قُلْ ءَالْذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإُنْثَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ  
 عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإُنْثَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾  
 وَمِنَ الْإِبِلِ أَثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أَثْنَيْنِ قُلْ ءَالْذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ  
 الْإُنْثَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإُنْثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ  
 شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى  
 اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
 الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَحَدٌ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ  
 يَطْعُمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ  
 خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ  
 غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ

١٤٣ - • قرأ الشُّوسِي، وأبو جعفر: [الضَّانِّ] بإبدال الهمزة ألفاً.

وقرأها باقي القراء العشرة: [الضَّانِّ] بالهمزة على الأصل.

١٤٣ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: [الْمَعْزِ] بفتح العين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [الْمَعْزِ] بإسكان العين.

وهما لغتان عربيتان.

١٤٣ - • قرأ أبو جعفر: [نَبِّئُونِي].

وقرأها باقي القراء العشرة: [نَبِّئُونِي].

١٤٥ - • قرأ ابن عامر: [إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَيْتَةً]. وقرأها أبو جعفر: [إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَيْتَةً].

وقرأها ابن كثير، وحمزة: [إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَيْتَةً].

وقرأها باقي القراء العشرة: [إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً].

١٤٥ - • قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب: [فَمَنْ اضْطَرَّ].

وقرأها أبو جعفر: [فَمَنْ اضْطَرَّ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَمَنْ اضْطَرَّ].

وهي لغات عربية.

هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلَمْ شَهِدْكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ

١٤٧ و ١٤٨ - • قرأ السوسي، وأبو جعفر: [بأسه] و[بأسنا] بإبدال الهمزة فيهما ألفاً.

وكذلك حمزة في الوقف.

وقرأهما باقي القراء العشرة: [بأسه] و [بأسنا] بالهمزة على الأصل دون إبدال.

مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْنُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا  
بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ  
الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ  
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ  
فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمُ  
وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا  
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمُ  
وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ  
تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً  
لَّعَلَّهُمْ يُلَاقُوا رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ  
فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ  
عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾

١٥٢ - قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [تَذَكَّرُونَ] بتخفيف الذال.

وقرأها باقي القراء العشرة: [تَذَكَّرُونَ] بتشديد الذال، أصلها: «تَذَكَّرُونَ».

١٥٣ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي] بكسر همزة «إِنَّ»

ولخلف عن حمزة إشمامُ الصاد صوت الزاي.

وقرأها ابن عامر: [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا] بفتح ياء المتكلم في الوصل،

وب «أَنَّ».

وقرأها روح: [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا].

وقرأها قبل: [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا] بالسين بدل الصاد.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا].

١٥٣ - قرأ البزي: [فَتَفَرَّقَ] بتشديد التاء، أصلها «فَتَفَرَّقَ» وقرأها باقي القراء

العشرة: [فَتَفَرَّقَ] بحذف إحدى التاءين.

أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَفْعَلُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلِ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ

١٥٧ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ورويس: [يَصْدِفُونَ] بِأَشْمَامِ الصَّادِ زَايَا فِي الْمَوْضِعِينَ. وقرأها باقي القراء العشرة بالصاد الخالصة.

١٥٨ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمْ]. وقرأ ورش، والسوسي، وأبو جعفر: [إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ] بالتاء وإبدال الهمزة ألفاً.

وقرأها باقي القراء العشرة: [إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ] بالتاء، وبالهمزة دون إبدال.

١٥٩ - • قرأ حمزة، والكسائي: [فَارْقُوا] من المفارقة.

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَرَّقُوا] من التفريق.

وبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد.

١٦٠ - • قرأ يعقوب: [فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا] وقرأها باقي القراء العشرة: [فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا]. والمؤدى واحد، وهما من التفتن في التعبير.

١٦١ - • فتح ياء المتكلم من: [رَبِّي إِلَى] نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر وأسكنها الباقون.

مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ  
 إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ  
 لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ  
 كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى  
 ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي  
 جَعَلَ لَكُم خَلِيفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّبَلُوكُمْ  
 فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

١٦١ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: [دِينًا قِيمًا].

وقرأها باقي القراء العشرة: [دِينًا قِيمًا].

وبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد.

١٦١ - • قرأ هشام: [إِبْرَاهِيمًا].

وقرأها باقي القراء العشرة: [إِبْرَاهِيمًا].

١٦٢ - • قرأ قألون، وأبو جعفر: [وَمَحْيَايَ] بِاسْكَانِ الْيَاءِ الثَّانِيَةِ وَضَلًّا وَوَقْفًا وَحِينَئِذٍ تَمْدَانِ مَدًّا مُشْبَعًا لِأَجْلِ السَّاكِنِينَ، وَهُوَ وَجْهٌ لُورَش.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَمَحْيَايَ] وَهُوَ الْوَجْهُ الثَّانِي لُورَش، وَلَا مَدَّ حِينَئِذٍ.

١٦٣ - • أثبت ألف «أنا» مِنْ [وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ] فِي الْوَصْلِ نَافِع، وَأَبُو جَعْفَرٍ.

وقرأها باقي القراء العشرة بحذف الألف وصلًا.

وَلَا خِلَافَ عَنْدهُمْ فِي إِثْبَاتِهَا فِي الْوَقْفِ.

(٢)

## مما جاء في السُّنَّةِ بشأن سورة (الأنعام)

سورة (الأنعام) دَاتُ عِنَايَةٍ جَلِيلَةٍ مِنَ الْعَلِيمِ الْعَلَامِ، فَقَدْ صَحِبَتْ

نُزُولَهَا مَوَاقِبُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَجْأَرُونَ بِتَسْبِيحِ اللَّهِ وَتَحْمِيدِهِ، فِي زَجَلِ  
 تَطْرِيْبِي، وَقَدْ جَاءَ بَيَانُ عِنَايَةِ اللَّهِ بِهَا فِي أَحَادِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، مِنْهَا  
 الصَّحِيحُ، وَمِنْهَا دُونَ ذَلِكَ:

(١) رَوَى الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» بِسَنَدِهِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ (الْأَنْعَامِ) سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ:

«لَقَدْ شِيعَ هَذِهِ السُّورَةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا سَدَّ الْأُفُقَ».

ثُمَّ قَالَ الْحَاكِمُ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

(٢) وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ مَرْدَوَيْهِ بِسَنَدِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«نَزَلَتْ سُورَةُ (الْأَنْعَامِ) مَعَهَا مَوْكِبٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ سَدَّ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ<sup>(١)</sup>، لَهُمْ رَجُلٌ<sup>(٢)</sup> بِالتَّسْبِيحِ، وَالْأَرْضُ بِهِمْ تَرْتَجُّ».

وَرَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

(٣) وَرَوَى ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ الطَّبْرَانِيِّ، بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«نَزَلَتْ سُورَةُ (الْأَنْعَامِ) جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَشِيعَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَهُمْ رَجُلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ».

(٤) وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «نَزَلَتْ الْأَنْعَامُ بِمَكَّةَ لَيْلًا جُمْلَةً وَاحِدَةً حَوْلَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجَارُونَ حَوْلَهَا بِالتَّسْبِيحِ».

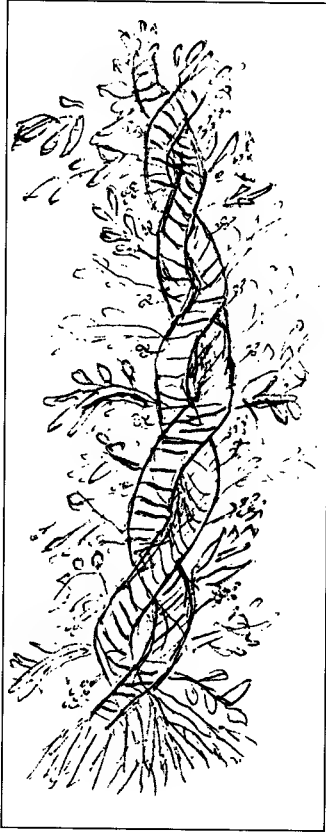
(٣)

### موضوع سورة (الأنعام)

يُدَوِّرُ مَوْضُوعُ شَجَرَةِ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ) حَوْلَ مُعَالَجَةِ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ إِبَّانَ تَنْزِيلِ السُّورَةِ.

(١) الْخَافِقَانِ: أَفُقُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

(٢) الرَّجُلُ: رَفَعَ الصَّوْتُ بِتَقْرِيْبِ.



وَلِهَذِهِ الشَّجَرَةِ سَاقَانِ مُمْتَدَّانِ مِنْ  
جَذْرِهَا حَتَّى رَأْسِهَا، وَقَدْ اَلْتَفَّ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَى  
الْآخَرِ، وَتَفَرَّعَتْ فُرُوعُهَا وَأَفْنَانُهَا وَأَوْرَاقُهَا  
وِثْمَرَاتُهَا الظَّاهِرَةُ مِنْ مَنْطُوقِ أَلْفَاظِهَا مِنَ  
الْمَلْتَفِّ الظَّاهِرِ مِنْ هَذَيْنِ السَّاقَيْنِ.

### السَّاقُ الْأَوَّلُ: تَفَرَّعَتْ مِنْهُ بَيَانَاتُ

دَعَوِيَّاتٍ مُبَاشِرَاتٍ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَاشَفَاتٍ  
لِحَقَائِقِ عَقْدِيَّةٍ وَسُلُوكِيَّةٍ، وَجَدَلِيَّاتٍ لِلكَافِرِينَ،  
وَمَوَاعِظَ تَرْغِيْبِيَّةٍ وَتَرْهِيْبِيَّةٍ مُوجَّهَاتٍ مُبَاشِرَةً  
لَهُمْ، بِحَسَبِ الطَّوْرِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ إِبَّانَ تَنْزِيلِ  
السُّورَةِ، مَعَ تَوْصِيَّاتٍ تَرْبَوِيَّةٍ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
لِرَسُولِهِ ﷺ، مُلَائِمَاتٍ لِلطَّوْرِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ  
الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا بَعْدَ لِدَعْوَتِهِ، وَمُعَالَجَاتٍ

لِمَا فِي نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ الطَّوْرِ، وَيُلْحَقُ بِالرَّسُولِ كُلُّ حَامِلٍ لِرِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ،  
ثُمَّ سَائِرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ، وَلِكُلِّ مِنْهُمْ مَا يُلَائِمُ أَحْوَالَهُ مِنْهَا.

### السَّاقُ الثَّانِي: تَفَرَّعَتْ مِنْهُ تَعْلِيمَاتُ دَعَوِيَّاتٍ عَقْدِيَّاتٍ وَسُلُوكِيَّاتٍ،

وَتَعْلِيمَاتٍ جَدَلِيَّاتٍ حَكِيمَاتٍ، يُكَلِّفُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ أَنْ يَقُومَ بِهَا  
ضَمَنَ وَظَائِفِ رِسَالَتِهِ، مَعَ وَصَايَا تَرْبَوِيَّةٍ يُوصِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا رَسُولَهُ  
مُحَمَّدًا ﷺ، وَيُلْحَقُ بِهِ فِيهَا كُلُّ حَامِلٍ لِرِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ، ثُمَّ سَائِرُ الْمُؤْمِنِينَ  
الْمُسْلِمِينَ، وَلِكُلِّ مِنْهُمْ مَا يُلَائِمُ أَحْوَالَهُ مِنْهَا.

وَمَا جَاءَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ كُلِّ مَا سَبَقَ، وَنَظِيرُهُ مَا جَاءَ فِي سَائِرِ  
سُورِ الْقُرْآنِ، عِلْمٌ يُسْتَفَادُ مِنْهُ حَتَّى آخِرُ مُسْتَفِيدٍ مِنَ الْأَحْيَاءِ فِي رِحْلَةِ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا.

(٤)

## درس سورة (الأنعام)

أخذاً من طَيَّاتِ سَاقِي هَذِهِ السُّورَةِ وفُرُوعِهَا استطعت أن أقسمَ هَذِهِ  
السورة إلى (٣٣) درساً، وهي:

الدرس الأول: الآيات من (١ - ١٠) وهي من فروع الساق الأول.  
ويتضمن ما يلي:

• الثناء على الله ببيان أنَّ الْحَمْدَ كُلَّهُ لَهُ، مع التذكير ببعض مظاهر خلقه في كونه، وشُمُولِ عِلْمِهِ كُلِّ شَيْءٍ.

• الحديث عن أئمة الكفر والشرك في مكة إبان التنزيل، وعن عنادهم للحق، مع وعيدهم وتذكيرهم بالمُهْلَكِينَ قَبْلَهُمْ من أُمَمِ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ، الذين كَذَّبُوا رُسُلَ رَبِّهِمْ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَقَاوَمُوا دعوة الحق الربَّانِيَّةَ.

• خطاب من الله لرسوله بأنَّه لَا فَائِدَةَ مِنْ تَلْبِيَةِ مَطَالِبِ هَؤُلَاءِ الْمُعَانِدِينَ الْمُصِرِّينَ عَلَى باطلهم، بشأن إلحاحهم على طلب آيات خوارق على ما يشتهون، لِأَنَّهُمْ مُتَعَنِّتُونَ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَيَجْحَدُونَهُ.

• بيان طلب هؤلاء المُعَانِدِينَ أن يُنْزِلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكًا يُبَلِّغُهُمْ عن الله، وَيَشْهَدُ لِلرُّسُولِ بِالصِّدْقِ، مع بيان أنَّ الْحِكْمَةَ تقتضي عَدَمَ الاستجابة لَهُمْ في طلبهم.

• تسلية الله عَزَّ وَجَلَّ لرسوله ﷺ، للضيق الذي حصل في صدره، من وخزات استهزاء بعض كبراء كفار قومه به.

الدَّرْس الثاني: الآيتان (١١ و ١٢) وهما من فُرُوعِ السَّاقِ الثاني.

ويتضمنُ فقرة توجيه تعليمي دعوي للرسول ﷺ، فلكلِّ دَاعٍ إلى الله من أمته.

وفيها بيان بعض ما ينبغي أن يحدث المشركين به، ويحاولهم بشأنه جدالاً بالتي هي أحسن.



الدَّرْس الثالث: الآية (١٣) وهي من فروع الساق الأول.

وفيه بيانٌ تكميليٌّ رَبَّانِيٌّ مُبَاشِرٌ مَوْصُولٌ فِكْرِيًّا بِبَعْضِ ما جاء في الدرس الثاني، يُبَيِّنُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فيها مِلْكِيَّتَهُ لِكُلِّ ما يَرَى أَنَّهُ قَدْ سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَي: فِي كُلِّ الْأَزْمَانِ، وَيُبَيِّنُ فيها أَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ السَّمِيعُ لِكُلِّ صَوْتٍ، الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

الدَّرْس الرابع: الآيات من (١٤ - ١٦) وهي من فروع الساق

الثاني.

وفيه فِقْرَةٌ تَعْلِيمِ جِدَالِيٍّ حَكِيمٍ، وَتَعْلِيمِ دَعْوِيٍّ مِنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ، كَي يُوجِّهَهُمَا لِمُشْرِكِي قَوْمِهِ.

الدرس الخامس: الآيتان (١٧ و ١٨) وهما من فروع الساق الأول.

وفيه فِقْرَةٌ بَيَانِ عِلَاجِيٍّ رَبَّانِيٍّ مُبَاشِرٍ، مَوْصُولٌ بِالدَّرْسِ الْأَوَّلِ، يُخَاطَبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ كُلُّ صَالِحٍ مُؤَهَّلٍ لِلخُطَابِ، يُبَيِّنُ اللهُ فِيهِ سُلْطَانَهُ عَلَى كُلِّ التَّصَارِيفِ فِي كَوْنِهِ، ضَارًّا وَنَافِعًا، خَيْرًا وَشَرًّا، عَلَى وَفْقِ حِكْمَتِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ الْخَيْرُ بِهِمْ.

الدرس السادس: الآية (١٩) وهي من فروع الساق الثاني.

وفيه فِقْرَةٌ تَعْلِيمِ جِدَالِيٍّ وَدَعْوِيٍّ مِنْ اللهِ لِرَسُولِهِ، حَوْلَ نُبُوَةِ الرَّسُولِ، وَحَوْلَ شِرْكِ الْمُشْرِكِينَ وَالْهَتَمِ.

الدرس السابع: الآيات من (٢٠ - ٣٩) وهي من فروع الساق

الأول.

وفيه بَيَانٌ مِنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ نُبُوَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَرِسَالَتِهِ، وَإِنْدَارٌ مِنْهُ لِلْمُفْتَرِينَ عَلَى اللهِ وَلِلْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِهِ، وَلِقِطَةٌ مِنْ مَشْهَدِ الْحَشْرِ يَوْمَ الدِّينِ، وَتَعْجِيبٌ مِنْ أَمْرِ الْكَافِرِينَ، وَوَصْفٌ لِحَالِ بَعْضِهِمْ حِينَ يَسْتَمِعُونَ لِدَعْوَةِ الرَّسُولِ وَبَيَانَاتِهِ.

وفيه لِقِطَةٌ أُخْرَى مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الدِّينِ وَتَمَنِّيهِمُ الرَّجْعَةَ لِحَيَاةِ

الامتحان، وبعدها بيان عقيدتهم في البعث، فلقطة أخرى من مشاهد يوم الدين، وتعليق عليها.

وفيه بيان عن الحياة الدنيا مع المقارنة بينها وبين الآخرة وما فيها. وفيه تسليئة للرسل بشأن تكذيب كفار قومهم له، وتوجيه له وتربية، وبيان حقائق تكوينية هي لوازم لحرريات الناس في اختياراتهم الإرادية في حياة الابتلاء.

**الدرس الثامن:** الآيتان (٤٠ و ٤١) وهما من فروع الساق الثاني. وفيه ومضة تعليم جدلي دعوي من الله لرسوله.

**الدرس التاسع:** الآيات من (٤٢ - ٤٥) وهي من فروع الساق الأول.

وفيه بيان من الله لرسوله بشأن كفار الأمم السابقة، وكيف أخذهم بالبأساء والضراء رغبة في أن يتضرعوا، لكنهم لم يفعلوا، ففتح الله لهم أبواب كل شيء من منافع الحياة الدنيا، ثم أخذهم بالعذاب والإهلاك بغتة واستأصلهم بسبب أنهم كانوا ظالمين.

**الدرس العاشر:** الآيتان: (٤٦ و ٤٧) وهما من فروع الساق الثاني.

وفيه فقرة تعليم علاجي بالإنذار بسلب الأسماع والأبصار، والختم على القلوب، أو بالعذاب والإهلاك.

**الدرس الحادي عشر:** الآيتان (٤٨ و ٤٩) وهما من فروع الساق

الأول. وفيه فقرة بيان رباني علاجي بالترغيب والترهيب.

**الدرس الثاني عشر:** الآيات من (٥٠ - ٥٨) وهي من فروع الساق

الثاني.

وفيه تعليم دعوي من الله لرسوله، وتربية له بأن لا يطرد المؤمنين

المُسْلِمِينَ مَهْمَا كَانَتْ أَحْوَالُهُمُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ مُتَدَنِيَّةً، اسْتِجَابَةً لِكِبْرَاءِ قُوْمِهِ وَطَمَعاً فِي أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيَتَّبِعُوهُ، فَإِذَا طَرَدَهُمْ كَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ، مَعَ بَيَانِ حِكْمَةِ اللَّهِ فِي هَذَا التَّعْلِيمِ التَّربَوِيِّ.

وَفِيهِ تَعْلِيمٌ أَسَالِيْبَ تَرْبَوِيَّةٍ يُعَامَلُ بِهَا الرُّسُلُ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنَاصِرَ دَعْوِيَّةٍ يُوجَّهُهَا لِلْمُشْرِكِينَ.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ عَشَرَ: الْآيَاتُ مِنْ (٥٩ - ٦٢) وَهِيَ مِنْ فُرُوعِ السَّاقِ الْأَوَّلِ.

وَفِيهِ بَيَانٌ رَبَّانِيٌّ مُبَاشِرٌ حَوْلَ إِحَاطَةِ عِلْمِ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَقَدْ خَاطَبَ النَّاسَ بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَاهُمْ بِالنَّوْمِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُمِيتُ النَّاسَ وَيَبْعَثُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِلْحِسَابِ، وَفَصْلَ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزَ الْجَزَاءِ، بِسُلْطَانِ قَهْرِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَةً حَفِظَةً، مَعَ مُتَمَمَّاتٍ لِهَذَا الْبَيَانِ.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ عَشَرَ: الْآيَاتُ مِنْ (٦٣ - ٦٦) وَهُوَ مِنْ فُرُوعِ السَّاقِ الثَّانِي.

وَفِيهِ تَعْلِيمٌ حَوَارِيٌّ جَدَلِيٌّ لَانْتِزَاعِ اعْتِرَافِ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّ اللَّهَ وَخَدَهُ هُوَ الَّذِي يُجِيبُ دُعَاءَ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السَّوْءَ، وَأَنَّهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بِمَا يَشَاءُ مِنْ صُنُوفِ الْعِقَابِ، وَلِإِعْلَامِهِمْ بِأَنَّ الرُّسُلَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَضْرِبَ عَنْهُمْ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ شَيْئاً إِذَا قَضَى اللَّهُ مُعَاقِبَتَهُمْ، لِأَنَّهُ لَيْسَ وَكِيلاً عَلَيْهِمْ.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ عَشَرَ: الْآيَاتُ مِنْ (٦٧ - ٧٠) وَهِيَ مِنْ فُرُوعِ السَّاقِ الْأَوَّلِ.

وَفِيهِ بَيَانٌ مُبَاشِرٌ مِنَ اللَّهِ بِأَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرّاً، وَأَمْرٌ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الَّذِينَ يَنَالُونَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ بِمَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ مِنْ طَعْنٍ وَتَجْرِيحٍ، مَعَ مُتَمَمَّاتٍ لِهَذَا الْبَيَانِ.

الدرس السادس عشر: الآيات من (٧١ - ٧٣) وهي من فروع الساق الثاني.

وفيه تعليم حوارٍ دَعَوِيٍّ حَوْلَ تَوْحِيدِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَالْأَمْرِ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَتَقْوَى اللَّهِ مَعَ التَّذْكِيرِ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَمَعَ بَيَانِ قَضَايَا عَقْدِيَّةٍ.

الدرس السابع عشر: الآيات من (٧٤ - ٨٢) وهي من فروع الساق الأول وفيه عرضٌ لقطاتٍ من دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْجَدَلِيَّةِ لِقَوْمِهِ، وَهِيَ تَتَضَمَّنُ جَدَالاً لِكُلِّ الْمَشْرُكِينَ بِأَسْلُوبِ التَّعْرِِيضِ لَا بِأَسْلُوبِ الْمَوَاجَهَةِ الْمُبَاشِرَةِ، وَتَعْلِيماً جَدَالِيّاً لِلرَّسُولِ وَلِلدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ.

الدرس الثامن عشر: الآيات من (٨٣ - ٩٠) وهي من فروع الساق الأول أيضاً، وفيه بيانٌ من اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الثَّنَاءِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا آتَاهُ مِنْ حُجَجٍ دَوَامِغٍ وَبِرَاهِينٍ قَوَاطِعٍ، وَثَنَاءٌ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَعَ بَيَانِ أَنَّ اللَّهَ آتَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَإِضَافَاتٍ فِي الْأَثْنَاءِ مَلَائِمَاتٍ.

وختامٌ بتوجيهِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّ يَقْتَدِيَ بِهِمْ وَأَنَّ يَقُولَ لِلْمُعْرِضِينَ عَنْ دَعْوَتِهِ: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى تَعْلِيمِكُمْ كِتَابَ رَبِّكُمْ أَجْراً، فَهُوَ لَيْسَ لَكُمْ وَخَدَّكُمْ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ جَمِيعاً مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

هذا الدرس كان من المقبول اعتبارُهُ تابعاً لِلدَّرْسِ السَّابِعِ عَشَرَ، إِلَّا أَنَّنِي آثَرْتُ اعْتِبَارَهُ دَرْساً مُتَفَصِّلاً لِّثَلَا يَطُولُ الدَّرْسُ السَّابِعُ عَشَرَ، وَلِأَنَّ مَضْمُونَهُ مُتَفَصِّلٌ عَنْ جَدَلِيَّاتِ إِبْرَاهِيمَ لِقَوْمِهِ.

الدرس التاسع عشر: الآية (٩١) وهي من فروع الساق الثاني.

وفيه تعليمٌ جَدَلِيٍّ لِلرَّسُولِ يُجَادِلُ بِهِ الْيَهُودَ الْمُنْكَرِينَ إِنْزَالَ كِتَابٍ رَبَّانِيٍّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَهُمْ يَزْعُمُونَ بِتَعْمِيمِ كَاذِبٍ قَائِلِينَ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ.

الدرس العشرون: الآيات من (٩٢ - ٩٤) وهي من فروع السَّاق الأول.

وفيه بيان رَبَّانِي مُبَاشِر بِشَأْنِ الْقُرْآنِ وَالرَّسُولِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَبِشَأْنِ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، أَوْ يَزْعُمُونَ اتِّصَالَهُمْ بِالْوَحْيِ، وَفِيهِ وَعِيدٌ لِلظَّالِمِينَ.

الدرس الحادي والعشرون: الآيات من (٩٥ - ٩٩) وهي من فروع السَّاق الأول أيضاً. وفيه عَرْضُ بَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ فِي كُزْنِهِ الدَّالَّةِ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ فَالْهَيْتَةِ.

الدرس الثاني والعشرون: الآيات من (١٠٠ - ١٠٣) وهي من فروع السَّاق الأول أيضاً. وفيه عرض بعض عقائد المشركين من وثنيين، وأهل كتاب يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ وَلَدًا، مع تعقيبٍ حَكِيمٍ.

الدرس الثالث والعشرون: الآية (١٠٤) وهي من فروع السَّاق الثاني.

وفيه تعليم من اللَّهِ لِرَسُولِهِ بَيَانًا دَعَوِيًّا يَقُولُهُ لِقَوْمِهِ.

الدرس الرابع والعشرون: الآيات من (١٠٥ - ١١٧) وهي من فروع السَّاقين.

وفيه بيانٌ مُبَاشِرٌ لِلرَّسُولِ ﷺ فِيهِ تَعْلِيمٌ وَتَرْبِيَةٌ وَوَمُضَّةٌ دَعَوِيَّةٌ يَقُولُهَا لِطَالِبِي الْآيَاتِ الْخَوَارِقِ مِنْ قَوْمِهِ.

وفيه بيانٌ لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَدْخُلُ الرَّسُولُ فِي عُمُومِهِمْ، بِشَأْنِ عَدَدٍ مِنَ الْقَضَايَا ذَوَاتِ الشَّأْنِ فِي الْمَفْهُومَاتِ الدِّينِيَّةِ حَوْلَ النَّاسِ، وَسُنَّةِ اللَّهِ فِي كُونِهِ، وَأَسَالِيبِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ، وَتَوَابِعِ مَوْصُولَةٍ بِهَا.

**الدرس الخامس والعشرون:** الآيات من (١١٨ - ١٢١) وهي من فروع السَّاق الأول.

وفيه بيانٌ للمؤمنين حَوْلَ أَحْكَامِ بَعْضِ مَا يُؤْكَلُ مِنَ اللَّحْمِ، على خلافِ أَحْكَامِ الجاهليَّةِ فيها.

**الدرس السادس والعشرون:** الآيات من (١٢٢ - ١٢٥) وهي من فروع السَّاق الأول أيضاً. وفيه بيان عن الإيمان والكُفْرَ مَعَ الْمُقَارَنَةِ بينهما، وَحَوْلَ الْكَافِرِينَ الْمُعَانِدِينَ الْمُصْرِّينَ على عِنَادِهِمْ وَمَكْرِهِمْ وَتَعَثُّيهِمْ، وَحَوْلَ سُنَّةِ اللَّهِ فِي طَبِيعَةِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَسُلُوكِهَا الدَّاخِلِيَّ.

**الدرس السابع والعشرون:** الآيات من (١٢٦ - ١٣٤) وهي من فروع السَّاق الأول أيضاً.

وفيه بيانٌ عن ثوابِ مُتَّبِعِي صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ يَوْمَ الدِّينِ، وفيه عَرْضُ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ مُحَاسَبَةِ الْكَافِرِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجَنِّ يَوْمَ الدِّينِ، وبيانٌ عَنْ سُنَّةِ اللَّهِ فِي إِهْلَاكِ أَهْلِ الْقُرَى الظَّالِمَةِ، وبيانٌ عَنْ جَزَاءِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ الْقَائِمِ على نظامِ التفاضُلِ في الدَّرَجَاتِ بِحَسَبِ الْأَعْمَالِ الَّتِي قَدَّمَهَا النَّاسُ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ. وبيانٌ عن صِفَتَيْنِ مِنْ صِفَاتِهِ، وهما أَنَّهُ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ.

مع إنذارِ الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُعْجِزِينَ، فَإِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْهُمْ وَيَأْتِ بِغَيْرِهِمْ، ومع التوكيدِ بِأَنَّ مَا يُوعَدُونَ مِنْ جَزَاءٍ آتٍ لَا مَحَالَةَ.

**الدرس الثامن والعشرون:** الآية (١٣٥) وهي من فروع السَّاق الثاني.

وفيه تعليمٌ دَعَوِيٌّ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ، بِشَأْنِ أَوَاخِرِ مَسِيرَتِهِ الدَّعَوِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْكَافِرِينَ الْمُعَانِدِينَ الْمُصْرِّينَ على كُفْرِهِمْ وَمُقَاوَمَتِهِمْ لِدَعْوَتِهِ.

الدرس التاسع والعشرون: الآيات من (١٣٦ - ١٤٠) وهي من فروع الساق الأول.

وفيه بَعْضُ تفصيلٍ لأَحْكَامِ الجَاهِلِيَّةِ فِي المَأْكَلِ مِنَ الحَرْثِ والأنعامِ  
افتراءً عَلَى اللَّهِ، وَكَيْفَ زَيْنَ لَهُمْ شَيَاطِينُهُمْ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ، مَعَ خِتَامِ بَيَانِ  
خَسَارَتِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ الدِّينِ.

الدرس الثلاثون: الآيات من (١٤١ - ١٤٧) وهي من فروع الساق الأول أيضاً.

وفيه بَيَانُ أَحْكَامِ اللَّهِ فِي مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ،  
وَفِي الَّذِي أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَنْعَامِ، مَعَ تَحْذِيرِهِمْ مِنْ اتِّبَاعِ خُطُواتِ  
الشَّيْطَانِ فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ.

وفيه تَكْلِيفُ اللَّهِ رَسُولَهُ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَأْنِ المَطَاعِمِ  
مِنْ أَحْكَامِ، وَمَا يَقُولُهُ لَهُمْ إِنْ كَذَّبَهُ الْكَافِرُونَ مِنْ إِنْذَارٍ بِعِقَابِهِ.

الدرس الحادي والثلاثون: الآيات من (١٤٨ - ١٥٣) وهي من فروع الساق الثاني.

وفيه تَعْلِيمُ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ فِقَرَاتٍ جَدَالِيَّةٍ يُجَادِلُ بِهَا الْمُشْرِكِينَ،  
وَفِقَرَاتٍ دَعْوِيَّةٍ يُبَيِّنُ فِيهَا طَائِفَةً مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ.

مَعَ خِتَامِ بَيَانِ أَنَّ هَذَا صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ  
يَتَّبِعُوهُ، وَلَا يَتَّبِعُوا السُّبُلَ الَّتِي تَتَفَرَّقُ بِهِمْ عَنْ سَبِيلِهِ.

الدرس الثاني والثلاثون: الآيات من (١٥٤ - ١٦٠) وهي من فروع الساق الأول.

وفيه بَيَانُ دَعْوِيٍّ مُبَاشَرٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، مَعَ إِنْذَارٍ  
بِعَوَاقِبِ وَخِيْمَةِ إِذَا لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ رَبِّهِمْ.

وفيه بَيَانٌ لِلرَّسُولِ بِشَأْنِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا، يُبَيِّنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ فِيهِ انفصالُهُ التَّامَّ عَنْهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّبِعُوا مِنْهُمْ.

الدرس الثالث والثلاثون: الآيات من (١٦١ - ١٦٥) آخر السورة، وهي من فروع السَّاقِ الثاني.

وفيه تكليفٌ لِلرَّسُولِ أَنْ يُعْلِنَ لِقَوْمِهِ كُتُبِيَّاتِ الدِّينِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ عَقِيدَةً وَسُلُوكًا، وَيَلْتَزِمَ الْعَمَلَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ فِي أَحْكَامِ دِينِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مَسْئُولًا عَنْ كُفْرٍ مَنْ يَكْفُرُ مِنْهُمْ، وَأَنْ مَرَّجَعُهُمْ إِلَى اللَّهِ الَّذِي سَوْفَ يُجَازِيهِمْ عَلَى مَا كَسَبُوا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، الَّتِي خَلَقَهُمْ فِيهَا، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، لِيَبْلُوَهُمْ فِي مَا آتَاهُمْ.

وبهذا تَنْتَهِي سُورَةُ (الْأَنْعَامِ) الْعَجِيبَةُ.



(٥)

التدبر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (الأنعام)

الآيات من (١ - ١٠)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

• ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ

مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ

وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا



مُعْزِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَأُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزِئُوا بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾

### القراءات:

(٤) • قرأ ورش، والسوسي، وأبو جعفر: [وَمَا تَأْتِيهِمْ] بإبدال الهمزة ألفاً، وكسر الهاء. وكذلك قرأها حمزة في الوقف.

وقرأها يعقوب: [وَمَا تَأْتِيهِمْ] بالهمزة دون إبدال، وبضم الهاء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَمَا تَأْتِيهِمْ] بالهمزة وكسر الهاء.

(٦) • قرأ السوسي، وأبو جعفر: [وَأَنْشَأْنَا] بإبدال الهمزة بعد الشين ألفاً.

وكذلك قرأها حمزة في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَأَنْشَأْنَا] بالهمزة دون إبدال.

(٧) • قرأ يعقوب: [بِأَيْدِيهِمْ] بضم هاء الضمير.

وقرأها باقي القراء العشرة: [بِأَيْدِيهِمْ] بكسر هاء الضمير.

(١٠) • قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب: [وَلَقَدْ اسْتَهْزِئُوا] بكسر الدال في الوصل، وبالهمزة.

وقراها أبو جعفر: [وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ] بضم الدال وإبدال الهمزة ياء.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ] بضم الدال وبالهمزة.

### تمهيد:

في هذا الدرس ثناءً على الله عزَّ وجلَّ بكمال الحمد له، مع التنبيه على بعض آياته في كونه، توطئةً للحديث عن الكفرة المعاندين المُصرِّين على باطلهم إبان التنزيل، والطور الذي كانوا عليه بعد مسيرة الرسول الدعوية فيهم منذ بعثته حتى نزول سورة (الأنعام).

• فقد كذبوا بالحقِّ الرباني تكذيباً عنادياً، لا يُجدي معهم فيه أن يُنزل الله عزَّ وجلَّ من السماء كتاباً في قرطاسٍ يلمسونه بأيديهم ويفرُّونه.

• وكرروا مطالبتهم بإنزال ملكٍ على الرسولٍ يشهد له بأنه نبيُّ الله ورسوله حقاً، وهو صادق فيما يُبلغ عن ربه.

• وتابَع كثيرٌ من مُشركي مكة سياسة الاستهزاء بالرسولٍ لصدِّ الناس عنه، مع أن الله عزَّ وجلَّ كفَى رسوله كُبراء المستهزئين كما جاء بيانه في أواخر سورة (الحجر/ ٥٤).

فجاء في هذا الدرس بيان رباني يتعلَّق بمواقف مُشركي مكة في هذا الطور الذي كانوا عليه إبان نزول سورة (الأنعام/ ٥٥ نزول).

وجاء فيه وفي عموم السورة حوارٌ وجدالٌ وإنذارٌ للمشركين، وعلاجٌ وتربيَةٌ وتسليَّةٌ للرسول، وعلاجٌ للمؤمنين المسلمين.

وآيات هذا الدرس من فروع الساق الأول من ساق شجرة السورة الملتف بعضهما على بعض باختيار رباني بديع.

## التدبر التحليلي:

■ قول الله تعالى:

● ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾:

● ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: كُلُّ مَا يُعْلَمُ مِنْ ثَنَاءٍ حَسَنٍ عَلَى مُتَّصِفٍ بِجَمِيلٍ مَا، هو الله عَزَّ وَجَلَّ بِالِاسْتِحْقَاقِ الدَّائِي، لِأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ صِفَاتِ النِّقْصِ.

● ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: أي: وَمِنْ أَثَارِ صِفَاتِهِ الَّتِي اسْتَعْرَقَتْ كُلَّ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ بِالْجَمِيلِ، أَنَّهُ خَلَقَ بِالْإِبْدَاعِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ السَّمَاوَاتِ بِكُلِّ مَا فِيهَا، وَالْأَرْضَ بِكُلِّ عَنَاصِرِهَا، وَبِكُلِّ مَا فِيهَا وَعَلَيْهَا، مِنْ مَادِّيَّاتٍ وَغَيْرِ مَادِّيَّاتٍ.

وَمِمَّا لَا رَيْبَ فِيهِ أَنَّ تَحْلِيلَ عَنَاصِرِ إِبْدَاعِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَإِتْقَانَهُ صُنْعَهُمَا، لَا تَكْفِي لِتَدْوِينِهِ مَلَيَّارَاتُ أُسْطُورَانَاتِ التَّسْجِيلِ بِالْكُومْبِيُوتَرِ، وَهَذَا الْخَلْقُ الْبَدِيعُ الْعَجِيبُ الْمُتَقَنُّ بُرْهَانٌ عَلَى رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ الْمُتَّصِفِ بِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْمُنَزَّهِ عَنْ كُلِّ صِفَاتِ النِّقْصِ، وَعَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، الَّتِي تَسْتَلْزِمُ عَقْلاً وَوَحْدَانِيَّتَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَلَا فِي إِلَهِيَّتِهِ.

● ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾: أي: وَمِنْ حِكْمَتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَعَظُمَتْ قُدْرَتُهُ، وَشَمَلَ عِلْمُهُ كُلَّ شَيْءٍ، أَنَّهُ جَعَلَ الظُّلُمَاتِ هِيَ الْأَصْلَ فِي الْأَكْوَانِ، وَخَلَقَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمَضِيئَاتِ الَّتِي تَكْشِفُ بِأَنْوَارِهَا الْكَائِنَاتِ الْمُظْلِمَاتِ.

وَلَا يَخْفَى مَا فِي وُجُودِ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ فِي الْكَوْنِ مِنْ حِكْمٍ عَظِيمَةٍ، وَمَنَافِعَ جَلِيلَةٍ.

ولعلَّ في جَمْعِ «الظُّلُمَاتِ» إشارةً إلى أنواعها القائمة على انعدام النور منها، أمَّا «النُّورُ» فَهُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ بَثَّهُ فِي المَضيئات، وشَرَفَهُ مِنْ شَرَفِ نورِ الله، فالله نورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ.

وفي بيان أنَّ الظلمات والنور من جَعَلَ الله في كَوْنِهِ إشارةً إلى فساد مذهب المجوس، الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الظُّلْمَةَ والنورَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

• ﴿... ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١٥٢﴾ : أي: ثُمَّ بَعْدَ وُضُوحِ الرُّؤْيَا الفِكْرِيَّةِ بِإِبراهيمَ الكَوْنِيَّةِ المشهُودَةِ، الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُسَاوِيهِ وَلَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ فِي الوجودِ كُلِّهِ، فِي أَيِّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ، يَجْعَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَهَتَهُمْ مُعَادِلَةً مُسَاوِيَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، تَسْتَحِقُّ فِي تَصَوُّرِهِمُ الباطلَ أَنْ تُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

يَعْدِلُونَ: أي: يُسَوُّونَ. فيَجْعَلُونَ خَلْقًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَلَا حَوْلَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، أَوْ أَسْمَاءً لَا حَقِيقَةَ لَهَا إِلَّا فِي أَوْهَامِهِمْ، أَشْيَاءَ مُسَاوِيَةٍ مُعَادِلَةٍ لِمَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ، وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنورَ.

هذا مِنْهُمْ ظُلْمٌ عَظِيمٌ شَنِيعٌ لِلْحَقِّ، وَعُدْوَانٌ عَلَى حَقِّ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ، فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهَا، وَفِي إِلَهِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهَا، وَهُوَ مِنْ عَجِيبِ الأَمْرِ الَّذِي لَا يَصُدُّرُ عَنْ ذِي عَقْلِ وَرُشْدٍ.

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ إِيدَانٌ بِأَنَّ السُّورَةَ الَّتِي افْتَتَحَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذِهِ الآيَةِ، سَيَكُونُ فِيهَا مُعَالَجَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ بِمَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَةُ الرَّبِّ الْحَكِيمِ مِنْ إِقْنَاعٍ، وَمَوْعِظَةٍ حَسَنَةٍ، وَجِدَالٍ بَالَتِي هِيَ أَحْسَنُ.

■ قول الله تعالى خطاباً للمشرِكين بِهِ عَلَى سَبِيلِ الالْتِفَاتِ:

• ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ

تَمُوتُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾ :

فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانٌ عُنَوَانِيٌّ مُوجَزٌ لِأَرْبَعِ قَضَايَا:

**الْقَضِيَّةُ الْأُولَى:** دَلٌّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ

طِينٍ﴾ أَي: مِنْ مَاءٍ وَتُرَابٍ عَلَى اخْتِلَافٍ عَنَاصِرِهِ مِنَ الْأَرْضِ.

أَمَّا خَلْقُ جَسَدِ آدَمَ مِنْ طِينٍ، فَقَدْ جَاءَتْ بِشَأْنِهِ بَيَانَاتٌ قُرْآنِيَّةٌ كَثِيرَةٌ، وَهُوَ مِنَ الْأُمُورِ الْمُبَيِّنَةِ فِي كُلِّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كُتُبٍ، وَعَلَى لِسَانِ كُلِّ الْمُرْسَلِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ، مُنْذُ عَهْدِ آدَمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَلَا يَجْحَدُهَا جَاحِدٌ، وَالتَّذْكِيرُ بِهَا يُرَادُ بِهِ الدَّلَالَةُ عَلَى عَظَمَةِ صِفَاتِ الْخَالِقِ الْبَارِي الْمَصُورِ ذِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، الَّذِي هُوَ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ، وَهُوَ الْوَاحِدُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ لِكُلِّ مَا سِوَاهُ جَلٌّ جَلَالُهُ وَعَظَمٌ سُلْطَانُهُ.

وَأَمَّا خَلْقُ زَوْجِهِ وَذُرِّيَّاتِهِمَا فَهُمْ مَخْلُوقُونَ أَيْضًا مِنْ طِينٍ تَبَعًا لَهُ، وَيُضَافُ إِلَى هَذِهِ التَّبَعِيَّةِ، أَنَّ جَسَدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَخْلُوقٌ مِنْ طِينٍ تَحَوَّلَ بِخَلْقِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى غِذَاءٍ، فِدْمَاءٍ، فَنُطْفٍ، فَأَجْنَةٍ، وَكَانَ نَمَائُهَا وَبَقَاؤُهَا مُسْتَمَدًّا مِنَ الْغِذَاءِ الَّذِي هُوَ طِينٌ مُتَحَوِّلٌ، إِذَا حُلِّلَتْ عَنَاصِرُهُ، وَعُزِلَ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ عَادَ تُرَابًا وَمَاءً، وَالطِّينُ مَرَحَلَةٌ مِنْ مَرَاكِحِ التَّكْوِينِ التَّطَوُّيرِيِّ.

**فِعْيَارَةٌ:** ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ عِبَارَةٌ مَنْطِقِيَّةٌ عَلَى الْوَاقِعِ دَوَامًا،

مُنْذُ النِّشْأَةِ الْأُولَى لِلنَّاسِ، وَحَتَّى آخِرِ مَخْلُوقٍ مِنْهُمْ.

**القَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ:** دَلٌّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾: أَي: ثُمَّ

أَنْهَى بِالْمَوْتِ أَجَلَ كَانَ قَدَرُهُ وَأَمْضَاهُ لِحَيَاةِ كُلِّ إِنْسَانٍ سَبَقَتْ لَهُ حَيَاةٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَهَذَا الْأَجَلُ كَانَ مُعَيَّنًا مَعْلُومًا لِلرَّبِّ الْخَالِقِ، وَيَتَحَقَّقُ فِيكُمْ نَظِيرُ مَا سَبَقَ لِلَّذِينَ مَاتُوا مِنْ قَبْلِكُمْ، وَكَذَلِكَ فَيَمُنُّ سَيَخْلُقُ مِنَ النَّاسِ مِنْ بَعْدِكُمْ، إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَسُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِ النَّاسِ وَاحِدَةٌ.

وَجَاءَ الْعُظْفُ بِـ «ثُمَّ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى مُدَّةِ أَجَلِ حَيَاةِ كُلِّ إِنْسَانٍ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، حَيَاةِ الْإِمْتِحَانِ.

فعل: «قَضَى الشَّيْءَ» هو في اللُّغَةِ بِمَعْنَى: أَمْضَاهُ، وَأَنْهَاهُ، وَأَتَمَّهُ، قَوْلًا كَانَ، أَوْ فِعْلًا، أَوْ إِرَادَةً، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ.

القَضِيَّةُ الثَّالِثَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾:

أي: وَأَجَلٌ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ مُحَدَّدٌ مُّعَيَّنٌ مُّسَمًّى بِزَمَنِهِ، ضَمِنَ خَطَّ الزَّمَنِ الْمُمْتَدُّ مُنْذُ بَدْءِ الْخَلْقِ إِلَى مَا لَا نِهَآيَةَ لَهُ، هُوَ عِنْدَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ عِلْمًا وَتَسْجِيلًا فِي كِتَابٍ، وَوَصَفُ أَجَلٍ بِأَنَّهُ مُسَمًّى يُفِيدُ تَعْمِيمَ كُلِّ أَجَلٍ قَدَرَهُ اللَّهُ وَقَضَاهُ.

فَلِكُلِّ أَجَلٍ لِأَمْرِ مَا، تَقْدِيرٌ وَقَضَاءٌ وَتَعْيِينٌ بِاسْمِ الزَّمَنِ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ إِحَاطَةٌ بِعِلْمِ اللَّهِ دَوَامًا، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ هُوَ مُسَجَّلٌ فِيهِ.

يُطْلَقُ الْأَجَلُ عَلَى زَمَنِ الْفِعْلِ، أَوْ مُدَّةِ بَقَاءِ الشَّيْءِ، أَوْ زَمَنِ الْإِنْهَاءِ.

القَضِيَّةُ الرَّابِعَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خُطَابًا لِلْمُشْرِكِينَ: ﴿... ثُمَّ

أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾؟

﴿تَمْتَرُونَ﴾: أي: تَشْكُونَ وَتَجَادِلُونَ.

أي: مَعَ ظُهُورِ حَقَائِقِ الْقَضَايَا الثَّلَاثِ الَّتِي سَبَقَ بَيَانُهَا فِي الْآيَةِ، كَيْفَ صَحَّ فِي أَذْهَانِكُمْ وَاسْتِقَامَ فِي عُقُولِكُمْ، أَنْ تَجْعَلُوا لِرَبِّكُمْ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْخَلْقِ، وَلَا مُسَاوِيَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، شَرِيكًا مِنْ دُونِهِ أَوْ شُرَكَاءَ، تَعْبُدُونَهُمْ، وَتَدْعُونَهُمْ، وَتَرْجُونَ إِعَانَتَهُمْ لَكُمْ إِعَانَاتٍ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ، وَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَلَا لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ شَيْءٌ وَلَا مِنَ الْإِلَهِيَّةِ شَيْءٌ.

إِنَّ هَذَا الانْحِطَاطَ السَّحِيقَ لَا يَفْعَلُهُ ذُو فِكْرٍ سَلِيمٍ خَالٍ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَالتَّقَالِيدِ الْعَمِيَاءِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ خُطَابَ الْمُشْرِكِينَ بِحَقَائِقِ هَادِيَةٍ لِكُلِّ ذِي عَقْلٍ

وَرُشْدٍ:

• ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ ﴿١﴾ :

أي: والربُّ الخالق المتَّصفُ بِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ، المنزَّه عَنْ كُلِّ صِفَاتِ النِّقْصَانِ، المتفردُ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، هو الله في السَّمَاوَاتِ، وفي الْأَرْضِ، يَعْلَمُ سِرَّكُمْ، وَيَعْلَمُ جَهْرَكُمْ، وَيَعْلَمُ كُلَّ مَا تَكْسِبُونَ بِإِرَادَاتِكُمْ الْحَرَّةِ مِنْ مَكْتَسَبَاتٍ ظَاهِرَةٍ وَبَاطِنَةٍ، حَتَّى مَا تَكْسِبُونَ فِي نُفُوسِكُمْ مِنْ عَقَائِدَ وَنِيَّاتٍ وَغَيْرِهَا مِنْ مَكْتَسَبَاتِ النُّفُوسِ.

السِّرُّ: ما يَكْتُمُهُ الْإِنْسَانُ وَيُخْفِيهِ.

الْجَهْرُ: مَا يُعْلِنُهُ الْإِنْسَانُ وَيُبْدِيهِ. يقالُ لغة: «جَهَرَ فُلَانٌ بِكَلَامِهِ» أي: رَفَعَ بِهِ صَوْتَهُ، ويقالُ: «جَهَرَ الشَّيْءُ يَجْهَرُ جَهْرًا» أي: عَلَنَ وَظَهَرَ.

• ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾: أي: وَيَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ. الْكَسْبُ: الْعَمَلُ، وَهُوَ يَعْمُ الْعَمَلَ الْجَسَدِيَّ، وَالْفِكْرِيَّ، وَالتَّقْسِيَّ.

جُمِعَتِ السَّمَاوَاتُ لِتَعَدُّدِهَا، وَأُفْرِدَتِ الْأَرْضُ لِأَنَّهَا أَرْضٌ وَاحِدَةٌ، وَيُرَادُ بِكَلِمَةِ «الْأَرْضِينَ» فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ طَبَقَاتٌ مِنَ الْأَرْضِ.

■ قول الله تَعَالَى مُتَحَدِّثًا عَنْ عُنَاةِ الْمُشْرِكِينَ وَأَنْتَمَتِهِمْ بِضَمِيرِ الْغَائِبِينَ التَّفَاتًا عَنْهُمْ إِلَى خُطَابِ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ:

• ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٢﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٣﴾ .

أي: وَمَا تَأْتِي هَؤُلَاءِ الْعُنَاةِ الْمَصْرِينَ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنْ بَاطِلٍ، آيَةٌ مَا مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمُ الْبَيِّنَاتِ أَوْ الْخَوَارِقِ، إِلَّا أَعْرَضُوا عَنْهَا، وَلَمْ يَعْبُؤُوا بِهَا، وَإِذَا كَانَ فِيهَا أَنْبَاءٌ عَنِ الْبَعْثِ وَعَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ اسْتَهْزَؤُوا بِهَا. بِدَلِيلِ مَا جَاءَ فِي آخِرِ الْآيَةِ (٥) التَّالِيَةِ:

﴿كَانُوا﴾ كَانَ هُنَا مُسْتَعْمَلَةٌ بِمِثَابَةِ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ، وَهَذَا أَحَدُ

اسْتِعْمَلَاتِهَا، ولو كان لفظها مَاضِيًا، فهي تُسْتَعْمَلُ بَمَثَابَةِ الفعل الماضي،  
وَتُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الصَّيْرُورَةِ، وبمعنى الحال، وبمعنى الاستقبال، وبمعنى  
اتصال الزَّمانِ من غَيْرِ انقطاع، والقرائنُ كَوَاشِفُ للمراد بها، وقد تأتي  
زائدة للتوكيد.

**الإعراض:** حَالَةٌ وَسَطَى بَيْنَ الإِقْبَالِ والإِدْبَارِ، وهذه الحالة كافيّة  
لوصفهم بالكفر، وَمَنْ أَذْبَرَ مِنْهُمْ كَانَ أَشَدَّ كُفْرًا وَعِنَادًا، وَأَخْسَ دَرَكَةً فِي  
جَهَنَّمَ.

وَيَذُلُّ عَلَى أَنْ هَذَا هُوَ وَصْفُهُمُ الْمُسْتَقْبَلِيُّ، أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ  
الرَّبَّانِيِّ حِينَ جَاءَهُمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ رَبِّهِمْ وَعَلِمُوا أَنَّهُ حَقٌّ، وَرَفَضُوا  
الاسْتِجَابَةَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، اتَّبَاعًا لِأَهْوَائِهِمْ وَتَقَالِيدِهِمُ الْعَمِيَاءِ.

فالفاء في: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ سَبَبِيَّةٌ، أي: فبسبب تكذيبهم العنادي  
السَّابِقِ مِنْهُمْ الَّذِي لَا دَاعِيَ لَهُ مُطْلَقًا إِلَّا رَفُضُ الْحَقِّ اتِّبَاعًا لِلْهَوَى، فَإِنَّهُمْ  
سَيُعْرِضُونَ عَنْ كُلِّ آيَةٍ تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ، فَوَاقِعُهُمُ النَّفْسِيُّ لَا يَصُدِّرُ  
عَنْهُ إِلَّا الإِعْرَاضُ أَوْ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ.

لفظ «مِنْ» في عبارة ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ أُدْخِلَتْ عَلَى الْفَاعِلِ لِتَوْكِيدِ عُمُومِ  
النفي لكلِّ الآياتِ الْبَيَانِيَّةِ أو الإعجازيّة.

• ﴿... فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَأُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: أي: فَسَوْفَ  
يَأْتِيهِمْ يَوْمَ الدِّينِ تَحْقِيقُ الْأَنْبَاءِ الَّتِي كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَسْتَهْزِئُونَ بِهَا، حِينَ  
كَانُوا يَسْمَعُونَ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِمْ، وفيها أنباءٌ عن الْبَعْثِ وَعَذَابِ اللَّهِ فِي  
جَهَنَّمَ يَوْمَ الدِّينِ، وَمَا يُلَاقُوهُ مِنْ أَهْوَالٍ فِي الْحَشْرِ وَالسَّوْقِ إِلَى دَارِ  
العذاب.

■ قول الله تَعَالَى خطاباً لِلرَّسُولِ ولِلْمُؤْمِنِينَ، مُتَحَدِّثًا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ  
العظيم الْجَبَّارِ:



• ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ وَارْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ :

• ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ : أي: أَلَمْ يَعْلَمُوا مِنْ أَخْبَارِ الْمُهْلَكِينَ مِنْ كُفَّارِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، أَعْدَادًا كَثِيرَةً أَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ رَبِّهِمْ، وَرَفَضِهِمُ الاسْتِجَابَةَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ؟! أَلَمْ يَرَوْا بِأَعْيُنِهِمْ أَثَارَ كَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُهْلَكِينَ السَّابِقِينَ؟!

الاسْتِفْهَامُ اسْتِفْهَامٌ تَعْجِيبِيٌّ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمِنْ مَبْلَغِ انْجِرَافِهِمْ الْإِجْرَامِيِّ، وَسُقُوطِهِمْ فِي أَوْحَالِ الْحِمَاقَةِ وَالْجَهَالَةِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَى، عَلَى خِلَافِ مَا يَقْتَضِيهِ الرَّأْيُ السَّيِّدُ، وَالْعَقْلُ السَّلِيمُ.

﴿كَمْ﴾ هُنَا خَبَرِيَّةٌ وَاقِعَةٌ مَوْقَعٌ مَعْمُولٍ أَوْ مَعْمُولِي الْفِعْلِ فِي: ﴿يَرَوْا﴾ و«كَمْ» اسْمٌ مُبْهَمٌ يَحْتَاجُ تَفْسِيرًا بِالْتِمِيزِ، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى عَدَدٍ مَا كَثِيرٍ. ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾: يُطْلَقُ الْقَرْنُ وَيُرَادُ بِهِ مِنَ النَّاسِ أَهْلُ زَمَانٍ وَاحِدٍ، وَالْعِبَارَةُ هَذِهِ تَمَيِّزٌ لِإِبْهَامِ «كَمْ».

• ﴿... مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ...﴾ :

التَّمَكُّينُ فِي الشَّيْءِ: هُوَ الْإِقْدَارُ عَلَى التَّصَرُّفِ فِيهِ الْمَوْصِلِ إِلَى تَحْقِيقِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ، مَعَ التَّثْبِيتِ فِي مَكَانِهِ، وَالْقُدْرَةَ عَلَى التَّحَرُّكِ فِيهِ بَحْرِيَّةً. وَأَصْلُهُ مَاخُوذٌ مِنَ الْمَكَانِ وَالتَّثْبَاتِ فِيهِ، فَالتَّمَكُّينُ فِي الْمَكَانِ إِقْدَارٌ عَلَيْهِ وَعَلَى الثَّبَاتِ فِيهِ، مَعَ مَنَحِ حُرِّيَّةِ التَّصَرُّفِ فِيهِ.

والخِطَابُ فِي: ﴿مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ هُوَ عَلَى سَبِيلِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى خِطَابِ الْمُشْرِكِينَ، بَعْدَ الْإِلْتِفَاتِ عَنْ خِطَابِهِمْ فِي الْآيَتَيْنِ (٤) وَ(٥) وَجُزْءٍ مِنَ الْآيَةِ (٦) أَوْ هُوَ خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَعُمُومِ الْعَرَبِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ بَغِيَّةً

التَّعْجِيبِ مِنْ أَحْوَالِ الْمَكَابِرِينَ الْمُعَانِدِينَ مِنْ مُشْرِكِي أَهْلِ مَكَّةَ، وَهَذَا هُوَ الْأَجْدَرُ بِالفهم فيما أَرَى.

وَمِنَ الَّذِينَ كَانُوا مُمَكِّنِينَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ تَمْكِينِ الْعَرَبِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، وَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ إِهْلَاكًا جَمَاعِيًّا بِذُنُوبِهِمْ، فِرْعَوْنُ وَمَلُؤُهُ وَجُنُودُهُمْ، وَقَوْمُ عَادٍ، وَقَوْمُ ثَمُودٍ مِنْ قَبْلُ.

• ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾: أي: وَأَظْلَقْنَا لَهُمْ مَاءَ السَّحَابِ يَنْزِلُ عَلَى أَرْضِهِمْ غَيْثًا كَثِيرًا غَزِيرًا نَافِعًا، فِي أَوْقَاتِ الْحَاجَةِ. يَأْتِي الْإِرْسَالُ بِمَعْنَى الْإِطْلَاقِ.

ذُكِرَ لَفْظُ «السَّمَاءِ» وَالْمُرَادُ مَاءُ السَّمَاءِ بِمَعْنَى السَّحَابِ. مِدْرَارًا: أي: كَثِيرًا غَزِيرًا، يُقَالُ لَعَةً: «سَحَابٌ مِدْرَارٌ» أي: كَثِيرُ السَّحَابِ.

حِينَ يَكُونُ الْمَاءُ بُخَارًا مُمْتَدًّا فِي السَّحَابِ يَكُونُ حَبِيسًا مُقَيَّدًا فِي الْجَوِّ، فَإِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْزَلَهُ أَطْلَقَهُ مِنْ قُوْدِهِ بِوَسِيلَةِ اللَّقَاحِ بِمَا تَحْمِلُ الرِّيحُ مِنْ جُسَيْمَاتٍ صَغِيرَاتٍ، كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ لَدَى تَدْبِيرِ الْآيَةِ (٢٢) مِنْ سُورَةِ (الْحَجَرِ/ ٥٤ نزول).

• ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾: أي: وَأَجْرَيْنَا لَهُمُ الْمِيَاهَ الْعَذْبَةَ فِي الْأَنْهَارِ بَعْدَ أَنْزَالِهَا مِنَ السَّمَاءِ، فَهِيَ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا مِنَ الْأَرْضِ، وَهَذِهِ الْمَجَارِي تَقَعُ بِالطَّبْعِ تَحْتَ مُسْتَوَى سَطُوحِ الْأَرْضِ الْكَائِنَةِ فِي شَوَاطِئِهَا الَّتِي يَسْكُنُونَهَا وَيَبْنُونَ عَلَيْهَا مَسَاكِنَهُمْ، فَهِيَ تَجْرِي بِهَذَا الْمَعْنَى مِنْ تَحْتِهِمْ، لَا مِنْ فَوْقِهِمْ وَلَا مُحَازِيَةً لِمُسْتَوَى ارْتِفَاعِهِمْ إِذَا كَانُوا عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ لَا فِي أَنْفَاقٍ مِنْهَا.

• ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾: أي: فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمُ الْعَظْمَى إِذْ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَقَاوَمُوا دَعَوَاتِهِمْ، وَكَانَ إِهْلَاكُهُمْ إِهْلَاكًا جَمَاعِيًّا، بِخَوَارِقِ دَالَاتٍ عَلَى الْقَصْدِ مِنْ إِهْلَاكِهِمْ عِقَابًا، لِيَتَّعِظَ بِهِ أُولُوا الْأَلْبَابِ.

• ﴿... وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (١): أي: وأنشأنا من بعد كلِّ قَرْنٍ مِنْ قُرُونِ الْمُهْلَكِينَ السَّابِقِينَ، قَرْنًا آخَرِينَ وَضَعُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، بَعْدَ أَنْ بَلَغَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سِنَّ التَّكْلِيفِ وَالْمَسْئُولِيَّةِ وَالْجَزَاءِ.

الإِنشاء: هُوَ الْإِحْدَاثُ الْمَضْحُوبُ بِالتَّكَامُلِ الْمَتَدَرِّجِ غَالِبًا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ لِلْأَحْيَاءِ وَالنباتاتِ وَسَائِرِ الْأَكْوَانِ، تَسِيرُ عَلَى وَفْقِ الْإِحْدَاثِ وَالْإِبْجَادِ الْمَضْحُوبِ بِالتَّكَامُلِ الْمَتَدَرِّجِ شَيْئًا، فَشَيْئًا، أَمَّا الْخَلْقُ دُفْعَةً وَاحِدَةً فَيَكُونُ بِخَارِقٍ إِعْجَازِيٍّ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْمُخَالَفَاتِ لِسُنَّتِهِ، لِأَمْرِ مَا اقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَخْلُقَ الْأَكْوَانُ كُلَّهَا دُفْعَةً وَاحِدَةً لَفَعَلَ بِأَمْرِ التَّكْوِينِ: «كُنْ».

■ قول الله تَعَالَى لِرَسُولِهِ بِشَأْنِ أُمَّةِ الْكُفْرِ الْعِنَادِيِّ الْمُصْرِينَ عَلَى بَاطِلِهِمْ اتِّبَاعًا لِأَهْوَائِهِمْ، بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٧):

• ﴿كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ﴾: أي: كِتَابًا مِنْ لَدُنَّا كَالْقُرْآنِ، مَكْتُوبًا فِي قُرْطَاسٍ أَي: فِي صَحِيفَةٍ صَالِحَةٍ لِلْكِتَابَةِ عَلَيْهَا.

الْقُرْطَاسُ: مِثْلُ الْقَافِ، هُوَ فِي اللُّغَةِ الصَّحِيفَةُ، يُكْتَبُ فِيهَا.

• ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾: أي: فَرَأَوْهُ بِأَعْيُنِهِمْ وَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ، جَاءَ التَّصْرِيحُ بِلَمَسِ الْأَيْدِي، لِأَنَّ الْأَعْيُنَ قَدْ تَرَى عَنْ طَرِيقِ السَّحْرِ مَا لَيْسَ لَهُ وَجُودٌ فِي الْحَقِيقَةِ، كَمَا فَعَلَ سَحَرَةُ فِرْعَوْنَ إِذْ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ، وَلَكِنَّهُمْ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسَحَرُوا مِنْهُمْ حَاسَةَ اللَّمَسِ.

• ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا كُفْرًا عِنَادِيًّا وَإِصْرَارًا عَلَى بَاطِلِهِمْ اتِّبَاعًا لِأَهْوَائِهِمْ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِالْحَقِّ.

• ﴿... إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّيْتٌ ۖ﴾: أي: مَا هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فِي قِرْطَاسٍ، إِلَّا عَمَلٌ مِنْ أَعْمَالِ السَّحَرِ الظَّاهِرَةِ الْمَبِينَةِ بِأَنَّهَا سِحْرٌ، وَلَيْسَ هُوَ كِتَاباً رَبَّانِيّاً، فَنَحْنُ لَا نُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا نَصَدِّقُ مُحَمَّدًا فِي ادِّعَاءِ أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. مُبَيَّن: أي: ظاهرٌ واضحٌ.  
تَذَلُّ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَمْرَيْنِ:

الأمر الأول: تَيَسُّسُ الرَّسُولِ مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَتِهِ، وَلَوْ جَاءَهُمْ بِمَا يَطْلُبُونَ مِنْ آيَاتٍ خَوَارِقَ مَا زَالُوا يُلْحُونَ بِطَلِبِهَا عَلَى سَبِيلِ التَّشْهِي والتَّعْنَتِ.

الأمر الثاني: إِعْلَامُ الْمَعْنِيِّينَ بِعِبَارَةٍ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِأَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا فِي نَفْسِهِمْ مِنْ عِنَادٍ وَمُكَابَرَةٍ وَإِضْرَارٍ عَلَى الْبَاطِلِ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِحَاجَةٍ إِلَى أُدْلَةٍ تُقْنِعُهُمْ بِصِدْقِ نُبُوَّةِ وَرِسَالَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَصِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ، فَالاستِجَابَةُ لَطَلِبِهِمُ الْآيَاتِ الْخَوَارِقِ عَبَثٌ لَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

■ قول الله تَعَالَى يَتَحَدَّثُ عَنْ بَعْضِ مَطَالِبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْعِنَادِيَّةَ التَّعْنِيتِيَّةَ:

• ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ۚ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾: ﴿٨﴾

دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ الْمَعْنِيِّينَ بِهِ، مَا زَالُوا يُرَدِّدُونَ طَلِبَ إِنْزَالِ مَلَكٍ مِنَ السَّمَاءِ، عَلَى الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، لِيَتَّخِذُوا مِنْ عَدَمِ إِنْزَالِ مَلَكٍ عَلَيْهِ تَعَلُّةً لِعَدَمِ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ.

فَقَدْ سَبَقَ أَنْ طَلَبُوا هَذَا الطَّلِبَ قَبْلَ نُزُولِ سُورَةِ (الفرقان/ ٤٢ نزول) فَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ طَلِبَهُمْ هَذَا فِي الْآيَةِ (٧) مِنْهَا وَطَلَبُوا أَيْضاً إِنْزَالَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ كَمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ (٢١) مِنْهَا.

وَكَرَّرُوا طَلَبَهُمْ هَذَا قَبْلَ نَزُولِ سُورَةِ (الْإِسْرَاءِ/ ٥٠ نَزُول) فَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ طَلِبَهُمْ هَذَا وَعَلَّمَ رَسُولَهُ مَا يَرُدُّ بِهِ عَلَيْهِمْ فِي الْآيَةِ (٩٥) مِنْهَا.

وَكَرَّرُوا طَلَبَهُمْ هَذَا قَبْلَ نَزُولِ سُورَةِ (هُود/ ٥٢ نَزُول) فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا تَعْلِيمًا تَرْبُويًا لِرَسُولِهِ، يُبَيِّنُ لَهُ فِيهِ وَظِيفَتَهُ الْإِنْدَارِيَّةَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمَكَابِرِينَ الْمَصْرِيْنَ عَلَى بَاطِلِهِمْ.

وَكَرَّرُوا طَلَبَهُمْ هَذَا قَبْلَ نَزُولِ سُورَةِ (الْحَجَرِ/ ٥٤ نَزُول) مُسَبِّقًا بِشَتِيمَتِهِمْ لِلرَّسُولِ بِأَنَّهُ لِمَجْنُونٍ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِمَا يُومِئُ إِلَى أَنَّهُمْ مُكَابِرُونَ، فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مَلَائِكَةً لَمْ يُؤْمِنُوا، وَلَا سَتَمَرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَمُقَاوَمَتِهِمْ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، وَهُوَ مَا جَاءَ فِي الْآيَتَيْنِ (٧ و ٨) مِنْهَا.

وَأَخِيرًا كَرَّرُوا طَلَبَهُمْ هَذَا قَبْلَ نَزُولِ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ/ ٥٥ نَزُول) فَأَنْزَلَ الْآيَتَيْنِ (٨ و ٩) مِنْهَا وَأَجَابَهُنَّ بِمَا يُفْنِغُ طُلَّابَ الْحَقِّ، وَأَنْزَلَ فِي الْآيَةِ (١١١) مِنْهَا مَا يَكْشِفُ بَصَرَاخَةَ شَدِيدَةِ لَا بِأَسْلُوبِ إِيْمَانِي مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا عَنْ طَرِيقِ إِزَادَاتِهِمْ الْحَرَّةِ، وَلَوْ أَنْزَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةَ الَّتِي يَطْلُبُونَ إِنْزَالَهَا، وَلَوْ جَعَلَ الْمَوْتَى تُكَلِّمُهُمْ، وَلَوْ حَشَرَ عَلَيْهِمْ كُلَّ غَيْبِيٍّ فَشَاهَدُوهُ.

وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ التَّصَوُّصِ الَّتِي جَاءَتْ فِي سُورِ (الْفِرْقَانِ، وَالْإِسْرَاءِ، وَهُودٍ، وَالْحَجَرِ) فِي مَوَاضِعِهَا مِنْ سُورِهَا.

وَفِي مَا يَلِي تَدَبُّرَ مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الْأَنْعَامِ) الْجَارِي تَدَبُّرُهَا.

● ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ...﴾: أَي: وَقَالَ أَيْمَةُ الْكُفْرِ الْمُشْرِكُونَ الْمُعَانِدُونَ الْمَكَابِرُونَ الْمَصْرُونَ عَلَى بَاطِلِهِمْ: هَلَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ مَلَكٌ نُشَاهِدُهُ وَيُخَاطِبُنَا، وَيَشْهَدُ لَهُ بِأَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَيُبَيِّنُ لَنَا مَطْلُوبَاتِ اللَّهِ مِنَّا، إِنَّ عَدَمَ إِنْزَالِ مَلَكٍ عَلَيْهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ صَادِقٍ فِي نُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ، وَفِي بَلَاغَاتِهِ عَنْ رَبِّهِ.

فَرَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ بِإِجَابَتَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

• ﴿... وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيْسُونَ ﴿٩﴾﴾ :

أي: إِنَّهُمْ فِي طَلِبِهِمْ أَنْزَالَ مَلَكٌ مُتَعَنِّتُونَ، غَيْرُ صَادِقِينَ فِي ادِّعَاءِ أَنَّهُمْ سَيُؤْمِنُونَ إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مَلَكًا كَمَا طَلَبُوا، إِذْ هُمْ مُكَابِرُونَ يَعْلَمُونَ صِدْقَ الرَّسُولِ وَيَجْحَدُونَهُ، وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا عَلَى وَفْقِ طَلِبِهِمْ، فَلَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ إِلَّا الْعِنَادُ وَالْإِضْرَارُ عَلَى الْكُفْرِ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ مِنَ الْحَكْمَةِ أَنْهَاءُ مُدَّةِ إِمْهَالِهِمْ فِي امْتِحَانِهِمْ، وَأَنْزَالَ الْعَذَابَ فِيهِمْ وَإِهْلَاكُهُمْ كَمَا حَصَلَ لَثُمُودَ قَوْمِ النَّبِيِّ الرَّسُولِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وبهذا أَرَى أَنَّ الواو العاطفة في ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا﴾ تَعْطِفُ عَلَى مَحْذُوفٍ يُمَكِّنُ اسْتِنْبَاطَهُ بِالتَّأَمُّلِ الْفِكْرِيِّ، فَقَدْ صَحَّ عِنْدِي أَنَّ كُلَّ حُرُوفِ الْعَطْفِ قَدْ تَكُونُ فَصِيحَةً كَمَا قَالَ التَّحْوِيثُونَ وَالْمَفْسُرُونَ فِي الْفَاءِ.

• ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾: أي: لِأَنَّهُ يَأْمُرُ إِمْهَالِهِمْ فِي امْتِحَانِهِمْ، وَلَقُضِيَ فِيهِمْ بِالْعَذَابِ وَالْإِهْلَاكِ الشَّامِلِ.

• ﴿ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾: أي: ثُمَّ بَعْدَ إِصْدَارِ الْقَرَارِ بِتَعْذِيْبِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ، لَا يُؤَخَّرُ تَنْفِيْذُ مَا تَمَّ بِهِ الْقَضَاءُ فَهُمْ لَا يُمَهَّلُونَ.

الإِنْظَارُ: الإِمْهَالُ وَالتَّأْخِيرُ.

هَذِهِ هِيَ الْإِجَابَةُ الْأُولَى، دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾﴾.

أما الإِجَابَةُ الثَّانِيَّةُ فَقَدْ دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيْسُونَ ﴿٩﴾﴾:

الْبَلْسُ: خَلَطُ أَمْرٍ بِأَمْرٍ، أَوْ شَيْءٍ بِشَيْءٍ، أَوْ فِكْرَةٍ بِفِكْرَةٍ، وَهَذَا

اللَّبَسُ يَنْجُمُ عَنْهُ جَهْلُ كُلِّ مِنَ الْمُخْتَطِطِينَ، أَوْ جَهْلُ أَحَدِهِمَا، وَتَوَهُّمُ أَنَّهُ مِثْلُ الْمُخْتَطِطِ بِهِ، وَمِنْهُ لَبَسَ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، لِلإيهام بِأَنَّ الْبَاطِلَ حَقٌّ.

يقال لغة: «لَبَسَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ الْأَمْرَ، يَلْبِسُهُ، لَبَسًا» أي: خَلَطَهُ بِهِ لَكِنِّي يُضِلُّهُ فَلَا يَعْرِفُ حَقِيقَتَهُ.

وهذا اللَّبَسُ مِنَ وَسَائِلِ الْمُضِلِّينَ، الَّذِينَ يَعْتَمِدُونَ فِي تَضْلِيلَاتِهِمْ عَلَى الْمِغَالَطَاتِ وَالإِيهَامَاتِ الْكَاذِبَاتِ.

أي: وَلَوْ جَعَلْنَا الرَّسُولَ الَّذِي نُرْسِلُهُ إِلَيْهِمْ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَأَفْتَضَى وَضَعُهُمُ الَّذِي فُطِرُوا عَلَيْهِ، أَنْ نَجْعَلَهُ مُتَشَكِّلًا بِصُورَةِ رَجُلٍ مِنَ النَّاسِ، لِأَنَّ فِطْرَهُمْ لَا تُمْكِنُهُمْ مِنْ رُؤْيَةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى حَقِيقَةِ أَكْوَانِهَا الثُّورَانِيَّةِ، مَا لَمْ تَتَشَكَّلْ بِالْأَشْكَالِ الْجِسْمَانِيَّةِ، وَأَكْمَلُ مَا تَتَشَكَّلُ بِهِ صُورَةُ رَجُلٍ مِنَ النَّاسِ، لَا صُورَةَ طَيْرٍ أَوْ دَابَّةٍ مِنْ دَوَابِّ الْأَرْضِ، وَحِينَئِذٍ يَلْتَبِسُ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ، وَيَقُولُونَ: هَذَا بَشَرٌ وَلَيْسَ مَلَكًا، وَتَعُودُ مُشْكِلَتُهُمْ إِلَى نُقْطَةٍ بِدَايَتِهَا.

إِذَنْ فَلَا فَائِدَةَ مِنَ الاسْتِجَابَةِ لِطَلِبِهِمْ عَلَى فَرَضِ صِدْقِهِمْ بِأَنَّهُمْ سَيُؤْمِنُونَ إِذَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مَلَكٌ.

إِنَّهُمْ فِي طَلِبِهِمْ يَلْبِسُونَ، فَيَخْلُطُونَ ظَاهِرَ اسْتِعْدَادِهِمْ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ إِذَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مَلَكٌ، بِحَقِيقَةِ إِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ جُحُودًا وَعِنَادًا وَاتِّبَاعًا لِلْأَهْوَاءِ.

وَلَوْ أَرْسَلَ اللَّهُ لَهُمْ مَلَكًا رَسُولًا عَلَى شَكْلِ رَجُلٍ مِنَ النَّاسِ، لَلَبَسَ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا يَلْبِسُونَ، وَلَيْسَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ أَنْ يَلْبَسَ عَلَى عِبَادِهِ تَزْيِيفًا وَتَضْلِيلًا، أَوْ يَعْمَلَ عَمَلًا عَبَثًا لَا فَائِدَةَ تُرْجَى مِنْهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خَطَابًا لِرَسُولِهِ مُسْلِيًّا، وَمُظْمِنًا بِأَنَّهُ سَيَنْصُرُهُ، وَيَهْزِمُ وَيُخْزِي مُكَذِّبِيهِ:

• ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١١):

أي: لَا تَهْتَمَّ يَا مُحَمَّدٌ وَلَا تَحْزَنْ مِنْ أَجْلِ اسْتِهْزَاءِ مُكَذِّبِكَ مِنْ قَوْمِكَ فيما تُنذِرُهُمْ بِهِ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ، فَلَقَدْ سَبَقَ فِي تَارِيخِ الْأُمَمِ أَنَّ رُسُلًا كَثِيرِينَ مِنْ قَبْلِكَ، قَدْ اسْتَهْزَأَتْ أَقْوَامُهُمْ بِمَا أَنْذَرُوهُمْ بِهِ، فَانْزَلَ بِالْمُسْتَهْزِئِينَ السَّاحِرِينَ ضَمَنَ سُنَّةِ رَبِّكَ - وَأَصَابَهُمْ وَأَحَاطَ بِهِمُ الْعَذَابُ وَالْهَلَاكُ الَّذِي كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ، وَسُنَّةُ رَبِّكَ لَا تَبْدِيلَ لَهَا وَلَا تَحْوِيلَ.

يقال لغة: «حَاقَ بِهِ الْأَمْرُ» أي: أَصَابَهُ وَأَحَاطَ بِهِ، وَلَزِمَهُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ. «حَاقَ، يَحِيقُ، حَيْقًا، وَحُيُوقًا، وَحَيْقَانًا».

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الْأَوَّلِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الأنعام).  
والحمد لله عَلَى مَعُونَتِهِ وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



(٦)

## التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (الأنعام) الآيتان (١١ و ١٢)

قال الله عزَّ وجلَّ:

• ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (١١)  
﴿قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٢):

تمهيد:

آيتا هذا الدرس من فروع السَّاقِ الثَّانِي من سَاقِي السُّورَةِ، وفي هذا الدرس فِقرَةٌ توجِّيه تعليمي دَعَوِي لِلرَّسُولِ ﷺ، فلكلِّ دَاعٍ إِلَى دِينِ اللَّهِ



الحَقُّ مِنْ أَمَّتِهِ. وفيه بيانٌ بعض ما ينبغي أَنْ يُحَدِّثَ المشركين به، ويحاورهم بِشأنِهِ جِدَالاً بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن.

### التدبر التحليلي:

مَكْذُوبُ الرَّسُولِ ﷺ فِي نُبُوتِهِ وَرِسَالَتِهِ وَبِلَاغَاتِهِ عَنْ رَبِّهِ، سَبَقَ أَنْ أُنْذِرَهُمْ بِعِقَابٍ قَدْ يُنْزِلُهُ اللَّهُ بِهِمْ إِذَا تَمَادَوْا فِي كُفْرِهِمْ وَأَصْرُوا عَلَى بَاطِلِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَيَهْلِكُهُمْ بِهِ، فَلَمْ يَعْبُوا بِهَذَا الْإِنْدَارِ، بَلِ اسْتَهْزَؤُوا بِهِ وَسَخِرُوا مِنْهُ، فَكَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يُرْشِدَهُمْ إِلَى مُشَاهَدَةِ دَلِيلٍ مَادِّيٍّ مِنْ آثَارِ الْمُهْلِكِينَ الْمُكْذِبِينَ السَّابِقِينَ لِرُسُلِ رَبِّهِمْ، وَهِيَ آثَارٌ بَاقِيَةٌ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَسَاكِنِ كُفَّارِ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ مُعَلِّماً مَا يَقُولُهُ لَهُمْ، لِيَحْتُثَّهُمْ عَلَى السَّيْرِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى آثَارِ الْمُهْلِكِينَ السَّابِقِينَ، لِيَنْظُرُوا بِأَعْيُنِهِمْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْذِبِي رُسُلِ رَبِّهِمُ السَّابِقِينَ:

• ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (١١):

إِنَّ مُشَاهَدَةَ آثَارِ الْمُهْلِكِينَ مِنْ كُفَّارِ الْقُرُونِ السَّابِقَةِ تَحْتَاجُ سَيْرًا فِي الْأَرْضِ، أَي: فِي جَوِّ الْأَرْضِ الْمَلْحَقِ بِهَا، وَهُوَ بِمِثَابَةِ جُزْءٍ مِنْهَا، فَالْمَشْيُ فِيهِ مَشْيٌ فِي الْأَرْضِ.

وجاء العطف بحرفِ الْعُطْفِ ﴿ثُمَّ﴾ الدَّالُّ عَلَى التَّرَاخِي فِي ﴿ثُمَّ أَنْظِرُوا﴾ لِحُكْمَتَيْنِ:

الأُولَى: أَنَّ الْآثَارَ قَدْ تَكُونُ بَعِيدَةً عَنِ الْمَدْعُوبِينَ لِلْسَّيْرِ فِي الْأَرْضِ، كَالْآثَارِ الْفَرَعُونِيَّةِ، وَآثَارِ قَوْمِ لُوطٍ، وَآثَارِ قَوْمِ صَالِحٍ، فَلَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهَا الْعُطْفُ بِالْفَاءِ، بَلِ الْعُطْفُ بِ «ثُمَّ» لَتَدَلٍّ عَلَى بُعْدِ الْمَسَافَةِ، وَالْمَرَادُ بِالنَّظَرِ نَظَرَ الْأَعْيُنِ.

الثَّانِيَةِ: أَنَّ مِنْ آثَارِ الْمُهْلِكِينَ السَّابِقِينَ مَا هُوَ مَدْفُونٌ فِي بَاطِنِ

الْأَرْضِ، وَكَشَفُهُ يَتَطَلَّبُ تَنْقِيبًا وَحَفَرِيَّاتٍ يَقُومُ بِهَا الْبَاحِثُونَ عَنِ الْآثَارِ، وَهَذَا يَحْتَاجُ أَرْمَانًا يَلَاثِمُهَا التَّعْبِيرُ بِـ «ثُمَّ».

﴿عَقِبَةُ الْمَكْذِبِينَ﴾ (١١): أي: عَاقِبَةُ تَكْذِيبِ الْمَكْذِبِينَ، الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَ رَبِّهِمْ، وَكَذَّبُوهُمْ بِمَا بَلَّغُوهُمْ عَنْهُ، فَكَانُوا بِذَلِكَ كَافِرِينَ كُفْرًا عِنَادِيًّا، فَاسْتَحَقُّوا عِقَابَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ، فَعَذَّبَهُمْ وَأَهْلَكَهُمْ إِهْلَاكًا جَمَاعِيًّا، وَدَمَّرَ مُنْشَاتِهِمْ فِي دِيَارِهِمْ.

عاقبة عمل العامل: الجزاء الذي يكون بعده، ويأتي عقبه، ولو بعد فاصل زمني.

■ وفي مُنَاطَرَةِ الْمُشْرِكِينَ بِشَأْنِ شُرَكَهِمْ فِي رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ أَوْ فِي إِلَهِيَّتِهِ، أَعْطَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ فَكُلَّ دَاعٍ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ مِنْ أُمَّتِهِ، تَعْلِيمًا يَتَضَمَّنُ الْخُطُوءَ الْأَوَّلَى لِبَدْءِ الْمُنَاطَرَةِ الَّتِي يُرَادُ بِهَا الْإِقْنَاعُ بِالْحَقِّ، وَهَذِهِ الْخُطُوءَةُ تَسْتَدْعِي مَا وَرَاءَهَا مِنْ خُطُوءَاتٍ تَتَّصِلُ بِهَا فِكْرِيًّا، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ:

● ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...؟﴾:

إِنَّ السُّؤَالَ عَمَّنْ يَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَسْتَلْزِمُ الْبَحْثَ فِي الْخَالِقِ الْبَارِئِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

وَإِذَا ادَّعَى الْمُشْرِكُونَ أَنَّ شُرَكَاءَهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَمْلِكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَوْ شَيْئًا مِمَّا فِيهِمَا، فَلَنْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَأْتُوا بِدَلِيلٍ يُثَبِّتُ أَنَّهَا خَلَقَتْ شَيْئًا فِيهِمَا، حَتَّى تَكُونَ مَالِكَةً لَهُ.

وَبِالْعَجْزِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِالْدَّلِيلِ، يَكُونُ ادِّعَاءُ رُبُوبِيَّتِهَا لِشَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَامْتِلَاكُهَا لَهُ ادِّعَاءٌ سَاقِطًا لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، وَإِذَا سَقَطَتْ رُبُوبِيَّتُهَا سَقَطَتْ إِلَهِيَّتُهَا بِاللُّزُومِ الْعَقْلِيِّ، لِأَنَّ الْإِلَهِيَّةَ حَقُّ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَبِمَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الرَّبِّ خَالِقًا مَالِكًا لِمَا خَلَقَ، فَعَلَى مُنَاطَرِهِمْ أَنْ يَنْتَزِعَ عَنْ طَرِيقِ طَرَحِ الْأَسْئَلَةِ الْإِلْزَامِيَّةِ، اعْتَرَفَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ

خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِمَا، فَإِذَا اغْتَرَفُوا بِذَلِكَ لَزِمَهُمْ عَقْلًا بَأْنْ يَعْتَرِفُوا بِمِلْكِيَّةِ اللَّهِ لِكُلِّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.  
وَلَمَّا كَانَ مِنْ بَدَهِياتِ الْعُقُولِ أَنَّ الْمَالِكَ هُوَ الَّذِي لَهُ حَقُّ التَّصَرُّفِ  
فِيمَا يَمْلِكُ، لَزِمَهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ يَتَصَرَّفُ فِي  
مِلْكِ اللَّهِ إِلَّا بِمَا أَدْنَى هُوَ بِهِ.

وَقَدْ جَاءَتِ الْبَيِّنَاتُ عَنِ اللَّهِ بِأَنَّهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ حَقَّ  
التَّصَرُّفِ فِي كَوْنِهِ، إِلَّا ضَمَّنَ حُدُودَ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي تَسْتَوِي فِيهَا  
الْخَلَائِقُ جَمِيعًا بِحَسَبِ الطَّاقَاتِ الْمَمْنُوحَةِ لَهُمْ، أَوْ ضَمَّنَ حُدُودَ آيَاتِ  
الْخَوَارِقِ الَّتِي يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهَا رُسُلَهُ بِإِذْنٍ مِنْهُ، وَأَوَامِرَ يَأْمُرُهُمْ بِهَا، وَمَعَ ذَلِكَ  
يَكُونُ الْفِعْلُ فِعْلَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ.

وَحِينَ يَقْرَأُ الْمُنَاطِرُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، بَأْنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَمِلْكُ مَنْ مِلْكِهِ، فَعَلَى الْمُنَاطِرِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يُعْلِنَ هَذِهِ  
الْحَقِيقَةَ وَيُثَبِّتَهَا، دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآيَةِ لَهُ:  
﴿قُلْ لِلَّهِ﴾: أَي: أَعْلِنَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ وَأَثْبَتَهَا.

وَبَعْدَ إِثْبَاتِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ وَلَوَازِمِهَا، يَنْبَغِي لِلدَّاعِي إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ  
أَنْ يُتَابَعَ دَعْوَتُهُ لِلْمُشْرِكِينَ لِلدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، فَجَاءَ فِي التَّعْلِيمِ التَّوْجِيهُ  
لِعَرْضِ ثَلَاثَةِ بَيِّنَاتٍ دَعْوِيَّةٍ:

البيان الأول: التَّبَشِيرُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ، وَقَبُولِهِ تَوْبَةَ التَّائِبِينَ مِنْ  
سَوَابِقِ كُفْرِيَّاتِهِمْ، دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾  
أَي: أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ وَكَتَبَ هَذَا فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، وَمِنْ  
رَحْمَتِهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - أَنْ مَنْ كَانَ كَافِرًا وَمُرْتَكِبًا مِنَ الْآثَامِ  
كَبَائِرَ كَثِيرَةٍ، ثُمَّ آمَنَ وَأَسْلَمَ طَائِعًا مُخْتَارًا قَبْلَ أَنْ يُلَامَسَ عَتَبَةُ الْمَوْتِ،  
فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ، وَيَغْفِرُ خَطَايَاهُ، فَالْإِسْلَامُ يُجِبُّ مَا قَبْلَهُ مِنَ الذُّنُوبِ.

وهذا من الله إطماعٌ عظيمٌ بوعدٍ كريمٍ للكفرة المجرمين بأن يؤمنوا ويُسَلِّمُوا.  
**البيان الثاني:** التذكير بيوم الدين بعد البعث من الموت، للحساب،  
 وفصل القضاء، وتنفيذ الجزاء، وأن ذلك حق لا شك فيه، دلَّ عليه  
 قول الله تعالى في التعليم: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: أي:  
 أَكْثَدُ لَكُمْ بالقسم: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ فاللأم واقعة في جواب قسم منوي، أي:  
 لِيَجْمَعَنَّكُمْ بعد البعث وليسوقنكم، إلى موقف الحساب وفصل القضاء.

الجمع والسوق جاء التعبير عنهما في نصوصٍ أخرى بالحشر،  
 فالحشر في اللغة هو الجمع والسوق.

وفي العبارة هنا حذفٌ يكشفه ما جاء في نصوصٍ أخرى: فالمعنى  
 مع إبراز المحاذيف: لِيَجْمَعَنَّكُمْ مَسُوقِينَ إِلَى مَوْقِفِ الحساب وفصل القضاء  
 يوم القيامة، وكل ذلك حق لا شك فيه قد أنزل الله به بياناتٍ كثيرات،  
 وبلغه رسل الله لأقوامهم.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: أي: لَا شَكَّ فِيهِ، فالرَيْبُ: هو الشك، ونفي  
 الشك يفيد يقين صدق الخبر.

**البيان الثالث:** التحذير الشديد من خسران الأنفس كلها للذين لَا  
 يُؤْمِنُونَ بما يجب الإيمان به في دين الله لعباده، دلَّ عليه قول الله في  
 التعليم: ﴿... الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٧): أي: الَّذِينَ  
 خَسِرُوا كُلَّ أَنْفُسِهِمْ بِرُكُوبِهِمْ مَرَكَبَةَ أَهْوَائِهِمْ وشهواتِهِمْ وحُبِّهِمْ للعاجلة  
 الفانية، وتركهم لِلْآخِرَةِ، فهي تجري بهم حَتْمًا إِلَى عَذَابٍ خَالِدٍ فِي نَارِ  
 جَهَنَّمَ يَوْمَ الدِّينِ، لَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا يَدْفَعُهُمْ إِلَى الاستجابة لِدَعْوَةِ  
 الحقِّ الربَّانية، فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ مهما دَفَعَتْهم الحُجَجُ، وَوَجَّهَتْ لهم الموعِظُ  
 والإنذارات، فعرضوا أنفسهم لسخط الله وأليم عقابه.

قَصِدَ بِاسْمِ المَوْصُولِ ﴿الَّذِينَ﴾ رَائِحَةً مَعْنَى الشرط، فجاءت الفاء  
 في جملة الخبر كأنها جواب الشرط.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثاني .  
والحمد لله على معاونته ومدّته وتوفيقه وفتحِهِ .



(٧)

## التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الأنعام) الآية (١٣)

قال الله عزّ وجلّ:

• ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي آيَلٍ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٣﴾ :

تمهيد:

هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ فُرُوعِ السَّاقِ الْأَوَّلِ مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ،  
وَفِيهَا بَيَانٌ تَكْمِيلِيٌّ رَبَّانِيٌّ مُبَاشِرٌ مَوْصُولٌ فِكْرِيًّا بِبَعْضِ مَا جَاءَ فِي الدَّرْسِ  
الثَّانِي، يُبَيِّنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا مُلْكِيَّتَهُ لِكُلِّ مَا يُرَى أَنَّهُ سَاكِنٌ فِي اللَّيْلِ  
وَالنَّهَارِ، وَأَنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لِكُلِّ مَا يُسْمَعُ، وَالْعَلِيمُ بِكُلِّ مَا يُعْلَمُ، كَمَا أَنَّ لَهُ  
كُلَّ مَا تَحَرَّكَ وَهُوَ مَا جَاءَ بَيَانُهُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ، وَجَاءَ هُنَا النَّصُّ عَلَى السَّاكِنِ لِدَفْعِ تَوْهُمِ أَنَّ السَّاكِنَاتِ خَارِجَاتٍ  
عَنْ مِلْكِ اللَّهِ.

### السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ:

دِرَاسَةُ الْأَشْيَاءِ الْمَادِيَّةِ فِي الْكَوْنِ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ دَائِمُ  
الْحَرَكَةِ، مِنْ نَوَاقِظِ الذَّرَّةِ وَالْكَثْرَوْنَاتِ حَتَّى أَعْظَمِ الْمَجَرَّاتِ.

وَأَنَّ مَا يَبْدُو أَنَّهُ سَاكِنٌ فِي الْكَوْنِ فَإِنَّ سُكُونَهُ أَمْرٌ نِسْبِيٌّ، أَي: هُوَ  
مُتَحَرِّكٌ فِي ذَاتِهِ، وَيُرَى أَنَّهُ سَاكِنٌ فِي الظَّاهِرِ، أَوْ بِالنَّسْبَةِ إِلَى حَرَكَةِ غَيْرِهِ  
فِي خِدَاعِ بَصَرِيٍّ يُرَى أَنَّهُ سَاكِنٌ.

وَمِنَ السُّكُونِ النَّسَبِيُّ أَنْ يَتَوَقَّفَ الْكَائِنُ الْحَيُّ عَنِ الْحَرَكَةِ بِأَعْضَائِهِ لِيَنَالَ مَا يَطْلُبُهُ مِنْ دُنْيَاهُ، فَيَلْجَأَ إِلَى الرَّاحَةِ وَالنَّوْمِ، وَمِنْهُ الْمَوْتُ الَّذِي تَتَوَقَّفُ بِهِ حَرَكَةُ الْحَيَاةِ، دُونَ أَنْ تَتَوَقَّفَ ذَرَاتُ جَسَدِ الْمَيِّتِ عَنْ حَرَكَاتِهَا الَّتِي هِيَ مِنْ جِنْسِ حَرَكَاتِ ذَرَاتِ الْمَادِّيَّاتِ غَيْرِ الْحَيَّةِ.

وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا السُّكُونِ النَّسَبِيُّ قَيْدُ ﴿فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ لِأَنَّ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ فِي الْأَرْضِ، تَحْتَاجُ إِلَى سُكُونٍ نَسَبِيٍّ لِتَأْخُذَ نَصِيبَهَا مِنَ الرَّاحَةِ اللَّازِمَةِ لِحَيَاتِهَا، وَمِنْهَا مَا يَسْكُنُ لَيْلًا، وَمِنْهَا مَا يَسْكُنُ نَهَارًا.

وَهَذِهِ جَمِيعُهَا مِلْكُ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - وَلَوْ كَانَتْ مِنَ الْأَحْيَاءِ الصُّغْرَى الَّتِي لَا تُرَى بِأَبْصَارِ النَّاسِ، كَالْأَحْيَاءِ الْمَجْهَرِيَّةِ.

وَبِمَا أَنَّهَا مِلْكُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَهُوَ يَرَعَى أَقْوَاتَهَا لِحَيَوَاتِهَا، وَيُهَيِّئُ لَهَا مَطَالِبَهَا عَلَى وَفْقِ حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاهَا وَهُوَ الَّذِي يُمِيتُهَا، وَهُوَ السَّمِيعُ لِأَصْوَاتِهَا، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِكُلِّ أَحْوَالِهَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

وَهُنَا يَتَسَّعُ إِدْرَاكُنَا مَعَ الْعُلُومِ الْمَعَاصِرَةِ، لِيَشْمَلَ الْمِكْرُوبَاتِ وَالْفَيْرُوسَاتِ، وَمَا يُمْكِنُ أَنْ يُكْتَشَفَ مِمَّا هُوَ أَصْغَرُ مِنَ الْفَيْرُوسَاتِ.

كُلُّ ذَلِكَ هُوَ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ وَمَمْلُوكٌ لَهُ، وَهُوَ جَلَّ جَلَالُهُ الْمُهَيِّئُ عَلَيْهِ وَالْمَتَصَرِّفُ فِيهِ، إِيجَادًا وَإِعْدَامًا، وَرِزْقًا وَتَسْيِيرًا وَحَيَاةً وَمَوْتًا، وَحَرَكَةً وَسُكُونًا، وَنَفْعًا وَضَرًّا، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَلَيْسَ بِبَعِيدٍ أَنْ يَكُونَ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ عَنَّا أَشْيَاءٌ هِيَ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ وَمَمْلُوكَةٌ لَهُ، وَهِيَ ذَاتُ سُكُونٍ تَامٍ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُهَا، وَلَا نَعْلَمُ تَأْثِيرَاتِهَا لَهَا فِينَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، فَكَثِيرٌ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ لَمْ يُهَيِّئِ اللَّهُ لَنَا وَسَائِلَ إِدْرَاكِهَا وَلَا الْعِلْمَ بِهَا.

أَمَّا الْأَكْوَانُ الَّتِي أَعْطَانَا اللَّهُ عِزَّ وَجَلًّا وَسَائِلَ الْعِلْمِ بِهَا، فَقَدْ دَلَّتْنَا وَسَائِلُ الْمَعْرِفَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى أَنَّهَا دَائِمَةُ الْحَرَكَةِ، وَأَنَّ مَا يَسْكُنُ مِنْهَا فَهُوَ

ذُو بُطْءٍ نَسِيٍّ فِي حَرَكَتِهِ الْكُلِّيَّةِ، لَا فِي حَرَكَاتِ خَلَايَاهُ وَذَرَائِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وبهذا أتمّ تدبّر الدّرس الثالث من دروس سورة (الأنعام).  
والحمد لله على معونته ومدّده وتوفيقه وفتحه.



(٨)

### التدبّر التحليلي للدّرس الرابع من دروس سورة (الأنعام) الآيات من (١٤ - ١٦)

قال الله عزّ وجلّ:

• ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْبَدُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ  
إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي  
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ  
رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾:

القراءات:

(١٤) • فتح ياء المتكلم من: [إِنِّي أُمِرْتُ] نافع، وأبو جعفر.

وأُسكَنَهَا باقي القراء العشرة.

(١٥) • فتح ياء المتكلم من: [إِنِّي أَخَافُ] نافع، وابن كثير، وأبو

عمرو، وأبو جعفر. وأُسكَنَهَا باقي القراء العشرة.

(١٦) • قرأ شعبة، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [مَنْ

يُصْرِفُ] بالبناء للمعلوم، أي: مَنْ يُصْرِفُ رَبِّي عَنْهُ الْعَذَابُ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [مَنْ يُصْرِفُ] بالبناء لما لم يُسمَّ فاعله.

ومؤدّي القراءتين واحد، وهما من التفنن في التعبير.

تمهيد:

آيات هذا الدرس من فروع الساق الثاني من ساق شجرة موضوع السورة، وفيها فقرة تعليم جدالي، وتعليم دعوي من الله عز وجل لرَسُولِهِ، كي يوجههما لمشركي قومه، وعلى كل داع إلى الله وإلى دينه الحق أن يستفيد منها في دعوته، وفي مجادلاته.

التدبر التحليلي:

من حكمة المناظر الداعي إلى الله ودينه الحق، أن يقدم برهانه الذي اهتدى به إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له، رباً لا يشاركه في ربوبيته أحد، وإلهاً معبوداً لا يشاركه في إلهيته أحد.

هذه هي القاعدة الأساس في الفكر الديني الحق كله، وعليها تبنى جميع أبنية الدين، وتعليماته، وشرائعه، وأحكامه.

فجاء في التعليم، قول الله تبارك وتعالى:

• ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ...﴾ (١٤)

عرض بأسلوب الاستفهام التعجبي الإنكاري، أي: أيصح ويجوز لي عقلاً في محاكمات العقل السليم، أن اتخذ ولياً معبوداً لي وهو مخلوق مثلي من مخلوقات الله الكثيرة، فالله هو فاطر السماوات والأرض، وكل معبود من دون الله هو جزء من السماوات والأرض التي فطرها الله؟؟.

كيف يستقيم لي أن أترك الفاطر، وأعبد المفقور، أو أن أجعل المفقور شريكاً للفاطر في إلهيته، وهو لا يملك من الربوبية شيئاً؟؟.

قدم المعمول، وسلط عليه الاستفهام في عبارة: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذْ وَلِيًّا﴾ فأصل ترتيب العبارة: «اتخذ ولياً غير الله» للبدء بالإشعار، بمناب الاستنكار، وهو أن يكون غير الله متخذاً معبوداً، وليس الاستنكار موجهاً لاتخاذ الولي المعبود.



فَعُلْ «اتَّخَذَ» يَنْصِبُ مَفْعُولَيْنِ، مثل فعل «جَعَلَ» وفي صِيغَةَ «اتَّخَذَ» معْنَى التَّصْنُعِ والتَّكْلُفِ، وَيُحْمَلُ هُنَا عَلَى مَا هُوَ مُنَافٍ لِمَوَازِينِ الْعَقْلِ بِالْقِرَائِنِ.

﴿وَلِيَّا﴾: الْوَلِيُّ: يَأْتِي فِي اللُّغَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعَانٍ عَدِيدَةٍ، مِنْهَا الرَّبُّ، وَالْمَعْبُودُ، وَالسَّيِّدُ، وَالنَّصِيرُ، وَالْمُلَائِمُ هُنَا: الْإِلَهَ الْمَعْبُودَ.

﴿فَاطِرٌ﴾: الْفَاطِرُ: هُوَ الْخَالِقُ عَلَى نِظَامِ الْفَطْرِ مِنَ الْعُمُقِ إِلَى الظَّاهِرِ، وَجَاءَ التَّعْبِيرُ فِي الْقُرْآنِ بِعِبَارَةِ «الْفَلَقِ» وَمَعْنَاهُمَا: «الشَّقُّ».

وَدَلَّتِ الظَّاهِرَاتُ الْكُونِيَّةُ وَالنُّصُوصُ الْقِرَائِيَّةُ عَلَى أَنَّ خَلَقَ اللَّهُ لِكُونِهِ قَائِمٌ عَلَى نِظَامِ الْفَطْرِ وَالْفَلَقِ، لِأَنَّ نُقْطَةَ الْعُمُقِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هِيَ الْعَدَمُ، وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ، وَعَظَمَ سُلْطَانَهُ، وَبَهَرَتْ قُدْرَتُهُ، هُوَ الْمُوجِدُ مِنَ الْعَدَمِ، لَا رَبَّ غَيْرُهُ، وَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ.

وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْحَاجَاتِ الدَّائِمَاتِ لِلنَّاسِ وَلِسَائِرِ الْأَحْيَاءِ سُكَّانِ الْأَرْضِ، أَنْ يَطْعَمُوا طَعَامًا لِإِمْدَادِ حَيَوَاتِهِمْ بِالْغِذَاءِ إِلَى آجَالِهِمُ الْمَحْدُودَةِ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَكَانَ طَعَامُهُمْ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِخَلْقِ اللَّهِ، فِيمَا دَبَّرَ لَهُمْ مِنْ وَسَائِلَ وَأَسْبَابَ، وَلَمَّا كَانَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ صَمَدًا يُطْعَمُ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ لَا يُطْعَمُ، وَلَا يَحْتَاجُ لِمَنْ يُطْعِمُهُ، عَلَى خِلَافِ آلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ، كَانَ مِنْ حِكْمَةِ الدَّاعِي إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَنْ يُبَيِّنَ هَذِهِ الصِّفَةَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ أَنَّهُ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ، وَيَلْزَمُ عَنْ كَوْنِهِ لَا يُطْعَمُ أَنَّهُ لَا يُطْعَمُ، لِأَنَّهُ لَوْ احْتَاجَ طَعَامًا لَكَانَ مُطْعَمًا مِنْ مَادَّةِ الشَّيْءِ الَّذِي هُوَ طَعَامُهُ.

وَبِهَذَا الْعَرَضِ يُعَرِّبُ الْمُؤْمِنُ عَنْ دَلِيلِهِ الْعَقْلِيِّ، الَّذِي اهْتَدَى بِهِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَتَوْحِيدِهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ.

وقد يَهْتَدِي بهذا الْأُسْلُوبَ الَّذِي لَا يُبَاشِرُ بِهِ الدَّاعِي جِدَالاً مَعَ  
الْمَدْعُو، بَعْضُ النَّاسِ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ تَحْمُلًا جَدَلِيًّا يَكُونُونَ فِيهِ مَهْزُومِينَ  
فِكْرِيًّا فِي نَهَايَةِ جَوَلَاتِ الْمَجَادَلَةِ وَالْمَنَاظَرَةِ.

وَلِدَفْعِ شُكُوكِ النَّاسِ فِي الدُّعَاةِ، وَأَنَّهُمْ قَدْ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى مَا لَا  
يُرِيدُونَ أَنْ يَلْتَزِمُوا بِهِ مِنْ تَكَالِيفٍ، جَاءَ فِي التَّعْلِيمِ الرَّبَّانِيِّ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ  
وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿... قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٤﴾:

أَي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: إِنِّي أُمِرْتُ بِالْوَحْيِ مِنْ رَبِّي أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ  
أَسْلَمَ لَهُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، مُطِيعاً لِأَوَامِرِهِ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُنِي بِهِ، وَتَارِكاً لِكُلِّ  
مَا يَنْهَانِي عَنْهُ، فَأَنَا بِإِسْلَامِي لِرَبِّي قُدُوةٌ حَسَنَةٌ لِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أُمَّتِي.

وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ قَالَ لِي رَبِّي وَحِيًّا: لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمَشْرِكِينَ، فَنَهَانِي  
رَبِّي عَنِ الشِّرْكِ كُلِّهِ، كَمَا أَمَرَنِي أَنْ أَبْلَغَكُمْ نَهْيَهُ لِي عَنِ الشِّرْكِ كُلِّهِ،  
وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنِ الشِّرْكِ كُلِّهِ.

فَأَنَا أَوَّلُ الْمَأْمُورِينَ بِالْإِسْلَامِ، وَأَوَّلُ الْمَنْهِيِّينَ عَنِ الشِّرْكِ، فَأَنَا أَوَّلُ  
الْمُسْلِمِينَ، وَأَوَّلُ الْمَوْحِدِينَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أُوْمِنُ بِأَنَّهُ لَا رَبَّ فِي  
الْوُجُودِ غَيْرِهِ، وَلَا إِلَهَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ فِي الْوُجُودِ سِوَاهُ.

الإِسْلَامُ: هُوَ الْإِنْقِيَادُ وَالطَّاعَةُ لِلْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، يَقَالُ لُغَةً: «أَسْلَمَ،  
يُسْلِمُ، إِسْلَامًا» أَي: انْقَادَ مُطِيعاً مُسْتَسْلِماً، لَا عَاصِياً وَلَا مُعْتَرِضاً.

ولهذا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَّلَ الْعَامِلِينَ بِأَحْكَامِ شَرِيعَةِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ،  
فِي كُلِّ أُمُورِهِ، فِي الْأَفْعَالِ، وَالْأَقْوَالِ، وَالتَّرُوكِ، وَسَائِرِ أَنْوَاعِ السُّلُوكِ  
الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، فِي الْجَوَارِحِ وَفِي دَاخِلِ النَّفْسِ.

ولهذا قال الله عزَّ وجلَّ للمؤمنين في سورة (الأحزاب/ ٣٣ مصحف/ ٩٠ نزول):

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١٦):

الأسوة: القدوة، وهو مَنْ يُتَأَسَّى وَيُقْتَدَى به .

ولَمَّا كَانَ الرَّسُولُ غَيْرَ مُعْفَى مِنَ الْمُواخَذَةِ وَالْعَذَابِ بِسَبَبِ كَوْنِهِ  
رَسُولًا، فِيمَا لَوْ عَصَى رَبَّهُ، جَاءَ فِي التَّعْلِيمِ الرَّبَّانِي لَهُ قَوْلُ اللَّهِ لَهُ:

• ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٥) مَنْ يُصْرَفُ عَنْهُ  
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (١٦):

أي: قُلْ لَهُمْ: أَنَا مِثْلُكُمْ عُزْضَةٌ لِعَذَابِ رَبِّي إِنْ عَصَيْتُهُ فَخَالَفْتُ  
أَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ، فَأَنَا أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُهُ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، هُوَ عَذَابُ يَوْمِ  
الدِّينِ، بَعْدَ الْبُعْثِ لِلْحَيَاةِ الْآخِرَى.

وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا نَاصِحًا وَمُبَيِّنًا: مَنْ يُصْرَفُ عَنْهُ عَذَابُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ  
الْيَوْمِ الْعَظِيمِ فَقَدْ رَحِمَهُ رَبُّهُ بِالْمَغْفِرَةِ لِذُنُوبِهِ، لِأَنَّ كُلَّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءُونَ،  
وَخَيْرَ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ الْمُسْتَغْفِرُونَ.

وَذَلِكَ الْأَمْرُ الرَّفِيعُ الشَّانِ، وَهُوَ صَرْفُ الْعَذَابِ عَنِ الْمَذْنِبِينَ يَوْمَ  
الدِّينِ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ الْوَاضِحُ الْجَلِيُّ، الَّذِي يَسْتَلْزِمُ الظَّفَرَ بِجَنَّاتِ النِّعَمِ.  
الْفَوْزُ: النَّجَاةُ مِنَ الشَّرِّ، وَحَصُولُ الرَّبِّحِ، يَقَالُ لُغَةً: «فَارَ، يَفُوزُ،  
فَوْزًا، وَمَفَازًا، وَمَفَازَةً» أي: نَجَا مِنَ الشَّرِّ، وَرَبِحَ.

وبهذا انتهى تدبُّر الدَّرْسِ الرَّابِعِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الأنعام).  
والحمدُ لله عَلَى مَعُونَتِهِ وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



(٩)

## التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (الأنعام)

الآيتان: (١٧ و ١٨)

قال الله عزَّ وجلَّ:

• ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ يَخِطِرْ  
فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾:

تمهيد:

آيتا هذا الدرس من فروع الساق الأولى من ساقَي شجرة موضوع  
السورة، وفيهما فقرة علاج ربانيٍّ مباشر، يُخاطب الله عزَّ وجلَّ به كُلَّ  
صالح مُؤَهِّلٍ للخطاب، وَيُبَيِّنُ فيه سُلْطَانَهُ عَلَى كُلِّ التَّصَارِيفِ في كَوْنِهِ،  
ضَارًّا وَنَافِعًا، خَيْرًا وَشَرًّا، عَلَى وَفْقِ حِكْمَتِهِ، وَيُبَيِّنُ فيه أَنَّهُ الْقَاهِرُ  
عَلَى عِبَادِهِ، يُجْرِي تَصَارِيفَهُ الْحَكِيمَةَ فِيهِمْ بِالْجَبْرِ، وَأَنَّهُ الْحَكِيمُ في أَفْعَالِهِ،  
الْخَبِيرُ بِعِبَادِهِ وَبِكُلِّ شَيْءٍ، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانَهُ.

## التدبر التحليلي:

المسُّ: وَصُولُ سَطْحِ شَيْءٍ مَا إِلَى سَطْحِ شَيْءٍ آخَرَ، دُونَ الدُّخُولِ  
فِي شَيْءٍ مَا هُوَ تَحْتَ السَّطْحِ، وَيَنْجُمُ عَنْهُ أَخْفُ دَرَجَاتِ الإِحْسَاسِ أَوْ  
التَّأثيرِ، وَأُطْلِقَ الْأَخْفُ وَهُوَ الْمَسُّ هُنَا فِي النَّصِّ، لِيُفْهَمَ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ  
مِنْ بَابِ أَوْلَى.

الضُّرُّ: سُوءُ الْحَالِ فِي الْبَدَنِ، أَوْ الْمَالِ، أَوْ الْأَهْلِ، أَوْ الْوَلَدِ،  
ونحو ذلك.

ومن سوء الحال شِدَّةُ الْحَاجَةِ إِلَى الْقُوَّةِ، وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا النَّاسُ لَفْظَةً  
شَرًّا وَلَوْ كَانَتْ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ خَيْرًا.

**الخير:** يُرَادُ بِهِ هُنَا مَا تُحِبُّهُ النَّفُوسُ، وَيَرَى فِيهِ النَّاسُ نَفْعًا وَحُسْنًا وَلِذَلِكَ مِنْ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَوْ كَانَ جَلْبًا لَأَلَامَ وَأَضْرَارٍ حَقِيقِيَّةٍ غَيْرِ مَنْظُورَةٍ، أَوْ غَيْرِ مُدْرَكَةٍ، أَوْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ شَرٌّ.

• وَلَمَّا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ آلِهَتَهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَنْفَعُ وَتَضُرُّ، وَمِنْ نَفْعِهَا أَنَّهَا تَكْشِفُ الضَّرَّ إِذَا نَزَلَ بِعَابِدِيهَا، وَتَمْنَعُ الْخَيْرَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَوْحِدِينَ الْكَافِرِينَ بِهَا، كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي مُعَالَجَتِهِمْ بِالْبَيَانِ الرَّبَّانِيِّ أَنْ يُخَاطَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ صَالِحٍ لِلخِطَابِ بِقَوْلِهِ:

• ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧):

أي: وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ الْمَتَّصِرُفُّ بِعِبَادِهِ عَلَى وَفْقِ حِكْمَتِهِ فِي دُنْيَا الْإِبْتِلَاءِ، مَسًّا خَفِيفًا بِشَيْءٍ تَكْرَهُهُ وَتَرَاهُ ضَرًّا، فَلَا يُوجَدُ أَحَدٌ فِي الْكَوْنِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْشِفَهُ عَنْكَ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَتَمَكِّنِيهِ، وَتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ، فَكَيْفَ لَوْ كَانَ إِصَابَةً دَاخِلَةً إِلَى الْعُمُقِ؟!

**كَشَفُ الضَّرِّ وَالسُّوءِ:** إِزَالَتُهُ: وَأَصْلُ الْكَشْفِ: رَفْعُ الْغَطَاءِ عَنِ الشَّيْءِ.

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِمَا تُحِبُّ مِنَ الدُّنْيَا، وَتَرَاهُ خَيْرًا لَكَ، فَلَا مُزِيلَ لَهُ إِلَّا هُوَ، فَكَيْفَ لَوْ كَانَ إِصَابَةً دَاخِلَةً إِلَى الْعُمُقِ؟!

طُوي فِي الْعِبَارَةِ الثَّانِيَةِ جَوَابُ الشَّرْطِ «إِنْ» لِدَلَالَةِ الْعِبَارَةِ الْأُولَى عَلَيْهِ، وَأَفْصَحَتْ عَنْ هَذَا الْمَطْوِيِّ الْفَاءُ فِي ﴿فَهُوَ﴾.

وَدَلَّتْ عِبَارَةٌ: ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: عَلَى أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - لَا يُعْجِزُهُ إِيجَادُ شَيْءٍ يُرِيدُ إِيجَادَهُ، وَلَا إِعْدَامُ شَيْءٍ يُرِيدُ إِعْدَامَهُ، وَلَا التَّصَرُّفُ بِشَيْءٍ مِنَ الذَّوَاتِ أَوْ الصِّفَاتِ يُرِيدُ فِيهِ مُرَادًا مَا، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ.

**قَدِير:** صيغته مبالغة لاسم الفاعل «قادر» - أي: هو مُتَّصِفُ بِالْقُدْرَةِ الْكَامِلَةِ الَّتِي يَخْلُقُ بِهَا مَا يَشَاءُ، وَيَفْعَلُ بِهَا مَا يُرِيدُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ مُرَادَاتِ اللَّهِ حَكِيمَةٌ.

• وَلِدَفْعِ تَوَهُمٍ أَنَّ بَعْضَ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ هُمْ خَلَقُوا مِنْ خَلْقِهِ، لَهُمْ قُدْرَاتٌ مَحْدُودَاتٌ عَلَى التَّصَرُّفِ بِشَيْءٍ مَا فِي الوجود عَلَى غَيْرِ مُرَادِ اللَّهِ وَبِغَيْرِ إِذْنِهِ، الْأَمْرُ الَّذِي قَدْ يُسَوِّغُ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَتَعَلَّقُوا بِهِمْ، وَيَلْتَمِسُوا عِنْدَهُمْ جَلْبَ نَفْعٍ أَوْ دَفْعَ ضَرٍّ، كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي الْبَيَانِ الرَّبَّانِيِّ الْمُبَاشَرِ، أَنْ يَقُولَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ. وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾: ﴿٨﴾

﴿الْقَاهِرُ﴾: الْآخِذُ الْغَالِبُ الْعَلِيُّ مِنْ غَيْرِ رِضَا الْمُقْهَرِ الْمَغْلُوبِ، فِيهِ الْقَهْرُ مَعْنَى الْجَبْرِ. وَالْقَهَّارُ: الْغَالِبُ الْمَجْبِرُ عَلَى مَا يَرِيدُ، وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنَى.

أي: والله - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - يُجْرِي تَصَاريفَهُ الْجَبَرِيَّةَ بِعِبَادِهِ كُلِّهِمْ دُونَ اسْتِثْنَاءٍ، بِالْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ الْمُسْتَعْلِيَةِ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ، فَلَا يُمَكِّنُ أَحَدًا ذَا مَشِيئَةٍ حُرَّةٍ مِنْ تَصَرُّفِ بِمَشِيئَتِهِ وَبِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ قُدْرَةٍ، أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ، وَمَنْ أَرَادَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ نَزَعَ اللَّهُ مِنْهُ التَّمَكِينَ بِالْقَهْرِ وَالْجَبْرِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُحَقِّقْ مُرَادَهُ، فَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، لَا يُشَارِكُهُ فِي قَهْرِهِ أَحَدٌ.

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾: أي: وهو تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْحَكِيمُ فِي كُلِّ تَصَاريفِهِ فِي كَوْنِهِ، وَمِنْهَا تَصَاريفُهُ بِعِبَادِهِ. الْخَبِيرُ بِعِبَادِهِ وَبِمَا يُلَايِمُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ.

**الحكيم:** هو الذي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا، وَيَخْتَارُ أَفْضَلَ الْأَشْيَاءِ وَأَتْقَنَهَا وَأَحْسَنَهَا فِي الْأُمُورِ الْمُخْتَلِفَةِ، لِمَا يُعْطِي أَحْسَنَ النَّتَائِجِ،

**حكيم:** بمعنى مُحْكَم، على وزن مُفْعِل، من أَحْكَمَ الشيء بمعنى أَتَقَنَّهُ وأَحْسَنَهُ ووضع كلَّ شيءٍ فيه في موضعه.

**الخبير:** هو الْعَلِيمُ بِالْأَمْرِ أو بالشيءِ عَنْ تَجَرِبَةٍ وَمُمَارَسَةٍ.  
وقد دَلَّ تعريف طرفي الإسناد على القصر في كِلَا الْجُمْلَتَيْنِ.  
وبهذا انتهى تدبُّر الدَّرْسِ الخامس من دُرُوس سورة (الأنعام).  
والحمدُ لله على معونته ومَدَدِهِ وتَوْفِيقِهِ وفتحِهِ.



(١٠)

### التدبُّر التحليلي للدَّرْسِ السادس من دُرُوس سورة (الأنعام) الآية (١٩)

قال الله عزَّ وجلَّ:

• ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾

**القراءات:**

قرأ ابنُ كثير: [الْقُرْآنُ] بِحَذْفِ الهمزة، وكذلك قرأها حمزة في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [الْقُرْءَانُ].

**تمهيد:**

آيَةُ هَذَا الدَّرْسِ مِنْ فُرُوعِ السَّاقِ الثَّانِي مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ، وَفِيهَا فِقْرَةٌ تَعْلِيمٌ جَدَلِيٌّ وَدَعْوِيٌّ مُوجَّهٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ، حَوْلَ نُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ ﷺ، وَحَوْلَ شِرْكِ الْمُشْرِكِينَ وَالْهَتَمِ الْبَاطِلَةِ.

## التدبر التحليلي:

قول الله تعالى:

• ﴿قُلْ أَىُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً؟﴾ أي: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ فِي حِوَارٍ عَقْلِيٍّ هَادِيٍّ: أَىُّ شَيْءٍ شَهَادَتُهُ فِي نَفُوسِكُمْ هِيَ أَكْبَرُ شَهَادَةٍ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ، تُرِيدُونَ أَنْ يَشْهَدَ لِي بِأَنِّي نَبِيُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَأَنِّي صَادِقٌ فِيمَا أُبَلِّغُ عَنْهُ؟؟

هذا السُّؤال هُوَ مِفْتَاحُ الْحِوَارِ، وَالْخُطْوَةُ الْأُولَى مِنْ خُطَوَاتِهِ، وَمِنْ شَأْنِ هَذَا السُّؤالِ أَنْ يُلْجِئَ الْمُنَاطِرَ الرَّشِيدَ إِلَى أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ أَكْبَرُ شَهَادَةً مِنْ كُلِّ شَهِيدٍ.

أُطْلِقَ لَفْظُ شَيْءٍ، لِإِعْطَاءِ الْمَسْئُولِ حُرِّيَّةَ اخْتِيَارٍ مَا يَرَى أَنَّهُ صَالِحٌ لِأَنْ يُقَدِّمَ شَهَادَةً، مِنْ حَيِّ يَشْهَدُ، أَوْ حَقِيقَةٍ عَقْلِيَّةٍ تَشْهَدُ.

وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الطور/ ٥٢ مصحف/ ٧٦ نزول):

﴿أَمْ حُفُّوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِفُونَ﴾ (٢٥).

هَذَا الْإِطْلَاقُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلْمُنَاطِرِ الدَّاعِيَ إِلَى اللَّهِ، أَنْ يَتْرُكَ لِلْمُنَاطِرِ مَجَالَ التَّفَكِيرِ مَفْتُوحًا، وَلَوْ لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُدْخَلَ فِي تَقْدِيرَاتِهِ الْإِحْتِمَالِيَّةَ كُلَّ شَيْءٍ يَخْطُرُ فِي بَالِهِ، مِنْ أَحْيَاءٍ أَوْ حَقَائِقَ عَقْلِيَّةٍ، وَلَيْسَ لِمُعْتَرِضٍ حَقٌّ فِي أَنْ يَقُولَ: لَا يَصِحُّ أَنْ يُطْلَقَ عَلَى اللَّهِ لَفْظُ «شَيْءٍ» لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُعَلِّمُنَا هَذَا الْأُسْلُوبَ فِي الْمُنَاطَرَاتِ وَالْمَحَاوِرَاتِ.

لفظ «شَيْءٍ» مِنَ الْأَجْنَاسِ الْعُلْيَا الْعَامَّةِ، يُطْلَقُ عَلَى مَا يُمَكِّنُ لِلْفَكْرِ أَنْ يَدْرِكَه.

فَإِذَا قَالَ مَنْ وَجَّهَ لَهُمُ السُّؤالُ: اللَّهُ أَكْبَرُ شَهَادَةً مِنْ شَهَادَةِ كُلِّ



شَهِيد، وَهُمْ يُنْكِرُونَ نُبُوءَ مُحَمَّدٍ وَرِسَالَاتِهِ، فَالْحِكْمَةُ الْحَوَارِيَّةُ تَقْتَضِي أَنْ يَقُولَ الرَّسُولُ لَهُمْ مَا جَاءَ فِي التَّعْلِيمِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: أي: وَقَدْ شَهِدَ لِي عَنْ طَرِيقِ الْآيَةِ الْبُرْهَانِيَّةِ الَّتِي شَقَّ لِي بِهَا الْقَمَرُ، وَشَهِدَ لِي عَنْ طَرِيقِ الْآيَةِ الْقِرَائِيَّةِ الْمُعْجَزَةِ، وَقَدْ تَحَدَّاهُمْ بِأَنْ تَأْتُوا بِمِثْلِ عَشْرِ سُورٍ مِنْهُ، أَوْ بِمِثْلِ سُورَةِ ذَاتِ طُولٍ يُسَاوِي عَشَرَ سُورٍ مِنْ قِصَارِ السُّورِ، فَعَجَزْتُمْ فَكَانَ هَذَا شَهَادَةً مِنْهُ بِأَنَّهُ اصْطَفَانِي نَبِيًّا وَرَسُولًا، لِأُبَلِّغَ عَنْهُ مَا أُرْسَلَنِي بِهِ.

أَلَا تَكْفِيكُمْ هَذِهِ الشَّهَادَةُ مِنَ اللَّهِ؟! أَلَا يَكْفِيكُمْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ؟!

لفظ «بَيْنَ» ظَرْفٌ بِمَعْنَى التَّشْرِيكِ، وَهُوَ يُضَافُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ وَاحِدٍ، وَإِذَا أُضِيفَ إِلَى وَاحِدٍ عُطِفَ عَلَيْهِ بِالْوَاوِ، وَيَجِبُ تَكْرِيرُهَا مَعَ الْمُضْمَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ هُنَا.

فَإِذَا وَجَدَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ الْحُجَّةَ قَدْ لَزِمَتْهُمْ، وَجَّهَ دَعْوَتَهُ لَهُمْ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ بَيِّنَاتٍ.

فَإِذَا وَجَدَ أَنَّهُمْ مُصِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَشُرْكَيَّاتِهِمْ وَجَّهَ لَهُمْ مَا جَاءَ بِبَيَانِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ التَّعْلِيمِيَّةِ قَائِلًا:

﴿وَارْجَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...﴾ (١٩)

الْإِنْذَارُ بِعِقَابِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ يَأْتِي إِمَّا حَاقًّا أَوْ غَيْرَ مُشَدَّدٍ مَعَ أَوَائِلِ الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَيَأْتِي بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ مَعَ أَوَاخِرِ الدَّعْوَةِ، وَيَأْتِي فِقْرَةً خِتَامِيَّةً تُوجِّهُ لِلْمُكَابِرِينَ الْمُعَانِدِينَ الْمُصِرِّينَ عَلَى بَاطِلِهِمْ، الَّذِينَ لَمْ تُجَدِ فِيهِمْ وَسَائِلُ الْإِقْنَاعِ وَالْهُدَايَةِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَوَسَائِلُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَوَسَائِلُ الْجِدَالِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

وَيُشْعِرُ هَذَا الْبَيَانَ أَنَّ الْمَعَالَجِينَ قَدْ وَصَلُوا إِلَى ذَرَكَةِ الْمَكَابِرَةِ وَالْعِنَادِ وَالْإِضْرَارِ عَلَى الْبَاطِلِ، وَلِهَذَا جَاءَ فِيهِ التَّوْجِيهَ لِلإِنذَارِ بِالْقُرْآنِ، أَيْ: بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ إِنْذَارَاتٍ بِأَنْوَاعِ عِقَابٍ مُعَجَّلٍ فِي الدُّنْيَا، كَمَا حَصَلَ لَكُفَّارِ الثُّرُونِ السَّابِقَةِ، وَبِعَذَابٍ مُؤَجَّلٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، يَكُونُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِحَقِّ رَبِّهِمْ عَلَيْهِمْ، وَبِحَسَبِ جَرَائِمِهِمُ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، ضَمَّنَ طُرُوفَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَجَاءَ عَظْفُ ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ عَلَى ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِينَ الْمَعَالَجِينَ، أَيْ: وَلِإِنْذَارِ بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ إِنْذَارَاتٍ عِقَابٍ وَعَذَابٍ، مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَتِي، وَبَلَغَهُ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ حَقَائِقِ الدِّينِ الْخَاتِمِ لِرِسَالَاتِ اللَّهِ لِلنَّاسِ. حَذَفَتْ مَعْمُولَاتُ فِعْلٍ «بَلَغَ» لِإِمْكَانِ إِدْرَاكِهَا بِالْقُرْآنِ.

وَبَعْدَ هَذَا الْعِلَاجِ الْحَوَارِيِّ الدَّعْوِيِّ، وَجَّهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ لِمُنَاطَرَتِهِمْ بِشَأْنِ شُرُكِهِمْ وَشُرَكَائِهِمْ، فَجَاءَ فِي التَّعْلِيمِ فِي آيَةِ هَذَا الدَّرْسِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿... إِيَّاكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾:

فِي هَذَا الْبَيَانِ ثَلَاثُ فِقَرَاتٍ تَعْلِيمِيَّةٍ:

**الفقرة الأولى:** تَتَضَمَّنُ تَعْلِيمَ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّ يَطْرَحَ عَلَى الْمَشْرِكِينَ الْمَعَالَجِينَ السُّؤَالَ التَّالِيَّ: ﴿إِيَّاكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى﴾: أَيْ: هَلْ لَدَيْكُمْ مُشَاهَدَةٌ حَسِيَّةٌ، أَوْ بُرْهَانٌ عَقْلِيٌّ يَسْمَحُ لَكُمْ بِأَنْ تَشْهَدُوا شَهَادَةً صَدَقَ، بِأَنَّ مَعَ اللَّهِ فِي الْوُجُودِ أَرْبَابًا يُشَارِكُونَ اللَّهَ فِي الْخَلْقِ، حَتَّى يَسْتَحِقُّوا بِرُبُوبِيَّاتِهِمْ أَنْ يَكُونُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ مَعَهُ بِحَقِّ رُبُوبِيَّتِهِمْ لَكُمْ؟؟

سُؤَالَ لَا يَجِدُ مَعَهُ الْمَشْرِكُونَ مَا يَضْطَنِعُونَ مِنْ حُجَّةٍ مَهْمَا كَانُوا

أَذْكِيَاءَ فُطَنَاءَ، يُشَبِّتُونَ بِهَا أَنَّ مَعَ اللَّهِ أَرْبَابًا تَسْتَحِقُّ أَنْ تَكُونَ آلِهَةً، فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَهَرَّبُوا مِنَ الْإِجَابَةِ عَلَى السُّؤَالِ، إِلَّا أَقْوَالاً غَوْغَائِيَّةً زُخْرَفِيَّةً، وَمُعَالَطَاتٍ كَاذِبَاتٍ إِبْهَامِيَّاتٍ.

عِنْدَئِذٍ يَأْتِي دَوْرُ إِعْلَانِ الْفِقْرَةِ الثَّانِيَةِ:

**الفقرة الثانية:** قول الله تَعَالَى لِرَسُولِهِ فِي التَّعْلِيمِ: ﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾  
 أَي: إِنَّ كَذِبْتُمْ فَشَهِدْتُمْ بِالْبَاطِلِ دُونَ بُرْهَانٍ تُقَدِّمُونَهُ، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ، بَلْ  
 أُعْلِنُ مُخَالَفَتِي لَكُمْ بِكُلِّ قُوَّةٍ.

وَعِنْدَئِذٍ يَأْتِي دَوْرُ إِعْلَانِ الْفِقْرَةِ الثَّالِثَةِ، وَهِيَ فِقْرَةُ إِعْلَانِ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ  
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِعْلَانِ الْبَرَاءَةِ مِمَّا يُشْرِكُ الْمُشْرِكُونَ.

**الفقرة الثالثة:** قول الله تَعَالَى لِرَسُولِهِ فِي التَّعْلِيمِ: ﴿... قُلْ إِنَّمَا هُوَ  
 إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (١٩): أَي: مَا الْمَعْبُودُ الْحَقُّ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ  
 هُوَ اللَّهُ رَبُّ كُلِّ مَا سِوَاهُ مِنْ كَائِنَاتٍ، وَأُكِّدُ لَكُمْ بَصَرَاخَةً وَقُوَّةً أَنَّنِي بَرِيءٌ  
 مِنْ عِبَادَةِ كُلِّ مَا تَجْعَلُونَهُ شَرِيكاً لِلَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ فِي إِلَهِيَّتِهِ كَائِناً مَنْ كَانَ،  
 وَكَائِناً مَا كَانَ.

بَرِيءٌ: أَي: مُبْتَعِدٌ وَمُتَجَانِفٌ عَنِ الشَّرِكِ وَعَمَّا تُشْرِكُونَ، وَخَالِصٌ مِنْ  
 رِجْسِ الشَّرِكِ وَرِجْسِ الشَّيَاطِينِ الدَّاعِينَ إِلَى الشَّرِكِ.

وَبِهَذَا الْإِعْلَانِ الْإِيمَانِيَّ الْمَقْطُوعَ بِهِ تَنْتَهِي جَوْلَةُ هَذَا الْحِوَارِ.

فِي عِبَارَةِ ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ قَصْرٌ حَقِيقِي بِأَدَاةِ الْقَصْرِ إِنَّمَا، وَهُوَ  
 مِنْ قَصْرِ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ، وَفِي عِبَارَةِ: ﴿وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ تَوْكِيدٌ بِـ  
 «إِنْ - وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ».

وَبِهَذَا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ السَّادِسِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



(١١)

## التدبر التحليلي للدرس السابع من دروس سورة (الأنعام)

الآيات من (٢٠ - ٣٩)

قال الله عز وجل:

• ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سُرَّاوُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَازَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا إِلَيْهِ لَا يُؤْمِنُوهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَبْهَتُونَ عَنْهُ وَيَتَنَوَّعُ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُفْقَهُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْلِنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُفْقَهُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا لِقَاءَ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْشَرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوَارِهِمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْطِغَتْ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ

يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ :

### القراءات:

(٢٢) • قرأ يعقوب: [وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ] بالياء في الفعلين، أي: يُحْشَرُهُمُ اللَّهُ.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَيَوْمَ نَحْشَرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ] بالنون في الفعلين، والفاعل ضمير المتكلم العظيم.  
وبيّن القراءتين تفنُّنًّ بياني.

(٢٣) • قرأ نافع، وأبو عمرو، وشعبة، وأبو جعفر، وخلف: [ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ] بقاء المضارعة، وبالنصب في [فِتْنَتَهُمْ].

وقراها ابن كثير، وابن عامر، وحفص: [ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ] بقاء المضارعة، وبالرفع في [فِتْنَتَهُمْ].

وقراها باقي القراء العشرة: [ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فِتْنَتَهُمْ] بقاء المضارعة، وبالنصب في: [فِتْنَتَهُمْ].

وهذه القراءات وجوه عربية جائزة ومتكافئة من جهة المعنى.

(٢٣) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [وَاللَّهُ رَبَّنَا]: أي: يَا رَبَّنَا.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَاللَّهُ رَبَّنَا] بالجر على البدلية.

(٢٧) • قرأ حفص، وحمزة، ويعقوب: [وَلَا نُكْذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنُكُونُ] بنصب الفعلين.

وقرأها ابن عامر: [وَلَا تُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ] برفع الفعل الأول، وَنَصْبِ الْفِعْلِ الثاني.

وقرأها باقي القراء العشرة [وَلَا تُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ] برفع الْفِعْلَيْنِ.

وهذه القراءات وجوهٌ عَرَبِيَّةٌ جَائِزَةٌ.

(٣٢) • قرأ ابن عامر: [وَلَدَارُ الْآخِرَةِ] أي: وَلَدَارُ الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ] على أَنْ «الْآخِرَةُ» وَصِفٌ لِلدَّارِ.

وبين القراءتين تَفَنُّنٌ فِي الْبَيَانِ، وَالْمُؤَدَّى واحد.

(٣٢) • قرأ نافع، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] بتاء المخاطبين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [أَفَلَا يَعْقِلُونَ] بياء الغائبين.

وبين القراءتين تكاملٌ فِي الْأَدَاءِ الْبَيَانِيِّ.

(٣٣) • قرأ نافع: [لِيَحْزُنَكَ] مِنْ فِعْلٍ «أَحْزَنَهُ» وَهِيَ لُغَةٌ تَمِيمٌ.

وقرأها باقي القراء العشرة [لِيَحْزُنَكَ] مِنْ فِعْلٍ «حَزَنَهُ» وَهِيَ لُغَةٌ قُرَيْشٍ.

(٣٣) • قرأ نافع، والكسائي: [لَا يُكْذِبُونَكَ] مِنْ فِعْلٍ «أَكْذَبَهُ».

وقرأها باقي القراء العشرة: [لَا يُكْذِبُونَكَ] مِنْ فِعْلٍ «كَذَّبَهُ».

والقراءتان متكافئتان، فالهمز أخو التضعيف.

(٣٦) • قرأ يعقوب: [يُرْجِعُونَ] بِالْبَاءِ لِلْمَعْلُومِ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [يُرْجِعُونَ] بِالْبَاءِ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فاعله.

وبين القراءتين تكامل، أي: يُرْجِعُهُم الله، فَهُمْ يَرْجِعُونَ مطاوعين بالجبر.

(٣٧) • قرأ ابن كثير: [يُنْزَل] من فعل: «أَنْزَلَ».

وقرأها باقي القراء العشرة: [يُنْزَل] من فعل: «نَزَلَ».

والقراءتان متكافئتان، لأنَّ الهمز أخو التضعيف.

(٣٩) • قرأ أبو جعفر: [وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ] بإبدال الهمزة ألفاً.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ] بالهمزة الساكنة دون

إبدال.

(٣٩) • أَشَمَّ صَادَ [صِرَاطٍ] صَوْتُ الزَّاي قنبل، ورؤيس، وخلف

عن حمزة.

وقرأها باقي القراء العشرة صاداً خالصة.

### تمهيد:

آيات هذا الدرس السابع من فروع السَّاق الأول من ساقِي شجرة موضوع السّورة. وفيه بيان من الله عزَّ وجلَّ بشأنِ نُبوَّةِ الرّسولِ مُحَمَّدٍ ﷺ ورسالته، وفيه تحذيرٌ منه للمُفْتَرِينَ عَلَى اللَّهِ وللمُكْذِبِينَ بآياته، وفيه لَفْطَةٌ مِنْ مَشْهَدِ الْحَشْرِ يوم الدِّين، وَلَفْطَةٌ مِنْ مَشْهَدِ سُؤَالِ الْمُشْرِكِينَ عَنْ شُرَكَائِهِمْ، وفيه تعجيب من أَمْرِ الْكَافِرِينَ كَيْفَ يَضِيعُ عَنْهُمْ ما كانوا يَفْتَرُونَهُ في الحياة الدُّنيا.

وفيه وصف لحال بعض الكافرين في الدنيا، وما بلغوه من انطماس بصائرهم بسبب عنادهم واتباعهم أهواءهم.

وفيه لفظة أُخْرَى من مشاهد يوم الدِّين، وَتَمَنَّى الْكَافِرِينَ الرَّجْعَةَ إِلَى

الحياة الدنيا حياة الامتحان ليكونوا من أهل الإيمان والطاعة لربهم.

وفيه بيان إنكار الكافرين البعث بعد الموت.

وفيه لقطة ثالثة من مشاهد الكافرين يوم الدين، حين يوقفون على موقف حساب ربهم لهم.

وفيه بيان عن الحياة الدنيا مقارنة بالآخرة وما فيها.

وفيه تسليّة للرّسول ﷺ بشأن تكذيب كفار قومه له، وتوجيه له وتربية، وبيان حقائق تكوينيّة هي لوازم لحرّيات الناس في اختياراتهم الإرادية في حياة الابتلاء.

### التدبر التحليلي :

■ قول الله تعالى :

• ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ .

يُبَيِّنُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِمُشْرِكِي الْعَرَبِ أَنَّ الَّذِينَ آتَاهُمُ الْكِتَابَ، وَهُمْ عُلَمَاءُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، يَعْرِفُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَأَنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، مِنَ الْبَشَائِرِ الْمَذْكُورَةِ فِي كُتُبِهِمْ، الَّتِي تُبَشِّرُ بِهِ، وَفِيهَا بَيَانُ صِفَاتِهِ، وَمَكَانُ ظُهُورِهِ، وَأُلُوفِ الْأَظْهَارِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُ وَيَنْصُرُونَهُ، وَيَنْشُرُونَ دَعْوَتَهُ، وَيَحْمِلُونَ رِسَالَتَهُ، وَجَاءَ فِي الْإِنْجِيلِ ذِكْرُ اسْمِهِ، وَنَجَدُ هَذَا صَرِيحاً فِي الْإِنْجِيلِ الْمُسْنُوبِ إِلَى «بَرْنَابَا».

وجاء في سورة (الصف/ ٦١ مصحف/ ١٠٩ نزول) أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَانَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مُبَشِّرٌ بِرَسُولٍ سَيَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ اسْمُهُ أَحْمَدُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا :

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ



مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ .

ومعرفة علماء أهل الكتاب بأنَّ محمداً هو الرسول المبشّر به في كتبهم، معرفة جليّة واضحة تشبه معرفتهم بأبنائهم، لوضوح التطابق بين البشائر المذكورة في كتبهم وبين واقع حال صفات الرسول محمد ﷺ الذاتية، وصفات مكان بعثته، وصفات الرسالة الربّانية التي يُبلّغها للناس، مع ما آتاه الله عزّ وجلّ من آيات بيّنات خوارق.

قوله تعالى:

• ﴿... الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ : أي: الَّذِينَ خَسِرُوا كُلَّ أَنْفُسِهِمْ بِاتِّبَاعِهِمْ أَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، وَحُبِّهِمْ لِلْعَاجِلَةِ الْفَانِيَةِ، وَتَرْكِهِمْ لِلْآخِرَةِ، فَعَرَّضُوهَا لِلْعَذَابِ الْخَالِدِ يَوْمَ الدِّينِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، لَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا يَدْفَعُهُمْ لِلْإِيمَانِ بِرَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَصْدِيقِهِ فِيمَا جَاءَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ، فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

تضمّن المبتدأ وهو اسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ معنى الشرط أو رאיحة الشرط، فجاءت الفاء في خبره: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ ؟! :

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ ؟: استفهام يراد به إثبات أنه لا يوجد أشدّ ظلماً من فريقين:

الفريق الأول: «مَنْ افترى على الله كذباً» أي: اختلق واصطنع الكذب على الله عن عمد، كأن يقول عن كلام: هَذَا كَلَامُ اللَّهِ، وَهُوَ لَيْسَ بِكَلَامِ اللَّهِ.

**الفريق الثاني:** «مَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ» مع إقامة الحجة عليه بأنّها آياتُ الله، كأنْ يُكَذِّبَ بالقرآنِ المجيد أنّه مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وقد صَحَّ عِنْدَهُ وَاسْتَيْقَنَتْ نَفْسُهُ أنّه مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ.

فَجَمَعَ هَذَا الْبَيَانَ بَيْنَ مَنْ يَدَّعي النبوةَ وهو كاذِب، وَبَيْنَ مَنْ يُكَذِّبُ النَّبِيَّ وهو مُؤَيَّدٌ مِنَ اللَّهِ بِالآيَاتِ الْخَوَارِقِ، وَهَذَا مِنْ تَمَامِ الْعَدْلِ فِي الْحَوَارِ وفي البَيَانِ الْاِحْتِجَاجِي عَلَى مُكَذِّبِي الرَّسُولِ، بِأَنَّ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ قَدْ بَلَغَا حُضِيضَ الظُّلْمِ.

﴿... إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢١): أي: إِنَّهُ لَا يَظْفَرُ وَلَا يَفُوزُ عِنْدَ اللَّهِ الظَّالِمُونَ، وَالْمَرَادُ بِالظَّالِمِينَ هُنَا الظَّالِمُونَ مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ.

**الفلاح:** النِّجَاةُ وَالْفَوْزُ وَالظَّفَرُ، وَأَصْلُ الْفَلَاحِ: الْبَقَاءُ فِي النَّعِيمِ وَالْخَيْرِ.

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَإِنَّمَا قِيلَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مُفْلِحُونَ لِفَوْزِهِمْ بِبَقَاءِ الْأَبَدِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَعْزِضُ مَشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الدِّينِ فِي حِسَابِ الْمَشْرِكِينَ:

• ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْبَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾.

• ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: أي: وَضَعُ فِي ذَاكَرَتِكَ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي الرَّشِيدُ، مَا نَعْرِضُ عَلَيْكَ مِنْ مَشْهَدٍ سَوْفَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذْ نَحْشُرُ الْخَلَائِقَ جَمِيعًا، يَتَحَدَّثُ رَبُّنَا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ.

• ﴿... ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٢٢):

أي: ثُمَّ فِي آخِرِ أَحْدَاثٍ تَكُونُ بَعْدَ الْحَشْرِ، مِنْهَا فَرَزُ أَهْلِ الْإِيمَانِ

عَنْ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَمُهْلَةً انْتِظَارٍ قَبْلَ إِقَامَةِ مُحْكَمَةِ الْعَدْلِ الرَّبَّانِيَّةِ، تَجْرِي مُسَاءَلَةُ الْمُشْرِكِينَ، لِمُحَاسَبَتِهِمْ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ بِشَأْنِهِمْ.

الحشر: الْجَمْعُ وَالسَّوْقُ.

عِنْدِيذٍ يَقُولُ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - لِلَّذِينَ كَانُوا قَدْ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَيَاةَ الْإِبْتِلَاءِ: ﴿أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أَنَّهُمْ شُرَكَائِي، فِي رُبُوبِيَّتِي، أَوْ فِي إِلَهِيَّتِي؟؟. أَحْضِرُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ إِحْضَارِهِمْ قَادِرِينَ.

﴿تَزْعُمُونَ﴾: أي: تفترونهم كاذبين. يَأْتِي الزَّعْمُ لُغَةً بِمَعْنَى الظَّنِّ، وَبِمَعْنَى الشَّكِّ وَالْارْتِيَابِ، وَبِمَعْنَى الْكَذِبِ، وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمَلَائِمُ هُنَا. وَقَدْ يُرَادُ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ بَعْضِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَطْنُونَ إِلَهِيَّةَ شُرَكَائِهِمْ ظَنًّا ضَعِيفًا، فَاتَّكَفَوْا بِالظَّنِّ الضَّعِيفِ اتِّبَاعًا لِأَهْوَائِهِمْ، وَتَرَكُوا الْحُجَجَ الْقَوِيَّةَ الْبِرَهَانِيَّةَ الَّتِي تُثَبِّتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ بِحَقٍّ إِلَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

• ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (٣٣) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿١٤﴾:

جاء في القراءات ﴿تَكُنْ﴾ بالتأنيث، مُرَاعَاةً لِلْفُظْ فِي ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ وَجَاءَ فِيهَا ﴿يَكُنْ﴾ بالتذكير، لِأَنَّ لَفْظَ «فِتْنَةٌ» مجازي التأنيث، يجوز تذكير الفعل وتأنيثه معه.

وَجَاءَ فِي الْقِرَاءَاتِ نَضْبُ ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ وَرَفْعُهَا. أَمَّا النَّضْبُ فَعَلَىٰ اعْتِبَارِ لَفْظِ «فِتْنَةٌ» خَبَرَ فَعَلَ: ﴿تَكُنْ﴾ وَاسْمُهَا الْمَصْدَرُ الْمُؤَوَّلُ مِنْ ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾. وَأَمَّا الرَّفْعُ فَعَلَىٰ اعْتِبَارِ لَفْظِ «فِتْنَةٌ» هُوَ اسْمُ فَعَلَ: ﴿تَكُنْ﴾ وَأَنَّ الْمَصْدَرَ الْمُؤَوَّلَ هُوَ الْخَبَرُ.

وَجَاءَ فِي الْقِرَاءَاتِ: ﴿وَاللَّهُ رَبِّنَا﴾ بِجَرِّ رَبِّنَا، عَلَىٰ أَنَّهُ وَصَفَ لِاسْمِ الْجَلَالَةِ، أَوْ بَدَلَ مِنْهُ:

وجاء فيها نَصْبُ ﴿رَبَّنَا﴾ عَلَى أَنَّهُ مُنَادَى بِحذف حَرْفِ النَّداءِ .

﴿فَتَنَّهُمْ﴾: تَطَلَّقَ الْفِتْنَةُ وَيُرَادُ بِهَا الْعِقَابُ وَالْعَذَابُ، وَأَرَى أَن هَذَا هُوَ الْمُرَادُ هُنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَالْمَعْنَى: ثُمَّ بَعْدَ الْحَشْرِ وَسُؤَالِ الْمُشْرِكِينَ عَنْ شُرَكَائِهِمَ الَّذِينَ كَانُوا فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ لِلَّهِ، عَذَّبُوا عَذَابًا خَاصًّا قَبْلَ أَخْذِهِمْ وَإِلْقَائِهِمْ فِي جَهَنَّمَ دَارِ عَذَابِهِمُ الْخَالِدِ، لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ إِذْ قَالُوا: «وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ» لَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَكْشِفُ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ، إِذْ يَخْتِمُ اللَّهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَيُنْطِقُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ وَجُلُودُهُمْ، فَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، إِضَافَةً إِلَى صُحُفِ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي تَكْشِفُ بِالصَّوْتِ وَالصُّورَةِ وَحَرَكَاتِ الْقُلُوبِ وَالنُّفُوسِ وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ عَقَائِدَ وَنِيَّاتٍ وَخَوَاطِرٍ.

وَبَعْدَ أَنْ يُدَانُوا بِكَذِبِهِمْ فِي مَوْقِفِ سُؤَالِهِمْ وَحِسَابِهِمْ يُعَاقَبُونَ عَلَى هَذَا الْكَذِبِ، وَبِهَذَا تَكُونُ فَتْنَتُهُمُ الَّتِي سَبَبَهَا لَهُمْ كَذِبُهُمْ فِي سُؤَالِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَنْ شُرَكَائِهِمْ.

• ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٤﴾﴾:

أَي: انْظُرْ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي لِنَبَأِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، إِذْ يُنْكِرُونَ فِي مَوْقِفِ حِسَابِهِمْ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ مَا كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُشْرِكِينَ، مُتَوَهِّمِينَ أَنَّ الْإِيمَانَ الْكَاذِبَةَ تُنْجِيهِمْ مِنْ جَرِيمَةِ الشِّرْكِ بِاللَّهِ، الَّتِي كَانَتْ جَرِيمَتُهُمُ الْكُبْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَعْفُلُونَ عَنْ أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ، فَعَرَّضُوا أَنْفُسَهُمْ لِعَذَابٍ أَلِيمٍ عَلَى أَيْمَانِهِمُ الْفَاجِرَةِ، قَبْلَ إِلْقَائِهِمْ فِي جَهَنَّمَ لِيَنَالُوا الْعَذَابَ الدَّائِمَ الْخَالِدَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَشُرْكَائِهِمْ، وَجَرَائِمِهِمُ الْآخَرَى الَّتِي قَدَّمُوهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

لفظ ﴿كَيْفَ﴾ تَرَجَّحَ لَدَيَّ أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ لِفِعْلِ: ﴿أَنْظُرْ﴾ مَسْلُوباً مِنْهَا مَعْنَى الاسْتِفْهَامِ، وَبَاقٍ فِيهَا مَعْنَى الْوَصْفِ الْكَيْفِيِّ.

وَجَاءَ فِي التَّعْبِيرِ: ﴿كَذَّبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، لِأَنَّ كَذِبَهُمْ لَا يَكُونُ عَلَى اللَّهِ، فَاللَّهُ كَاشِفُ سَرَائِرِهِمْ، عَلِيمٌ بِكُلِّ مَا يُخْفُونَ فِي نَفْسِهِمْ. وَيُمْكِنُ أَنْ نَفْهَمَ أَنَّ إِعْلَانَهُمُ الْجَمَاعِيِّ هُوَ مِنْ قَبِيلِ كَذِبِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُخْفِي عَنِ الْآخَرِينَ بِيَمِينِهِ أَنَّهُ كَانَ مُشْرِكاً، طَمَعاً فِي أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ وَيَغْفِرَ لَهُ سَوَابِقَ شُرْكَهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. أَوْ كَذَّبُوا جَانِبِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَهُوَ عَلَى تَقْدِيرٍ مُضَافٍ مَحْذُوفٍ.

● ﴿... وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾ (٢٤): أَي: وَضَاعَ مُبْتَعِداً عَنْهُمْ ابْتِعَاداً لَا يَسْتَطِيعُونَ اجْتِيَازَ مَسَافَتِهِ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَهُ عَلَى رَبِّهِمْ مِنْ شُرَكَاءَ، وَمَا يَفْتَرُونَهُ مِنْ ضَلَالَاتٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا مِنَ الدِّينِ وَهِيَ لَيْسَتْ مِنْ دِينِ اللَّهِ فِي شَيْءٍ.

﴿يَفْقَرُونَ﴾: أَي: يَخْتَلِقُونَ وَيَصْطَنِعُونَ ادِّعَاءَاتٍ هُمْ فِيهَا كَاذِبُونَ.

■ قول الله تَعَالَى مُحَاطِباً رَسُولَهُ بِشَأْنِ طَائِفَةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ، وَقُلُوبُهُمْ مُنْصَرِفَةٌ عَمَّا يَقُولُهُ لَهُمْ، أَوْ يَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ انْصِرَافاً كُلِّيّاً، وَهَذَا انْتِقَالٌ مِنْ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ الْآخِرَةِ إِلَى بَيَانِ أَحْدَاثٍ هِيَ مِنْ أَحْدَاثِ الدُّنْيَا:

● ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا أَبَدًا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾:

● ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: أَي: وَبَعْضُ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ فِي مَكَّةَ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ فِيمَا يَظْهَرُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، لَكِنَّهُمْ عَازِمُونَ ابْتِدَاءً

عَلَى رَفْضٍ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، وَمَا تَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ الْمَنْزَلِ عَلَيْكَ، فَهُمْ بِمُقْتَضَى نِظَامِ خَلْقِ اللَّهِ لِلنُّفُوسِ الْإِنْسَانِيَّةِ مَحْجُوبُونَ عَنْ إِدْرَاكِ مَعْنَى مَا يَصِلُ إِلَى آذَانِهِمْ مِنْ أَقْوَالِكَ، وَإِذَا أَدْرَكُوا مَعَانِي سَطْحِيَّةً فَإِنَّهُمْ مَحْجُوبُونَ عَنْ فِقْهِ مَا تَقُولُ فَفَهْمًا يُدْرِكُونَ بِهِ حَقَائِقَ الْمَعَانِي حَتَّى تُؤَثَّرَ فِيهِمْ.

• ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: أي: وَجَعَلْنَا بِمُقْتَضَى نِظَامِ التَّكْوِينِ الْعَامِّ لِكُلِّ النُّفُوسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، عَلَى قُلُوبِهِمْ وَهِيَ مَرَاكِزُ الْفَهْمِ فِي نَفْسِهِمْ، حُجْبًا كَثِيفَةً وَأَعْطِيَةً مَانِعَةً لَهُمْ مِنْ أَنْ يَفْقَهُوهُ.

﴿أَكِنَّةٌ﴾: جَمْعُ «كَنْ» وَهُوَ الْبَيْتُ، وَكُلُّ مَا يَبْقَى وَيَسْتُرُ، وَالْأَكِنَّةُ: الْأَعْطِيَةُ السَّاتِرَةُ الْحَاجِبَةُ.

﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: أي: حُجْبًا مَانِعَةً لَهُمْ مِنْ أَنْ يَفْقَهُوهُ، بِسَبَبِ رَفْضِهِمْ الْإِضْغَاءَ لَمَّا يَسْمَعُونَهُ، وَرَفْضِهِمُ الْإِنْتِفَاعَ بِهِ ابْتِدَاءً.

الفقه: فِي اللَّغَةِ هُوَ الْفَهْمُ وَالْفِطْنَةُ، وَاسْتُعْمِلَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْعِلْمِ بِبَوَاطِنِ الْأُمُورِ وَخَفَايَاهَا وَدَقَائِقِهَا، وَعَلَى الْبَحْثِ عَنْهَا لِلتَّوَصُّلِ إِلَى مَعْرِفَتِهَا، فَهُوَ بِهَذَا أَحْصَى مِنْ مُطْلَقِ الْعِلْمِ.

إِنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ وَنِظَامِهِ التَّكْوِينِيِّ لِلنُّفُوسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، أَنَّ مَنْ حَجَبَ نَفْسَهُ بِحُجْبٍ مِنَ الرَّفْضِ لِلْحَقِّ الْمَخَالِفِ لِأَهْوَاءِ النُّفُوسِ وَشَهَوَاتِهَا، لَمْ يَكُنْ لَدَى قَلْبِهِ اسْتِعْدَادٌ لِفَهْمِ الْأَقْوَالِ الَّتِي تَسْمَعُهَا أَذْنَاهُ فَهَمًّا صَحِيحًا، يُدْرِكُ بِهِ دَلَالَاتِهَا الْكَاشِفَاتِ لِمَا وَرَاءَ الظَّوَاهِرِ اللَّفْظِيَّةِ مِنْ مَعَانٍ عَمِيقَةٍ أَوْ دَقِيقَةٍ، وَلَوْ أَنَّهُ أَدْرَكَهَا لَعَرَفَ الْحَقَّ، وَمَيَّزَهُ عَنِ الْبَاطِلِ، وَلَعَرَفَ أَنَّ مِنَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ لَهُ أَنْ يَنْبِذَ الْبَاطِلَ الَّذِي يَتَمَسَّكُ بِهِ، وَأَنْ يَسْتَمْسِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي يَرْفُضُهُ.

• ﴿... وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا...﴾: أي: وَجَعَلْنَا فِي آذَانِهِمْ صَمَمًا،

أَوْ ثِقَلًا شَدِيدًا فِي السَّمْعِ قَرِيبًا مِنَ الصَّمَمِ، وَهَذَا يَكُونُ بِحَسَبِ نِظَامِ اللَّهِ التَّكْوِينِيِّ، فِي الْأَحْوَالِ الَّتِي يَكُونُ الْإِنْسَانُ فِيهَا شَدِيدَ الرَّفْضِ ابْتِدَاءً لِلدَّعْوَةِ الْبَيَانِيَّةِ الَّتِي تُوَجَّهُ لَهُ، فَهُوَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ حَاضِرًا غَيْرَ سَامِعٍ كَالْمُنَافِقِينَ شَدِيدِي التَّفَاقٍ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ حَاضِرًا يَسْمَعُ سَمْعًا قَلِيلًا بَعْضُ مَا يُوجَّهُ لَهُ مِنْ بَيَانٍ.

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ أَنْ يَسْمَعَ الْأَقْوَالَ وَيَفْهَمَ سُطُوحَ دَلَالَاتِهَا، لَكِنَّهُ مَحْجُوبٌ عَنْ فَهْمِهَا، وَإِذْرَاكِ دَقَائِقِ دَلَالَاتِهَا.

وَسَبَبُ كُلِّ ذَلِكَ رَفْضُ دَعْوَةِ الْحَقِّ ابْتِدَاءً، وَتَخْتَلِفُ أَحْوَالُ الْأَفْرَادِ بِحَسَبِ مَقَادِيرِ شِدَّةِ الرَّفْضِ.

• ﴿... وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا...﴾: أَي: وَإِنْ يَرَوْا هَؤُلَاءِ الرَّافِضُونَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ ابْتِدَاءً، الْمَعَانِدُونَ الْمُصِرُّونَ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّمَسُّكِ بِشُرَكِيَائِهِمْ وَتَقَالِيدِهِمُ الْبَاطِلَةِ، كُلَّ آيَةٍ خَارِقَةٍ يُطَالِبُونَ بِإِجْرَائِهَا كَيْ يُؤْمِنُوا، فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، لِأَنَّ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ اسْتِجَابَةً لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُفْتَنِّعِينَ بِأَنَّ مَا يَدْعُوهُمْ الرَّسُولُ إِلَيْهِ حَقٌّ، بَلْ لِأَنَّهُمْ رَافِضُونَ قَبُولَ الْحَقِّ ابْتِدَاءً، وَإِجْرَاءَ الْآيَاتِ الْخَوَارِقِ لَا يَزِيدُ فِي قَنَاعَتِهِمْ شَيْئًا، فَتَلْبِيَةُ طَلِبِهِمْ لَهَا عَبَثٌ لَيْسَ مِنْ حِكْمَةِ الرَّبِّ الْحَكِيمِ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ وَكُلِّ جَوَانِبِ نَفُوسِهِمْ، الْخَبِيرُ بِكُلِّ أَحْوَالِهِمُ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، حَتَّى أَحَادِيثِ نَفُوسِهِمُ الَّتِي لَا يَنْطِقُونَهَا بِأَلْسِنَتِهِمْ.

• ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿حَتَّى﴾ هُنَا ابْتِدَائِيَّةٌ دَاخِلَةٌ عَلَى جُمْلَةٍ ﴿إِذَا جَاءُوكَ﴾ وَحَتَّى الْابْتِدَائِيَّةُ لَيْسَ فِيهَا مَعْنَى الْغَايَةِ، بَلِ الْجُمْلَةُ بَعْدَهَا مُسْتَأْنَفَةٌ.

﴿يُجَادِلُونَكَ﴾ جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ، أَي: حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يَا مُحَمَّدٌ مُجَادِلِينَ، وَكَانُوا قَدْ اسْتَمَعُوا إِلَيْكَ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْقَهُوا مَعَانِيَ مَا تَلَوْتَهُ

عَلَيْهِمْ، لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ مَحْجُوبَةً عَنْ فَقْهِهَا بِسَبَبِ رَفْضِهِمْ ابْتِدَاءً  
الاسْتِجَابَةَ لِدَعْوَتِكَ.

﴿... يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٢٥﴾: هذا البيان  
جواب ﴿إِذَا﴾ الشرطية.

أي: إِنَّهُمْ إِذَا جَاؤُوكَ يَبْتَغُونَ مُجَادَلَتَكَ، وكانوا محجوبين عَنْ فَهْمِ مَا  
سَبَقَ أَنْ اسْتَمَعُوهُ مِنْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ الْقُرْآنَ، يَقُولُونَ فِي عِبَارَاتِهِمُ الْجَدَلِيَّةِ  
الدَّالَّةِ عَلَى انْطِمَاسِ بَصَائِرِهِمْ عَنْ فَهْمِ مَا كَانُوا قَدْ اسْتَمَعُوهُ مِنْ قَبْلُ، وَعَنْ  
فَهْمِ مَا يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ مِنْكَ بَعْدَ مَجِيئِهِمْ لِلْمُجَادَلَةِ: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ  
الْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما هذا الَّذِي تَتْلُوهُ عَلَيْنَا إِلَّا مَكْتُوباتُ الْأَوَّلِينَ، أَوْ قِصَصُ  
وَأَحَادِيثُ الْأَوَّلِينَ الْخُرَافِيَّةِ.

هذا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ حِينَما اسْتَمَعُوا إِلَى الرَّسُولِ، وَهُوَ يَتْلُو عَلَيْهِمْ  
شَيْئاً مِنَ الْقُرْآنِ سَابِقاً، انْصَرَفُوا عَنْ مَكَانِ تِلَاوَةِ الرَّسُولِ لَهُ، وَتَشَاوَرُوا  
فِيمَا بَيْنَهُمْ بِشَأْنِ الْمَقَالَةِ الَّتِي يَقُولُونَهَا لِلطَّعْنِ فِي الْقُرْآنِ، فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ  
يَقُولُوا: مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. وَإِذْ أَعْجَبَهُمْ هَذَا الْقَوْلُ الْجَدَلِيُّ  
جَاؤُوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ مَرَّةً أُخْرَى، لِيَقُولُوا لَهُ هَذَا الْقَوْلُ، بَعْدَ أَنْ  
يَسْتَمِعُوا إِلَى تِلَاوَتِهِ الْقُرْآنَ.

وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذِهِ الْمَوَاجَهَةِ مِنْ وَقَاحَةٍ وَمَكَابَرَةٍ بِالْبَاطِلِ، وَرَغْبَةٍ  
فِي صَدِّ جَمَاهِيرِهِمْ عَنِ التَّأَثُّرِ بِالْقُرْآنِ.

وَقَدْ سَبَقَ أَنْ قَالُوا هَذِهِ الْمَقَالَةُ قَبْلَ نُزُولِ سُورَةِ (الفرقان/ ٤٢  
نزول).

أَسَاطِيرُ: تَأْتِي فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَيْنِ:

- فَتَأْتِي بِمَعْنَى: أَبَاطِيلَ، وَأَحَادِيثَ لَا نِظَامَ لَهَا، وَاحِدَتُهَا. إِسْطَارٌ،  
وَإِسْطَارَةٌ، وَأُسْطُورَةٌ، وَأُسْطُورٌ.



• وتَأْتِي بِمَعْنَى: مَكْتُوبَاتِ الْأَوَّلِينَ، وَمَسْطُورَاتِهِمْ، قَالَ أَبُو عبيدة: جُمِعَ «سَطَرَ» عَلَى «أَسْطَرٍ» ثُمَّ جُمِعَ «أَسْطَر» عَلَى «أَسَاطِير». أَي فَاسَاطِيرِ جَمْعُ جَمْعٍ.

وَيُظْهِرُ أَنَّ الْمَعْنِيَّينَ بِالْحَدِيثِ مِنَ الْكَافِرِينَ، يَفْصِدُونَ تَرْوِيجَ كُلِّ مَنْ مَعْنَى الْأَبَاطِيلِ، وَمَعْنَى الْمَكْتُوبَاتِ. فَمَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ قِصَصِ الْأَوَّلِينَ هِيَ مِنْ أَبَاطِيلِ الْأَوَّلِينَ، وَمَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ مَعَارِفِ فِكْرِيَّةٍ، هِيَ مِنْ مَكْتُوبَاتِ الْأَوَّلِينَ، أَي: مَاخُودَةٌ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا بَيَانَ صِفَاتِ أَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ إِبَّانَ

التنزيل:

• ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢١)

الضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يَعُودُ بِالنَّظَرِ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ (٢٥) إِلَى الْقُرْآنِ، مَعَ احْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ أَيْضًا.

فَالْمَعْنَى: وَهَؤُلَاءِ الْمَعْنِيُّونَ بِالْبَيَانِ، يَنْهَوْنَ جَمَاهِيرَهُمْ وَكُلَّ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَى أَقْوَالِهِمْ، عَنِ اسْتِمَاعِ مَا يُتْلَى مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَنِ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ كَلَامٌ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُمْ يَنْأَوْنَ مُبْتَعِدِينَ عَنِ مُتَابَعَةِ اسْتِمَاعِ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَعَنِ الْإِيمَانِ بِهِ.

﴿وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾: أَي: يَبْتَعِدُونَ، يَقَالُ لُغَةً: «نَأَى فُلَانٌ عَنْ كَذَا، يَنَأَى، نَأْيًا» أَي: ابْتَعَدَ عَنْهُ. بَيْنَ «يَنْهَوْنَ» وَ«يَنْأَوْنَ» جَنَاسٌ شَبِيهُ بِالْتَّامِ، وَيُسَمَّى «الْمُضَارَعُ»<sup>(١)</sup>.

وَهُمْ أَيْضًا يَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنِ اسْتِمَاعِ بَيَانَاتِ الرَّسُولِ ﷺ، وَعَنِ الْإِيمَانِ بِهِ نَبِيًّا وَرَسُولًا، وَيَنْأَوْنَ مُبْتَعِدِينَ عَنِ مُتَابَعَةِ اسْتِمَاعِ بَيَانَاتِهِ، وَعَنِ الْإِيمَانِ بِهِ نَبِيًّا وَرَسُولًا.

(١) انظر «الجناس» في كتاب «البلاغة العربية» للمؤلف.

وَهُمْ بِكُلِّ مِنَ النَّهْيِ الَّذِي يُوجِّهُونَهُ لِلنَّاسِ، وَالنَّأْيِ الَّذِي يَفْعَلُونَهُ، لَا يَجْلُبُونَ لِأَنْفُسِهِمُ الْبَقَاءَ فِي سُلْطَانِهِمْ وَسَيَادَتِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ، بَلْ يُعَرِّضُونَ أَنْفُسَهُمْ لِلْهَلَاكِ الْعِقَابِيِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، قَبْلَ مُجَارَاتِهِمْ يَوْمَ الدِّينِ بِعَذَابٍ خَالِدٍ فِي الْجَحِيمِ، وَإِذَا قَدَّرَ اللَّهُ وَقَضَى أَنْ يُهْلِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَعْضَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَإِنَّهُ سَيَخْصُ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةَ الصَّالِحِينَ الْمُضْلِينَ بِالْإِهْلَاكِ، وَلَا يَكُونُ نَهْيُهُمْ وَنَأْيُهُمْ سَبَبًا فِي إِهْلَاكِ غَيْرِهِمْ، بَلْ سَيَقْتَصِرُ الْإِهْلَاكِ الْعِقَابِيُّ عَلَيْهِمْ، فَهُمْ بِعَمَلِهِمُ الْإِجْرَامِيِّ لَا يُهْلَكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ مَا يَشْعُرُونَ حِينَ إِهْلَاكِهِمْ أَنَّ إِهْلَاكَهُمْ اقْتَصَرَ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا مَا حَصَلَ فِعْلًا بَعْدَ ذَلِكَ، وَظَهَرَ جَلِيًّا فِي مَعْرَكَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى، فَقَدْ أَهْلِكَ فِيهَا أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ، وَحَمَى اللَّهُ مَنْ فِي قُلُوبِهِمْ خَيْرٌ مِمَّنِ الْإِهْلَاكِ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ مَنْ كَانَ فِي قُلُوبِهِمْ خَيْرٌ مِمَّا، حَتَّى أَبُو سُفْيَانَ الَّذِي كَانَ مِنْ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ قَبْلَ الْفَتْحِ.

وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ، بِشَأْنِ الْأَسْرَى الَّذِينَ أُسِرُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى، فِي سُورَةِ (الْأَنْفَالِ/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول):

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٦﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾.

فَتَكَامَلَتِ النُّصُوصُ الْقُرْآنِيَّةُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِدَلَالَةِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الْأَنْعَامِ/ ٥٥) الَّتِي يَجْرِي تَدْبِيرُهَا: ﴿... وَإِنْ يُهْلَكُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٧٦):

«إِنْ» حَرْفُ نَفْيٍ بِمَعْنَى «مَا».

■ وَيَنْتَقِلُ الدَّرْسُ بَعْدَ بَيَانِ طَائِفَةٍ مِنْ جَرَائِمِ أَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، إِلَى عَرْضِ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ أَحْوَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ سَبَقَ فِي الْآيَاتِ مِنْ (٢٢ - ٢٤) عَرْضُ مَشْهَدٍ مِنَ الْمَشَاهِدِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِمْ، وَهُوَ مَشْهَدٌ مُنْتَزَعٌ مِنْ مَوْقِفِ سُؤَالِهِمْ وَمُحَاسَبَتِهِمْ، أَمَّا الْمَشْهَدُ التَّالِي فَهُوَ مُنْتَزَعٌ مِنْ أَحْدَاثٍ يُقَافِيهِمْ عَلَى أَبْوَابِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَعْدَ مُحَاسَبَتِهِمْ وَفَضْلِ الْقَضَاءِ بِشَأْنِهِمْ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

● ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ تُفْعَلُ عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْلُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكْذَبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ :

سَبَقَ فِي الْمَلْحَقِ الثَّامِنِ مِنْ مَلَاحِقِ تَدْبِيرِ سُورَةِ (الأعراف/ ٣٩ نزول) دِرَاسَةُ تَدْبِيرِيَّةٍ تَكَامُلِيَّةٍ، لِلنُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِرَغْبَةِ الْكَافِرِ يَوْمَ الدِّينِ، أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ لَهُ بِاسْتِثْنَائِهِ رِحْلَةَ امْتِحَانِهِ حَتَّى تَمْنِيَهُ أَنْ يَكُونَ تَرَابًا، وَهِيَ عَشْرَةُ نُّصُوصٍ تُعَبِّرُ عَنْ عَشْرَةِ مَوَاقِفَ سَوْفَ تَكُونُ يَوْمَ الدِّينِ، لَا عَنْ مَوْقِفٍ وَاحِدٍ.

وَهَذَا الَّذِي جَاءَ فِي سُورَةِ (الأنعام/ ٥٥ نزول) هُوَ الْمَوْقِفُ الْخَامِسُ مِنْ مَوَاقِفِهِمْ<sup>(١)</sup>.

جَاءَ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بَيَانُ تَمْنِيَّتِهِمْ حِينَمَا يُوقَفُونَ عِنْدَ أَبْوَابِ النَّارِ تَمْهِيدًا لِكِبْكِبَتِهِمْ فِي هَاوِيَّتِهَا.

إِنَّهُمْ يُنَادُونَ مُتَمَنِّينَ أَنْ يُرَدُّوا إِلَى حَيَاةِ الْامْتِحَانِ، وَأَنْ لَا يُكْذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، وَأَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

(١) انظر هذا المحلق في المجلد الخامس من هذا الكتاب، في الصفحات من (٤٨٨ -

إِنَّهُمْ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ يُقْتَصِرُونَ عَلَى إِعْلَانِ تَمَنِّيهِمْ بِأَسْلُوبِ النَّدَاءِ. دُونَ أَنْ يَدْعُوا رَبَّهُمْ أَنْ يُحَقِّقَ لَهُمْ أُمْنِيَّتَهُمْ، إِذْ سَبَقَ أَنْ سَأَلُوهُ رَدَّهِمْ إِلَى حَيَاةِ الْامْتِحَانِ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَفِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ، فَلَمْ يَسْتَجِبِ اللَّهُ لَهُمْ، وَهَذَا النَّدَاءُ يُعْلِنُونَ فِيهِ نَدَمَهُمْ وَحَسْرَتَهُمْ.

• ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقُفُّوا عَلَى النَّارِ﴾:

أي: وَلَوْ تَرَى أَيُّهَا الرَّائِي أَيَّا كُنْتَ، أَيْمَّةَ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ الضَّالِّينَ الْمُضِلِّينَ، حِينَ وَقُفُّوا عِنْدَ أَبْوَابِ النَّارِ، قُبَيْلَ إِلْقَائِهِمْ فِي هَاوِيَّتِهَا، لِيَسْتَقِرُّوا فِي مَوَاقِعِ عَذَابِهِمِ الْخَالِدِ دَاخِلَهَا.

اسْتَعْمَلَ الْفِعْلَ الْمَاضِي فِي ﴿وَقُفُّوا﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَحَقُّقِ الْوُقُوعِ مُسْتَقْبَلًا يَوْمَ الدِّينِ، فَكَأَنَّهُ أَمْرٌ قَدْ وَقَعَ فِعْلًا.

والفعل في: ﴿وَقُفُّوا﴾ فِعْلٌ مَاضٍ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَالْمَعْنَى: وَقَفَتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْمَأْمُورُونَ بِسَوْقِهِمْ وَحَشْرِهِمْ عِنْدَ أَبْوَابِ دَارِ عَذَابِهِمْ، بِأَمْرِ رَبِّهِمُ الَّذِي لَهُ الْأَمْرُ وَالْحُكْمُ.

يُقَالُ لَعَةً: «وَقَفَ فُلَانٌ فُلَانًا يَقِفُهُ، وَقَفًا» أي: جَعَلَهُ يَقِفُ. وَيُقَالُ: «وَقَفَهُ عَلَى الْأَمْرِ» أي: أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ.

﴿عَلَى النَّارِ﴾: أي: عَلَى الْمَكَانِ الْمَشْرِفِ عَلَى هَاوِيَةِ النَّارِ، وَهَذَا يَكُونُ عِنْدَ أَبْوَابِهَا.

وَبِهَذَا الْوُقُوفِ يَشْهَدُ الْمَحْكُومُ عَلَيْهِمْ بِالْخُلُودِ فِيهَا مَوَاقِعَهُمْ فِي دَاخِلِهَا، حَيْثُ تَكُونُ مَصَارِيرُهُمُ الْأَبَدِيَّةُ.

وجواب ﴿لَوْ﴾ مَحْذُوفٌ مُقَدَّرٌ، يُفَسِّرُهُ مَا جَاءَ فِي تِمَّةِ الْآيَةِ:

• ﴿... فَقَالُوا يَلَيِّنَا نُرْدُ وَلَا تُكْذِبْ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧).

أي: لَوْ تَرَى حِينَ يُوقَفُونَ عَلَى النَّارِ لَرَأَيْتَهُمْ يُنَادُونَ: ﴿يَلَيِّنَا نُرْدُ وَلَا تُكْذِبْ...﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

• ﴿يَلَيِّنَا﴾: عِبَارَةٌ تَمَنَّ وَتَحْسِرُ وَنَدِمَ وَتَفَجَّعَ، لِأَنَّ مَا يَتَمَنُّونَهُ مِمَّا هُوَ بَعِيدٌ جِدًّا، أَوْ هُوَ مِنْ وَرَاءِ حُدُودِ الْمَمَكِنَاتِ.

• ﴿نُرْدُّ﴾: أي: نُرْجِعُ إِلَى مِثْلِ حَيَاةِ الْامْتِحَانِ الَّتِي سَلَفَتْ فِي أَزْمَانِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

﴿وَلَا تُكْذِبْ بَيَّاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بِنَضْبِ فَعْلٍ: ﴿تُكْذِبُ﴾ فِي قِرَاءَةِ حَفْصٍ، وَحَمْزَةٍ وَيَعْقُوبٍ، وَبِنَضْبِ فَعْلٍ: ﴿وَنَكُونُ﴾ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ.

وَبِرْفَعِ الْفِعْلَيْنِ فِي قِرَاءَةِ جُمْهُورِ الْقِرَاءِ الْعَشْرَةِ. وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ بَرَفَعِ الْفِعْلَ الْأَوَّلَ، وَبِنَضْبِ الْفِعْلِ الثَّانِي.

فَالنَّضْبُ هُوَ بَأَنْ مُضْمَرَةً بَعْدَ الْوَائِ، أَي: وَأَنْ لَا تُكْذِبَ. وَنَكُونُ. وَهَذَا تَابِعٌ لِلتَّمْنِي.

وَالرَّفْعُ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ، أَي: وَنَحْنُ إِذَا أُعِدْنَا إِلَى حَيَاةِ الْامْتِحَانِ فَإِنَّا لَا نُكْذِبُ بَيَّاتٍ رَبَّنَا. وَسَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذَا عَهْدٌ مِنْهُمْ يُقَدِّمُونَهُ. وَهُمْ بِهِ كَاذِبُونَ.

وقراءة ابنِ عامر بَرَفَعِ الْفِعْلَ الْأَوَّلَ وَنَضْبِ الْفِعْلِ الثَّانِي، فَرَفَعِ الْأَوَّلَ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ، وَنَضْبِ الثَّانِي عَلَى تَقْدِيرِ «أَنْ» بَعْدَ الْوَائِ، وَالْمَعْنَى: يَا لَيْتَنَا نُرْدُّ وَنَحْنُ لَا نُكْذِبُ بَيَّاتٍ رَبَّنَا وَيَا لَيْتَنَا أَنْ نَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

• ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ...﴾:

﴿بَلْ﴾ هُنَا: حَرْفُ إِضْرَابٍ انْتِقَالِي، أَي: بَلْ بَدَا لَهُمْ أَنْ يُعْلِنُوا عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ نَدَمَهُمْ وَحَسْرَتَهُمْ، بَعْدَ أَنْ عَايَنُوا بِأَبْصَارِهِمْ، وَهُمْ وَاقِفُونَ مُشْرِفُونَ عَلَى هَاوِيَةِ جَهَنَّمَ، وَعِنْدَ أَبْوَابِهَا، مَوَاقِعُهُمْ فِيهَا، فَاشْتَدَّ دُغْرُهُمْ وَخَوْفُهُمْ، وَلَعَلَّ فِي هَذَا الْإِعْلَانِ بِأَصْوَاتِهِمُ الْعَالِيَةِ الْجَهِيرَةِ اسْتِجْدَاءٌ لِلْعُظَمَاءِ عَلَيْهِمُ، وَالرَّحْمَةِ بِهِمْ، وَكَانَتْ لَوَاعِجُ النَّدَمِ وَالتَّحْسِرِ وَالْاسْتِجْدَاءِ

أُمُوراً يُخْفُونَهَا فِي مَوَاقِفِهِمُ السَّابِقَةِ بَعْدَ بَعْثِهِمْ مِنْ أَجْدَانِهِمْ، وَاسْتَمَرُّوا فِي إِخْفَائِهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ، أَوْ فِي صُدُورِهِمْ، حَتَّى عَايَنُوا بِأَبْصَارِهِمْ مَصَائِرَهُمْ، وَهُمْ عِنْدَ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ خَائِفُونَ مَذْعُورُونَ، لَا يَمْلِكُونَ مَهْرَباً وَلَا مَفْراً. وَلَمْ يَتَنَبَّهُ الْمَفْسُورُونَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، فَكَانَتْ لَهُمْ آرَاءٌ مُتَكَلِّفَةٌ فِيمَا أَرَى، وَلَا يَحْتَمِلُ النَّصُّ الدَّلَالَةَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا.

• ﴿... وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوْا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُوْنَ﴾ ﴿١٨﴾ :

أَي: وَلَوْ رُدُّوْا إِلَى حَيَاةِ الْامْتِحَانِ مَرَّةً أُخْرَى، لَعَادُوْا لِمِثْلِ الْأَمْرِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُوَ الْكُفْرُ وَالتَّكْذِيبُ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَالْعِصْيَانِ لِرَبِّهِمْ بَارْتِكَابِ الْجَرَائِمِ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي كَانُوا قَدْ نُهُوا عَنْهُ.

وَالسَّبَبُ فِي هَذَا أَنْ إِعَادَةَ الْامْتِحَانِ تَسْتَلْزِمُ مَسْحَ كُلِّ مَشَاهِدِ الْآخِرَةِ مِنْ ذَاكِرَاتِهِمْ، فَإِذَا أُعِيدُوا إِلَى ظُرُوفِ حَيَاةٍ أُخْرَى مُمَائِلَةً لِحَيَاةِ الْامْتِحَانِ الْأُولَى، كَانَتْ نَفُوسُهُمْ عَلَى مِثْلِ الْحَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي أَزْمَانِ الْامْتِحَانِ الْأَوَّلِ لَمْ يَتَغَيَّرْ فِيهَا شَيْءٌ، فَخَرِيطَةُ نَفُوسِهِمْ تَبْقَى مِثْلَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلِهَذَا فَهُمْ لَا بُدَّ أَنْ يَعُودُوا إِلَى مِثْلِ سِيرَتِهِمُ الْأُولَى حَتْمًا بَعْدَ أَنْ مُسِحَتْ مِنْ ذَاكِرَاتِهِمْ مَشَاهِدُ يَوْمِ الدِّينِ.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ : أَي: لِكَاذِبُونَ فِي ادِّعَائِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا أُعِيدُوا إِلَى حَيَاةِ الْامْتِحَانِ، فَسَيَكُونُونَ مُؤْمِنِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ وَقَعَ حَالِهِمْ سَيَكُونُ عَلَى نَقِيضِ هَذَا.

وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ مَشَاعِرِهِمُ الدَّاخِلِيَّةِ، لَدَى تَقْدِيمِ وَعُودِهِمْ بِأَنَّهُمْ سَيُؤْمِنُونَ وَيَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ، إِذْ هِيَ مَشَاعِرُ قَدْ عَبَّرُوا عَنْهَا بِصِدْقٍ وَهُمْ عِنْدَ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، لَكِنَّهَا لَا تُطَابِقُ وَقَعَ حَالِهِمْ حِينَمَا يُعَادُونَ إِلَى الْامْتِحَانِ مَرَّةً أُخْرَى، وَتَكُونُ صَفَحَاتِ ذَاكِرَاتِهِمْ بَيَضَاءَ لَيْسَ فِيهَا مِمَّا شَهِدُوا مِنْ أَحْدَاثٍ وَوَقَائِعِ يَوْمِ الدِّينِ شَيْءٌ، وَيَكُونُونَ مِثْلَمَا كَانُوا فِي رِحْلَةِ الْامْتِحَانِ الْأُولَى.

■ وَعَلَى طَرِيقَةِ التَّنْقُلِ بَيْنَ عَرْضِ مَشَاهِدَ مِنَ الْحَيَاةِ الْأُخْرَى يَوْمَ الدِّينِ، وَعَرْضِ لَقَطَاتٍ مِنْ وَاقِعِ حَالِ الْمُعْنِيِّينَ بِالْبَيَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بِفَنِيَّةٍ بَيَّاتِيَّةٍ عَجِيبَةٍ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُبَيِّنًا عَقِيدَتَهُمْ فِي الْبَعْثِ وَيَوْمَ الدِّينِ:

• ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٢٩):

عَبَّرَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَنْ مَقَالَةِ الْمُعْنِيِّينَ بِالْبَيَانِ بِشَأْنِ الْبَعْثِ وَالْحَيَاةِ الْأُخْرَى، وَكُفْرِهِمْ بِهِمَا، وَهِيَ مَقَالَةٌ تُعَبِّرُ عَنْ أَوْهَامِ كُلِّ الْكَافِرِينَ، الَّتِي صَارَتْ لَدَيْهِمْ عَقِيدَةً مُوجَّهَةً لِسُلُوكِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَجَعَلَتْهُمْ يُكَذِّبُونَ رُسُلَ رَبِّهِمْ، وَيُكَذِّبُونَ بَيَاتِيَّتِهِ، وَهِيَ أَنَّ الْحَيَاةَ مُقْتَصِرَةٌ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَقَطْ، وَلَا تَوْجِدُ حَيَاةً أُخْرَى بَعْدَهَا فَلَا بَعْثَ، وَلَا حَشَرَ، وَلَا حِسَابَ، وَلَا فَضْلَ قِضَاءٍ رَبَّانِيٍّ، وَلَا جِزَاءَ.

«إِنْ» هُنَا حَرْفُ نَفْيٍ بِمَعْنَى «مَا» النَّافِيَةِ. «هِيَ» ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى مُلَاحَظَةِ ذَهْنًا، وَهُوَ «حَيَاتُنَا» وَهَذَا الْمَلَا حَظٌّ فِي الذَّهْنِ مُفَسَّرٌ بِمَا جَاءَ بَعْدَ «إِلَّا» أَي: مَا الْحَيَاةُ كُلُّهَا الَّتِي هِيَ لَنَا فِي الْوُجُودِ كُلُّهُ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا هَذِهِ الَّتِي نَحْيَاهَا، وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ لِحَيَاةٍ أُخْرَى يَكُونُ فِيهَا الْحِسَابُ، وَفَضْلُ الْقِضَاءِ، وَتَنْفِيزُ الْجِزَاءِ.

■ وَبَعْدَ هَذِهِ اللَّفْظَةِ الْبَيَّاتِيَّةِ، الدَّالَّةِ عَلَى عَقِيدَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ فِي الْبَعْثِ، وَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، يَنْتَقِلُ الدَّرْسُ إِلَى عَرْضِ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ وَقُوفِهِمْ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِمْ يَسْأَلُهُمْ وَيَحَاسِبُهُمْ لِيَفْصَلَ الْقِضَاءَ بِشَأْنِهِمْ، عَلَى طَرِيقَةِ التَّنْقُلِ بَيْنَ دُنْيَا الْإِبْتِلَاءِ، وَآخِرَةِ الْجِزَاءِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَفُّوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٠):

أَي: وَلَوْ تَرَى أَيُّهَا الرَّائِي الْمُؤَهَّلُ لِأَنْ تَرَى أَيًّا كُنْتَ، الْمَكْذِبِينَ بِالْبَعْثِ وَيَوْمِ الدِّينِ وَأَحْدَاثِ يَوْمِ الدِّينِ، الَّتِي جَاءَ بِهَا عَنْ اللَّهِ الْخَبَرُ

اليقين، حِينَ وَقَفَ هَؤُلَاءِ عَلَى مَوْقِفٍ مُحَاكِمَةٍ رَبَّهُمْ لَهُمْ، لَرَأَيْتَ ذَلَّتْهُمْ  
وَاعْتَرَفَتْهُمْ بِأَنَّ مَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا حَقٌّ، وَلَرَأَيْتَ حَلَفَهُمْ بِرَبِّهِمْ  
عَلَى أَنَّهُ حَقٌّ، وَلَرَأَيْتَ الْحُكْمَ عَلَيْهِمْ بِأَن يَذُوقُوا الْعَذَابَ الْأَبَدِيَّ فِي  
جَهَنَّمَ، بِسَبَبِ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ.

جوابُ حَرْفِ الشرط «لَوْ» الذي جاء في صَدْرِ الْآيَةِ اسْتَخْرَجَتْهُ مِنْ  
طَيِّ مَثْنَةٍ مِنْ مَثَانِيهَا، وَدَلَّ عَلَيْهِ مَا جَاءَ فِي سَائِرِ الْآيَةِ.

وُحِذِفَتْ أَيْضاً عِبَارَةٌ: «مَوْقِفٍ مُحَاكِمَةٍ» بَيْنَ [عَلَى] وَ[رَبَّهُمْ].

وهذان الحذفان المدركان ذهنياً من الإيجاز المعهود في القرآن  
المجيد.

وجاء التعبيرُ بالفعل الماضي ﴿وُفِّقُوا﴾ كالذي جاء في الآية (٢٧)  
ويقالُ هُنَا نظير الذي جاء في التدبُّر هناك.

• ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾؟: أي: قَالَ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ  
سُلْطَانُهُ - لِلَّذِينَ كَانُوا كَافِرِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مُكَذِّبِينَ بِيَوْمِ الدِّينِ،  
وَبِأَحْدَاثِ يَوْمِ الدِّينِ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا الْخَبَرُ الْيَقِينُ، عَلَى لِسَانِ رَسُولِ رَبِّهِمْ  
الصَّادِقِ الْأَمِينِ، أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ بِهِ، وَتُكَذِّبُونَ بِهِ رَسُولَ  
رَبِّكُمْ بِأَمْرِ وَاقِعٍ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ؟؟

الباءُ فِي ﴿بِالْحَقِّ﴾ مَزِيدَةٌ لِلتَّوَكِيدِ، أي: أَلَيْسَ هَذَا حَقًّا مُؤَكَّدًا.

• ﴿قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا﴾: أي: بَلَى هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَاعْتَرَفُوا  
اعْتِرَافَهُمْ بِالْقَسَمِ بِرَبِّهِمْ: ﴿وَرَبَّنَا﴾ تَذَلُّلاً وَاسْتِعْظَافاً.

لفظ «بَلَى» حَرْفُ جواب، وَيَخْتَصُّ بِالنَّفْيِ، وَيُفِيدُ إِبْطَالَهُ، وَإِبْطَالُ  
النَّفْيِ هُنَا مَعْنَاهُ إِبْثَاتٌ أَنَّ هَذَا الَّذِي يُشَاهِدُونَهُ يَوْمَ الدِّينِ حَقٌّ، وَفِي هَذَا  
الاعْتِرَافِ حُكْمٌ مِنْهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَافِرِينَ  
بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُ رَبِّهِمْ بِلَاغاً عَنْهُ.



• ﴿... قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٠):

أي: ﴿قَالَ﴾ الله عزَّ وجلَّ لَهُمْ: لَقَدْ حَكَمْنَا عَلَيْكُمْ بِالْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ حُكْمًا عَادِلًا، عَلَى وَفْقِ بَيَانَاتِنَا الَّتِي بَلَّغَكُمْ إِيَّاهَا رُسُلُنَا، وَأَنْزَلْنَاهَا إِلَيْكُمْ ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا﴾ أي: بِسَبَبِ مَا ﴿كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ جُحُودًا وَاسْتِكْبَارًا وَاتِّبَاعًا لِلْأَهْوَاءِ.

الفاء في ﴿فَذُوقُوا﴾ فَصِيحَةٌ عَطَفَتْ عَلَى مَحذُوفٍ يَسْهُلُ عَلَى الْمُتَدَبِّرِ إدْرَاكُ مَعْنَاهُ.

على الْمُتَدَبِّرِ أَنْ يَلْحَظَ مَا فِي مَثَانِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ مِنْ مَطْوِيَّاتٍ مَحذُوفَاتٍ مِنْ مَنْطُوقِ اللَّفْظِ، وَلَيْسَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَى الْمُتَدَبِّرِ اسْتِخْرَاجُ مَعَانِيهَا كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ.

■ وَيَنْتَقِلُ الدَّرْسُ إِلَى بَيَانٍ يَشْتَمِلُ عَلَى نُصْحٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ لِكُلِّ مَنْ يُمَكِّنُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ، لِئَلَّا يَقَعَ بِمِثْلِ الَّذِي وَقَعَ وَيَقَعَ بِهِ الْكَافِرُونَ الْمَكْذُبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَبِحَقَائِقِ الدِّينِ الَّذِي بَلَّغَهُ رُسُلُ اللَّهِ الصَّادِقُونَ، فَقَالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ فِيهِ:

• ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (٣١) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣٢):

وَقُرِئَ: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ عَلَى الْإِضَافَةِ، وَهِيَ مِنَ التَّفْنُّنِ فِي التَّعْبِيرِ.

وَقُرِئَ: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بِضَمِيرِ الْغَائِبِينَ، وَبَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي الْأَدَاءِ الْبَيَانِيِّ، إِحْدَاهُمَا بِالْخَطَابِ، وَالْأُخْرَى بِالْحَدِيثِ عَنْهُمْ لغيرهم.

• ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: أي: قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَكُلَّ

شيء لَهم، إذ اختاروا لأنفسهم سُلوكَ الطَّرِيقِ الموصِلِ حَتْمًا إلى الخُلُودِ في عَذَابِ النَّارِ، بِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ يَوْمَ الدِّينِ.

والمراد: ﴿بَلَقَاءُ اللَّهِ﴾ لِقَاؤُهُ لِسُؤَالِهِمْ عَمَّا قَدَّمُوا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ، وَلِمَحَاسَبَتِهِمْ، وَلِلْحُكْمِ عَلَيْهِمْ، وَالْأَمْرِ بِنَفْيِ جَزَائِهِمْ، بَعْدَ بَعْثِهِمْ لِلْحَيَاةِ الْآخَرَى، وَهَذَا أَمْرٌ كَانُوا يُكْذِبُونَ بِهِ وَهُمْ فِي حَيَاةِ الْامْتِحَانِ.

• ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: «حَتَّىٰ» هُنَا حَرْفُ ابْتِدَاءٍ لَا عَمَلٍ لَهُ، وَلَيْسَ فِيهِ الدَّلَالَةُ عَلَى الْغَايَةِ.

﴿السَّاعَةُ﴾: يُمَكِّنُ حَمْلُ لَفْظِ «السَّاعَةِ» هُنَا عَلَى سَاعَةِ مَوْتِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَعَلَى سَاعَةِ انْقِضَاءِ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَعَلَى سَاعَةِ الْبَعْثِ لِلْحَيَاةِ الْآخَرَى مِنَ الْأَجْدَاثِ.

﴿بَغْتَةً﴾: أَي: فَجَاءَتْ فَهِيَ بَاغِتَةٌ لَهُمْ. وَلَفْظُ «بَغْتَةً» هُنَا مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَي: جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ مُبَاغِتَةً لَهُمْ.

﴿قَالُوا يَحْسَرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾: فِعْلٌ: «قَالُوا» جَوَابُ الشَّرْطِ فِي: ﴿إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ﴾.

• ﴿يَحْسَرُنَا﴾ عِبَارَةٌ نِدَاءٍ حَسْرَةٍ وَنَدَمٍ، يَقُولُهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ.

وهي تُعَبِّرُ عَنِ النَّدَمِ وَالتَّحَسُّرِ وَالتَّفَجُّعِ. وَحَرْفُ النِّدَاءِ «يَا» يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ انْدِفَاعِ مَشَاعِرِهِمْ لِإِيصَالِ تَحَسُّرِهِمْ لِمَنْ يُمَكِّنُ أَنْ يَرْحَمَهُمْ وَيَعْطِفَ عَلَيْهِمْ.

• ﴿عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾: أَي: عَلَىٰ مَا قَصَّرْنَا وَضَيَّعْنَا وَتَرَكْنَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مِمَّا هُوَ سَبَبُ نَجَاتِنَا وَسَعَادَتِنَا الْآبِدِيَّةِ يَوْمَ الدِّينِ.

يقال لغة: «فَرَطَ الشَّيْءُ» وَ«فَرَطَ فِيهِ» أَي: قَصَّرَ فِيهِ وَضَيَّعَهُ حَتَّىٰ فَاتَ.

• ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾: أي: والحال أنهم يَحْمِلُونَ أحمالَهُمُ الثَّقِيلَةَ مِنَ المعاصي والدُّنُوبِ والآثامِ والجرائمِ الكُبرى عَلَى ظُهُورِهِمْ، كما تَحْمِلُ الْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ الْأَحْمَالِ الثَّقِيلَةَ عَلَى ظُهُورِهَا.

الْوِزْرُ: هو الحِملُ الثقيل، وأُطْلِقَ عَلَى الذَّنْبِ تَشْبِيهاً لِلذَّنْبِ بِالْحِمْلِ الذي تَحْمِلُهُ الدَّابَّةُ مِنْ أَشْيَاءٍ ثَقِيلَةٍ، كَالْأَحْطَابِ وَالْأَحْجَارِ. وَجَمْعُ الْوِزْرِ «الْأَوْزَارُ».

والمعنى: وَنُفُوسُهُمْ تَشْعُرُ بِثِقَلِ مَا قَدَمَتْ مِنْ مَعَاصٍ، وَذُنُوبٍ وَجَرَائِمَ فِي رِحْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُمْ يَتَرَقَّبُونَ مُحَاكَمَةَ اللَّهِ لَهُمْ، كَمَا يَشْعُرُ حَامِلُ الْحِمْلِ الثَّقِيلِ بِثِقَلِ الْحِمْلِ عَلَيْهِ.

واخْتِيرَتْ عِبَارَةً: ﴿عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ أَشْبَاهُ الدَّوَابِّ الَّتِي تَحْمِلُ الْأَحْمَالَ عَلَى ظُهُورِهَا، وَقَدْ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِثْلَ الْأَنْعَامِ وَأَضَلَّ سَبِيلًا.

• ﴿... أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (٣١): «أَلَا» أداة استفتاح وَتَنْبِيهِ وَتَحْقِيقٍ. «سَاءَ» فَعْلٌ يُقَالُ فِي إِنْشَاءِ الدِّمِّ عَلَى سَبِيلِ الْمَبَالِغَةِ مِثْلُ: «بُسْ».

«مَا يَزِرُونَ»: أي: مَا يَحْمِلُونَ مِنْ آثَامٍ وَذُنُوبٍ وَجَرَائِمٍ. يُقَالُ لُغَةً: «وَزَرَ، يَزِرُ، وَزَرًا، وَزَرَةً» أي: حَمَلَ مَا يُثْقَلُ ظَهْرُهُ مِنْ أَحْمَالٍ ثَقِيلَةٍ.

■ قول الله تَعَالَى:

• ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣٢): أي: وَمَا الْعَمَلُ لِتَحْقِيقِ مَا يُطْلَبُ جَمِيعُ النَّاسِ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ، وَنُوكِدُ لَكُمْ أَنَّ الْعَمَلَ لِتَحْقِيقِ السَّعَادَةِ فِي دَارِ النِّعَمِ، الَّتِي هِيَ الدَّارُ الْآخِرَةُ الْعَظِيمَةُ، خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُطِيعُونَ أَوْامِرَ اللَّهِ وَنَوَاهِيَهُ، وَيَتَّقُونَ الْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ.

• ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟ استفهامٌ يُرادُ بِهِ الْحَثُّ عَلَى الْعَقْلِ، بِمَعْنَى الْعَقْلِ الْعِلْمِيِّ وَبِمَعْنَى الْعَقْلِ الْإِرَادِيِّ.

جاء في القرآن المجيد وصفُ الْعَمَلِ لتحقيقِ مَتَاعَاتِ النَّاسِ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي أَرْبَعَةِ نُصُوصٍ، هَذَا أَوَّلُهَا بِحَسَبِ تَرْتِيبِ النُّزْلِ، وَفِيهِ قَصْرُ هَذِهِ الْمَتَاعَاتِ عَلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، بِتَقْدِيمِ اللَّعِبِ عَلَى اللَّهْوِ.

■ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَهُ فِي سُورَةِ (الْعَنْكَبُوتِ/٢٩) مِصْحَفٍ/٨٥ نَزُولٍ) قَوْلُهُ تَعَالَى:

• ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: وَقُرِئَ بِإِسْكَانِ الْهَاءِ مِنْ ﴿لَهِىَ﴾.

﴿لَهِىَ الْحَيَوَانِ﴾: أَيْ: لَهِىَ الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ، الَّتِي تَسْتَحِقُّ أَنْ تُسَمَّى حَيَاةً خَالِيَةً مِنَ الْمُنْعَصَاتِ وَالْأَكْدَارِ وَالْمَوْتِ، وَالْمَرَادُ حَيَاةَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ فِيهَا. وَلَفِظُ «الْحَيَوَانِ» مُصَدَّرٌ لِفِعْلِ «حَيَّ». يُقَالُ لُغَةً: «حَيَّيْ، يَحْيَا، حَيَاةً، وَحَيَوَانًا».

وَلَوْ كَانَ النَّاسُ يَعْلَمُونَ الْحَقِيقَةَ، لَعَلِمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ هِيَ الْحَيَاةُ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي تَسْتَحِقُّ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهَا لَفْظُ «الْحَيَاةِ» الْكَامِلَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْخَلَائِقِ.

وَجَاءَ فِي هَذَا النَّصْرِ تَقْدِيمُ اللَّهْوِ عَلَى اللَّعِبِ، مَعَ الْحَضَرِ كَالنَّصْرِ السَّابِقِ.

■ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلَهُ فِي سُورَةِ (الْحَدِيدِ/٥٧) مِصْحَفٍ/٩٤ نَزُولٍ) خِطَابًا لِلنَّاسِ:

• ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مِصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ

حُطْمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ  
الْفُرُورِ ﴿٢٠﴾:

وقرأ شُعبَة: ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ بِضَمِّ الرَّاءِ، وَهِيَ لُغَةٌ.

فجاء في هذا النَّصِّ تَقْدِيمُ اللَّعِبِ عَلَى اللَّهْوِ، وَإِضَافَةُ الزَّيْنَةِ،  
وَالتَّفَاخُرِ، وَالتَّكَاثُرِ، مَعَ الْحَضَرِ.

وجاء في هَذَا النَّصِّ تَشْبِيهُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِفَضْلِ مِنَ الْفُضُولِ الزَّرَاعِيَّةِ،  
إِذْ يَبْدَأُ بِالْعَيْثِ، وَيَكُونُ فِي أَوَاسِطِهِ نَبَاتًا مُّعْجَبًا لِلزَّرَاعِعِينَ، ثُمَّ يَعْرِضُ لَهُ  
التَّنَكُّيسُ، فَيَيْسُ وَيَضْفَرُ، ثُمَّ يَتَحَطَّمُ وَيَتَكَسَّرُ، ثُمَّ يَضْمَحِلُّ وَيَعُودُ تَرَابًا.

أَمَّا الْآخِرَةُ فَالنَّاسُ فِيهَا عَلَى أَحْوَالٍ ثَلَاثَةٍ بِحَسَبِ أَقْسَامِهِمْ وَمَا  
قَدَّمُوا.

(١) فَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ خَالِدٌ فِي دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ، عَلَى  
دَرَكَاتِهِمْ.

(٢) وَالْمُؤْمِنُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ، وَلَوْ بَعْدَ أَنْ يَنَالَ مَنْ يُعَذَّبُ مِنْهُمْ  
مُقْدَارًا مِّنَ الْعَذَابِ عَلَى مَعَاصِيهِ وَأَنَامِيهِ، إِذَا لَمْ تَشْمَلْهُ رَحْمَةُ اللَّهِ بِالْمَغْفِرَةِ  
شُمُولًا كَامِلًا، وَهَؤُلَاءِ يَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ مَرْتَبَةِ التَّقْوَى، لَا يَرْتَقُونَ إِلَى مَرْتَبَةِ  
الْبِرِّ، فَمَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ.

(٣) وَالْأَبْرَارُ وَالْمُحْسِنُونَ، وَهُمْ الَّذِينَ ارْتَقَوْا بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ فَوْقَ  
دَرَجَاتِ مَرْتَبَةِ التَّقْوَى، وَسَابَقُوا إِلَى دَرَجَاتِ مَرْتَبَةِ الْبِرِّ، فَدَرَجَاتِ مَرْتَبَةِ  
الْإِحْسَانِ، لَهُمْ مِنَ اللَّهِ رِضْوَانٌ، أَي: ثَوَابٌ عَظِيمٌ يَنَاسِبُ رِضَاهُ عَنْ  
مَسِيرَتِهِمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ عَبْرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَكُونُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ  
بِحَسَبِ دَرَجَاتِهِمُ الَّتِي يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ بِهَا، بِسَبَبِ صَالِحَاتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا.

المتاع: ما يُنْتَفَعُ بِهِ مُوقَّتًا وَمَصِيرُهُ إِلَى الْفَنَاءِ.

الْغُرُورُ: مَصْدَرٌ فِعْلٌ «غَرَّه» بِمَعْنَى خَدَعَهُ وَأَظْمَعَهُ بِالْبَاطِلِ.

يقال لغة: «غَرَّه، يَغُرُّهُ، غَرًّا، وَغُرُورًا، وَغَرَّةً» أَي: خَدَعَهُ وَأَظْمَعَهُ بِالْبَاطِلِ.

فَمَنْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الْغُرُورُ دَاخِلَ نَفْسِهِ، أُعْطِيَ كُلَّ نَفْسِهِ لِمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَكَانَتِ الدُّنْيَا هِيَ الْمَسِيطَرَةُ عَلَيْهِ، عَنْ طَرِيقِ غُرُورِهِ وَانْخِدَاعِهِ وَظَمَعِهِ الَّذِي لَا يُحَقِّقُ لَهُ السَّعَادَةَ الْحَقِيقِيَّةَ، فَالدُّنْيَا مَتَاعٌ غُرُورُهُ.

أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ فَيَأْخُذُونَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ وَأَذِنَ بِهِ، عَنْ طَرِيقِ طَاعَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ، وَمَعْرِفَتِهِمْ بِحَقِيقَةِ الدُّنْيَا، دُونَ أَنْ تَخْدَعَهُمْ بِزِينَاتِهَا.

■ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلَهُ فِي سُورَةِ (مُحَمَّدٍ/ ٤٧ مصحف/ ٩٥) فِي مَعْرِضِ الْحَدِيثِ عَنِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ قَرِيبٌ مِنَ النِّفَاقِ الْخَالِصِ، مُعَالِجَةً لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ وَنَفْسِهِمْ:

• ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَنَقَّلُوا لَوْ أَنَّكُمْ تُجْرِكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمُ أَمْوَالُكُمْ﴾ (٣٦):

فجاء في هَذَا النِّصْرِ تَقْدِيمَ اللَّعِبِ عَلَى اللَّهِ، وَجَاءَ فِيهِ الْاِقْتِصَارُ عَلَيْهِمَا مَعَ الْحَضَرِ.

وَيَجِبُ تَدَبُّرُ هَذِهِ النُّصُوصِ الْأَرْبَعَةِ تَدَبُّرًا تَكَامُلِيًّا:

اللَّعِبُ: هُوَ فِي اللُّغَةِ ضِدُّ الْجِدِّ. يُقَالُ لُغَةً: «لَعِبَ، يَلْعَبُ، لَعِبًا، وَلَعِبًا». وَيُقَالُ لِكُلِّ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلًا لَا يَجُلِبُ لَهُ نَفْعًا: إِنَّمَا أَنْتَ لَاعِبٌ.

وَلَدَى مُرَاقَبَةِ أَعْمَالِ النَّاسِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَطَاقَاتِهِمُ الَّتِي يَبْذُلُونَهَا نَرَى أَنَّهَا تُصَنَّفُ فِي قِسْمِ اللَّعِبِ، لَا فِي قِسْمِ الْجِدِّ النَّافِعِ حَتَّى لِمَصَالِحِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

إِنَّ مِثَالَ الْأُلُوفِ مِنَ النَّاسِ يُضِيعُونَ أَوْقَاتَهُمْ وَطَاقَاتِهِمْ، فِي مُشَاهَدَاتِ مُبَارَيَاتٍ رِيَاضِيَّةٍ قَدْ تَسْتَفِيدُ مِنْهَا أَجْسَادُ بَعْضِ اللَّاعِبِينَ، وَهُمْ عَدَدٌ قَلِيلٌ جَدًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُشَاهِدِينَ.

وَإِذَا أَحْصَيْنَا الْأَوْقَاتِ وَالطَّاقَاتِ الَّتِي تُنْفَقُ فِي أَلْعَابِ الْوَرَقِ، وَقَطْعِ النَّرْدِ، وَمَا يُسَمَّى بِالزَّهْرِ وَالطَّائِلَةِ وَأَشْبَاهِهَا، وَجَدْنَاهَا أَكْثَرَ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُكْتَسَبُ بِهَا الْأَرْزَاقُ وَمَصَالِحُ الْعَيْشِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهَذِهِ تُصَنَّفُ فِي قِسْمِ اللَّعِبِ.

فَاللَّعِبُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَسْتَهْلِكُ مِنَ النَّاسِ أَكْثَرَ أَرْمَانِ حَيَاتٍ مُعْظَمِهِمْ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي نُصُوصٍ ثَلَاثَةٍ مِنَ النُّصُوصِ الْأَرْبَعَةِ تَقْدِيمَ اللَّعِبِ عَلَى اللَّهْوِ.

اللَّهُو: هُوَ كُلُّ عَمَلٍ أَوْ أَمْرٍ قَلِيلٍ الْجَدْوَى يَشْغُلُ وَيُلْهِى عَمَّا هُوَ الْأَحَقُّ وَالْأَجْدَرُ بِتَوَجِيهِ الْجَهْدِ وَالْعَمَلِ لَهُ.

يُقَالُ لُغَةً: «لَهَى، يَلْهُو، لَهْوًا». وَيُقَالُ: «الْتَهَى، يَلْتَهِي، التَّهَاءُ».

وَيُقَالُ: «الْهَاءُ، يُلْهِيه، إِلْهَاءً». أَيْ: شَغَلَهُ. وَالتَّلْهَى: التَّشَاغُلُ عَنِ الشَّيْءِ بغيرِهِ.

فَمَنْ أَنْفَقَ وَقْتَهُ وَبَذَلَ طَاقَاتِهِ فِي أَعْمَالٍ رِبْحُهَا قَلِيلٌ ضئيلٌ، وَكَانَ بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَعْمَلَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ فِي الطَّاقَاتِ نَفْسَهَا أَعْمَالًا أُخْرَى ذَاتَ رِبْحٍ وَفَيْرٍ وَمَكْسُوبٍ كَثِيرٍ، وَهَذِهِ الْأَعْمَالُ مُتَسَيِّرَةٌ لَهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَخْتَرْ الْقِيَامَ بِهَا، لِأَنَّ مَا اخْتَارَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَافَقَ هَوَاهُ، يَقُولُ الْعُقَلَاءُ بِشَأْنِهِ: إِنَّهُ يَلْهُو؛ إِذْ يَشْغُلُ نَفْسَهُ بِأَعْمَالٍ قَلِيلَةٍ الْجَدْوَى لِأَنَّهَا تُوَافِقُ هَوَاهُ، وَيَتْرُكُ أَعْمَالًا مَيَسُورَةً لَهُ ذَاتَ جَدْوَى عَظِيمَةٍ جَسِيمَةٍ، وَرِبْحٍ وَفَيْرٍ، لِأَنَّهُ لَا يَهْوَاهَا.

دُعِيَ عَالِمٌ فِيزِيَائِيٌّ لِيَكُونَ مُوظَّفًا فِي مَعْمَلٍ تَعْتَمِدُ صِنَاعَتُهُ عَلَى عِلْمِ

الْفِيزْيَاءُ، بِرَاتِبِ شَهْرِيٍّ يُعَادِلُ سِتِّينَ دِينَاراً ذَهَبِيًّا، وَكَانَ يَهْوَى نَظْمَ الشَّعْرِ، فَرَفَضَ الْوُظَيْفَةَ ذَاتَ الرَّاتِبِ الشَّهْرِيِّ الْعَظِيمِ، لِيَنْظِمَ قِصَائِدَ الشَّعْرِ الَّتِي إِنْ جَرَتْ رِيحاً، فَلَا يَصِلُ الْمَكْسُوبُ بِهَا إِلَى ثَلَاثِ دَنَانِيرَ ذَهَبِيَّةٍ فِي الشَّهْرِ. أَفَلَا يُقَالُ بِشَأْنِهِ: إِنَّهُ يَلْهُو بِنَظْمِ الشَّعْرِ، وَيُضِيعُ عَلَى نَفْسِهِ عَمَلاً هُوَ مَدْعُوٌّ إِلَيْهِ، وَقَادِرٌ عَلَيْهِ، يَأْخُذُ عَلَيْهِ رَاتِباً شَهْرِيًّا قَدْرُهُ سِتُّونَ دِينَاراً ذَهَبِيًّا.

هُنَا يَظْهَرُ لَنَا أَنَّ أَعْمَالَ أَكْثَرِ النَّاسِ لِتَحْصِيلِ مَكْسُوبَاتٍ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، زَائِدَاتٍ عَنْ حَاجَاتِهِمْ وَحَاجَاتِ أُسْرِهِمْ وَمَنْ هُمْ مَسْئُولُونَ عَنْ الْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ، هِيَ مِنْ قَبِيلِ اللّٰهُو، لِأَنَّهَا تَشْغَلُهُمْ عَنْ أَعْمَالِ ذَوَاتِ أَجْرِ عَظِيمٍ خَالِدٍ فِي آخِرَتِهِمْ، لَا يُعَادِلُ كُلُّ مَا يَجْمَعُونَهُ مِنَ الدُّنْيَا ذَرَّةً مِنْ ذَهَبٍ أَوْ شِبْهِ ذَهَبٍ، فِي مُقَابِلِ جَبَلٍ عَظِيمٍ مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ مِنَ الشَّوَابِ.

فَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا مُعْظَمُ أَعْمَالِ النَّاسِ فِيهَا لِتَحْصِيلِ مَتَاعَاتِهِمْ مِنْهَا لَعِبٍ وَلَهْوٍ، وَبَعْضُهُمْ ذُو جَدِّ زَائِدٍ لِتَحْصِيلِ وَجَمْعِ مَكْسُوبَاتٍ مِنْ أَمْوَالِ الدُّنْيَا، فَتَكُونُ أَعْمَالُهُمْ مِنْ قَبِيلِ اللّٰهُو أَكْثَرَ مِنَ اللَّعِبِ.

وهؤلاء يَنَاسِبُ حَالُهُمْ أَنْ يُقَالَ بِشَأْنِهِمْ: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ...﴾ (١٦) وهو ما جاء في سورة (العنكبوت/ ٢٩ مصحف/ ٨٥ نزول) بِتَقْدِيمِ اللّٰهُو عَلَى اللَّعِبِ.

وبعضُ النَّاسِ تَزِيدُ غَايَاتُ كَدْحِهِمْ لِتَحْقِيقِ مَطَالِبِهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَيَكْدَحُونَ لِلِاسْتِمْتَاعِ بِالزَّيْنَةِ، أَوْ لِلتَّفَاخُرِ عَلَى غَيْرِهِمْ، أَوْ لِلتَّكَاثُرِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ.

• فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ شَغُوفاً بِزِينَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَيَكْدَحُ لِتَزْيِينِ نَفْسِهِ، وَأَهْلِيهِ، وَخَدَمِهِ، وَجُنْدِهِ، وَدَوَابِّهِ، وَمَرَاقِبِهِ، وَقَصْرِهِ، وَمَا يَمْتَلِكُ مِنْ مُنْشآتٍ وَمُؤَسَّساتٍ، بِزِينَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ مِنْ زِينَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

الزَّيْنَةُ: كُلُّ مَا يُتَزَيَّنُ بِهِ مِنْ ذِي مَنْظَرٍ وَمُظَهَّرٍ جَمِيلٍ.



• وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ شَعُوفًا بِمَا يَجْعَلُهُ بَيْنَ النَّاسِ أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْ غَيْرِهِ، بِحَسَبِ مَهْنَتِهِ وَمَسْتَوَى شَرِيحَتِهِ الاجْتِمَاعِيَّةِ. فَاَلْمَلِكُ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ الْمُلُوكِ. وَالتَّاجِرُ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ التَّجَارِ وَشَيْخَهُمْ. وَالْأُسْتَاذُ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ الْأَسَاتِذَةِ وَأَكْبَرَهُمْ لَقَبًا. وَالْمَرْأَةُ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ أَجْمَلَ النِّسَاءِ وَأَرْفَعَهُنَّ حَسَبًا وَنَسَبًا. وَالْقَوِيُّ فِي جِسْمِهِ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ بَظَلِ الْأَبْطَالِ. وَالصَّانِعُ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ أَمْهَرَ الصُّنَّاعِ فِي مَهْنَتِهِ وَأُسْتَاذَهُمْ وَإِمَامَهُمْ. وَالْخَطِيبُ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ أَحْطَبَ الْخُطَبَاءِ. وَالشَّاعِرُ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ أَشْعَرَ الشُّعْرَاءِ.

وَيَتَنَافَسُ النَّاسُ فِي مَضَامِيرِهِمْ لِيَنَالُوا السَّبَقَ كُلَّهُ أَوْ دَرَجاتٍ مِنْهُ، وَهَذَا مِنَ التَّفَاخُرِ بَيْنَ بَعْضِ النَّاسِ، وَلَيْسَ سِمَةً لِكُلِّ النَّاسِ.

الفخر: تباهي الإنسان بما له وبما لقومه من محاسن.

والتَّفَاخُرُ: هُوَ التَّعَاطُفُ وَالتَّكَبُّرُ، وَالتَّبَاهِي بِالتَّفَوُّقِ فِي الْمَحَاسِنِ وَأَنْوَاعِ الْفَضْلِ.

• وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْتَدُّ شَغْفُهُ بِأَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، فَيَكْذَحُ كَذْحًا شَدِيدًا لِيَحَقِّقَ لِنَفْسِهِ هَذِهِ الْكَثْرَةَ.

وهذه لَيْسَتْ سِمَةً لِكُلِّ النَّاسِ، بَلْ تَكُونُ سِمَةً لِبَعْضِهِمْ.

وَمُرَاعَاةٌ لِأَحْوَالِ هَؤُلَاءِ الْأَفْسَامِ مِنَ النَّاسِ جَاءَ فِي آيَةِ سُورَةِ (الحديد/ ٥٧ مصحف/ ٩٤ نزول) إِضَافَةُ الزِينَةِ، وَالتَّفَاخُرِ، وَالتَّكَاثُرِ، إِلَى اللَّعِبِ، وَاللَّهْوِ. أَمَّا النُّصُوصُ الثَّلَاثَةُ الْأُخْرَى فَاقْتَصَرَتْ عَلَى ذِكْرِ اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، لِأَنَّهُمَا الْأَمْرَانِ اللَّذَانِ يَشْتَرِكُ النَّاسُ فِي كَذْحِهِمَا بِهِمَا.

وبهذا التَّدْبِيرِ التَّكَامُلِيِّ فَهَمْنَا سِرَّ اخْتِلَافِ النُّصُوصِ حَوْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ.

أَمَّا أَعْمَالُ التَّقْوَىٰ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ الَّتِي تُرْضِي الرَّحْمَنَ، فَعَايَتُهَا تَحْقِيقُ السَّعَادَةِ فِي الْآخِرَىٰ، وَلَا تُحْسَبُ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَكْذَحُ الْإِنْسَانُ فِيهَا لِدُنْيَاهُ، بَلْ لِآخِرَاهُ.

■ وَيَتَقَبَّلُ الدَّرْسُ إِلَى مُعَالَجَةِ نَفْسِ الرَّسُولِ ﷺ فِي هَذَا الطَّوْرِ مِنْ مَسِيرَتِهِ الدَّعَوِيَّةِ لِقَوْمِهِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ نُزُولِ سُورَةِ (الأنعام) فيقول الله تعالى خطاباً له:

• ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتُوا اللَّهَ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُودُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾:

وفي قِرَاءَةِ يعقوب: [يُرْجَعُونَ] بالبناء للمعلوم، وبين القراءتين تكاملٌ في الأداء البياني، أي: يُرْجَعُهُمُ اللَّهُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُرْجَعُونَ مُطَاوِعِينَ بِالْجَبْرِ.

دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى أَنَّ كُفْرَاءَ مُشْرِكِي مَكَّةَ الْمُعَانِدِينَ الْمُصِرِّينَ عَلَى كُفْرِهِمْ، كَانُوا قَدْ زَادُوا مِنْ أَقْوَالِهِمُ الَّتِي يُرَدِّدُونَهَا بِوُجُوهِ مُخْتَلِفَةٍ، وَفِيهَا اتِّهَامٌ لِلرَّسُولِ بِأَنَّهُ مُفْتَرٍ كَذَّابٌ فِيمَا يُبَلِّغُ عَنْ رَبِّهِ فِي الْقُرْآنِ وَفِي الْبَيِّنَاتِ الْآخَرَىٰ، وَزَادُوا فِي إِيْذَائِهِمْ لَهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَحْزَنُهُ كُلَّمَا بَلَغَتْهُ اتِّهَامَاتُهُمْ لَهُ بِالْكَذِبِ، وَكُلَّمَا بَلَغَتْهُ إِيْذَاءَاتُهُمْ لَهُ.

وَدَلَّتْ عَلَى أَنَّهُمْ يُتَابِعُونَ مُطَالَبَتَهُ بِالْآيَاتِ الْخَوَارِقِ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِهِ، وَهُمْ كَاذِبُونَ، فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ أَجْرَىٰ لَهُمْ مَا يَطْلُبُونَ مِنْ آيَاتٍ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا فِي نَفْسِهِمْ.

وَدَلَّتْ عَلَى أَنَّ نَفْسَ الرَّسُولِ كَانَتْ تَتَشَوَّفُ لِإِنْزَالِ بَعْضِ الْآيَاتِ  
اسْتِجَابَةً لِلْأَحَاثِهِمْ.

وقد عَالَجَ اللهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - رَسُولَهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ  
بِمُعَالَجَاتٍ إِفْتِنَاعِيَّةٍ وَتَرْبَوِيَّةٍ ثَمَانٍ:

**المعالجة الأولى:** دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٣٣):

● ﴿قَدْ﴾ هُنَا لِلتَّحْقِيقِ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَى الْمَضَارِعِ، وَفِي التَّحْقِيقِ مَعْنَى التَّوَكِيدِ.

● ﴿الَّذِي يَقُولُونَ﴾: أَي: الَّذِي يَقُولُهُ أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ فِي مَكَّةَ، مُكَذِّبِينَ لَكَ فِي أَنَّكَ نَبِيُّ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَفِي أَنَّ مَا تَتْلُو عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ كَلَامٌ مُنَزَّلٌ عَلَيْكَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

● ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾: أَي: فَإِنَّهُمْ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ لَا يُكَذِّبُونَكَ صَادِقِينَ فِي تَكْذِيبِهِمْ لَكَ، لَا اسْتِيقَانِهِمْ بِأَنَّكَ صَادِقٌ فِيمَا تُبَلِّغُ عَنْ رَبِّكَ، وَهُمْ يُخْفُونَ هَذَا الاسْتِيقَانَ فِي أَنْفُسِهِمْ.

● ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٣٣): وَضَعَ الْأِسْمُ الظَّاهِرَ وَهُوَ لَفْظُ ﴿الظَّالِمِينَ﴾ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ لِبَيَانِ اتِّصَافِهِمْ بِالظُّلْمِ الشَّنِيعِ، وَمِنْهُ جُحُودُهُمْ بِآيَاتِ اللهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهَا آيَاتٌ مُنَزَّلَاتٌ مِنْ لَدُنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

**الجُحُودُ:** إنْكَارُ الْحَقِّ مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ حَقٌّ. يُقَالُ لُغَةً: «جَحَدَ الْأَمْرَ، وَجَحَدَ بِالْأَمْرِ، يَجْحَدُ، جَحْدًا، وَجُحُودًا»: أَي: أَنْكَرَهُ وَهُوَ عَالِمٌ بِأَنَّهُ حَقٌّ. وَيُقَالُ: «جَحَدَهُ حَقًّا، وَجَحَدَهُ بِحَقِّهِ».

**الظَّالِمُ:** الْمُتَجَاوِزُ لِجُحُودِ الْحَقِّ، الَّذِي يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِلْعِقَابِ عَلَى تَجَاوُزِهِ.

فَالْمَعْنَى: لَا تَحْزَنْ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ أَجْلِ أَقْوَالِهِمُ الَّتِي يُكَذِّبُونَكَ بِهَا، وَيُؤْذُونَكَ بِهَا، فَإِنَّهُمْ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ لَا يُكَذِّبُونَكَ، وَإِنَّهُمْ فِي حَقِيقَةِ نَفْسِهِمْ مُسْتَيَقِّنُونَ بِأَنَّ مَا تَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ مِنْ قُرْآنٍ هُوَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يُنْكِرُونَهَا جُحُودًا، لَا شَكًّا فِي أَنَّهَا حَقٌّ وَصِدْقٌ، فَلَا تَعْبَأْ بِهِمْ وَلَا تَهْتَمْ لِأَقْوَالِهِمْ، إِنَّهُمْ سَاقِطُونَ فِي أَوْحَالِ الْجُحُودِ، وَلَيْسُوا بِشَاكِينَ.

المعالجة الثانية: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَاصْبِرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأُودُوا حَتَّى أَنْتَهُمْ نَصْرًا...﴾ (٣٤):

﴿وَلَقَدْ﴾: اللَّامُ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ قَسَمِ مَنْوِيٍّ. و«قَدْ» حَرْفٌ تَحْقِيقٌ وفيه معنى التوكيد، لتخفيف الحالة النفسية لدى الرسول ﷺ.

أَي: وَأؤكدُ لَكَ توكيداً مُشدداً يَا مُحَمَّدُ، أَنَّ رَسُولاً مِنْ قَبْلِكَ كَذَّبُوا وَأُودُوا وَهُمْ يُؤْذُونَ فِي أُمَمِهِمْ رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، فَاصْبِرُوا عَلَى تَكْذِيبِ أُمَمِهِمْ وَإِذْيائِهِمْ لَهُمْ، وَاسْتَمِرُّوا صَابِرِينَ حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرُنَا.

فَاصْبِرْ كَمَا صَبِرُوا، وَتَحَمَّلِ الْأَذَى كَمَا تَحَمَّلُوا، حَتَّى يَأْتِيكَ وَيَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا بِكَ وَاتَّبَعُوكَ نَصْرُنَا، وَفِي هَذَا وَعْدٌ ضَمْنِيٌّ لَهُ بِالنَّصْرِ، بِأَسْلُوبِ حِكَايَةِ اللَّهِ نَصْرَهُ لِلرُّسُلِ السَّابِقِينَ، وَهُوَ مِنَ الْكِنَايَاتِ النَّفْسِيَّةِ.

المعالجة الثالثة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: أَي: وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ الَّتِي تَمَّ بِهَا تَقْدِيرُهُ وَقَضَاؤُهُ السَّابِقَانِ. وَمِنْ تَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ الَّذِينَ قَالَ بِهِمَا كَلِمَاتِهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا مُبَدَّلَ لَهَا مَا يَلِي:

(١) أَنَّ كُلَّ مَوْضُوعٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْاِمْتِحَانِ هُوَ حُرُّ الْإِرَادَةِ فِي اخْتِيَارَاتِهِ، ضِمَّنَ مَجَالَاتِ ابْتِلَائِهِ، فَلَا يَسْلُبُ اللَّهُ النَّاسَ حُرِّيَاتِهِمْ وَيَجْعَلُهُمْ مَجْبُورِينَ.

(٢) أَنَّ اللَّهَ لَا يُجْرِي خَوَارِقَ آيَاتِهِ الْإِعْجَازِيَّةِ، عَلَى خِلَافِ سُنَنِهِ

التَّكْوِينِيَّةَ، إِذَا كَانَ إِجْرَاؤُهَا عَبَثًا، وَمِنْ أَنْزَالِهَا عَبَثًا أَنْزَالُهَا لِقَوْمٍ لَا يَنْقُصُهُمُ  
الاسْتِيقَانُ بِالْحَقِّ، إِذْ هُمْ مُسْتَيْقِنُونَ فِي نَفْسِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ جَا حِدُونَ، فَلَوْ  
آتَاهُمُ اللَّهُ مَا طَلَبُوا مِنْ آيَاتٍ لَمْ يُؤْمِنُوا، وَلَقَالُوا: إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ  
نَحْنُ مَسْحُورُونَ.

(٣) أَنَّ اللَّهَ لَا يُعَجِّلُ عِقَابَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ رُسُلِهِ، بَلْ  
يُمْهِلُهُمْ حَتَّى آخِرِ زَمَنٍ، يُمَكِّنُ أَنْ يَتَرَاجَعَ فِيهِ إِنْسَانٌ مَا عَنْ عِنَادِهِ،  
وإِضْرَارِهِ عَلَى الْبَاطِلِ، تَرَاجُعًا بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ، وَهُوَ مَا زَالَ فِي ظُرُوفِ حَيَاةِ  
الابْتِلَاءِ. ظُرُوفِ وَجُوبِ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، لَمْ يَشْهَدْ مَشَاهِدَ مِنَ الْغَيْبِ، وَلَا  
آيَاتٍ عَظُمَى هِيَ مِثْلُ مَشَاهِدِ عَالَمِ الْغَيْبِ كَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَظُهُورِ  
الدَّابَّةِ الَّتِي تَكَلِّمُ النَّاسَ.

فَتَعْجِيلُ الْعِقَابِ قَبْلَ وَقْتِهِ الْحَكِيمِ، مُخَالَفٌ لِكَلِمَاتِهِ الثَّامَاتِ الَّتِي لَا  
مُبَدَّلَ لَهَا، وَلَوْ أَحْزَنَ الْكَافِرُونَ رُسُلَهُ بِتَكْذِيبِهِمْ وَإِذْءَاتِهِمْ لَهُمْ.

(٤) أَنَّ رُسُلَ اللَّهِ مَوْضُوعُونَ أَيْضًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ  
عَلَى مَقَادِيرِهِمْ، فَمِنْ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ بَعْضَ  
النَّاسِ فِتْنَةً لِبَعْضٍ، لِيَبْلُوَ مَنْ يَصْبِرُ، وَمَنْ يَضْجَرُ وَلَا يَصْبِرُ، وَلِيَجْزِيَ كُلًّا  
بِحَسَبِهِ.

المَعَالِجَةُ الرَّابِعَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ  
نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾: ﴿وَلَقَدْ﴾ هُنَا كَسَابَقَتِهَا فِي الْآيَةِ: ﴿مِنْ﴾ لِلتَّبَعِضِ.

أَي: وَلَقَدْ جَاءَكَ فِي بَيَانَاتِنَا السَّابِقَاتِ بَعْضُ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ  
كَذَّبْتَهُمْ أَمَمَهُمْ، أَوْ كَذَّبَهُمُ الْمَلَأُ مِنْ أَمَمِهِمْ وَأَيَّمْتَهُمْ وَقَادَتْهُمْ وَأَذَوْهُمْ.

فَلَيْسَ مَا جَرَى لَكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ قَوْمِكَ عَلَى خِلَافِ مَا جَرَى لِلرُّسُلِ  
السَّابِقِينَ مِنْ أَمَمِهِمْ وَأَقْوَامِهِمْ.

إِنَّ مِنْ لَوَازِمِ حُرِّيَّةِ الْإِرَادَةِ فِي النَّاسِ الَّتِي مُنِحَتْ لَهُمْ لَا بَتْلَاءَ لَهُمْ فِي

ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَنْ يُوجَدَ فِيهِمْ مُؤْمِنُونَ وَكَافِرُونَ، وَأَنْ يُكَذِّبَ الْكَافِرُونَ رُسُلَ رَبِّهِمْ، وَأَنْ يُوجَدَ فِي الْكَافِرِينَ مَنْ يُعَادُونَ الرَّسُلَ وَيُؤْذِنُهُمْ، وَقَدْ يَهْمُّونَ بِقَتْلِهِمْ، وَقَدْ يَقْتُلُونَ بَعْضَ أَنْبِيَائِهِمْ إِذَا لَمْ يَعِصْمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُمْ.

المعالجة الخامسة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ...﴾ (٣٥):

أي: وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ الْهَمُّ وَالْحُزْنُ بِسَبَبِ إِعْرَاضٍ مَنْ تَحْرِصُ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ، وَبِسَبَبِ عَدَمِ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَتِكَ، فَثَقُلَ عَلَى مَا لَدَيْكَ مِنْ احْتِمَالٍ وَصَبْرٍ، وَأَرَدْتَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ خَارِقَةٍ مُعْجِزَةٍ، تَلْبِيَةً لَطَلْبَاتِهِمُ الْمُلِحَّةِ، وَظَانًا أَنَّكَ إِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ عَلَى وَفْقِ طَلِبِهِمْ سَيَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَتِكَ، فَاصْنَعْ مَا تَسْتَطِيعُ صُنْعَهُ.

وَأَبَانَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ عَجْزَهُ عَنْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ خَارِقَةٍ مُعْجِزَةٍ، لِيُسْمَعَ الْكَافِرِينَ أَنَّ مَا أَجْرَاهُ لَهُ مِنْ آيَةٍ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ، وَالْإِسْرَاءِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَعَوْدَتِهِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَوَصْفِهِ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ كَأَنَّهُ فِيهِ يُشَاهِدُهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْهُ، وَإِنَّمَا أَجْرَاهُ اللَّهُ لَهُ بِخَلْقِهِ، لِإِقْنَاعِهِمْ بِصِدْقِ نُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ.

وَجَاءَ هَذَا التَّعْجِيزُ بِأَسْلُوبٍ: ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ...﴾ أي: فَافْعَلْ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ خَارِقَةٍ، لِأَنَّ الْآيَاتِ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يُجْرِيهَا إِلَّا وَفْقَ حِكْمَتِهِ، فَالِإِثْنَانُ بِهَا عَلَى خِلَافِ الْحِكْمَةِ عَبَثُ تَعَالَى الرَّبُّ عَنْهُ، وَجَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ وَسَمَتْ حِكْمَتُهُ.

﴿أَنْ تَبْتَغِيَ﴾: أي: أَنْ تَطْلُبَ بِعَمَلِكَ وَصُنْعِكَ.

المعالجة السادسة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٥):

أَي: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ جَمَعَ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَلَى الْهُدَى إِيْمَانًا وَإِسْلَامًا، لَسَلَبَهُمْ إِرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةَ، وَلَجَعَلَهُمْ مَجْبُورِينَ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُونَ مَهْدِيَّيْنَ بِالْجَبْرِ، لَكِنَّ اللَّهَ لَمْ يَشَأْ هَذَا، بَلْ شَاءَ أَنْ يَمْتَحِنَهُمْ عَنْ طَرِيقِ اخْتِيَارِهِمُ الْحُرِّ، فَجَبَّرَهُمْ عَلَى الْإِيْمَانِ يَتَنَافَى مَعَ تَخْيِيرِهِمْ لَابْتِلَائِهِمْ، إِنَّهُ لَا يَصِحُّ عَقْلًا أَنْ يَكُونَ الْمُمْتَحَنُ الْمُبْتَلَى مَجْبُورًا، وَلَا يَصِحُّ عَقْلًا أَنْ يَكُونَ الْمَجْبُورُ مُمْتَحَنًا، هَذَا تَنَاقُضٌ، وَحِكْمَةُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَنَاقُضَ، لَا فِي الْأَشْيَاءِ وَلَا فِي لَوَازِمِهَا الْعَقْلِيَّةِ.

فَمَنْ تَصَوَّرَ أَنَّ إِرَادَةَ اللَّهِ يَصِحُّ أَنْ تَتَدَخَّلَ لِجَعْلِ إِنْسَانٍ مَوْضُوعَ مَوْضِعٍ امْتِحَانٍ إِرَادَتِهِ، مَجْبُورًا عَلَى أَنْ يَكُونَ مَهْدِيًّا مُؤْمِنًا مُسْلِمًا، فَهُوَ جَاهِلٌ مِنَ الْجَاهِلِينَ، لَا يُدْرِكُ اسْتِحَالَةَ الْمُتَنَاقِضَاتِ.

• الْمُمْتَحَنُ الْمُبْتَلَى: هُوَ حُرُّ الْإِرَادَةِ فِي اخْتِيَارَاتِهِ الَّتِي يَخْلُقُهَا اللَّهُ لَهُ.

• الْمَجْبُورُ: لَا تَكُونُ لَهُ إِرَادَةُ حُرَّةٌ تَخْتَارُ.

• لَا يَكُونُ الْمَخْلُوقُ الْوَاحِدُ، فِي الزَّمَنِ الْوَاحِدِ، حُرَّ الْإِرَادَةِ وَمَجْبُورًا فِيمَا هُوَ فِيهِ حُرُّ الْإِرَادَةِ، هَذَا تَنَاقُضٌ، وَلَا تَتَعَلَّقُ إِرَادَةُ اللَّهِ بِإِيجَادِ النَفِيسَيْنِ مَعًا فِي الشَّيْءِ الْوَاحِدِ، وَالزَّمَنِ الْوَاحِدِ.

وَلَيْسَ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ أَنْ يُكَلِّفَ الْمَجْبُورَ بِأَمْرٍ هُوَ مَجْبُورٌ عَلَى نَقِيضِهِ، وَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ هَذَا فِي نُصُوصٍ مُتَعَدِّدَةٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾.

المعالجة السابعة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾: أَي: لَا يَسْتَجِيبُ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، إِلَّا الَّذِينَ لَدَيْهِمْ اسْتِعْدَادٌ لِأَنْ يَسْمَعُوا سَمَاعًا وَاعِيًا، وَاصِلًا إِلَى مَذَارِكِهِمُ الَّتِي تَفْهَمُ مَا يَصِلُ إِلَيْهَا مِنْ بَيِّنَاتٍ فَهْمًا تَدْبِيرِيًّا، أَمَّا الَّذِينَ هُمْ رَافِضُونَ ابْتِدَاءً أَنْ يَسْمَعُوا اتِّبَاعًا

لَاهْوَائِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، فَهُمْ لَا يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ.

إِنَّ مِنْ شُرُوطِ الاستِجَابَةِ لِلدَّعْوَةِ حُصُولَ سَمَاعِ بَيَانَاتِهَا، وَمِنْ شُرُوطِ سَمَاعِ بَيَانَاتِ الدَّعْوَةِ عَدَمُ إِقَامَةِ الْحُجُبِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّفْسِ الْمُدْرِكَةِ، وَمِنْ أَسْبَابِ إِقَامَةِ هَذِهِ الْحُجُبِ الرَّفْضُ ابْتِدَاءً.

وهؤلاء الذين يحزنك تكذيبهم وإيذاءاتهم، لا يسمعون سماعاً واصلاً إلى مداركهم التي تفهم وتعي وتتدبر، وقد عالجتهم طويلاً فلم يستجيبوا، فلا تظمع باستجاباتهم لدعوتك عن طريق إراداتهم الحرة، وربك لا يجبرهم لأنهم في حياة الابتلاء، فلا يسلبهم إراداتهم الحرة، ليكونوا مستجيبين بالجبر.

**المعالجة الثامنة:** دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَالْمَوْتِ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٣٦): أَيُّ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ فِي الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ مَنْ هُمْ مَوْتَى الْقُلُوبِ، فَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ فَاقِدِي السَّمْعِ، وَسَيَسْتَمِرُّونَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمُوتُوا وَتَنْتَهِيَ مُدَّةُ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبَعْدَ مُدَّةِ الْبَرَزْخِ الَّتِي يَكُونُونَ فِيهَا مَوْتَى قَدْ انفصلت أرواحهم عن نفوسهم، يبعثهم الله إلى الحياة الأخرى، مع سائر الأحياء، ثُمَّ بَعْدَ حَشْرِهِمْ، وَفَرَزِهِمْ بِحَسَبِ زَمَرِهِمْ مُؤْمِنِينَ وَكَافِرِينَ، يَتَقَدَّمُ كُلُّ إِمَامٍ الزُّمَرَةِ التَّابِعَةِ لَهُ، يُسَاقُونَ إِلَى مَحْكَمَةِ الْعَدْلِ الرَّبَّانِيَّةِ، لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَبَعْدَ فَضْلِ الْقَضَاءِ يَأْمُرُ اللَّهُ بِتَنْفِيدِ جَزَاءِ كُلِّ مَنْ كَانَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضُوعاً مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ بِحَسَبِ مَا قَضَى اللَّهُ بِشَأْنِهِ.

■ وَبَعْدَ هَذِهِ الْمَعَالِجَاتِ الثَّمَانِ، أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ أَبْرَزَ مَطَالِبِ أَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ مِنْ مَرَاكِحِ الدَّعْوَةِ الْمَكِيَّةِ مَطَالِبَتُهُمُ التَّحْضِيضِيَّةَ بِأَن يَنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ آيَةٌ خَارِقَةٌ مِنَ الْآيَاتِ الْمُعْجَزَاتِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:



• ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٧):

﴿لَوْلَا﴾: هُنا بمعنَى «هَلَّا» أَدَاةٌ مِنْ أَدَوَاتِ التَّحْضِيضِ أَي: وَقَالَ أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ نُزُولِ سُورَةِ (الأنعام/ ٥٥ نزول): هَلَّا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ آيَةٌ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي سَبَقَ أَنْ طَلَبْنَاهَا مِنْهُ، حَتَّى نَسْتَيَقِنَ بِأَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ حَقًّا وَصِدْقًا.

وبما أَنَّ هَذَا الطَّلَبَ قَدْ سَبَقَتْ مُعَالَجَتُهُ بِالْبَيِّنَاتِ الْكَافِيَاتِ، الْمُقْنِعَاتِ لِمَنْ يُرِيدُ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ وَالِافْتِنَاعَ بِهِ، كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْاِقْتِصَارُ فِي الرَّدِّ التَّعْلِيمِيِّ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ لِرَسُولِهِ: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾ خَارِقَةً مِّمَّا تَطْلُبُونَ وَمِنْ غَيْرِ مَا تَطْلُبُونَ.

وَأَبَانَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ وَلِكُلِّ مُتَلَقٍّ لِلْبَيِّنَاتِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿... وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٧): أَي: وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَرْفُضُونَ ابْتِدَاءً أَنْ يَعْلَمُوا مَهْمَا أُبَيِّنَ لَهُمُ الْحَقُّ بَيِّنَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ، فَهَمْ لَا يَعْلَمُونَ.

وبهذا يَظْهَرُ أَنَّ طَلَبَهُمْ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ تَكْرِيرٌ لِمَا سَبَقَ أَنْ طَلَبُوهُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي بَيِّنَاتِهِ أَنَّ طَلَبَهُمُ الْآيَاتِ هُوَ مِنْ قَبْلِ التَّشْهِي، وَالرَّغْبَةِ فِي مُشَاهَدَةِ الْخَوَارِقِ، وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَجْرَى لَهُمْ كُلَّ آيَةٍ يَطْلُبُونَهَا فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، إِذْ لَا يَنْقُصُهُمُ الْاِقْتِنَاعُ وَالِاسْتِيقَانُ بِصِدْقِ بُيُوتَةِ مُحَمَّدٍ وَرِسَالَتِهِ، وَبِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا، فَهَمْ مُسْتَيَقِنُونَ، وَلَكِنَّهُمْ جَا حِدُونَ.

■ وَبَعْدَ الْبَيِّنَاتِ السَّابِقَاتِ وَبِمُنَاسَبَةِ الْحَدِيثِ عَنِ الْبَعْثِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الْبَعْثَ إِلَى الْحَيَاةِ الْآخِرَى لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ، بَلْ يَشْمَلُ كُلَّ دَوَابِّ الْأَرْضِ وَطُيُورِهَا فَهِيَ أُمَّمٌ أَمْثَالُ النَّاسِ، وَسَوْفَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ وَإِلَيْهِ يُحْشَرُونَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

• ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٣٨):

• ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾: الدَّابَّةُ: اسْمٌ لِمَا يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الحيوان. يُقَالُ لُغَةً: دَبَّ، يَدْبُ، دَبًّا، وَدَبِيبًا أَي: مَشَى عَلَى تُؤَدَّةٍ رُوَيْدًا رُوَيْدًا، وَكُلُّ مَاشٍ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ ذِي حَيَاةٍ دَابَّةٌ، وَدَبِيبٌ، وَيُجْمَعُ عَلَى «دَوَابٍّ».

ولفظ «مِنْ» جَارٌ مَزِيدٌ لتوكيدِ عُمُومِ النفي.

ولفظ «الْأَرْضِ» أُطْلِقَ عَلَى هَذَا الْكَوْكَبِ الَّذِي نَسَكُنُهُ، وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الْغُلَافِ الْغَازِيِ التَّابِعِ لَهُ، وَلِهَذَا اسْتُعْمِلَ حَرْفُ «فِي» الدَّالُّ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ الْمَكَانِيَّةِ.

• ﴿وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾: أَي: بِجَنَاحَيْهِ اللَّذَيْنِ هُمَا عِمَادُ طَيْرَانِهِ فَأَكْثَرُ، إِذْ يُوجَدُ فِي الطَّائِرَاتِ مِنَ الْحَشَرَاتِ الَّتِي هِيَ أَحْيَاءٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ مَا لَهُ أَكْثَرُ مِنْ جَنَاحَيْنِ، لَكِنَّ الطَّيْرَانَ عِمَادُهُ الْأَكْبَرُ جَنَاحَانِ.

وذكرُ عِبَارَةٍ: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ فَيَدُّ لَازِمٌ، لِأَنَّ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً تَطِيرُ طَيْرَانًا حَسِيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا لَيْسَتْ مِنْ صِنْفِ الْأَحْيَاءِ الَّتِي تَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ لَهَا.

فَالدُّخَانُ يَطِيرُ فِي جَوِّ الْأَرْضِ، وَلَا يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ لَهُ، وَبُخَارُ الْمَاءِ يَطِيرُ مُرْتَفِعًا فِي جَوِّ الْأَرْضِ، وَهُوَ لَا يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ لَهُ. وَأَوْرَاقُ وَأَشْيَاءُ خَفِيفَةٌ تَحْمِلُهَا الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ تَطِيرُ مُرْتَفَعَةً فِي جَوِّ الْأَرْضِ، وَهِيَ لَا تَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ لَهَا، وَالطَّائِرَاتُ الَّتِي هِيَ مِنْ صُنْعِ الْإِنْسَانِ تَطِيرُ فِي جَوِّ الْأَرْضِ بِقُوَّةِ الدَّفْعِ الْحَرَارِيِّ، لَا بِحَرَكَةِ الْجَنَاحَيْنِ، وَقَدْ تَكُونُ الْأَجْنَحَةُ مِنْ شُرُوطِ تَوَازُنٍ مَسِيرِهَا فِي جَوِّ الْأَرْضِ، لَكِنَّ لَا يَكُونُ طَيْرَانُهَا بِهَا.

وَأُطْلِقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَمَلِ الْإِنْسَانِ لَفْظَ «طَائِرٍ» عَلَى مَعْنَى انْطِلَاقِهِ مِنْهُ مُرْتَفِعًا، وَهُوَ لَا يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ لَهُ.

فَمِنْ دِقَّةِ الْأَدَاءِ الْبَيَانِيِّ ذَكَرُ عِبَارَةٍ: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ مَعَ مَا فِيهَا مِنْ جَمَالٍ لَفْظِيٍّ يَتَلَفَّاهُ السَّمْعُ بَارْتِيَا حِ وِعُدُوبَةٍ.

• ﴿إِلَّا أُمَّةٌ أُمَّاكُمْ﴾: أي: إِلَّا أُمَّةٌ أَشْبَاهُكُمْ، ذُوو حَيَاةٍ، وَخَرَائِطُ نَفْسِيَّةٍ، وَنُظُمِ حَيَاةٍ، وَمَدَارِكُ عَلَى مَقَادِيرِهَا.

الْأُمَّةُ: تُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَجْمُوعَةٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ مِنَ الْأَحْيَاءِ الْأُخْرَى، تَجْمَعُهَا صِفَاتٌ، أَوْ خَصَائِصٌ، أَوْ رَوَابِطُ مُتَمَيِّزَةٌ.

النَّاسُ كُلُّهُمْ أُمَّةٌ. وَالْعَرَبُ أُمَّةٌ. وَالْفُرْسُ أُمَّةٌ. وَالتُّرْكُ أُمَّةٌ. وَكُلُّ قَبِيلَةٍ أُمَّةٌ. وَالْيَهُودُ الْمُتَفَقُّونَ عَلَى عَقِيدَةٍ وَاحِدَةٍ أُمَّةٌ. وَالنَّصَارَى الْمُتَفَقُّونَ عَلَى عَقِيدَةٍ وَاحِدَةٍ أُمَّةٌ، وَهَكَذَا.

وَالْتَّمَلُ أُمَّةٌ. وَالنَّحْلُ أُمَّةٌ. وَالصُّقُورُ أُمَّةٌ، وَالتُّسُورُ أُمَّةٌ. وَالْإِبِلُ أُمَّةٌ. وَالْخَيْلُ أُمَّةٌ. وَالْبَقَرُ أُمَّةٌ. وَالْجَرَادُ أُمَّةٌ. وَهَكَذَا.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ إِدْرَاكَاتٌ عَلَى مَقَادِيرِهَا. أَعْلَاهَا إِدْرَاكَاتُ النَّاسِ، فَخَصَّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالتَّكَالِيفِ الْاِعْتِقَادِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ. بَعْدَ أَنْ وَضَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْاِمْتِحَانِ، وَكَذَلِكَ الْجَنِّ.

وَتَتَنَازَلُ إِدْرَاكَاتُ سَائِرِ الْأَحْيَاءِ فِي الْأَرْضِ، وَقَدْ ضَبَطَ اللَّهُ سُلُوكَهَا بِغَرَائِزٍ تَسِيرُ عَلَى خُطُوطِهَا، وَجَعَلَهَا تُدْرِكُ مَعْنَى الظُّلْمِ بَيْنَ أَنْوَاعِهَا، وَتُدْرِكُ مَعْنَى الْعِقَابِ عَلَى مَا يَكُونُ مِنْهَا مِنْ ظُلْمٍ، وَهَذَا الْإِدْرَاكِ الْفِطْرِيُّ، يُلَايِمُهُ مِنْ قَانُونِ الْعَدْلِ الرَّبَّانِيِّ، أَنْ يُعَاقَبَ الظَّالِمُ مِنْهَا بِمِثْلِ مَا ظَلَمَ، وَلَا يُعْتَبَرُ مِنَ الظُّلْمِ مَا هُوَ مِنْ فِطْرِ الْغَرَائِزِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ الْبَهَائِمَ عَلَيْهَا، فَلَا يُعَاقَبُ الْأَسَدُ إِذَا افْتَرَسَ فَرِيستَهُ لِيَأْكُلَهَا، لِأَنَّ هَذَا مِنْ مُفْتَضَلِّ غَرِيزَتِهِ الَّتِي لَا تُعْتَبَرُ مُمَارَسَتُهُ لَهَا ظُلْمًا، لَكِنْ يُعَاقَبُ الثَّوْرُ ذَا الْقُرُونِ إِذَا اغْتَدَى عَلَى ثَوْرِ آخَرَ لَا قُرُونَ لَهُ فَنَطَحَهُ، وَكَذَلِكَ الشَّاةُ ذَاتُ الْقُرُونِ إِذَا نَطَحَتِ الشَّاةَ الَّتِي لَا قُرُونَ لَهَا ظُلْمًا وَعُدُونًا.

هَذَا مُفْتَضَلُّ كَمَالِ الْعَدْلِ الرَّبَّانِيِّ، وَلِهَذَا كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ بَعَثُ أُمَّةِ الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَحَشْرُهَا، لِإِقَامَةِ الْعَدْلِ بَيْنَهَا، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ

مَوْضُوعَةً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ وَالتَّكْلِيفِ، وَهَذَا مَا أُثْبِتَتْهُ  
الْبَيِّنَاتُ النَّبَوِيَّةُ، وَدَلَائِلُ بَعْضِ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِهَذِهِ الْأَمَمِ  
كُونِي تَرَابًا، وَيَقُولُ الْكَافِرُ حِينَئِذٍ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا، كَالْحَيَوَانَاتِ الَّتِي  
مَاتَتْ وَصَارَتْ تُرَابًا.

وَلِهَذَا كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ تَسْجِيلُ أَعْمَالِ أَحْيَاءِ الْأَرْضِ التَّرَابِيَّةِ كُلِّهَا،  
فِي كِتَابٍ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، وَدَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ  
تَعَالَى فِي الْآيَةِ:

• ﴿مَا فَرَطْنَا فِي أَلْكِتَابٍ مِنْ شَيْءٍ﴾: أَي: مَا ضَيَّعْنَا فِي كِتَابِ تَسْجِيلِ  
أَعْمَالِ الْأَحْيَاءِ كُلِّهَا شَيْئًا، وَمَا نَقَضْنَا مِنْهَا شَيْئًا.  
التَّفْرِيطُ: التَّضْيِيعُ وَالتَّقْصِيرُ.

لفظ «مِنْ» حَرْفُ جَرٍّ زِيدَ فِي الْمَفْعُولِ بِهِ لَتَوْكِيدِ عُمُومِ النَّفْيِ.

وَأَفْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الْبَيِّنَاتُ إِثْبَاتَ حَشْرِ كُلِّ أَمَمٍ الدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ، فَقَالَ  
تَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ: ﴿... ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٢٨): أَي: لِإِقَامَةِ  
كَمَالِ الْعَدْلِ الرَّبَّانِيِّ بَيْنَهَا، وَجِيءَ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ الْخَاصِّ بِذَوِي الْعِلْمِ مِنَ  
الْأَحْيَاءِ، مُرَاعَاةً لِمَوْضِعِهَا مَوْضِعَ مَنْ يَحَاسِبُ وَيُجَازَى، إِذْ حُشِرَتْ لِإِقَامَةِ  
الْعَدْلِ بَيْنَهَا، وَيُنْتَهَى بِذَلِكَ الْعَرْضُ مِنْ حَشْرِهَا، فَيُقَالُ لَهَا: كُونِي تُرَابًا،  
فَتَمُوتُ وَتَكُونُ تُرَابًا. الحشر: الْجَمْعُ وَالسَّوْقُ.

روى مسلم، والإمام أحمد، والبخاري في الأدب المفرد،  
والترمذي، عن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لِتُؤَدُّونَ الْحُقُوقَ إِلَى  
أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقِرْنَاءِ تَنْطَحُهَا».

يُقَادُ: أَي: يُقْتَصَرُ. الْجَلْحَاءُ: الَّتِي لَا قُرُونَ لَهَا.

■ وَخَتَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الدَّرْسَ السَّابِعَ، بِآيَةٍ هِيَ بِمَثَابَةِ الْقُفْلِ

الذي يَرْبِطُ الْآيَةَ الْأَخِيرَةَ مِنْهُ بِالْآيَةِ الْأُولَى مِنْهُ لِلْمَلَائِمَةِ بَيْنَهُمَا :

فَالْآيَةُ الْأُولَى مِنْهُ جَاءَ فِيهَا : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ .

وَالْآيَةُ الْأَخِيرَةُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا :

• ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُؤٌ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءِ اللَّهُ يَضِلَّهُ وَمَن يَشَاءِ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ :

• ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ : أي : وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ آيَاتُنَا التَّكْوِينِيَّةُ ، وبما تَدُلُّ عَلَيْهِ آيَاتُنَا الإِعْجَازِيَّةُ ، وَكَذَّبُوا رُسُلَنَا بِمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِنَا الْبَيِّنَاتِ كآيَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ .

• ﴿صُؤٌ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ : أي : هُمْ كَالصُّمِّ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ مَا يَهْدِيهِمْ إِلَى الْحَقِّ ، وَكَالْبُكْمِ الَّذِينَ لَا يَنْطِقُونَ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْتَرِفُونَ بِالْحَقِّ وَلَا يُعْلِنُونَهُ ، وَهُمْ مُقِيمُونَ فِي الظُّلُمَاتِ كَالْعُمَى ، لَا يَرَوْنَ أَنْوَارَ الْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ ، وَظُلُمَاتُهُمْ هِيَ ظُلُمَاتُ أَهْوَائِهِمْ ، وَشَهَوَاتِهِمْ ، وَتَقَالِيدِهِمُ الْبَاطِلَةِ ، وَأَوْهَامِهِمُ الْفَاسِدَةِ ، وَشُتُورِ مُضَلِّلِيهِمْ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ بِزُخَارِفِ الْأَقْوَالِ الْخَادِعَةِ ، مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ .

• ﴿مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَضِلَّهُ﴾ : أي : مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ الْحُكْمَ عَلَيْهِ بِالضَّلَالِ لِأَنَّهُ قَدْ ضَلَّ بِرَفْضِهِ الْإِيمَانَ بِالْحَقِّ ، وَالْإِسْلَامَ لِلَّهِ فِي حَيَاتِهِ ، يَحْكُمُ عَلَيْهِ بِالضَّلَالِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّهَ لَا يَشَاءُ الْحُكْمَ بِالضَّلَالِ إِلَّا عَلَى مَنْ كَانَ ضَالًّا .

وَمَنْ يَشَاءِ اللَّهُ تَيْسِيرَ سُبُلِ الضَّلَالِ لَهُ ، لِأَنَّهُ كَفَرَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالْحَقِّ ، يَسِّرَ لَهُ ذَلِكَ ، فَلَمْ يُقَمْ لَهُ الْعُقَبَاتُ ، لِأَنَّهُ فِي حَيَاةِ الْامْتِحَانِ ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَمَكُّنِهِ لِتَحْقِيقِ اخْتِيَارَاتِهِ .

• ﴿... وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ : أي: وَمَنْ يَشَأْ  
 اللَّهُ الْحُكْمَ لَهُ بِالْهُدَايَةِ وَأَنَّهُ سَارَ فِي حَيَاتِهِ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، لِأَنَّهُ قَدْ  
 اهْتَدَى بِالْإِيمَانِ بِالْحَقِّ وَبِالْإِسْلَامِ لِلَّهِ فِي حَيَاتِهِ، يَحْكُمُ لَهُ بِالْهُدَايَةِ، وَمَعْلُومٌ  
 أَنَّ اللَّهَ لَا يَحْكُمُ بِالْهُدَايَةِ إِلَّا لِمَنْ كَانَ مُهْتَدِيًا بِإِرَادَتِهِ.  
 وَمَنْ يَشَأْ اللَّهُ لَهُ تَيْسِيرَ السُّلُوكِ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، لِأَنَّهُ آمَنَ بِاللَّهِ  
 وَأَسْلَمَ لَهُ قِيَادَهُ، يَسَّرَ لَهُ سُلُوكَهُ، فَأَعَانَهُ بِالتَّوْفِيقِ، وَأَمَدَّهُ بِالتَّسْدِيدِ، لِتَحْقِيقِ  
 مَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ، وَجَعَلَهُ يَسِيرٌ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وبهذا انتهى تدبر الدّرس السابع من دروس سورة (الأنعام).  
 والحمد لله على معونته وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



(١٢)

### التدبر التحليلي للدّرس الثامن من دروس سورة (الأنعام) الآيتان: (٤٠ و ٤١)

قال الله عزّ وجلّ:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا  
 تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ :

تمهيد.

هذا الدّرس من فروع السّاقِ الثّاني من ساقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السّورة،  
 وَفِيهِ وَمَضَّةٌ تَعْلِيمٌ جَدَلِيٌّ وَدَعْوِيٌّ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ.

التدبر التحليلي:

أي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ وَيُلْحَقُ بِهِ كُلُّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ لِمَنْ تُعَالِجُ

إِفْنَاعُهُمْ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ: أَخْبِرُونِي بَعْدَ أَنْ تَتَفَكَّرُوا تَفَكُّراً سَلِيماً، يُوصلُكُمْ إِلَى رُؤْيَا فِكْرِيَّةٍ وَتَجْرِبِيَّةٍ صَحِيحَةٍ لَا زَيْفَ فِيهَا وَلَا بَاطِلَ، إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ، كَسِيلٍ عَظِيمٍ قَادِمٍ، أَوْ رِيَّاحٍ عَاصِفَةٍ أَوْ قَاصِفَةٍ مُدْمِرَةٍ، أَوْ بَرَائِكِينَ تَتَفَجَّرُ بِقَذَائِفٍ مِنْ صَخَرٍ أَذَابَتْهُ النَّارُ، فَأَخَذَ يَسِيلُ نَحْوَكُمْ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ، أَوْ بَرَدٍ عَظِيمٍ يَنْزِلُ عَلَيْكُمْ رَاجِماً مِنَ السَّمَاءِ كَالْحِجَارَةِ، أَوْ أَتَتْكُمْ مُقَدِّمَاتُ سَاعَةِ مَوْتِكُمْ وَأَيَقَنْتُمْ أَنْكُمْ مَيِّتُونَ لَا مَحَالَةَ، أَوْ مُقَدِّمَاتُ السَّاعَةِ الَّتِي يَنْتَهِي بِهَا نِظَامُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أُغَيِّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ لِيَكْشِفَ عَنْكُمْ مَا اقْتَرَبَ مِنْكُمْ أَوْ نَزَلَ؟! أَخْبِرُونِي بِالْحَقِّ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

إِنَّكُمْ حِينئِذٍ تَنْسَوْنَ تَارِكِينَ شُرَكَاءَكُمْ فَلَا تَدْعُوهُمْ، وَلَا يَحْضُرُ فِي أَذْهَانِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ غَيْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَدْعُوهُ، وَتَسْتَغِيثُونَ بِهِ، لِأَنَّهُ قَدْ اسْتَقَرَّ فِي عُمُقِ قُلُوبِكُمْ أَنَّهُ لَا يَكْشِفُ عَنْكُمْ مَا تَكْرَهُونَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّكُمْ، وَهَذَا الْمُسْتَقَرُّ تَجَذُّبُهُ إِلَى سَاحَةِ التَّصَوُّرِ الْحَاضِرِ الْمُرْعَبَاتِ الْمُخِيفَاتِ خَوْفاً شَدِيداً، الَّتِي تُمَسِّحُ عِنْدَهَا تَصَوُّرَاتُ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِذَا كُنْتُمْ تَنْسَوْنَ إِلَهَتَكُمْ عِنْدَ الْمَخَافَةِ الشَّدِيدَةِ فَلَا تَدْعُونَهَا، أَفَلَيْسَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْبِذُوهَا دَوَاماً، فَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ رَبُّكُمْ، الَّذِي هُوَ وَاحِدٌ أَحَدٌ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَوَاحِدٌ أَحَدٌ فِي إِلَهِيَّتِهِ.

إِنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ الشُّوْءَ، وَهَذَا مِنَ الْأَدِلَّةِ الَّتِي يُقَدِّمُهَا الرَّبُّ لِعِبَادِهِ، عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ لِكُونِهِ.

• ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: اسْتَفْهَامٌ يُرَادُ بِهِ انْتِزَاعُ اعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّ الرَّبَّ الْقَادِرَ عَلَى كَشْفِ الشُّوْءِ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِذْ ذُنْ فَهُوَ الْإِلَهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

فِي هَذِهِ الصَّيْغَةِ نَجِدُ تَاءَ خِطَابِ الْمَفْرَدِ الْمَذْكَرِ، وَكَافَ الْخِطَابِ، وَهُمَا ضَمِيرَانِ، وَالْمِيمُ الَّتِي هِيَ عَلَامَةُ الْجَمْعِ.

وَقَدْ نَظَرَ النِّحَاةَ فِي هَذَا التَّعْبِيرِ الَّذِي هُوَ مِنَ الصَّيَغِ الْمُسْتَعْمَلَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ. فَقَالَ الْبَصْرِيُّونَ: الْكَافُ وَالْمِيمُ لِلخَطَابِ، وَهُمَا حَرْفَانِ لَا حَظَّ لَهُمَا فِي الْإِعْرَابِ. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ وَالْفَرَّاءُ وَغَيْرُهُمَا: الْكَافُ وَالْمِيمُ فِي مَحَلٍّ نَضَبٍ بِوُقُوعِ الرُّوْيَةِ عَلَيْهِمَا، وَالْمَعْنَى: أَرَأَيْتُمْ أَنْفُسَكُمْ. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ: إِنَّهُ لَا مَحَلَّ لِلْضَمِيرِ الثَّانِي (أَي: الْكَافِ) مِنَ الْإِعْرَابِ، فَرجَحَ رَأْيَ الْبَصْرِيِّينَ.

وَأَرَى أَنَّ الْمَعْنَى: «أَرَأَيْتُمْ أَنْفُسَكُمْ» وَلَمَّا قُدِّمَتْ كَافُ الْخَطَابِ عَلَى مِيمِ الْجَمْعِ، فَتَحَ الْعَرَبِيُّ النَّاءَ لئَلَّا تَلْتَسِرَ بِتَاءِ الْمُتَكَلِّمِ، فَهِيَ تَاءُ الْمُخَاطَبِينَ مَعَ لَفْظِ «كُمْ» فَمِيمُ الْجَمْعِ كَافِيَةٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْمُخَاطَبِينَ جَمَاعَةٌ.

أَمَّا عِبَارَةٌ: ﴿أَرَأَيْتَكَ﴾ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْآيَةِ (٦٢) مِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ (٥٠ نزول) فَلَا إِشْكَالَ فِيهَا، وَالْمَعْنَى فِيهَا. أَرَأَيْتَ نَفْسَكَ.

• ﴿أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ﴾: أَرَى حَمْلَ لَفْظَةِ «السَّاعَةِ» هُنَا عَلَى قُرْبِ سَاعَةٍ مَوْتِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُخَاطَبِينَ، مَعَ أَهْوَالِ انْتِهَاءِ طُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كُلِّهَا.

• ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أَي: أَخْبِرُونِي بِالْحَقِيقَةِ الَّتِي تَكُونُونَ عَلَيْهَا، حِينَئِذٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

• ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾: أَي: فَإِذَا قَالُوا: «نَدْعُو إِلَهَتَنَا» كَانَ عَلَى الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: لَا تَكْذِبُوا، بَلْ تَخْشَوْنَ اللَّهَ وَحْدَهُ بِالدُّعَاءِ لِعِلْمِكُمْ أَنَّ إِلَهَتَكُمْ لَا تُغِيثُكُمْ وَلَا تُنْجِيكُمْ، بَلِ الَّذِي يُغِيثُكُمْ وَيُنْجِيكُمْ إِنْ شَاءَ وَالْقَادِرُ عَلَى إِعَاثَتِكُمْ وَإِنْجَائِكُمْ رَبُّكُمْ الْخَالِقُ الَّذِي بِيَدِهِ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

• ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾: أَي: فَيُزِيلُ مَا تَدْعُونَهُ إِلَى كَشْفِهِ عَنْكُمْ إِنْ شَاءَ سُبْحَانَهُ، وَمَشِئَتُهُ لَا تُفَارِقُ حِكْمَتَهُ دَوَامًا.



الكشف: يأتي بمعنَى رَفَعَ الغطاءِ عَنِ الشيءِ، وبمعنَى الإزالة.

• ﴿... وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (٤١): أي: وَتَتْرَكُونَ آلِهَتَكُمْ الَّتِي اتَّخَذْتُمُوهَا شُرَكَاءَ اللَّهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ.

أصل مَعْنَى «النَّسْيَانِ» التَّركُ، وَيُطْلَقُ عَلَى مَسْحِ الشيءِ مِنَ الذَّاكِرَةِ، لِأَنَّ تَرْكَ الشيءِ مُدَّةٌ طَوِيلَةٌ يَمْسَحُهُ مِنَ الذَّاكِرَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ.

وبهذا انتهى تدبُّر الدَّرْس الثامن من دُرُوس سورة (الأنعام).  
والحمدُ لله على مَدَدِهِ وَمَعُونَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



(١٣)

### التدبر التحليلي للدرس التاسع من دُرُوس سورة (الأنعام) الآيات من (٤٢ - ٤٥)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾:

القراءات:

(٤٢ و ٤٣) • قرأ أبو جعفر، والسُّوسي: [بِالْبَأْسَاءِ] و[بِأَسْنًا] بِإِدْالِ

الْهَمْزَةِ أَلْفًا فِيهِمَا.

وقرأهما باقي القراء العشرة: [بِالْبَأْسَاءِ] و[بِأَسْنًا] بِالْهَمْزَةِ.

(٤٤) • قرأ ابنُ عامر، وأبو جعفر، ورؤيس: [فَتَحْنَا] بِشَدِيدِ التَّاءِ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَتَحْنَا] بِتَخْفِيفِ التَّاءِ.

وَبَيَّنَ الْقِرَاءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي أَدَاءِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ، فَهُمَا يَدُلَّانِ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْأَقْوَامِ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ فَتْحًا عَادِيًّا، وَأَنَّ آخَرِينَ يُفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ بِتَوْسِيعَةٍ زَائِدَةٍ عَلَى الْفَتْحِ الْمَعْتَادِ، بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ السَّيِّئَةِ.

تمهيد:

آيَاتُ هَذَا الدَّرْسِ التَّاسِعِ مِنْ فُرُوعِ السَّاقِ الْأَوَّلِ مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ، وَفِيهَا بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ لِرُسُولِهِ ﷺ مَعَ إِسْمَاعِ كُلِّ صَالِحٍ لِلخَطَابِ، بِشَأْنِ كُفَّارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَكَيْفَ أَخَذَهُمْ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ رَغْبَةً فِي أَنْ يَتَضَرَّعُوا، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا، فَفَتَحَ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِحَسَبِ تَطَوُّرِهِمُ الْحَضَارِيِّ، ثُمَّ أَخَذَهُمْ بِالْعَذِيبِ وَالْإِهْلَاكِ بَعْتَةً، وَاسْتَأْصَلَهُمْ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ كَانُوا ظَالِمِينَ ظُلْمًا كَبِيرًا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ الرَّبَّانِيَّةُ اسْتِئْصَالَهُمْ.

وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ تَدَبُّرًا تَكَامُلِيًّا مَعَ نَصْرِ آخَرٍ مِنْ سُورَةِ (الْأَعْرَافِ/ ٣٩ نزول) فِي الْمُلْحَقِ السَّابِعِ مِنْ مَلَاحِقِ تَدَبُّرِ سُورَةِ (الْأَعْرَافِ) لَدَيْ شَرْحِ السُّنَّةِ السَّابِعَةِ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي الْأُمَمِ حَتَّى اسْتِحْقَاقِهَا الْإِهْلَاكِ الشَّامِلِ<sup>(١)</sup>.

التدبر التحليلي:

• ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ...﴾: الواو عاطفة، وهو من عطف

(١) انظر المجلد الخامس من هذا الكتاب، الصفحات من (٤٥٧ - ٤٦١). «شَرْحُ السُّنَّةِ السَّابِعَةِ».

جُمْلَةً بَيَّانٍ عَلَى بَيَانٍ سَابِقٍ، «لَقَدْ» اللَّامُ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ قَسَمٍ مَنَوِيٍّ، فَهِيَ لِلتَّوَكُّيدِ. وَ«قَدْ» لِلتَّحْقِيقِ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ التَّوَكُّيدَ.

أَي: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولًا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَكَذَّبُوهُمْ وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِمْ.

يَتَحَدَّثُ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ.

• ﴿... فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرُّونَ﴾ (٤٢):

أَصْلُ الْأَخْذِ الْقَبْضُ عَلَى الشَّيْءِ، وَبِالتَّوَسُّعِ فِي الْمَعْنَى صَارَ يُطْلَقُ عَلَى حَيَازَةِ الشَّيْءِ وَالْحَصُولِ عَلَيْهِ وَلَوْ دُونَ قَبْضٍ لَهُ، ثُمَّ صَارَ يُطْلَقُ الْأَخْذُ عَلَى مَعْنَى مَا يُؤْخَذُ لَهُ الشَّيْءُ، مِمَّا يَسُرُّ أَوْ مِمَّا يَسُوؤُ.

الْبَأْسَاءُ: الْجُوعُ، وَالْمَشَقَّةُ، وَالْفَقْرُ، وَضَنْكُ الْعَيْشِ، وَالْحَرْبُ.

الضَّرَاءُ: الشَّدَّةُ، وَكُلُّ حَالَةٍ تَضُرُّ فِي الْأَمْوَالِ أَوْ فِي الْأَنْفُسِ.

وَالْغَرَضُ مِنْ هَذَا الْأَخْذِ تَذَكِيرُهُمْ بِرَبِّهِمْ، لِيَدْعُوهُ مُتَضَرِّعِينَ إِلَيْهِ، تَائِبِينَ مُسْتَغْفِرِينَ، سَائِلِينَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِمَّا يَكْرَهُونَ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرُّونَ﴾: أَي: رَغْبَةً فِي أَنْ يَتَذَكَّرُوا رَبَّهُمْ، فَيَدْعُوهُ مُتَضَرِّعِينَ لَهُ، مُعْتَرِفِينَ بِذُنُوبِهِمْ، سَائِلِينَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ.

أَوْ لِنَجْعَلَهُمْ فِي مَوْقِفٍ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَدْفَعَهُمْ - إِذَا كَانَ لَدَيْهِمْ رُشْدٌ مَا - إِلَى أَنْ يَتَذَلَّلُوا لِرَبِّهِمْ، وَيَخْضَعُوا لَهُ تَائِبِينَ، سَائِلِينَ أَنْ يَرْفَعَ وَيُزِيلَ عَنْهُمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ، فَإِذَا اسْتَجَابَ لِدَعَائِهِمْ كَانَ ذَلِكَ مُذَكَّرًا لَهُمْ دَوَامًا بِرَبِّهِمْ، وَمُنْذَرًا لَهُمْ بِنُزُولِ الْعَذَابِ وَالْإِهْلَاكِ الشَّامِلِينَ، فَإِذَا لَمْ يَنْتَفِعُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْمَقْدَمَاتِ اسْتَحَقُّوا التَّعْذِيبَ وَالْإِهْلَاكَ الشَّامِلِينَ.

«لَعَلَّ» أَصْلُ مَعْنَاهَا اللُّغْوِي التَّرَجِّي وَالتَّوَقُّعُ، وَلَمَّا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلِيمًا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ وَبِمَا سَيَكُونُ، كَانَ مِنَ الْفَهْمِ السَّيِّدِ اعْتِبَارُ

كلمة «لَعَلَّ» دَالَّةٌ عَلَى مَعْنَى الرَّغْبَةِ، فَاللَّهُ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْإِيمَانَ وَالطَّاعَةَ وَحُسْنَ الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ، أَوْ عَلَى لَازِمٍ آخَرَ كَجَعْلِهِمْ فِي مَوْقِفٍ يَجِدُونَ فِيهِ مَا يَدْفَعُهُمْ لِلتَّضَرُّعِ.

التَّضَرُّعُ: التَّذَلُّلُ والخضوع، مَأْخُوذٌ مِنْ خُضُوعٍ وَلَدِ الْبَهِيمَةِ الرَّضِيعِ لِيَمْتَصَّ حَلِيبَ أُمِّهِ مِنْ ضَرْعِهَا.

• ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾: أي: فَهَلَّا تَضَرَّعُوا حِينَ جَاءَهُمْ عَذَابُنَا التَّادِيْبِيُّ الْجَزِيئِيُّ، الْمُنْذِرُ بِالْعَذَابِ وَالْإِهْلَاكِ الشَّامِلِينَ الْمُسْتَاصِلِينَ.

الْبَأْسُ: الْعَذَابُ الشَّدِيدُ. وَيُطْلَقُ عَلَى الشَّدَّةِ فِي الْحَرْبِ.

• ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي: وَلَكِنْ لَمْ يَتَضَرَّعُوا، وَلَمْ يَتُوبُوا، وَلَمْ يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ، بَلْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ، فَلَمْ تَلِزْ لِمَا نَزَلَ بِهِمْ مِنْ عَذَابٍ تَأْدِيْبِيٍّ إِنْذَارِيٍّ.

• ﴿... وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤٣): أي:

وَحَسَنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ إِبْلِيسُ وَجُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ شُرُكِيَّاتٍ وَلُؤَاظِمِهَا فِي السُّلُوكِ، وَهِيَ الَّتِي اقْتَضَتْ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ الْمَصَائِبُ وَأَنْوَاعًا مِنَ الْبُأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَأَفْنَعَهُمْ بِالتَّزْيِينِ الزُّخْرَفِيِّ بَأْنَ مَا نَزَلَ بِهِمْ هُوَ مِنْ تَقْلُبَاتِ الدَّهْرِ، الَّتِي تَحْدُثُ بِصُورَةٍ طَبِيعِيَّةٍ خَالِيَةٍ مِنْ قَصْدِ رَبَّانِيٍّ لِلتَّرْبِيَّةِ وَالْجَزَاءِ.

• ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: أي: فَلَمَّا تَرَكُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ بِمُذَكِّرٍ

مِنَ الْبُأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَمَا كَانُوا قَدْ ذُكِّرُوا بِهِ مِنْ قَبْلِ رُسُلِ رَبِّهِمْ، أَوْ مِنْ قَبْلِ الدُّعَاةِ مِنْ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ، تَذْكِيراً بَيَانِيّاً بِالنُّصْحِ وَالْإِرْشَادِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالْإِقْنَاعِ بِالْحَقِّ، وَلَمْ يَكْتَرِثُوا لِكُلِّ ذَلِكَ وَلَمْ يَعْبُؤُوا بِهِ.

• ﴿فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أي: وَسَعْنَا لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا الْأَرْزَاقَ، وَيَسَّرْنَا لَهُمُ الْمَسَالِكَ لِنَيْلِ مَا يَشْتَهُونَ مِنْ مَتَاعِ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ تَتَعَلَّقُ بِهِ نُفُوسُهُمْ، بِحَسَبِ مَا تَوَصَّلُوا إِلَيْهِ فِي تَطَوُّرِهِمُ الْحَضَارِيِّ.

شُبَّهَ تَسِيرُ الْمَسَالِكِ لِلْوُصُولِ إِلَى مَا يَشْتَهُونَ بِفَتْحِ الْأَبْوَابِ، فَاسْتَعِيرَ التَّعْيِيرُ: «بِفَتْحِ الْأَبْوَابِ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ.

وفي التعبير بِفَتْحِ الْأَبْوَابِ مَعْنَى أَنَّ خَزَائِنَ اللَّهِ مَوْجُودَةٌ دَوَامًا فِي كَوْنِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَفْتَحُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ مِنْ أَبْوَابِهَا بِحَسَبِ حِكْمَتِهِ، فِي رِحْلَةِ ابْتِلَائِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

﴿... حَتَّىٰ إِذَا فُوحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ ﴿٤٤﴾:

«حَتَّىٰ» ابْتِدَائِيَّةٌ، وَهِيَ حَرْفٌ تَبْتَدِيءُ بَعْدَهُ الْجُمْلُ الاسْمِيَّةُ وَالْفِعْلِيَّةُ.

● ﴿فُوحُوا﴾: هُنَا، بِمَعْنَى بَطَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا، وَتَفَاخَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَتَعَالَوْا عَلَى النَّاسِ، فَطَعَوْا وَبَعَّوْا.

● ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾: أَيُّ: قَبَضْنَا عَلَيْهِمْ قَبْضَ تَعْذِيبٍ وَإِهْلَاكِ بِاسْتِصْصَالِ مُبَاغِتِينَ لَهُمْ. الْبَغْتَةُ: الْمَفَاجَأَةُ.

● ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾: أَيُّ: فَإِذَا هُمْ سَاكِتُونَ، يَأْسُونَ، نَادِمُونَ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ. يُقَالُ لُغَةً: أَبْلَسَ الرَّجُلُ، أَيُّ: قُطِعَ بِهِ، وَسَكَتَ، وَنَدِمَ. وَيُقَالُ: «أَبْلَسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ» أَيُّ: يَأْسَ.

والمعنى: حَتَّىٰ إِذَا بَطَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَطَعَوْا وَبَعَّوْا بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَبْوَابِ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ وَالْإِهْلَاكِ الشَّامِلِينَ، بِصُورَةٍ مُفَاجِئَةٍ غَيْرِ مُرْتَقِبَةٍ، فَإِذَا هُمْ سَاكِتُونَ، يَأْسُونَ، نَادِمُونَ، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْعَلُوا شَيْئًا يَقِيهِمْ شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَنَوَازِلِ الْإِهْلَاكِ الشَّامِلِ.

● ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أَيُّ: فَأُهْلِكُوا جَمِيعًا، حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ تَابِعٌ يَتَّبِعُهُمْ. وَضِعَ الْاسْمُ الظَّاهِرُ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ

لبيان سَبَبِ إِهْلَاكِهِمْ بَعْدَ تَعْذِيبِهِمْ، وَهُوَ ظَلْمُهُمُ الْعَظِيمُ مِنْ دَرَكَةِ تَقْتِضِي إِهْلَاكِهِمْ بِاسْتِثْصَالِ.

الدَّابِرُّ: التابع، وَهُوَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ آخِرُهُ، وَقَطْعُ الدَّابِرِ كِنَايَةٌ عَنِ الِاسْتِثْصَالِ التَّامِ.

• ﴿...﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾: أَي: وَكُلُّ الثَّنَاءِ عَلَى مَا هُوَ فِي عِلْمِ اللَّهِ، مُوجَّهٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (= كُلُّ مَا سَوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) الَّذِي خَلَصَ الْمُجْتَمَعَ الْبَشَرِيَّ مِنْ قَوْمٍ ظَالِمِينَ، بَلَّغُوا دَرَكَةَ الْيَأْسِ مِنْ أَنْ يَصْلُحُوا عَنْ طَرِيقِ إِرَادَتِهِمُ الْحَرَّةَ، فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ وَالِاخْتِبَارِ فِي طُرُوفِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

إِنْ إِهْلَاكَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ صَارُوا بُورَةً فَسَادٍ وَإِفْسَادٍ فِي الْأَرْضِ، وَطُغْيَانٍ وَبَغْيٍ وَعُدْوَانٍ، نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ تَنْتَزِعُ مِنْ قُلُوبِ أُولِي الْأَلْبَابِ الْحَمْدَ وَالثَّنَاءَ مِنْ دَرَجَةِ قُصْوَى، عَلَى رَبِّ الْعِبَادِ الَّذِي رَحِمَهُمْ فَخَلَّصَهُمْ مِنْ وَبَاءٍ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخَلَاصِ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِثْصَالِ التَّامِ، حَتَّى لَا تَبْقَى مِنْهُمْ جُرْثُومَةٌ تَنْشُرُ شَرًّا فِي دُنْيَا النَّاسِ.

وبهذا انتهى تدبُّر الدَّرْسِ التاسعِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الأنعام).  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



(١٤)

التدبر التحليلي للدرس العاشر من دروس سورة (الأنعام)  
الآيتان من (٤٦ و ٤٧)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنَ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نَصَرَفَ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾: ﴿...﴾

## القراءات :

(٤٦) • أَشَمَّ حَمْزَةً، وَالْكَسَائِيَّ، وَخَلَفَ، وَرُؤَيْسَ، الصَّادَ صَوْتِ الزَّايِ فِي: [يَصْدِفُونَ].

وقراها باقي القراء العشرة بالصَّادِ الْخَالِصَةِ.

## تمهيد :

آيَاتُ هَذَا الدَّرْسِ مِنْ فُرُوعِ السَّاقِ الثَّانِي مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ، وَفِيهِمَا فِقْرَةٌ تَعْلِيمٌ أَسْلُوبٌ عِلَاجِيٌّ بِالْإِنْذَارِ بِسَلْبِ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْخَتْمِ عَلَى الْقُلُوبِ، أَوْ بِالْعَذَابِ وَالْإِهْلَاكِ.

## التدبر التحليلي :

• ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ...﴾ : أَيُّ : قُلْ - يَا مُحَمَّدُ وَيَا كُلَّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ - لِلْمُعَانِدِينَ الْمُصِرِّينَ عَلَى بَاطِلِهِمْ : تَفَكَّرُوا وَتَدَبَّرُوا، لِيَتَرَوْا رُؤْيَاهُ فِكْرِيَّةً صَحِيحَةً سَلِيمَةً، فِيمَا أَقُولُ لَكُمْ، ثُمَّ أَخْبِرُونِي.

• ﴿...﴾ : إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ ... ﴿٤٦﴾ :

مِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ التَّفَكِيرُ السَّلِيمُ، أَنَّ أَجَلَ أَذَاوَتِ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي فَضَّلَ اللَّهُ بِهَا الْإِنْسَانَ، وَجَعَلَ بِسَبَبِهَا الْمَلَائِكَةَ تَسْجُدُ لَأَدَمَ سُجُودَ اخْتِرَامٍ طَاعَةً لِأَمْرِ اللَّهِ مَا يَلِي :

(١) السَّمْعُ : بِاعْتِبَارِهِ أَدَاةَ تَوْصِيلِ الْبَيِّنَاتِ الْقَوْلِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ.

(٢) الْبَصَرُ : بِاعْتِبَارِهِ أَدَاةَ تَوْصِيلِ الْمَرَيَّاتِ فِي الْكَوْنِ، الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ آيَاتٍ دَالَّاتٍ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَدَالَّاتٍ عَلَى مَعَارِفِ وَعُلُومٍ كَثِيرَةٍ تَهْدِي الْأَبْصَارُ إِلَى إِدْرَاكِهَا بِجَهَازِ الْإِدْرَاكِ الدَّاخِلِيِّ فِي الْإِنْسَانِ.

(٣) الْقَلْبُ: بِاعْتِبَارِهِ جِهَازَ إِدْرَاكِ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ، وَاسْتِنْبَاطِ كَثِيرٍ مِنَ الْحَقَائِقِ، بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ قُدْرَاتٍ تَحْلِيلٍ وَتَرْكِيبٍ وَاسْتِنْتَاجٍ، وَبِمَا وَهَبَهُ مِنْ مَقَايِسٍ.

وَالسَّمْعُ أَدَاةٌ تُوصِلُ إِلَيْهِ الْمَسْمُوعَاتِ لِيَعْقِلَهَا، وَيُحْلِلَ فِيهَا وَيُرْكَبَ وَيَسْتَنْبِطُ. وَالْبَصَرُ أَدَاةٌ تُوصِلُ إِلَيْهِ الْمَرْتَبَاتِ لِيَعْقِلَهَا، وَلِيُحْلِلَ فِيهَا وَيُرْكَبَ وَيَسْتَنْبِطُ.

فَالْقَلْبُ هُوَ جِهَازُ الْإِدْرَاكِ الْعِلْمِيِّ، وَالْعَقْلُ الْعِلْمِيُّ، وَالتَّفَكُّرُ، وَالْقِيَاسُ وَالِاسْتِنْبَاطُ، إِلَى سَائِرِ الْأَعْمَالِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي فَضَّلَ اللَّهُ بِهَا الْإِنْسَانَ.

وَبِمَا أَنَّ الرَّبَّ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ، هُوَ وَاهِبُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْقَلْبِ الْعَاقِلِ الْمَفَكِّرِ لِلْإِنْسَانِ، فَهُوَ الْقَادِرُ إِنْ شَاءَ عَلَى سَلْبِهِ هَذِهِ الْأَجْهَازَةَ الْجَلِيلَةَ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى جَعْلِهِ مَحْرُومًا مِنْهَا، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ الْبَهَائِمُ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَلَنْ يُوجَدَ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ غَيْرُ اللَّهِ أَحَدٌ يَرُدُّ لَهُ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْهُ.

وَرَغْبَةً فِي إِيقَاطِ الْمَشْرِكِينَ الْمُعَانِدِينَ وَبَعْنِهِمْ مِنْ سُبَاتِهِمْ، عَلَّمَ اللَّهُ الدَّاعِيَ إِلَى رَبِّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، هَزَّ كِيَانِهِمْ بِاحْتِمَالِ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ رَبُّهُمْ بِسَبَبِ إِضْرَارِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، فَيَسْلُبُهُمْ وَيَأْخُذَ مِنْهُمْ أَجَلَ مَا تَمَتَّازُ بِهِ إِنْسَانِيَّتُهُمْ، وَهِيَ أَدَوَاتُ سَمْعِهِمْ وَإِبْصَارِهِمْ، وَجِهَازُ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ فِي دَاخِلِ كِيَانِهِمْ، فَيَجْعَلُهُمْ أَحَقَرَ مِنَ الْبَهَائِمِ وَأَخْسَّ. وَعِنْدَئِذٍ لَا يَجِدُونَ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ لِيَرُدَّ لَهُمْ سَمْعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ الدَّرَاكَةَ الْوَاعِيَةَ الْمَفَكِّرَةَ، إِنْ بَقِيَ لَدَيْهِمْ جِهَازٌ صَالِحٌ لِلتَّفَكِيرِ وَالْفَهْمِ.

جاء التعبير عن سَلْبِ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ بِالْأَخْذِ، أَي: أَخَذَ قُدْرَةَ الْأَسْمَاعِ عَلَى السَّمْعِ، وَأَخَذَ قُدْرَةَ الْأَبْصَارِ عَلَى الْبَصَرِ.

وجاء التَّعْيِيرُ عَنْ سَلْبِ قُدْرَاتِ مَرَاكِزِ الْإِدْرَاكِ وَالْفَهْمِ وَالتَّفَكِيرِ وَالْعَقْلِ فِي دَاخِلِ النُّفُوسِ، بِالْحَتْمِ عَلَى الْقُلُوبِ.



أَصْلُ الْخَتْمِ عَلَى الشَّيْءِ: سَدُّ مَا يُنْفَذُ إِلَيْهِ سَدًّا مانِعاً، يقال لغة: «خَتَمَ عَلَى الْإِنَاءِ يَخْتِمُ خَتْمًا»: أي: سَدَّ فَوْهَتَهُ بِطِينٍ، أو شَمْعٍ، أو نَحْوِهِمَا، حَتَّى لَا يَدْخُلَ إِلَى الْمُخْتَوَمِ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَا يَخْرُجَ مِنْهُ شَيْءٌ. وكذلك يُقَالُ: «خَتَمَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ» أي: أَغْلَقَ الْبَابَ، وَأَقْفَلَهُ، وَضَرَبَ عَلَى الْقُفْلِ الطِّينَ أو الشَّمْعَ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمٍ مَنْقُوشٍ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمَنْعِ التَّامِ. وَكَانَ السُّلْطَانُ أو الْقَاضِي إِذَا أَرَادَ مَنَعَ الدُّخُولَ إِلَى بَيْتٍ، أَمَرَ بِسَدِّ الْمَنَافِذِ إِلَيْهِ، وَبِإِعْلَاقِ بَابِهِ، وَوَضَعَ الْقُفْلَ الْمُحَكَّمِ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ قَبْضَةَ الطِّينِ الْخَاصَّ أو الشَّمْعَ عَلَيْهِ، وَالْخَتَمَ عَلَيْهِ بِالْخَاتَمِ الْمَنْقُوشِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمَنْعِ التَّامِّ مِنْ فَتْحِهِ، فَمَنْ فَتَحَهُ كَانَ عِقَابُهُ مُشَدَّدًا. فُجَاءَ التَّعْبِيرُ عَنْ إِحَاطَةِ الْقُلُوبِ بِمَا يَمْنَعُ قُدْرَاتِهَا عَنْ اسْتِقْبَالِ أَيِّ إِدْرَاكِ مِنْ خَارِجِهَا، وَعَنْ تَصْدِيرِ أَيِّ فَهْمٍ سَلِيمٍ مِنْ دَاخِلِهَا، بِالْخَتَمِ عَلَيْهَا، وَهَذَا يَكُونُ بَعْدَ تَغْلِيفِهَا تَغْلِيفًا كَامِلًا بِحَوَاجِبٍ وَسُتُورٍ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَرَادَ بِهَذَا الْخَتَمِ حَجَبُ قُدْرَاتِ مَرَائِجِ الْإِدْرَاكِ وَالْفَهْمِ فِي دَاخِلِ النُّفُوسِ حَجَبًا شَامِلًا، مانِعًا مِنَ الْاسْتِثْرَادِ وَمِنِ التَّصْدِيرِ.

• ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ؟﴾ أي: مَنْ إِلَهٌ مِمَّنْ تَعْبُدُونَ، أو مِمَّنْ يَعْبُدُ سَائِرَ الْمُشْرِكِينَ، أو كَانُوا يَعْبُدُونَ، غَيْرُ اللَّهِ الْخَالِقِ الرَّبِّ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ الْقَدِيرِ عَلَى مَا يَشَاءُ، يَأْتِيكُمْ بِمَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ أَسْمَاعِكُمْ وَأَبْصَارِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ.

الجواب: لَا أَحَدَ غَيْرُ اللَّهِ يُعِيدُ لِلْمَخْلُوقِ مَا أَخَذَ الْخَالِقُ مِنْهُ.

• ﴿... أَنْظِرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ (٤٦):

أي: انْظُرْ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي الْمَتَفَكِّرُ، كَيْفَ نُنَوِّعُ آيَاتِنَا الْبَيَانِيَّةَ، وَنَعْرِضُهَا مِنْ وُجُوهِ مُتَعَدِّدَةٍ، وَبِأَسَالِيِبٍ مُخْتَلِفَةٍ، رَغْبَةً فِي اقْتِنَاعِ سَالِكِي مَسَالِكِ الضَّلَالِ، بِصِرَاطِ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ، وَرَغْبَةً فِي أَنْ يَسْلُكُوهُ لِيَفُوزُوا بِجَنَاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

وَتَتَابِعْ هَذَا التَّنَوُّعَ أَنَا فَانَّا طَوَالَ مُدَّةِ امْتِحَانِهِمْ، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ كُلِّ ذَلِكَ يُعْرِضُونَ، وَلَا يَعْبُؤُونَ بِمَا نُبَيِّنُ لَهُمْ، وَنَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ عَظِيمٍ.

التَّصْرِيفُ: هو التَّغْيِيرُ فِي الْأَعْمَالِ، وَفِي الْأَشْيَاءِ، وَفِي الْإِتِّجَاهَاتِ، وَفِي الْأَسَالِيبِ، وَفِي وُجُوهِ الْكَلَامِ، رَغْبَةً فِي تَحْقِيقِ الْمَقَاصِدِ، أَوْ فِي اسْتِجَابَةِ ذَوِي الْإِرَادَاتِ الْحَرَّةِ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، إِذَا كَانَ التَّصْرِيفُ لِإِقْنَاعِهِمْ.

يَصْدِفُونَ: أَي: يُعْرِضُونَ مُنْصَرِفِينَ، فَلَا يَكْتَرِثُونَ وَلَا يَعْبُؤُونَ بِمَا يُنْصَحُونَ بِهِ، وَلَا بِمَا يُوجَّهُ لَهُمْ مِنْ بَيَانٍ.

وَفِي هَذَا تَعْجِيبٌ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَتَلْوِيمٌ لَهُمْ بِأَسْلُوبِ الْحَدِيثِ عَنْهُمْ، لَا بِأَسْلُوبِ مُوَاجَهَتِهِمْ بِالْخَطَابِ.

وَجَاءَ لَفْظُ «السَّمْعِ» مُفْرَدًا فِي الْآيَةِ، وَلَفْظُ «الْأَبْصَارِ» مُجْمُوعًا، وَأَرَى أَنَّ هَذَا مِنْ قَبِيلِ الْإِيجَازِ الْاِكْتِفَائِيِّ، وَأَصْلُ الْكَلَامِ: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَسْمَاعَكُمْ، وَبَصَرَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ» وَالْمَرَادُ بِالسَّمْعِ: الْقُدْرَةُ عَلَى إِدْرَاكِ الْمُسْمُوعَاتِ، وَبِالْأَسْمَاعِ: الْأَجْهَرَةُ الَّتِي يَحْصُلُ السَّمْعُ بِهَا. وَالْمَرَادُ بِالْبَصَرِ: الْقُدْرَةُ عَلَى إِدْرَاكِ الْمُرْتَبَّاتِ، وَبِالْأَبْصَارِ: الْأَجْهَرَةُ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا الْإِبْصَارُ.

• ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً﴾:

بَعْتَهُ: أَي: فَجَاءَ بِدُونِ تَوَقُّعٍ سَابِقٍ، وَبِدُونِ مُقَدِّمَاتٍ وَاضِحَاتٍ أَوْ إِعْلَانٍ.

أَوْ جَهْرَةً: أَي: ظَاهِرًا غَيْرَ مُسْتَتَرٍّ وَلَا مَحْجُوبٍ، بَلْ مَسْبُوقًا بِإِعْلَامٍ أَوْ بِمُقَدِّمَاتٍ ذَوَاتِ دَلَالَةٍ وَاضِحَاتٍ عَلَى أَنَّهُ عَذَابٌ آتٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

جَاءَتْ مُقَابَلَةُ الْبُعْتَةِ بِالْجَهْرَةِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالْبُعْتَةِ الْمَفَاجَأَةُ الْمُقْتَرَنَةُ بِالْخُفْيَةِ، وَهَذِهِ الْخُفْيَةُ تُقَابِلُهَا الْجَهْرَةُ.

وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ (٤٦)  
وَتَقْدِيرُهُ: مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَصْرِفُ عَنْكُمْ عَذَابَ اللَّهِ؟!

• ﴿... هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ (٤٧)؟!

أي: هَلْ يُهْلِكُ إِهْلَاكًا جَمَاعِيًّا عَامًّا شَامِلًا، إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ  
ظُلْمًا شَنِيعًا مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ الْمُفْتَرِنِ بِقَبَائِحَ وَجَرَائِمَ سُلُوكِيَّةٍ، أَخْذًا مِنْ  
دَلَالَاتِ نُصُوصٍ أُخْرَى.

والمراد بالاستفهام فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ النَّفْيِ، أَي: لَا يُهْلِكُ بِمُقْتَضَى  
سُنَّةِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ إِهْلَاكًا جَمَاعِيًّا شَامِلًا إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس العاشر من دروس سورة (الأنعام).

والحمد لله على معونته ومدده وتوفيقه وفتحته.



(١٥)

التدبر التحليلي للدرس الحادي عشر من دروس سورة (الأنعام)

الآيتان: (٤٨ و ٤٩)

قال الله عز وجل:

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ  
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا  
يَفْسُقُونَ﴾ (٤٩):

تمهيد:

آيتا هَذَا الدَّرْسِ مِنْ فُرُوعِ السَّاقِ الْأَوَّلِ مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ  
السُّورَةِ، وَفِيهِمَا بَيَانُ رَبَّانِيٍّ عِلَاجِيٍّ مُبَاشِّرٍ لِلْمَدْعُوعِينَ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ،  
وَالْعِلَاجُ فِيهِمَا يَعْتَمِدُ عَلَى الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ بِالترغيب والترهيب.

## التدبر التحليلي:

قول الله تعالى خطاباً لكلِّ مُتَلَقِّ صَالِحٍ للخطاب بِضَمِيرِ المتكلم العظيم، ومبيناً سُنَّةً من سُنَنِهِ في عباده المكلفين:

﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...﴾:

التبشير: الوعدُ بِعَاقِبَةٍ حَسَنَةٍ يَطْمَعُ فِي الظَّفَرِ بها الموعودُ بها.

الإنذار: الوعدُ بِعَاقِبَةٍ سَيِّئَةٍ يَحْذَرُهَا الموعودُ بها، وَيَكْرَهُ أَنْ تَحِلَّ بِهِ.

وكلُّ مَنْ التَّبَشِيرِ وَالْإِنذَارِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْمَوْضُوعِ مَوْضِعِ الْامْتِحَانِ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَسْبُوقاً بِبَيِّنَاتٍ بِشَأْنِ التَّكْلِيفِ الْمَطْلُوبَةِ مِنْهُ فِي امْتِحَانِهِ.

وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ التَّكْلِيفَ الدِّينِيَّ: جُذُورُ اعْتِقَادِيَّةٍ إِمَانِيَّةٍ، وَفُرُوعُ سُلُوكِيَّةٍ نَفْسِيَّةٍ وَجَسَدِيَّةٍ، تُبَيِّنُهَا الْأَوَامِرُ وَالنَّوَاهِي الْمَوْجَّهَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الْمُبَلِّغُ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَمَنْ آمَنَ وَأَسْلَمَ وَأَطَاعَ، كَانَ مِنَ الْمُبَشَّرِينَ بِالْعَاقِبَةِ الْحَسَنَةِ، وَبِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ، الْمُبَيَّنِ تَفْصِيلاً فِي نصوصٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

وَمَنْ كَفَرَ وَكَذَّبَ رَسُولَ رَبِّهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ رَبِّهِ، كَانَ مِنَ الْمُنذَرِينَ بِالْعَاقِبَةِ السَّيِّئَةِ، وَبِالْجَزَاءِ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ جَاءَ تَفْصِيلُهُ فِي نصوصٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

• ﴿... فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤٨):

أي: فَمَنْ آمَنَ إِيْمَاناً صَاحِحاً صَادِقاً، بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ الْإِيْمَانَ بِهِ فِي الدِّينِ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ، وَأَتَى بِمَا هُوَ عَمَلٌ صَالِحٌ نَافِعٌ، وَتَرَكَ مَا هُوَ فَاسِدٌ أَوْ مُفْسِدٌ، فِي سُلُوكِهِ النَّفْسِيِّ، وَفِي سُلُوكِهِ الْجَسَدِيِّ، وَأَصْلَحَ مِنْ نَفْسِهِ وَسُلُوكِهِ الْفَاسِدِ.

يُقَالُ لُغَةً: «أَصْلَحَ فُلَانٌ» أَي: أَتَى بِمَا هُوَ صَالِحٌ. وَيُقَالُ: «أَصْلَحَ فُلَانٌ الشَّيْءَ» أَي: أَزَالَ فُسَادَهُ.

فَلَا خَوْفٌ يَخَافُونَهُ عَلَى نَفْسِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ، لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِتَأْمِينِ اللَّهِ لَهُمْ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى شَيْءٍ فَاتَهُمْ بِسَبَبِ التَّزَامِهِمْ بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ فِي أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَإِصْلَاحِهِمْ أَعْمَالَهُمْ، وَإِصْلَاحِهِمُ الْفُسَادَ الَّذِي كَانُوا فِيهِ قَبْلَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ.

رُوِيَ فِي لَفْظِ «مَنْ» مَعْنَى الْجَمْعِ، فَجَاءَ عَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَيْهِ بِالْجَمْعِ فِي: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

• ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٤٩):

أَي: وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْإِعْجَازِيَّةِ وَالْبَيَانِيَّةِ الْمُنَزَّلَةِ، فَلَمْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَخَرَجُوا عَنْ طَاعَةِ أَوْامِرِنَا وَنَوَاهِينَا فَاسِقِينَ، يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ الَّذِي أَنْذَرْنَاهُمْ بِهِ يَوْمَ الدِّينِ، بِسَبَبِ مَا كَانُوا فِي حَيَاةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الدُّنْيَا يَفْسُقُونَ.

الْفِسْقُ: الْعُصْيَانُ، وَالْخُرُوجُ عَنْ صِرَاطِ الْحَقِّ، وَهُوَ مُضْطَلَحٌ إِسْلَامِيٌّ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا عِنْدَ الْعَرَبِ بِهَذَا الْمَعْنَى. وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِذَا خَرَجَتِ الرُّطْبَةُ مِنْ قِشْرَتِهَا: فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ. وَمَعْلُومٌ أَنَّهَا بِخُرُوجِهَا تَفْسُدُ.

وَاسْتُعْمِلَ الْمُسُّ مُرَاعَاةً لِحَالِ أَقَلِّ الْفَاسِقِينَ فَسَقًا مِنَ الْكَافِرِينَ، أَمَّا كِبَارُ الْمَجْرِمِينَ فَيَدْخُلُ الْعَذَابُ إِلَى أَعْمَاقِهِمْ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الحادي عشر من دروس سورة (الأنعام).

والحمد لله على معونته ومَدَدِهِ وتوفيقه وفتحِهِ.



(١٦)

## التدبر التحليلي للدرس الثاني عشر من دروس سورة (الأنعام)

الآيات من (٥٠ - ٥٨)

قال الله تعالى:

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ  
 إِنِ اتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ  
 بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ  
 يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ  
 حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ  
 ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ  
 بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَائِدِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ كَتَبَ  
 رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنتُمْ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا يَجْهَلُكُمْ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ  
 وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِنَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾  
 قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا  
 وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا  
 تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ  
 عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾

القراءات:

(٥٢) • قرأ ابن عامر [بِالْغَدَاةِ]. وقرأها باقي القراء العشرة:

[بِالْعَدَاةِ]. الْعُدُوَّةُ، وَالْعَدَاةُ، لغتان عَرَبِيَتَانِ لِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ مَا بَيْنَ  
 الْفَجْرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ.

(٥٤) • قرأ نافع، وأبو جعفر بفتح همزة: [أَنَّهُ مَنْ] وكسّر همزة:

[فَأَنَّهُ] وقرأهما ابنُ عامر، وعاصم، ويعقوب بفتح الهمزتين.

وقرأهما باقي القراء العشرة بِكسْرِ الهمزتين .

وهي وُجُوهُ عَرَبِيَّةٌ جَائِزَةٌ .

(٥٥) • قرأ نافع وأبو جعفر: [وَلَيْسَتَيْنِ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ] بِنَضْبِ

لفظه «سَبِيلَ» أي: يَا أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي الْمَسْتَجِيبَ .

وقرأهما شعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف: [وَلَيْسَتَيْنِ سَبِيلُ

الْمُجْرِمِينَ] بِيَاءِ المضارعة، وبرَفْع لفظه «سَبِيلُ» .

وقرأهما باقي القراء العشرة: [وَلَيْسَتَيْنِ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ] بِتَاءِ

المضارعة، وبرَفْع لفظه: «سَبِيلُ» .

(٥٧) • قرأ نافع وابن كثير، وعاصم، وأبو جعفر: [يَقْضُ الْحَقَّ]:

أي: يَتَّبَعُهُ .

وقرأها باقي القراء العشرة: [يَقْضُ الْحَقَّ] من القضاء .

وبين القراءتين تَكَامُلٌ في أداء المعنى المراد .

**تمهيد:**

آيات هَذَا الدَّرْسِ مِنْ فُرُوعِ السَّاقِ الثَّانِي مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ

السُّورَةِ .

وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ تَعْلِيمٌ دَعَوِيٌّ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَيُلْحَقُ

بِهِ حَمْلُهُ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ، يَسْتَفِيدُونَ بِالتَّفَكُّرِ مَا يُلَاحِظُ أَحْوَالَهُمُ الدَّعَوِيَّةَ مِنْ

دَلَالَاتِهَا .

وَفِيهَا تَرْبِيَّةٌ لِلرَّسُولِ ﷺ فَلِكُلِّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ، أَنْ لَا يَطْرُدَ

الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ، مَهْمَا كَانَتْ أَحْوَالُهُمُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ مُتَدَنِّيَّةً، اسْتِجَابَةً

لِكِبْرَاءِ قَوْمِهِ وَطَمَعاً فِي أَنْ يُؤْمِنُوا وَيُسَلِّمُوا وَيَعْمَلُوا صَالِحاً، فَإِذَا طَرَدَهُمْ

كَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ، مع بيان حِكْمَةِ اللَّهِ فِي هَذَا التَّعْلِيمِ التَّربَوِيِّ .  
وفيها تعليم أساليب تَرْبِيَةٍ يُعَامِلُ بِهَا حَامِلُ الرِّسَالَةِ الْمُؤْمِنِينَ . وفيها  
عناصرُ دَعْوِيَّةٍ يُوجِّهُهَا لِلْمُشْرِكِينَ .

### التدبر التحليلي:

■ قول الله تَعَالَى خطاباً لِرَسُولِهِ فِي تَعْلِيمِ دَعْوِيٍّ:

• ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ  
لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا  
تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾:

كَرَّرَ آيَةُ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ فِي مَكَّةَ مُطَالَبتَهُمْ لَهُ بِأَنْ يَأْتِيَهُمْ بِآيَاتِ  
خَوَارِقَ، فَعَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ مَا يَرُدُّ بِهِ عَلَيْهِمْ بِشَأْنِ هَذِهِ  
الْمَطَالِبِ، وَتَصَوُّرَاتِهِمُ الْفَاسِدَاتِ حَوْلَ طَبِيعَةِ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

إِنَّ طَبِيعَةَ الرَّسُولِ لَا تَتَجَاوَزُ حُدُودَ إِنْسَانٍ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ - جَلَّ  
جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - اضْطَفَاهُ اللَّهُ لِيُبَلِّغَ عَنْهُ مَا يُوحِي بِهِ إِلَيْهِ، وَيُجْرِي اللَّهُ  
لَهُ بِحِكْمَتِهِ بَعْضَ آيَاتِ الْخَوَارِقِ لِيَشْهَدَ لَهُ بِهَا أَنَّهُ صَادِقُ أَمِينٍ إِذْ يَقُولُ  
لِلنَّاسِ: إِنِّي نَبِيُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ لِأُبَلِّغَكُمْ مَا يُوحِي بِهِ اللَّهُ إِلَيَّ .

فَمِنَ الرَّدِّ الْحَكِيمِ وَالْإِعْلَامِ بِحَقِيقَةِ الرَّسُولِ، أَنْ يَقُولَ لَهُمْ:

١ - أَنَا لَا أَدْعِي لَكُمْ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ، حَتَّى تُطَالِبُونِي  
بَأَنْ أَتِي بِكَتَرِ ذَهَبِيٍّ وَأَوْزَعَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ .

٢ - أَنَا لَا أَدْعِي لَكُمْ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي عِلْمَ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ، حَتَّى تُطَالِبُونِي بِإِعْلَامِكُمْ بِغَيْبَاتٍ لَمْ يُعَلِّمْنِي بِهَا .

٣ - أَنَا لَا أَدْعِي لَكُمْ أَنَّي مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، حَتَّى تُطَالِبُونِي بِأَنْ  
أَرْقِي فِي السَّمَاءِ كَالْمَلَائِكَةِ .



إِنَّ حُدُودَ رَسُولِي مَفْصُورَةٌ عَلَىٰ أَنِّي أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ، فَإِنْ اسْتَجَبْتُمْ فَأَمَنْتُمْ بِي نَبِيًّا وَرَسُولًا، أُبَلِّغُكُمْ مَا يَأْمُرُنِي رَبِّي أَنْ أُبَلِّغُكُمْ إِيَّاهُ، فَهُوَ لَخَيْرِكُمْ وَسَعَادَتِكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَسْتَجِيبُوا فَقَدْ أَنْذَرْتُكُمْ بِالْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ، مَعَ احْتِمَالٍ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَيُهْلِكَكُمْ إِذَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ ذَلِكَ.

فَلَا تُطَالِبُونِي بِشَيْءٍ هُوَ خَارِجٌ عَنْ حُدُودِ رَسُولِي، فَأَنَا لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا أَنْ رَسُولِي مَفْصُورَةٌ عَلَىٰ أَنِّي أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ.

وَمَا عَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ سَبَقَ أَنْ قَالَهُ نُوحٌ لِقَوْمِهِ، كَمَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي الْآيَاتِ مِنْ (٢٩ - ٣١) مِنْ سُورَةِ (هُود/ ١١ مصحف/ ٥٢ نزول).

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ...﴾: أي: مَا قُلْتُ لَكُمْ سَابِقًا، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ فِي الْحَالِ وَلَا فِي الْإِسْتِقْبَالِ: عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ فَأَنَا أَخْرِجُ مِنْهَا مَا أَشَاءُ وَأَحْبِسُ مَا أَشَاءُ، إِنَّ خَزَائِنَ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ، وَبِيَدِهِ مَفَاتِيحُهَا، فَهُوَ يَتَصَرَّفُ بِهَا عَلَىٰ مَشِئَتِهِ، ضِمْنَ مَجَارِي حِكْمَتِهِ.

الخزائن: جمع «خزانة» وهي المكان الذي يحفظ به الشيء، أو يُوضَعُ فِيهِ بَعِيدًا عَنِ الْأَنْظَارِ.

• ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: أي: وَمَا قُلْتُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَعْلَمُ كُلَّ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَهَذَا الْعِلْمُ مِنْ خَصَائِصِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

«ال» فِي «الْغَيْبِ» هُنَا لِلْإِسْتِغْرَاقِ.

• ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾: أي: وَمَا قُلْتُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مَلَكٌ أَرْتَقِي فِي السَّمَاءِ كَمَا تَرْتَقِي الْمَلَائِكَةُ، حَتَّىٰ تُطَالِبُونِي بِأَنْ أَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ.

• ﴿إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكُمْ﴾: أي: مَا أَتَيْتُمْ فِي أَقْوَالِي وَفِي أَعْمَالِي إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي، فِرْسَالَتِي مَقْصُورَةٌ عَلَىٰ هَذَا.

• ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾: ﴿٥٥﴾

أي: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ: إِنَّكُمْ تَبْنُونَ مَطَالِبَكُمْ عَلَىٰ جَهْلٍ بِحَقِيقَةِ الرَّسُولِ وَوُظِيفَتِهِ، فَتَتَصَوَّرُونَ أَنَّ لَهُ بَعْضَ قُدْرَاتِ الرَّبِّ فِي كَوْنِهِ، وَهَذَا الْجَهْلُ يُشَبِّهُ الْعَمَى، فَاعْرِفُوا الْحَقِيقَةَ الَّتِي أَبْنَيْتُمْ لَكُمْ بِشَأْنِ رِسَالَتِي، وَتَفَكَّرُوا تَفَكُّراً سَلِيماً، لِتَكُونُوا أَهْلَ بَصِيرَةٍ تُدْرِكُ الْحَقَائِقَ.

وَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ بِأَسْلُوبِ الاستفهام: هَلْ يَسْتَوِي الْجَاهِلُ الَّذِي يُشَبِّهُ الْأَعْمَى، وَالْعَالِمُ الَّذِي يُشَبِّهُ الْبَصِيرَ؟!

أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ فِي حَقِيقَةِ مَفْهُومِ كَلِمَةِ «النَّبِيِّ» وَمَفْهُومِ كَلِمَةِ «الرَّسُولِ» الَّذِي يَتَلَقَّى وَحياً مِنْ رَبِّهِ وَيَتَّبِعُهُ تَبْلِيغاً أَوْ عَمَلاً، تَفَكَّرُوا، وَكُفُّوا عَنِ التَّصَرُّفَاتِ الَّتِي لَا يَفْعَلُهَا إِلَّا الْجَاهِلُونَ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ الْعَمِيَانِ.

الاستفهام الأول فيه معنى تَلْوِيهِمْ وَتَأْنِيهِمْ عَلَىٰ جَهْلِهِمْ. والاستفهام الثاني فِيهِ مَعْنَى حَثِّهِمْ عَلَى التَّفَكُّرِ السَّلِيمِ لِإِدْرَاكِ الْحَقِيقَةِ، إِنْ كَانُوا جَاهِلِينَ حَقّاً، غَيْرَ مُرَاوِغِينَ وَلَا مُجَادِلِينَ بِالْبَاطِلِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خِطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ فِي مُتَابَعَةِ التَّعْلِيمِ الدَّعْوَى:

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا سَفِيحٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: ﴿٥٦﴾

أي: وَأَنْذِرْ بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ إِنْذَارَاتٍ بِالْعِقَابِ الرَّبَّانِيِّ، الْمُؤَجَّلِ وَالْمَعْجَلِ، الَّذِينَ تَجِدُ أَنَّهُمْ يَخَافُونَ أَنْ يُبْعَثُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُجْمَعُوا وَيُسَافُوا إِلَىٰ مَحْكَمَةِ رَبِّهِمْ، لِمَحَاسَبَتِهِمْ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ بِشَأْنِهِمْ، عَلَىٰ مَا قَدَّمُوا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، حَالَةَ كَوْنِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٍّ يَتَوَلَّاهُمْ فَيَحْمِيهِمْ مِنْ عَذَابِهِ وَعِقَابِهِ، وَلَيْسَ لَهُمْ شَفِيعٌ يَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَهُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَافِرِينَ.

وَارْجُ حِينَ تُنذِرُهُمْ أَنْ يَتَّقُوا بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ عِقَابَ رَبِّهِمْ، لِيَكُونَ إِنْذَارُكَ حَارًّا مُقْتَرِنًا بِرَجَاءِ أَمْرِ مَطْمُوعٍ فِيهِ.

وَنَحْنُ نَرْغَبُ وَنُحِبُّ لَهُمْ أَنْ يَتَّقُوا لِيَفُوزُوا يَوْمَ الدِّينِ بِالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ الْخَالِدِ فِي دَارِ السَّلَامِ.

الإِنْدَارُ: الإِعْلَامُ بِمَا هُوَ مُحُوفٌ مِنْهُ.

الْحَشَرُ: الْجَمْعُ وَالسَّوْقُ، والمرادُ بِهِ هُنَا: الْحَشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ الْبَعْثِ إِلَى الْحَيَاةِ الْآخَرَى.

الْوَلِيِّ: المرادُ بِهِ هُنَا النَاصِرُ الَّذِي يَتَصَوَّرُ الْمُشْرِكُونَ أَنَّهُ يَنْصُرُهُمْ فَيَحْمِيهِمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ.

الشفيع: المرادُ بِهِ الَّذِي يَتَصَوَّرُ الْمُشْرِكُونَ أَنَّهُ يَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، فَيَرْفَعُ اللَّهُ بِشَفَاعَتِهِ عَنْهُمْ قَضَاءَهُ بِتَعْذِيبِهِمْ، أَوْ تَنْفِيزَ مُجَازَاتِهِمْ بِالْعَذَابِ.

لَعَلَّ: أَصْلُ مَعْنَاهَا التَّرَجُّي، وَتَحْتَمِلُ هُنَا دَلَالَتَيْنِ:

الأولى: أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ فِي حَالَةِ رَجَاءٍ أَنْ يَتَّقُوا، لِيَكُونَ إِنْذَارُهُ لَهُمْ أَكْثَرَ تَأْثِيرًا.

الثانية: أَنَّ اللَّهَ يَرْغَبُ وَيُحِبُّ أَنْ يَتَّقُوا لِيَفُوزُوا يَوْمَ الدِّينِ، لِأَنَّ مَعْنَى الرَّجَاءِ لَا يَلِيقُ بِمَنْ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، فَيُحْمَلُ عَلَى لَازِمِ الرَّجَاءِ، وَهُوَ الرُّغْبَةُ وَالْحُبُّ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا تَعْلِيمَاتِهِ لِرَسُولِهِ وَيُلْحَقُ بِهِ كُلُّ حَامِلٍ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ:

• ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ

مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾:

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمَشْرُكُونَ لِلنَّبِيِّ: أَطْرُدُ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا. قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هَذِيلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا.

فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾.

قال الواحدي: هم: ضُهَيْبٌ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسَدِ، وَخَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ، إِضَافَةً إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ.

لَكِنَّ سَعْدًا ذَكَرَ بِلَالًا، وَرَجُلًا مِنْ هَذِيلٍ.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ أَنَّ رُؤْسَاءَ قُرَيْشٍ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَوْ طَرَدْتَ هَؤُلَاءِ الْأَعْبُدَ، وَأَرْوَاحَ جِبَابِهِمْ<sup>(١)</sup>، جَلَسْنَا إِلَيْكَ، وَحَادِثْنَاكَ. فَقَالَ ﷺ: «مَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ».

قَالُوا: فَأَقْمُهُمْ عَنَّا إِذَا جِئْنَا، فَإِذَا قُمْنَا فَأَقْعِدْهُمْ مَعَكَ إِنْ شِئْتَ.

فَقَالَ: «نَعَمْ» طَمَعًا فِي إِيْمَانِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ.

وَجَاءَ عِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ: أَنَّ الَّذِينَ طَلَبَ كُبْرَاءُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ طَرَدَهُمْ، هُمُ الْمُسْتَضَعَّضُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: «خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ،

(١) أي: وَرَائِحَاتِ جِبَابِهِمْ (جَمْعُ: جُبَّة) وَهِيَ ثَوْبٌ سَابِغٌ، وَاسِعُ الْكَمِيْنِ، مَشْقُوقُ الْمُقَدَّمِ يُلْبَسُ فَوْقَ الثِّيَابِ.

وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَأَبُو فُكَيْهَةَ يَسَارُ مَوْلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ مُحَرِّثٍ، وَصُهَيْبٌ، وَأَشْبَاهُهُمْ، وَأَنَّ قُرَيْشًا قَالُوا: «أَهْلُؤَاءِ الَّذِينَ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا».

**أقول:** الحادثة وَقَعَتْ، وَكَانَتْ سَبَبَ نُزُولِ الْآيَةِ، وَلَيْسَ مِنَ الْمُهِمِّ مَعْرِفَةُ كُلِّ أَسْمَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ الْمَعْنِيِّينَ بِالطَّرْدِ، وَقَدْ سَبَقَ كُتُبَاءُ قُرَيْشٍ بِمِثْلِ هَذَا مَلَأَ قَوْمُ نُوحٍ، فَقَدْ جَاءَ بِشَأْنِهِمْ فِي سُورَةِ (الشعراء/ ٢٦ مصحف/ ٤٧ نزول) قول الله تَعَالَى حكاية للحوار بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

• ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١٣﴾ قَالَ وَمَا عَلِمَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٤﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٥﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٧﴾﴾:

وَجَاءَ بِشَأْنِهِمْ أَيْضًا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (هود/ ١١ مصحف/ ٥٢ نزول):

• ﴿وَيَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقَوْنَ رَبَّهُمْ وَلَكِنِّي أَرْكُزُ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾:

لَقَدْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُ مَلَأَ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَعَ قُلُوبِ أَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ فِي مَكَّةَ.

• ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾: الطَّرْدُ: إِبْعَادُ الْمَطْرُودِ مَعَ اسْتِهَانَةٍ بِهِ وَاسْتِخْفَافٍ

له .

• ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾: أَي: الَّذِينَ يَعْبُدُونَ رَبَّهُمْ. أَضْلُ الدُّعَاءِ فِي اللَّعَةِ: النداء، وَيَأْتِي بِمَعْنَى الرَّغْبَةِ إِلَى اللَّهِ وَالطَّلَبِ مِنْهُ لِأُمُورِ الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةُ. وَيَأْتِي الدُّعَاءُ بِمَعْنَى مُطْلَقِ الْعِبَادَةِ، وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمَلَائِمُ هُنَا.

• ﴿بِالْعَدَةِ وَالْعِشْيِ﴾ الْعَدَةُ: مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ.

وَالْعِشْيِ: الرَّاجِعُ أَنَّهُ الْوَقْتُ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ.

وَهَذَانِ الْوَقْتَانِ قَدْ جَاءَ فِي النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ تَفْضِيلُ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ فِيهِمَا، زِيَادَةً عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ فِي أَوْقَاتِهَا، وَعَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ.

وَلَا أَرَى دَاعِيًا لِفَهْمِ أَنَّ الْمَرَادَ بِالْعَدَةِ وَالْعِشْيِ كُلُّ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، بَلْ هُمَا زَمَانَانِ مَعْرُوفَانِ لُغَةً، وَعِبَادَةُ اللَّهِ بِالذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ فِيهِمَا عَلَامَةٌ دَالَّةٌ عَلَى اجْتِهَادِ الْعَابِدِ، وَمُلَازِمَتِهِ لِلْعِبَادَةِ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَفْضَلَةِ عِنْدَ اللَّهِ لِذِكْرِهِ وَتَسْبِيحِهِ.

• ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: أَي: يُرِيدُونَ رِضَا ذَاتِهِ وَنَفْسِهِ عَنْهُمْ، يُطْلَقُ

الْوَجْهَ وَيُرَادُ بِهِ الذَّاتُ كُلُّهَا، وَهَذَا هُوَ الْمَرَادُ هُنَا، وَأَصْلُ الْوَجْهِ مِنَ الْإِنْسَانِ لُغَةً: مَا يُوَاجِهُكَ مِنَ الرَّأْسِ وَفِيهِ الْعَيْنَانِ وَالْفَمُ، وَكُلُّ مَا يُقْبَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَيُطْلَقُ الْوَجْهَ عَلَى الْقَصْدِ، وَعَلَى الْجِهَةِ وَالنَّاحِيَةِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ إِطْلَاقَاتٍ، وَالْقَرَائِنُ تَدُلُّ عَلَى الْمَرَادِ.

• ﴿... مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ

شَيْءٍ فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٢):

الْحِسَابُ: بَعْدَ السُّؤَالِ، مِنْ مُقَدِّمَاتِ فَضْلِ الْقَضَاءِ فِي مُحْكَمَةِ الْعَدْلِ

وَالْفَضْلُ الرَّبَّانِيَّةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَأْتِي الْجَزَاءُ تَطْبِيقًا لِمَا يَتِمُّ بِهِ قَضَاءُ اللَّهِ فِي أَحْكَامِهِ عَلَى الْعِبَادِ الَّتِي قَدَّمُوها فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَأَرَى أَنَّ الْحِسَابَ أُطْلِقَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِيَدُلُّ عَلَى مَعْنَاهُ، وَعَلَى مَا

قَبْلَهُ مِنْ مُقْتَضِيَاتٍ لَهُ، مُنْذُ وُضِعَ النَّاسُ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،

وَلِيَدَّلَ عَلَى مَا يَتَّبِعُهُ مِنْ فَضْلِ قَضَاءٍ وَتَنْفِيذِ جَزَاءٍ بِالثَّوَابِ أَوْ بِالْعِقَابِ .

ومن المعلوم في المفهُومَاتِ الدِّينِيَّةِ، أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مَوْضُوعٌ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مَسْئُولٌ عَنْ أَعْمَالِهِ فَقَطْ وَعَنْ آثَارِ أَعْمَالِهِ . وَهُوَ يُحَاسَبُ يَوْمَ الدِّينِ عَلَى أَعْمَالِهِ فَقَطْ حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا وَعَنْ آثَارِ أَعْمَالِهِ، وَلَوْ كَانَ نَبِيًّا وَلَوْ كَانَ رَسُولًا، فَهُوَ لَا يُحَاسَبُ عَلَى مَا قَدَّمَ غَيْرُهُ مِنْ أَعْمَالٍ حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَلَا يُثَابُّ عَلَى عَمَلٍ غَيْرِهِ الصَّالِحِ، مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ تَأْثِيرٌ مَا فِيهِ بِعَمَلِهِ، كَتَعْلِيمٍ وَنُصْحٍ وَإِرْشَادٍ وَتَرْبِيَةٍ، وَلَا يُعَاقَبُ عَلَى عَمَلٍ غَيْرِهِ السَّيِّئِ، مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ تَأْثِيرٌ مَا فِيهِ بِعَمَلِهِ، كإِغْوَاءٍ وَإِغْرَاءٍ وَتَضْلِيلٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

إِنَّ مَسْئُولِيَّةَ الْعِبَادِ عِنْدَ اللَّهِ مَسْئُولِيَّةٌ شَخْصِيَّةٌ، وَلَيْسَتْ جَمَاعِيَّةً حَتَّى بَيْنَ خَلِيلَيْنِ وَحَبِيبَيْنِ، وَبَيْنَ زَوْجٍ وَزَوْجَتِهِ، وَبَيْنَ أَبٍ وَابْنِهِ أَوْ ابْنَتِهِ، فَلَا تُؤْجَرُ نَفْسٌ أَجْرَ نَفْسٍ أُخْرَى، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، وَلَا يَحْمِلُ رَسُولٌ مِنْ خَطَايَا أُمَّتِهِ شَيْئًا .

وَمِنْ مُقْتَضَى هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ، أَنَّ تَكُونَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مُمْتَحَنٌ مُكَلَّفٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حُرِّيَّةَ اخْتِيَارٍ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُتَضَادَّةِ الَّتِي هُوَ مُمْتَحَنٌ فِيهَا، وَعُنْوَانُ ذَلِكَ: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» .

فَمِنْ حَقِّ هَذَا الْإِنْسَانِ أَنْ لَا يُكْرَهَ عَلَى الْإِيمَانِ إِذَا اخْتَارَ هُوَ لِنَفْسِهِ الْكُفْرَ، وَوَاجِبٌ حَمَلَةُ رِسَالَةِ اللَّهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ تَقْتَصِرُ عَلَى التَّبْلِيغِ، وَالْبَيَانِ وَالشَّرْحِ، وَالْإِقْنَاعِ بَوَسَائِلِهِ، وَالتَّرْغِيبِ فِي ثَوَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالتَّرْهيبِ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ تُتْرَكَ لَهُ حُرِّيَّةُ الْعِبَادَةِ الَّتِي يَعْتَقِدُ أَنَّهَا تَتَّفِقُ مَعَ مَا يُؤْمِنُ بِهِ .

وَمِنْ حَقِّ كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ لَا يُكْرَهَ عَلَى الْكُفْرِ بِرَبِّهِ وَبِمَا جَاءَ عَنْهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، إِذَا اخْتَارَ هُوَ لِنَفْسِهِ الْإِيمَانَ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ تُتْرَكَ لَهُ فِي

الْمَجْتَمَعَ الْبَشَرِيَّ حُرِّيَّةً مُمَارَسَتِهِ لِلْعِبَادَاتِ الدِّينِيَّةِ، دُونَ أَنْ يُمْنَعَ مِنْهَا أَوْ يُحْجَبَ عَنْهَا.

بَعْدَ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ يُمَكِّنُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ بِشَأْنِ الَّذِينَ طَلَبَ أُنْمَتَهُ الشَّرْكَ مِنْهُ طَرْدَهُمْ عَنْ مَجَالِسِهِ، إِظْمَاعًا لَهُ بِأَنْ يَحْضُرُوا هُمْ مَجَالِسَهُ الدَّعَوِيَّةَ، وَيَسْتَمِعُوا لِأَقْوَالِهِ وَتِلَاوَاتِهِ:

• ﴿... مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرْدَهُمْ فَنُكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٢).

أي: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَسْئُولٌ وَحْدَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَنْ أَعْمَالِهِ وَاخْتِيَارَاتِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ، وَهُوَ وَحْدَهُ يُحَاسِبُ وَيُجَازِي عَلَيْهَا، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ مَسْئُولٌ وَحْدَكَ عِنْدَ رَبِّكَ، عَنْ أَعْمَالِكَ وَاخْتِيَارَاتِكَ الَّتِي اخْتَرْتَهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَتُجَازَى عَلَيْهَا يَوْمَ الدِّينِ.

وَمِنْ مُقْتَضَى هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ الْمُبْتَلَى الْمُكَلَّفُ حُرًّا فِي مُمَارَسَةِ مَا يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ رَبِّهِ، وَيَبْتَغِي بِهِ رِضْوَانَهُ وَثَوَابَهُ الْعَظِيمَ يَوْمَ الدِّينِ، وَأَنْ لَا يُحْرَمَ مِنْ حُضُورِ مَجَالِسِ الْعِلْمِ وَالْخَيْرِ وَالْعِبَادَةِ، إِبْعَادًا أَوْ طَرْدًا، لِانْحِطَاطِ طَبَقَتِهِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، أَوْ لِأَنَّ ذَوِي الْكِبَرِ فِي الْمَجْتَمَعِ يَكْرَهُونَ حُضُورَهُ مَعَهُمْ اسْتِكْبَارًا عَلَيْهِ وَاسْتِهَانَةً بِهِ. لَكِنْ قَدْ يُطَلَّبُ مِنْهُ أَنْ لَا يَكُونَ فِي جَسَدِهِ أَوْ ثَوْبِهِ مَا يُنْفَرُ مِنْ قَذَارَاتٍ.

فَمَنْ طَرَدَ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ الْفُقَرَاءَ عَنْ مَجَالِسِ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْخَيْرِ وَالْعِبَادَةِ الْعَامَّةِ، الَّتِي يَجِبُ أَنْ يُتَّحَ حُضُورُهَا لِكُلِّ رَاغِبٍ فِيهِ مِنْ كُلِّ طَبَقَاتِ الْمَجْتَمَعِ، عَلَى اخْتِلَافِ مَهَنَتِهِمْ، لِلانْتِفَاعِ بِهَا، وَالِاسْتِزَادَةِ مِنَ الْخَيْرِ، فَهُوَ ظَالِمٌ لِحَقِّهِمْ الَّذِي مَنَحَهُ الرَّبُّ لَهُمْ، بِمُقْتَضَى كَوْنِهِمْ مُمْتَحَنِينَ فِي طُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبِمُقْتَضَى كَوْنِهِمْ مَسْئُولِينَ مَسْئُولِيَّةً شَخْصِيَّةً عَمَّا يَخْتَارُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ أَعْمَالٍ.



إِنَّ الْحُرِّيَّةَ الشَّخْصِيَّةَ فِي مُمَارَسَةِ الْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ، وَفِي حُضُورِ مَجَالِسِ الْعِلْمِ وَالْخَيْرِ وَالْعِبَادَةِ الْعَامَّةِ، يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مَصُونَةً لِكُلِّ إِنْسَانٍ ذِي إِرَادَةٍ حُرَّةٍ، مَوْضُوعٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، مِنْ أَدْنَى النَّاسِ فِي مُجْتَمَعِهِ، حَتَّى الْقَائِدِ الْأَعْلَى، وَحَتَّى النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ، فَلَا يَصِحُّ عَقْلًا لِأَحَدٍ الْعُدَاوَانُ عَلَيْهَا.

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (٥٣):

أي: وَكَذَلِكَ الْامْتِحَانِ الَّذِي امْتَحَنَّا فِيهِ بَعْضَ النَّاسِ بِبَعْضٍ، إِذْ امْتَحَنَّا الْأَغْنِيَاءَ بِالْفُقَرَاءِ، وَالْفُقَرَاءَ بِالْأَغْنِيَاءِ، وَامْتَحَنَّا الْأَقْوِيَاءَ بِالضُّعَفَاءِ، وَبِالْعَكْسِ، وَامْتَحَنَّا الْحَسَانَ بِغَيْرِ الْحَسَانِ وَبِالْعَكْسِ، وَامْتَحَنَّا كُلَّ إِنْسَانٍ بِمَنْ يَتَعَامَلُ مَعَهُ فِي عِلَاقَةٍ مَالِيَّةٍ أَوْ اجْتِمَاعِيَّةٍ، قَرِيبًا كَانَ أَمْ بَعِيدًا، حَاكِمِينَ أَمْ مُحْكُومِينَ، امْتَحَنَّا كُفْرَاءَ مُشْرِكِي مَكَّةَ بِضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، لِيَكْشِفَ كِبَرَهُمُ الصَّادِّ لَهُمْ عَنِ الاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا نَجَاتُهُمْ مِنَ الْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ، وَفَوَّزُهُم بِالْخُلُودِ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ، وَكِبَرُهُمْ هَذَا دَفَعَهُمْ بِحِمَاقَةٍ لِيَقُولُوا مُحْتَقِرِينَ مُزْدَرِّينَ ضُعَفَاءَ الْمُؤْمِنِينَ، أَهَؤُلَاءِ الْعَبِيدُ وَالضُّعَفَاءُ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا، فَوَعَدَهُمُ بِالْثَوَابِ الْجَزِيلِ وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَيْنَا، كَمَا يَتْلُو مُحَمَّدٌ فِي الْآيَاتِ الَّتِي يَقُولُ: إِنَّهَا تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

• ﴿فَتَنَّا﴾ أي: امْتَحَنَّا وَبَلَوْنَا، وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمَلَأْتُ هُنَا مِنْ مَعَانِي الْفِتْنَةِ.

وَرَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَقُولَتِهِمْ هَذِهِ بِقَوْلِهِ:

• ﴿... أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (٥٣):!؟: أي: إِنَّ اللَّهَ مَنْ عَلَى

فَقَرَأَ الْمُؤْمِنِينَ وَضَعَفَائِهِمْ، الَّذِينَ يَحْتَقِرُهُمْ وَيَزْدَرِيهِمْ كُبَرَاءَ الْمُشْرِكِينَ، بِسَبَبِ كَوْنِهِمْ شَاكِرِينَ لَهُ بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالطَّاعَةِ، أَمَّا الْمُسْتَكْبِرُونَ فَلَمْ يُؤْمِنُوا وَلَمْ يُسَلِّمُوا وَلَمْ يُطِيعُوا، فَكَانُوا بِرَبِّهِمْ كَافِرِينَ، فَلَا يَسْتَحِقُّونَ مِنْ رَبِّهِمُ التَّكْرِيمَ وَلَا الْوَعْدَ الْكَرِيمَ، بَلْ يَسْتَحِقُّونَ الْإِهَانَةَ وَالْإِذْلَالَ وَالْوَعْدَ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

قَابَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اسْتِفْهَامَهُمُ الْإِزْدِرَائِيَّ بِضَعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَفُقَرَائِهِمْ، بِاسْتِفْهَامِ تَعْجِيبِيٍّ مِنْ بَالِغِ جَهْلِهِمْ بِسَامِي حِكْمَتِهِ، وَإِحَاطَةِ عِلْمِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَدَلَّ بِهِذَا عَلَى أَنَّ مِنْتَهُ عَلَى عِبَادِهِ بِالتَّكْرِيمِ، وَبِالْوَعْدِ الْكَرِيمِ، خَاصَّةً بِالشَّاكِرِينَ، وَلَا يَنَالُ مِنْهَا الْكَافِرُونَ، وَجَاءَ فِي نُصُوصٍ أُخْرَى مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّفْضِيلَ فِي التَّكْرِيمِ عِنْدَ اللَّهِ يَتَنَاسَبُ مَعَ ارْتِقَاءِ الشَّاكِرِينَ فِي دَرَجَاتِ التَّقْوَى، فَالْبَرِّ، فَالْإِحْسَانِ.

الباءُ في ﴿يَا عَلَّمٌ﴾ مَزِيدَةٌ فِي خَبَرِ «لَيْسَ» لِلتَّوَكِيدِ.

وجواب هَذَا السُّؤَالِ فِي الْعِبَارَةِ: بَلَى، اللَّهُ أَعْلَمُ بِالشَّاكِرِينَ مِنْ كُلِّ ذِي عِلْمٍ، لِأَنَّهُ مُحِيطٌ عِلْمًا بِكُلِّ مَا فِي نَفُوسِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُعَلِّمُ رَسُولَهُ أَسْلُوبًا تَعْلِيمِيًّا يُوجِّهُهُ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، بِشَأْنِ مَا قَدْ يَعْمَلُونَهُ مِنْ مَعَاصِرٍ، وَفِيهِ إِظْمَاعٌ لَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ، إِذَا تَابُوا وَأَصْلَحُوا:

• ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾:

أَي: وَإِذَا جَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَيُلْحَقُ بِهِ كُلُّ حَامِلِ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا الْمَنْزَلَاتِ فِي الْقُرْآنِ، وَأَحْسَسْتَ أَنَّهُمْ مُذْنِبُونَ خَائِفُونَ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ فَحَيِّهِمْ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ ﴿فَقُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾.

أي: أَنْتُمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَغُفْرَانِهِ سَالِمُونَ مِنْ عَذَابِهِ إِذَا تَبُتُّمْ وَرَجَعْتُمْ إِلَى طَاعَةِ رَبِّكُمْ، وَأَصْلَحْتُمْ سُلُوكَكُمْ.

• ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾: أي: فَرَضَ وَأَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَرْحَمَ عِبَادَهُ الْمَذْنِبِينَ، وَكَتَبَ ذَلِكَ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، كَمَا حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الظُّلْمَ وَكَتَبَهُ، وَهُوَ مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي حَدِيثٍ قُدْسِيٍّ.

وَمَضْمُونُ هَذِهِ الرَّحْمَةِ الَّتِي كَتَبَهَا رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ:

• ﴿أَنْتُمْ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءٌ بِجَهَالَةٍ﴾ أي: أَنَّ الشَّأْنَ ذَا الْخَطَرِ، مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بآيَاتِ رَبِّكُمْ سُوءاً عَصَيْتُمْ بِهِ أَوْامِرَهُ أَوْ نَوَاهِيَهُ، بِدَافِعٍ مِنْ جَهَالَةٍ غَلَتْ مَرَاغِلُهَا فِي نُفُوسِكُمْ.

السُّوءُ: فِي اللُّغَةِ كُلُّ مَا يَقْبُحُ، وَيُرَادُ بِهِ هُنَا الذَّنْبُ، فَهُوَ مِمَّا يَقْبُحُ أَنْ يَرْتَكِبَهُ الْمُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ.

الْجَهَالَةُ: حَالَةُ انْدِفَاعِ النَّفْسِ لِتَحْقِيقِ شَهْوَةٍ مِنْ شَهَوَاتِهَا، أَوْ مَطْلُوبٍ مِنْ مَطَالِبِهَا، وَفِيهَا مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

أَصْلُ الْجَهْلِ وَالْجَهَالَةِ مَأْخُودٌ مِنْ «جَهَلَتِ الْقِدْرُ، تَجَهَّلَ، جَهْلًا، وَجَهَالَةً» أَي: اشْتَدَّ غَلْيَانُهَا، وَهُوَ ضِدٌّ تَحَلَّمَتْ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الشَّهْوَةَ الْقَوِيَّةَ فِي النَّفْسِ، وَالْهَوَى الْجَامِحَ، لَهْمَا فِيهَا غَلْيَانٌ حَارٌّ يُشْبِهُ غَلْيَانَ مَا فِي الْقُدُورِ إِذَا أُوقِدَتِ النَّارُ تَحْتَهَا.

• ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

• ﴿تَابَ﴾: أَي: رَجَعَ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِ مُسْتَغْفِراً نَادِماً عَلَى مَا فَعَلَ.

• ﴿وَأَصْلَحَ﴾: أَي: وَعَمِلَ صَالِحاً، وَأَصْلَحَ أَحْوَالَ نَفْسِهِ الَّتِي مَسَّهَا الْفَسَادُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَجَاءَ التَّعْيِيرُ بِحَرْفِ الْعُظْفِ «ثُمَّ» لِإِعْطَاءِ الْمُؤْمِنِ الْعَاصِي مُهْلَةً لَتَوْبَتِهِ، دُونَ اشْتِرَاطِ الْفَوْرِيَّةِ عَقَبَ الْمَعْصِيَةِ.

• ﴿... فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥٤): أي: فَإِنَّ اللَّهَ يَرْحَمُهُ فَيَغْفِرُ لَهُ وَيُضْفَحُ عَنْهُ، لَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.  
 غَفُورٌ: كَثِيرُ الْغُفْرَانِ وَعَظِيمُهُ.  
 رَحِيمٌ: عَظِيمُ الرَّحْمَةِ وَوَاسِعُهَا.  
 ■ قول الله عزَّ وجلَّ:

• ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٥):

أي: وَمِثْلَ ذَلِكَ التَّفْصِيلِ الَّذِي فَصَّلْنَاهُ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَاتِ تُفَصِّلُ الْآيَاتِ فِي سُورِ الْقُرْآنِ، وَنُجُومِ التَّنْزِيلِ الَّتِي نُنْزِلُهَا، لِيَسْتَبِينَ وَيُظْهَرَ وَيَتَّضَحَ صِرَاطُ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ، وَلِيَسْتَبِينَ وَتُظْهَرَ وَتَتَّضَحَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ، الَّذِينَ سَوْفَ يَكُونُونَ خَالِدِينَ فِي عَذَابِ النَّارِ، وَبِهَذِهِ الْأَسْتَبَانَةِ تَنْقَطِعُ أَعْذَارُهُمْ.

**تفصيل الأشياء:** تمييز بعضها عن بعض لإبراز حدود كل منها، ومعلوم أن المعرفة الصحيحة من شرطها تمييز حدود عناصرها.

**والتفصيل:** التبيين، وكشف حدود الأجزاء المتلاصقة في الظاهر، بإظهار ما بينها من انفصال ولو لم يكن مرئياً، لتمييز بعضها عن بعض في الإدراك الفكري.

**وليتبين:** أي: ولتظهر ولتتضح، من فعل «استبان» اللازم، وهذا المعنى يناسب قراءة رفع «سبيل».

وبمعنى «ليستوضح»، وليعرف من فعل «استبان» المتعدي، وهذا المعنى يناسب قراءة نصب «سبيل».

فبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد.

وأرى أن الواو في: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ فصيحة تعطف على محذوف، وهو ما ذكرته في البيان التدبري عقب ذكر الآية.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُعَلِّمُ رَسُولُهُ فِقْرَاتِ دَعْوِيَّةٍ وَجَوَارِيَّةٍ لِأُيُمَّةِ الْمُشْرِكِينَ الْمَعْنِيِّينَ بِالْعِلَاجِ.

● ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعِجُلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجُلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ :

وفي القراءة الأخرى: [يَقْضِ الْحَقُّ] مِنْ فِعْلِ «قَضَى يَقْضِي».

■ عَلَى الرَّسُولِ وَعَلَى كُلِّ دَاعٍ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقُّ، أَنْ يُعْلِنَ لِمَنْ يَدْعُوهُمْ أَنَّهُ مَنُهْيٌ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَنْ أَنْ يَعْبُدَ إِلَهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَأَنْ يَقُولَ لِلْمُشْرِكِينَ إِذَا حَاوَلُوا اسْتِزْزَالَهُ إِلَى عِبَادَةِ آلِهَتِهِمْ، لِيَعْبُدُوا إِلَهَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ: إِنِّي نُهَيْتُ عَنْ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِذَا عَبَدْتُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَكُونُ قَدْ ضَلَلْتُ حِينَئِذٍ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، وَبِهَذَا أُعَرِّضُ نَفْسِي إِلَى مَا أُنْذِرْكُمْ بِهِ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ خَالِدٍ، فِي دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ. فَلَا تَطْمَعُوا فِي اسْتِزْزَالِي إِلَى شُرَكِيَائِكُمْ، لِأَنِّي لَنْ أَسْتَجِيبَ لَكُمْ، وَلَنْ أَتَّبِعَ أَهْوَاءَكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَمْلِكُونَ فِي شُرَكِيَائِكُمْ حَقًّا حَتَّى أَتَّبِعَكُمْ فِيهِ، إِنَّمَا تَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَكُمْ الْمُضِلَّةَ لَكُمْ.

هَذَا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ (٥٦) مِنْ هَذَا التَّعْلِيمِ:

● ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ :

أي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ وَيُلْحَقُ بِهِ كُلُّ دَاعٍ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ مِنْ أُمَّتِهِ: يَا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، إِنِّي نُهَيْتُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ عَنْ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ (أي: تَعْبُدُونَ) مِنْ دُونِ اللَّهِ. حَذَفَ الْجَارُ قَبْلَ «أَنْ» قِيَاسُ مُطَرِّدٍ.

قُلْ يَا مُحَمَّدٌ وَيُلْحَقْ بِهِ كُلُّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ: يَا أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ، لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ الْمَضِلَّةَ.

إِنِّي إِنْ عَبَدْتُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَإِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَكُمْ، أَكُونُ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، وَأَسْتَحِقُّ حِينَئِذٍ عِقَابَ الضَّالِّينَ ضَلَالاً مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

عبارة: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ جواب شَرْطِ مَطْوِيٍّ بَيْنَ الْمَثَانِي هُوَ وَأَدَاءُ الشَّرْطِ، تَقْدِيرُهُ: «إِنْ عَبَدْتُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَاتَّبَعْتُ أَهْوَاءَكُمْ» إِذَنْ قَدْ ضَلَلْتُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ. وَقُدِّمَ «قَدْ ضَلَلْتُ» عَلَى «إِذَنْ» لِلتَّنْبِيهِ ابْتِدَاءً عَلَى الْمَحْذُورِ مِنْهُ، وَهُوَ الضَّلَالُ الْمُؤَكَّدُ الْمَحَقَّقُ، الْمُؤَدِّي إِلَى الْخُلُودِ فِي عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ.

■ وَعَلَى حَامِلِ الرِّسَالَةِ الدَّاعِي إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ أَنْ يُعْلِنَ لِلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ، أَنَّهُ عَلَى بَيِّنَةٍ بُرْهَانِيَّةٍ مِنْ رَبِّهِ بِأَنَّ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِهَذَا الْحَقِّ الَّذِي أَقَامَ لَهُمْ عَلَيْهِ الْبَرَاهِينَ اتِّبَاعاً لِأَهْوَائِهِمْ، وَالتَّزَاماً بِالْبَاطِلِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فِي الْبَيَانِ التَّعْلِيمِي:

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ...﴾ (٥٧)

الْبَيِّنَةُ: الواضحة الجلية، وهي صفة موصوف محذوف.

أَي: قُلْ لِلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِكَ: إِنَّ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ هُوَ حَقٌّ مِنْ رَبِّكُمْ، وَإِنِّي أَمْلِكُ مِلْكَ تَمَكُّنٍ وَاسْتِعْلَاءٍ، بَيِّنَةٌ بُرْهَانِيَّةٌ مِنْ رَبِّي تُثَبِّتُ أَنَّ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ وَالصُّدُق. وَأَنْتُمْ كَذَّبْتُمْ بِهِ دُونَ أَنْ تَمْلِكُوا دَلِيلًا مَا تُعْذَرُونَ بِهِ فِي تَكْذِيبِكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ عَذَابَ اللَّهِ سَيَحُلُّ بِكُمْ لَا مَحَالَةَ، تَحْقِيقًا لِمَا أُنْذَرَكُمْ بِهِ فِي آيَاتِ كِتَابِهِ الْمَجِيد. وقد سبق في سورة (هود/ ٥٢ نزول) بيان أن نوحاً وصالحاً وشعيباً قالوا لأقوامهم نظير هذه العبارة.

■ أَمَّا مَا يَسْتَغْجِلُونَ بِهِ مِنْ أَنْزَالِ وَسَائِلِ التَّعْذِيبِ وَالْإِهْلَاكِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي الْآيَةِ (٩٢) مِنْ سُورَةِ (الْإِسْرَاءِ/ ١٧) مَصْحُف/ ٥٠ (نزول).

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ۖ﴾ (٩٢) : وَقَدْ سَبَقَ تَدْبِيرُهَا .  
فَقَدْ جَاءَ فِي الْبَيَانِ التَّعْلِيمِيِّ بِشَأْنِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿... مَا عِنْدِي مَا تَسْتَغْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ (٥٧) قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَغْجِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٥٨) :

● ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَغْجِلُونَ بِهِ﴾ : أَيِ وَقَلِّ لَهُمْ : لَيْسَ عِنْدِي فِيْمَا مَلَكَني اللَّهُ مِنْ قُدْرَاتٍ ، الْقُدْرَةُ عَلَى أَنْزَالِ الْعَذَابِ الَّذِي سَبَقَ أَنْ أُنْذِرْتُكُمْ بِهِ بَلَاغًا عَنْ رَبِّي ، فَأَنْتُمْ تَسْتَغْجِلُونَنِي بِأَنْ أُنْزَلَ عَلَيْكُمْ كِسْفًا مُهْلِكَةً لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى سَبِيلِ التَّحْذِي ، مَعَ أَنِّي لَمْ يَسْبِقْ لِي أَنْ قُلْتُ لَكُمْ : أَنَا الَّذِي سَأَعَاقِبُكُمْ بِالْعَذَابِ الْمُهِلِكِ ، إِذَا أَصْرَرْتُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَارْتِكَابِكُمْ لِحَرَائِمِكُمْ ، إِنَّمَا بَلَّغْتُكُمْ إِنْذَارَاتِ اللَّهِ لَكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يُجْرِي إِنْذَارَاتِهِ إِلَّا فِي أَجَالِهَا الْحَكِيمَةِ .

فَمَطْلَبُكُمْ لِي بِتَعْجِيلِ مَا أُنْذَرْتُكُمْ رَبُّكُمْ بِهِ ، مَرْفُوضَةٌ فِي مَوَازِينِ الْعُقُولِ ، وَمَقَابِلُهَا الصَّحِيحَةُ السَّلِيمَةُ .

● ﴿... إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ (٥٧) :

أَيِ : وَقُلْ لَهُمْ : مَا الْحُكْمُ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ إِيجَادًا وَإِعْدَامًا ، وَتَحْوِيلًا وَتَبْدِيلًا ، أَوْ فِعْلًا لِأَمْرٍ مَا ، أَوْ إِذْنًا بِفِعْلِ أَمْرٍ مَا ، إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ .

المرادُ بِالْحُكْمِ هُنَا الْقَضَاءُ الْمُسْبُوقُ بِتَقْدِيرِ الْمَقَادِيرِ كُلِّهَا ، وَمِنْهُ أَنْزَالُ الْعَذَابِ الَّذِي تَسْتَغْجِلُونَ بِهِ ، وَحُكْمُ اللَّهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ مُتَّصِفٌ بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ ، فَعِلْمُ اللَّهِ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَاخْتِيَارُ اللَّهِ لَا يَكُونُ إِلَّا مُطَابَقًا

لِأَفْضَلِ الْاِحْتِمَالَاتِ وَأَحْسَنِهَا، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ:

﴿يَقْضُ الْحَقُّ﴾ وفي القراءة الأُخْرَى [يَقْضِي الْحَقُّ]:

• فالمعنى على القراءة الأولى: أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَتَّبِعُ الْحَقَّ تَتَبُّعًا مَضْحُوبًا بِعِلْمِهِ الْمُحِيط بِكُلِّ الْأَشْيَاءِ وَالْأَجْزَاءِ صِغَارِهَا وَكِبَارِهَا، فَإِذَا عَلِمَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْإِمْهَالَ هُوَ الْأَحْكَمُ أَمْهَلٌ، وَحِينَ يَعْلَمُ أَنَّ إِنْزَالَ الْعَذَابِ الْعِقَابِيِّ الْمُهْلِكِ هُوَ الْأَحْكَمُ أَنْزَلَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْعِبَادُ أَنْ يُحِيطُوا بِمَا يُحِيطُ بِهِ عِلْمُ اللَّهِ، فَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ اخْتِيَارَ مَا هُوَ الْأَحْكَمُ، وَالْوَاجِبُ عَلَى الْعِبَادِ التَّسْلِيمُ لِلَّهِ فِي اخْتِيَارَاتِهِ.

• والمعنى على القراءة الثانية: أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْضِي الْحَقَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَقْضِيهِ، بَعْدَ أَنْ يَخْتَارَهُ بِحُكْمَتِهِ.

يُقَالُ لَعَةً: «قَضَى اللَّهُ الشَّيْءَ»: أَي: أَمْضَى حُكْمَهُ بِتَنْفِيذِهِ عَلَى وَفْقِ الْمَقَادِيرِ الَّتِي أَحْكَمَ تَقْدِيرَهَا لِكُلِّ جُزْءٍ فِيهِ ذَاتًا وَصِفَةً.

وَيُقَالُ: [قَضَاهُ]: أَي: أَنْهَى تَنْفِيذَهُ عَمَلِيًّا.

فَيَبَيِّنُ الْقَرَاءَتَيْنِ تَكَامُلًا فِي تَأْدِيَةِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ، أَي: يَتَّبِعُ الْحَقَّ الَّذِي يَكُونُ اخْتِيَارُهُ هُوَ الْأَحْكَمُ، فَيُنْهِيهِ بِقَضَائِهِ الْمُبْرَمِ حُكْمًا، ثُمَّ يُنْقِذُهُ فِي أَجَلِهِ، فَيُنْهِي تَنْفِيذَهُ عَمَلِيًّا.

• ﴿... وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (٥٧): أَي: وَهُوَ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ وَخَيْرُ الْقَاضِينَ.

يُقَالُ لَعَةً: «فَصَلَ الْقَاضِي أَوْ الْحَاكِمُ الْأَمْرَ» أَي: قَضَاهُ، وَأَبْرَمَهُ

وَبَتَّه.

• ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ

أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٥٨):



أَي: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ، لَوْ أَنَّ رَبِّي مَلَكَني الْقُدْرَةَ عَلَىٰ إِنزَالِ مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ مِنْ عَذَابٍ وَإِهْلَاكِ عَلَيْكُمْ، وَأَعْطَانِي التَّفْوِيزَ بِذَلِكَ، لَاخْتَرْتُ أَنْ أَلْبِي طَلِبَكُمْ، بَعْدَ أَنْ نَفَدَ صَبْرِي عَلَيْكُمْ، وَلَا نَزَلْتُ عَلَيْكُمْ الْعَذَابَ الْمُهِلِكَ، رَغْبَةً فِي الْخَلَاصِ مِنْ شُرُورِكُمْ، وَمِنْ صَدِّ أَتْبَاعِكُمْ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَلَكِنَّ اللَّهَ لَمْ يُعْطِنِي هَذِهِ الْقُدْرَةَ، وَلَمْ يَمْنَحْنِي التَّفْوِيزَ بِاخْتِيَارِ تَعْذِيبِكُمْ وَإِهْلَاكِكُمْ؛ لِأَنِّي لَا أَعْلَمُ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ بَلَّغُوا مِنْكُمْ فِي ظُلْمِهِمُ الشَّيْعَ إِلَىٰ دَرَكَةِ اسْتِحْقَاقِ التَّعْذِيبِ وَالْإِهْلَاكِ الْمُعْجَلِ دُونَ إِمْهَالِ. فَالْأَمْرُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَتْرُوكًا لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثاني عشر من دروس سورة (الأنعام).  
والحمد لله على معونته ومَدَدِهِ وتوفيقه وفتحهِ.



(١٧)

التدبر التحليلي للدرس الثالث عشر من دروس سورة (الأنعام)  
الآيات من (٥٩ - ٦٢)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَعِنْدُهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمْتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْسُطُ فِيهِ لِقَاضَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٦٠ وَهُوَ الْغَافِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ

تَوَفَّئَهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيسِينَ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٢﴾ :

### القراءات:

(٦١) • قرأ حمزة: [تَوَفَّاهُ] مع الإمامة.

وقراها باقي القراء العشرة: [تَوَفَّئَهُ].

والقراءتان وجهان عريان جائزان.

(٦١) • قرأ أبو عمرو: [رُسُلُنَا] بإسكان السين.

وقراها باقي القراء العشرة: [رُسُلُنَا] بضم السين. وهما لغتان

عرييتان.

### تمهيد:

آيات هذا الدرس من فُرُوعِ السَّاقِ الْأَوَّلِ مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ، وفيه بَيَانٌ رَبَّانِيٌّ مُبَاشِرٌ حَوْلَ إِحَاطَةِ عِلْمِ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَقَدْ خَاطَبَ اللَّهُ فِيهِ النَّاسَ بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَتَوَقَّاهُمْ بِالنَّوْمِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُمِيتُ النَّاسَ وَيَبْعَثُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِلْحِسَابِ، وَفَضْلُ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزُ الْجَزَاءِ، بِسُلْطَانِ قَهْرِهِ، وَبِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَةَ حَفَظَةً، مَعَ تَيَمَّاتٍ مَلَائِمَاتٍ.

### التدبر التحليلي:

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ :

«مَفَاتِيحُ» و«مَفَاتِيحُ»: جمعٌ مُفْرَدُهُ «مِفْتَاحٌ» و«مِفْتَاحٌ» وهو آلَةٌ يُفْتَحُ بها مُعْلَقٌ مَا، من مكانٍ مُخَصَّصٍ لِلْأَقْفَالِ والفتح.

وَمِفْتَاحُ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ، حَتَّى الْمَعَانِي الْمُعْلَقَةُ لَهَا مَفَاتِيحُ، إِذَا فُتِحَتْ بِهَا أَقْفَالُ أَبْوَابِهَا، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا عُرِفَتْ.

وَجَرَى تَعْمِيمٌ لَفِظِ «الْمِفْتَاحِ» وَلَفِظِ «الْبَابِ» فِي الِاسْتِعْمَالِ مِنَ الْمَادِّيَّاتِ إِلَى الْمَعْنَوِيَّاتِ.

وَمَفَاتِيحُ الْغَيْبِ، هِيَ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ حَقَائِقِ هِيَ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْخَلَائِقِ، قَبْلَ فَتْحِ مَعَالِيْقِهِ.

### أمثلة للمفاتيح المعنوية:

(١) توَصَّلَ الأطباء إلى مَعْرِفَةِ حَالَةِ الْقَلْبِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى انتظام ضرباته أو عَدَمِهَا، بِآلَةِ رِسْمِ أَثَرِ ضَرْبَاتِ الْقَلْبِ.

هذا مِفْتَاحٌ يُمْكِنُ عَنْ طَرِيقِهِ مَعْرِفَةُ حَالَةِ الْقَلْبِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذِهِ الْجُزْئِيَّةِ مِنْ جُزْئِيَّاتِ الْمَعْرِفَةِ.

(٢) توَصَّلَ عُلَمَاءُ الْأَرْضَادِ الْجَوِّيَّةِ إِلَى مَعْرِفَةِ بَعْضِ أَحْوَالِ الطُّقُسِ الْقَادِمَةِ خِلَالَ يَوْمٍ أَوْ أَكْثَرَ مَعْرِفَةً ظَنِّيَّةً، عَنْ طَرِيقِ أَجْهَزَةٍ خَاصَّةٍ.

هذا الَّذِي توَصَّلَ إِلَيْهِ عُلَمَاءُ الْأَرْضَادِ يُمَكِّنُ أَنْ نَعْتَبِرَهُ مِفْتَاحَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ لِهَذِهِ الْجُزْئِيَّةِ مِنْ جُزْئِيَّاتِ الْمَعْرِفَةِ.

(٣) النَّظَرِيَّةُ «النِّسْبِيَّةُ» الَّتِي اكْتَشَفَهَا «أَنْسْتَاين» كَانَتْ مِفْتَاحًا فَتَحَ اللَّهُ بِهِ أَبْوَابًا لِمَعْرِفَةِ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ.

(٤) الطَّاقَةُ الْكَهْرُبَائِيَّةُ صَارَتْ بَعْدَ اكْتِشَافِهَا مِفْتَاحًا لِلتَّوَصُّلِ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَعَارِفِ الَّتِي كَانَتْ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ، وَمِنْهَا الْأَلِكْتُرُونِيَّاتِ.

(٥) اللُّوْغَرُثَمَاتِ مِفْتَاحٌ لِلتَّوَصُّلِ إِلَى مَعْرِفَةِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَرْقَامِ الْكَبِيرَةِ، فِي الْحِسَابَاتِ الرِّيَاضِيَّةِ الْعَالِيَةِ الْمُعَقَّدَةِ الصَّعْبَةِ.

وهكذا إلى أمثلة كثيرة هي مفاتيح معنوية فكرية لعلوم هي من عالم الغيب بالنسبة إلى الناس، وبعد هذا يمكن أن نفهم قول الله تعالى في الآية:

• ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ...﴾ (٥٩): أي: وعند الله وحده جميع مفاتيح كل الغيب، وهذه المفاتيح لا يعلمها إلا هو جلّ جلاله وعظم سلطانه، فلا يعلمها علماً مستغرقاً لكل أفرادها رسولٌ مُفَضَّلٌ، ولا ملكٌ مُقَرَّبٌ مَكِينٌ لديه.

ومعلوم أن نفي علم كل الأفراد لا يستلزم ولا يقتضي نفي علم بعضها، فهذا من سلب العموم لا من عموم السلب.

استفيد القصر من تقديم «عنده» على المبتدأ «مفاتيح الغيب». أي: وعنده وحده ملكها، وامتلاك الفتح بها، ولا يعلمها كلها إلا هو. ويفهم من هذا أنه سبحانه وتعالى إن شاء سخر بعض هذه المفاتيح لبعض عباده، فيتوصلون بها إلى معرفة بعض الغيب الذي لا يحيط به كله إلا الله تبارك وتعالى.

﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾: جملة حالية لـ ﴿مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾.

• ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: أي: وهو تبارك وتعالى يعلم بالتفصيل الدقيق كل ما في البر والبحر من أشياء وأحياء، حتى بواطن الذرات، وأصغر كل صغير من الأحياء، وأجزاء ذاته من مادي ومعنوي، مؤصوف وصفات.

• ﴿... وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ أَلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٥٩):

أي: وَمَا كَائِنَةُ تَسْقُطٍ مِنْ وَرَقَةٍ مِنْ أَوْرَاقٍ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَجَرٍ، إِلَّا يَعْلَمُهَا مُنْذُ بَدَءِ تَكْوِينِهَا حَتَّى إِسْقَاطِهَا فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ الْخَالِقُ الْمَتَابِعُ لِلْخَلْقِ بَدَءًا مِنْ أَوَّلِي مَرَاكِحٍ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى آخِرِ مَرَحَلَةٍ مِنْ مَرَاكِحِ وَجُودِهِ. جَاءَ ذِكْرُ سُقُوطِ وَرَقَةٍ مِنْ أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ، عُنْوَانًا دَالًّا عَلَى مَا قَبْلَهُ، وَعَلَى مَا بَعْدَهُ، فَكُلُّ طَوْرٍ مِنْ أَطْوَارِ كُلِّ مَخْلُوقٍ لِلَّهِ هُوَ مَعْلُومٌ لَهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - عِلْمًا شَامِلًا، وَسُقُوطُ الْوَرَقَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ جُزْئِيَّةٌ يَسِيرَةٌ مِنْ جُزْئِيَّاتِ أَطْوَارِهَا، فَإِذَا كَانَ عِلْمُهُ مُحِيطًا بِهِذِهِ الْجُزْئِيَّةِ الْيَسِيرَةِ فَهُوَ مُحِيطٌ بِمَا سِوَاهَا مِنْ بَابِ أَوَّلَى.

وَمَا كَائِنَةُ مِنْ حَبَّةٍ خَلَقَهَا اللَّهُ، مَوْجُودَةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ، وَمَا كَائِنٌ مِنْ رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ، مَهْمَا كَانَ صَغِيرًا أَمْ كَبِيرًا، إِلَّا هُوَ مَعْلُومٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمُسَجَّلٌ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ، هُوَ اللَّوْحُ الْمُحْفُوظُ، إِذْ كُلُّ مَا هُوَ قَابِلٌ لِأَنْ يُعْلَمَ مِمَّا كَانَ، وَمِمَّا هُوَ كَائِنٌ، وَمِمَّا سَيَكُونُ، هُوَ مُسَجَّلٌ فِيهِ، بِالذِّقَّةِ التَّامَّةِ الَّتِي اخْتَارَ تَسْجِيلَ الْعِلْمِ بِهَا.

وَقَدْ أَلْهِمَ اللَّهُ النَّاسَ اكْتِشَافَ تَسْجِيلِ الْعُلُومِ الْكَثِيرَةِ الْكَثْرُونِيًّا فِي شَرَائِحِ صَغِيرَةٍ جَدًّا، وَهَذَا يُقَرِّبُ لِلنَّاسِ تَصَوُّرَ اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ.

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾﴾:

﴿يَتَوَفَّاكُم﴾: مَادَّةٌ: «تَوَفَّى، يَتَوَفَّى» تَدُورُ فِي اللُّغَةِ حَوْلَ مَعْنَى اسْتِيفَاءِ الْمِقْدَارِ الْمَحْدَدِ، وَيَحْصُلُ التَّوَفَّى بِبُلُوغِ غَايَةِ أَفْرَادِ الشَّيْءِ الْمُقَدَّرَةِ، أَوْ أَجْزَائِهِ الْمُقَدَّرَةِ. وَمِنْهُ تَوَفَّى أَجْزَاءَ الزَّمَنِ الْمُقَدَّرِ أَجَلًا لِلْكَائِنِ الْحَيِّ.

وقد جعل الله عزَّ وجلَّ هَذَا الْفِعْلَ فِي كِتَابِهِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى كُلِّي ذِي نَوْعَيْنِ:

**النوع الأول:** الْفَضْلُ الْكُلِّيُّ بَيْنَ الرُّوحِ، وَالنَّفْسِ الَّتِي هِيَ طَبْعَةُ الْكَائِنِ الْحَيِّ وَخَرِيطَةُ تَكْوِينِهِ، وَهَذَا يَكُونُ بِالْمَوْتِ.

**النوع الثاني:** الْفَضْلُ الْجُزْئِيُّ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ، وَهَذَا يَكُونُ بِالنُّومِ.

فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الزَّمر/ ٣٩ مصحف/ ٥٩ نزول):

• ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾:

نَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ النَّوْمَ وَالْمَوْتَ ظَاهِرَتَانِ لِلْفَضْلِ بَيْنَ الرُّوحِ الْمُمَدَّةِ بِالْحَيَاةِ، وَبَيْنَ النَّفْسِ الَّتِي تَجْتَمِعُ فِيهَا صِفَاتُ وَخَصَائِصُ الْكَائِنِ الْقَابِلِ لِلْحَيَاةِ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ.

فَإِذَا كَانَ الْفَضْلُ فَضْلاً كُلِّيًّا حَدَثَ الْمَوْتُ، فَذَاقَتْ النَّفْسُ الْمَوْتَ، وَإِذَا كَانَ الْفَضْلُ فَضْلاً جُزْئِيًّا، مُقْتَصِراً عَلَى سَلْبِ الْحَرَكَةِ الْإِرَادِيَّةِ، حَدَثَ النَّوْمُ.

فَالْمَعْنَى الَّذِي نَفْهَمُهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ وَاللَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم لَيْلاً، بِالْفَضْلِ الْجُزْئِيِّ بَيْنَ أَرْوَاحِكُمْ وَنُفُوسِكُمْ الَّذِي يَكُونُ بِهِ تَوْفُؤُكُمْ، طَوَالَ رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَجَاءَتْ عِبَارَةٌ: ﴿بِاللَّيْلِ﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ النَّوْمَ الطَّوِيلَ بِاللَّيْلِ هُوَ الْأَكْثَرُ مُلَاءَمَةً لِنِظَامِ حَيَاةِ النَّاسِ، وَالْأَكْثَرُ رَاحَةً لِأَجْسَادِهِمْ وَتَكْوِينِهَا الْفِطْرِيِّ، وَلَيْسَ قَيْدًا لِحُصُولِ النَّوْمِ فِيهِ، فَالنَّوْمُ كُلُّهُ سَوَاءٌ أَكَانَ بِاللَّيْلِ أَمْ بِالنَّهَارِ هُوَ مِنْ أَعْمَالِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ.

• ﴿... وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ...﴾: أَي: وَيَعْلَمُ مَا كَسَبْتُمْ

بِالنَّهَارِ السَّابِقِ لِلَّيْلِ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِهِ، طَوَالَ رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

جَرَى فِي الاسْتِعْمَالِ اللَّغَوِيِّ فِعْلُ «جَرَحَ» وَمُسْتَقَاتُهُ بِمَعْنَى: «كَسَبَ» كَسَبًا جَسَدِيًّا أَوْ نَفْسِيًّا. وَالْجَارِحَةُ: الْعُضْوُ الْعَامِلُ مِنْ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ، كَالْيَدِ وَالرَّجْلِ، وَالْجَمْعُ: «الْجَوَارِحُ». وَأَصْلُ الاسْتِعْمَالِ مَاخُودٌ مِنْ كَوْنِ الْعُضْوِ جَارِحًا، أَيُّ: شَاقًّا شَقًّا فِي بَدَنِ مَا. وَالْمَشْقُوقُ بَدَنُهُ يُقَالُ لَهُ: «جَرِيحٌ». وَمَا يَصِيدُ مِنَ الطَّيْرِ وَالسَّبَاعِ وَالْكَلابِ يُسَمَّى «جَارِحًا» وَالْجَمْعُ «جَوَارِحٌ».

وَجَاءَتْ عِبَارَةٌ: ﴿بِالنَّهَارِ﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْكَسْبَ الْأَفْضَلَ هُوَ مَا كَانَ بِالنَّهَارِ، لِيَكُونَ اللَّيْلُ لِلرَّاحَةِ وَالسُّكُونِ، وَهُوَ الْمَوَافِقُ الْمَلَائِمُ لِنِظَامِ حَيَاةِ النَّاسِ، وَمَا فَطَرَ اللَّهُ أَجْسَادَهُمْ عَلَيْهِ.

• ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾: أَيُّ: ثُمَّ بَعْدَ نَوْمٍ يَطُولُ أَوْ يَقْصُرُ يَبْعَثُكُمْ مِنْ نَوْمِكُمْ وَأَفْضَلُهُ مَا يَكُونُ فِي النَّهَارِ الَّذِي يَبْدَأُ مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، بِإِعَادَةِ الْإِتِّصَالِ التَّامِّ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ، إِذْ كَانَ بَيْنَهُمَا انْفِصَالٌ جُزْئِيٌّ فِي حَالَةِ النَّوْمِ كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالنَّوْمِ.

وهكذا دَوَّالَيْكُمْ تَسْتَمِرُّ ظَاهِرَتَا تَوَفِّيْكُمْ وَبَعْثِكُمْ مِنْ نَوْمِكُمْ طَوَالَ رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

• ﴿... لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى...﴾: أَيُّ: لِيُنْهَىٰ أَجَلٌ مَعْلُومٌ مَسَمًّى بِوَحْدَاتِهِ الزَّمَنِيَّةِ، حَتَّىٰ آخِرِ وَحْدَةٍ مِنْهُ الَّتِي يَكُونُ بَعْدَهَا مَوْتُكُمْ.

المرادُ بِالْأَجَلِ هُنَا مُدَّةُ حَيَاةِ كُلِّ إِنْسَانٍ مُّحَدَّدَةٌ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ.

• ﴿... ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ...﴾: أَيُّ: ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةِ الْبَرَزَخِ الَّتِي تَكُونُ فِيهِ أَجْسَادُكُمْ تُرَابًا كَمَا كَانَتْ قَبْلَ خَلْقِكُمْ، يَبْعَثُكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ مَوْتِكُمْ، فَيُنَبِّتُ أَجْسَادَكُمْ، وَيَرُدُّ أَرْوَاحَكُمْ إِلَىٰ نُفُوسِكُمْ، وَيُرْجِعُكُمْ إِلَىٰ الْحَيَاةِ مَرَّةً

أُخْرَى، لَتُحْشَرُوا إِلَىٰ جِهَةٍ مَّحْكَمَةِ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ الَّتِي يُقِيمُهَا لَكُمْ.

• ﴿... ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٦٠): أي: ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ تَكُونُونَ فِيهَا فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ، يُقِيمُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي مَحْكَمَتِهِ حِسَابَهُ، وَفَضْلَ الْقَضَاءِ بِشَأْنِهِ، لِيَكُونَ جَزَاؤُهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْعَدْلِ أَوْ بِالْفَضْلِ عَلَىٰ وَفْقِ قَضَائِهِ جَلَّ جلاله.

جاء التَّعْيِيرُ عَنِ الْحِسَابِ وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، بِذِكْرِ بَعْضِ مَا يَجْرِي فِي الْمَحَاكِمَةِ الرَّبَّانِيَةِ، وَهُوَ إِخْبَارُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْعِبَادِ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، وَهَذَا مِنَ الْكِنَايَاتِ الَّتِي تَكَرَّرَتْ نَظَائِرُهَا فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، إِذْ يُذَكَّرُ بَعْضُ عَنَاصِرِ الْحَدَثِ، أَوْ بَعْضُ أَجْزَائِهِ، لِيَدُلَّ عَلَىٰ سَائِرِ الْعَنَاصِرِ أَوْ الْأَجْزَاءِ.

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ (٦١) ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (٦٢):

• ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ...﴾: أي: والله هُوَ وَحْدَهُ لَا غَيْرَهُ. الْقَاهِرُ الْغَالِبُ بِالْجَبْرِ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ لِمَا وَلِمَنْ شَاءَ أَنْ يَجْعَلَهُ مَجْبُورًا بِالْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ عَلَىٰ أَمْرِ مَا، كَالْإِمَاتَةِ وَالْإِحْيَاءِ، وَكُلُّ مَا يَكُونُ الْكَائِنُ الْحَيُّ مَجْبُورًا فِيهِ.

الْقَهْرُ: هُوَ فِي اللَّعَةِ الْأَخْذِ مِنْ فَوْقَ، وَالْمَقْهُورُ: هُوَ الْمَأْخُودُ مِنْ غَيْرِ رِضَاهٍ، فَفِي الْقَهْرِ مَعْنَى الْجَبْرِ الَّذِي يَكُونُ مَعَهُ الْمَجْبُورُ مَسْلُوبَ الْإِرَادَةِ، فَيَجْرِي فِيهِ مُرَادُ اللَّهِ رَاغِبًا أَوْ كَارِهًا.

• ﴿... فَوْقَ عِبَادِهِ...﴾: أي: لله الْفَوْقِيَّةُ الدَّائِمَةُ إِذْ هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ وَمَنْ سِوَاهُ دُونَهُ جَلَّ جلاله وَعَظَّمَ سُلْطَانَهُ. وَعِبَادُ اللَّهِ



هُمُ الْمَمْلُوكُونَ لَهُ بِمَقْتَضَى خَلْقِهِ لَهُمْ، وَرُبُوبِيَّتِهِ لَهُمْ دَاوَمًا، وَيَدْخُلُ فِي عُمُومِ عِبَادِ اللَّهِ الْمَلَائِكَةُ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ.

وجاء بيان أَنَّ اللَّهَ هُوَ وَحْدَهُ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ مُنَاسِبًا لِمَا جَاءَ قَبْلَهُ مِنْ بَيَانِ التَّوْقِي بِالنَّوْمِ أَوْ بِالْمَوْتِ، وَالْبُعْثُ بِالْإِقَاطِ أَوْ بِالْإِحْيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

• ﴿... وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً...﴾: أي: وَيُرْسِلُ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مَلَائِكَةً حَفَظَةً.

**حَفَظَةٌ:** جمع «حَافِظ» وهو الحارسُ المراقِبُ القائمُ بوظائفِ الحراسةِ المأمُورِ بها مِنْ قَبْلِ مَنْ جَعَلَهُ حَارِسًا.

وَالْمَلَائِكَةُ الْحَفَظَةُ: مِنْهُمْ مَنْ يُرَاقِبُونَ أَعْمَالَ الْعِبَادِ وَيُسَجِّلُونَهَا فِي صُحُفِ أَعْمَالِهِمْ، لِعَرْضِهَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ الدِّينِ، وَلَا سِيَّمَا عِنْدَ الْحِسَابِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْفَظُونَ النَّاسَ مِنَ الْمَخَاطِرِ وَالْمُؤْذِيَّاتِ الْكَثِيرَاتِ فِي الْكَوْنِ، إِلَّا مَا فِيهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَضَاءٌ وَقَدَرٌ، وَهَذَا مِنْ ضِمْنِ الْأَنْظِمَةِ السَّبَبِيَّةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ فِي كَوْنِهِ.

وَالْجُمْلَةُ تُصْلَحُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَيْنِ، وَإِنْ كَانَتْ عِبَارَةً ﴿عَلَيْكُمْ﴾ مَلَائِمَةً لِمَعْنَى مُرَاقَبَةِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ الْمُتَحَنِّينَ وَتَسْجِيلِهَا، أَمَّا مَعْنَى الْحِفْظِ مِنَ الْمَخَاطِرِ الَّذِي تُوجِي الْآيَةُ بِأَنَّهُ مُرَادٌ أَيْضًا، فَتَقَدَّرُ فِي الْعِبَارَةِ مَا يُلَائِمُهُ، فنقول: وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ حَفَظَةً. أَوْ: وَيُرْسِلُ مَلَائِكَةً تُهَيِّمُنْ عَلَيْكُمْ بِمُرَاقَبَتِكُمْ وَتَسْجِيلِ أَعْمَالِكُمْ، وَبِحِمَايَتِكُمْ وَحِفْظِكُمْ مِنَ الْمَخَاطِرِ وَالْمُؤْذِيَّاتِ الْمُنْبَثَّةِ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ.

• ﴿... حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ (٦١):

أي: وَيَسْتَمِرُّ إِرْسَالُ الْحَفَظَةِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ حَتَّىٰ وَفَّتْ مَجِيءُ تَفْيِيزِ إِمَاتَتِهِ فِي أَجَلِهِ، حِينَئِذٍ تَتَوَفَّاهُ رُسُلُنَا الْمَلَائِكَةُ الْمَأْمُورَةُ

بِفَضْلِ رُوحِهِ عَنِ نَفْسِهِ فَضْلاً كَثِيراً، وَهُمْ لَا يُقَرِّطُونَ بِوَاجِبٍ أَوْجَبْنَاهُ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِأَحْدَاثِ إِمَاتَتِهِ، وَالْأَحْدَاثِ الْمُرَافِقَةِ لِإِمَاتَتِهِ، فَلَا يُقْصِرُونَ بِأَدَاءِ أَمْرِ وَاجِبٍ وَلَا يُضَيِّعُونَهُ.

**التفريط: التقصير والتضييع.**

وَالرُّسُلُ الْمَكْلُفُونَ إِمَاتَةَ النَّاسِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ هُمْ غَيْرُ الْحَفْظَةِ.

وجاء في سورة (السجدة/ ٣٢ مصحف/ ٧٥ نزول) قول الله عز وجل:

﴿قُلْ يَتُوفَنَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾.

فَدَلَّ ظَاهِرُ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ وَاحِدٌ، وَلَكِنْ يُمَكِّنُ حَمْلُ لَفْظِ «مَلَكَ الْمَوْتِ» عَلَى فَرِيقٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ هَذِهِ الْوَظِيفَةُ، وَقَدْ جَاءَ فِي أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ إِطْلَاقُ لَفْظِ «مَلَكَ» عَلَى فَرِيقٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، كإِطْلَاقِ الْمَفْرَدِ التَّكْرَرِ عَلَى الْجِنْسِ، وَعَلَى هَذَا فَالْمَعْنَى مُطَابِقٌ لِمَعْنَى ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وَعَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَيْهِ بِالْإِفْرَادِ رُوعِي فِيهِ لَفْظُهُ الْمَفْرَدُ.

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي عُبَاسٍ أَنَّ لِمَلَكَ الْمَوْتِ أَعْوَاناً، وَلَمْ يَرِدْ فِي بَيَانِ نَبِيِّ أَنَّ اسْمَهُ: «عِزْرَائِيلَ».

﴿وُكِّلَ بِكُمْ﴾: أَي: كُتِّلَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ، فَالْمُرَادُ بِالتَّوَكُّيلِ هُنَا التَّكْلِيفُ.

• ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: أَي: ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةِ الْبَرَزْخِ تُبْعَثُونَ إِلَى الْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى، لِتُلَاقُوا حِسَابَ رَبِّكُمْ، وَفَضْلَ قَضَائِهِ، وَتَنْفِذَ جَزَائِهِ.

• ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ ۚ لَا لَهُ الْحُكْمُ ۚ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿١٢﴾﴾:

أَي: ثُمَّ بَعْدَ الْبَعْثِ إِلَى الْحَيَاةِ الْأُخْرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرَدُّ الْمُبْعُوثُونَ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضُوعِينَ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، إِلَى مُلَاقَاةِ اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ.

• ﴿مَوْلَاهُمْ﴾: أي: رَبَّهُم الَّذِي خَلَقَهُمْ لِيَبْلُوَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، وَشَمَلَهُمْ طَوَالَ وُجُودِهِمْ بِصِفَاتِ رَبُوبِيَّتِهِ.

• ﴿الْحَقِّ﴾: أي: الثابت الذي لَا شَكَّ فِيهِ، وَهَذَا اللَّفْظُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ ثَابِتٌ لَا شَكَّ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ، فَالْبَرَاهِينُ الْحَقُّ دَالَّةٌ عَلَى أَرْلِيَّتِهِ وَأَبْدِيَّتِهِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ فِي رَبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ.

• ﴿آلَا﴾: أَدَاةُ اسْتِفْتَاكِحٍ، وَتَنْبِيهِ، وَتَحْقِيقٍ.

• ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾: أي: لَهُ الْقَضَاءُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهُ فَضْلُ الْقَضَاءِ يَوْمَ الدِّينِ بَيْنَ الْعِبَادِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضُوعِينَ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ.

• ﴿...﴾ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾: لَمَّا كَانَ الْحُكْمُ عَلَى الْعِبَادِ يَوْمَ الدِّينِ يَفْتَضِي أَنْ يَكُونَ مَسْبُوقًا بِمُحَاسَبَتِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَمَّا كَانَ النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ قَدْ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ مُحَاسَبَةَ النَّاسِ الَّذِينَ وَجِدُوا مِنْ عَهْدِ آدَمَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ تَحْتَاجُ أَرْمَانًا طَوِيلَةً جَدًّا، فَمَنْ تَأَخَّرَ مِنْهُمْ حِسَابُهُ طَالَ دُونَ نُظْرَائِهِ انْتِظَارُهُ، كَانَ مِنَ الْمُنَاسِبِ أَنْ يَصِفَ اللَّهُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ. فَهُوَ إِذَا شَاءَ حَاسِبَ عِبَادَهُ جَمِيعًا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، كَمَا هُوَ مُهَيِّمٌ بِرَبُوبِيَّتِهِ عَلَى كُلِّ ذَرَّةٍ فِي كَوْنِهِ عَلَى تَوَالِي أَصْغَرِ الْوَحْدَاتِ الزَّمَنِيَّةِ تَسْيِيرًا وَتَضَرِيفًا وَإِمْدَادًا وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وبهذا تَمَّ تدبُّر الدرس الثالث عشر من دُرُوس سورة (الأنعام).

والحمد لله على معونته ومدِّهِ وتوفيقه وفتحهِ.



(١٨)

## التدبر التحليلي للدرس الرابع عشر من دروس سورة (الأنعام) الآيات من (٦٣ - ٦٦)

قال الله عز وجل:

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسَكُمْ لِسِنَاسٍ وَيُزِيلَ بَعْضَكُمْ مِنْ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرْتُ الْأَلَيْتَ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾ .

### القراءات:

(٦٣) • قرأ يعقوب: [قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ] مِنْ فعل: «أَنْجَى يُنَجِّي» .

وقرأها باقي القراء العشرة: [قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ] مِنْ فعل: «نَجَّى يُنَجِّي» .

والقراءتان متكافئتان، فالمهموز أخو المُضَعَّف.

(٦٣) • قرأ شُعْبَةُ: [وَخُفْيَةً] بِكَسْرِ الخاء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَخُفْيَةً] بِضَمِّ الخاء.  
«خُفْيَةً، وَخُفْيَةً» لُغَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ.

(٦٣) • قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخَلَفٌ: [لَئِنْ أَنْجَانَا] .

وقرأها باقي القراء العشرة: [لَئِنْ أَنْجَيْنَا] .

وبين القراءتين تكامل. إِذْ بَعْضُ النَّاسِ يُخَاطَبُونَ رَبَّهُمْ بِهَٰذَا، وَآخَرُونَ يَقُولُونَ: [لَئِنْ أَنْجَانَا] .

(٦٤) • قرأ نافع، وأَبْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو وَأَبْنُ ذَكْوَانَ، ويعقوب:

[قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ] مِنْ فعل: «أَنْجَى، يُنَجِّي» .

وقرأها باقي القراء العشرة: [قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ] من فعل: «نَجَّى»، يُنَجِّي». والقراءتان متكافئتان.

(٦٥) • قرأ السُّوسِي، وأبو جعفر: [بَاسَ] بإبدال الهمزة ألفاً.

وقرأها باقي القراء العشرة: [بَاسَ] بالهمزة الساكنة.

(٦٥) • قرأ أبو عمرو، وأَبْنُ ذَكْوَانَ، وعاصم، وحمزة بِكسر تنوين:

[بَعْضٍ أَنْظُرْ] في الوصل.

وقرأها باقي القراء العشرة بِضَمِّ تنوين: [بَعْضٌ أَنْظُرْ] في الوصل.

تمهيد:

آيات هذا الدرس من فروع السَّاقِ الثاني من ساقِي شَجَرَةِ موضوع السُّورَةِ.

وفيها تَعْلِيمٌ حِوَارٍ جَدَلِيٍّ، لانتِزاعِ اعْتِرَافِ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَجِيبُ دُعَاءَ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ الشُّوْءَ.

وَبَأَنَّهُ هُوَ الْقَادِرُ وَحْدَهُ عَلَى أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بِمَا يَشَاءُ مِنْ صُنُوفِ عِقَابٍ، وَلَا عَلَامِهِمْ بِأَنَّ الرَّسُولَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُمْ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ شَيْئاً، إِذَا قَضَى اللَّهُ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ، لِأَنَّهُ لَيْسَ وَكِيلاً عَلَيْهِمْ.

التدبر التحليلي:

■ قول الله تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُعَلِّماً فَقَرَّةً حِوَارِيَّةً لِلْمُشْرِكِينَ، وَيُلْحَقُ بِالرَّسُولِ كُلُّ حَمَلَةٍ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ:

• ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكَ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَنْجَلَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٣):

أي: قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِدَلِيلٍ تَجْرِييٍّ، ولانتِزاعِ اعترافِهِمْ بِالْحَقِّ:

مَنْ الَّذِي يُنَجِّيكُمْ مِنَ الْمَخَافِ الْتِي تُحِيطُ بِكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ؟!

إِنَّكُمْ لَا تَجِدُونَ حِينَئِذٍ إِلَّا اللَّهَ رَبَّكُمْ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً، قَائِلِينَ: نَقْسِمُ لَئِنْ أَنْجَانَا رَبُّنَا. مِنْ هَذِهِ الْكُرْبَةِ الْعَظِيمَةِ، لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ لَهُ، بِالْإِيمَانِ بِأَنَّهُ هُوَ الرَّبُّ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وبأنَّهُ هُوَ الْإِلَهُ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وبأَعْمَالِ تَعَبَّرَ عَنْ صِدْقِ إيماننا، وَعَنْ صِدْقِ إِسلامنا له. وبحسب القراءة الأخرى: رَبَّنَا نقسم لئن أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ...

يُنَجِّيكُمْ وَيُنَجِّيكُمْ: أي: يُخَلِّصُكُمْ، وَيَكْشِفُ عَنْكُمْ كُرْبَتَكُمْ.

• ﴿مَنْ ظَلَمْتَ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ﴾: أي: مِنْ كُرْبَاتٍ تُحِيطُ بِكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ. دَعَا إِلَى إِبْرَازِ هَذِهِ الْمُطَوِّيَّاتِ فِي النَّصِّ أَنَّ الظُّلُمَاتِ وَحْدَهَا لَا تُحَدِّثُ الْكُرْبَاتِ الْعُظْمَى مِنَ الْمُرْهَبَاتِ الْمُخِيفَاتِ، مَا لَمْ تَكُنْ فِيهَا هَذِهِ الْمُرْهَبَاتِ الْمُخِيفَاتِ.

• ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾: أي: تَسْأَلُونَهُ حَالَةَ كَوْنِكُمْ مُتَضَرِّعِينَ لَهُ، وَفِي خَفَاءٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، لِيَكُونَ دُعَاؤُكُمْ أَرْجَى لاسْتِجَابَتِهِ.

النَّضْرُ: التَّذَلُّلُ والخُضُوعُ، مَأْخُودٌ مِنْ خُضُوعٍ وَلَدِ الْبَهِيمَةِ، لِيَمْتَصَّ حَلِيبَ أُمِّهِ مِنْ ضَرْعِهَا.

وَالْخُفْيَةُ: مَصْدَرُ: «خَفَى الشَّيْءُ»، يَخْفَى، خَفَاءً، وَخُفْيَةً، وَخُفْيَةً، فَهُوَ خَفِيٌّ، وَخَافٍ أي: اسْتَتَرَ فَلَمْ يَظْهَرْ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ سُؤَالَ اللَّهِ مِنْ عُمَقِ الْقُلُوبِ فِي الْخَفَاءِ أَرْجَى لاسْتِجَابَتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهَذَا مِنَ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ فِي الدُّعَاءِ. أَمَّا الْجَهْرُ بِالدُّعَاءِ فَفِيهِ رَائِحَةُ سُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى.

• ﴿لَيْنَ أُنَجِّنَا مِنْ هَٰذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: اللَّامُ فِي «لَيْنَ» وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ قَسَمٍ مَنَوِيٍّ.

﴿مِنْ هَٰذِهِ﴾: أَي: مِنْ هَٰذِهِ الْكُرْبَاتِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا.

﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: جَوَابُ الشَّرْطِ فِي: ﴿لَيْنَ أُنَجِّنَا﴾. وَالْمُرَادُ بِالشُّكْرِ هُنَا الْإِيمَانُ الصَّحِيحُ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَإِلَهِيَّتِهِ اللَّتَيْنِ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي كُلِّ مِنْهُمَا، مَعَ أَعْمَالٍ خَالِصَةٍ لِلَّهِ تُعَبَّرُ عَنْ صِحَّةِ الْإِيمَانِ وَصِدْقِهِ.

أَصْلُ مَعْنَى الشُّكْرِ: مُقَابَلَةُ الْعَمَلِ الْحَسَنِ بِمَا يُرْضِي الْعَامِلَ، وَاللَّهُ يُرْضِيهِ مِنْ عِبَادِهِ فِي مُقَابِلِ إِنْْعَامَاتِهِ عَلَيْهِمْ، أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ إِيمَانًا صَحِيحًا صَادِقًا، وَيَحْمَدُوهُ، وَيَعْبُرُوا عَنْ صِدْقِ إِيمَانِهِمْ بِأَعْمَالٍ أَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ فِيهَا، وَبِتَرْكِ أَعْمَالٍ نَهَاَهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ فِيهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي مُتَابَعَةِ التَّعْلِيمِ السَّابِقِ:

• ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾: ﴿٦٤﴾

أَي: قُلْ لَهُمْ سَوَاءٌ اعْتَرَفُوا أَمْ لَمْ يَعْتَرِفُوا: اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْ هَٰذِهِ الْكُرْبَاتِ الَّتِي قَدْ تَحِيْطُ بِكُمْ مَخَافَتُهَا وَمُرْهَبَاتُهَا، إِذَا دَعَوْتُمُوهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، ثُمَّ أَنْتُمْ بَعْدَ أَنْ يُنَجِّيكُمْ وَتَجِدُونَ أَنَّكُمْ آمِنُونَ مِنَ الْمَخَافِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ أَحَاطَتْ بِكُمْ، تَعُودُونَ إِلَى شُرَكَيَّاتِكُمْ، وَتَنْسَوْنَ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ أَفْسَمْتُمْ لِرَبِّكُمْ بِأَنْ تَكُونُوا شَاكِرِينَ لَهُ، فَلَا تُشْرِكُوا بِرُبُوبِيَّتِهِ وَلَا بِإِلَهِيَّتِهِ شَيْئًا.

الْكَرْبُ: الْعُجْمُ الشَّدِيدُ الَّذِي يَأْخُذُ بِالنَّفْسِ، كَأَنَّ حَبْلًا ضَاغِطًا شَدَّ عَلَيْهَا. أَصْلُ اللَّفْظِ مَاخُودٌ مِنْ كَرْبِ الْحَبْلِ، وَهُوَ فَتْلُهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْفَتْلَ يَجْعَلُ الْأَجْزَاءَ تَتَضَاعَطُ فَتَوَلِّمَ ذَا الْحَسِّ إِذَا كَانَ الْفَتْلُ فِي جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهِ، أَوْ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُعَلِّمًا فَقَرَّةٌ دَعْوِيَّةٌ يَشْرَحُهَا لِلْمُعَالَجِينَ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَيُلْحَقُ بِالرَّسُولِ كُلُّ حَمَلَةٍ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ، وَالْغَرَضُ مِنْهَا الْإِنذَارُ وَالتَّحذِيرُ بِأَسْلُوبِ الْإِخْبَارِ.

● ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْسَكُمْ شَيْعًا وَيُنَزِّلَ بَعْضُكُم مِّنَ السَّمَاءِ يَكْفِيكُمْ سِجِيلًا﴾ (٦٥) ﴿يَفْقَهُونَ﴾ :

أي: قُلْ لِلْمُعَالَجِينَ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ. اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يُعَاقِبَكُمْ عَلَى شِرْكِكُمْ وَكُفْرِكُمْ، وَجَرَائِمِكُمْ، فَيَبْعَثَ عَلَيْكُمْ وَسَائِلَ عَذَابٍ لَكُمْ، لِكَيْ يَهْلِكَكُمْ رَغْبَةً فِي أَنْ تَسْتَغْفِرُوهُ وَتَتُوبُوا إِلَيْهِ، وَتُؤْمِنُوا إِيمَانًا صَاحِحًا، وَتَعْمَلُوا عَمَلًا صَالِحًا، فَيَجْعَلَكُمْ مِنَ النَّاجِينَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ، وَمِنَ الْفَائِزِينَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

وَوَسَائِلُ الْعَذَابِ هَذِهِ:

● قَدْ تَأْتِيكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ، كَمَا أَمْطَرَ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ حَجَارَةً مِنْ سَجَّيلٍ.

● وَقَدْ تَأْتِيكُمْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ كَبُرْكَانَاتٍ يُفَجِّرُهَا مِنْ بَاطِنِ الْأَرْضِ، فَتَذُوقُونَ بِهَا عَذَابًا شَدِيدًا، وَيُهْلِكُكُمْ بِهَا.

● وَقَدْ يَجْعَلُكُمْ شَيْعًا مُتَعَادِيَةً مُتَقَاتِلَةً، قَدْ اخْتَلَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَبِذَلِكَ يَذُوقُ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، فَكُلُّ شَيْعَةٍ مِنْكُمْ تَذُوقُ بَأْسًا مِنَ الشَّيْعَةِ الْمُضَادَّةِ الْمُعَادِيَةِ لَهَا.

الْبُعْثُ: الْإِرْسَالُ لِتَأْدِيَةِ مَطْلُوبٍ مَا لِلْبَاعِثِ.

● ﴿عَلَيْكُمْ﴾ فِي هَذَا التَّعْبِيرِ مَعْنَى التَّسْلِيْطِ عُقُوبَةً وَانْتِقَامًا.

● ... عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْضِكُمْ ... : أي: وَسَائِلَ



تَعَذِّيبَ لَكُمْ، تُصَبُّ عَلَيْكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ، أَوْ تُفَجَّرُ عَلَيْكُمْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ.

• ﴿أَوْ يَلْسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ...﴾:

• ﴿يَلْسَكُمْ﴾: أي: يَخْلِطُكُمْ. اللَّبْسُ: خَلْطُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ، أَوْ أَمْرٍ بِأَمْرٍ.

• ﴿شَيْعًا﴾: أي: حَالَةَ كَوْنِكُمْ شَيْعًا مُتَضَادَّةً، مُتَعَادِيَةً، مُتَقَاتِلَةً.

الواحدة: «شَيْعَةٌ» وهي الجماعة من الناس الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ عَلَى أَمْرٍ مَا، وَالْغَالِبُ فِي الشَّيْعَةِ أَنْ يَنَاصِرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِيمَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، وَيُعَادُوا مُخَالِفِيهِمْ.

البأس: الْعَذَابُ الشَّدِيدُ، وَالشَّدَّةُ فِي الْحَرْبِ.

إِنَّ ظَاهِرَةَ الشَّيْعِ الْبَشَرِيَّةِ، الَّتِي تَتَقَاتَلُ فِيمَا بَيْنَهَا، وَيَذُوقُ بَعْضُ الْمُتَقَاتِلِينَ فِيهَا بَأْسَ بَعْضٍ، ظَاهِرَةٌ مُتَكَرِّرَةٌ فِي التَّارِيخِ الْإِنْسَانِيِّ، وَهِيَ مِنْ وَسَائِلِ الْعُقُوبَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ لِلخَارِجِينَ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ. وَمِنْ أُمُثْلَتِهَا الْحُرُوبُ بَيْنَ الشُّعُوبِ وَالْأَقْوَامِ وَالْأُمَمِ، وَالْحُرُوبُ الْأَهْلِيَّةُ ذَوَاتُ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ لِلْأَفْرَادِ وَالْأَسْرِ وَالْجَمَاعَاتِ.

فَلَيْسَتْ كُلُّ عُقُوبَاتِ اللَّهِ عَوَاصِفَ وَقَوَاصِفَ وَفَيَاضَانَاتٍ وَزَلَازِلَ وَبَرَائِكِينَ، بَلْ مِنْ عُقُوبَاتِ اللَّهِ أَيْضًا إِغْرَاءُ بَعْضِ النَّاسِ لِلتَّسَلُّطِ عَلَى بَعْضٍ، بِالْقُوَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ، تَعَذِّيبًا، وَإِذْلَالًا، وَسَلْبًا وَنَهْبًا، وَقَتْلًا. وَلَوْ أَنَّهُمْ التَّرَمَّوْا صِرَاطَ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ مُؤْمِنِينَ مُسْلِمِينَ، لَعَاشُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا آمِنِينَ، وَلَدَخَلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً.

• ﴿...﴾: أَنْظِرْ كَيْفَ تُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ ﴿١٥﴾: أي: انْظُرْ

أَيْهَا النَّاطِرُ الْمُتَفَكِّرُ كَيْفَ نُنَوِّعُ آيَاتِنَا الْبَيَانِيَّةَ، إِفْنَاعًا بِالْحَقِّ، وَمُجَادَلَةً بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَحِوَارًا هَادِيًا، وَتَرْغِيًا وَتَرْهِيًا، رَغْبَةً مِنَّا فِي أَنْ يَفْقَهُوا تَعَالِيمَ

دِينَنَا الَّذِي اصْطَفَيْنَاهُ لِعِبَادِنَا، وَيَفْقَهُوا الْعَايَةَ مِنْ خَلْقِهِمْ، وَوَاجِبَهُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالذَّارَ الْآخِرَةَ الْمُعَدَّةَ لِمَحَاسِبَتِهِمْ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ، وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ.

**التَّصْرِيفُ:** التنويعُ، واتخاذُ مُخْتَلِفِ الوجوه الممكنة لِقَطْعِ أَعْذَارِ الْمُتَعَلِّلِينَ بِالتَّعْلَلَاتِ، الَّتِي يَتَّخِذُونَهَا مَعَاذِيرَ لِسَرِّ بَاطِلِهِمْ، وَمَجَافَاتِهِمْ لِلْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْهُدَى.

**الْفَقْهُ:** يُسْتَعْمَلُ الْفَقْهُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْعِلْمِ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ وَبِوَاطِنِهَا، وَخَفَايَاها وَدَقَائِقِهَا، وَالْبَحْثِ عَنْهَا لِلتَّوَصُّلِ إِلَى مَعْرِفَتِهَا.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَفْقَهُ حَقَائِقَ دِينِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، كَانَ أَقْرَبَ لِلِاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَتِهِ، وَالتَّزَامِ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ.

■ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُعَلِّمًا:

• ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿٦٦﴾ :

أَي: وَكَذَّبَ بِالْقُرْآنِ، وَبِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ إِنْذَارٍ بِعَذَابِ اللَّهِ الْمَعْجَلِ وَالْمُؤَجَّلِ، قَوْمُكَ يَا مُحَمَّدٌ، وَهُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ وَكَثِيرٌ مِنْ عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ، الَّذِينَ تَحَرَّصُوا عَلَى إِيْمَانِهِمْ، وَتَحْزَنُ عَلَيْهِمْ، وَالْحَالُ أَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ.

وَبِمَا أَنَّهُمْ مُسْتَقْبِقُونَ بِأَنَّهُ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ بَايَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ، فَقَدْ يَخْطُرُ فِي بَالِ بَعْضِهِمْ، أَنَّ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا سَيَذَرُ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ، لِأَنَّهُمْ قَوْمُهُ وَعَشِيرَتُهُ الْأَقْرَبُونَ، بِدَافِعِ عَاطِفَةِ الْقَرَابَةِ وَالنَّسَبِ، فَجَاءَ فِي التَّعْلِيمِ: ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾: أَي: فَأَنَا لَا أَفِيكُم وَلَا أَحْمِيكُم مِنْ عَذَابِ رَبِّكُمْ، الَّذِي تَسْتَحِقُّونَهُ بِشُرُكِكُمْ وَكُفْرِكُمْ، وَجَرَائِمِكُمُ الَّتِي هِيَ مِنْ لَوَازِمِ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ فِي السُّلُوكِ، لِأَنِّي لَسْتُ وَكِيلًا عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مُبَلِّغٌ عَنْ رَبِّي مَا يَأْمُرُنِي بِتَبْلِيغِهِ، وَأَنْتُمْ ذَوُو إِرَادَاتٍ حُرَّةٍ مُخْتَارَةٍ، مَوْضُوعُونَ فِي

الحياة الدنيا مَوْضِعَ الْإِبْتِلَاءِ، وَلَسْتُمْ كَقَطِيعِ أَعْنَامٍ تُسَاقُونَ مِنْ قَبْلِ رَاعِيكُمْ الْوَكِيلِ عَلَيْكُمْ، وَالْمَسْئُولِ عَنْ حِمَايَتِكُمْ وَطَعَامِكُمْ وَشَرَابِكُمْ وَحِمَايَتِكُمْ مِمَّا يَضُرُّكُمْ وَيُؤْذِيكُمْ، إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ نَفْسِهِ مَسْئُولِيَّةً شَخْصِيَّةً، فَلَا أَحْمِيَكُمْ وَلَا أَجْبِرُكُمْ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الرابع عشر من دروس سورة (الأنعام).  
والحمد لله على معونته ومدَّه وتوفيقه وفتحته.



(١٩)

### التدبر التحليلي للدرس الخامس عشر من دروس سورة (الأنعام) الآيات من (٦٧ - ٧٠)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿لِكُلِّ نَبَلٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٦٧) وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي عَائِلَتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُبْسِتْكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُوتُ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِى لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتَهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا سَفِيعٌ وَإِنْ تَعِدْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُوْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾:

القراءات:

(٦٨) • قرأ ابن عامر: [يُنْسِيَنَّكَ] مِنْ فِعْلٍ: «نَسَى يُنْسِي» المضعف.

وقراها باقي القراء العشرة [يُنْسِيَنَّكَ] من فعل: «أَنَسَى يُنْسِي»

المهموز.

والقراءتان مُتَكَافِئَتَانِ، فالمضعف أخو المهموز.

## تمهيد:

آيَاتُ هَذَا الدَّرْسِ مِنْ فُرُوعِ السَّاقِ الْأَوَّلِ مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ.

وفيها بيان مُبَاشِرٌ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ مَا يَلِي:

(١) لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ.

(٢) يَأْمُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ بِأَسْلُوبِ خِطَابِ الرَّسُولِ بِأَنْ يُعْرِضَ عَنِ الَّذِينَ يَنَالُونَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ بِمَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ طَعْنٍ وَتَجْرِيحٍ، مَعَ مُتَمَمَّاتٍ لِهَذَا الْبَيَانِ.

(٣) الْأَمْرُ بِتَرْكِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا.

(٤) التَّذْكِيرُ بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ إِنْذَارَاتٍ بِعَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ.

## التدبر التحليلي:

■ قول الله تعالى:

• ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (١٧):

النَّبَأُ: الْخَبَرُ ذُو الشَّانِ وَالْخَطَرِ.

مُسْتَقَرٌّ: هَذِهِ الصِّيغَةُ تَأْتِي اسْمَ زَمَانٍ، وَاسْمَ مَكَانٍ، وَمَصْدَرًا مِيمِيًّا. وَمَعْنَى الْاسْتِقْرَارِ: التَّحَقُّقُ وَالثُّبُوتُ. وَأَرَى مِنْ حُسْنِ التَّدْبِيرِ حَمْلَ لَفْظِ «مُسْتَقَرٌّ» عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ. وَسَوَابِقُ هَذِهِ الْآيَةِ تُشْعِرُ بِأَنَّ الْأَنْبَاءَ هِيَ أَنْبَاءُ الْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ يَوْمَ الدِّينِ.

فَالْمَعْنَى: لِكُلِّ نَبِيٍّ جَاءَ الْإِخْبَارُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ، مِنْ الْأَنْبَاءِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ، ثُبُوتٌ وَتَحَقُّقٌ فِي زَمَانٍ وَمَكَانٍ مَعْلُومَيْنِ مُحَدَّدَيْنِ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمَكْذُوبُونَ بِهَذِهِ الْأَنْبَاءِ حِينَمَا تُشَاهِدُونَ تَحَقُّقَهَا فِي الْوَاقِعِ الَّذِي سَوْفَ يَكُونُ لَا مَحَالَةَ.

■ قول الله تَعَالَى خِطَاباً لِّكُلِّ مُسْلِمٍ بِأُسْلُوبِ خِطَابِ الرَّسُولِ ﷺ:

● ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْ ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾:

﴿يَخُوضُونَ﴾: أَصْلُ الْخَوْضِ الْمَشْيُ فِي الْمَاءِ وَتَحْرِيكُهُ، وَهَذِهِ حَرَكَةٌ تَجْعَلُ الطَّيْنَ وَالْمُتْرَسَّاتِ فِي أَسْفَلِ الْمَاءِ تَخْتَلِطُ فِيهِ، فَيَصِيرُ عَكْرًا كَدِرًا، وَالْمَطْلُوبُ فِي الْمَاءِ لَا سَتَعْمَالِ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ صَافِيًا.

وَمِنَ التَّوَسُّعِ فِي اللَّغَةِ اسْتِعْمَالُ الْخَوْضِ بِمَعْنَى اللَّبْسِ فِي الْأَمْرِ، وَبِمَعْنَى التَّلَبُّسِ فِيهِ، وَالتَّصَرُّفِ فِيهِ.

وَيُقَالُ: خَاضَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ، أَي: خَلَطَهُ بِهِ. وَالْخَوْضُ مِنَ الْكَلَامِ مَا فِيهِ الْكَذِبُ وَالْبَاطِلُ.

وَاسْتُعْمِلَ التَّخَوُّضُ فِي مَالِ اللَّهِ، بِمَعْنَى التَّصَرُّفِ فِيهِ بِمَا لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ.

وَمَعْنَى: ﴿يَخُوضُونَ فِيْ ءَايَاتِنَا﴾: أَي: يَطْعَنُونَ فِيهَا، وَيَسْخَرُونَ مِنْهَا، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهَا، مُعْلِنِينَ كُفْرَهُمْ بِهَا.

فَالْمَعْنَى الَّذِي نَفْهَمُهُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخَاطَبُ كُلَّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٍ إِفْرَادِيًّا، بِأُسْلُوبِ خِطَابِ الرَّسُولِ بِاعْتِبَارِهِ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَمَضْمُونُ الْخِطَابِ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٍ، إِذَا رَأَى فِي مَجْلِسِهِ أَوْ سَمِعَ قَوْمًا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهَا، أَنْ يُعْرِضَ عَنْهُمْ وَلَا يَجْلِسَ مَعَهُمْ، وَلَوْ مِنْ أَجْلِ دَعْوَتِهِمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِ الْحَدِيثِ الَّذِي كَانُوا يَخُوضُونَ فِيهِ كُفْرًا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاسْتَهْزَاءً بِهَا. وَإِذَا وَجَدَ نَفْسَهُ أَنَّ الشَّيْطَانَ أَنْسَأَهُ الْإِعْرَاضَ عَنْهُمْ فَلَمْ يَدِرْ وَجْهَهُ وَلَمْ يُعْلِنْ كَرَاهِيَّتَهُ لِحَدِيثِهِمْ بِصُورَةٍ عَمَلِيَّةٍ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَقْعُدَ بَعْدَ التَّذَكُّرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهَا.

**الإِعْرَاضُ:** هُوَ إِعْطَاءُ الْعَارِضِ وَهُوَ الْجَانِبُ، إِعْلَانًا عَنِ الْإِنْصِرَافِ النَّفْسِيِّ وَالْكَرَاهِيَةِ، وَهُوَ وَسْطُ بَيْنِ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ.

**الذِّكْرَى:** اسْمٌ بِمَعْنَى التَّذْكِيرِ، وَبِمَعْنَى التَّذْكَرِ. وَالْمَلَائِمُ هُنَا الْمَعْنَى الثَّانِي، وَهُوَ التَّذْكَرُ الْمَقَابِلُ لِلنِّسْيَانِ.

ووصَفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِهِ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ ظَالِمُونَ، أَي: هُمْ ظَالِمُونَ ظُلْمًا كَبِيرًا مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ الْإِجْرَامِيِّ الشَّنِيعِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْعَهْدِ الْمَدَنِيِّ فِي سُورَةِ (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نُزُول) إِحَالَةً عَلَى مَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، حِينَ ارْتَكَبَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ ظَاهِرًا وَأَكْثَرُهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، مَعْصِيَةَ الْجُلُوسِ مَعَ الْكَافِرِينَ مِنْ يَهُودٍ أَوْ مُشْرِكِينَ وَالِاسْتِمَاعَ إِلَى كُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ الْقَرَأَتِيَّةِ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا:

﴿بَشِّرِ الْمُتَفِفِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيبُنَّوْا عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَن إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مَثَلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَفِفِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝١٤٠﴾.

دَلَّتْ عِبَارَةٌ: ﴿أَنَّ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ عَلَى الْمُرَادِ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى الْمُحَالِ عَلَيْهِ فِي سُورَةِ (الأنعام/ ٥٥ نزول) الْمَكِيَّةِ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ فَاَلْمُرَادُ بِالْخَوْضِ بِالْآيَاتِ: الْكُفْرُ وَالِاسْتَهْزَاءُ بِهَا.

وَدَلَّتْ هَذِهِ الْإِحَالَةُ عَلَى أَنَّ خِطَابَ الرَّسُولِ فِي سُورَةِ (الأنعام) هُوَ خِطَابٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَنَقِيسٌ عَلَى هَذَا النَّصِّ كُلِّ خِطَابَاتِ الرَّسُولِ مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ خِصَائِصِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

وَدَلَّ النَّصُّ فِي سُورَةِ (النساء/ ٩٢ نزول) عَلَى الْمَطْوِيِّ فِي نَصِّ (الأنعام/ ٥٥ نزول).

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ﴾: أي: وإذا كُنْتَ قَاعِداً مع كَافِرِينَ، ورَأَيْتَهُمْ يَتَحَادَثُونَ وَسَمِعْتَهُمْ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا كُفْراً بِهَا وَاسْتِهْزَاءً بِهَا.

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٦٩):

أَرَىٰ أَنْ هَذِهِ الْآيَةَ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْوَجْهِ الثَّالِثِ مِنَ الْوُجُوهِ الْمُحْتَمَلَةِ الْمُتْرُوكَةِ لاختيارات المؤمنين المسلمين، الَّذِينَ يَسْمَعُونَ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا، فِي مَجْلِسٍ مَا:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: الإعراض الصَّريحُ الدَّالُّ عَلَى الْكَرَاهِيَةِ وَالِاسْتِنكَارِ. وهذا أَخَفُّ أَحْوَالِ الْإِنْكَارِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: الانْسِحَابُ مِنَ الْمَجْلِسِ بِمُفَارَقَتِهِ، مع الإِشْعَارِ بِسَبَبِ الْمُفَارَقَةِ.

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: الْمُعَارَضَةُ الصَّريحَةُ لِأَقْوَالِهِمْ وَخَوَضِهِمْ بِالْبَاطِلِ، وَمُجَاهَدَتُهُمْ دِفَاعاً عَنِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ، وَهَذَا مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهَذَا الْوَجْهُ هُوَ أَشَدُّ الْوُجُوهِ وَأَعْلَاهَا مَنَزَلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ.

وَيَبَيِّنُ لِهَذَا الْوَجْهِ جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (٦٩) فِيمَا أَرَىٰ.

فَالْمَعْنَى: وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ التَّأَثُّرَ بِخَوَضِهِمْ، وَيَتَّقُونَ التُّهْمَةَ بِالرِّضَا عَنْ كُفْرِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - بِأَسْلُوبِ الْمُشَارَكَةِ الصَّامِتَةِ، فَيَقُومُونَ بِمُجَاهَدَتِهِمْ بَيَاناً لِلْحَقِّ، وَدِفَاعاً عَنْ آيَاتِ اللَّهِ، مَا عَلَيْهِمْ مِنْ عَقُوبَاتِ الْخَائِضِينَ مِنْ شَيْءٍ، لِأَنَّهُمْ أَعْلَنُوا دِفَاعَهُمْ مُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَزَادُوا بِدِفَاعِهِمْ ثَبَاتاً عَلَى التَّمَسُّكِ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَلَوْ أَنَّ مُجَاهَدَتَهُمُ الْبَيَّانَةَ لِلْكَافِرِينَ الْوَقَحِينَ، الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ، قَدْ لَا

تُجْدِي فِي رَدْعِهِمْ عَمَّا يَخُوضُونَ فِيهِ، وَلَكِنْ قَدْ تَكُونُ تَذْكِيراً لَهُمْ بِمَا أَعْتَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْكَافِرِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِآيَاتِهِ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ الدِّينِ، مَعَ اخْتِمَالِ تَعْذِيبِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مَقْرُوناً هَذَا التَّذْكِيرُ بِرَجَاءِ أَنْ يَتَّقُوا عَذَابَ رَبِّهِمْ فَيَكْفُفُوا عَنْ خَوْضِهِمْ فِي آيَاتِهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - فَهَذَا الرَّجَاءُ يُعْطِي نَفْسَ مُجَاهِدِهِمْ قُوَّةً وَحِكْمَةً فِي اخْتِيَارِ الْأُسْلُوبِ الْمُنَاسِبِ لِإِقْنَاعِهِمْ، وَتَرْغِيهِمْ وَتَرْهِيهِمْ.

أُظْلِقْتُ عبارة ﴿حَسَابِهِمْ﴾ الَّتِي هِيَ فِقْرَةٌ مِنْ مُقَدِّمَاتِ عِقَابِهِمْ يَوْمَ الدِّينِ، لِنَدَلِّ بِأُسْلُوبٍ كِنَائِيٍّ عَلَى عِقَابِهِمْ.

ولفُظَ «مِنْ» فِي: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ زِيدَتْ لَتَوْكِيدِ عُمُومِ النَفْيِ فِي صَدْرِ الْآيَةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خُطَاباً لِلرَّسُولِ فَلِكُلِّ مُسْلِمٍ بِأُسْلُوبِ الْخُطَابِ الْإِفْرَادِي:

• ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْوَاً وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾:

سَبَقَ فِي الْمَلْحَقِ الرَّابِعِ مِنْ مَلَا حَقِ تَدْبِيرِ سُورَةِ (الأعراف/ ٣٩ نزول) دِرَاسَةً تَكَامُلِيَّةً لِلنُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ، الْمُتَعَلِّقَةِ بِالَّذِينَ اتَّخَذُوا الدِّينَ لَهْوَاً وَلَعِباً، وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>.

اللَّعِبُ: هُوَ ضِدُّ الْجِدِّ، وَيُقَالُ لِكُلِّ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلًا لَا يَجْلِبُ لَهُ نَفْعًا: إِنَّمَا أَنْتَ تَلْعَبُ.

(١) انظر هذا الملحق في المجلد الخامس في الصفحات من (٢٢٤ - ٢٧٩).



**اللَّهُو:** هو الاشتغال بشيء ذي فائدة قليلة، صارِفَ عَمَّا يَجِبُ تَوْجِيهُ الجَهِدِ وَالْعَمَلِ لَهُ، إِذْ هُوَ ذُو قِيَمَةٍ وَفَائِدَةٍ عَظِيمَتَيْنِ جَلِيلَتَيْنِ، كَالِاشْتِغَالِ بِمَا يَكْتَسِبُ بِهِ الْعَامِلُ فَلَسًا وَاحِدًا، وَيَضْرِفُهُ عَمَّا يَكْتَسِبُ بِهِ دَنَائِرَ كَثِيرَةٍ وَفِيرَةٍ، وَكَالِاشْتِغَالِ بِمَا يَجْلِبُ بِهِ الْعَامِلُ مَتَاعًا ضَيِّلاً لِنَفْسِهِ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَضْرِفُهُ عَمَّا يَرْتَفِعُ بِهِ دَرَجَاتٍ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ، أَوْ يَضْرِفُهُ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ.

• ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾: أَي: وَدَعَ الَّذِينَ خَدَعْتَهُمْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَاتُهَا، فَحَسِبُوا أَنَّهَا كُلُّ شَيْءٍ فِي وُجُودِهِمْ، وَحَسِبُوا أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ هَذِهِ الْحَيَاةِ حَيَاةٌ أُخْرَى، يَكُونُ فِيهَا الْحِسَابُ، وَفَضْلُ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزُ الْجَزَاءِ، وَوَصَلُوا إِلَى دَرَكَةِ مَيُوسٍ وَهُمْ فِيهَا مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الْحَرَّةِ.

فَلَا تَعَبًا بِهَؤُلَاءِ، وَلَا تَكَثُرَ لَهُمْ، وَلَا تَشْغَلَ نَفْسَكَ بِمُجَاهَدَتِهِمْ، لِتَحْوِيلِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ، فَهُمْ مَاضُونَ هَائِمُونَ فِي غِيهِمْ، مُسْتَغْرِقُونَ فِي مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الَّتِي غَرَّتْهُمْ بِزِينَاتِهَا. فَمَلَكَتْ حَوَاسَّهُمْ الظَّاهِرَةَ، وَمَلَكَتْ نَفْسَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ.

إِنَّ تَضْيِيعَ وَقْتِكَ بِهَؤُلَاءِ مِنَ الْعَبَثِ، فَذَرُهُمْ، وَابْذُلْ طَاقَاتِكَ بِمُجَاهَدَةِ غَيْرِهِمُ الَّذِينَ لَمْ يَصِلُوا إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الدَّرَكَةِ.

• ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾: أَي: وَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ وَبِمَا جَاءَ فِيهِ، مَنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى دَرَكَةِ مَيُوسٍ مِنْهُ وَهُوَ فِيهَا.

• ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾: أَي: مُحَذَّرًا بِتَذْكِيرِكَ بِالْقُرْآنِ وَبِمَا جَاءَ فِيهِ، مِنْ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ مَا، كَانَتْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُمْتَحَنَةً مُكَلَّفَةً، بِمَا كَسَبَتْ مِنْ مَسَاخِطِ اللَّهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

ضَمَّنُ فِعْلُ: ﴿وَذَكِّرْ﴾ مَعْنَى فِعْلُ: «حَذَّرَ» أَوْ «أَنْذَرَ».

الإِبْسَالُ فِي اللُّغَةِ: جَعَلَ الشَّيْءَ مَرْهُونًا مَحْبُوسًا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ جَهَنَّمَ يَوْمَ الدِّينِ سِجْنُ الْمَعْذِبِينَ فِيهَا. وَالْإِبْسَالُ: الْإِسْلَامُ لِلْعَذَابِ أَوْ لِلْهَلَاكِ. يُقَالُ لُغَةً: «أَبْسَلَ السَّلْطَانُ الْمُجْرِمَ» أَي: رَهَنَهُ وَسَجَنَهُ. وَيُقَالُ: «أَبْسَلَهُ لِلْهَلَكَةِ» أَي: أَسْلَمَهُ لَهَا.

فالمعنى: وَذَكَرَ مُحْذَرًا مُنْذِرًا بِالْقُرْآنِ وَبِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ آيَاتُ التحذير والإِنذَارِ والترهيب مِنْ بَيِّنَاتٍ، مِنْ أَنَّ تُسَلَّمَ نَفْسٌ مَمْتَحَنَةٌ مُكَلَّفَةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِلْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِسَبَبِ مَا كَانَتْ قَدْ كَسَبَتْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهَا مِنْ كُفْرٍ وَجَرَائِمٍ وَأَثَامٍ، يُعَاقَبُ عَلَيْهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ.

• لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ أَي: حَالَةٌ كَوْنِ النَّفْسِ الْكَاسِبَةِ لِلْجَرَائِمِ وَالْأَثَامِ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِيٌّ يَنْصُرُهَا وَيَحْمِيهَا مِنْ عَذَابِهِ، وَلَيْسَ لَهَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ لَهَا عِنْدَهُ، إِذْ لَا يَشْفَعُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَهُوَ - جَلَّ جَلَالُهُ - لَا يَقْبَلُ شَفَاعَةَ أَحَدٍ لِمَنْ كَانَ كَافِرًا بِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ.

الْوَلِيُّ: يَدُلُّ فِي اللُّغَةِ عَلَى مَعَانٍ كَثِيرَةٍ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْهَا هُنَا مَعْنَى «النَّصِير».

• ﴿وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾: أَي: وَإِنْ تَقَدَّمَ النَّفْسُ الْمَحْكُومُ عَلَيْهَا بِالْعَذَابِ يَوْمَ الدِّينِ، آيَةٌ فِدْيَةٍ تَرَاهَا مُعَادِلَةً مُكَافِئَةً لِأَثَامِهَا، لَا تُقْبَلُ مِنْهَا، وَلَا تُؤْخَذُ مِنْهَا.

يُقَالُ لُغَةً: «عَدَلَ الْمِيزَانَ» أَي: سَوَّى بَيْنَ كِفَّتَيْهِ. وَيُقَالُ: «عَدَلَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ» أَي: سَوَّاهُ بِهِ، وَجَعَلَهُ مِثْلَهُ قَائِمًا مَقَامَهُ.

وَالْعَدْلُ: الْفِدَاءُ.

ضُمِّنَ فِعْلُ: ﴿تَعَدَّلَ﴾ مَعْنِي فِعْلٍ: «تَقَدَّمَ» فَصَارَ الْمَعْنَى: وَإِنْ تَقَدَّمَ النَّفْسُ الْآثِمَةُ الْمَحْكُومُ عَلَيْهَا بِالْعَذَابِ كُلِّ فِدَاءٍ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ أَوْ نَوْعٍ تَرَاهُ

مُسَاوِيًا لِّأَنَامِهَا الَّتِي اكْتَسَبَتْهَا فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، لَا يُقْبَلُ مِنْهَا وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا .

على أَنَّ هَذَا الْاِحْتِمَالَ لَا يُمَكِّنُ تَحْقِيقَهُ: إِذْ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ مَا يَوْمَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَدَّمَتْ مِنْ عَمَلٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، وَقَدْ جِيءَ بِهَذَا الْبَيَانِ لِقَطْعِ تَوَهُّمَاتِ بَعْضِ أَهْلِ الْجِرَائِمِ، بِأَنَّهُمْ سَوْفَ يَفْتَدُونَ أَنْفُسَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ بِبَعْضِ مَا كَانُوا يَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، نَظِيرَ اعْتِقَادِ بَعْضِ الْفَرَاغَةِ الَّذِينَ كَانُوا يَجْعَلُونَ فِي مَدَافِنِهِمْ ذَهَبًا وَمُمْتَلَكَاتٍ مِنْ أَمْوَالِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِيَنْتَفِعُوا بِهَا إِذَا بُعِثُوا إِلَى الْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى، مُتَوَهِّمِينَ أَنَّ الْحَيَاةَ الْأُخْرَى ذَاتُ ظُرُوفٍ مُمَاثِلَةٍ لِلْحَيَاةِ الْأُولَى. هَذَا إِنْ صَحَّتْ أَنْبَاءُ الْبَعْثِ وَالْحَيَاةِ الْأُخْرَى، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، لَا يُؤْمِنُونَ يَوْمَ الدِّينِ وَلَا بِالْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ.

• ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُتْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾: أَي: أُولَئِكَ الْكَافِرَةُ الْبُعْدَاءُ الْمُنْحَطُّونَ فِي اتِّجَاهِ الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ، هُمُ الَّذِينَ حُسِبُوا مُعَذِّبِينَ فِي دَارِ الْعَذَابِ يَوْمَ الدِّينِ بِمَا كَسَبُوا مِنْ جَرَائِمٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

• ﴿... لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾: أَي: هَذَا يَكُونُ لَهُمْ وَهُمْ فِي جَهَنَّمَ دَارِ الْعَذَابِ يَوْمَ الدِّينِ، الَّتِي يَخْلُدُ فِيهَا الْكَافِرُونَ.

• ﴿شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: أَي: شَرَابٌ مِنْ مَّاءٍ حَارٍّ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ.

• ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أَي: وَعِقَابٌ مُّؤْلِمٌ لَهُمْ إِيْلَامًا شَدِيدًا.

• ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾: أَي: بِسَبَبِ كُفْرِهِمُ الَّذِي اكْتَسَبُوهُ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وبهذا تَمَّ تدبُّرُ الدرس الخامس عشر من دروس سورة (الأنعام).  
والحمد لله على معونته ومدَّه وتوفيقه وفتحته.



(٢٠)

## التدبر التحليلي للدرس السادس عشر من دروس سورة (الأنعام) الآيات من (٧١ - ٧٣)

قال الله عز وجل:

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُنْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِلسَّالِمِ لِلرَّبِّ الْعَلِيمِ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلَيْهِمُ الْغُيُبُ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

### القراءات:

(٧١) • قرأ حمزة: [اسْتَهْوَاهُ] مع الإمالة.

وقراها باقي القراء العشرة: [اسْتَهْوَتْهُ].

والقراءتان وَجْهَانِ عَرَبِيَّانِ جَائِزَانِ، فالفاعل جَمْعٌ يجوزُ معه تذكير الفعلِ وتأنينه.

### تمهيد:

آياتُ هَذَا الدَّرْسِ مِنْ فُرُوعِ السَّاقِ الثَّانِي مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ. وفيها تَعْلِيمٌ حَوَارٍ دَعْوِيٍّ حَوْلَ تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي رَبُّوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، مَعَ الْأَمْرِ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالْأَمْرِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالتَّذْكِيرِ بِأَنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الدِّينِ إِلَيْهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

وفيها بَيَانٌ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، وَلَمْ يَخْلُقْهُمَا لِعِبَادٍ وَلَا عَبَثًا، وَبِمَا أَنَّهُ خَالِقُهُمَا فَهُوَ مَالِكُهُمَا، وَمَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ

فِيهِمَا وَكُلٌّ ذِي حَيَاةٍ فَاَلْمَلَائِكَةُ، وَالْإِنْسُ، وَالْجِنَّ عِبِيدُهُ. جَلَّ جَلَالُهُ  
وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ، يَسْتَلْزِمُ عَقْلاً أَنْ يَكُونَ النَّاسُ قَدْ  
خُلِقُوا بِصِفَاتِهِمُ الَّتِي اخْتَارَهَا الْخَالِقُ لَهُمْ لِلْإِتْلَاءِ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،  
وَالْإِتْلَاءِ يَسْتَلْزِمُ عَقْلاً الْحِسَابَ، وَفَضْلَ الْقَضَاءِ وَتَنْفِيزَ الْجَزَاءِ، وَبِمَا أَنَّ  
هَذَا اللَّازِمَ الْعَقْلِيَّ الْحَكِيمَ غَيْرُ مَوْجُودٍ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَلَا بُدَّ  
أَنْ يَكُونَ الرَّبُّ الْحَكِيمُ قَدْ قَدَّرَ وَقَضَى حَيَاةَ أُخْرَى ذَاتَ ظُرُوفٍ غَيْرِ ظُرُوفِ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَفِي تِلْكَ الْحَيَاةِ يَتَحَقَّقُ الْحِسَابُ وَفَضْلُ الْقَضَاءِ وَالْجَزَاءِ،  
فَجَاءَ فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ مُوجَزٌ سَرِيعٌ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَعَنْ مِلْكِ اللَّهِ  
لِكُلِّ شَيْءٍ يَوْمٌ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ لِيَعِثَ الْمَوْتَى إِلَى الْحَيَاةِ الْأُخْرَى.  
وَحَتَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الدَّرْسَ بَيَانِ طَائِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ  
الْحُسْنَى، ذَوَاتِ ارْتِبَاطٍ فِكْرِيٍّ بِمَضْمُونِ هَذَا الدَّرْسِ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِرَسُولِهِ فَلِكُلِّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ:

﴿قُلْ أَتَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ  
هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى  
الْهُدَى أَعْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾  
وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾:

تَدُلُّ الْآيَةُ (٧١) عَلَى أَنَّ الْمَشْرِكِينَ قَدْ تَوَجَّهَ دُعَاةٌ مِنْهُمْ لِدَعْوَةِ طَائِفَةٍ  
مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِعِبَادَةِ آلِهَتِهِمْ، الَّتِي اتَّخَذُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ،  
وَجَعَلُوا يَزِينُونَ عِبَادَتَهَا بِأَنَّهَا إِلَهَةُ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ أَهْلُ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ  
وَالْتَجَارِبِ الطَّوِيلَةِ، فَكَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ تَعْلِيمَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا سِيَّما الدُّعَاةَ  
إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ حِوَاراً جَدَلِيّاً عَقْلِيّاً قَائِماً عَلَى دَلِيلٍ بُرْهَانِيٍّ تَجْرِييٍّ. وَقَدْ جَاءَ  
فِي رَوَايَاتِ أَسْبَابِ النُّزُولِ مَا يُؤَيِّدُ هَذَا الْفَهْمَ.

• [أَنْدَعُوا]: أي: أَنْعَبُدْ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الدُّعَاءَ بِمَعْنَى السُّؤَالِ وَالطَّلَبِ لِدَفْعِ ضَرٍّ أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ هُوَ مِنَ الْعِبَادَةِ. وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ اسْتِعْمَالُ فِعْلِ «دَعَا، يَدْعُو» بِمَعْنَى: الْعِبَادَةِ.

وَالِاسْتِفْهَامُ هُنَا اسْتِفْهَامٌ تَعَجُّبٍ وَاسْتِنْكَارٍ مَقْرُونَيْنِ بَيَّانٍ بُرْهَانِي، وَهُوَ أَنَّ إِلَهَتَكُمْ الَّتِي تَدْعُونَنَا لِعِبَادَتِهَا لَا تَنْفَعُنَا بِشَيْءٍ إِذَا عَبْدْنَاهَا، وَلَا تَضُرُّنَا بِشَيْءٍ إِذَا تَرَكْنَا عِبَادَتَهَا، فَهَلْ مِنَ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ أَنْ نَعْبُدَهَا، وَهَذَا حَالُهَا.

يُضَافُ إِلَى هَذَا أَنَّنَا إِذَا عَبْدْنَاهَا حَلَّ بِنَا ضَرٌّ عَظِيمٌ، إِذْ نُرَدُّ بِهِ عَلَى أَعْقَابِنَا خَائِبِينَ خَاسِرِينَ، مُنْذَرِينَ بِعَذَابٍ خَالِدٍ فِي الْجَحِيمِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، بَعْدَ أَنْ سَلَكْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ الْمَوْصِلَ لَنَا إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ، حِينَ هَدَانَا اللَّهُ عَنْ طَرِيقِ دَعْوَةِ رَسُولِهِ بِلَاغًا عَنْهُ، وَهَدَانَا بَيِّنَاتٍ آيَاتٍ كَتَبَهُ.

• ﴿وَرُدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾: الْعَقَبُ: عَظْمٌ مُؤَخَّرِ الْقَدَمِ، وَهُوَ أَكْبَرُ عِظَامِهَا. وَآخِرُ كُلِّ شَيْءٍ. وَالرُّدُّ: الْمَنْعُ، وَالصَّرْفُ، وَالْإِرْجَاعُ. وَيُقَالُ: «رَدَّ فُلَانٌ فُلَانًا عَلَى عَقِبِهِ» أَي: دَفَعَهُ لِيَنْقَلِبَ رَأْسُهُ إِلَى جِهَةِ عَقِبِهِ. وَيُقَالُ: «ارْتَدَّ عَلَى عَقِبِهِ» أَي: ارْتَدَّ مُنْقَلِبًا عَلَى عَقِبِهِ، وَرَاجِعًا إِلَى خَيْبَةٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ سَائِرًا إِلَى مَا يَرْجُو مِنْهُ نَفْعًا وَخَيْرًا. وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ مِثْلُ هَذَا التَّعْبِيرِ: ﴿يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ - ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ - ﴿أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ - ﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾. وَيُظْهَرُ لِي أَنَّ صِغَةَ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ وَأَمْثَالِهَا صَارَتْ بِمِثَابَةِ الْمَثَلِ الدَّالِّ عَلَى الْإِنْقِلَابِ مِنَ الْحَالِ الْحَسَنَةِ إِلَى الْحَالِ السَّيِّئَةِ، وَمِنْ الْخَيْرِ إِلَى الشَّرِّ، وَمِنْ الْارْتِقَاءِ إِلَى الْإِنْتِكَاسِ، وَمِنْ الصَّلَاحِ إِلَى الْفُسَادِ. فَرَدُّ الرَّأْسِ عَلَى الْعَقَبِ انْتِكَاسٌ قَدْ يَكُونُ مُهْلِكًا، وَقَدْ يَكُونُ مُسْقِطًا فِي هَاوِيَةٍ سَحِيقَةٍ، إِلَى شَرٍّ وَعَذَابٍ أَلِيمٍ.



سُبُلَ الصَّلَاةِ، وَلَا تَغْتَرَّ بِدَعَايَاتِ الشَّيَاطِينِ وَزُخْرَفِ أَقْوَالِهِمْ.

وَنَفَهُمْ مِنْ هَذَا الْمَثَلِ تَكْلِيفَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْعَوْا مَنْ يَنْحَرِفُ مِنْهُمْ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ بِالذَّعْوَةِ وَالتُّصْحِ وَالْإِرْشَادِ وَالتَّحْبِيبِ بِالْعُودَةِ إِلَى صِرَاطِ الْهُدَى وَالنَّجَاةِ وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ، وَبِكُلِّ مَا هُوَ حَكِيمٌ مِنَ الْوَسَائِلِ.

• ﴿... قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧١):

خَطَابٌ مُوجَّهٌ لِلرَّسُولِ فَلِكُلِّ حَامِلٍ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ بِأَسْلُوبِ الْخَطَابِ الْإِفْرَادِيِّ، بِأَنْ يَقُولَ لِلْكَافِرِينَ، وَلَا سِيَّمَا الدَّعَاةَ إِلَى الْكُفْرِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ: إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى، بِأَسْلُوبِ الْحَضَرِ بِتَعْرِيفِ طَرَفِي الْإِسْنَادِ، وَتَقْوِيَّتِهِ بِضَمِيرِ الْفَضْلِ، أَي: لَا يُوْجَدُ هُدَى حَقٌّ صَحِيحٌ صَادِقٌ إِلَّا هُدَى اللَّهِ وَمَا تَطَابَقَ مَعَهُ، وَكُلُّ دَعْوَةٍ مُضَادَّةٍ لِهُدَى اللَّهِ دَعْوَةٌ بَاطِلَةٌ، مَهْمَا طَلَبَتْ بِالْأَصْبَاغِ الْخَادِعَةِ، وَمَهْمَا زُيِّنَتْ بِزُخْرَفٍ مِنَ الْقَوْلِ. وَبِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ أَيْضاً بَعْدَ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ: وَأْمُرْنَا بِأَوَامِرِ التَّكْلِيفِ الدِّينِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ الشَّامِلَةِ لِأَوَامِرِ الْأَفْعَالِ، وَلِأَوَامِرِ الثَّرْوِكِ، لِأَجْلِ أَنْ نُسَلِّمَ قِيَادَةَ حَيَاتِنَا النَّفْسِيَّةِ وَالْجَسَدِيَّةِ لِرَبِّنَا رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمُهَيِّمِينَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، الشَّامِلَةِ لِلْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَالضَّرِّ وَالنَّفْعِ، وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِبْتِلَاءِ، وَالْبُعْثِ وَالْجَزَاءِ، وَبِهَذَا الْإِسْلَامِ نَحَقِّقُ وَاجِبَاتِ عُبودِيَّتِنَا لِرَبِّنَا الَّذِي لَا إِلَهَ بِحَقِّ سِوَاهُ.

فَنَحْنُ نُجَاهِدُ نَفُوسَنَا لِنَحَقِّقَ عُبودِيَّتِنَا لَهُ، كَيْ نَنَالَ رِضْوَانَهُ وَالْفَوْزَ بِالدرجاتِ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ.

• ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٧٢):

أَي: وَبَعْدَ أَنْ أَعْلَنَّا لَكُمْ مَا اخْتَرْنَاهُ لِنُفُوسِنَا، نَدْعُوكُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ، فَإِذَا اسْتَجَبْتُمْ لِدَعْوَتِنَا، أَمَرْنَاكُمْ بِأَنْ



أَسْلِمُوا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ كَمَا أَسْلَمْنَا طَائِعِينَ مُخْتَارِينَ، وَبِأَن أَقِيمُوا الصَّلَاةَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ، فَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ هِيَ الْوَاجِبُ الْعَمَلِيُّ الْمَتَكَرِّرُ يَوْمِيًّا بَعْدَ إِعْلَانِ الدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ.

والمراد بإِقَامَةِ الصَّلَاةِ الْمَدَاوِمَةُ عَلَى أَدَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا، وَأَدَاؤُهَا عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ الْمَطْرُوبِ فِيهَا، فَإِقَامَةُ الشَّيْءِ تَكُونُ بِجَعْلِهِ مُسْتَقِيمًا، وَبِالْمَدَاوِمَةِ وَالْمُوَاطَبَةِ عَلَيْهِ، وَتَوْفِيَّتِهِ حَقَّهُ لَدَى أَدَائِهِ.

وَإِذَا أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَأَحْسَسْتُمُ بِلَذَّةِ عِبَادَةِ رَبِّكُمْ وَالصَّلَاةِ بِهِ، نَقُولُ لَكُمْ: اتَّقُوا عَذَابَ مَعْصِيَتِهِ فِي كُلِّ شُؤْنٍ حَيَاتِيكُمْ، فِي حَرَكَاتِكُمْ وَسَكَنَاتِكُمْ، وَتَوَكَّدْ لَكُمْ أَنَّهُ سَوْفَ يَجْزِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَا تَقْدُمُونَ مِنْ مَكْسُوبَاتٍ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَتَوَكَّدْ لَكُمْ أَنَّهُ هُوَ وَخَدَهُ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ يَوْمَ الدِّينِ، لِيَحَاسِبَكُمْ وَيَفْصَلَ الْقَضَاءَ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لِيَجْزِيَكُمْ عَلَى وَفْقِ قَضَائِهِ لَكُمْ أَوْ عَلَيْكُمْ، فَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِسَعَادَةِ نَفْسِهِ سَعَى، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَى نَفْسِهِ جَنَى.

مَا جَاءَ فِي هَذَا التَّدْبِيرِ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهَا النَّصُّ بِمَنْطُوقِهِ، مُسْتَخْرَجَةٌ مِنَ الْمَثَانِي الْمَطْوِيَّةِ بِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَقَدْ دَلَّنِي عَلَيْهَا أَنَّ الدَّرْسَ دَرَسُ تَعْلِيمِ جَدَلِيٍّ دَعْوِيٍّ، فَهُوَ ذُو لَوَازِمٍ فِكْرِيَّةٍ تَحْتَاجُ اسْتِخْرَاجًا وَتَقْدِيرَاتٍ، وَمَا جَاءَ فِي عِبَارَاتِ النَّصِّ مُحْتَزَلَاتٌ ذَوَاتُ رَوَابِطٍ فِكْرِيَّةٍ، يُفْسِدُهَا التَّقَيُّدُ بِالشَّكْلِيَّاتِ النُّحْوِيَّةِ، دُونَ مَلَا حَظَةِ لِمَطْوِيَّاتٍ فِي الْمَثَانِي.

■ وَيَتَابِعُ حَامِلُ الرِّسَالَةِ بَيَانَهُ الدَّعْوِيَّ الَّذِي جَاءَ إِيجَاظُهُ فِي الْآيَةِ (٧٣) التَّالِيَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى تَوْجِيهِ تَعْلِيمِيٍّ دَعْوِيٍّ:

• ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَنَّا الْعَنَبُ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٧٣):

في هَذِهِ الآيَةِ عُنُونَاتُ خَمْسِ قَضَايَا، هِيَ مِنْ عَنَاصِرِ الْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِعِبَادِهِ الْمَمْتَحِنِينَ الْمَكْلُوفِينَ فِي حَيَاةِ الْامْتِحَانِ فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ تَابِعَةٌ لِلتَّوْجِيهِ التَّعْلِيمِيِّ الدَّعَوِيِّ الَّذِي جَاءَ فِي الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ مِنْ هَذَا الدَّرْسِ.

**القضية الأولى:** دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾:

أَي: رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ.

هَذِهِ الْقَضِيَّةُ تَتَضَمَّنُ بِلَوَازِمِهَا الْعَقْلِيَّةِ دَلِيلًا عَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ، الَّذِي ذَكَرَ مِنْهُ الْحَشْرُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.

فَعَلَى حَامِلِ الرِّسَالَةِ أَنْ يَشْرَحَ هَذَا الدَّلِيلَ مُسْتَفِيدًا مِمَّا سَبَقَ أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (ص/ ٣٨ نزول) وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾.

فَفِي هَذَا الْقَوْلِ بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَا خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا.

وَفِي الْآيَةِ الَّتِي نَتَدَبَّرُهَا مِنْ سُورَةِ (الأنعام/ ٥٥ نزول) أَبَانَ التَّعْلِيمُ الرَّبَّانِي أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ.

### الحق والباطل:

قَبْلَ شَرْحِ الدَّلِيلِ الَّذِي تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ الْأُولَى يَحْسُنُ تَقْدِيمُ بَيَانٍ تَحْلِيلِيٍّ لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَوُجُوهِهِمَا.

**تعريف الحق والباطل لغة:** قال أهل اللغة: الحق هو الأمر الثابت الذي لا شك فيه المطابق للواقع. وضده الباطل، وهو الأمر المخالف للواقع.

وقد جاء في القرآن المجيد استعمال الحق والباطل للدلالة على عِدَّة وجوه ترجع لدى التحقيق بتعمق فكري إلى المعنى اللغوي لهما.

**الوجه الأول:** كلُّ أمر ثابت لا شك فيه هو حق، وعلى هذا فالله حق، وهو الحق الأزلي الأبدي العلي الأعلى.

وكلُّ أمر غير ثابت من ذات أو صفة أو فكرة هو باطل، وعلى هذا فوجود أو ادعاء وجود شريك لله في أزليته وأبديته، أو في ربوبيته، أو في إلهيته، باطل لا شك في بطلانه.

**الوجه الثاني:** كلُّ خبر عن قضية ما مطابق لما هو ثابت في الواقع، أو في الفكر بالبرهان العقلي، هو خبر حق.

وضده الباطل، فكلُّ خبر عن قضية ما، وهذا الخبر غير مطابق لما هو ثابت في الواقع، أو في الفكر بالبرهان العقلي، هو خبر باطل.

**الوجه الثالث:** كلُّ حكم مطابق لما يقتضيه الحق، هو حكم حق. وضده الباطل، فكلُّ حكم مضاد لما يقتضيه الحق، هو حكم باطل.

**أمثلة:**

- (١) يقتضي الحق إصدار حكم بإدانة الجاني، فالحكم بتبرئته باطل.
- (٢) يقتضي الحق تبرئة يوسف عليه السلام من إرادة السوء بزوجة عزيز مصر، فالحكم بإدانة باطل.
- (٣) يقتضي الحق بأن هذا الشكل  $\Delta$  ذا الزوايا الثلاث مثلث، فالحكم بأنه مربع أو مستطيل حكم باطل.

**الوجه الرابع:** كُلُّ عَمَلٍ لَا يُحَقِّقُ نَتِيجَةً مَقْبُولَةً لَدَى أَهْلِ الْعَقْلِ والرُّشْدِ هُوَ عَبَثٌ، وَهُوَ عَمَلٌ بَاطِلٌ، لِأَنَّهُ فِيهِ تَبْدِيدٌ وَإِضَاعَةٌ لِلطَّاقَةِ الثَّابِتَةِ فِي الْوَاقِعِ، دُونَ بَدِيلٍ لَهُ ثَبَاتٌ يَقْصِدُهُ أَوَّلُو الْأَلْبَابِ.

وَضِدُّهُ عَمَلٌ حَقٌّ، وَهُوَ بَذْلُ الطَّاقَةِ الثَّابِتَةِ فِي الْوَاقِعِ، لَتَحْقِيقِ بَدِيلٍ يَقْصِدُ الْعُقَلَاءُ أَوَّلُوا الْأَلْبَابِ تَحْقِيقَهُ.

فَالْحَرْثُ فِي الْبَحْرِ لِإِنْبَاتِ الزَّرْعِ عَمَلٌ بَاطِلٌ، وَالْحَرْثُ فِي أَرْضٍ خِصْبَةٍ لِإِنْبَاتِ زَرْعٍ مُفِيدٍ لِلْأَحْيَاءِ عَمَلٌ حَقٌّ.

وإجراء امتحانٍ لِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الطُّلَبَةِ، دُونَ تَقْوِيمِ أَوْرَاقِ امْتِحَانِهِمْ بِالذَّرَجَاتِ الَّتِي تَسْتَحِقُّهَا، عَمَلٌ بَاطِلٌ.

وإجراء مُصَارَعَةٍ بَيْنَ حَيَوَانٍ وَحَيَوَانٍ آخَرَ لِمَجَرَّدِ الْاِسْتِمَاعِ بِحَرَكَاتِهِمَا، مَعَ مَا فِيهَا مِنْ إِيْذَاءٍ أَوْ إِيْذَاءٍ أَحَدِهِمَا، عَمَلٌ بَاطِلٌ.

**الوجه الخامس:** اخْتِيَارُ نِظَامٍ لِمَجْتَمَعٍ بَشَرِيٍّ يُفْضِي تَطْبِيقَهُ إِلَى انْتِشَارِ الْفَوْضَى وَالْفَسَادِ فِي ذَلِكَ الْمَجْتَمَعِ، اخْتِيَارٌ بَاطِلٌ، لِأَنَّهُ غَيْرٌ مُطَابِقٌ لِمَا هُوَ ثَابِتٌ عَقْلًا أَنَّهُ نِظَامٌ نَافِعٌ وَمُفِيدٌ وَصَالِحٌ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يَسِيرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْمَجْتَمَعُ مِنْ نِظَامٍ.

وَضِدُّهُ اخْتِيَارٌ حَقٌّ لِأَنَّهُ تَطْبِيقُهُ يُفْضِي إِلَى مَا هُوَ نَافِعٌ وَمُفِيدٌ وَصَالِحٌ لِلْمَجْتَمَعِ.

وهكذا إلى وجوه كثيرة.

بَعْدَ هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْهَمَ مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾:

أَي: وَالَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَلْقًا مُتَّصِفًا بِأَنَّهُ حَقٌّ. فَكُلُّ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ ذَوَاتِ الْأَشْيَاءِ وَصِفَاتِهَا فِي

السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ هُوَ حَقٌّ ثَابِتٌ، وَلَا شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ فِي كَوْنِهِ لَا حَقِيقَةً لَهُ. وَكُلُّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي كَوْنِهِ آيَاتٌ دَالَّاتٌ عَلَى ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَهَذَا حَقٌّ. وَمَا خَلَقَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ بِصِفَاتِهِمُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا، إِلَّا لِيَضَعَهُمْ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ فِي طُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ لِيَجْزِيَهُمْ عَلَى وَفْقِ أَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ، وَهَذَا الْجِزَاءُ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ الْحِسَابِ وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَالْخَلْقُ لِيَتَحَقِّقَ هَذِهِ الْعَايَةَ الْعَظِيمَةَ خَلَقٌ مُتَّصِفٌ بِالْحَقِّ، وَلَوْلَا تَحْقِيقُ هَذِهِ الْعَايَةِ السَّامِيَةِ لَكَانَ خَلْقُ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ عَمَلًا بَاطِلًا.

هل تَقْبَلُ العقولُ السَّليمةُ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَيُسَخِّرَ لَهُ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، فَهُوَ يَتَصَرَّفُ بِالْأَشْيَاءِ ضِمْنَ قَوَائِنِهَا وَأَنْظَمَتِهَا بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ، وَهَذَا التَّصَرُّفُ يَنْجُمُ عَنْهُ ظَالِمٌ وَمَظْلُومٌ، وَذُو غِنًى وَمَحْرُومٌ، وَمُسِيءٌ وَمُحْسِنٌ، وَكَافِرٌ وَمُؤْمِنٌ، وَتَقِيٌّ وَمُجْرِمٌ، ثُمَّ لَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ حِسَابٌ، وَلَا فَضْلُ قَضَاءٍ، وَلَا جِزَاءٌ؟؟؟!

إِنَّهُ تَمَكِينٌ لِذَوِي الْقُوَّةِ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْبَاطِلُ هُوَ الْعَزِيزُ الْفَائِزُ، وَأَنْ يَكُونَ الْحَقُّ هُوَ الذَّلِيلُ الرَّاهِقُ، وَهَذَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ السَّليمةِ عَمَلٌ بَاطِلٌ، وَكُلُّ مَا يُؤَدِّي إِلَى بَاطِلٍ فَهُوَ بَاطِلٌ.

إِذَا كَانَتِ الْعَايَةُ مِنَ الْخَلْقِ هَذَا الْأَمْرَ الْبَاطِلَ، فَإِنَّ الْخَلْقَ نَفْسَهُ عَمَلٌ بَاطِلٌ، يُفْضِي إِلَى تَمَكِينِ الْبَاطِلِ مِنْ إِزْهَاقِ الْحَقِّ.

فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حِسَابٌ، وَلَا فَضْلُ قَضَاءٍ، وَلَا تَنْفِيدُ جِزَاءٍ، لَزِمَهُ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَعَظُمَتْ حِكْمَتُهُ، قَدْ خَلَقَ هَذَا الْخَلْقَ بَاطِلًا وَعَبَثًا، وَهَذَا جُحُودٌ لِكَمَالِ صِفَاتِ اللَّهِ عِزٍّ وَجَلٍّ، وَهُوَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ. وَإِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ هَذَا مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، إِنَّهُمْ بِهِذَا الزَّعْمِ لَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْأَوْهَامُ الَّتِي هِيَ أَوْهَانُ الطُّنُونِ السَّاقِطَةِ

بالبَدَاهَةِ، وَهِيَ أَوَّلُهَا زَيَّنَتْهَا لَهُمْ رَغَبَاتُهُمْ الْفَاجِرَاتُ بِالتَّحَرُّرِ مِنْ قُيُودِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْفَضِيلَةِ، اتِّبَاعاً لِأَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَتَقَالِيدِهِمُ الْعَمِيَاءَ<sup>(١)</sup>.

**القضية الثانية:** دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾:

جاء في العبارة الدالة على هذه القضية تغيير في أسلوب البيان، وهو على منهج القرآن المخالف لِسَالِبِ النَّاسِ الَّتِي يَتَّبِعُونَ فِيهَا النَّمِطِيَّةَ الْمُتَمَاثِلَةَ، وَالَّذِينَ لَا يَضَعُونَ فِي تَصَوُّرِهِمْ هَذَا الْمَنْهَجَ الْقُرْآنِيَّ الْقَائِمَ عَلَى التَّغْيِيرِ فِي الْأُسْلُوبِ قَدْ لَا يُحْسِنُونَ تَدَبُّرَ فَقَرَاتِهِ وَجُمْلِهِ وَآيَاتِهِ.

كَانَتِ النَّمِطِيَّةُ الْمُتَمَاثِلَةُ يَتَبَادَرُ فِيهَا أَنْ يُقَالَ: هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ فِي أَحْدَاثِ يَوْمِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَسَوْفَ يَخْلُقُ فِي أَحْدَاثِ الْيَوْمِ الْآخِرِ كُلَّ مَا قَدَّرَ وَقَضَى أَنْ يَخْلُقَهُ بِالْحَقِّ أَيْضاً، فَقَوْلُهُ الْحَقُّ دَوَاماً.

وإِثَاراً لِلتَّنَوُّعِ فِي الْأُسْلُوبِ، مَعَ اخْتِيَارِ الْأَجْمَعِ لِلْمَعَانِي، وَالْأَخْصَرِ فِي الْعِبَارَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾: أَي: وَقَوْلُهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُ بَاطِلٌ أَيْضاً، يَوْمَ يَقُولُ فِي أَحْدَاثِ الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ، الْمُعَدَّةِ فِي خُطَّةِ التَّكْوِينِ لِلْجَسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ وَتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ، لِكُلِّ شَيْءٍ تَمَّ بِهِ قَضَاؤُهُ: كُنْ فَهُوَ يَكُونُ بِمُقْتَضَى أَمْرِ التَّكْوِينِ، وَأَمْرُ التَّكْوِينِ لَيْسَ كَأَمْرِ التَّكْلِيفِ، إِذْ هُوَ يُوجِبُهُ لِلْأَشْيَاءِ الْمَعْدُومَةِ الدَّوَاتِ أَوْ الصِّفَاتِ وَالْمَوْضُوعَةِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ فِي خُطَّةِ التَّكْوِينِ، فَتُوجَدُ بِالْأَمْرِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس/ ٤١ نزول) فَالْمُرَادُ لِلَّهِ مَعْلُومٌ لَهُ بِكُلِّ عَنَاصِرٍ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ،

(١) انظر تنمة هذا البحث في تدبر الآيتين (٢٧ و ٢٨) من سورة (ص/ ٣٨ نزول) المجلد الثالث. الصفحات من (٥٤٥ - ٥٥١).

وَخَلَقَهُ يَكُونُ بِأَمْرِ التَّكْوِينِ، كُنْ، فَهُوَ يَكُونُ بِالْجَبْرِ، وَهَذَا مِنْ خَصَائِصِ أَفْعَالِ الرَّبِّ، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

القضية الثالثة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾:

الصُّور: مَخْلُوقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ كَهَيْئَةِ الْقَرْنِ، إِحْدَى جِهَتَيْهِ فُتِحَتْ دَائِرِيَّةٌ ضَيِّقَةٌ، وَالْأُخْرَى فُتِحَتْ وَاسِعَةٌ جَدًّا، وَبِاطْنُهُ فَارِعٌ يُمْكِنُ أَنْ يُنْفَخَ فِيهِ، فَيُصْدِرُ صَوْتًا بِحَسَبِ خَصَائِصِ تَكْوِينِهِ.

وَالْمَلِكُ الْمَكْلَفُ أَنْ يُنْفَخَ فِيهِ هُوَ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ عَشْرَةُ نُصُوصٍ فِيهَا حَدِيثٌ عَنِ النَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَهِيَ فِيمَا يَظْهَرُ تَدُورُ حَوْلَ نَفْخَتَيْنِ:

النَّفْخَةُ الْأُولَى: تَكُونُ بِهَا إِمَاتَةٌ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَظْهَرُ أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ أَحْيَاءٍ تَمُوتُ أَيْضًا. وَيَدْخُلُ فِيمَنْ اسْتَثْنَاهُمْ نَصُّ سُورَةِ (الزمر/ ٥٩ نزول) فِي الْآيَةِ (٦٨) إِسْرَافِيلَ، وَجَبْرِيْلَ، وَمَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثُمَّ يَقْبِضُ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ.

النَّفْخَةُ الثَّانِيَّةُ: يَكُونُ بِهَا بَعْثُ الْمَوْتَى لِيَوْمِ الدِّينِ.

وَفِي حَدِيثٍ مُطَوَّلٍ عَنِ الصُّورِ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي كِتَابِهِ «الْمَطَوَّلَاتِ» نَقَلَهُ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ بِجُمْلَتِهِ لَا يُحْتَجُّ بِهِ، وَقَدْ جَاءَ فِيهِ ذِكْرُ نَفْخَةٍ ثَالِثَةٍ هِيَ نَفْخَةُ الْفَرْعِ، وَأَنَّهَا تَكُونُ هِيَ النَّفْخَةُ الْأُولَى، وَبَعْدَهَا نَفْخَةُ الْإِمَامَةِ، ثُمَّ تَكُونُ النَّفْخَةُ الثَّالِثَةُ نَفْخَةُ إِحْيَاءِ يَوْمِ الْبَعْثِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَسَبَقَ فِي تَدْبُرِ الْآيَةِ (٥١) مِنْ سُورَةِ (يس/ ٤١ نزول) مَزِيدُ بَيَانٍ عَنِ الصُّورِ، وَقَدْ جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ تَسْمِيَّتُهُ أَيْضًا بِاسْمِ النَّاقُورِ.

القضية الرابعة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَلَيْمُ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةُ ﴿٥٥﴾ أَي: وَقُلْ يَا حَامِلَ الرِّسَالَةِ فِي بَيَانِكَ الدَّعْوَى: اللَّهُ هُوَ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

الْغَيْبُ: كُلُّ مَا هُوَ مَحْجُوبٌ عَنْ مَخْلُوقٍ مَا مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، وَهُوَ يَخْتَلِفُ مِنْ مَخْلُوقٍ لآخر، فَمَا هُوَ غَيْبٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ هُوَ مَشْهُودٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِهِمْ الآخر، وَتُوجَدُ فِي الْأَكْوَانِ غُيُوبٌ عَنْ كُلِّ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ.

أَصْلُ لَفْظِ «الْغَيْبِ» مَصْدَرٌ «غَابَ» وَأُطْلِقَ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ.

الشَّهَادَةُ: كُلُّ مَا يُدْرِكُ بِالْحِسِّ، وَأَصْلُ لَفْظِ «الشَّهَادَةِ» مَصْدَرٌ «شَهِدَ الشَّيْءُ» أَي: عَايَنَهُ وَأَدْرَكَهُ بِحِسِّهِ، وَأُطْلِقَ عَلَى كُلِّ مَشْهُودٍ يُدْرِكُ بِالْحِسِّ.

وَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا هُوَ غَيْبٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَخْلُوقَاتِهِ، وَعَالِمٌ بِكُلِّ مَا هُوَ مَشْهُودٌ لِمَخْلُوقَاتِهِ.

وَبَيَانُ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ مِنْ عَنَاصِرِ الْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ يُلَاحِظُ سَوَابِقَ الْبَيَانِ عَنِ الْحِشْرِ وَيَوْمِ الدِّينِ، الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي خُطَّةِ الْخَلْقِ لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ.

القَضِيَّةُ الْخَامِسَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿... وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٧٧):

أَي: وَقُلْ يَا حَامِلَ الرِّسَالَةِ فِي بَيَانِكَ الدَّعْوَى: وَاللَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ.

الْحَكِيمُ: هُوَ الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا، وَيَخْتَارُ أَفْضَلَ الْأَشْيَاءِ وَأَتَقَنَهَا وَأَحْسَنَهَا فِي الْأُمُورِ الْمُخْتَلِفَةِ لِمَا يُعْطِي أَحْسَنَ النَّتَاجِ.

ولَفْظُ «الْحَكِيمِ» اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، وَمِنْ حِكْمَتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ أَنْ لَا يَخْلُقَ النَّاسَ عَبَثًا، أَوْ لَعِبًا، فَهُوَ يَتَنَافَى مَعَ كَوْنِهِ عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمًا.



الخبير: هو في اللغة العالمُ بالأمرِ أو الشيء عن تجربةٍ وممارسة.

ولفظ «الخبير» اسمٌ من أسماءِ الله الحسنى، وذكرُ هذا الاسمِ يلائمُ  
كُونَ النَّاسِ مَوْضُوعِينَ مَوْضِعَ الامْتِحَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِمَحَاسَبَتِهِمْ يَوْمَ  
الدِّينِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ عَلَى مَا قَدَّمُوا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ.

وبهذا تمَّ تدبر الدرس السادس عشر من دروس سورة (الأنعام).  
والحمد لله على معونته ومدِّه وتوفيقه وفتحه.



(٢١)

التدبر التحليلي للدرس السابع عشر من دروس سورة (الأنعام)

الآيات من (٧٤ - ٨٢)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرْ أَتَتَّخِذُ اصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أُنذِرُكَ وَقَوْمَكَ فِي  
صَلَاحٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ  
ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ أَلِيلٌ رَّءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا  
أُحِبُّ ٱلْأَفْلَاحَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رءَا ٱلْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَّمْ  
يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رءَا ٱلسَّمَسَ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي  
هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَقُومُ إِلَيَّ بِرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ  
لِلدِّينِ فَطَرَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ  
قَالَ أَتَحٰجُّونِي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّا أَن يَشَآءَ رَبِّي  
شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا  
أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا فَأَيُّ  
ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمٰنَهُمْ  
بِظُلْمٍ أُوْلَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

## القراءات:

(٧٤) • قرأ يعقوبُ: [ءَازَرُ] بالضمّ على أَنَّهُ عَلِمَ مُنَادَى.

وقراها باقي القراء العشرة: [ءَازَرُ] بالفتح على أَنَّهُ بدلٌ أو عطف بيان مجرور بالفتحة لأنَّهُ ممنوع من الصرف.

(٧٤) • فتح نافع، وابنُ كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر ياء المتكلم في: [إِنِّي أَرَاكَ]. وأسكنها باقي القراء العشرة.

(٧٩) • فتح نافع، وابنُ عامر، وحفص، وأبو جعفر ياء المتكلم في: [وَجْهِي لِلَّذِي].

وأسكنها باقي القراء العشرة.

(٨٠) • قرأ نافع، وابنُ عامر بخُلفٍ عَنْ هِشَامٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ: [أَتَحَاجُونِي] بكسر النون دُون تَشْدِيد.

وقراها باقي القراء العشرة بالتَّشْدِيد: [أَتَحَاجُونِي] أَصْلُهَا: «أَتَحَاجُونِي» وهو الوجه الثاني لابن عامر برواية هشام.

(٨٠) • أثبت ياء المتكلم في: [وَقَدْ هَدَانِي] يعقوبُ في الوصل والوقف. وأثبتها أبو عمرو وأبو جَعْفَر في الوصل فقط.

ولم يُثَبِّتْهَا باقي القراء العشرة، وهي مُلَاحَظَةٌ زِيَادَةٌ تَدُلُّ عَلَيْهَا الْكُسْرَةُ على النون.

(٨١) • قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، ويعقوبُ: [مَا لَمْ يُنْزَلْ] مِنْ فَعْل: «نَزَلَ». فَعْل: «أُنْزَلَ».

وقراها باقي القراء العشرة: [مَا لَمْ يُنْزَلْ] مِنْ فَعْل: «نَزَلَ».

• والقراءتان متكافئتان، فالمهموز أخو المضعّف.

تمهيد:

آيات هذا الدرس من فُرُوع السَّاقِ الْأَوَّلِ مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ، وفيها عَرَضُ لِقَاطٍ مِنْ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْجَدَلِيَّةِ لِقَوْمِهِ، وهي في الحقيقة تَتَضَمَّنُ جَدَالاً لِكُلِّ الْمَشْرِكِينَ بِأَسْلُوبِ التَّعْرِيزِ، لَا بِأَسْلُوبِ الْمَوَاجَهَةِ الْمُبَاشِرَةِ.

وَتَتَضَمَّنُ أَيْضاً تَعْلِيماً جَدَالِيّاً لِلرُّسُولِ ﷺ، وَلِلدَّعَاةِ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ.

وَالْمَتَأَمِّلُ فِي جَدَلِيَّاتِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ يُدْرِكُ مَا فِيهَا مِنْ بَرَاةِ أَسْلُوبٍ، وَقُوَّةِ حُجَّةٍ، وَإِعْلَانٍ صَرِيحٍ عَمَّا يُؤْمِنُ بِهِ، وَالْإِزَامَ لَهُمْ بِالْحَقِّ.

قوم إبراهيم عليه السلام مِنَ الصَّابِئِينَ:

جاء عِنْدَ مُؤَرِّخِي أَدْيَانِ الْأُمَمِ، أَنَّ قَوْمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا مِنَ الصَّابِئِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ بَعْضَ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ لَهَا تَأْثِيرٌ رُبُوبِيَّةٌ فِي أَحْدَاثِ الْأَرْضِ، فَيَتَّخِذُونَ أَصْنَاماً عَلَى هَيْئَاتٍ يَتَخَيَّلُونَهَا لَهَا، وَيَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلِهَذَا كَانَتْ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ الْجَدَلِيَّةُ تَرْتَكِزُ عَلَى إِبْطَالِ رُبُوبِيَّةِ وَالْهَيْئَةِ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ، وَبَيَانِ سُقُوطِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ سَقُوطاً فِكْرياً فَاحِشاً مَرْفُوضاً لَدَى كُلِّ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ، وَسَارَ فِي مُحَاجَّتِهِ لَهُمْ عَلَى مَقَادِيرِ مَا يَفْهَمُونَ، وَعَلَى مَقَادِيرِ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ مَوَازِينِ عَقْلِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ لَدَيْهِمْ.

فَدَعَا أَبَاهُ إِلَى نَبْذِ شَرِكِهِ الْقَائِمِ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَوَجَّهَ لَهُ اسْتِنكَارَهُ الشَّدِيدَ فِي هَذِهِ الدَّعْوَةِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ تَلَطَّفَ بِهِ فِي دَعْوَةِ سَابِقَةٍ جَاءَ بِإِنِّهَا فِي الْآيَاتِ مِنْ (٤١ - ٤٨) مِنْ سُورَةِ (مريم/ ١٩ مصحف/ ٤٤ نزول) وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُهَا.

وَتَدْرَجَ مَعَ قَوْمِهِ فِي إِسْقَاطِ رُبُوبِيَّةِ أَيِّ كَوْكَبٍ أَوْ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، وَإِسْقَاطِ إِلَهِيَّتِهِ، وَهُوَ يَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ بَاحِثًا عَنِ الرَّبِّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَعْبُدَهُ فِي كَوَاكِبِ السَّمَاءِ وَنُجُومِهَا، وَبَعْدَ أَنْ أَدْرَكَ عَدَمَ صِلَاحِيَّةِ أَيِّ كَوْكَبٍ أَوْ نَجْمٍ لِأَنْ يَكُونَ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ، أَعْلَنَ إِيمَانَهُ بِالْفَاطِرِ الْغَيْبِيِّ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَلَا تُحِسُّ بِذَاتِهِ الْحَوَاسُّ، الَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالَّذِي لَا يُشَارِكُهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ شَيْءٌ، فَلَا يُشَارِكُهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ شَيْءٌ، وَأَعْلَنَ انْعِطَافَهُ عَنِ اعْوِجَاجِ قَوْمِهِ عَنِ الْحَقِّ، وَبِذَلِكَ يَسْتَقِيمُ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ، وَأَعْلَنَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

وَحَاجَهُ قَوْمُهُ فِيمَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ مِنْ إِيمَانٍ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْلَنَهُ لَهُمْ، وَخَوْفُوهُ مِنَ الضَّرَرِ الَّذِي سَتُنْزِلُهُ بِهِ إِلَهُتَهُمُ الَّتِي أَعْلَنَ كُفْرَهُ بِهَا، فَقَالَ لَهُمْ: أَتَحَاجُّونَنِي بِبَاطِلِكُمْ فِي اللَّهِ الْحَقِّ الَّذِي هَدَانِي بِالذَّلِيلِ الْبِرْهَانِيِّ الَّذِي لَا رَبَّ فِي الْوُجُودِ غَيْرُهُ، فَلَا إِلَهَ فِي الْوُجُودِ سِوَاهُ، فَأَنَا مُسْتَمْسِكٌ بِمَا هَدَانِي إِلَيْهِ اللَّهُ.

وَلَا أَعْبَأُ لِمَا تُخَوِّفُونَنِي مِنْهُ، إِذْ تَرَوْنَ أَنَّ إِلَهُتَكُمْ سَتُنْزِلُ بِي ضُرًّا، لِأَنِّي كَفَرْتُ بِأَنَّ لَهَا مُشَارَكَةً لِلَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَإِنِّي عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا لَمْ يَشَأْهُ اللَّهُ، فَلَا أَمْرُ فِي كُلِّ الْكُونِ أَمْرُهُ، وَالسُّلْطَانُ سُلْطَانُهُ.

وَتَعَجَّبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ تَخَوُّفِهِمْ لَهُ مِمَّا لَا يُخَافُ مِنْهُ، وَمِنْ عَدَمِ خَوْفِهِمْ هُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَقَدْ أَشْرَكُوا بِهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا، وَقَالَ لَهُمْ: فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ؟ وَشَرَحَ لَهُمْ بِأَنَّ الْأَمْنَ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ رَبِّهِمْ، وَلَمْ يَخْلُطُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍ بِهِ، وَأَبَانَ لَهُمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الْمُهْتَدُونَ.

## التدبر التحليلي:

■ قول الله تعالى:

● ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ اتَّخِذْ أُصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي

ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾:

ءَازَرَ: طاهر الآية أن اسم أبي إبراهيم عليه السلام لفظ «آزر» ويبدو أنه كان هو المعروف عند العرب، وجاء في كتب الإسرائيليين أن اسم أبيه «تارح».

وأقرب احتمالات الجمع أن أصل اسمه: «تارح» ولقب بعد ذلك بلفظ «ءازر» ولما دعا إبراهيم عليه السلام أباه بما جاء في هذه الآية، كان اللفظ المشهور به بين عشيرته هو لفظ «ءازر» فاختار الله ذكره بذلك، ويؤيد هذا الفهم قراءة يعقوب: «ءازر» بضم الراء، على أنه منادى مفرد علم.

ولا دليل على أن أبا الرسول لا يصح أن يكون كافراً، لكن كرم الرسل فيما يظهر عن أن يكونوا أبناء سفاح.

والاستفهام في قول إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿اتَّخِذْ أُصْنَامًا ءَالِهَةً؟﴾! استفهام إنكاري فيه شدة، لأنه لم يكن في بداية دعوته لأبيه، بل سبقته دعوة مشبعة بالتلطف والتحبب وخفض الجناح، جاء بيانها في سورة (مريم/ ٤٤ نزول) في الآيات من (٤١ - ٤٨).

أصنام: جمع «صنم» وهو تمثال من حجر، أو خشب، أو معدن، أو نحو ذلك، على صورة إنسان، أو حيوان، أو ما يتوهم المشركون أنه صورة ما يؤلهون من نجوم وكواكب، أو ملائكة أو جن، أو غير ذلك.

فالمعنى: وضع في ذاكرتك أيها المتلقي لآيات القرآن المجيد، ما

أَبَانَهُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ، إِذْ قَالَ لَهُ: أَتَصْنَعُ أَصْنَامًا بِيَدَيْكَ مُتَّخِذًا إِيَّاهَا آلِهَةً تَعْبُدُهَا أَنْتَ وَقَوْمُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَتَجْعَلُونَهَا شُرَكَاءَ اللَّهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ؟!!!

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مُسْتَنَكِرٌ جِدًّا، وَمُنَافٍ لِمَوَازِينِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ مِنَ الْخَلَلِ، الْمَجَافِيَةِ لِمَزَالِقِ الزَّلَلِ.

إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ الْمَشْرِكِينَ عِبَادَ الْأَوْثَانِ تَائِهِينَ فِي ضَلَالٍ وَضِياعٍ مُبِينٍ وَاضِحٍ، لِكُلِّ ذِي فِكْرٍ صَحِيحٍ، وَنَظَرٍ سَلِيمٍ.

الضَّلَالُ هُنَا: الضِّياعُ فِي الْمَتَاهَاتِ، وَالْمَهَالِكِ، وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِلَةِ، وَهُوَ يُوصِلُ الضَّالِّينَ إِلَى الْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّهُ ضَلَالٌ مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ.

مُبِينٌ: اسم فاعل من فعل: «أَبَانَ» اللّازم بِمَعْنَى ظَهَرَ وَاتَّضَحَ.

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضَ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾:

مَلَكُوتٌ: صِيغَةٌ مِنَ الْمَلِكِ، وَهِيَ مَصْدَرٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّعْظِيمِ وَالتَّفْخِيمِ، وَالْمَلِكُ: يَسْتَلْزِمُ السُّلْطَانَ وَالْعِزَّةَ وَالْقُدْرَةَ عَلَى التَّصَرُّفِ الْكَامِلِ، وَلِصَاحِبِهِ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ. وَجَاءَ عَلَى هَذِهِ الصِّيغَةِ أَلْفَاظٌ، مِنْهَا: رَهْبُوتٌ، مِنَ الرَّهْبَةِ. وَرَحْمُوتٌ، مِنَ الرَّحْمَةِ. وَرَغْبُوتٌ، مِنَ الرِّغْبَةِ. وَجَبْرُوتٌ مِنَ الْجَبْرِ. وَفِيهَا مَعْنَى كَمَالٍ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ. وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهَا.

الْمُوقِنُ: الْعَالِمُ بِالشَّيْءِ عِلْمًا لَا شَكَّ فِيهِ، وَأَدْنَى مَرَاتِبِهِ مَا اعْتَمَدَ عَلَى أدِلَّةٍ نَظَرِيَّةٍ، أَوْ خَبَرِيَّةٍ صَادِقَةٍ لَا يَعْتَرِيهَا شَكٌّ.

فَالْمَعْنَى: وَكَذَلِكَ الْفَهْمُ الَّذِي فَهَّمَنَاهُ إِبْرَاهِيمَ بِشَأْنِ بُطْلَانِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَأَنَّ عَابِدِيهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، كُنَّا نُرِي بِتَتَابُعٍ مُتَجَدِّدٍ إِبْرَاهِيمَ مَلَكْنَا الْعَظِيمَ لِكُلِّ عَنَاصِرٍ وَأَجْزَاءِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَسُلْطَانَنَا وَعِزَّتَنَا

وَقَدَّرْنَا عَلَى التَّصَرُّفِ فِي كُلِّ شَيْءٍ فِيهِمَا، لِيَكُونَ ذَا حُجَجٍ بُرْهَانِيَّةٍ، يُثَبِّتَ بِهَا أَنَّهُ لَا رُبُوبِيَّةَ فِي الْكَوْنِ إِلَّا لَنَا، وَلَا إِلَهِيَّةَ فِي الْكَوْنِ بِحَقِّ إِلَّا لَنَا، وَلِيَكُونَ هُوَ فِي ذَاتِهِ مِنَ الْمُؤَقِّنِينَ بِذَلِكَ، الْعَالَمِينَ عِلْمًا لَا يُخَالِطُهُ وَلَا يَمَسُّهُ شَيْءٌ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الْإِرَاءَةَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ كَانَتْ إِرَاءَةً فِكْرِيَّةً عِلْمِيَّةً نَظَرِيَّةً، وَلَيْسَتْ إِرَاءَةً بَصَرِيَّةً، وَهَذِهِ الْإِرَاءَةُ الْعِلْمِيَّةُ كَشَفَتْ لَهُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ خَاضِعٌ لِمَلِكِ اللَّهِ وَسُلْطَانِهِ وَعِزَّتِهِ وَجَبَرُوتِهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - فَلَا رُبُوبِيَّةَ لَشَيْءٍ فِي الْكَوْنِ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا إِلَهِيَّةَ لَشَيْءٍ فِي الْكَوْنِ إِلَّا لِلَّهِ.

تَدْرُجُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإِبْطَالِ عِبَادَةِ الْكَوَائِبِ وَالنَّجُومِ فِي دَعْوَتِهِ:

■ قول الله تعالى مُحَدَّثًا عَنْ أَسْلُوبِ إِبْرَاهِيمَ فِي دَعْوَتِهِ:

• ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾:

• ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾: أَي: فَحِينَمَا أَظْلَمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اللَّيْلُ. «جَنَّ اللَّيْلُ يَجُزُّ، جَنًّا، وَجَنًّا» أَي: أَظْلَمَ.

• ﴿رَأَى كَوْكَبًا﴾: يَظْهَرُ أَنَّهُ رَأَى كَوْكَبًا يَعْتَقِدُ قَوْمُهُ أَنَّ لَهُ رُبُوبِيَّةً مَا، فَيَعْبُدُونَهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَيَتَّخِذُونَ لَهُ صُورَةً مِنَ الْأَوْثَانِ يَعْْبُدُونَهَا.

• ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾: أَي: قَالَ عَلَى سَبِيلِ الطَّرْحِ الْاِحْتِمَالِي، لَا عَلَى سَبِيلِ الْاِعْتِقَادِ الْجَازِمِ: هَذَا خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَبُّهُمَا، فَهُوَ رَبِّي الْمَهْيَمُنُ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ عَلَيَّ وَعَلَى سَائِرِ الْكَوْنِ، فَإِذَا ثَبَّتَتْ رُبُوبِيَّتُهُ، وَجَبَتْ عَلَيَّ عِبَادَتُهُ.

• ﴿... فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾: أَي: فَحِينَمَا غَابَ النَّجْمُ الَّذِي طَرَحَ اِحْتِمَالَ كَوْنِهِ رَبًّا، قَالَ: لَا أُحِبُّ اتِّخَاذَ رَبِّ هُوَ مِنَ

الْأَفْلِينَ، الَّذِينَ يَظْهَرُونَ وَيَغِيْبُونَ، وَلَا أَحَبُّ عِبَادَةٍ أَحَدٍ مِنْهُمْ.

ذَكَرَهُمْ بِجَمْعِ الْعُقَلَاءِ، مُرَاعَاةً لِاعْتِقَادِ مُشْرِكِي قَوْمِهِ، بِأَنَّ إِلَهَتَهُمْ أَرْبَابَ عَالَمَةٍ حَيَّةٍ، تَتَصَرَّفُ بِأَحْدَاثٍ مَا فِي النَّاسِ، وَفِي سَائِرِ الْأَحْدَاثِ فِي الْأَرْضِ.

يُقَالُ لُغَةً: «أَفَلَ النَّجْمِ، يَأْفِلُ، أَفْلًا، وَأَفُولًا» أَي: غَابَ، فَهُوَ «أَفِلٌّ».

قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَلِيلًا عَلَى عَدَمِ صِحَّةِ كَوْنِ شَيْءٍ مَا رَبًّا، أَنْ يَتَعَرَّضَ بَعْدَ ظُهُورِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ لِلْأَفُولِ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ رُبُوبِيَّةٌ فَلَا تَكُونُ لَهُ إِلَهِيَّةٌ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، إِلَّا أَنْ يَأْمُرَ الرَّبُّ الْحَقُّ بِعِبَادَتِهِ، وَهَذَا لَمْ يَكُنْ فِي رِسَالَةِ رَبَّانِيَّةٍ صَحِيحَةً.

وَأَفْهَمَ مِنْ اسْتِدْلَالِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ يَقُولُ لِقَوْمِهِ: إِنَّ مَنْ يَحْضُرُ فَيَرَى وَيَغِيْبُ فَلَا يَرَى، إِمَّا أَنْ يَكُونَ حُضُورُهُ وَغِيَابُهُ بِإِرَادَتِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ.

فَإِذَا كَانَا بِإِرَادَتِهِ، فَهُوَ إِنَّمَا يَحْضُرُ لِيُصَرِّفَ أَحْوَالَ مَرْبُوبِيهِ ذَوِي الْحَاجَةِ الدَّائِمَةِ لِرُبُوبِيَّتِهِ، لَكِنَّهُ إِذَا غَابَ لَمْ يَكُنْ لِمَرْبُوبِيهِ حَظٌّ مِنْ تَصَارِيفِ رُبُوبِيَّتِهِ، فَيَفْسُدُ بِذَلِكَ نِظَامُ الْخَلْقِ. فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الَّذِي يَغِيْبُ بَعْدَ حُضُورٍ لَا يَصْلُحُ لِأَنْ يَكُونَ رَبًّا، فَهُوَ لَا يَصْلُحُ لِأَنْ يَكُونَ إِلَهًا مَعْبُودًا، وَلِهَذَا قَالَا لَا أَحَبُّ أَنْ أَتَّخِذَ لِنَفْسِي رَبًّا إِلَهًا لَا يَصْلُحُ لِلرُّبُوبِيَّةِ وَلَا لِلْإِلَهِيَّةِ.

وَإِذَا كَانَ حُضُورُهُ وَغِيَابُهُ بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ فَهُوَ بِالْبَدَاهَةِ لَا يَصْلُحُ لِأَنْ يَكُونَ رَبًّا وَلَا إِلَهًا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ نِظَامُ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، إِنَّهَا جَمِيعًا تَحْضُرُ وَتَغِيْبُ بِغَيْرِ إِرَادَتِهَا، فَهِيَ مَرْبُوبَةٌ لِرَبِّ وَاحِدٍ يَخْضَعُ لِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ كُلِّ مَوْجُودٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

هَذَا الدَّلِيلُ نَفْسُهُ اسْتَحْدَمَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ قَوْمِهِ، حِينَ انْتَقَلَ



بِهِمْ إِلَى رُؤْيَا الْقَمَرِ الْبَارِغِ، فَرُؤْيَا الشَّمْسِ الْبَارِغَةِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمَا، مُعْتَقِدِينَ أَنَّ لَهُمَا رُبُوبِيَّةَ ذَاتِ تَأْثِيرٍ فِي النَّاسِ فِي الْأَرْضِ.

■ قول الله تعالى:

• ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْفَوِّرُ إِلَيَّ بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾:

الْبَارِغُ: الَّذِي بَدَأَ طُلُوعُهُ، يُقَالُ لَعَنَ: «بَزَغَ الْقَمَرُ، وَبَزَغَتِ الشَّمْسُ» أَيُّ: بَدَأَ طُلُوعُهُمَا.

• ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ أَيُّ: فَحِينَمَا غَابَ الْقَمَرُ، قَالَ مِثْلَمَا قَالَ حِينَمَا غَابَ الْكَوْكَبُ الَّذِي رَأَاهُ فِي لَيْلَةٍ سَابِقَةٍ، وَأَتْبَعَ هَذَا بِقَوْلِهِ: لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي إِلَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ أُؤْمِنَ بِهَا، لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ الضَّائِعِينَ عَنْ إِدْرَاكِ الْحَقِّ بِشَأْنِ الرَّبِّ الَّذِي يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أُؤْمِنَ بِهِ، وَأَنْ أَعْبُدَهُ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا وَلَا شَيْئًا، وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُرِيهِمْ أَسْلُوبَ التَّدْرِجِ فِي مُتَابَعَةِ الْإِسْتِدْلَالِ.

• ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾: أَيُّ: فَحِينَمَا غَابَتِ الشَّمْسُ أَعْلَمَ قَوْمَهُ بِأَنَّ كُلَّ مَعْبُودَاتِهِمْ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ وَمِنْهَا الْقَمَرُ وَالشَّمْسُ، لَا يَضْلُحُ شَيْءٌ مِنْهَا أَنْ يَكُونَ رَبًّا وَلَا إِلَهًا، وَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَجْعَلُونَهُمْ شُرَكَاءَ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ.

وَأَعْلَنَ لَهُمْ إِيْمَانَهُ بِفَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَتَوَجَّهَ وَجْهَهُ لِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ:

■ قول الله تعالى حِكَايَةً لِمَا أَعْلَنَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ:

• ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَافِيًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾:

أي: أَأَكْذِبُكُمْ أَنِّي جَعَلْتُ وَجْهِي فِي إِيْمَانِي وَعِبَادَتِي لِلَّهِ الَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ كُلَّهَا وَفَطَرَ الْأَرْضَ، حَالَةً كَوْنِي مَائِلًا عَنْ كُلِّ انْحِرَافَاتِ الْمُشْرِكِينَ، إِلَى الْإِتِّزَامِ بِصِرَاطِ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ الْقَائِمِ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَأَقُولُ لَكُمْ: مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

﴿فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: أي: أَوْجَدَهُمَا وَخَلَقَهُمَا عَلَى نِظَامِ الْفَطْرِ وَالشَّقِّ وَالْفَلْقِ، لِأَنَّ نَقْطَةَ الْعُمُقِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هِيَ الْعَدَمُ. وَاللَّهُ هُوَ الْخَالِقُ الْمَوْجِدُ مِنَ الْعَدَمِ بِأَمْرِ التَّكْوِينِ.

الْحَنِيفُ: فِي اللَّغَةِ هُوَ الْمَائِلُ، وَلَمَّا كَانَتِ الْأَدْيَانُ مُعْظَمُهَا بَاطِلَةً، كَانَ الْمَيْلُ عَنْهَا جَمِيعًا اسْتِقَامَةً عَلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، ذِي الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، إِذْ كُلُّ الْأَدْيَانِ وَالْمِلَلِ الْبَاطِلَةِ مَائِلَاتٌ إِلَى جِهَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وَهِيَ مَالِئَاتُ السَّاحَاتِ اللَّوَاتِي لَيْسَتْ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، فَالْمَيْلُ عَنْهَا جَمِيعًا لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْإِسْتِقَامَةِ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ إِيْمَانًا وَعَمَلًا، وَسُلُوكًا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَبَعْدَ أَنْ أَعْلَنَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ إِيْمَانَهُ بِاللَّهِ رَبِّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَحَدَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَلَا فِي إِلَهِيَّتِهِ، جَعَلَ قَوْمُهُ الَّذِينَ حَضَرُوا مَرَاجِلَ بَحْثِهِ، الَّتِي تَوَصَّلَ بِهَا إِلَى إِبْطَالِ أَرْبَابِ قَوْمِهِ وَإِلَهِيَّتِهِمْ، وَإِيْمَانِهِ بِالَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الرَّبِّ غَيْرِ الْمَنْظُورِ فِي الْأَكْوَانِ، وَإِعْلَانِهِ تَوْجِيهَ وَجْهِهِ لَهُ فِي إِيْمَانِهِ وَإِسْلَامِهِ وَعِبَادَتِهِ، بَدَأَ الْمُجَادِلُونَ مِنْ قَوْمِهِ يُجَادِلُونَهُ وَيُحَاجُّونَهُ رَغْبَةً فِي إِثْبَاتِ صِحَّةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شَرِكٍ، دَلَّ عَلَى هَذَا مَا جَاءَ فِي الْآيَاتِ الْبَاقِيَاتِ مِنْ هَذَا الدَّرْسِ، وَهِيَ مِنْ (٨٠ - ٨٢).

■ قول الله تَعَالَى:

● ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَدِّثُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَنْتَنِي...﴾ (٨٠)

الْمُحَاجَّةُ: المجادلة، يُقَالُ لغة: «حَاجَّهُ، يُحَاجُّهُ، مُحَاجَّةً، وَحِجَاجاً» أي: جَادَلَهُ.

فقال لهم إبراهيم عليه السلام: أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ الَّذِي تُؤْمِنُونَ أَنْتُمْ بِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ بِهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَقَدْ هَدَانِي بِالذَّلِيلِ الْبُرْهَانِي إِلَى أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَلَا فِي إِلَهِيَّتِهِ!!

إِنَّ مُحَاجَّتَكُمْ لَا تَعْتَمِدُ عَلَى أدِلَّةٍ صَحِيحَةٍ مَقْبُولَةٍ فِي مَوَازِينِ الْعَقْلِ السَّلِيمِ.

فَلَجُّوْا إِلَى تَخْوِيفِهِ مِنْ آلِهَتِهِمْ أَنْ يُنْزِلُوا بِهِ ضُرًّا، فَقَالَ لَهُمْ:

• ﴿... وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٨٠):

أي: وَمَهْمَا خَوَّفْتُمُونِي بِضُرٍّ يَأْتِينِي مِنْ آلِهَتِكُمْ، الَّتِي جَعَلْتُمُوهَا شُرَكَاءَ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ، فَإِنِّي لَا أَخَافُ أَنْ يَأْتِيَنِي ضُرٌّ أَوْ أَدَى مِنْ جِهَتَيْهَا، إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنِي ضُرٌّ وَلَا أَدَى إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبِّي شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَمَشِيتُهُ لَا تُفَارِقُ حِكْمَتَهُ، وَحِكْمَتُهُ يَخْتَارُ بِهَا مِنَ الْاِحْتِمَالَاتِ مَا هُوَ الْأَحْكَمُ، وَقَدْ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمْرٌ.

• ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: أَفَلَا يُؤَثِّرُ فِيكُمْ هَذَا التَّذْكِيرُ لَكُمْ بِالْحَقِّ الْمَوْجُودِ فِي أَعْمَاقِ قُلُوبِكُمْ عَنِ اللَّهِ رَبِّكُمْ، فَيَذْفَعُكُمْ إِلَى نَبَذِ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ شِرْكٍ، وَإِلَى الْبُعْدِ عَنْ كُلِّ مُجَادَلَةٍ بِالْبَاطِلِ، وَيُحَرِّضُكُمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَلَا فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ لَا ضَارَّ فِي الْوُجُودِ وَلَا نَافِعٍ إِلَّا هُوَ.

وَبَعْدَ أَنْ وَصَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ مُجَادِلِيهِ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى هَذِهِ الْمَحْطَةِ مِنَ الْمَنَازِرَةِ الْإِقْنَاعِيَّةِ، قَالَ لَهُمْ مُتَعَجِّبًا مِنْ تَخْوِيفِهِمْ لَهُ مِنْ ضُرٍّ

يَأْتِيهِ مِنْ آلِهَتِهِمُ الْبَاطِلَةِ، مَعَ عَدَمِ خَوْفِهِمْ مِنْ رَبِّهِمُ الَّذِي أُشْرِكُوا بِهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا، وَقَدْ أَعْتَدَ لِمَنْ يُشْرِكْ بِهِ خُلُودًا فِي عَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ الدِّينِ:

• ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا...﴾ (٨١):

أي: وفي آية حالةٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَخَافُ ضَرًّا أَوْ أَدَى يَأْتِيَنِي مِنْ قَبْلِ أَرْبَابٍ وَآلِهَةٍ جَعَلْتُمُوهَا شُرَكَاءَ لِلَّهِ زُورًا وَكَذِبًا، وَهِيَ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، وَأَنْتُمْ لَا تَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ رَبِّكُمْ الَّذِي جَعَلْتُمْ لَهُ شُرَكَاءَ، دُونَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ تَحْتُجُّونَ بِهَا عِنْدَهُ، حِينَمَا يُحَاسِبُكُمْ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ.

وَبَعْدَ هَذَا الاسْتِفْهَامِ التَّعْجِيبِيِّ مِنْ أَمْرِهِمْ، قَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

• ﴿... فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨١):

أي: أَخْبِرُونِي يَا قَوْمُ: أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ، أَنَا أَمْ أَنْتُمْ، أَكْثَرُ اسْتِحْقَاقًا لِلظَّفَرِ بِالْأَمْنِ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنَ الْأَحَقِّ بِالْأَمْنِ، أَوْ كُنْتُمْ حَرِصِينَ عَلَى أَنْ تَعْلَمُوا الْحَقَّ، وَتَتَخَلَّصُوا مِنْ بَاطِلِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ مُنْعِمُونَ فِيهِ.

وَأَخِيرًا أَبَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ أَنَّ الدِّينَ لَهُمُ الْأَمْنُ بِفَضْلِ اللَّهِ رَبِّهِمْ، هُمْ الْمُهْتَدُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَخْلُطُوا إِيمَانَهُمْ بِشُرْكَ، فَقَالَ لَهُمْ:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢):

• ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: أي: الَّذِينَ آمَنُوا إِيْمَانًا صَحِيحًا بِاللَّهِ رَبِّهِمْ ذَاتًا وَصِفَاتٍ.

• ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾: أي: وَلَمْ يَخْلُطُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ، كَالشُّرْكِ بِاللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ فِي إِلَهِيَّتِهِ، إِذِ الشُّرْكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ، أَوْ مِنْ دَرَكَةِ الْكِبَائِرِ مِنَ الْإِثْمِ كَالْقَتْلِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

- ﴿أُولَٰئِكَ﴾: أي: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هُمْ رَفِيعُوا الْمَكَانَةَ عِنْدَ رَبِّهِمْ.
  - ﴿لَهُمُ الْأَمْنُ﴾: أي: يَحْصُلُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَمْنُ مِنْ مَخَافِ عَذَابِ النَّارِ، بِتَسْلِيمِ اللَّهِ لَهُمْ، وَحِفْظِهِمْ وَرِعَايَتِهِمْ وَمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِمْ، وَزَخْرَحَتِهِمْ عَنِ النَّارِ. وَإِذْخَالِهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ.
  - ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾: أي: وَأُولَٰئِكَ هُمْ مُهْتَدُونَ، مَحْكُومٌ لَهُمْ بِالْهُدَايَةِ فِي مَحْكَمَةِ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ الرَّبَّانِيَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- وَتَنْتَهِي بِهَذَا مَرَحَلَةً مِنْ مَرَاكِحِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّعْوِيَّةِ الْجِدَالِيَّةِ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس السابع عشر من دروس سورة (الأنعام).  
والحمد لله على معونته ومدده وتوفيقه وفتحته.



(٢٢)

### التدبر التحليلي للدرس الثامن عشر من دروس سورة (الأنعام) الآيات من (٨٣ - ٩٠)

قال الله عز وجل:

﴿وَلَٰئِكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن دُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۝٨٦﴾ وَمِن ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَحْوَانِهِمْ وَأَجْنِبَتِهِمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ

ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحَكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبْهَتُهُمْ أَقْتَدُهُ قُلْ لَا آسَأُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ .

### القراءات:

(٨٣) • قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [دَرَجَاتٍ مَنْ].

وقراها باقي القراء العشرة: [دَرَجَاتٍ مَنْ] عَلَى الإِضَافَةِ، وَهُمَا مِنَ التَّفْنُنِ فِي التَّعْبِيرِ.

(٨٥) • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [وَزَكْرِيَّا].

وقراها باقي القراء العشرة: [وَزَكْرِيَّا].

(٨٦) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [وَاللَّيْسَعِ].

وقراها باقي القراء العشرة: [وَاللَّيْسَعِ].

وهما نُطْقَانِ لِهَذَا الْاسْمِ.

(٨٧) • قرأ قُتَيْبٌ، وَرُوَيْسٌ: [سِرَاطٍ] بِالسَّيْنِ.

وقراها خَلَفٌ عَنْ حَمْزَةٍ بِالْإِشْمَامِ.

وقراها باقي القراء العشرة بِالصَّادِ الْخَالِصَةِ: [صِرَاطٍ].

(٨٩) • قرأ نافع: [وَالنُّبُوَّةَ]. وقراها باقي القراء العشرة: [وَالنُّبُوَّةَ]

وَهُمَا نُطْقَانِ عَرَبِيَّانِ لِلْكَلِمَةِ.

(٩٠) • قرأ نافع، وابنُ كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وأبو جعفر:

[أَقْتَدَهُ] بِإِثْبَاتِ هَاءِ السَّكْتِ فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ، وَكَذَلِكَ قَرَأَهَا حَمَزَةٌ،

وَالْكَسَائِيُّ، وَيَعْقُوبُ، وَخَلَفٌ، وَابْنُ عَامِرٍ فِي الْوَقْفِ فَقَطْ.

وقراها حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [أَقْتَدِ] فِي الْوَصْلِ.

وقرأها هِشَامٌ: [أَقْتَدِهِ] في الوصل بكسرةٍ للهاء، دون إشباعٍ لمدّ الهاء.

وقرأها ابن دُكْوَانٍ مثل هشام في الوصل مع إشباعٍ كسرةٍ الهاء.

تَمْهيد:

آيات هذا الدَّرْسِ من فُرُوعِ السَّاقِ الأوَّل من سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ أَيْضاً، وفيها بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ في الشَّناءِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا آتَاهُ مِنْ حُجَجٍ عَلَى قَوْمِهِ فِي نَفْيِ الشِّرْكِ وَإِثْبَاتِ تَوْحِيدِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ.

وفيها ثَنَاءٌ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، مع بَيَانٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى آتَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ، ومع إِضَافَةٍ مُلَائِمَاتٍ فِي الْأَثْنَاءِ.

وفيها خِتَامٌ بِتَوْجِيهِهِ لِلرُّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّ يَقْتَدِيَ بِهِمْ، وَأَنَّ يَقُولَ لِلْمُعْرِضِينَ عَنْ دَعْوَتِهِ: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى تَعْلِيمِكُمْ كِتَابَ رَبِّكُمْ أَجْراً، فَهُوَ لَيْسَ لَكُمْ وَحَدِّكُمْ، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذَكَرُ لِلْعَالَمِينَ جَمِيعاً مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

هذا الدَّرْسُ قَدْ كَانَ مِنَ الْمَقْبُولِ اعْتِبَارُهُ تَابِعاً لِلدَّرْسِ السَّابِعِ عَشَرَ، إِلَّا أَنِّي أَثَرْتُ اعْتِبَارَهُ دَرْساً مُنْفَصِلاً، لِئَلَّا يَطُولَ الدَّرْسُ السَّابِعُ عَشَرَ، وَلِأَنَّ مَضْمُونَهُ هَذِهِ مُنْفَصِلٌ عَنْ جَدَلِيَّاتِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَعْوَتِهِ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ.

التَّدْبِيرُ التحليلي:

■ قول الله تعالى:

● ﴿وَبَنَّاكَ حُجَّتَنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ

رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾:

أَي: وَتِلْكَ الْحُجَّةُ الَّتِي دَعَا بِهَا إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ وَقَوْمَهُ، وَظَهَرَ بِهَا عَلَى قَوْمِهِ وَعَلَى حُجَجِهِمُ الَّتِي جَادَلُوهُ بِهَا ظُهُورَ الْغَالِبِ الْمُنْتَصِرِ، وَلَوْ عَانَدُوا وَأَصْرُوا عَلَى بَاطِلِهِمْ، هِيَ حُجَّتُنَا أَلْهَمْنَاهُ أَنْ يَحْتَجَّ بِهَا، وَفَهَّمْنَاهُ مَوَازِينَهَا الْفِكْرِيَّةَ، وَطَرَائِقَ الْاِحْتِجَاجِ بِهَا.

وَفِي قَيْدٍ: ﴿عَلَى قَوْمِهِ﴾ إِمَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا فِي حُدُودِ مَعَارِفِ قَوْمِهِ، وَمَا كَانَ لَدَيْهِمْ مِنْ عِلْمٍ يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَفَادَ مِنْهُ لِلْاِحْتِجَاجِ بِهِ عَلَيْهِمْ.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾: أَي: نَرْفَعُ بِحُكْمِنَا الْمَبْنِيِّ عَلَى عِلْمِنَا الشَّامِلِ، بِعِبَادِنَا وَمُكْتَسَبَاتِهِمُ الْإِرَادِيَّاتِ الْفَاضِلَاتِ، دَرَجَاتٍ مُلَائِمَاتٍ لِمَوَاقِعِ حَالِ ارْتِفَاعِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَمَشِئَتُنَا لَا تَفَارِقُ حِكْمَتَنَا.

وَفِي الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى: [نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ]: أَي: نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ رَفَعُ دَرَجَاتِهِ، فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَمَشِئَتُنَا لَا تَفَارِقُ حِكْمَتَنَا، فَمَنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ بِفَضْلِنَا أَنْ نَرْفَعُ دَرَجَاتِهِ إِلَى مُسْتَوًى مَا، رَفَعْنَا دَرَجَاتِهِ عَلَى وَفْقِ مُقْتَضِيَّاتِ حِكْمَتِنَا.

فَمَوْذَى الْقِرَاءَتَيْنِ وَاحِدٌ، وَهُمَا مِنَ التَّفَنُّنِ فِي التَّعْبِيرِ.

• ﴿... إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٨): أَي: إِنَّ رَبَّكَ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي حَكِيمٌ فِي عَطَائِهِ وَمَنْعِهِ لِعِبَادِهِ، عَلِيمٌ بِهِمْ عِلْمًا شَامِلًا، فَهُوَ يَخْتَارُ بِمَشِئَتِهِ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، وَمِنْ حِكْمَتِهِ أَنَّهُ رَفَعَ إِبْرَاهِيمَ دَرَجَاتٍ عِلْمِيَّةً، وَدَرَجَاتٍ فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ الدَّامِغَةِ، بِحَسَبِ مُقْتَضَى حَالِ قَوْمِهِ وَمُسْتَوَاهِمُ الْمَعْرِفِيِّ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَهُدًى وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ عِبَادِهِمُ الْمُذَرَّبِينَ (٨٧) وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنِبَتَهُمْ وَهَدَيْنَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧):



جاء في هَذِهِ الْآيَاتِ ذِكْرُ (١٧) نَبِيًّا رَسُولًا، كُلُّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَام، وَأَوْجِزُ الْحَدِيثِ عَنْهُمْ فِيمَا يَلِي:

### (١) إِسْحَاقُ عَلَيْهِ السَّلَام:

هو إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَام، ومعناه بالعبرية «يَضْحَك» وأُمُّه «سَارَةَ» وَلَمَّا كَانَ أَبُوهُ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ (١٠٠) سَنَةً، وَكَانَتْ أُمُّهُ قَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْعُمُرِ (٩٠) سَنَةً، وَقَدْ كَانَتْ عَاقِرًا فَبَشَّرَهُمَا اللَّهُ بِهِ، وَأَصْلَحَهَا فَجَعَلَهَا قَابِلَةً لِلْحَمْلِ بِهِ وَهِيَ عَجُوزٌ عَقِيمٌ.

وَيَتَرَجَّحُ أَنَّهُ كَانَ رَسُولًا فِي أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ «بِلَادِ الشَّامِ فِي فِلَسْطِينَ»، وَعَاشَ إِسْحَاقُ عَلَيْهِ السَّلَام (١٨٠) سَنَةً، وَمَاتَ فِي أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ، وَدُفِنَ فِي الْخَلِيلِ «حَبْرُونَ» فِي الْمَغَارَةِ الَّتِي دُفِنَ فِيهَا أَبُوهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَام.

### (٢) يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَام (وهو إسرائيل):

هو يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَام. ومعنى لفظ «يعقوب» بالعبرية: «يَعْقُبُ - يُمْسِكُ الْعَقِبَ - يَحِلُّ مَحَلًّا».

أُمُّهُ «رِفْقَةُ» بِنْتُ «بَثْوَيْل» بْنِ نَاحُورَ (أَخِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام) بْنِ «آزَرَ = تَارَح».

وَسَمَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ «إِسْرَائِيلَ» ومعناه بالعبرية «يُجَاهِدُ مَعَ اللَّهِ». وهو أَبُو الْأَسْبَاطِ الْاثْنِي عَشَرَ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ شَعْبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

ذَكَرَ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّهُ وُلِدَ فِي مَهْجَرِ الْأُسْرَةِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ فِي أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ «فِلَسْطِينَ»، وَشَبَّ فِي كَنْفِ أَبِيهِ إِسْحَاقَ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى خَالِهِ «لَابَانَ بْنِ بَثْوَيْلَ بْنِ نَاحُورَ» الْمَقِيمِ فِي «فَدَانَ آرَامَ» مِنْ أَرْضِ بَابِلَ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ.

وكان عُمره حين توفاهُ الله في مصر (١٤٧) سنة، وكان قد أوصى يعقوب ابنه يوسف أن يدفنه مع أبيه إسحاق، ففعل يوسف ذلك، وسار به إلى الشام، ودفنه عند أبيه في المغارة بحبرون «مَدِينَةُ الْخَلِيل».

وقد وصف الله عز وجل في هذا النص الذي نتدبره إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام بقوله: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾: أي: كل واحد من هؤلاء الثلاثة هدينا.

«كُلًّا» حذِفَ المضاف إليه، وعُوِضَ عَنْهُ التَّنْوِينُ الذي يُسَمَّى تَنْوِينِ الْعِوَضِ. وهو مَفْعُولٌ بِهِ مُقَدَّمٌ عَلَى فِعْلِ «هَدَيْنَا» وهذا التَّقْدِيمُ يُفِيدُ تَخْصِيصَهُمْ بِنَوْعٍ مِنَ الْهَدَايَةِ، اِمْتَاَزُوا بِهِ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَمِنْهُ الْاِصْطِفَاءُ بِالنُّبُوَّةِ، وَتَعْلِيمُهُمْ عُلُومًا دِينِيَّةً، وَعُلُومًا هَادِيَةً إِلَى صِرَاطِ السَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ، لِأَنَّهُمْ مُؤَهَّلُونَ لِهَذَا الْاِصْطِفَاءِ.

### (٣) نوح عليه السلام:

يذكر النَّسَابُونَ أَنَّهُ: «نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَام» بن لامل، بن مَتُوشَالِح، بن «إدريس = أَخْنُوخ عَلَيْهِ السَّلَام» بن يارد، بن مَهْلَائِيل، بن أَنْوَش، بن «شِيث عليه السلام» بن «آدم عَلَيْهِ السَّلَام» أَبِي الْبَشَرِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أَرْسَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى قَوْمٍ فَسَدَ حَالُهُمْ، وَنَسُوا أَصُولَ شَرِيعَةِ اللَّهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ السَّابِقِينَ، وَصَارُوا يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَأَبَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا خَمْسَةَ أَوْثَانٍ يُعْظَمُونَهَا وَيَعْبُدُونَهَا هِيَ: «وَدّ - سُوع - يَغُوث - يَعُوق - نَسْر».

وقد أَفْرَدْتُ كِتَابًا لِتَدْبِيرِ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ الْوَارِدَةِ بِشَأْنِ نُوحٍ وَقَوْمِهِ فِي الْقُرْآنِ، بِعَنْوَانِ: «نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَام وَقَوْمُهُ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيد» وَظَهَرَ لِي أَنَّهَا مُتَكَامِلَةٌ فِيمَا بَيْنَهَا.

وجاء ذِكْرُ نوحٍ عليه السَّلام في هَذَا النَّصِّ الذي نَتَدَبَّرُهُ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾: أي: وَكُلًّا مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ هَدَيْنَا، وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ في تَارِيخِ الْأُمَمِ.

#### (٤) دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَام:

لفظ «داوود» اسم عِبْرِي معناه «مَحْبُوب». وذكر الإِسْرَائِيلِيُّونَ نَسَبَهُ على الوجه التالي: «داود بن «يَسَّى = إِيشَا» بن عَوِيد، بن «بوعز = أَفْصَانَ» بن سلمون، بن نَحْشُونَ، بن عَمِّينَا دَاب، بن إِرام، بن حَضْرُونَ، بن فَارِص، بن يَهُوذَا، بن «يَعْقُوب = إِسْرَائِيل» عليه السَّلَام.

وداود عليه السَّلَام من الرُّسُل الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وقد آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالنَّبُوَّةَ، وآتَاهُ الزُّبُورَ كِتَابًا مُنَزَّلًا فِيهِ أُدْعِيَةٌ وَابْتِهَالَاتٌ.

وسبق في الملحق الثالث من ملاحق تدبّر سورة (ص/ ٣٨ نزول) تدبّر بقية مَا جَاءَ في القرآن عن داود عليه السلام بِنَظَرَةٍ تَكَامُلِيَّةٍ، مع مَا جَاءَ في السُّورَةِ مِنْ قِصَّتِهِ.

#### (٥) سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَام:

هو ابْنُ دَاوُدَ عليهما السلام، وقد آتاهُ اللَّهُ النُّبُوَّةَ وَالرِّسَالَةَ وَالْمُلْكَ مِثْلَ أَبِيهِ دَاوُدَ.

وسبق في سورة (ص/ ٣٨ نزول) تدبّر مَا جَاءَ مِنْ قِصَّتِهِ فِيهَا أَمَّا تَدَبُّرُ كُلِّ مَا جَاءَ في القرآن مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ عليه السَّلَام، تَدَبُّرًا تَكَامُلِيًّا فَيَتَطَلَّبُ دِرَاسَةً خَاصَّةً فِي مُلْحَقِ أَسْأَلِ اللَّهِ أَنْ يُعِينَنِي عَلَيْهِ مُسْتَقْبَلًا.

#### (٦) أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَام:

كَانَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَام رَجُلًا مِنَ الرُّومِ، وَيَتَّصِلُ نَسَبُهُ بِعِيسَى بْنِ

إِسْحَاقُ بن إبراهيم عليه السَّلام، وعيص هو أخو «يعقوب = إسرائيل» عليه السَّلام.

وأيوب عليه السَّلام كان نبياً ورَسُولاً، فقد ذكره الله عزَّ وجلَّ في عداد مجموعةٍ من الرُّسلِ عليهم السَّلام.

وقد سبق لدى تدبُّرِ مَا جَاءَ مِنْ قِصَّتِهِ فِي سورة (ص/ ٣٨ نزول) فِي الآيات من (٤١ - ٤٤) بَيَانُ كَافٍ عَمَّا جَاءَ بِشَأْنِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَعِنْدَ الْمُؤَرِّخِينَ<sup>(١)</sup>.

### (٧) يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلام:

قال رسولُ الله ﷺ بِشَأْنِهِ:

«الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ».

وقد ذكره الله عزَّ وجلَّ فِي عِدَادِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، عَلَيْهِمُ السَّلام.

وَسَبَقَ لَدَى تَدْبُرِ سُورَةِ (يوسف/ ١٢ مصحف/ ٥٣ نزول) بَيَانُ كَافٍ عَنْهُ.

### (٨ و ٩) مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلام:

هُمَا ابْنَا عِمْرَانَ (عِمْرَامُ بِالْعِبْرِيَّةِ) ابْنُ قَاهَتَ (قَاهَان) بْنِ لَاوِي، بْنِ يَعْقُوبَ، بْنِ إِسْحَاقَ، ابْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، عَلَى رُسُلِ اللَّهِ السَّلام.

وقد سبق ذِكْرُ لِمُوسَى وَهَارُونَ وَبَيَانَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فِي عِدَّةِ سُورٍ، وَمِنْهَا سُورَةُ (طه/ ٤٥ نزول).

(١) انظر الصفحات من (٥٧٦ - ٥٨٦) من المجلد الثالث من هذا الكتاب.

وموسى عليه السلام من كبار أولي العزم من الرسل.

وجاء في النص الذي نتدبره من سورة (الأنعام) عَقِبَ ذِكْرِ دَاوُدَ،  
وَسُلَيْمَانَ، وَأَيُّوبَ، وَيُوسُفَ، وَمُوسَى، وَهَارُونَ، قول الله عز وجل:  
﴿... وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤٨): وَأَرَى أَنَّ هَذَا التَّعْقِيبَ يَنْسَجِبُ أَيْضاً  
على الرُّسُلِ الَّذِينَ سَبَقَ ذِكْرُهُمْ فِي هَذَا الدَّرْسِ، وهم: إبراهيم، وإسحاق،  
ويعقوب، ونوح، وَيَشْمَلُ أَيْضاً كُلَّ الْمُرْسَلِينَ، فهم جَمِيعاً مُحْسِنُونَ من  
أَهْلِ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ.

فالمعنى: وَمِثْلَ ذَلِكَ الْجَزَاءِ الَّذِي مَنَّا بِهِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ من  
الرُّسُلِ، نَجْزِي سَائِرَ الْمُحْسِنِينَ، فَهَذَا مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ.

وَلَمْ يُحَدِّدْ فِي النَّصِّ نَوْعَ الْجَزَاءِ، وَلَكِنْ قَدْ يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ  
وَجَلَّ فِيهِ بِشَأْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿... رَفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ  
حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٨): وَرَفَعُ الدَّرَجَاتِ يَشْمَلُ كُلَّ عَطَاءٍ فِيهِ تَفْضِيلٌ.

(١٠ و ١١) زَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْ زَكَرِيَّا وَابْنِهِ يَحْيَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَدَىٰ تَدْبِيرِ أَوَائِلِ  
سورة (مريم/ ٤٤ نزول).

وَهُمَا نَبِيَّانِ رَسُولَانِ مِنْ رُّسُلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ ذَكَرَهُمَا اللَّهُ عَزَّ  
وَجَلَّ فِي عِدَادِ مَجْمُوعَةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْمُؤَرِّخُونَ لَهُمَا  
نَسَباً مُّتَّصِلاً مُّوثِقاً بِهِ، وَكَانَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّنْ لَهُمْ شَرِكَةٌ فِي خِدْمَةِ  
الْهَيْكَلِ.

(١٢) عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

هو آخر رُّسُلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي عِدَادِ مَجْمُوعَةِ الرُّسُلِ  
الَّذِينَ قَصَّرَ عَلَيْنَا لَقَطَاتٍ مِنْ قَصَصِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وقد سبق تَدَبُّرُ مَا جَاءَ عَنْهُ وَعَنْ أُمِّهِ فِي سُورَةِ (مريم/ ٤٤ نزول) فِي  
الآيَاتِ مِنْ (١٦ - ٣٧).

وَأَسْمُهُ عِنْدَ النَّصَارَى: «يَسُوعَ» وَهُوَ اللَّفْظُ الْعَرَبِيُّ لِلْأَسْمِ الْعِبْرِيِّ  
«يَشُوعَ» وَمَعْنَاهُ «يَهْوَهُ مُخَلَّصٌ» وَلَقَبُهُ: «الْمَسِيحُ».

هُوَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَيَتَّصِلُ نَسَبُ عِمْرَانَ بِدَاوُدَ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ، فَهُوَ مِنْ سَبَطِ (يَهُوذَا).

وَدِرَاسَةُ كُلِّ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بِشَأْنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ  
يَحْتَاجُ بَحْثًا مُسْتَقِلًّا، أَرْجُو أَنْ يُوفِّقَنِي اللَّهُ لِذَلِكَ فِي تَدَبُّرِ تَكَامُلِي.

### (١٣) إِيَّاسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ضَمْنَ مَنْ ذَكَرَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ. وَلَمْ يَتَّفِقِ  
الْمُؤَرِّخُونَ عَلَى نَسَبٍ مُنْضَبَطٍ لَهُ، وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ لَهُ النَّسَبَ التَّالِيَّ: «هُوَ  
إِيَّاسُ بْنُ يَاسِينَ بْنِ فَتْحَاصَ بْنِ الْعِيزَارِ بْنِ هَارُونَ» فَهُوَ عَلَى هَذَا مِنْ ذُرِّيَّةِ  
هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهُوَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَيُسَمَّى عِنْدَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ: «إِيلِيَّا» وَهُوَ اسْمُ عِبْرِيٍّ مَعْنَاهُ: «إِلَهِي يَهْوَهُ»  
وَأَسْمُهُ فِي الْيُونَانِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ «إِيَّاسُ» وَلَهُ عِنْدَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ عِدَّةُ أَخْبَارٍ.

وَجَاءَ فِي النَّصْرِ الَّذِي نَتَدَبَّرُهُ عَقَبَ ذِكْرِ «زَكَرِيَّا»، وَيَحْيَى، وَعِيسَى،  
وَالْإِيَّاسِ «قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿... كُلُّ مَنْ الصَّالِحِينَ﴾ (٥٨) وَأَرَى أَنَّ  
هَذَا التَّعْقِيبَ يَنْسَجِبُ أَيْضًا عَلَى كُلِّ الرُّسُلِ الَّذِينَ سَبَقَ ذِكْرُهُمْ فِي هَذَا  
الدَّرْسِ، فَهُمْ مُحْسِنُونَ، وَالْمُحْسِنُونَ كُلُّهُمْ صَالِحُونَ.

### (١٤) إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

هُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ قَرِينَتِهِ «هَاجِرَ» الْمِصْرِيَّةِ الَّتِي  
أَهْدَاهَا فِرْعَوْنُ مِصْرَ لَزَوْجَةِ إِبْرَاهِيمَ «سَارَةَ» بَعْدَ أَنْ حَمَاهَا اللَّهُ مِنْهُ بِدَعَاءِ

إبراهيم عليه السلام، ثم أَهْدَتْهَا لَهُ فَأَنْجَبَ مِنْهَا «إِسْمَاعِيلَ» حين كان عمره (٨٦) سنة.

ومعنى «إِسْمَاعِيلَ» بالعبرية «يَسْمَعُ الله» وجاء عند أبي البقاء أن معناه «مُطِيع الله».

ويترجح أن الله عزَّ وجلَّ بَعَثَهُ رَسُولاً إِلَى الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي عَاشَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَسْطِهَا، وَذَكَرَ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ إِلَى قَبَائِلِ الْيَمَنِ وَإِلَى الْعَمَالِيقِ.

وقد قَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ جَوَانِبَ مِنْ حَيَاتِهِ، مِنْهَا قِصَّةُ أَمْرِ اللَّهِ لِأَبِيهِ بِأَنْ يَذْبَحَهُ، فَاسْتَجَابَا، وَحِينَ بَاشَرَ بِذَبْحِهِ فَدَاهُ اللَّهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ، وَمِنْهَا مُشَارَكَتُهُ لِأَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي رَفْعِ الْقَوَاعِدِ مِنَ الْبَيْتِ.

### (١٥) الْيَسَعُ = اللَّيْسَعُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وَأَسْمُهُ عِنْدَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ «أَلْيَشَعُ» وَمَعْنَاهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ: «اللَّهُ خَلَّاصٌ». وَهُوَ ابْنُ «شَافَاطٍ» مِنْ سِبْطِ «يَسَّاکِرَ» فَهُوَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

أَقَامَ فِي «أَبَلِ مَحْوَلَةٍ» فِي وَادِي الْأُرْدُنِّ، آمَنَ بِالرُّسُولِ «إِلْيَاسَ» = «إِيلِيَّا» وَاتَّبَعَهُ، وَصَاحَبَهُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى نَبْذِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَإِلَى الْاسْتِمْسَاكِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَخُدَّةِ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ «إِلْيَاسُ» عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وَذَكَرَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ عِدَّةَ خَوَارِقَ عَادَاتِ أَجْرَاهَا اللَّهُ لَهُ.

### (١٦) يُونُسُ بْنُ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَسْمُهُ عِنْدَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ «يُونَانَ» بْنُ أَمْنَايَ، مِنْ سِبْطِ «زَبُولُون» أَحَدِ أَوْلَادِ «يَعْقُوبَ» = إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَكَانَ مِنْ أَهَالِي «جَت حَافِر» عَلَى بُعْدِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ النَّاصِرَةِ. وَعِنْدَ الْمُؤَرِّخِينَ الْعَرَبُ أَنَّ نَسَبَهُ يَتَصَلُّ بِبَنِيَامِينَ.

أَرْسَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى أَهْلِ «نَيْنَوَى» وهي مدينة كبيرة كانت تقع على نَهْرٍ دَجَلَةٍ أَوْ قَرِيباً مِنْهُ، تُجَاهَ مَدِينَةِ المَوْصِلِ مِنْ أَرَاشُور (فِي الْقِسْمِ الشَّمَالِيِّ مِنَ الْعِرَاقِ الْحَدِيثِ) وَكَانَ عَدَدُ سُكَّانِهَا مِائَةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ. قَالُوا: وَكَانَتْ «نَيْنَوَى» عَاصِمَةَ الإِمْبَرَاطُورِيَةِ الْأَشُورِيَةِ.

قال المؤرخون: وكان لِأَهْلِ «نَيْنَوَى» صَنْمٌ يَعْبُدُونَهُ اسْمُهُ «عَشْتَار». وَيُوجَدُ سِفْرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ بِعَنْوَانِ «يُونَان» مِنْ ثَلَاثِ صَفَحَاتٍ وَنِصْفٍ، فِيهِ قِصَّةُ إِلقَاءِهِ فِي الْبَحْرِ وَالتَّيَقَامِ الْحَوْتَ لَهُ، لَكِنْ فِيهِ أَنَّهُ عَصَى ابْتِدَاءً أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَهْلِ «نَيْنَوَى» كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ، وَأَرَادَ أَنْ يَهْرُبَ إِلَى «تَرْشِيش» مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، وَهَذَا مُخَالِفٌ لِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ عَنْهُ. وَيُظْهِرُ أَنَّ كَاتِبَ السِّفْرِ كَتَبَهُ مِنَ الرِّوَايَاتِ الشَّائِعَةِ الْمُحَرَّفَةِ فِي زَمَانِهِ. وَالْقُرْآنُ هُوَ الْمُهَيْمِنُ الْمَطَابِقُ لِلْحَقِّ.

وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ رِسَالَتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ خِلَالَ الْقَرْنِ الثَّامِنِ قَبْلَ مِيلَادِ الْمَسِيحِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

### (١٧) لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

هُوَ لُوطُ بْنُ هَارُونَ بْنِ تَارَحَ «= آزَرَ» بْنُ نَاحُورَ، فَهُوَ ابْنُ أَخِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، آمَنَ بِهِ وَهَاجَرَ مَعَهُ مِنَ الْعِرَاقِ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى أَهْلِ «سَدُومَ» وَكَانَتْ لَهُمْ خَمْسُ قُرَى، هِيَ: «صَبْعَةُ - عَمْرَةَ - أَدْمَا - صَبُؤِيم - بَالِغَ» وَقَدْ قَلَبَ اللَّهُ بِلَادَهُمْ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا، فَهِيَ الْآنَ فِي قَاعِ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ.

وقد سبقت الدِّراسة التَّكَامُلِيَّةُ لِلنُّصُوصِ الْقُرْآنِيَةِ الْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ بِشَأْنِ لُوطٍ وَقَوْمِهِ، فِي الْمُلْحَقِ الْخَامِسِ مِنْ مَلَا حَقِّ تَدْبِيرِ سُورَةِ (الْأَعْرَافِ/ ٣٩ نزول)<sup>(١)</sup> مَعَ ذِكْرِ جَوَابٍ مِنْ تَارِيخِهِ.

(١) انظر الصفحات من (٢٧٩ - ٣٥١) من المجلد الخامس من هذا الكتاب.



وجاء في النص الذي نتدبره من سورة (الأنعام) عَقِبَ ذِكْرٍ: «إسماعيل، وإيسع، ويونس، ولوط» قول الله عز وجل: ﴿... وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ، إِذْ وَجَدْنَاهُمْ مُسْتَحِقِّينَ لِهَذَا التَّفْضِيلِ، وَهَذَا التَّفْضِيلُ يَنْسَجِبُ عَلَى كُلِّ الرُّسُلِ الَّذِينَ سَبَقَ ذِكْرُهُمْ فِي هَذَا الدَّرْسِ، وَعَلَى سَائِرِ الرُّسُلِ إِذْ هُمْ جَمِيعًا مُفَضَّلُونَ عَلَى الْعَالَمِينَ مِنْ غَيْرِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَدْ اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالنُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ.

ولِحِكْمَةِ مَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الرُّسُلَ السَّبْعَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْهُمْ فِي هَذَا الدَّرْسِ مُقَسِّمِينَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، وَوَصَفَ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ بِأَنَّهُمْ مَهْدِيُّونَ، وَأَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ، وَوَصَفَ الْقِسْمَ الثَّانِي بِأَنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَوَصَفَ الْقِسْمَ الثَّالِثَ بِأَنَّهُ فَضَّلَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ، مَعَ أَنَّا نَذْكُرُ هَهُنَا أَنَّهُمْ جَمِيعًا مُتَّصِفُونَ بِكُلِّ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْمُرْسَلِينَ.

وأقول: إِنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ دَعَتْ إِلَيْهِ فَنِيَّةٌ تَجَزِئَةُ الْأَسْمَاءِ الَّتِي يُرَادُ ذِكْرُهَا عَلَى التَّوَالِي، مَعَ تَوْزِيعِ الصِّفَاتِ عَلَى الْأَقْسَامِ، الَّتِي يَشْتَرِكُونَ فِيهَا جَمِيعًا، لِيُتْرِكَ لِدَهْنِ الْمَتَدَبِّرِ إِذْرَاكَ تَعْمِيمُهَا عَلَى الْجَمِيعِ قِيَاسًا، وَهَذَا أَحَدُ أَسَالِبِ الْقُرْآنِ الْفَنِيَّةِ الْجَمِيلَةِ.

■ قول الله تعالى يَتَحَدَّثُ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاهْتَبَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٨٧) :

أي: وَبَعْضُ آبَاءٍ مِنْ ذَكَرْنَا آفَاءً مِنَ الرُّسُلِ، وَبَعْضُ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَبَعْضُ إِخْوَانِهِمْ، كَانُوا مُحْسِنِينَ، وَكَانُوا مِنَ الصَّالِحِينَ، وَوَجَدْنَاهُمْ ذَوِي فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَاجْتَبَيْنَاهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ نَبِيِّينَ وَمُرْسَلِينَ، وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، بِمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ شَرَائِعٍ وَأَحْكَامٍ، وَكَلَّفْنَاهُمْ أَنْ يُبَلِّغُوهَا لِأُمَّمِهِمْ وَأَقْوَامِهِمْ.

وَيَشْمَلُ هَذَا الْبَيَانَ مَنْ لَمْ يَقْضِصِ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الرُّسُلِ، وَأَوْضَحَ اللَّهُ هَذَا الْمَعْنَى وَأَكَّدَهُ بِقَوْلِهِ لِرَسُولِهِ فِي سُورَةِ (غافر/ ٤٠ مصحف/ ٦٠ نزول):

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْضِصْ عَلَيْكَ...﴾ (٧٨)

■ قول الله تعالى:

• ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨٨)

ذَلِكَ الْهُدَى الْعَظِيمُ الَّذِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الرِّسَالَاتُ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا عَلَى رُسُلِنَا، وَالْهَادِيَةِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، هُوَ هُدَى اللَّهِ، وَاللَّهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يُوصِلُ إِلَى السَّعَادَةِ الْخَالِدَةِ.

وهذا الْهُدَى يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، إِذْ يَصْطَفِيهِمْ فَيَجْعَلُهُمْ رُسُلًا يَتْلَقُونَ عَنْهُ هُدَاهُ، وَيُيَلِّغُونَهُ إِلَى أُمَمِهِمْ وَأَقْوَامِهِمْ كَمَا تَلَقَّوْهُ، وَاللَّهُ إِنَّمَا يَصْطَفِيهِمْ بِحُكْمَتِهِ لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُمْ أَهْلٌ لِهَذَا الْإِصْطِفَاءِ.

وَلَوْ أَشْرَكَ هَؤُلَاءِ الْمَصْطَفُونَ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ لَأَبْطَلَ اللَّهُ مُسْقِطًا عَنْ صَحَائِفِهِمْ سَوَابِقَ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا، وَلَسَلَبَهُمْ مَا فَضَّلَهُمْ بِهِ، وَاصْطَفَاهُمْ لِتَبْلِيغِ رِسَالَاتِهِ، وَلِعَاقِبَتِهِمْ عَلَى شِرْكِهِمْ. لَكِنَّهُمْ مَا أَشْرَكُوا، بَلْ كَانُوا جَمِيعًا مُؤَهَّلِينَ لِمَا اجْتَبَاهُمُ اللَّهُ لَهُ.

حِطَّ الْعَمَلُ: أَي: بَطَلَ فَلَمْ يُحَقِّقِ الْعَايَةَ مِنْهُ.

■ قول الله عز وجل بِشَأْنِ مَنْ ذَكَرَ مِنَ الرُّسُلِ فِي هَذَا الدَّرْسِ:

• ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ (٨٩)

أي: أُولَئِكَ الرُّسُلُ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ أَنْفَاءً، رَفِيعُوا الْمَكَانَةَ، الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَبَعَثْنَاهُمْ رَسُولًا إِلَى أُمَمِهِمْ، حَامِلِينَ رَسُولَاتِنَا لِلنَّاسِ، قَدْ بَلَغُوا أَقْوَامَهُمْ وَأُمَمَهُمْ نَظِيرَ الرِّسَالَةِ الَّتِي أَرْسَلْنَاكَ بِهَا لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

الكتاب: لفظٌ يَشْمَلُ التَّصَوُّصَ الدِّينِيَّةَ التَّعْلِيمِيَّةَ والتَّكْلِيفِيَّةَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى رُسُلِهِ.

الْحُكْمُ: فَهْهُ الْأُمُورُ، وَمَعْرِفَةُ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَحُدُودِهِمَا، وَمَعْرِفَةُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَحُدُودِهِمَا، وَالْحَسَنِ وَالسَّيِّئِ وَحُدُودِهِمَا، وَالْجَمِيلِ وَالْقَبِيحِ وَحُدُودِهِمَا. وَبَنَاءً عَلَى فَهْمِ الْأُمُورِ يُضَدِّرُ مَنْ أُوتِيَ الْحُكْمَ أَحْكَامُهُ الْعِلْمِيَّةُ وَأَحْكَامُهُ الْقَضَائِيَّةُ.

النُّبُوَّةُ: هِيَ اصْطِفَاءُ اللَّهِ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ بِإِنْبَاءِهِ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالَّذِينَ لَازِمٌ لَهُمْ لِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ.

• ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾: أي: فَإِنْ يَكْفُرْ بِرِسَالَتِكَ يَا مُحَمَّدُ كُفْرَاءَ قَوْمِكَ فِي مَكَّةَ، الَّذِينَ تَرَعَّبُ فِي أَنْ يَحْمِلُوا رِسَالَتَكَ وَيَكُونُوا وَكَلَاءَكَ فِي تَبْلِيغِهَا لِلنَّاسِ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُكَ وَعَشِيرَتُكَ الْأَقْرَبُونَ.

• ﴿... فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ (٩٨): أي: فَقَدْ وَكَّلْنَا عَنْكَ بِتَبْلِيغِهَا لِلنَّاسِ قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ، بَلْ هُمْ مُؤْمِنُونَ مُسْلِمُونَ دُعَاءً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَسْلَمُوا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، وَالَّذِينَ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ سَيُؤْمِنُونَ وَيَسْلِمُونَ، وَيَقُومُونَ بِتَبْلِيغِ رِسَالَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ عَبْرَ تَارِيخِ النَّاسِ الْمُسْتَقْبَلِيِّ.

دَلَّنِي عَلَى هَذَا اسْتِعْمَالُ فِعْلٍ: ﴿وَكَّلْنَا﴾ مَعَ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ: فِي سُورَةِ (الْإِسْرَاءِ/ ٥٠ نَزُول): ﴿... وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (٥٤):

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عِبَارَةَ ﴿وَكَلَّنَا﴾ يَرَادُ بِهَا التَّوَكُّلُ عَنِ الرَّسُولِ بِتَبْلِيغِ مَا اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ رِسَالَتُهُ لِلنَّاسِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ:

• ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾:

أَفْتَدِهِ: أَي: تَأَسَّ وَاتَّبَعَ، وَالْهَاءُ هِيَ هَاءُ السَّكْتِ.

أَي: أُولَئِكَ الرُّسُلُ الَّذِينَ ذَكَّرْنَا آتِفًا أَسْمَاءَهُمْ وَالَّذِينَ لَمْ نَذْكُرْ بِالتَّفْصِيلِ أَسْمَاءَهُمْ بَلْ أَجْمَلْنَاهُمْ بِعِبَارَةٍ: ﴿وَمَنْ ءَابَايَهُمْ وَذُرِّيَّتَهُمْ وَإِخْوَانَهُمْ﴾ هُمُ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمْ فَحَكَمْنَا لَهُمْ بِالْهُدَايَةِ الْمَثَلِيَّ بَعْدَ أَنْ وَجَدْنَاهُمْ بِالتَّجَرُّبَةِ مَهْدِيِّينَ، فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَ، لِأَنَّهُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لَّكَ.

وَمِنْ عَنَاصِرِ اهْتِدَائِكَ بِهِمْ أَنْ تَقُولَ لِقَوْمِكَ: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى مَا أَقُومُ بِهِ مِنْ أَجْلِ نَجَاتِكُمْ وَسَعَادَتِكُمْ وَتَبْلِيغِكُمْ دِينَ رَبِّكُمْ وَكِتَابَهُ أَجْرًا مَا.

﴿... إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾: أَي: مَا الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ إِلَّا تَذْكِيرٌ لَجَمِيعِ الْعَالَمِينَ، وَلَيْسَ لَكُمْ وَحْدَكُمْ، فَإِنْ آمَنْتُمْ وَأَسْلَمْتُمْ فَهُوَ لَكُمْ خَيْرٌ، وَإِنْ كَفَرْتُمْ فَقَدْ أَعْتَدَ رَبُّكُمْ لَكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الْجَحِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

ذِكْرِي: اسْمٌ بِمَعْنَى التَّذْكِيرِ، وَبِمَعْنَى التَّذْكِيرِ، وَبِمَعْنَى الْوَسِيلَةِ الَّتِي يُتَذَكَّرُ بِهَا، أَمَّا التَّذْكِيرُ فَمَطْلُوبٌ مِنْ حَمَلَةِ رِسَالَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَأَمَّا التَّذْكِيرُ فَهُوَ مَطْلُوبٌ مِنْ كُلِّ مَنْ عَلِمَ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَكِتَابِهِ شَيْئًا، وَأَمَّا التَّذْكِيرَةُ فَالْمَطْلُوبُ بِشَأْنِهَا أَنْ يَتَّخِذَهَا كُلُّ مَنْ تَلَقَّى الْقُرْآنَ وَسَائِرَ بَيَانَاتِ الرَّسُولِ ﷺ، بِمِثَابَةِ بِطَاقَةِ تَذْكِيرِ تَذْكِيرُهُ بِمَطْلُوبِ اللَّهِ مِنْهُ فِعْلًا أَوْ تَرْكًا.

وَهَلْ يَدُلُّ أَمْرُ اللَّهِ رَسُولَهُ بِأَنْ يَقْتَدِيَ بِالرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ عَلَى أَنْ شَرَعَ  
مَنْ قَبْلُنَا مِنَ الرُّسُلِ هُوَ شَرَعٌ لَنَا؟

أقول: ظاهر النص يدل على تكليف الرسول أن يقتدي بالرسول من  
قبله في مجال الدعوة، فيصبر كما صبروا، ويتبرأ من المصلحة الشخصية  
لدى قومه كما تبرؤوا، ونحو ذلك.

وأما بالنسبة إلى أحكام التكليف الشرعية فأرجح أقوال الفقهاء فيما  
أرى أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يأت في شرعنا ما يخالف شرع من  
قبلنا، والله أعلم.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثامن عشر من دروس سورة (الأنعام).  
والحمد لله على معونته ومدده وتوفيقه وفتحه.



(٢٣)

### التدبر التحليلي للدرس التاسع عشر من دروس سورة (الأنعام) الآية (٩١)

قال الله عز وجل:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ  
الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا  
وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾.

القراءات:

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: [يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ] بياء  
الغائبين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [تَجْعَلُونَهُ قَرَأَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ] بقاء المخاطبين.

### تمهيد:

هذا الدرس من فروع السَّاق الثاني من سَاقِي شجرة موضوع السّورة.

وتَدُلُّ القراءَتَانِ على أَنَّ بَعْضَ كُبرَاءِ مُشْرِكِي مَكَّةَ المعاندين، سَمِعُوا مِنْ بَعْضِ الكَذَّابِينَ المِضْلِينَ مِنْ أَحْبَارِ اليهود قولَهُمْ: مَا أَنْزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ، فَرَدَّدُوا مَقَالَتَهُمْ.

فخاطَبَ اللهُ رَسُولَهُ بأنْ يَقُولَ لمشركي مَكَّةَ بِحَسَبِ قِراءةِ ابنِ كثير وأبي عمرو قائلًا لَهُ: [قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَأَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا]: أي: يجعله اليهود.

وخاطَبَهُ بأنْ يَقُولَ لليهود بِحَسَبِ قِراءةِ جمهور القراء قائلًا لَهُ:

﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَأَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾: أي: وتخفون كثيرا منها لئلا تكون حجة عليكم، وقد جاء في أسباب النزول ذِكرُ اليهودي «فنحاص» واليهودي «مالِك بن الصيف» وأنهما مِمَّنْ قال هذه المقالة، أو أوحى بها إلى بعض مُشْرِكِي مَكَّةَ.

### التدبر التحليلي:

• ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ...﴾: أي:

وما قَدَرُوا الله حق قدره حينَ قالوا هذا القول.

يُقالُ لغة: «قَدَرَ الشَّيْءُ» أي: بَيَّنَّ مِقْدَارَهُ، أو عَلِمَ مِقْدَارَهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ عَلِمَ مِقْدَارَ الْعَظِيمِ الْكَبِيرِ عَظَمَهُ وَكَبَرَهُ، على مِقْدَارِ عِلْمِهِ بِعَظَمَتِهِ وَكَبَرِهِ.

فَالَّذِينَ قَالُوا: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ، سَوَاءٌ أَكَانُوا مِنَ  
الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْيَهُودِ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، فَهُمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ يَقْعُونَ فِي  
كِبَرَيْنِ مُكَفَّرَتَيْنِ:

الكبيرة الأولى: اتِّهَامُ الرَّبِّ - جَلَّ جَلَالُهُ - بِالْعِزِّ عَنْ أَنْزَالِ كُتُبٍ أَوْ  
صُحُفٍ وَآيَاتٍ بَيَانِيَّةٍ عَلَى بَشَرٍ مِنَ الْبَشَرِ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ سَائِرَ  
خَلْقِهِ مِنَ الْعَدَمِ، وَهُوَ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ.

الكبيرة الثانية: الاستهانة بعقاب الله على تكذيب رُسُلِهِ فيما يُبَلِّغُونَ  
عَنْ رَبِّهِمْ، وَهُمْ مُؤَيَّدُونَ مِنْهُ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ.

وَلَوْ أَنَّهُمْ قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ لَعَلِمُوا أَنَّهُ قَدِيرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَلَعَلِمُوا  
أَنَّهُ يُعَاقِبُ مَنْ كَذَّبَ رُسُلَهُ الصَّادِقِينَ بِالْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ  
لِأَنَّهُمْ كَافِرُونَ كُفْرًا عِنَادِيًّا لَا عُذْرَ لَهُمْ فِيهِ.

• ﴿... قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾:

كَانَ كُفْرًا قُرَيْشٍ يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّ التَّوْرَةَ كِتَابٌ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ  
السَّلَامُ، فَمِنْ الْحِكْمَةِ فِي الْمَنَاطَرَةِ انْتِرَاعُ اعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُ،  
أَوْ إِفْحَامُهُمْ بِذَلِكَ، وَهَذَا يَنْقُضُ ادِّعَاءَهُمْ فِي مَقُولَتِهِمْ: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى  
بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾.

نوراً: أي: علماً بيّناً واضحاً كوضوح النور. هدى: أي: هادياً إلى  
الحقِّ وصرائط السَّعَادَةِ.

أَمَّا شَيَاطِينُ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَوْحَوْا لَهُمْ بِهَذِهِ الْمَقُولَةِ الْافْتِرَائِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ  
يُغْلِبُونَ إِيمَانَهُمْ بِالتَّوْرَةِ، فَالْحُجَّةُ دَامِعَةٌ لَهُمْ وَنَاقِضَةٌ لِمَقُولَتِهِمْ بِدَاهَةِ، وَلَا  
يَجِدُونَ مَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ افْتِرَاءَهُمْ.

وَتَلَايْمُهُمْ قِرَاءَةَ جُمْهُورِ الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [تَجْعَلُونَهُ قَرَّاطِيسَ تُبْدُونَهَا

وَتُخْفُونَ كَثِيرًا] بأسلوب الخطاب، أي: تَجْعَلُونَ كِتَابَ التَّوْرَةِ مَكْتُوبًا فِي قَرَاتِيْسٍ مُتَفَرِّقَةٍ، تُبَدُونَ بَعْضَهَا بِحَسَبِ أَهْوَائِكُمْ، وَتُخْفُونَ كَثِيرًا مِنْهَا بِحَسَبِ أَهْوَائِكُمْ.

قَرَاتِيْس: جمع «قَرَاتِيس» وهو الصحيفة يُكْتَبُ فيها.

أَمَّا قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ، وَأَبِي عَمْرٍو: [يَجْعَلُونَهُ قَرَاتِيْسَ يَبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا] حَدِيثًا عَنِ الْيَهُودِ الْعَرَبِيِّينَ، فَهِيَ ثَلَاثُ أَصْحَابِ الْمَقَالَةِ الْاِفْتِرَائِيَّةِ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ، الَّذِينَ تَأَثَّرُوا بِمَا أُوحِيَ لَهُمْ بَعْضُ الْيَهُودِ.

• ﴿... وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ نَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ...﴾ أي: وَعَلَّمْتُمْ عَنْ طَرِيقٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مَا لَمْ تَعْلَمُوا قَبْلَ أَنْزَالِهِ أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ، فَمَا بِالْكُفْرِ تَجْحَدُونَ عِلْمًا عَلَّمَكُمْوَهُ رَبُّكُمْ بِمَا أَنْزَلَ وَحْيًا لِرَسُولِهِ، رَغْبَةً فِي إِنْكَارِ نُبُوَّةِ وَرِسَالَةِ رَسُولِ رَبِّكُمْ، وَتَهَرُّبًا مِنَ الْإِيمَانِ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ، وَمِنَ الْعَمَلِ بِأَحْكَامِهِ.

وَبَعْدَ أَنْ انْتَهَى بَيَانُ الْحُجَّةِ الدَّامِغَةِ الَّتِي عَلَّمَهَا اللَّهُ رَسُولُهُ، وَيُلْحَقُ بِهِ كُلُّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ:

• ﴿... قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٩١): أي: إِذَا سَكَنُوا مُفَحِّمِينَ، فَلَمْ يُجِيبُوا عَلَى سُؤَالِكَ لَهُمْ: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾؟! فَقُلْ أَنْتَ مُقَرَّرًا الْجَوَابَ الْحَقَّ: اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى، وَهَذَا يَنْقُضُ افْتِرَاءَكُمْ: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾.

ثُمَّ بَعْدَ انْفِصَاصِ مَجْلِسِ الْمَنَاطَرَةِ، إِذَا رَأَيْتَهُمْ مُصِرِّينَ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَافْتِرَاءَاتِهِمُ السَّاقِطَاتِ الْمَرْفُوضَاتِ عِنْدَ كُلِّ ذِي فِكْرٍ سَلِيمٍ، فَذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ، وَلَا تَعْبَأْ بِعَبَثِهِمْ وَلَا تَهْتَمَّ لَهُ، فَسَتَسْقُطُ مَقَالَتُهُمْ الْاِفْتِرَائِيَّةُ، وَلَا يَقْبَلُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ، أَوْ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ.



﴿ذَرَهُمْ﴾: أي: دَعَهُمْ وَاَتْرَكَهُمْ.

﴿فِي خَوْضِهِمْ﴾: أَضْلُ الْخَوْضِ: الْمَشْيُ فِي الْمَاءِ وَتَحْرِيكُهُ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعَانِي التَّضْلِيلِ، وَالطَّعْنِ، وَالسُّخْرِيَةِ، وَالِاسْتِهْزَاءِ بآيَاتِ اللَّهِ وَالْكَفْرِ بِهَا، وَفِي الْأَقْوَالِ الْكَاذِبَةِ الْبَاطِلَةِ.

﴿يَلْعَبُونَ﴾: أي: يُضِيعُونَ أَوْقَاتَهُمْ فِيمَا لَا خَيْرَ فِيهِ، اللَّعِبُ: ضِدُّ الْجِدِّ، وَالْكَفَرَةُ يُضِيعُونَ رَأْسَمَالِهِمْ: أَعْمَارَهُمْ وَطَقَاتِهِمْ فِي أَعْمَالٍ بَاطِلَةٍ لَا خَيْرَ فِيهَا، ثُمَّ يَلَاقُونَ مَصِيرَهُمْ عَذَابًا فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ التَّاسِعِ عَشَرَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الأنعام).

والحمد لله على معونته ومدِّهِ وتوفيقه وفتحه.



(٢٤)

التدبر التحليلي للدَّرْسِ العشرين من دُرُوسِ سُورَةِ (الأنعام)

الآيات من (٩٢ - ٩٤)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾:

## القراءات:

- (٩٢) • قرأ شعبة: [وَلْيُنذِرَ] بياء الغائب.
- وقراها باقي القراء العشرة: [وَلْيُنذِرَ] بتاء المخاطب، وهو الرسول ﷺ وبين القراءتين تكاملٌ في الأداء البياني.
- (٩٣) • قرأ يعقوب: [أَيَّدِيهِمْ] بضَمِّ هاء الضمير، وهو لغة.
- وقراها باقي القراء العشرة بكسْرِ هاء الضمير.
- (٩٤) • قرأ نافع، وحفص، والكسائي، وأبو جعفر: [تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ].
- وقراها باقي القراء العشرة: [تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ].
- ومؤدَّى القراءتين واحد، وهما من التفنن في التعبير.

## تمهيد:

آيات هذا الدرس من فروع السَّاقِ الأوَّل من ساقِي شجرة موضوع السورة، وفيها بيانُ رَبَّانِيٍّ مُبَاشِرٍ بِشَأْنِ الْقُرْآنِ وَالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِشَأْنِ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، أَوْ يَزْعُمُونَ اتِّصَالَهُمْ بِالْوَحْيِ، مصحوب بوعيد للظالمين.

## التدبر التحليلي:

قول الله تعالى خطاباً لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فلكلِّ مُتَلَقٍّ له:

- ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِيُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩٢):

مِنَ الْحِكْمَةِ فِي الْبَيَانِ بَعْدَ الْحَدِيثِ عَنِ التَّوْرَةِ فِي الدَّرْسِ السَّابِقِ، جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْحَدِيثُ عَنِ الْقُرْآنِ مَعْطُوفاً عَلَيْهِ، أَي: وَهَذَا الْقُرْآنُ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى، وَإِذْ أَفْحَمْتَكُمْ الْحُجَّةَ النَّاظِمَةَ لَادْعَائِكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كِتَابٌ:

﴿مُبْرَكٌ﴾: أي: ذو بَرَكَةٍ. وَالْبَرَكَةُ: هي النِّمَاءُ والزيادة في الحِسيَّاتِ، وفي الْمَعْنَوِيَّاتِ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْبَرَكَةَ الْكَثْرَةُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

ويقال لغة: بَارَكَ اللهُ الشَّيْءَ، وَبَارَكَ فِيهِ، وَبَارَكَ عَلَيْهِ، أي: وَضَعَ فِيهِ الْبَرَكَةَ.

ومعنى كَوْنِ الْقُرْآنِ مُبَارَكاً أَنَّهُ لَا تَنْضَبُ فَيُوضُّ مَعَانِيهِ، وَأَنَّهُ ذُو خَيْرَاتٍ كَثِيرَاتٍ جَدًّا، فِكْرِيَّةً، وَنَفْسِيَّةً، وَشَفَائِيَّةً، وَغَيْرَ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

• ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي: وَهَذَا الْقُرْآنُ مُبَارَكٌ وَمُصَدِّقُ الَّذِي أُنْزِلَ قَبْلَهُ مِنْ كُتُبِ رَبَّانِيَّةٍ وَمِنْهَا التَّوْرَةُ وَالزَّبُورُ وَالْإِنْجِيلُ.

تَعْيِيرٌ: ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يَدُلُّ عَلَى السَّبْقِ الزَّمَنِيِّ هُنَا، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ النُّصُوصِ، أَمَّا الْمَتَأَخَّرُ فِي الزَّمَنِ فَيُقَالُ بِشَأْنِهِ: «مِنْ خَلْفِهِ» لِأَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ غَيْرُ مَشْهُودٍ لِلنَّاسِ.

وَتَصْدِيقُ الْقُرْآنِ لِمَا أُنْزِلَ قَبْلَهُ مِنْ كُتُبِ رَبَّانِيَّةٍ، هُوَ الْإِعْلَامُ بِأَنَّهَا حَقٌّ وَصِدْقٌ مُنْزَلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، بِالنَّظَرِ إِلَى أَصُولِهَا الصَّحِيحَةِ، وَلَيْسَ مُصَدِّقاً لِمَا حَرَفَ النَّاسُ مِنْهَا.

• ﴿وَلْيُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أي: وَلْتُنْذِرَ يَا مُحَمَّدٌ بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ إِنْذَارَاتٍ مَنْ يَسْكُنُ أُمَّ الْقُرَى (= مَكَّةُ الْمَكْرَمَةِ) الْمَكْلَفِينَ وَمَنْ هُمْ سَاكِنُونَ حَوْلَهَا امْتِدَاداً مَعَ الْأَرْضِ حَتَّى آخِرِ سَاكِنٍ فِيهَا. فَيَشْمَلُ مَنْ حَوْلَ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ النَّاسَ جَمِيعاً.

وَتَكْلِيفُ الرُّسُولِ هَذَا الْإِنْذَارَ هُوَ تَكْلِيفٌ لِكُلِّ مُؤَهَّلٍ مِنْ أُمَّتِهِ أَنْ

(١) انظر الملحق الثاني من ملحقي تدبر سورة (ق/ ٣٤ نزول) حول «الوصف بالبركة في القرآن المجيد» الصفحات من (١٤٥ - ١٦٧) من المجلد الثالث من هذا الكتاب.

يَحْمِلَ رِسَالَتَهُ لِنَاسٍ، أَوْ بَعْضًا مِنْهَا عَلَى مِقْدَارِ أَهْلِيَّتِهِ، فَالْوُزَيْفَةُ الْأُولَى  
لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً أَنَّهُمْ أُمَّةٌ دَعَوَةٌ، مُكَلَّفُونَ أَنْ يُبَلِّغُوا النَّاسَ مَا  
تَبَلَّغُوهُ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَا سِمْمَا كِتَابُ اللَّهِ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ، وَسَمِيَتْ أُمَّ  
الْقُرَى لَأَنَّهَا أَوَّلُ مَا سُكِنَ مِنَ الْأَرْضِ، وَفِيهَا أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ  
لِعِبَادَةِ اللَّهِ:

وجاء في القراءة الأخرى: [وَلْيُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا] بياء  
المضارعة:

أي: وَلْيُنْذِرَ الرَّسُولُ وَحَمَلَتَهُ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ. وَلْيُنْذِرَ الْقُرْآنُ بِمَا فِيهِ  
من إنذارات أهل أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا.  
فَبَيْنَ الْقَرَاءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي آدَاءِ الْمَعْنَى الْمَرَادِ.

• ﴿... وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩٢):

أي: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاةِ الْآخِرَةِ الَّتِي تَكُونُ بَعْدَ الْبَعْثِ، وَيُؤْمِنُونَ  
بِمَا فِيهَا مِنْ حِسَابٍ، وَفَضْلِ قَضَاءٍ، وَتَنْفِيذِ جَزَاءٍ، بِدَارِ الْعَذَابِ النَّارِ،  
وَبِدَارِ النَّعِيمِ الْجَنَّةِ، تَأْتِرًا بِبَرَاهِينِ الْعَقْلِ، وَصَادِقِ الْأَخْبَارِ عَنِ الْمُرْسَلِينَ  
الْمُؤَيَّدِينَ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ مِنْ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَدْفَعُهُمُ الْخَوْفُ مِنْ  
عَذَابِ اللَّهِ خَالِدِينَ فِي الْجَحِيمِ، وَيَدْفَعُهُمُ الطَّمَعُ فِي الْخُلُودِ بِالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ،  
إِلَى الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَبِمَا جَاءَ فِيهِ، وَإِلَى الْمَحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ  
الْمَفْرُوضَةِ، مُسْلِمِينَ لِلَّهِ عَابِدِينَ.

المحافظة على الصَّلَاةِ: القيامُ بأدائها في أوقاتها، مُسْتَوْفِيَةً الشُّرُوطَ  
وَالْأَرْكَانَ وَالْوَاجِبَاتِ.

هذا الْبَيَانُ عَنِ الصَّلَاةِ يَتَعَلَّقُ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ الْمَفْرُوضَةِ، إِذْ سَبَقَ  
فِي سُورَةِ (الْإِسْرَاءِ/ ٥٠ نزول) بَيَانُ فَرَضِيَّتِهَا وَعَدَدِهَا، لَيْلَةً أُسْرِيَ  
بِالرَّسُولِ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى.

وَالصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ أَوَّلَ الْأَرْكَانِ الَّتِي تَمَّ تَحْدِيدُ عَدِيدِهَا وَأَوْقَاتِهَا  
 مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْعَمَلِيَّةِ الْخَمْسِ، وَثَانِي الْأَرْكَانِ بَعْدَ رُكْنِ إِعْلَانِ  
 الشَّهَادَتَيْنِ وَهُمَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ  
 شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ  
 وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ  
 تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾:

هَذِهِ الْآيَةُ تُعَالِجُ ثَلَاثَ قِضَايَا كُفْرِيَّةٍ هِيَ مِنْ أَظْلَمِ الظُّلْمِ:

القضية الأولى: الافتراء على الله بادعاء أن الله قال كذا، أو حكم  
 بكذا، أو أنزل كذا، وهو لم يقل ولم يحكم ولم ينزل ما ادعاه المفترى.

القضية الثانية: أن يدعي مدّع ما، أن الله أوحى إليه شيئاً ما مع  
 أن الله لم يوحِ إليه ما ادعاه.

القضية الثالثة: أن يقول قائل ما: أنا سأُنزل مثل ما أنزل الله في  
 كتابه على مُحَمَّدٍ مِنْ آيَاتٍ، لِيُوْهِمَ بِأَنَّ مَا يُبْلَغُهُ مُحَمَّدٌ عَنْ رَبِّهِ وَضَعُ  
 بَشَرِيٍّ، وَلَيْسَ مُنْزَلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَمُحَمَّدٌ لَيْسَ رَسُولاً مِنْ رُسُلِ اللَّهِ.

• ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ اسْتِفْهَامٌ يُرَادُّ بِهِ نَفْيٌ وَجُودِ الْأَكْثَرِ ظُلْماً، أَي: وَلَكِنْ  
 قَدْ يُشَارِكُ هَؤُلَاءِ فِي دَرَكَةِ الظُّلْمِ ظَالِمُونَ آخَرُونَ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّهُمْ مِنْ  
 أَهْلِ الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ مَعَ ظَالِمِينَ آخَرِينَ لَا يُوجَدُ أَظْلَمُ مِنْهُمْ، وَمِنْ  
 شُرَكَاءِ هَؤُلَاءِ فِي دَرَكَةِ الظُّلْمِ مُكَذِّبُوا الرُّسُلِ الصَّادِقِينَ، وَجَاحِدُوا رَبُّوبِيَّةَ  
 اللَّهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَالْمُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ.

وَقَدْ أَبَانَ هَذِهِ الْآيَةُ لَقِطَةً مِنْ لَقَطَاتِ عَذَابِهِمْ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

• ﴿... وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ...﴾:

غَمَرَات: جَمْعُ «غَمْرَةٍ» وَهِيَ الشَّدَّةُ. وَغَمَرَاتُ الْمَوْتِ شِدَائِدُهُ وَمَكَارِهِهُ الْغَامِرَةُ الْمُحِيطَةُ كإِحَاطَةِ الْمَاءِ الْكَثِيرِ بِالْغَرِيقِ فِيهِ. فَالْغَمْرَةُ: تَأْتِي بِمَعْنَى الْمَاءِ الْكَثِيرِ الْغَامِرِ.

أَي: وَلَوْ رَأَيْتَ أَيُّهَا الرَّائِي أَيَّا كُنْتَ إِذِ الظَّالِمُونَ غَارِقُونَ فِي شِدَائِدِ الْمَوْتِ وَمَكَارِهِهِ لَرَأَيْتَ أَمْرًا مَهُولًا مُرْعِبًا («لو») هَذِهِ إِذَا وَلِيَهَا مُضَارِعٌ أُوِّلَ بِالْمُضِيِّ). وَجَوَابُ «لو» مَطْوِيٌّ مِنَ السَّهْلِ إِدْرَاكُهُ.

﴿... وَالْمَلَكُوتُ بِأَيْدِيهِمْ ...﴾: أَي: وَالْحَالُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ لِتَعْذِيبِهِمْ يَضْرِبُونَ وُجُوهُهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ، وَهُوَ مَا أَكْمَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيَانَهُ بِشَأْنِ الْكَافِرِينَ فِي قَوْلِهِ فِي سُورَةِ (الأنفال/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول):

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهُهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٥٠):

وَنَظِيرُهُ بِشَأْنِ الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (محمد/ ٤٧ مصحف/ ٩٥ نزول): ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهُهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ﴾ (١٧):

أُطْلِقَ «بَسْطُ الْأَيْدِي» عَلَى مَعْنَى بَسْطِهَا بِالْمَكْرُوهِ، وَنَظِيرُهُ فِي الْقُرْآنِ (إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ - وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ - لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي).

وتقول الملائكة لهم:

• ﴿... أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ...﴾: أَي: أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ مِمَّا تُحَاوِلُ الْاِخْتِمَاءَ بِهِ فِي أَجْسَادِكُمْ خَوْفًا مِنْ نَزْعِ أَرْوَاحِكُمْ مِنْهَا، فَنَزْعُ أَرْوَاحِكُمْ بِشِدَّةِ أَمْرٍ لَا تَسْتَطِيعُونَ دَفْعَهُ، وَلَا الْاِخْتِبَاءَ مِنْهُ.

وتقول الملائكة لهم:

• ﴿... أَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٩٣):

الهُون: الخزي والذلة. وَعَذَابُ الْهُونِ: هو العذاب المختص بالخزي والذلة. وهو نوع عذاب شديد يكون لمن قضى الله عليهم بأن يكونوا مُعَذِّبِينَ أَذِلَاءَ خَزَايَا.

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾: أي: بِسَبَبِ مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ كاذِبِينَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ، ضَمَّنَ الفعل في ﴿تَقُولُونَ﴾ مَعْنَى الفعل في «تَكْذِبُونَ» فَعْدِي تَعْدِيَّتُهُ بِحَرْفِ الْجَرِّ «عَلَى». يقال لغة: «كَذَبَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ» أي: أَخْبَرَ عَنْهُ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ، أَوْ بِمَا لَمْ يَقُلْهُ.

• ﴿... وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٩٣): أي: وَبِسَبَبِ مَا كُنْتُمْ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ تَسْتَكْبِرُونَ فِي نُفُوسِكُمْ، مُتَمَتِّعِينَ عَنْ امْتِنَالِ أَوْامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ، فِي سُلُوكِكُمْ النَّفْسِي وَالظَّاهِرِ، إِيْمَانًا وَعَمَلًا.

جاءت تَعْدِيَةُ الْفِعْلِ فِي: ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ بِحَرْفِ الْجَرِّ «عَنْ» لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى الْفِعْلِ فِي «تَمَتُّعُونَ» فَأَعْنَتِ الْجُمْلَةُ عَنْ جُمْلَتَيْنِ وَهَذَا مِنْ إِيْجَازَاتِ الْقُرْآنِ الْبَدِيعَةِ الْمُتَكَرِّرَةِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُحَدِّثُ عَنْ لَفْظَةٍ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الدِّينِ إِذْ يَقِفُ هَؤُلَاءِ الظَّالِمُونَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِمْ فِي مَحْكَمَةِ الْحِسَابِ وَفُضِّلَ الْقَضَاءُ، فَيَقُولُ لَهُمْ:

• ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَزَكَّرْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٩٤):

أي: لَقَدْ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ، وَحَقَّقْنَا مَا كُنَّا أَنْبَأْنَاكُمْ بِهِ، وَظَهَرَ

أَنْتُمْ كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَكُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، عَلَى لِسَانِ رَسُولِكُمْ الَّذِي آيَدْنَاهُ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، وَأَنْزَلْنَاهُ بِآيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِي كِتَابِنَا الْمُعْجَزِ النَّاطِقِ بِالْحَقِّ.

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا بَعْدَ بَعْثِكُمْ لِمَلَاقَاتِ أَحْدَاثِ يَوْمِ الْجَزَاءِ الْأَكْبَرِ فُرَادَى، لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ أَنْ يَنْصُرَ أَحَدًا، أَوْ يَسْتَنْصِرَ بِأَحَدٍ، وَهَذَا مَا كُنْتُمْ تُنْكِرُونَهُ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ.

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَقَدْ كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهِذِهِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي سَبَقَ أَنْ ذَكَرْنَاهَا لَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بِمَا أَنْزَلْنَا فِي آيَاتِ كِتَابِنَا.

﴿فُرَادَى﴾: جمع «فَرْدَان» وهو الفرد.

• ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾: أي: وَتَرَكْتُمْ مَا تَفَضَّلْنَا بِهِ عَلَيْكُمْ عَطَاءً مِنْ لَدُنَّا وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، غَيْرَ قَادِرِينَ عَلَى أَنْ تَجْلُبُوا مَعَكُمْ مِنْهُ شَيْئًا، مَالًا، أَوْ قَصُورًا، أَوْ جُبُوشًا وَأَنْصَارًا.

يقال لغة: «خَوَّلَ اللَّهُ عَبْدَهُ نِعْمَةً مَا» أي: أَعْطَاهُ إِيَّاهَا مُتَفَضِّلًا.

• ﴿... وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ...﴾: أي: وَمَا نَرَى مَعَكُمْ آلِهَتِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ رَبِّكُمْ، زَاعِمِينَ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ اللَّهِ فِي أَنْفُسِكُمْ بِاسْتِحْقَاقِ إِلَهِيَّتِهِمْ لَكُمْ، وَكُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ شُفَعَاءُ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، فَأَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ هَؤُلَاءِ؟ هَلْ يَمْلِكُونَ أَنْ يَشْفَعُوا لَكُمْ؟ إِنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ شَيْئًا، وَهَذَا خَاصٌّ بِالَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِهَتَهُمْ زَاعِمِينَ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ شُفَعَاءَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

• ﴿... لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ...﴾: أي: لَقَدْ نَقَطَعَ الْوَاصِلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ آلِهَتِكُمْ مِنْ أَسْبَابٍ، فَلَا أَنْتُمْ الْيَوْمَ تُعْبُدُونَهُمْ، وَلَا هُمْ يَمْلِكُونَ أَنْ يَشْفَعُوا لَكُمْ إِذَا كَانَ لَهُمْ وُجُودٌ فِي الْوَاقِعِ وَالْحَقِيقَةِ.



وَجَاءَ فِي الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى:

• ﴿... لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ...﴾: بِضَمِّ النَّونِ، أَي: لَقَدْ تَقَطَّعَ الْبَيْنُ نَفْسُهُ الْوَاصِلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ شُرَكَائِكُمْ، فَصَارَ هَذَا الْبَيْنُ الَّذِي كُنْتُمْ عَلَى طَرَفٍ مِنْهُ، وَكَانَتْ آلِهَتُكُمْ عَلَى طَرَفٍ آخَرَ مِنْهُ مُتَقَطَّعًا سَاقِطًا، لَا وُجُودَ لَهُ بِسَبَبِ تَقَطُّعِهِ.

الْبَيْنُ: يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الصَّلَةِ وَالْمُودَّةِ، وَعَلَى الْقَرَابَةِ.

• ﴿... وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٩٤): أَي: وَضَاعَ مُبْتَعِدًا عَنْكُمْ بَعْدًا سَحِيقًا مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ بِشَأْنِ شُرَكَائِكُمْ، وَبِشَأْنِ سَائِرِ عَقَائِدِكُمْ الْبَاطِلَاتِ، فَلَا تَجِدُونَ شَيْئًا مِنْهَا أَمْرًا حَقًّا وَوَاقِعًا، بَلْ تَجِدُونَ نَقَائِضَهَا فِي الْوَاقِعِ الْمَشْهُودِ، أَوْ فِي الْوَاقِعِ الْمَشْهُودِ الْآثَارِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس العشرين من دروس سورة (الأنعام).  
والحمد لله على معونته ومدِّه وتوفيقه وفتحه.



(٢٥)

التدبر التحليلي للدرس الحادي والعشرين

من دروس سورة (الأنعام)

الآيات من (٩٥ - ٩٩)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْخَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَإِنَّ تَوْفِكَوْنَ (٩٥) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ

نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي  
 أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ  
 حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ  
 مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
 يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

### القراءات:

(٩٥) • قرأ أبْنُ كثير، وأبو عمرو، وأبْنُ عامر، وشُعْبَةُ. [الْمَيْتِ] بِإِسْكَانِ الْيَاءِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ.

وقرأهما باقي القراء العشرة: [الْمَيْتِ] بِشَدِيدِ الْيَاءِ الْمَكْسُورَةِ.

(٩٥) • قرأ وَرْشٌ، وَالشُّوسِي، وأبو جعفر: [تُوفَكُونُ] بِإِبْدَالِ الْهَمْزَةِ  
 وَآوًا مَدِّيَّةً، وَهُوَ مِنَ اللَّهْجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [تُوفَكُونُ].

(٩٦) • قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: [وَجَعَلَ اللَّيْلُ]  
 بِالْفِعْلِ الْبَاضِي وَنَضَبَ اللَّيْلِ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَجَاعِلُ اللَّيْلِ] بِاسْمِ الْفَاعِلِ وَجَرَ اللَّيْلِ.

(٩٨) • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورواح: [فَمُسْتَقَرٌّ] بِكَسْرِ الْقَافِ،  
 اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ فِعْلِ «اسْتَقَرَّ».

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَمُسْتَقَرٌّ] اسْمُ مَكَانٍ.

(٩٩) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [إِلَى ثَمَرِهِ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [إِلَى ثَمَرِهِ].

«ثَمَرٌ» و«ثَمَرَ» جَمْعُ «ثَمَرَةٍ» فَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

## تمهيد:

آيَاتُ هَذَا الدَّرْسِ مَوْضُوعَةٌ بِالسَّاقِ الْأَوَّلِ أَيْضاً مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ، وَفِيهَا بَيَانُ بَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ الْكَوْنِيَّةِ، الدَّلَالَاتِ عَلَى رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ لِكُونِهِ، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِيهَا، وَيُلْزَمُ عَقْلاً عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ تَوْحِيدُهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، فَهُوَ الرَّبُّ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، وَالْإِلَهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَلَا فِي إِلَهِيَّتِهِ.

## التدبر التحليلي:

فِي هَذَا الدَّرْسِ تَنْبِيهُ عَلَى ثَمَانٍ مِنَ الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ، مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِيمَا خَلَقَ دَاخِلَ هَذَا الْكَوْنِ مِمَّا هُوَ مَشْهُودٌ لِلنَّاسِ.

الآية الكونية الأولى: آيَةُ فَلَقِ الْحَبِّ وَالنَّوَى، دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَلَقِ وَالنَّوَى...﴾ (٩٥):

فَلَقَ الشَّيْءَ: شَقَّه، وَإِظْهَارُ مَا فِي بَاطِنِهِ.

الْحَبُّ: اسْمُ جَنْسٍ جَمْعِيٍّ، وَاحِدُهُ «حَبَّةٌ» وَالْحَبُّ هُوَ مَا يَكُونُ فِي السُّنْبُلِ وَالْأَكْمَامِ، كَالْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ، وَيَطْلُقُ عَلَى الْبُزُورِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحُبُوبَ وَالْبُزُورَ تُلْقَى فِي التَّرَابِ، وَتُسْقَى بِالمَاءِ، فَتَنْفَلِقُ وَتَخْرُجُ مِنْهَا الزُّرُوعُ وَالْأَشْجَارُ.

النَّوَى: عَجَمُ الثَّمَرَاتِ، الْوَاحِدَةُ «نَوَاةٌ» كَنَوَاةِ الثَّمَرَةِ، وَنَوَاةِ الزَّيْتُونَةِ، وَكَالنَّوَى دَاخِلَ الزَّيْبَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

إِنَّ مِنْ آيَاتِ خَلْقِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَفْلِقُ الْحَبَّ وَالنَّوَى، فَيُخْرِجُ مِنْهُمَا جُذُوراً تَمْتَصُّ مَا يَلَائِمُ الطَّبْعَةَ الَّتِي فَطَرَهَا عَلَيْهَا، مِنْ عُنَاصِرِ الْأَرْضِ مَعَ الْمَاءِ، وَيَنْبُتُ مِنْهَا نَبَاتٌ يَتَصَاعَدُ حَتَّى يَكُونَ زُرُوعاً وَأَشْجَاراً، تَخْرُجُ مِنْهَا ثَمَرَاتٌ بِحَسَبِ الْخُطَّةِ الْمُقَدَّرَةِ الْمُقْضِيَّةِ لِكُلِّ صِنْفٍ وَنَوْعٍ وَجِنْسٍ مِنْهَا.

وَهَذِهِ ظَاهِرَةٌ مُتَكَرِّرَةٌ، مَشْهُودَةٌ لِكُلِّ مَنْ يُشَاهِدُ نَبَاتَاتِ الْأَرْضِ، وَتَنَامِيهَا، مُنْذُ بَذْرِ بُزُورِهَا، حَتَّى تَكْمُلِهَا عَلَى وَفْقِ مَا قُدِّرَ وَقُضِيَ لَهَا.

هَلْ يَفْعَلُ هَذَا أَحَدٌ فِي الْوُجُودِ غَيْرُ اللَّهِ؟ وَهَلْ يُتَابِعُ أَطْوَارَ النَّبَاتِ مُنْذُ فَلَقِ حَبِّهِ أَوْ نَوَاهِ حَتَّى اكْتِمَالِهِ، أَحَدٌ غَيْرُ الرَّبِّ الْخَالِقِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ الرَّحِيمِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانَهُ؟؟.

إِنَّهُ لَا رَبَّ غَيْرُ اللَّهِ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، تَبَارَكَ اسْمُهُ، وَتَنَزَّهَتْ ذَاتُهُ وَصِفَاتُهُ.

**الآية الكونية الثانية:** آية إخراج الحيِّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَإِخْرَاجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ، دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ...﴾ (٩٥):

عَلِمْنَا فِي تَدَبُّرِ سَابِقٍ أَنَّ الْحَيَاةَ فِي شَيْءٍ مَا بِحَسَبِ خُطَّةِ اللَّهِ التَّكْوِينِيَّةِ، تَكُونُ بِنَفْخِ نَسَمَةِ الرُّوحِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ التَّكْوِينِيِّ مُبَاشَرَةً، فِي جَسَدٍ لَا حَيَاةَ فِيهِ، وَقَدْ أَحْكَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقَهُ، فَجَعَلَ لِكُلِّ مَا قُدِّرَ لَهُ اِحْتِمَالٌ أَنْ يَكُونَ حَيًّا طَبْعَةً خَاصَّةً رَسَمَ فِيهَا خَرِيطَةَ حَيَاتِهِ، نَمَاءً، وَحَرَكَةً، وَصِفَاتٍ جَسَدِيَّةً وَغَيْرَ جَسَدِيَّةٍ، هِيَ نَفْسُهُ.

فَإِذَا تَمَّ نَفْخُ الرُّوحِ فِي النَّفْسِ ظَهَرَتِ الْحَيَاةُ فِي الْجَسَدِ عَلَى وَفْقِ خَرِيطَةِ النَّفْسِ.

وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدِيرٌ بِأَمْرِ التَّكْوِينِ الْوَاحِدِ، أَنْ يَجْعَلَ فِي الْمَادَّةِ الْجَسَدِيَّةِ طَبْعَةً، هِيَ نَفْسُ الْكَائِنِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهُ حَيًّا، وَأَنْ يَنْفُخَ فِيهَا نَسَمَةَ الْحَيَاةِ، فَتَكُونَ كَائِنًا حَيًّا، كَمَا أَخْرَجَ نَاقَةَ صَالِحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَكَمَا أَخْرَجَ الْحَيَّةَ مِنْ عَصَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَخْرَجَ ذَاتَ الْعَصَا مِنَ الْحَيَّةِ بَعْدَ أَنْ لَقَقَتْ مَا أَفَكَّهُ سَحَرَةُ فِرْعَوْنَ.

فَمِنْ عَظِيمِ قُدْرَةِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ أَنَّهُ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ ذَاتِ الْمَيِّتِ،

فَيَجْعَلُ الْمَيِّتَ حَيًّا بِنَفْخِ الرُّوحِ الَّتِي هِيَ نَسَمَةُ الْحَيَاةِ فِيهِ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ ذَاتِ الْحَيِّ، فَيَجْعَلُ الْحَيَّ مَيِّتًا بِنَزْعِ نَسَمَةِ الْحَيَاةِ مِنْهُ وَهِيَ الرُّوحُ.

هَذَا الْمَعْنَى لَمْ يَخْطُرْ فِي بَالِ أَهْلِ التَّفْسِيرِ، إِذْ تَشَبَّهُوا بِإِخْرَاجِ كَائِنٍ حَيٍّ مِنْ كَائِنٍ آخَرَ مَيِّتٍ، فَقَلَّتْ عَنْدهُمْ الْأَمْثَلَةُ، مَعَ أَنَّهُ يُقَالُ: «أَخْرَجْتُ مِنْ طُلَّابٍ جَهْلَةً عُلَمَاءَ، أَيْ: بِالْتَّعْلِيمِ - وَأَخْرَجْتُ مِنْ فَنَطَارٍ حَدِيدٍ سَيَّارَةً آلِيَّةَ، أَيْ: عَنْ طَرِيقِ الصُّنْعِ - وَأَخْرَجْتُ مِنْ كَيْسٍ قَمَحٍ أَلْفَ رَغِيفٍ، أَيْ: بِالطَّحْنِ وَالْعَجْنِ وَالْحَزْ» إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْثَلَةٍ.

فَالْإِحْيَاءُ يَكُونُ بِإِدْخَالِ الرُّوحِ فِي النَفْسِ، وَالْإِمَاتَةُ تَكُونُ بِفَضْلِ الرُّوحِ عَنِ النَفْسِ، وَكُلَاهُمَا مِنْ أَفْعَالِ رُبُوبِيَّةِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَّالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ، وَلَا أَحَدٌ فِي الْوُجُودِ غَيْرُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَخْلُقُ حَيًّا مِنْ مَادَّةٍ مَيِّتَةٍ لَا حَيَاةَ فِيهَا. وَاتِّخَاذُ الْأَسْبَابِ الَّتِي يُحْيِي اللَّهُ بِهَا وَيُمِيتُ، لَا يَقْتَضِي عَقْلاً وَلَا وَاقِعًا أَنَّ مُتَّخِذَ الْأَسْبَابِ هُوَ الَّذِي أَحْيَا وَأَمَاتَ.

وَاسْتِخْدَامُ اسْمِ الْفَاعِلِ «مُخْرَجٌ» فِي مُقَابِلِ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ «يُخْرِجُ» مِنَ التَّفَنُّنِ فِي التَّعْبِيرِ، لِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ يَدُلُّ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَضَارِعُ مِنَ الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ وَالتَّجَدُّدِ، هَذَا مَا ظَهَرَ لِي فِي نُصُوصِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ الْكَثِيرَةِ.

وُمَحَاوَلَاتُ اسْتِخْرَاجِ حِكْمِ بَلَاغِيَّةٍ مِنْ هَذَا يُفْضِي إِلَى ادِّعَاءَاتٍ وَتَكَلُّفَاتٍ لَا دَاعِيَ لَهَا.

وَبَعْدَ التَّنْبِيهِ عَلَى هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الْكُونِيَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خِطَابًا لِلْمُشْرِكِينَ: ﴿... ذَلِكَمُ اللَّهُ فَآفَى تَوْفُكُونَ ۝٩٥﴾: أَيْ: ذَلِكَمُ الْعَظِيمُ الْجَلِيلُ، الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ الْقَدِيرُ، الَّذِي تَدُلُّ عَلَى صِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ آيَاتُنَا فَلَقِيَ الْحَبَّ وَالنَّوَى، وَإِخْرَاجَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَالْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا رَبَّ غَيْرُهُ، فَلَا إِلَهَ سِوَاهُ، فَكَيْفَ تُصَرِّفُونَ عَنْ هَذَا الْحَقِّ الْجَلِيِّ ذِي

الأدِلَّةُ الكُونِيَّةُ الدَّامِغَةُ، لِمُعْتَقِدَاتِ بَاطِلَاتٍ تَجْعَلُكُمْ تَتَّخِذُونَ إِلَهَةً مِنْ دُونِهِ، لَا تَجْلِبُ لَكُمْ نَفْعًا وَلَا تَدْفَعُ عَنْكُمْ ضَرًّا.

«أَنْى» اسْتِفْهَامِيَّةٌ بِمَعْنَى: «كَيْفَ» هُنَا.

«تَوْفُكُونَ» أَي تَصْرَفُونَ، يُقَالُ لُغَةً: «أَفَكُهُ، يَأْفِكُهُ» أَي صَرَفَهُ.

وَالِاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ بِمَعْنَى التَّلْوِيمِ وَالتَّثْرِيبِ عَلَى انْصِرَافِهِمْ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ الْوَاضِحِ الْبُطْلَانِ.

الآيَةُ الْكُونِيَّةُ الثَّالِثَةُ: آيَةُ فَلَقِ الْإِصْبَاحِ، دَلٌّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ...﴾ (٩٦):

الْإِصْبَاحُ: أَوَّلُ النَّهَارِ عِنْدَ الْفَجْرِ، وَفَلَقُهُ: جَعَلَهُ يَنْشَقُّ ظَاهِرًا بَعْدَ لَيْلٍ مُظْلِمٍ.

إِنَّ جَعَلَ الْإِصْبَاحِ كَأَنَّ آخِرَ اللَّيْلِ يَنْفَلِقُ عَنْهُ، فَيَمْتَدُّ شَيْئًا شَيْئًا حَتَّى يَمْتَدَّ ضِيَاءُ الشَّمْسِ عَلَى الْأَرْضِ، إِنَّمَا يَتِمُّ يَوْمًا فَيَوْمًا بِتَقْدِيرِ حَكِيمٍ، وَقُدْرَةِ ضَابِطَةِ لِحَرَكَةِ الْأَرْضِ حَوْلَ نَفْسِهَا بِاتِّجَاهِ الشَّمْسِ، دُونَ أَنْ تَخْتَلِفَ طَوَالَ مَلَائِينَ الْأَحْقَابِ، وَهَذَا التَّقْدِيرُ الْحَكِيمُ مَعَ الْقُدْرَةِ الضَّابِطَةِ لِحَرَكَةِ الْأَرْضِ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنَ الرَّبِّ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ.

الآيَةُ الْكُونِيَّةُ الرَّابِعَةُ: آيَةُ جَعَلَ اللَّيْلِ سَكْنًا، دَلٌّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ

تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكْنًا﴾: وَجَاءَتِ الْعِبَارَةُ فِي الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى: [وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكْنًا] وَبَيَّنَّ الْقِرَاءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي أَدَاءِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ، فَقِرَاءَةُ «جَعَلَ» أَبَانَتْ مَا فَعَلَ اللَّهُ فِي الْمَاضِي، وَقِرَاءَةُ «جَاعِلُ» أَبَانَتْ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ فِي الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ لِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ بِقُوَّةِ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ.

أَي: وَجَعَلَ وَيَجْعَلُ اللَّيْلَ زَمَانًا تَسْكُنُ إِلَيْهِ نَفُوسُ النَّاسِ، وَتَجِدُ فِيهِ

رَاحَةً وَأُنْسًا وَطُمَأْنِينَةً، وَبِسُكُونِ الثُّفُوسِ إِلَى اللَّيْلِ يَأْتِي النَّوْمُ مُرِيحًا طَبِيبًا مُؤَدِّيًا لِمَوْظَافِهِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَمِنْهَا إِعَادَةُ الطَّاقَةِ إِلَى الْجِسْمِ، وَلَا سِيَّمَا إِعَادَتُهَا إِلَى الدِّمَاغِ، وَإِلَى الْجِهَازِ الْعَصَبِيِّ، وَقَدْ يُسَاعِدُ النَّوْمُ عَلَى بِنَاءِ الْبُرُوتَيْنِ، وَاسْتِعَادَةِ تَحَكُّمِ الدِّمَاغِ وَالْجِهَازِ الْعَصَبِيِّ فِي الْعَضَلَاتِ وَالْغُدَدِ وَأَجْهَازَةِ الْجِسْمِ الْأُخْرَى، وَقَدْ يَكُونُ لِلنَّوْمِ تَأْثِيرٌ فِي الْحِفَاطِ عَلَى أَوْجِهِ النَّشَاطِ الْعَقْلِيِّ، وَالنَّفْسِيِّ، وَمَا زَالَ الْعُلَمَاءُ الْكُونِيُّونَ يَبْحَثُونَ فِي ظَاهِرَةِ النَّوْمِ بِوَسَائِلِهِمُ الْكَاشِفَةِ، وَلَعَلَّهُمُ الْآنَ فِي أَوَائِلِ طَرِيقِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ بِالنَّسْبَةِ إِلَى هَذِهِ الظَّاهِرَةِ.

الآيَةُ الْكُونِيَّةُ الْخَامِسَةُ: آيَةُ جَعَلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا، دَلَّ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ عَظْمًا عَلَى: «وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا».

الْحُسْبَانُ: مَصْدَرٌ كَالْحِسَابِ، وَنَظِيرُهُ فِي الْمَصْدَرِيَّةِ: الْغَفْرَانُ، وَالشُّكْرَانُ. يُقَالُ لُغَةً: «حَسَبَ الْمَالَ وَنَحْوَهُ، يَحْسُبُهُ، حِسَابًا، وَحُسْبَانًا» أَي: عَدَّهُ، وَأَحْصَاهُ، وَقَدَّرَهُ.

أَي: وَمِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ أَنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - جَعَلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مُقَدَّرَيْنِ فِي ذَوَاتِهِمَا وَفِي حَرَكَتَيْهِمَا وَمَحْسُوبَيْنِ حِسَابًا بَالِغَ الدَّقَّةِ وَالْإِتْقَانِ، فَجَعَلَ لِلشَّمْسِ مَعَ مَجْمُوعَتِهَا مَسِيرًا فِي مَجَرَّتِهَا، وَجَعَلَ الْقَمَرَ جِزْمًا لَا ضِيَاءَ فِيهِ، وَجَعَلَهُ يَدُورُ حَوْلَ الْأَرْضِ، إِذْ يَعْكُسُ عَلَيْهَا نُورًا نَاتِجًا عَنِ انْصِبَابِ ضَوْءِ الشَّمْسِ عَلَيْهِ، فَالْوَجْهُ الْمَوَاجِهُ لِلشَّمْسِ مِنْهُ فِي دَوْرَتِهِ الشَّهْرِيَّةِ حَوْلَ الْأَرْضِ يُعْطِي مِنَ النُّورِ بِمَقْدَارِ مَا يَرَى سُكَّانُ الْأَرْضِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَبِهَذَا تَظْهَرُ الْأَهْلَةُ التَّكَامِلِيَّةُ حَتَّى يَصِيرَ الْقَمَرُ بَدْرًا فِي مُتَنَصِفِ الشَّهْرِ، ثُمَّ تَظْهَرُ الْأَهْلَةُ التَّنَاقُصِيَّةُ حَتَّى لَيْلَةِ الْمَحَاقِ، الَّتِي لَا يَرَى فِيهَا سُكَّانُ الْأَرْضِ شَيْئًا مِنْ وَجْهِ الْقَمَرِ الْمَوَاجِهُ لِلشَّمْسِ، وَيَكُونُ الْقَمَرُ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْأَرْضِ تَمَامًا.

وَيَدُورُ الْقَمَرُ حَوْلَ الْأَرْضِ فِي مَدَارٍ بَيُّضٍ .

هذا التقدير الحسابي البالغ الدقة، مع القدرة الضابطة للحركات في الأفلاك لَا يُمكنُ أَنْ تكونَ إِلَّا مِنَ الرَّبِّ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ .

وجاء في النصِّ تَعْقِيْباً عَلَى التَّنْبِيهِ عَلَى الْآيَاتِ الْكُونِيَّةِ الثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ﴿٩٦﴾ :

أي: ذَلِكَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ، الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ تَقْدِيرَ عَنَاصِرِهِ وَإِيجَادَهَا بِإِتْقَانٍ، وَبَقَاءَهَا بِدَوَامٍ، أَحَدٌ فِي الْوُجُودِ، إِلَّا الرَّبُّ الَّذِي مِنْ صِفَاتِهِ أَنَّهُ الْعَزِيزُ، الْعَلِيمُ .

والمشار إليه بعبارة: ﴿ذَلِكَ﴾ فَلَقُ الْإِصْبَاحِ، وَجَعْلُ اللَّيْلِ سَكَنًا بِالْمَوَاقِفِ الْحَكِيمَةِ بَيْنَ اللَّيْلِ وَطَبَائِعِ النَّاسِ، وَجَعْلُ مَقَادِيرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَصِفَاتِهِمَا وَحَرَكَاتِهِمَا، مع المواءمة بينهما وَبَيْنَ الْأَرْضِ وَسُكَّانِهَا .

الْعَزِيزُ: أي: ذُو الْقُوَّةِ الْعَالِيَةِ لِكُلِّ قُوَّةٍ مُنَافِسَةٍ، أَوْ مُعَارِضَةٍ، أَوْ مُقَاوِمَةٍ، الْكَامِلُ فِي عِزَّتِهِ .

الْعَلِيمُ: أي: الْكَامِلُ فِي عِلْمِهِ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا .

الآيَةُ الْكُونِيَّةُ السَّادِسَةُ: آيَةُ جَعْلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ ذَاتَ مَوَاضِعَ وَحَرَكَاتٍ تَهْدِي النَّاسَ لَيْلًا فِي طُرُقَاتِهِمْ، لِبُلُوغِ أَمَاكِنَ كَانُوا يَضِلُّونَ عَنْهَا لَوْلَا هِدَايَةُ النُّجُومِ لَهُمْ، وَمِنَ الْبَدْهِيِّ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ السَّيْطَرَةُ عَلَى النُّجُومِ فِي السَّمَاءَاتِ وَجَعْلَهَا هَادِيَةً لِلنَّاسِ حِينَمَا يَسِيرُونَ فِي طُرُقَاتِهِمْ بَرًّا، وَحِينَمَا يَرْكَبُونَ مَرَاكِبَهُمْ بَحْرًا وَيُوجِّهُونَهَا لِلْبِلَادِ الَّتِي يَبْغُونَ الْوُصُولَ إِلَيْهَا إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ .

دَلَّ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ...﴾ ﴿٩٧﴾ :



أي: والله هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَيْهَا النَّاسُ بِتَقْدِيرِهِ الْحَكِيمِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى مَا يَشَاءُ، النُّجُومَ الْهَادِيَةَ لَكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، بِمَوَاضِعِهَا وَحَرَكَاتِهَا، عِنَايَةً بِكُمْ لِتَهْتَدُوا مُسْتَحْدِمِينَ مَا وَهَبَكُمْ مِنْ قُدْرَاتٍ فِكْرِيَّةٍ وَحَسِّيَّةٍ. وجاء التعبير: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ﴾ للدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الظُّلُمَاتِ ذَوَاتُ نِسَبٍ، مَا يَبَيِّنُ أَشَدَّهَا وَأَضْعَفُهَا، وإضافة الظلمات إلى البر والبحر لأدنى ملابسة، أو على تقدير «في».

وَأَتَّبَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التَّنْبِيهَ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ آيَاتِهِ الْكُونِيَّةِ فِي هَذَا الدَّرْسِ بِقَوْلِهِ: ﴿... قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٧﴾:

**التَّفْصِيلُ:** التَّبْيِينُ وَكَشْفُ حُدُودِ الْأَجْزَاءِ الْمُتَلَاصِقَةِ فِي الظَّاهِرِ، بِإِظْهَارِ مَا بَيْنَهَا مِنْ انْفِصَالٍ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَرْتَبًا، لِتَمْيِيزِ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فِي الْإِدْرَاكِ الْفِكْرِيِّ.

وَقَدْ فَصَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آيَاتِهِ الْكُونِيَّةَ فِي الْخَلْقِ، وَذَكَرَهَا مُفَصَّلَةً فِي الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ، لِلتَّنْبِيهِ عَلَيْهَا وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً، وَفِي هَذَا حِصَارٍ فِكْرِيٍّ بِذِكْرِ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَدَيْهِمُ الْاسْتِعْدَادُ لِأَنْ يَعْلَمُوا الْحَقَائِقَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِصِفَاتِ الرَّبِّ ذَاتِ الْآثَارِ فِي كَوْنِهِ تَبَاعًا، فَكُلَّمَا نُبِّهُوا عَلَى آيَةٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ تَفَكَّرُوا فِيهَا، وَأَدْرَكُوا أَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى طَائِفَةٍ جَلِيلَةٍ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - وَمَعَ تَتَابُعِ هَذِهِ الْإِدْرَاكَاتِ تَنْجَلِي الْمَعْرِفَةِ، وَتَرَسُّخُ، وَتَكُونُ لَهَا جُذُورٌ فِي أَعْمَاقِ الْقَلْبِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَضْبِطَ بِإِرَادَتِهِ الْقُوَّةَ أَهْوَاءَهُ وَشَهَوَاتِهِ، وَيَنْبِذَ تَقَالِيدَهُ الْبَاطِلَةَ، وَاتَّبَاعَهُ الْأَعْمَى، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ لَا مَحَالَةَ.

اسْتَعْمَلَ الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ بِعِبَارَةِ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ يَتَابِعُونَ تَعْلَمَ مَا يُنْبِهُونَ عَلَيْهِ أَنَا فَنَاءً، عَنْ طَرِيقِ إِدْرَاكِ مَا يُوجَّهُونَ لَهُ، وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ بَأَنَاءٍ وَتَحْلِيلٍ وَنَظَرٍ فِي الظُّوَاهِرِ وَأَسْبَابِهَا.

وقد تَكَرَّرَ في الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَصَّلَ الْآيَاتِ بِمَنَاسِبَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ، نَظْرًا إِلَى قِيَمَةِ التَّفْصِيلِ فِي إِيضَاحِ الْمَعَارِفِ وَتَرْسِيخِهَا فِي النُّفُوسِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

**الآيَةُ الْكُونِيَّةُ السَّابِعَةُ:** آيَةُ إِنْشَاءِ اللَّهِ النَّاسَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَتَسْلُسِلِ الذَّرَارِي تَنَاسُلًا مِنْ ظُهُورِ الْآبَاءِ إِلَى أَرْحَامِ الْأُمَّهَاتِ، فَخُرُوجًا إِلَى حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، وَهِيَ آيَةُ عَجِيبَةٌ ذَاتُ عَنَاصِرٍ مُدْهِشَةٍ تُذْهِلُ عُقُولَ مَنْ يُدْرِكُونَ أَجْزَاءَهَا بِتَفْصِيلٍ، وَيَفْقَهُونَ بِفَهْمٍ عَمِيقٍ عَظَمَةَ صِفَاتِ الرَّبِّ الْخَالِقِ الْمُتَقِنِ لَهَا، وَالْمَتَابِعِ خَلْقَهَا مَعَ كُلِّ طَوْرٍ صَغِيرٍ مِنْ أَطْوَارِهَا، فِي تَوَالِي أَصْغَرِ الْوَحْدَاتِ الزَّمَنِيَّةِ.

دَلَّ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ...﴾ (٩٨) :

**الإِنْشَاءُ:** الْإِحْدَاثُ الْمُضْحُوبُ بِالتَّكَامُلِ الْمَتَدَرِّجِ غَالِبًا.

• ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: هِيَ نَفْسُ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ وَفِي الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى: [فَمُسْتَقَرٌّ]: الْمُسْتَقَرُّ بِفَتْحِ الْقَافِ، هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْاسْتِقْرَارُ، أَيْ: الْقَرَارُ وَالشُّبُوتُ. وَالْمُسْتَقَرُّ بِكَسْرِ الْقَافِ هُوَ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ فِعْلِ «اسْتَقَرَّ» بِمَعْنَى تَمَكَّنَ فِي مَكَانِهِ وَسَكَنَ.

إِنَّ الْفِعْلَ فِي ﴿أَنْشَأَكُمْ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَطْوَارٍ فِي الْخَلْقِ الْإِنْسَائِيِّ، وَلَمَّا كَانَ إِنْشَاءُ كُلِّ إِنْسَانٍ يَمُرُّ فِي أَطْوَارٍ، وَهَذِهِ الْأَطْوَارُ قَدْ يَكُونُ فِيهَا مُتَنَقِّلًا فِي أَمَكْنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ، كَانَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُصَاحِبَهُ عِنَايَةٌ مِنَ اللَّهِ، تَجْعَلُهُ مُسْتَقَرًّا غَيْرَ مُضْطَرَبٍ وَلَا قَلِقٍ فِي الْمُسْتَقَرِّ الَّذِي نَقَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَهَذَا الْمُسْتَقَرُّ هُوَ مُسْتَوْدَعٌ فِيهِ حَتَّى يَحِينَ وَقْتُ نَقْلِهِ مِنْهُ إِلَى مُسْتَقَرٍّ آخَرَ، ضِمْنَ الْأَطْوَارِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا، وَهَكَذَا يَتَنَقَّلُ إِنْشَاءُ الْإِنْسَانِ فِي ظُهُورِ الْآبَاءِ وَبُطُونِ

الْأُمَّهَاتِ، مُسْتَقَرًّا فِي مُسْتَقَرَّاتٍ يُثَبِّتُ اللَّهُ بِهَا، وَهَذِهِ الْمُسْتَقَرَّاتُ هِيَ مُسْتَوْدَعَاتٌ يَكُونُ وَدِيعَةً فِيهَا مُدَّةٌ اسْتِيدَاعِهِ حَتَّى يَحِينَ وَقْتُ نَقْلِهِ إِلَى مُسْتَوْدَعٍ آخَرَ يَكُونُ فِيهِ مُسْتَقَرًّا أَيْضًا فَهُوَ مُسْتَقَرٌّ لَهُ.

هَذَا مَا تَرَجَّحَ لَدَيَّ مِنْ فَهْمٍ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ وفي القراءة الأخرى: [فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ].

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَبَانَ أَنَّهُ خَلَقَ النَّاسَ جَمِيعاً مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ نَفْسُ آدَمَ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا، فحِينَما كَانَتْ مُصَغَّرَاتُ أَفْرَادِ النَّاسِ فِي ظَهْرِ آدَمَ، كَانَتْ مُسْتَقَرَّةً بِعِنَايَةِ اللَّهِ فِي مُسْتَقَرٍّ، وَكَانَتْ فِيهِ مُسْتَوْدَعَةً قَبْلَ أَنْ تَنْتَقِلَ عَنْ طَرِيقِ التَّنَاسُلِ إِلَى مُسْتَقَرٍّ آخَرَ هُوَ مُسْتَوْدَعٌ أَيْضًا.

قال الله عزَّ وجلَّ في سُورَةِ (الزُّمَر/ ٣٩ مصحف/ ٥٩ نزول):

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ...﴾ ﴿٦﴾

فَدَلَّ التَّرْتِيبُ الْمَتْرَاحِي بِحَرْفِ الْعُظْفِ «ثُمَّ» عَلَى مُدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا نَوَيَاتُ مُصَغَّرَاتِ النَّاسِ فِي ظَهْرِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْتَقَرَّةً ثَابِتَةً فِي مُسْتَقَرٍّ هِيَ فِيهِ وَدِيعَةٌ تَنْتَظِرُ نَقْلَهَا إِلَى مُسْتَقَرٍّ آخَرَ فِي طَوْرِ آخَرَ.

وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا يَشَاءُ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الحج/ ٢٢ مصحف/ ١٠٣ نزول):

﴿... وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ...﴾ ﴿٥﴾

فَدَلَّ هَذَا النَّصُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُقَرُّ (أي: يُثَبِّتُ) فِي الْأَرْحَامِ مِنَ الْأَجِنَّةِ مَا يَشَاءُ، فَهَذِهِ الْأَرْحَامُ مُسْتَقَرَّاتٌ لِلْأَجِنَّةِ فِي الطَّوْرِ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا، وَهِيَ أَيْضًا مُسْتَوْدَعَاتٌ حَتَّى يَحِينَ خُرُوجُ الْأَجِنَّةِ مِنْهَا.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ (المرسلات/ ٧٧ مصحف/ ٣٣ نزول):

﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ :

فَدَلَّ هَذَا النَّصُّ عَلَى أَنَّ رَحِمَ الْأُمِّ قَرَارٌ مَكِينٌ، أَي: مَكَانٌ اسْتِقْرَارٍ وَثُبُوتٌ مُلَائِمٌ لِنُمُو الْجَنِينِ وَثَبَاتِهِ حَتَّى وَلَادَتِهِ.

وَاتَّبَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التَّنْبِيهَ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ السَّابِعَةِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْكَوْنِيَّةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿... قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ :

سَبَقَ تَدَبُّرُ شَبِيهِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، لَكِنْ جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عِبَارَةٌ ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ وَفِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. وَالسَّبَبُ فِي هَذَا التَّنَوُّعِ فِي التَّعْبِيرِ أَنَّ إِدْرَاكَ مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ السَّابِعَةِ يَتَطَلَّبُ فِقْهًا، وَهُوَ أَخْصَرُ مِنْ مُطْلَقِ الْعِلْمِ.

الفقه: يَسْتَعْمَلُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْعِلْمِ بِبَوَاطِنِ الْأُمُورِ وَخَفَايَاهَا وَدَقَائِقِهَا.

● ﴿يَفْقَهُونَ﴾: أَي: يُتَابِعُونَ الْبَحْثَ فِي بَوَاطِنِ الْأُمُورِ وَخَفَايَاهَا وَدَقَائِقِهَا، بُغْيَةَ الْوُصُولِ إِلَى كَمَالِ الْحَقِيقَةِ أَوْ أَكْثَرِ مَقْدَارٍ مُسْتَطَاعٍ مِنْهَا.

فَالْمَعْنَى: وَاللَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَفَقَّ خُطَّةَ الْإِنْشَاءِ الْمَتَدَرِّجِ، إِشْتِقَاقًا مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ هِيَ نَفْسُ آدَمَ، فَتَنَقَّلْتُمْ فِي أَطْوَارِ كُلِّ طَوْرٍ لَكُمْ فِيهِ مُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ حَتَّى خَرَجْتُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ، لِتَعِيشُوا فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، فَكَانَتِ الْأَرْضُ لَكُمْ مُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا حَتَّى انْتِهَاءِ أَجَالِكُمْ فِيهَا، فَكَانَ لِأَجْسَادِكُمْ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ حَتَّى سَاعَةِ الْقِيَامَةِ، فَكَانَ لَكُمْ فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ مُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ، فَمَنْ قَضَى اللَّهُ لَهُ بِالْخُلُودِ فِي الْجَنَّةِ، فَالْجَنَّةُ لَهُ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ، وَمَنْ قَضَى اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْخُلُودِ فِي دَارِ الْعَذَابِ فَهِيَ مُسْتَقَرُّهُ الْأَبَدِيِّ، وَمَنْ قَضَى اللَّهُ بِأَنْ يَدْخُلَهَا مُؤَقَّتًا لِيُنَالَ نَصِيبَهُ مِنَ الْعَذَابِ، فَهِيَ لَهُ مُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ثُمَّ يُخْرِجُهُ اللَّهُ مِنْهَا لِتَكُونَ لَهُ الْجَنَّةُ دَارَ الْقَرَارِ الْأَبَدِيِّ.

وَيَفْقَهُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ الَّذِينَ لَدَيْهِمْ الاستعدادُ لمتابعةِ البحثِ في بواطنِ الأمورِ وخفائِها ودقائقِها .

الآية الكونية الثامنة: آيةُ إنباتِ أنواعِ النَّباتاتِ، دلَّ على هذه الآيةِ الكونيةِ العجيبةِ، قولُ الله عزَّ وجلَّ في الآيةِ الأخيرةِ مِنْ هَذَا الدَّرْسِ:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ نَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾: أي: والله هو وحده الذي أنزلَ مِنَ السَّمَاءِ (أي: مِنَ السَّحَابِ) ماءً، فَلَفِظَ السَّمَاءِ يُطْلَقُ لُغَةً عَلَى كُلِّ مَا عَلَا فَأَظْلَّ، والسَّحَابُ قد عَلَا وأَظْلَّ.

وَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ عَلَى أَنَّ الْمَاءَ الصَّالِحَ لِإِنْبَاتِ النَّبَاتاتِ هُوَ مَا نَزَلَ مِنَ السُّحْبِ مَطَرًا، أَوْ بَرْدًا، أَوْ ثَلْجًا، فَسَقَى الْأَرْضَ مُبَاشَرَةً، أَوْ جَرَى أَنْهَرًا، أَوْ دَخَلَ فِي مَدَاخِلِ مِنَ الْأَرْضِ، وَتَجَمَّعَ فِي جَوْفِهَا، وَتَفَجَّرَ أَوْ نَبَعَ عُيُونًا، أَوْ حُفِرَتْ إِلَيْهِ آبارٌ لاسْتِخْرَاجِهِ مِنْهَا.

وَتَعَلَّمَ النَّاسُ مِنْ تَبَخُّرِ مِيَاهِ الْبَحَارِ وَتَجَمُّعِهَا سُحْبًا، وَنَزُولِهَا بَعْدَ ذَلِكَ مِيَاهَ حُلُوةٍ صَالِحَةٍ لَشُرْبِ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَصَالِحَةً لِلْإِنْبَاتِ، طَرِيقَةَ تَحْلِيلَةِ الْمِيَاهِ الْمَالِحَةِ، لِلانْتِفَاعِ بِهَا فِي هَذِهِ الْأَعْرَاضِ.

• ﴿... فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ...﴾: اِلْتَفَتَ الْبَيَانُ مِنَ الْحَدِيثِ بِضَمِيرِ الْغَائِبِ، إِلَى الْحَدِيثِ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، لِأَنَّ إِخْرَاجَ النَّبَاتِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْعَظْمَى فِي كَوْنِهِ، فَيَلِئُكُمْ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ بِشَأْنِهِ: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾.

أي: فَأَخْرَجْنَا بِصِفَاتِ رَبُّوبِيَّتِنَا الْعَظْمَى بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ

فَاخْتَلَطَ بِتُرَابِ الْأَرْضِ، نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ جَعَلْنَا فِيهِ طَبِيعَةَ النُّمُو النَّبَاتِي، مِنْ حَبٍّ وَنَوَى، وَبُزُورٍ وَجُذُورٍ، إِذَا كَانَ مُجَاوِرًا أَوْ مُلتَصِقًا بِتُرَابٍ مُبَلَّلٍ، مَعَ تَحَقُّقِ شُرُوطٍ أُخْرَى جَعَلْنَاهَا شُرُوطًا لِلنَّبَاتِ.

الْعُمُومُ فِي عِبَارَةٍ: ﴿... نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ...﴾ يُخَصِّصُهُ الْوَاقِعُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَهُ طَبِيعَةُ النُّمُو النَّبَاتِي.

• ﴿... فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا...﴾: أي: فَأَخْرَجْنَا مِنَ النَّبَاتِ زَرْعًا نَاعِمًا رَطْبًا أَخْضَرَ.

الْخَضِرُ: الزَّرْعُ النَّاعِمُ الْعُضُّ الرَّطْبُ الْأَخْضَرُ، يُقَالُ لُغَةً: «خَضِرَ الزَّرْعُ» أي: نَعِمَ وَاخْضَرَ فَهُوَ «خَضِرٌ، وَأَخْضَرَ». وَهَذِهِ ظَاهِرَةٌ مَشْهُودَةٌ فِي نَبَاتَاتِ الْأَرْضِ.

• ﴿... نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا...﴾: أي: حَالَةً كَوْنِنَا نُخْرِجُ مِنَ الْخَضِرِ بِخَلْقٍ بَعْدَهُ خَلْقٌ حَبًّا يَرْتَكِبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، عَلَى مَعْنَى: مُتَلَاصِقًا يَعْلُو بَعْضُهُ بَعْضًا، كَسَنَابِلِ الْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ، وَغَيْرِهِمَا. شَبَهَ هَذَا التَّلَاصُقَ مَعَ عُلُوِّ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ بِأَشْيَاءٍ مُتَعَدِّدَةٍ ذَوَاتِ حَرَكَاتٍ إِرَادِيَّةٍ، فَبَعْضُهَا يَرْتَكِبُ بَعْضًا بَارْتِقَاءً، فَتَكُونُ بِمَجْمُوعِهَا مُتَرَاكِبَةً، أي: رَاكِبَةً غَيْرَهَا، وَمَرْكُوبَةً مِنْ غَيْرِهَا.

• ﴿... وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ...﴾:

طَلْعُ النَّخْلِ: غُلَافٌ يُشَبِّهُ الْكُوزَ، يَنْفَتِحُ عَنْ حَبٍّ مَنْصُودٍ، فِيهِ مَادَّةُ إِخْصَابِ النَّخْلَةِ. وَيُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَا يَطْلُعُ فِي الشَّجَرِ مِنْ ثَمَرٍ تَوَسَّعًا.

قِنْوَانٌ: جَمْعُ «قِنْو» وَهُوَ الْعِدْقُ الَّذِي يَكُونُ ثَمَرُ النَّخْلِ نَابِتًا مِنْهُ، وَمُتَعَلِّقًا بِهِ.

أي: وَيَخْرِجُ مِنَ النَّخْلِ بِخَلْقِنَا مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ ثَمَرَاتُهَا مُنْضَدَاتٌ

مُدَلِّيَاتٍ، قَرِيبَاتُ التَّنَاولِ دَانِيَاتٍ، حِينَ تَكُونُ نَحْلَاتُهَا قَصِيرَاتٍ، وَلَيْسَتْ صَعْبَةً التَّنَاولِ حِينَ تَكُونُ نَحْلَاتُهَا شَامِخَاتٍ.

﴿... وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ...﴾: أي: وَنُخْرِجُ أَيْضاً جَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ.

جَنَّاتٍ: جمع «جَنَّة» وهي مَا يَحْتَوِي عَلَى أَشْجَارٍ وَثِمَارٍ وَزُرُوعٍ وَأَنْهَارٍ.

أَعْنَابٍ: جَمْعُ «عَنْبٍ» وَهُوَ ثَمَرُ الْكَرْمِ وَهُوَ طَرِيٌّ.

أي: وَنُخْرِجُ جَنَّاتٍ مِنْ أَشْجَارِ أَعْنَابٍ. وفي بيان هَذَا ذِكْرُ لِبَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ فِي الْإِنْبَاتِ، مَعَ الْاِمْتِنَانِ عَلَى النَّاسِ بِهَذِهِ الثَّمَرَةِ الْمُبَارَكَةِ النَّافِعَةِ غِذَاءً وَدَوَاءً.

• ﴿... وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ...﴾:

• ﴿مُشْتَبِهًا﴾: اسم فاعل من فعل «اشْتَبَهَ» بمعنى «اِخْتَلَطَ» يُقَالُ لُغَةً: «اشْتَبَهَ الْأَمْرُ عَلَى فُلَانٍ» أي: اِخْتَلَطَ فِي تَصَوُّرِهِ بِغَيْرِهِ، لِكثْرَةِ عَنَاصِرِ التَّمَاثُلِ بَيْنَهُمَا حَتَّى كَانَهُمَا مُتَمَاثِلَانِ تَمَاثُلًا تَطَابُقِيًّا.

وَتُوَكِّدُ الْمَلَا حِظَةَ أَنَّ الْأَشْجَارَ وَالثَّمَرَاتِ مِنْ صِنْفٍ وَاحِدٍ لَا يَتَحَقَّقُ فِيهَا التَّمَاثُلُ التَّطَابُقِيُّ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَارَ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ فِي كَوْنِهِ طَبْعَةً خَاصَّةً بِهِ، فَجَعَلَ لِكُلِّ شَجَرَةٍ مَعَ وَحْدَاتِ نَوْعِهَا طَبْعَةً خَاصَّةً بِهَا، وَجَعَلَ لِكُلِّ وَرَقَةٍ وَثَمَرَةٍ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ طَبْعَةً خَاصَّةً بِهَا، فَالتَّمَاثُلُ الْمَنْظُورُ فِيهَا هُوَ مِنَ الْاِشْتِبَاهِ، لَا مِنَ التَّمَاثُلِ التَّطَابُقِيِّ.

لِهَذَا كَانَ مِنَ الدَّقَّةِ فِي الْبَيَانِ الرَّبَّانِيِّ، أَنْ يُعَبَّرَ عَمَّا يَرَاهُ النَّاسُ مُتَمَاثِلًا بِعِبَارَةِ: «مُشْتَبِهٍ» أي: يَظُنُّ الرَّاؤُونَ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ مُتَمَاثِلٌ تَمَاثُلًا تَطَابُقِيًّا، مَعَ أَنَّهُ فِي حَقِيقَتِهِ مُتَقَارِبٌ فِي الصِّفَاتِ تَقَارُبًا يَقَعُ فِيهِ الْاِشْتِبَاهُ،

وهو الاختلاط الذي ينعدم فيه التمييز بين المختلفات.

﴿وَعَيَّرَ مُتَشَبِّهًا﴾: أي: وعَيَّرَ مُتَقَارِبَ الصِّفَاتِ، فَلَا يَلْتَبَسُ عَلَى النَّازِرِ  
الافتراق في الصفات، بَلْ يَسْتَطِيعُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الصِّفَاتِ الْمُخْتَلِفَاتِ فِي  
الأفراد بِسُهُولَةٍ وَيُسْرٍ.

يُقَالُ لُغَةً: «تَشَابَهَ الشَّيْئَانِ، فَهُمَا مُتَشَابِهَانِ» أي: أَشْبَهَ كُلُّ مِنْهُمَا  
الْآخَرَ حَتَّى التَّبَسَا.

وَاخْتِيرَ التَّفْرِيقُ اللَّفْظِيُّ بَيْنَ التَّعْبِيرِينَ: ﴿مُتَشَبِّهًا وَعَيَّرَ مُتَشَبِّهًا﴾ لِلتَّنَوُّعِ،  
وَالدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْاِشْتِبَاهَ كَالْتَّشَابَهِ، لِأَنَّ الْاِشْتِبَاهَ مِنْ طَرَفٍ يُلْزَمُ عَنْهُ عَقْلًا  
التَّشَابَهُ مِنَ الطَّرَفَيْنِ، وَاخْتِيرَ فِي التَّعْبِيرِ تَأْخِيرَ لَفْظِ «مُتَشَابَهٍ» لِأَنَّهُ أَلْيَقُ  
بِالْوَقْفِ عَلَيْهِ إِذَا حَصَلَ الْوَقْفُ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَلْفِ الْمَدِّيَّةِ قَبْلَ آخِرِيهِ، ثُمَّ  
جَاءَ التَّعْبِيرُ فِي الْآيَةِ (١٤١): ﴿مُتَشَبِّهًا وَعَيَّرَ مُتَشَبِّهًا﴾ لِأَنَّ إِدْرَاكَ تَشَابَهِ  
الطَّرَفَيْنِ أَسْرَعُ إِلَى الدَّهْنِ.

وَالْمَعْنَى: وَأَخْرَجْنَا بِالْمَاءِ مُخْتَلِطًا بِتُرَابِ الْأَرْضِ أَشْجَارَ الزَّيْتُونِ  
وَأَشْجَارَ الرُّمَّانِ وَثَمَارَهُمَا. حُذِفَ الْمُضَافُ وَأَنْيَبَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَنَابَهُ.

وَاخْتِيرَ ذِكْرُ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مِنَ الْأَشْجَارِ لِمَا لَهُمَا مِنْ قِيَمٍ نَفْعِيَّةٍ لِلنَّاسِ  
غِذَاءً، وَفَاكِهَةً وَدَوَاءً، وَعِنْدَ عُلَمَاءِ النَّبَاتَاتِ وَالتَّغْذِيَّةِ، وَعُلَمَاءِ التَّدَاوِيِ  
بِالنَّبَاتَاتِ بُحُوثٌ مُطَوَّلَةٌ لِمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ الْفَوَائِدِ النَّفْعِيَّةِ لِهَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ.

• ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾:

الْيَنْعُ: مَصْدَرُ «يَنْعُ الثَّمَرُ، يَنْعُ، يَنْعًا، وَيَنْعًا، وَيَنْوَعًا» أي: نَضِجَ  
وَطَابَ، وَحَانَ وَقَتٌ قِطَافِهِ لِلْأَكْلِ مِنْهُ.

وَيُقَالُ لُغَةً: «أَثْمَرَ الشَّجَرُ» أي: ظَهَرَ ثَمَرُهُ.

فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ دَعْوَةٌ مِنَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ لِلنَّاسِ، أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى



ثَمَرَ النَّبَاتِ إِذَا أَمَرَ نَظَرَاتٍ تَفَكَّرَ فِي بَدِيعِ صُنْعِهِ فِي خَلْقِهِ لِلنَّبَاتِ مُتَنَقِّلًا فِي  
أَطْوَارٍ، وَإِلَى عِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ، إِذْ خَلَقَ لَهُمْ مَا فِيهِ غِذَاؤُهُمْ، وَفَاكِهَتُهُمْ،  
وَدَوَاؤُهُمْ، وَأَنْوَاعٌ مَتَاعٍ لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمِنْهَا الْاِسْتِمْتَاعُ الْجَمَالِي  
فِيمَا يُخْرِجُ مِنْ نَبَاتَاتٍ.

• ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٩٩):

أَرَى أَنَّ اسْمَ الْإِشَارَةِ فِي: ﴿ذَلِكَ﴾ يُشَارُ بِهِ إِلَى مَا نَبَّهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِهِ الْكُونِيَّةِ الثَّمَانِ فِي هَذَا الدَّرْسِ.

وَاسْتُحْدِمَ اسْمُ الْإِشَارَةِ الَّذِي يُشَارُ بِهِ إِلَى الْمَشَارِ إِلَيْهِ الْبَعِيدِ، لِلدَّلَالَةِ  
عَلَى عِظَمِ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكُونِيَّةِ، وَارْتِفَاعِ مَنْزِلَتِهَا.

﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أَي: لَعَلَّامَاتٍ جَلِيَّاتٍ دَالَّاتٍ عَلَى حَقَائِقِ  
عِلْمِيَّةٍ، هَادِيَةٍ إِلَى صِفَاتٍ مِنْ صِفَاتِ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ لِكُونِهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ  
سُلْطَانُهُ وَسَمَتْ عِنَايَتُهُ بِعِبَادِهِ - فَمَنْ لَدَيْهِمُ الْاِسْتِعْدَادُ الْإِرَادِيُّ، الضَّابِطُ  
لَأَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، وَالنَّابِذُ لِلتَّقَالِيدِ الْبَاطِلَةِ، وَالِاتِّبَاعِ الْأَعْمَى، آمَنُوا  
ب أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَاحِدُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ لِكُونِهِ، فَهُوَ الْوَاحِدُ فِي إِلَهِيَّتِهِ لِعِبَادِهِ، وَآمَنُوا  
بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا فِيهِ مِنْ جَزَاءٍ بِالثَّوَابِ وَبِالْعِقَابِ، وَآمَنُوا بِرَسُولِهِ وَبِمَا  
بَلَّغَهُمْ إِيَّاهُ عَنْ رَبِّهِ، فَأَسْلَمُوا وَعَبَرُوا عَنْ إِيْمَانِهِمُ الصَّادِقِ وَإِسْلَامِهِمْ لِرَبِّهِمْ،  
بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ تَرْضَاهُ، لِيَفُوزُوا بِالْخُلُودِ يَوْمَ الدِّينِ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ.

فَعُلُ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ اسْتُعْمِلَ هُنَا بِمَعْنَى الْاِسْتِقْبَالِ، أَي: لِقَوْمٍ لَدَيْهِمْ  
الْاِسْتِعْدَادُ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ مُسْتَقْبَلًا، فَيُخْرِجُ الَّذِينَ لَيْسُوا مُسْتَعِدِّينَ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ،  
فَإِنَّهُمْ لَا يَعْبُودُونَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا، فَهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهَا.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الأنعام).  
والحمد لله على معونته ومددِهِ وتوفيقه وفتحِهِ.



(٢٦)

## التدبر التحليلي للدرس الثاني والعشرين من دروس سورة (الأنعام) الآيات من (١٠٠ - ١٠٣)

قال الله عز وجل:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ  
وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ  
صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا  
هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ  
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾.

### القراءات:

(١٠٠) • قرأ نافع، وأبو جعفر: [وَخَرَقُوا] بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ، أَي:  
بَالْغُوا بِالْإِفْتِرَاءِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَخَرَقُوا] براء مَفْتُوحَةٍ دُونَ تَشْدِيدِ.  
والقراءتان تُعَبِّرَانِ عَنْ فَرِيقَيْنِ مِنَ الْكَافِرِينَ: أَحَدُهُمَا بَالَعٌ بِالْإِفْتِرَاءِ  
عَلَى اللَّهِ، وَالْآخَرُ لَمْ يُبَالِغْ بِذَلِكَ.

### تمهيد:

آياتُ هَذَا الدَّرْسِ مِنْ فُرُوعِ السَّاقِ الْأَوَّلِ أَيْضاً مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ  
مَوْضُوعِ السُّورَةِ.

وفيهَا عَرَضُ بَعْضِ عَقَائِدِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ وَثَنِيِّينَ وَأَهْلِ كِتَابٍ يَزْعُمُونَ  
أَنَّ اللَّهَ وَلَدًا، مَعَ تَعْقِيبِ حَكِيمٍ مُلَائِمٍ فِيهِ بَيَانُ الْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ، وَأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ  
كُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ، فَلَا وَلَدَ لَهُ وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ تُنْجِبُ لَهُ وَلَدًا، لِأَنَّهُ  
مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ.

## التدبر التحليلي:

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ بَيْنَ وَبَنَاتٍ يَغَيِّرُ عِلْمٌ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾:

السُّورَةُ تُعَالِجُ ضَلَالَاتِ الْمُشْرِكِينَ فِي مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا، وَقَدْ تَدْمِجُ فِيهَا ضَلَالَاتٍ مُشَابِهَاتٍ مِنْ ضَلَالَاتِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَغَيْرِهِمْ، تَمْهِيدًا لِإِبْطَالِ ضَلَالَاتِ كُلِّ الْكَافِرِينَ، فِي نَجْمِ التَّنْزِيلِ الَّتِي كَانَ يَتَّبَعُ تَنْزِيلُهَا، وَاسْتَمَرَ حَتَّى أَوَاخِرِ التَّنْزِيلِ الْمَدَنِيِّ.

وَذَكَرَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ضَلَالَتَيْنِ كُبْرَيَيْنِ مِنَ الضَّلَالَاتِ الْمَكْفَرَاتِ الْمُتَعَلِّقَاتِ بِذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ.

**الضَّلَالَةُ الْأُولَى:** اتَّخَاذُ الْمُشْرِكِينَ الْجِنَّ شُرَكَاءَ اللَّهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ، دَلٌّ عَلَى هَذِهِ الضَّلَالَةِ الْمَكْفَرَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾: أَي: فَعَبَدُوا الْجِنَّ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهَؤُلَاءِ الْجِنَّ الَّذِينَ عَبَدُوهُمْ هُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ، لَا مِنَ الْجِنَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَعِبَادَتُهُمْ لَهُمْ كَانَتْ بِطَاعَتِهِمْ فِيمَا كَانُوا يَأْمُرُونَهُمْ بِهِ، وَفِيمَا كَانُوا يَنْهَوْنَهُمْ عَنْهُ، وَعِبَادَةُ الْمُشْرِكِينَ الْأَوْثَانِ قَدْ كَانَتْ طَاعَةً مِنْهُمْ لِبَعْضِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ الشَّيَاطِينُ، وَتَحْرِيمُ الْمُشْرِكِينَ لِبَعْضِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، قَدْ كَانَ طَاعَةً مِنْهُمْ لِبَعْضِ مَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ الشَّيَاطِينُ.

وَتَدُلُّ عَلَى هَذَا نُصُوصٌ قُرْآنِيَّةٌ مُتَعَدِّدَةٌ، مِنْهَا النُّصُوصُ التَّالِيَةُ:

(١) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (يَس/ ٣٦/ مَصْحَف/ ٤١/ نَزُول):

بِشَأْنِ يَوْمِ الْحِسَابِ:

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٠١﴾ وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جَحِلًا كَثِيرًا فَلَمْ تُكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٢﴾﴾: الشَّيْطَانُ: اسْمُ جَنْسٍ يَشْمَلُ إِبْلِيسَ وَجُنُودَهُ.

(٢) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (سبأ/ ٣٤ مصحف/ ٥٨ نزول):

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءَ بِإِئَاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤١﴾﴾  
قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ  
مُؤْمِنُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

إِنَّ الشَّيَاطِينَ مِنَ الْجِنَّ يَكْذِبُونَ عَلَى قُرْنَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ، فَيَقُولُونَ لَهُمْ: إِنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ، فَيَسْجُدُونَ لَهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ، وَيُطِيعُونَهُمْ فِيمَا يُمْلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوْامِرٍ وَنَوَاهِي، فِيهَا شُرَكَائَاتٌ وَكُفْرِيَّاتٌ وَمَعَاصِي لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ.

(٣) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الكهف/ ١٨ مصحف/ ٦٩ نزول):

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾.

الضَّلَالَةُ الثَّانِيَّةُ: الْإِفْتِرَاءُ عَلَى اللَّهِ بِأَنَّ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ.

دَلَّ عَلَى هَذِهِ الضَّلَالَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ: ﴿... وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُمُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ...﴾ (١١٠).

• ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾: أَي: وَخَلَقَهُمُ اللَّهُ رَبُّهُمْ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِنِعَمٍ كَثِيرَةٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِحْصَاءَهَا، وَبِقَاوِهِمْ فِي الْوُجُودِ بِنِعَمِهِ.

• ﴿وَخَرَقُوا﴾: أَي: وَافْتَرَوْا وَاخْتَلَقُوا كَذِبًا.

• ﴿لَهُمُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾: أَي: وَاخْتَلَقُوا لِلَّهِ بَنِينَ وَبَنَاتٍ كَذِبًا، زَاعِمِينَ أَنَّ لِلَّهِ بَنِينَ وَبَنَاتٍ، وَمِنْهَا زَعَمُهُمْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ.

• ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أَي: وَاخْتَلَقُوا كَذِبًا اخْتِلَاقًا غَيْرَ مُقْتَرِنٍ وَلَا مُؤَيَّدٍ وَلَا مَصْحُوبٍ بِأَيِّ عِلْمٍ يَدُلُّ دَلَالَةً وَهْمِيَّةً عَلَى أَنَّ لِلَّهِ بَنِينَ وَبَنَاتٍ، إِنَّمَا هُوَ مَحْضَرُ افْتِرَاءٍ عَلَى اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانِهِ، وَلَعَلَّ بَعْضَ الْمَشْرِكِينَ قَدْ تَأَثَرُوا بِبَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادَّعَوْا أَنَّ لِلَّهِ ابْنًا أَوْ بَنِينَ:

وقد أَبَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ تَنْزِيْهُهُ وَتَعَالِيَهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ الْجِنُّ أَوْ بَعْضُ مِنْهُمْ شُرَكَاءَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَعَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْلَادٌ بَنُونَ أَوْ بَنَاتٌ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿... سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١٠٠).

● ﴿سُبْحَنَهُ﴾: أي: تَنْزِيْهُهَا وَتَقْدِيْسًا لَهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُوصَفَ بِهِ، مِنْ صِفَاتٍ لَا تَلِيْقُ بِأَزَلِيَّتِهِ وَأَبَدِيَّتِهِ وَكَمَالَاتِهِ وَتَبَرُّئِهِ مِنَ الْاِحْتِيَاجِ لَشَيْءٍ، إِذْ لَهُ الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ فِي ذَاتِهِ وَفِي كُلِّ صِفَاتِهِ.

«سُبْحَان» هو في مَوْضِعِ الْمُضَدَّرِ، وَالْأَصْلُ فِيهِ: أَسْبَحَ اللهُ تَسْبِيْحًا، أي: أَنْزَلَهُ تَنْزِيْهَاً. وَهُوَ اسْمٌ عَلَمٌ لِمَعْنَى الْبَرَاءَةِ وَالتَّنْزِيْهِ، وَفِيهِ زِيَادَةُ الْأَلِفِ وَالتَّوْنِ، فَهُوَ لِهَذَا لَا يُنَوَّنُ لِأَنَّهُ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ.

● ﴿وَتَعَالَى﴾: أي: وَتَسَامَى تَسَامِيًّا مُطْلَقًا بَعِيدًا عَنْ صِفَاتِ الْحَادِثَاتِ كُلِّهَا.

● ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾: أي: تَنْزَرَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُهُ هَؤُلَاءِ الْمَفْتَرُونَ الَّذِينَ جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ مِنَ الْجِنِّ، وَالَّذِينَ خَرَقُوا لَهُ بَيْنَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ. بين: «خَلَقَ» و«خَرَقَ» من عِبَارَةِ: ﴿وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا﴾ جِنَاسٌ نَاقِصٌ، مَعَ التَّقَارُبِ فِي النُّطْقِ بَيْنَ اللَّامِ وَالرَّاءِ، فَهُوَ شَبِيْهُ بِالْجِنَاسِ التَّامِ.

■ قول الله تعالى:

● ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١١):

﴿بَدِيعٌ﴾ صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ بِمَعْنَى «مُبْدِعٌ» أي: مُوَجِّدٌ مُحْدِثٌ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ.

يُقَالُ لُغَةً: «بَدَعُهُ، يَبْدَعُهُ، بَدْعًا» أي: أَنْشَأَهُ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، فَهُوَ «بَدِيعٌ» يُقَالُ لَاسِمِ الْفَاعِلِ وَلاَسِمِ الْمَفْعُولِ.

• ﴿يَدْبِغُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ أي: الله مُوجِدٌ وَمُحْدِثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، إِذْ أْبَدَعَ كُلَّ مَا فِيهِمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ لَهُمَا، فَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ وَجَمِيعُ مَا فِيهِمَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَإِبْدَاعٌ مِنْ إِبْدَاعِهِ.

• ﴿... أَفَنَى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ...﴾؟:

«أنى» تأتي بمعنى «كَيْفَ» وتَأْتِي بِمَعْنَى «مِنْ أَيْنَ» وكلا المعنيين هُنَا صَالِحَانِ، وَهِيَ اسْتِفْهَامِيَّةٌ.

فَالْمَعْنَى: كَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، وَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ قَبْلَ خَلْقِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، وَلَا بَعْدَ خَلْقِهِ لَهُمَا صَاحِبَةٌ، لِأَنَّهُ مُنْزَعٌ عَنْ حَاجَتِهِ لِصَاحِبَةٍ تَكُونُ زَوْجَةً لَهُ؟؟

إِنَّهُ اللهُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ.

فِي هَذَا بَيَانٌ بَطْلَانِ مَقَالَاتِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ أَنْجَبَ وَلَدًا، عَلَى مَا يَعْتَقِدُونَ مِنَ التَّنَاسُلِ عَنْ طَرِيقِ الزَّوْجَاتِ، وَمِنْ هَذَا تَوَهُّمٌ بَعْضُهُمْ أَنَّ اللهَ تَزَوَّجَ نِسَاءً مِنْ سَرَواتِ الْجَنِّ فَوَلَدَنَ لَهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَانًا.

وَالَّذِينَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ هُمْ قُرَيْشٌ، وَجُهَيْنَةٌ، وَبَنُو سَلَمَةَ، وَخُزَاعَةٌ، وَبَنُو مُلَيْحٍ.

• ﴿... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ...﴾: أي: وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ سِوَاهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ شَيْءٌ هُوَ خَلَقَهُ وَلَدًا لَهُ مُشْتَقًّا مِنْهُ؟ هَذَا سَاقِطٌ بَدَاهَةً، فَالْمَخْلُوقُ لِلْخَالِقِ لَا يَكُونُ وَلَدًا لَهُ، وَالْوَلَدُ لِوَالِدٍ لَا يَكُونُ مَخْلُوقًا لَهُ، بَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ لِخَالِقِهِ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

• ﴿... وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: أي: وَاللهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا شَامِلًا مُحِيطًا بِكُلِّ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ فِيهِ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ

وَلَا فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا بَيْنَ لَهُ وَلَا بَنَاتٍ، فَهُوَ جَلَّ جَلَّالُهُ يُخْبِرُ بِالْحَقِّ الَّذِي يَعْلَمُهُ، وَلَوْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ شَرِيكًا مَا، أَوْ وَلَدًا مَا لَأَخْبَرَ بِذَلِكَ وَلَمْ يَكْتُمْهُ وَلَمْ يُبْطِلِ ادِّعَاءَ مُدَّعِيهِ.

■ قول الله تعالى:

• ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾:

يُخَاطَبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بهذا المعنيين بالمعالَجَةِ، وَيُلْحَقُ بِهِمْ كُلُّ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِبْتِلَاءِ.

• ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ...﴾: أي: ذَلِكُمُ الْعَظِيمُ الْجَلِيلُ الْمُنَزَّهَ عَنِ الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ وَالصَّاحِبَةِ، وَالَّذِي هُوَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَجَدَّ أَوْ هُوَ مَوْجُودٌ، وَالَّذِي هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، هُوَ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْمَتَّصِرُ بِكُمْ بِصِفَاتِ رَبُوبِيَّتِهِ دَوَامًا مُنْذُ أَوْجَدَكُمْ، وَالَّذِي يَتَصَرَّفُ بِكُمْ مَا دَامَ لَكُمْ وُجُودٌ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِيمَا بَعْدَهَا.

• ﴿... لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...﴾: أي: لَا مَعْبُودَ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ بِحَقِّ إِلَّا هُوَ، وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ فَإِلَهِيَّتُهُ بَاطِلَةٌ، وَعِبَادَتُهُ بَاطِلَةٌ.

• ﴿... خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ...﴾: أي: هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ يُوجَدُ مُسْتَقْبَلًا، كَمَا خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَجَدَ فِيمَا مَضَى، فَلَا شَيْءَ قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ أَوْ سَيَكُونُ أَوْ سَوْفَ يَكُونُ إِلَّا هُوَ خَلَقَهُ بِصِفَاتِ رَبُوبِيَّتِهِ.

• ﴿... فَاعْبُدُوهُ...﴾: أي: فَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

الْعِبَادَةُ: هي الخضوعُ، والطَّاعَةُ، والقيامُ بما يُرضي المعبودَ، وَتَرْكُ مَا لَا يُرْضِيهِ، وَرَأْسُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ بِالْغَيْبِ، لِتَحْقِيقِ مَطَالِبِ الدُّنْيَا

والآخرة. وهذه العبادة الاختيارية لا تكون إلا للرب - جلّ جلاله وعظم سلطانه - فهو وحده الذي يستحقها.

والعبادة بتعبير آخر: هي السلوك الإرادي الواعي، المحقق لمطلوب الرب من عبده، ولما يرضيه منه على ما شرع، مع قصد عبادته له وحده لا شريك له.

• ﴿... وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١١٦): أي: وهو - جلّ جلاله - مهيمن على كل شيء في الوجود كله هيمنة إمداد بأسباب البقاء وشروطه، وهيمنة حفظ ورقابة دائمين، على وفق خطة تكوين كل شيء، ترقية إلى كمال الشيء، أو تنكيساً له، حتى إنهاء ما قدر له من درجات صاعدات، أو دركات نازلات، أو مراقبة سلوكه الإرادي إن كان من ذوي الإرادات الحرة الموضوعين في الحياة الدنيا موضع الابتلاء، أو مراقبة تأدية كل مكلف وظيفته التي كلف القيام بها، إلى غير ذلك مما تتطلبه وكالة الوكيل على الشيء وهيمنته عليه.

• ﴿... لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ...﴾ (١١٧): أي: ليس لأبصار كل ذوي الأبصار من المخلوقين قدرة على إدراك ذاته جلّ جلاله إدراك إحاطة. إدراك البصر لشيء ما: هو رؤيته على سبيل الإحاطة، أو دون إحاطة.

فإن كان المنفي إدراك الأبصار لذات الله - جلّ جلاله - على سبيل الإحاطة، فالعبارة شاملة لأحوال الدنيا والآخرة، لأن رؤية ذات الله على سبيل الإحاطة لا تملك الخلائق القدرة عليه.

وإن كان المنفي الإدراك لا على سبيل الإحاطة، فالعبارة خاصة بأحوال الحياة الدنيا، أمّا رؤية ذات الله رؤية ما لا على سبيل الإحاطة في الآخرة، فهي ثابتة للمؤمنين بالكتاب والسنة المتواترة التي لا شك فيها.



ومما جاء في السُّنَّةِ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ».

زاد في رِوَايَةٍ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾<sup>١</sup> الآية/ ٢٦ من سورة (يونس/ ٥١ نزول).

وروى البخاريُّ ومُسلمٌ وغيرُهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ».

تُضَارُونَ: أَيُّ: يُصِيبُكُمْ ضَرَرٌ.

وَرَوَى أَبُو نَضْرَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾<sup>٢</sup> قَالَ: «يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ بِلَا كَيْفِيَّةٍ، وَلَا حُدُودٍ، وَلَا صِفَةٍ مَعْلُومَةٍ».

إلى غيرها من أَحَادِيثَ وَرِوَايَاتٍ بَلَغَتْ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ.

• ... وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ... : أَيُّ: وَهُوَ جَلَّ جَلَالُهُ يُدْرِكُ بَبَصَرِهِ كُلَّ أَبْصَارِ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا مِنْ أَكْبَرِ مَخْلُوقٍ إِلَى أَصْغَرِ مَخْلُوقٍ ذِي بَصَرٍ، وَإِذْرَاكَ اللَّهُ لِلْأَبْصَارِ يَشْمَلُ الْحَاسَّةَ النَّاظِلَةَ لِصُورِ الْمَرْئِيَّاتِ، وَهِيَ الْعَيْنُ، وَالْأَعْصَابُ مِنْ وَرَائِهَا الْمُوصِلَةُ إِلَى الدِّمَاغِ، وَمَرْكَزُ الْإِحْسَاسِ الْبَصَرِيِّ فِيهِ، وَكَيْفَ يَحْدُثُ الْإِبْصَارُ لِلْمَرْئِيَّاتِ فِيهِ، وَهَذَا مِنْ كَمَالَاتِ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ.

وظاهرٌ أَنَّ بَيَانَ حَقِيقَةِ أَنَّ أَبْصَارَ الْخَلَائِقِ لَا تُدْرِكُهُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا تُحِيطُ بِإِدْرَاكِ ذَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ، كَانَ مُنَاسَبَةً لِبَيَانِ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ بَصَرِهِ جَلٍّ جَلَّالُهُ، وَهُوَ أَنَّهُ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، وَهَذَا مِنَ الْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ الْمَتَعَلِّقَةِ بِذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ.

• ﴿...﴾ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٢﴾: هذان الوصفان يقتضيهما ما جاء في الدرس قبلهما.

**اللَّطِيفُ:** اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مأخوذٌ مِنَ اللَّطْفِ، وهو يَدُورُ حَوْلَ مَعْنَى الرَّفْقِ وَالرَّأْفَةِ، وَمَعْنَى الرَّفْقَةِ وَإِمْكَانِيَّةِ التَّقْوَذِ فِي الْفَرَاعَاتِ الصُّغْرَى الَّتِي قَدْ لَا تُدْرِكُ بِالْأَبْصَارِ. فَالْهَوَاءُ جِسْمٌ لَطِيفٌ يَنْفُذُ مِنْ أَصْغَرِ الْفَرَاعَاتِ، وَضَوْءُ الشَّمْسِ جِسْمٌ لَطِيفٌ يَنْفُذُ فِي الْمَسَامَاتِ، وَالْأَشِعَّةُ أَجْسَامٌ لَطِيفَةٌ تَدْخُلُ بِلَطَافَتِهَا دَاخِلَ أَجْسَامٍ كَثِيفَةٍ وَتَنْفُذُ مِنْهَا، وَالْمَلَائِكَةُ أَجْسَامٌ نُورَانِيَّةٌ لَطِيفَةٌ لَا تَحْجُبُهَا عَنِ الدُّخُولِ إِلَى الْأَمَاكِينِ الْجُدْرَانُ مَهْمَا كَانَتْ كَثِيفَةً.

فَعَلَى مَعْنَى الرَّفْقِ وَالرَّأْفَةِ، نَفَهُمُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الشورى/ ٤٢ مصحف/ ٦٢ نزول):

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿١٩﴾.

وعلى المعنى الآخر نفهم أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِصِفَاتِهِ يَنْفُذُ إِلَى أَعْمَاقِ كُلِّ مَوْجُودٍ، خَلْقًا، وَإِمْدَادًا، وَعِلْمًا، وَتَصَارِيفَ، عَلَى مَا يُقَدَّرُ وَيَقْضِي، لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ كَثِيفٌ صُلْبٌ مَهْمَا كَانَتْ كَثَافَتُهُ وَصَلَابَتُهُ.

**الْخَبِيرُ:** اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنِ، وهو الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا شَامِلًا. والخبير في اللُّغَةِ هو الْعَالِمُ بِالْأَمْرِ أَوْ بِالشَّيْءِ عَنْ تَجَرِبَةٍ وَمُمَازَسَةٍ يَتَسَعُّ بِهِمَا عِلْمُهُ بِالذَّقَاتِقِ.

وبهذا تمَّ تدبر الدرس الثاني والعشرين من دروس سورة (الأنعام).

والحمد لله على معونته ومَدِّدِهِ وتوفيقه وفتحهِ.



(٢٧)

## التدبر التحليلي للدرس الثالث والعشرين من دروس سورة (الأنعام) الآية (١٠٤)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾ (١٠٤):

تمهيد:

آيَةُ هَذَا الدَّرْسِ مِنْ فُرُوعِ السَّاقِ الثَّانِي مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ.

وفيها تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ بَيَانًا دَعْوِيًّا يَقُولُهُ لِقَوْمِهِ، وَلَا سِوَا الْمَعْنِيِّونَ الْأَوَّلُونَ بِالْمَعَالِجَةِ، وَهُمْ الْمُصِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ، الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ حَتَّى نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ.

التدبر التحليلي:

- ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾:
- ﴿بَصَائِرُ﴾: جمع «بَصِيرَةٌ» وهي الْحُجَّةُ الْبَيِّنَةُ، وَالْعِلْمُ، وَالْخَبَرَةُ، وَالْعِبْرَةُ. وَتُطْلَقُ عَلَى الْفِطْنَةِ وَقُوَّةِ الْإِدْرَاكِ.
- ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي: مِنْ خَالِقِكُمْ الْمُهَيِّمِينَ عَلَيْكُمْ دَوَامًا بِصِفَاتِ رَبُّوبِيَّتِهِ.

فَالْمَعْنَى: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ يَا مَنْ أَرْسَلْنَاكَ رَسُولًا لِلْعَالَمِينَ، قَدْ جَاءَكُمْ فِيمَا أُنْزِلَ عَلَيَّ عِلْمٌ حَقٌّ، مُقْتَرِنٌ بِالْحُجَجِ الدَّامِغَةِ، وَالْبَرَاهِينِ السَّاطِعَةِ، وَبِالْعِبَرِ مِنْ قِصَصِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، وَهَذَا الَّذِي جَاءَكُمْ هُوَ مِنْ رَبِّكُمْ الْمُهَيِّمِينَ عَلَيْكُمْ بِصِفَاتِ رَبُّوبِيَّتِهِ. إِنَّ إِبْجَادَهُ إِيَّاكُمْ وَإِمْدَادَهُ لَكُمْ

بِالْبَقَاءِ، وَتَصَارِفُهُ فِيكُمْ، وَمُرَاقَبَتُهُ لَكُمْ، مُصَاحِبَاتٌ لَكُمْ فِي كُلِّ الْوَحَدَاتِ الزَّمَنِيَّةِ الصَّغْرَى الَّتِي تَمُرُّ عَلَيْكُمْ، فَلَسْتُمْ خَارِجِينَ عَنْ مُحِيطِ رُبُوبِيَّتِهِ لَكُمْ، النَّافِذَةِ آثَارُهَا إِلَى أَعْمَاقٍ كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِكُمْ.

فَمَنْ أَبْصَرَ مَا جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، وَأَمَنَ بِهِ، وَأَسْلَمَ لِلَّهِ قِيَادَهُ، فَأَطَاعَهُ عَامِلًا بِمَا أَمَرَ بِفِعْلِهِ، وَتَارِكًا مَا نَهَى عَنْ فِعْلِهِ، فَلِمَصْلَحَةِ نَفْسِهِ وَنَجَاتِهِ وَفَوْزِهِ عِنْدَهُ يَوْمَ الدِّينِ قَدْ أَبْصَرَ.

وَمَنْ عَمِيَ بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ، فَلَمْ يَعْبَأْ بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَمْ يُبْصِرْهُ، وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَتِهِ لِيُظْفَرَ بِنَجَاتِهِ وَفَوْزِهِ عِنْدَ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعَلَى نَفْسِهِ جَنَى، إِذْ دَفَعَ بِهَا إِلَى الْخُلُودِ يَوْمَ الدِّينِ فِي عَذَابِ السَّعِيرِ، وَبُئْسَ ذَلِكَ الْمَصِيرُ.

اسْتُعْمِلَ الْفِعْلُ ﴿أَبْصَرَ﴾ بِمَعْنَى فَهِمَ وَتَفَكَّرَ وَاسْتَجَابَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، لِأَنَّ هَذِهِ لَوَازِمَ الْإِبْصَارِ السَّلِيمِ لَدَى أَهْلِ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ، وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ.

وَاسْتُعْمِلَ الْفِعْلُ ﴿عَمِيَ﴾ بِمَعْنَى أَعْرَضَ وَأَذْبَرَ فَلَمْ يَتَفَكَّرْ وَلَمْ يَفْهَمْ وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، فَكَانَ بِمِثَابَةِ الْأَعْمَى بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ، وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ.

وَكَلَّفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ أَنْ يَقُولَ لِقَوْمِهِ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ: ﴿... وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيزٍ﴾ ﴿١٠٤﴾:

الْحَفِيزُ: الْحَارِسُ عَلَى الشَّيْءِ الْمُؤَكَّلُ بِحِفْظِهِ مِمَّا قَدْ يَتَعَرَّضُ لَهُ مِنْ شَرٍّ.

أَي: أَرْسَلَنِي رَبِّي إِلَيْكُمْ لِأُبَلِّغَكُمْ رِسَالَاتِهِ، وَلَمْ يَرْسَلْنِي حَفِيزًا عَلَيْكُمْ، حَتَّى أُجْبِرَكُمْ عَلَى سُلُوكِ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَحْمِيَكُمْ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِكُمْ، فَانْتُمْ مَوْضُوعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ،

وَلَدَيْكُمْ إِرَادَاتٌ حُرَّةٌ تَخْتَارُونَ بِهَا مَا تَشَاءُونَ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَحْمَلُوا عِنْدَ رَبِّكُمْ عِقَابَ اخْتِيَارِكُمْ الْكُفْرَ وَالْعِصْيَانَ، إِذَا كَفَرْتُمْ، وَتَمَرَّدْتُمْ عَلَى طَاعَتِهِ.

وبهذا تم تدبر الدرس الثالث والعشرين من دروس سورة (الأنعام).  
والحمد لله على معونته ومدّده وتوفيقه وفتحته.



(٢٨)

### التدبر التحليلي للدرس الرابع والعشرين من دروس سورة (الأنعام) الآيات من (١٠٥ - ١١٧)

قال الله عزّ وجلّ:

﴿وَكَذَلِكَ نَصْرِفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِيُنَبِّئَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾  
أَتَبَعَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ  
شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا  
تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ  
أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ  
جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ بِآيَةٍ لَّيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلُوبُ الْآيَاتِ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ  
أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَتَقَلَّبَ أَفْعَادُهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ  
مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ \* وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَ  
وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ  
أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي  
بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ  
﴿١١٢﴾ وَلِلصَّغِيِّ إِلَيْهِ أَفْعَادَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ  
مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا  
وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

الْمُتَّعِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَصِلُ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ :

### القراءات:

(١٠٥) • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: [دَارَسَتْ].

وقرأ بن عامر، ويعقوب: [دَرَسَتْ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [دَرَسَتْ].

(١٠٨) • قرأ يعقوب: [عُدُّوْا].

وقرأها باقي القراء العشرة: [عَدُّوْا]. والقراءتان بمعنى واحد.

(١٠٩) • قرأ أبو عمرو: [وَمَا يُشْعِرُكُمْ] بإسكان الراء، وله وجه

آخر عن الدوري، وهو اختلاس ضمّة الراء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَمَا يُشْعِرُكُمْ] بالرفع.

(١٠٩) • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وخلف، وهو وجه

لشعبة: [إِنَّهَا إِذَا] بكسر همزة «إِنْ».

وقرأها باقي القراء العشرة: [أَنَّهَا إِذَا] بفتح همزة «أَنَّ». وهو الوجه

الثاني لشعبة.

(١٠٩) • قرأ ابن عامر، وحمزة: [لَا تُؤْمِنُونَ] بتاء المخاطبين.

وقرأها باقي القراء العشرة بياء الغائبين: [لَا يُؤْمِنُونَ].

وبين القراءتين تكامل في الأداء البياني.

(١١١) • قرأ أبو عمرو: [إِلَيْهِمِ الْمَلَائِكَةُ] بكسر هاء الضمير وميم

الجمع.

وقرأها حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ] بضم هاء الضمير وميم الجمع.

وقرأها باقي القراء العشرة بكسر هاء الضمير وضم ميم الجمع: [إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ]. وكلُّها لغات عربية.

(١١١) • قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: [قَبْلًا].

وقرأها باقي القراء العشرة: [قُبْلًا].

القراءتان لغتان بمعنى المقابلة، والمواجهة، والمعانية.

(١١٢) • قرأ نافع: [لِكُلِّ نَبِيٍّ].

وقرأها باقي القراء العشرة [لِكُلِّ نَبِيٍّ].

وهما لُغَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ.

(١١٤) • قرأ ابن عامر، وحفص: [مُنْزَلٌ] بفتح النون وتشديد الزاي

المفتوحة، من فعل «نَزَلَ».

وقرأها باقي القراء العشرة: [مُنْزَلٌ] مِنْ فِعْلٍ «أَنْزَلَ» والقراءتان مُتَكَافِئَتَانِ، فالمضعف أخو المَهْمُوزِ.

(١١٥) • قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف:

[وَتَمَّتْ كَلِمَةُ] بالإفراد.

وقرأها باقي القراء العشرة بالجمع: [وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ].

والمعنى فيهما واحد، لأنَّ المَفْرَدَ المَضَافَ إِلَى المَعْرِفَةِ بِحُكْمِ

الْجَمْعِ.

تمهيد:

آيَاتُ هَذَا الدَّرْسِ مِنْ فُرُوعِ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ.

ففيها بَيَانٌ مُّبَاشِرٌ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلرَّسُولِ ﷺ، وفي هذا البيان تعليم وتَرْبِيَّةٌ، وومضةٌ دَعْوِيَّةٌ يَقُولُهَا لِطَالِبِي الْآيَاتِ الْخَوَارِقِ مِنْ قَوْمِهِ.

وفيها بَيَانٌ لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ وَيَدْخُلُ الرَّسُولُ ﷺ فِي عَمومهم، بِشَأْنِ عَدَدٍ مِنَ الْقَضَايَا ذَوَاتِ الشَّأْنِ فِي الْمَفْهُومَاتِ الدِّينِيَّةِ حَوْلَ النَّاسِ، وَسُنَّةِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، وَأَسَالِيبِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ، وَتَوَابِعِ مَوْصُولَةٍ بِهَا.

### التدبر التحليلي:

■ قول الله تَعَالَى خِطَاباً لِرَسُولِهِ:

• ﴿وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٥):

فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانٌ ثَلَاثٌ قَضَايَا هِيَ مِنْ مَقَاصِدِ تَنْزِيلِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، مُتَّصِفَةٌ بِتَنْوِيعٍ كَثِيرٍ مُحَاصِرٍ حِصَاراً شَامِلاً لِلْأَفْكَارِ وَالنُّفُوسِ، هِدَايَةً لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَهْتَدِيَ، وَيَسْتَجِيبَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، وَكَشْفاً لِلْمُعَانِدِينَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَمَطَالِبَهُمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَتَعَلَّلُونَ لِرَفْضِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ بِتَعَلَّاتٍ بَاطِلَاتٍ يَعْلَمُونَ هُمْ بِطُلَانِهَا، وَلَكِنْ يَتَّخِذُونَهَا مَعَاذِيرَ لِسَرِّ مَا فِي نَفْسِهِمْ مِنْ شَرٍّ وَإِثْمٍ.

الْقَضِيَّةُ الْأُولَى: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ...﴾:

التَّصْرِيفُ: هُوَ التَّنْوِيعُ وَالتَّغْيِيرُ وَاتِّخَاذُ مُخْتَلِفِ الْوُجُوهِ وَالْأَسَالِيبِ وَالْوَسَائِلِ الْمُمْكِنَةِ لِلْوُصُولِ إِلَى الْغَايَةِ.

وَالْمَشَارُ إِلَيْهِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ فِي عِبَارَةِ: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ هُوَ مَا جَاءَ فِي السُّورَةِ مِنْ آيَاتٍ فِيهَا إِقْنَاعَاتٌ، وَجَدَلِيَّاتٌ مُبَاشِرَاتٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَعْنِيِّينَ بِالْمُعَالَجَةِ، وَتَعْلِيمَاتٌ جَدَلِيَّةٌ وَدَعْوِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ وَلِكُلِّ حَامِلٍ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ، فَفِيهَا تَصْرِيفٌ وَتَنْوِيعٌ عَجِيبٌ مُحَاصِرٌ لِكُلِّ ذِي فِكْرٍ سَلِيمٍ



غَيْرِ مَحْجُوبٍ بِالْأَهْوَاءِ، وَالشَّهَوَاتِ، وَالتَّقَالِيدِ الْبَاطِلَةِ، وَالِاتِّبَاعِ الْأَعْمَى  
لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ.

وفي مَفْصِلٍ سَابِقٍ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَطَاباً لِرَسُولِهِ  
فَلِكُلِّ ذِي نَظَرٍ فِكْرِي سَلِيمٌ: ﴿... أَنْظِرْ كَيْفَ نُصْرَفُ الْأَيْتِ ثُمَّ هُمْ  
يَصْدِفُونَ﴾ (٤٦).

وفي مَفْصِلٍ آخَرَ أَيْضاً قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿... أَنْظِرْ كَيْفَ نُصْرَفُ  
الْأَيْتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (٤٥).

وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ هَذَيْنِ الْبَيَانَيْنِ فِي السُّورَةِ.

الْقَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَلَيَقُولُوا دَرَسْتَ...﴾  
أَي: وَلِنُكْشِفْ عَنَادَهُمْ وَكُفْرَهُمْ بِآيَاتِنَا، وَتَكْذِيبَهُمْ لَكَ يَا مُحَمَّدٌ، حَتَّى نُجْرِيَ  
عَدْلَنَا فِيهِمْ يَوْمَ الدِّينِ بِالْخُلُودِ فِي عَذَابِ السَّعِيرِ، فَإِنَّهُمْ الْآنَ فِي رِحْلَةِ ابْتِلَاءٍ،  
وَالْغَايَةُ مِنْ ابْتِلَاءٍ إِرَادَاتِهِمْ كَشَفُ مَا يَخْتَارُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ إِيْمَانٍ أَوْ كُفْرٍ،  
وِطَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ.

وَمِنْ تَغْيِيرَاتِهِمُ الْكُفْرِيَّةِ، الَّتِي يَتَّخِذُونَهَا تَعَلَّةً لَتَكْذِيبِكَ يَا مُحَمَّدٌ، فِيمَا  
تُبَلِّغُهُمْ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمُ الْمُنَزَّلَةِ عَلَيْكَ، أَنْ يَقُولُوا لَكَ: إِنَّ هَذَا الَّذِي تَتْلُوهُ  
مِنَ الْقُرْآنِ عَلَيْهِمْ قَوْلٌ دَرَسْتَهُ مِنْ كُتُبِ الْأَوَّلِينَ، وَلَسْتَ نَبِيًّا مُصْطَفًى لِلنُّبُوَّةِ،  
وَلَا رَسُولًا مُرْسَلًا لِلنَّاسِ لِتَبْلِيغِ رِسَالَاتِ رَبِّكَ.

وَجَاءَ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ كَثِيرٍ، وَأَبِي عَمْرٍو: [دَارَسْتَ] أَي: افْتَرَيْتَهُ مِنْ  
عِنْدِكَ بَعْدَ أَنْ دَارَسْتَ بَعْضَ أَهْلِ الْكِتَابِ مُتَعَلِّمًا مَا جَاءَ فِي كُتُبِهِمْ.

وَنَفَهُمُ مِنْ هَاتَيْنِ الْقِرَاءَتَيْنِ أَنَّ بَعْضَ مُكَذِّبِي الرَّسُولِ قَالُوا: دَرَسَ  
مُحَمَّدٌ كُتُبَ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَصَنَعَ مَا يَتْلُوهُ عَلَيْنَا، وَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يُوحِي بِهِ  
إِلَيْهِ، وَأَنَّ بَعْضَ مُكَذِّبِيهِ قَالُوا: دَارَسَ مُحَمَّدٌ بَعْضَ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي  
كُتُبِهِمْ، فَصَنَعَ مَا يَتْلُوهُ عَلَيْنَا، وَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يُوحِي بِهِ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ، وَيَعْقُوبُ: [دَرَسْتُ] فَأَقْرَبُ الاحْتِمَالَاتِ فِيمَا أَرَى أَنَّهُ تَعْبِيرٌ عَنْ قَوْلِ بَعْضِ مُكَذِّبِي الرُّسُولِ، إِذْ قَالُوا: مَا يَتْلُوهُ مُحَمَّدٌ أَسَاطِيرُ قَدِيمَةٍ بَالِيَةٍ، وَأَقْوَالُ دَرَسْتُ وَصَارَتْ كَأُطْلَالٍ دَارِسَةٍ عَفَتْ آثَارَهَا، بَعْدَ أَنْ هَجَرَ أَهْلُهَا مَبَانِيهَا، فَلَا نَعْبَأُ بِهَا.

الْقَضِيَّةُ الثَّالِثَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلْيُبَيِّنُوا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٥):

أي: وَكَذَلِكَ نَصَرَفُ آيَاتِ الْقُرْآنِ لِنُبَيِّنَ كُلِّيَّاتِ قَضَايَاهُ الدِّينِيَّةِ، تَبْيِينًا جَلِيًّا يَدْفَعُ كُلَّ الشُّكُوكِ الَّتِي قَدْ يَطْرَحُهَا الْمُشَكِّكُونَ، وَيَقْطَعُ أَعْذَارَهُمْ، وَهَذَا التَّبْيِينُ يَسْتَفِيدُ مِنْهُ الَّذِينَ لَدَيْهِمُ الْاِسْتِعْدَادُ لِأَنْ يَعْلَمُوا الْحَقَّ بِأَدِلَّتِهِ وَبَرَاهِينِهِ.

■ قول الله عزَّ وجلَّ خِطَاباً لِرَسُولِهِ:

﴿أَتَنْبِئُكَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٦) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٧):

فِي هَذَا الْخِطَابِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ بَيَانُ سِتِّ قَضَايَا:

الْقَضِيَّةُ الْأُولَى: تَكْلِيفُ اللَّهِ رَسُولَهُ أَنْ يَتَّبِعَ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، دَلَّ عَلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿أَتَنْبِئُكَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾: أي: وَلَا تَعْبَأُ بِاتِّهَامِ مُكَذِّبِكَ لَكَ، فَبَلِّغْ مَا أُمِرْتَ بِتَبْلِيغِهِ لِلنَّاسِ، وَأَعْمَلْ بِمَا جَاءَ فِي آيَاتِ رَبِّكَ مِنْ أَوْامِرَ وَنَوَاهِي وَوَصَايَا وَأَحْكَامٍ.

وَالدَّاعِي لِهَذَا التَّوْجِيهِ الرَّبَّانِيِّ مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ مِنْ هَذَا الدَّرْسِ، وَهُوَ مَقَالَةُ الْمُشْرِكِينَ لِلرُّسُولِ بِشَأْنِ آيَاتِ الْقُرْآنِ: [دَرَسْتُ] وَ[دَارَسْتُ] فَجِئْتَنَا بِكَلَامٍ مِنْ عِنْدِكَ وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَوْحَى بِهِ إِلَيْكَ.

وَمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ (٩١): ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ ﴿٩١﴾.

أي: فَلَا تُضْعِفْ عَزِيمَتَكَ هَذِهِ الْمَقَالَاتُ عَنْ مُتَابَعَةِ تَأْدِيَةِ رِسَالَاتِ رَبِّكَ، بَلْ: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ وَلَا تَتَأَثَّرْ بِمَزَالِقِ أُمَّةِ الْكُفْرِ.

الْقَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ...﴾: أي: لَا مَعْبُودَ فِي الْوُجُودِ بِحَقٍّ إِلَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَالدَّاعِي لِإِيرَادِ هَذَا التَّوْجِيهِ لِلرَّسُولِ هُنَا الرَّغْبَةُ فِي تَرْفِيقَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى كَمَالِ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ، الَّتِي لَا تَشُوبُهَا شَائِبَةُ التَّأَثُّرِ بِأَقْوَالِ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَلَوْ مِنْ جِهَةِ خَفِيَّةٍ يَقْتَرِنُ بِهَا تَحْسِينُ اجْتِهَادِيٍّ طَمَعاً فِي إِيْمَانِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ.

إِنَّ كَمَالَ تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِلَهِيَّتِهِ يَقْتَضِي مِنَ الرَّسُولِ أَنْ يَتَّبِعَ مَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ، وَلَا يُفَكِّرَ بِاجْتِهَادَاتٍ خَاصَّةٍ وَلَوْ كَانَتْ لِمَصْلَحَةٍ نَشَرِ دِينَ اللَّهِ بِحَسَبِ تَصَوُّرِهِ، فَاللَّهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنَ الْوَسَائِلِ وَالْأَسَالِبِ النَّافِعَةِ ذَاتِ التَّأْثِيرِ فِي نَشْرِ دِينِهِ، وَاسْتِجَابَةِ الْمُخَالِفِينَ لِدَعْوَتِهِ.

الْقَضِيَّةُ الثَّالِثَةُ: مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ: ﴿... وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٦﴾:

الْمُرَادُ بِالْمُشْرِكِينَ هُنَا الْمَشْرِكُونَ الْمُعَانِدُونَ الْمُكَابِرُونَ الْمُصَرِّونَ عَلَى بَاطِلِهِمْ، الَّذِينَ لَمْ يَتَأَثَّرُوا بِسَوَابِقِ هَذَا النَّصِّ نَزْولاً، الْمَشْتَمَلَةَ عَلَى إِقْنَاعٍ بِالْحَقِّ، وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيْبٍ، وَمُجَادَلَةٍ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

الْإِعْرَاضُ: إِعْطَاءُ الْعَارِضِ، وَهُوَ الْجَانِبُ، وَإِعْطَاءُ الْعَارِضِ وَسْطَ بَيْنِ الْإِقْبَالِ وَالْمُوَاجَهَةِ، وَبَيْنَ الْإِدْبَارِ وَالتَّوَلَّى.

أي: وَأَعْطِ جَانِبَكَ لِهُؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ المعاندين، غَيْرَ مُبَالٍ وَلَا عَابِيٍّ بِهِمْ، فَقَدْ وَصَلُوا إِلَى دَرَكَةٍ يَسْتَحِقُّونَ مَعَهَا أَنْ تُعْرَضَ عَنْهُمْ، وَتَوَجَّهَ طَاقَاتِ مُجَاهِدَتِكَ لِأَخْرَيْنَ مَطْمُوعٍ فِي اسْتِجَابَتِهِمْ، أَوْ لَمْ يَبْلُغُوا دَرَكَةَ الْيَأْسِ مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَتِهِمْ الْحَرَّةَ.

القضية الرابعة: مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا...﴾:

أي: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا يُشْرِكُوا لَسَلَبَهُمْ إِرَادَتَهُمُ الْحَرَّةَ، وَلَجَعَلَهُمْ مَجْبُورِينَ، وَحِينَئِذٍ لَا يَخْتَارُ اللَّهُ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ مُوَحِّدِينَ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَكِنَّ هَذَا يُلْغِي كَوْنَهُمْ مُمْتَحِنِينَ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَالْمَجْبُورُ لَا يَكُونُ مَمْتَحَنًا، وَالْمُمْتَحَنُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ لَهُ إِرَادَةٌ حُرَّةٌ يَخْتَارُ بِهَا مَا يَشَاءُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ خَالِقًا لِمَا يَشَاءُ.

وَلَا تُفِيدُ عِبَارَةَ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَاءَ أَنْ يُشْرِكُوا، كَمَا يَفْهَمُ بَعْضُ الْمُتَسَرِّعِينَ الَّذِينَ لَا أَنَاةَ لَهُمْ لَدَى تَدَبُّرِ النُّصُوصِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَوْضُوعَ لَهُ ثَلَاثَةُ احْتِمَالَاتٍ لَا احْتِمَالَانِ اثْنَانِ.

الاحتمال الأول: إجبارهم عَلَى أَنْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ مُوَحِّدِينَ، وَهَذَا احْتِمَالٌ لَمْ يَشَأْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

الاحتمال الثاني: إجبارهم عَلَى يَكُونُوا مُشْرِكِينَ، وَهَذَا احْتِمَالٌ لَمْ يَشَأْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَيْضًا.

الاحتمال الثالث: مَنْحُهُمُ الْإِرَادَةَ الْحُرَّةَ الَّتِي يَخْتَارُونَ بِهَا مَا يَشَاءُونَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، لِيَبْلُوهُمْ فِيَمَا آتَاهُمْ، وَهَذَا هُوَ الْاحْتِمَالُ الَّذِي شَاءَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ الَّذِينَ وَضَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ إِجْبَارَهُمْ لَجَعَلَهُمْ مُؤْمِنِينَ بِالْجَبْرِ.

القضية الخامسة: مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ: ﴿... وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا...﴾:

سبق في السورة أَنْ عَلَّمَ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنْ يَقُولَ لِلْمُعَالَجِينَ: ﴿... وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (١٠٤): وَكَانَ هَذَا تَعْلِيمًا دَعَوِيًّا.

وَلِلْمُطَابَقَةِ بَيْنَ التَّعْلِيمِ الدَّعَوِيِّ وَبَيَانِ وَظِيفَةِ الرَّسُولِ الَّتِي حَمَلَهُ اللَّهُ مَسْئُولِيَّاتِهَا، قَالَ اللَّهُ لَهُ هُنَا: ﴿... وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا...﴾ (١٠٥): أَي: لَمْ نُعْطِكَ الْقُدْرَةَ عَلَى أَنْ تَكُونَ حَفِيظًا مُسَلَّطًا عَلَيْهِمْ تَكْفُهُمْ بِالْإِلْزَامِ وَالْإِكْرَاهِ عَنِ اتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ وَضَلَالَاتِهِمْ، وَتَحْمِيهِمْ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِهِمْ، وَتَقْسِيرِهِمْ عَلَى سُلُوكِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالْإِيمَانِ بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، بَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ رِسَالَاتِ رَبِّكَ الَّتِي يُوحِي بِهَا إِلَيْكَ، وَيُكَلِّفُكَ تَبْلِيغَهَا، فَلَا تَعْتَبِرْ نَفْسَكَ مُطَالِبًا بِتَحْوِيلِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَمِنْ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، فَهُمْ فِي مَرَحَلَةٍ امْتِحَانٍ لَا فِي حَيَاةِ إِجْبَارٍ وَقَسْرِ، وَالْآخِرَةُ هِيَ دَارُ الْجَزَاءِ الْجَبَرِيِّ.

القضية السادسة: مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ: ﴿... وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٦): سَبَقَ فِي السُّورَةِ أَنْ عَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ أَنْ يَقُولَ لِلْمُعَالَجِينَ: ﴿... لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٦): وَكَانَ هَذَا تَعْلِيمًا دَعَوِيًّا.

وَلِلْمُطَابَقَةِ بَيْنَ التَّعْلِيمِ الدَّعَوِيِّ وَبَيَانِ بَيَانِ وَظِيفَةِ الرَّسُولِ الَّتِي حَمَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَسْئُولِيَّاتِهَا، قَالَ لَهُ هُنَا: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٦): أَي: وَمَا أَنْتَ مُسَلَّطٌ عَلَيْهِمْ تَسْلِيطَ وَكَيْلٍ عَنْ رَبِّكَ، إِنَّ كُلَّ أُمُورِهِمْ وَجُودًا، وَبَقَاءً، وَتَكْلِيفًا، وَجَزَاءً، وَرِزْقًا، وَحَيَاةً وَمَوْتًا وَسَائِرِ التَّصَارِيفِ، هِيَ تَحْتَ سُلْطَانِ إِرَادَتِنَا، وَقَضَائِنَا، وَخَلْقِنَا، لَمْ نُوَكِّلْ بِهَا أَحَدًا مِنْ عِبَادِنَا، فَلَا تَتَصَرَّفْ مَعَهُمْ تَصَرَّفَ الْوَكِيلِ عَنَّا، إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ مُكَلَّفٌ أَنْ تُؤَدِّيَ مَا نَأْمُرُكَ بِتَأْدِيَتِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُخَاطَبُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، وَفِيهِمْ

إِمَامَهُمْ وَقَائِدَهُمُ الرَّسُولَ ﷺ وَلَوْ كَانَ مَتَحَقَّقًا بِالْمَطْلُوبِ فِي الْخُطَابِ:

• ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾:

• ﴿وَلَا تَسُبُّوا﴾: أي: وَلَا تَسْتُمُوا يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ شَتْمًا خَارِجًا عَنْ مُقْتَضِيَّاتِ الْمَنَاطَرَةِ الْعِلْمِيَّةِ لِبَيَانِ الْحَقِّ، وَخَارِجًا عَنْ آدَابِهَا.

• ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: وَلَا تَسُبُّوا الْإِلَهَةَ الَّذِينَ يَعْبُدُوهُمْ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ. «يَدْعُونَ»: أي: يَعْبُدُونَهُمْ.

﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ - فِي قِرَاءَةِ يَعْقُوبَ: [عُدْوًا]. «عَدْوًا، وَعُدْوًا» مَصْدَرَانِ لِفِعْلِ «عَدَا» بِمَعْنَى ظَلَمَ وَتَجَاوَزَ الْحَدَّ، يُقَالُ لُغَةً: «عَدَا عَلَيْهِ، يَعْدُو، عَدْوًا، وَعُدْوًا، وَعَدَاءً، وَعُدْوَانًا» أي: ظَلَمَهُ وَتَجَاوَزَ الْحَدَّ.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي: بِإِنْدِفَاعِ غَضَبِيٍّ غَيْرِ وَاعٍ، لِرَدِّ الشَّيْمَةِ بِمِثْلِهَا، وَقَدْ لَا يَفْعَلُونَ هَذَا فِي غَيْرِ حَالَةِ الْغَضَبِ، لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَلَكِنْ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ شُرَكَاءَ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَفِي بَعْضِ عَنَاصِرِ رُبُوبِيَّتِهِ<sup>(١)</sup>.

وهذا الْحُكْمُ الرَّبَّانِيُّ أَضَلُّ عَظِيمٌ لِقَاعِدَةِ «سَدِّ الذَّرَائِعِ» إِذْ يَكْتَسِبُ السَّبَبُ حُكْمَ مَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ، فَمَا يُؤَدِّي إِلَى حَرَامٍ يَكُونُ حَرَامًا.

• ﴿... كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ...﴾:

إِنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي عَمِلَهَا الْمُشْرِكُونَ، وَالَّتِي سَبَقَ بَيَانُ كَثِيرٍ مِنْهَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَفِي السُّورِ الَّتِي نَزَلَتْ قَبْلَهَا، أَعْمَالٌ مُزَيَّنَةٌ فِي نَفُوسِهِمْ بِزِينَاتٍ دَفَعَتْهُمْ إِلَى مَا عَمِلُوهُ مِنْ أَعْمَالٍ ظَالِمَةٍ آثِمَةٍ إِجْرَامِيَّةٍ.

(١) انظر الملحق الثالث من ملاحق تدبر سورة (فاطر/ ٤٣) نزول) حول «توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية في الدلالات القرآنية».

وَهَذَا التَّزْيِينُ خَاضِعٌ لِنِظَامِ قَدَرِي رَبَّانِي عَامٍّ، مَشْرُوطٌ بِاتِّخَاذِ سَبَابِهِ مِنْ قِبَلِ النَّاسِ بِإِرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةِ.

فَمَنْ جَحَدَ رُبُوبِيَّةَ اللَّهِ أَوْ جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، أَوْ جَحَدَ إِلَهِيَّةَ اللَّهِ، أَوْ جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِي إِلَهِيَّتِهِ، زَيَّنَ اللَّهُ لَهُ ضِمْنَ نِظَامِهِ التَّكْوِينِي الْعَامَّ أَعْمَالَهُ الشُّرَكِيَّةَ، فَصَارَ يَرَى عِبَادَةَ مَنْ جَعَلَهُمْ شُرَكَاءَ لِلَّهِ أَمْرًا حَسَنًا.

وَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ النَّاسَ شُرَكَاءَ فِي الْأَمْوَالِ وَفِي النِّسَاءِ، زَيَّنَ اللَّهُ لَهُ ضِمْنَ نِظَامِهِ التَّكْوِينِي الْعَامَّ أَنْ يَسْلُبَ النَّاسُ أَمْوَالَهُمْ، وَأَنْ يُزَانِيَ مَنْ يَشَاءُ مِنَ النِّسَاءِ دُونَ ضَابِطٍ وَلَا رَادِعٍ، وَأَنْ يَعْتَبِرَ هَذَا حَقًّا مِنْ حُقُوقِهِ الشَّخْصِيَّةِ.

وَلِكُلِّ سُلُوكٍ إِرَادِيٍّ مُزَيَّنٍ لِلْإِنْسَانِ أَصْلٌ فِكْرِيٌّ، فَمَنْ اعْتَقَدَ هَذَا الْأَصْلَ الْفِكْرِيَّ كَانَ السُّلُوكُ الْإِرَادِيُّ الْمَتَفَرِّعُ عَنْهُ مُزَيَّنًا لَهُ، ضِمْنَ النِّظَامِ التَّكْوِينِي الرَّبَّانِي الْعَامِّ، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْأَصْلُ الْفِكْرِيُّ بَاطِلًا وَشَرًّا، وَمُؤَدِيًّا إِلَى فَسَادٍ عَرِيضٍ، وَإِبَادَةٍ لِلْأَحْيَاءِ، وَتُدْمِيرٍ لِلْأَشْيَاءِ.

وَهَذَا التَّزْيِينُ مِنْ لَوَازِمِ وَضْعِ النَّاسِ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْاِمْتِحَانِ، فَمَنْ صَحَّ إِيمَانُهُ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، زَيَّنَ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَالْعَمَلَ بِمَرَاضِيهِ، لِيُظَفَّرَ بِالسَّعَادَةِ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ.

وَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا هِيَ كُلُّ شَيْءٍ فِي وُجُودِ الْإِنْسَانِ، زَيَّنَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَنْتَهَبَ اللَّذَاتِ انْتِهَابًا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ بِأَيَّةٍ وَسِبِيلَةٍ، وَلَوْ كَانَ فِيهَا ظُلْمٌ وَعُدْوَانٌ، وَمُخَالَفَةٌ وَمَعْصِيَةٌ لِأَوَامِرِ وَنَوَاهِي الرَّبِّ الْجَلِيلِ الْقَهَّارِ الدَّيَّانِ.

فَمَعْنَى الْعِبَارَةِ: وَكَذَلِكَ التَّزْيِينُ الَّذِي حَصَلَ لِلْمُشْرِكِينَ، إِذْ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمُ الْبَاطِلَةَ الظَّالِمَةَ الْآثِمَةَ، ضِمْنَ نِظَامِنَا التَّكْوِينِي الْعَامِّ، زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ ذَاتِ عَقَائِدٍ صَحِيحَةٍ، أَوْ بَاطِلَةٍ، أَعْمَالَهُمُ الْمَتَفَرِّعَةَ عَمَّا يَعْقِدُونَهُ مِنْ جُذُورٍ فِكْرِيَّةٍ اعْتِقَادِيَّةٍ، وَبِهَذَا يَتَحَقَّقُ كَمَالُ الْحِكْمَةِ فِي حَيَاةِ الْإِنْبِلَاءِ.

• ﴿... ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ...﴾ أي: ثُمَّ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُ كُلِّ أُمَّةٍ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْبَعْثِ فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَى، لِتَحْقِيقِ نَتَائِجِ الْامْتِحَانِ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ، بِالثَّوَابِ، أَوْ بِالْعِقَابِ.

• ﴿... فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٠٨): أي: فَيُعَلِّمُهُمُ اللَّهُ فِي مَحْكَمَتِهِ يَوْمَ الدِّينِ، بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَقَدْ أَبَانَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِقْرَةً مِنْ فِقَرَاتِ الْمَحْكَمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كِنَايَةً عَنْ سَائِرِ الْفِقَرَاتِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَيْهَا هَذِهِ الْمَحْكَمَةُ، لِتَلَازِمِهَا، إِذِ الْغَرَضُ مِنْهَا الْحُكْمُ بِالْعَدْلِ أَوْ بِالْفَضْلِ، وَمَا يَنْجُمُ عَنْهُ مِنْ تَنْفِيزِ الْجَزَاءِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ مُطَالَبَةِ أُمَّةِ الْمُشْرِكِينَ بِأَنْ يَأْتِيَهُمُ الرَّسُولُ بِآيَةٍ مِنَ الْآيَاتِ الْمَادِيَةِ الْخَوَارِقِ كَعَصَا مُوسَى، وَنَاقَةِ صَالِح، وَمُعْجَزَاتِ عِيسَى:

• ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١١٩):

• ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا...﴾:

أي: وَحَلَفُوا بِاللَّهِ مُؤَكِّدِينَ حَلْفَهُمْ بِأَوْثِقِ الْإِيمَانِ وَأَعْلَظِهَا، قَائِلِينَ بَعْدَ قَسَمِهِمْ: لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ خَارِقَةٌ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي طَلَبُوهَا لَيُؤْمِنُنَّ بِأَنْ مُحَمَّدًا نَبِيُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَبِأَنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، تَأَثُّرًا بِهَا، وَاقْتِنَاعًا بِأَنَّهَا بُرْهَانٌ مِنَ اللَّهِ لِتَصْدِيقِ رَسُولِهِ.

• ﴿جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾: أي: غَايَةَ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ أَيْمَانٍ مُؤَكَّدَةٍ مُشَدَّدَةٍ.

جَهْدُ الشَّيْءِ يَأْتِي فِي اللَّغَةِ بِمَعْنَى نَهَائِيَّتِهِ وَغَايَتِهِ، وَبِمَعْنَى وُسْعِهِ وَطَاقَتِهِ.



اللام في ﴿لَيْنَ﴾ واقعة في جواب القَسَم، وتسمى الموطئة للقَسَم عند النحاة، لأنَّ المقسَم به مَنُويٌّ غَيْرُ مَذْكُورٍ بلفظه.

روى الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ، وَعَنِ الْكَلْبِيِّ، بِالْفَاطِ مِتْقَارِبَةً: أَنَّ قُرَيْشًا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ آيَةً مِثْلَ آيَةِ مُوسَى، أَوْ مِثْلَ آيَةِ صَالِح، أَوْ مِثْلَ آيَةِ عِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَام، وَأَقْسَمُوا أَنَّهُمْ إِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ كَمَا سَأَلُوا لِيُوقِنَنَّ أَجْمَعُونَ. وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بآيَةٍ كَمَا سَأَلُوا، حِرْصًا مِنْهُ عَلَى أَنْ يُؤْمِنُوا.

﴿... قُلْ إِنَّمَا أَلَايْتُ عِنْدَ اللَّهِ...﴾: أَي: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّ الْآيَاتِ الْخَارِقَاتِ الْمُعْجَزَاتِ لَيْسَتْ عِنْدِي، وَلَا أَمْلِكُ إِجْرَاءَهَا، إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، إِنَّمَا الْقَادِرُ عَلَى إِجْرَاءِ الْآيَاتِ الْخَارِقَاتِ الْمُعْجَزَاتِ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَاجْرَأُوهَا عِنْدَهُ، وَفِي مَلِكٍ قُدْرَتِهِ، وَهُوَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لَا يُجْرِي الْآيَاتِ الْخَارِقَاتِ لُسْنِهِ الثَّابِتَةَ إِلَّا إِذَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ ذَلِكَ، فَلَا تُطَالِبُونِي بِشَيْءٍ لَيْسَ عِنْدِي وَلَا أَسْتَطِيعُ إِجْرَاءَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا فِي نَفُوسِكُمْ، فَإِنْ عَلِمَ أَنَّكُمْ بِحَاجَةٍ حَقِيقَةٍ إِلَى الْاِقْتِنَاعِ بِالْحَقِّ الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ أَجْرَاهَا لَكُمْ، وَإِنْ عَلِمَ أَنَّكُمْ مُتَعَلِّلُونَ كَاذِبُونَ لَمْ يُجْرَهَا لَكُمْ، وَهُوَ أَحْكَمُ بِنَصَارِيهِ مِنْ كُلِّ ذِي تَصَوُّرٍ.

• ﴿... وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: ﴿١١٩﴾

وفي قراءة أبي عمرو: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. وكسَرَ همزة [إِنَّهَا] عَدَدٌ مِنَ الْقُرَاءِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ، وَحَمَزَةً: ﴿... لَا تُؤْمِنُونَ﴾ خِطَابًا لِلْمُشْرِكِينَ.

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾: الشُّعُورُ بِالشَّيْءِ الْعِلْمُ بِهِ وَلَوْ مِنْ أَدْنَى دَرَجَاتِ الْإِحْسَاسِ بِهِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَرَاجِلِ إِدْرَاكِهِ، وَلَعَلَّهُ مَأْخُودٌ فِي اللُّغَةِ مِنَ الشَّيْءِ يُلَامِسُ الشَّعْرَ، فَيُحَسُّ بِهِ الْإِنْسَانُ إِحْسَاسًا خَفِيفًا، ثُمَّ انْتَقَلَ تَوَسُّعًا إِلَى الْإِدْرَاكَاتِ الْفِكْرِيَّةِ الْأُولَى.

الخطابُ في هَذَا البيان مُوجَّهٌ لِعُمومِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ يَتَطَلَّعونَ إِلَى أَنْ يَلْبِيَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ طَلَبَ أَيْمَةِ الشَّرِكِ مِنْ قُرَيْشٍ آيَةً مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي طَلَبُوهَا، طَمَعًا فِي أَنْ يُؤْمِنُوا، هَذَا بِحَسَبِ قِرَاءَةِ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ حَدِيثًا عَنِ الْمَشْرِكِينَ.

لَكِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا فِي نُفُوسِهِمْ، وَأَنَّهَمْ غَيْرُ مُسْتَعِدِّينَ لِأَنْ يُؤْمِنُوا، وَلَوْ أَجْرَى اللَّهُ لَهُمْ آيَةً عَظُمَى عَلَى وَفْقِ طَلَبِهِمْ، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ أَجْرَى اللَّهُ آيَةَ إِنْشِقَاقِ الْقَمَرِ فَقَالُوا بِشَأْنِهَا: ﴿سِحْرٌ مُسْتَمَرٌّ﴾ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْآيَاتِ الْأُولَى مِنْ سُورَةِ (القمر/ ٣٧ نزول) قائلًا:

﴿اقْرَأْ السَّاعَةَ ۚ وَلَاشِقَ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمَرٌّ ۚ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ۚ﴾.

وقال عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِهِمْ فِي سُورَةِ (يس/ ٤١ نزول):

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۚ﴾.

بَيِّنَدُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ اغْتَرَبُوا بِالْإِيمَانِ الْمُعْلَظَةِ الَّتِي حَلَفَهَا أَيْمَةُ الْمَشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، عَلَى أَنَّهَمْ إِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا تَأَثُّرًا وَاقْتِنَاعًا بِهَا، وَلَمْ يَقَعْ فِي شُعُورِ الْمُؤْمِنِينَ اخْتِمَالُ كَذِبِهِمْ، بَعْدَ أَنْ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ.

وَبِنَاءً عَلَى هَذَا يَحْسُنُ أَنْ نَقْهَمَ عِبَارَةً: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠٩) مع اسْتِخْرَاجِ الْمُطَوِّياتِ فِيهَا.

أَي: أَنْتُمْ تَرَعْبُونَ فِي تَلْبِيَةِ طَلَبِهِمْ، وَمَا يُشْعِرُكُمْ مُشْعِرٌ مَا بِكَذِبِهِمْ، بَعْدَ أَنْ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ، وَمَا يَخْطُرُ فِي بَالِكُمْ أَنَّهَمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ الْآيَةُ عَلَى وَفْقِ طَلَبِهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهَمْ لَا يُؤْمِنُونَ، فَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ نَلْبِيَّ طَلَبَهُمْ.

وَعَلَى قِرَاءَةِ كَسْرِ هَمْزَةِ ﴿إِنَّهَا﴾ يَكُونُ تَحْلِيلُ الْعِبَارَةِ: وَمَا يُشْعِرُكُمْ

مُشْعِرٌ مَا يَكْذِبُهُمْ، بَعْدَ أَنْ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ، وَأَقُولُ لَكُمْ وَأَنَا الْعَلِيمُ بِمَا فِي نَفُوسِهِمْ: إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ.

وعلى قراءة ابن عامرٍ، وَحَمَزَةً: [وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا تُؤْمِنُونَ] خطاباً للمشركين طالبي الآية، يَكُونُ تَحْلِيلُ الْعِبَارَةِ كَمَا يَلِي:

وَمَا يُشْعِرُكُمْ مُشْعِرٌ مَا بِصِدْقِكُمْ، أَنْتُمْ عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّهَا إِذَا جَاءَتْكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ، لِأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ الْخَوَارِقَ طَلَبًا جَدَلِيًّا تَعْلُليًّا، لَا طَلَبًا حَقِيقِيًّا.

وَأَمَّا قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو: [وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ] فَأَرَى أَنَّ «مَا» شَرْطِيَّةٌ، وَ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ فِعْلُ الشَّرْطِ مَجْزُومٌ، وَفَاعِلُهُ وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفَانِ، وَالتَّقْدِيرُ: وَمَا يُشْعِرُكُمْ مُشْعِرٌ مَا بِصِدْقِهِمْ إِذْ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ، إِلَّا هُوَ مُخَالِفٌ لِمَوَاقِعِ حَالِهِمْ. إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ هَذَا مِنْ سَرَائِرِهِمْ. أَوِ الْإِسْكَانُ تَخْفِيفٌ لِحَرَكَةِ الضَّمِّ.

إِنَّ مُؤَدَّى الْقِرَاءَاتِ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ وَاحِدٌ، وَهِيَ مِنَ التَّفْنُّنِ فِي التَّعْبِيرِ، وَبِإِبْرَازِ الْمَطْوِيَّاتِ أَخْذًا مِنَ السَّبَاقِ وَالسِّيَاقِ وَإِحْيَاءِ النَّصْرِ تَنْجِلِي الْعِبَارَةِ، وَتَذَهَبُ الْإِسْكَالَاتُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى فَتْحِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْمَعْنِيِّينَ بِالْمَعَالَجَةِ فِي السُّورَةِ:

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طَعْنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١١٠):

يَعْمَهُونَ: يَتَحَيَّرُونَ وَيَتَرَدَّدُونَ فِي مَسَالِكِهِمْ. الْعَمَةُ: التَّحَيُّرُ وَالتَّرَدُّدُ وَانْطِمَاسُ الْبَصِيرَةِ، وَهُوَ فِي الْبَصِيرَةِ كَالْعَمَى فِي الْبَصَرِ.

أَي: وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ، وَهِيَ مَرَائِزُ التَّفَكِيرِ وَالْفَهْمِ لَدَيْهِمْ، عَلَى مَوَاقِعِ فِكْرِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ لِيُذَكِّرُوا بِهَا الْأَدِلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ الْهَادِيَّةَ، وَالْبَرَاهِينَ الْقَاطِعَةَ، عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ عَنْ رَبِّهِ، وَصِدْقِ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ

المجيد، وَنُقَلِّبُ أَبْصَارَهُمْ فِي آفَاقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لِيَرَوْا بِهَا مَظَاهِرَ آيَاتِنَا فِي كَوْنِنَا، وَعَجَائِبَ إِتْقَانِنَا لِكُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ، إِعَانَةً لَهُمْ حَتَّى يَهْتَدُوا إِلَى الْحَقِّ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُنَا، اهْتِدَاءً مِنْ ذَاتِ أَنْفُسِهِمْ، دُونَ أَنْ تَمْنَعَهُمْ عَقَبَةُ الْكِبَرِ الطَّبَقِيِّ عَنِ الِاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ رَسُولِنَا، وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَتَرْغِيهِ وَتَرْهِيهِ، وَالِاهْتِدَاءِ الذَّاتِيِّ أَدْعَى لِأَنْ يُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ.

لَكِنَّهُمْ مَعَ كُلِّ ذَلِكَ وَمَعَ الْاِفْتِنَاعِ الذَّاتِيِّ لَا يُؤْمِنُونَ، بَلْ يَسْتَمِرُّونَ عَلَى مَوَاقِفِ كُفْرِهِمُ الْعِنَادِيِّ، وَيَقْفُونَ كَافِرِينَ بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُنَا كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، حِينَمَا دَعَاهُمْ رَسُولُنَا إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَتَلَا عَلَيْهِمْ آيَاتِ كِتَابِنَا الْمُنَزَّلِ.

وَنَذَرُهُمْ حِينَئِذٍ فِي طُغْيَانِهِمْ يَغْمَهُونَ مُتَحَيِّرِينَ، مُتَرَدِّدِينَ، مُنْطَمِسِي الْبَصِيرَةِ.

الطُّغْيَانُ: تجاوز الحدَّ المقبول، إلى مواقع الضرر، والإفساد، والظُّلْم، والجور، والبُغْي والعُدوان.

الْعَمَةُ: هو في البَصِيرَةِ كَالْعَمَى فِي الْبَصَرِ، يقال لغة: «عَمَهُ، يَعْمُهُ، عَمَهَا، وَعَمَّهَانًا، وَعُمُوها، فَهُوَ أَعْمَهُ» أي: تَحْيِرٌ، وَتَرَدَّدٌ، كَالْأَعْمَى فِي طَرِيقِهِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ مَعَالِمِهِ.

إِنَّ الْآيَةَ قَدْ اشْتَمَلَتْ عَلَى ثَلَاثِ جُمَلٍ بَيْنَهَا مَطْوِيَّاتٌ.

الجملة الأولى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ وَلَا يَسْتَقِيمُ عَقْلًا وَلَا مَعَ دَلَالَاتِ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ الْأُخْرَى، أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّقْلِيلُ إِضْلَالًا وَصَرْفًا عَنْ أدِلَّةِ الْحَقِّ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضِي لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ<sup>(١)</sup>، فَلَزِمَ عَقْلًا وَانْسِجَامًا مَعَ دَلَالَاتِ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ الْأُخْرَى، أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِهَذَا التَّقْلِيلِ

(١) وقد أخطأ من فهم هذا الفهم إذ هو من لوازم العقيدة الجبرية الباطلة.

الْمُسَاعَدَةِ عَلَىٰ إِذْرَاقِ أَدْلَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ إِذْرَاقًا ذَاتِيًّا لِيَتَحَطَّوْا عَقَبَةَ الْكِبَرِ  
الطَّبَقِيِّ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِقَطْعِ كُلِّ مَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَعْتَذِرُوا بِهِ فِي مَوْقِفِ  
الْحِسَابِ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

**الْجُمْلَةُ الثَّانِيَّةُ:** ﴿كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ هَذِهِ الْجُمْلَةُ تَدُلُّ عَلَى  
مَحْذُوفٍ هُوَ الْمَشَبَّهُ، وَبِالتَّأَمُّلِ نَذْرُكُ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ بَعْدَ تَقْلِيلِ  
أَفْعِدَّتِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ عَلَىٰ أَدْلَتِهِ الْقَاطِعَةِ لِيَفْهَمُوهَا فَهَمًّا ذَاتِيًّا، كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا  
بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ حِينَمَا جَاءَهُمْ بَلَاغًا عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِ رَبِّهِمْ.

**الْجُمْلَةُ الثَّالِثَةُ:** ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: أَي: وَبَعْدَ أَنْ  
نَجَدَهُمْ مُصْرِّينَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ اتِّبَاعًا لِأَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَتَقْلِيدِهِمُ الْأَعْمَى،  
عَلَىٰ الرُّغْمِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي بَلَّغَهُمْ إِيَّاهَا رَسُولُنَا، وَمُسَاعَدَتِهِمْ عَلَىٰ إِذْرَاقِهِمْ  
الْحَقَّ إِذْرَاقًا ذَاتِيًّا، نَتْرُكُهُمْ وَشَانَهُمْ يَعْمَهُونَ فِي طُغْيَانِهِمْ.

■ قول الله تعالى بشأن هؤلاء الْمُعَالَجِينَ أَنْفُسُهُمْ أَيْضًا وَيُلْحَقُ بِهِمْ  
أَشْبَاهُهُمْ فِي كُلِّ الْمَجْتَمَعَاتِ وَكُلِّ الْعُصُورِ:

• ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا  
مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾:

جاء في أخبار السيرة:

(١) رُوي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ، وَالْعَاصِيَ بْنَ  
وَائِلٍ، وَالْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَعُوثٍ، وَالْأَسْوَدَ بْنَ الْمَطَّلِبِ، وَالْحَارِثَ بْنَ  
حَنْظَلَةَ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالُوا:  
أَرَنَا الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ لَكَ، أَوْ ابْعَثْ لَنَا بَعْضَ مَوْتَانَا فَنَسْأَلَهُمْ أَحَقُّ مَا  
تَقُول.

(٢) وَرُوي أَنَّ الْمَشْرِكِينَ قَالُوا لِلرَّسُولِ ﷺ: لَا نُؤْمِنُ لَكَ حَتَّىٰ  
يُخْشَرَ قُصَيٌّ، فَيُخْبِرَنَا بِصِدْقِكَ، أَوْ ائْتِنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا. فَتَزَلَّتْ الْآيَةُ.

وسَبَقَ فِي الْآيَاتِ مِنْ (٩٠ - ٩٣) مِنْ سُورَةِ (الْإِسْرَاءِ/ ٥٠) نَزُولِ بَيَانِ عَدَدٍ مِنْ مَطَالِبِهِمُ التَّعَنُّتِيَّةِ الَّتِي لَا تَجْعَلُهُمْ يُؤْمِنُونَ لَوْ اسْتَجَابَ اللَّهُ لِمَطَالِبِهِمْ فِيهَا .

فَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّهُ لَوْ نَزَلَ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَلَوْ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى بِخَارِقَةٍ أَجْرَاهَا لَهُمْ، وَلَوْ جَمَعَ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ طَلَبُوهُ مِنَ الْخَوَارِقِ وَالْآيَاتِ الْمُعْجَزَاتِ، مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الْحَرَّةِ، لِأَنَّهُمْ مُعَانِدُونَ مُكَابِرُونَ مُسْتَيْفِنُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا، وَأَنَّ مَا يَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَهُمْ لَيْسُوا بِحَاجَةٍ إِلَى اقْتِنَاعٍ حَتَّى يُؤْمِنُوا .

• ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ : أَي: وَجَمَعْنَا مُرْسِلِينَ عَلَيْهِمْ، ضَمَّنَ الْفِعْلُ فِي: «وَحَشَرْنَا» مَعْنَى الْفِعْلِ فِي: «وَأَرْسَلْنَا» فَعْدَيَّ تَعْدِيَّتِهِ بِحَرْفِ الْجَرِّ «عَلَى» .

• ﴿كُلَّ شَيْءٍ قُبْلًا﴾ وَفِي الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى ﴿قَبْلًا﴾ أَي: كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا طَلَبُوهُ مِنْ خَوَارِقِ وَآيَاتِ حَالَةٍ كَوْنِهِ مُقَابِلًا مُوَاجِهًا لَهُمْ، وَمُعَانِيًا بِأَعْيُنِهِمْ .  
القراءتان لغتان بمعنى المقابلة والمواجهة والمعانية .

• ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ اللَّامُ فِي: ﴿لِيُؤْمِنُوا﴾ تُسَمَّى لَامَ الْجُحُودِ، إِذْ جَاءَتْ بَعْدَ كَوْنٍ مَنفِيٍّ . وَفِعْلُ «كَانَ» هُنَا بِمَعْنَى الْاِسْتِقْبَالِ، وَهُوَ أَحَدُ اسْتِعْمَالَاتِ هَذَا الْفِعْلِ .

• ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ : أَي: إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِيْمَانَهُمْ، فَإِنَّهُ يَسْلُبُهُمْ حِينَئِذٍ إِرَادَاتِهِمُ الْحَرَّةَ، وَيَجْعَلُهُمْ مُجْبُورِينَ غَيْرَ مُخَيَّرِينَ، وَلَكِنْ يُلْغَى حِينَئِذٍ وَضْعُهُمْ مَوْضِعَ الْاِمْتِحَانِ، فَالْجَبْرُ يُنَافِي الْاِبْتِلَاءَ .

• ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ : أَي: وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ عَنْهُمْ، فَيَتَطَلَّعُونَ إِلَى تَلْبِيَةِ بَعْضِ مَطَالِبِهِمْ مِنَ الْآيَاتِ، طَمَعًا فِي إِيْمَانِهِمْ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ حَقِيقَتَهُمْ، وَمَا تُكِنُّهُ صُدُورُهُمْ، فَلَا نَسْتَجِيبُ لِمَطَالِبِهِمُ التَّعَنُّتِيَّةِ .

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ أَعْدَاءِ النَّبِيِّينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ:

● ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْقَرُونَ ﴿١٠٥﴾ وَلِنَصْنَعِ الْإِنْسَ آفَةً أَفْعَدُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرِضُنَّهُمْ وَلِيَقْزِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١٠٦﴾﴾:

عِبَارَةٌ: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ تُشِيرُ إِلَى تَجَمُّعِ أَعْدَاءِ لِلرَّسُولِ ﷺ إِبَّانَ تَنْزِيلِ السُّورَةِ، مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَأَنَّ هَذَا التَّجَمُّعَ حَدَثَ نَظِيرُهُ لِكُلِّ نَبِيٍّ سَبَقَ أَنْ نَبَّأَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ نَبِيًّا رَسُولًا فَأَمَرَهُ عِنْدَ الشَّيَاطِينِ أَعْظَمُ وَأَخْطَرُ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَدَاؤُهُمْ لَهُ أَبْلَغُ، وَتَدْبِيرُهُمُ الْمَكَائِدَ ضِدَّهُ وَضِدَّ دَعْوَتِهِ أَشَدَّ.

وَنَسْبُهُ جَعَلَ أَعْدَاءِ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى اللَّهِ، هُوَ عَلَى مَعْنَى جَعَلَ النَّظَامِ الْعَامَ لِمُجْتَمَعَاتِ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، يَلْزَمُ عَنْهُ ظُهُورُ أَعْدَاءِ كَفَرَةٍ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، يُعَادُونَ الْأَنْبِيَاءَ وَوَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ، لِأَنَّ دَعْوَةَ الْحَقِّ الَّتِي يَحْمِلُونَهَا وَيَدْعُونَ النَّاسَ إِلَيْهَا تُعَارِضُ مَصَالِحَ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ الدُّنْيَوِيَّةِ.

وإِذْ وَصَعَ اللَّهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُعْطِيَهُمْ حُرِّيَّةَ اخْتِيَارٍ مَا يَشَاءُونَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَأَنْ تَجْرِيَ فِيهِمْ سُنَنُهُ فِي تَحْقِيقِ اخْتِيَارَاتِهِمْ، مَا لَمْ يَتَعَارَضْ ذَلِكَ مَعَ قَوَائِنِهِ الْعَامَّةِ وَأَنْظُمَتِهِ الَّتِي لَا يَأْذُنُ بِتَغْيِيرِهَا.

فَالْمُؤْمِنُ يُؤْمِنُ بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ، وَالْكَافِرُ يَكْفُرُ بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ، وَالْعَاصِي يَعْصِي بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ، وَالْمُطِيعُ يُطِيعُ بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ.

وَالْمَعَادِي يُعَادِي بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ، وَالْمَوَالِي يُؤَالِي بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ، وَكُلُّ ذَلِكَ خَاضِعٌ لِلْجَعْلِ الرَّبَّانِيِّ الْعَامِّ، الَّذِي وَضَعَ بِهِ نِظَامَ حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ.

وَلَيْسَ الْمَرَادُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مَجْبُورِينَ عَلَى مُعَادَاةِ النَّبِيِّينَ، بَلْ جَعَلَهُمْ مُخْتَارِينَ وَيَلْزَمُ عَنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ لِلنَّبِيِّينَ .

• ﴿عَدُوًّا﴾ الْعَدُوُّ: هُوَ الَّذِي يَعْدُو بِالْمَكْرُوهِ وَيَظْلِمُ . مَأْخُوذٌ مِنْ عَدَا عَلَيْهِ، إِذَا أَقْبَلَ إِلَيْهِ يَعْدُو لِيُنْزَلَ بِهِ مَكْرُوهًا، أَوْ لِيَظْلِمَهُ . وَالْعَدُوُّ هُوَ الَّذِي وَصَلَ بِهِ الْحَالُ إِلَى إِرَادَةِ النَّكَايَةِ بِخَصْمِهِ وَإِنْزَالِ الْمَكْرُوهِ فِيهِ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ، وَلَوْ بِالْقِتَالِ وَالْحَرْبِ . وَيُطْلَقُ بِالْأَفْرَادِ عَلَى الْمَفْرَدِ وَالْمَثْنَى وَالْجَمْعِ وَالْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ، وَيُسْتَعْمَلُ أَيْضًا عَلَى الْأَصْلِ فَيُثْنَى وَيَجْمَعُ وَيَذْكَرُ وَيُؤَنَّثُ .

• ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾: شَيَاطِينُ: جَمْعُ «شَيْطَانٍ» وَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ يَقَعُ عَلَى كُلِّ مُغْوٍ مُضِلٍّ مُتَمَرِّدٍ مُفْسِدٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَإِبْلِيسُ إِمَامُ الشَّيَاطِينِ وَرَأْسُهُمْ .

وَقَدَّمَ الْإِنْسَ عَلَى الْجِنِّ هُنَا لِأَنَّهُمْ هُمْ الظَّاهِرُونَ بَعْدَاءِ النَّبِيِّينَ، وَحَمَلَهُ رِسَالَاتِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

• ﴿... يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا...﴾ أَي: يُوحِي شَيَاطِينُ الْجِنِّ إِلَى شَيَاطِينِ الْإِنْسِ زُخْرَفَ الْقَوْلِ الَّذِي يَتَّخِذُونَهُ وَسِيلَةً لِلْإِغْوَاءِ وَالْإِغْرَاءِ وَالْإِضْلَالِ عَنِ الْحَقِّ وَصِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، لَدَى مَنْ يُضْغِي إِلَيْهِمْ وَيَسْتَطِيعُونَ خِدَاعَهُ، وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي يُضِلُّونَ بِهِ يَعْتَمِدُ عَلَى الْكَذِبِ وَالْإِفْتِرَاءِ .

• ﴿غُرُورًا﴾: أَي: خِدَاعًا وَإِطْمَاعًا بِالْبَاطِلِ . يُقَالُ لُغَةً: «غَرَّهُ، يَغُرُّهُ، غَرًّا، وَغُرُورًا، وَغِرَّةً» أَي: خَدَعَهُ وَأَظْمَعَهُ بِالْبَاطِلِ: «غُرُورًا» مَفْعُولٌ لِأَجْلِهِ .

• ﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾: أَي: الْقَوْلَ الْمُزَخْرَفَ الْمُزَيَّنَ، وَهُوَ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ . الزُّخْرُفُ: الرِّيَّةُ، وَكَمَالُ حُسْنِ الشَّيْءِ، يُقَالُ لُغَةً: «زَخْرَفَهُ» أَي: زَيَّنَّهُ، وَكَمَّلَ حُسْنَهُ .



وَيُطْلَقُ الزُّخْرُفُ عَلَى الذَّهَبِ، لِأَنَّهُ يُتَزَيَّنُ بِهِ.

فالمعنى: يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَحَيًّا زُخْرُفَ الْقَوْلِ (فَهُوَ نَائِبٌ مَّفْعُولٌ مُطْلَقٌ): لِأَجْلِ التَّغْرِيرِ بِمَنْ يُصْغِي إِلَى زُخْرُفِ الْقَوْلِ.

• ﴿... وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْقُرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾: أَي: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِنْ أَنْ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ، لِلإِغْرَاءِ وَالإِغْوَاءِ وَالتَّضْلِيلِ، لَمَنْعَهُمْ فَمَا فَعَلُوهُ، لَكِنْ لَمْ يَمْنَعْهُمْ إِذْ حِكْمَةُ رَبِّكَ تَقْتَضِي أَنْ لَا يَمْنَعَهُمْ مَنعًا جَبْرِيًّا، بَعْدَ أَنْ مَنَحَ حُرِّيَّةَ الْإِرَادَةِ لِكُلِّ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ مُؤْمِنًا أَمْ كَافِرًا، مُطِيعًا أَمْ عَاصِيًّا، وَمِنْ مَوَادِّ الْامْتِحَانِ فِي رِحْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا امْتِحَانُ الْأَنْبِيَاءِ وَاتِّبَاعِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، بِشَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَاتِّبَاعِهِمْ مِنَ الْكَافِرِينَ. فَذَعُّهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ، فَلَا تَسْأَلْنِي أَنْ أَمْنَعَهُمْ مَنعًا جَبْرِيًّا، وَلَكِنْ لَا تُقْصِرُ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ الدُّعَاةُ إِلَى الْحَقِّ مِنْ أُمَّتِكَ فِي مُقَاوَمَةِ بَاطِلِهِمْ بِالْحَقِّ، وَمُقَاوَمَةِ افْتِرَاءَاتِهِمْ بِالصِّدْقِ، وَكَشَفِ أَوْهَامِ تَزْيِينَاتِ أَقْوَالِهِمِ الزُّخْرُفِيَّةِ، بِزَيِّنَاتِ الْحَقِّ وَمَنَافِعِهِ الثَّابِتَةِ الرَّاسِخَةِ، الَّتِي لَا يَزِيدُهَا التَّجْرِيبُ الْعَمَلِيُّ إِلَّا حُسْنًا وَجَمَالًا، وَبَهَاءً وَنُورًا.

﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْقُرُونَ﴾: أَي: فَذَعُّهُمْ وَمَا يَصْطَنِعُونَ مِنْ أَكَاذِيبِ.

وهنا مَوْقِعٌ مِنْ مَوَاقِعِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٢١ مصحف/ ٧٣):

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ﴿١١٤﴾.

وَبَعْدَ الْبَيَانِ الْإِعْتِرَاضِيِّ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ: ﴿... وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْقُرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ تَابَعَ اللَّهُ بَيَانَ خُطَّةِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فِيمَا يَصْطَنِعُونَ مِنْ زُخْرُفِ الْقَوْلِ، لِتَرْوِجِ بَاطِلِهِمْ وَضَلَالَاتِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ.

فَالْخُطُوءَةُ الشَّيْطَانِيَّةُ الْأُولَى: جَاءَ بَيَانُهَا بِكَلِمَةِ: ﴿عُرُورًا﴾ أَي: لِلتَّغْرِيرِ

وَالْخَدَاعِ وَالْإِظْمَاعِ بِالْبَاطِلِ، وَيُعْتَبَرُ هَذَا مُقَدِّمَاتِ الدَّعَايَةِ الْإِعْلَامِيَّةِ الرُّخْرِفِيَّةِ لِلْبَاطِلِ، وَلَسُلُوكِ مَسَالِكِ الشَّرِّ وَالْإِثْمِ وَالْعِصْيَانِ، وَالْفُجُورِ وَالظُّلْمِ وَالْعُدُوانِ.

وَالْخُطُوءَةُ الشَّيْطَانِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلْيَصْغَىٰ



إِلَيْهِ أَفْعِدُهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ... ﴿١١٣﴾:

أَي: وَلِتَمِيلَ إِلَى قَوْلِ الشَّيَاطِينِ الْمُرْخَرَفِ أَعْمَاقُ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، وَلَا بِمَا فِيهَا مِنْ جَزَاءٍ بِالْعِقَابِ فِي دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ، وَلَا بِمَا فِيهَا مِنْ جَزَاءٍ بِالشَّوَابِ الْعَظِيمِ فِي دَارِ النِّعَمِ الْجَنَّةِ، فَلَا هَمَّ لَهُمْ إِلَّا مَا يَرْجُونَ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالشَّيَاطِينُ يُزَيِّنُونَ لَهُمْ هَذِهِ الْمَتَاعَاتِ، وَيُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى انْتِهَابِ لَذَاتِهِمْ مِنْهَا، لِيَتَّخِذُوهُمْ قُطْعَانَ مُمَارَسَةِ شَهَوَاتٍ، وَاتِّبَاعِ أَهْوَاءٍ، وَغَرَقَى أَوْحَالَ مَبَاءَاتٍ فَاسِدَاتٍ. وَعِنْدَئِذٍ يَجْعَلُونَهُمْ جُنُودًا أَغْيَاءَ عَمِيانًا لَهُمْ.

﴿وَلْيَصْغَىٰ﴾: أَي: وَلِتَمِيلَ. يُقَالُ لَعَةً: «صَغِي، يَصْغَى، صَغَى» أَي: مَالَ. وَيُقَالُ أَيْضًا: «صَغَا، يَصْغُو، صَغَوَا» أَي مَالَ. وَمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ هُنَا مِنَ الْيَأْيِ.

الْخُطُوءَةُ الشَّيْطَانِيَّةُ الثَّالِثَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿... وَلِيَرْضَوْهُ ...﴾:

أَي: وَلِيَقَعَ زُخْرُفُ الْقَوْلِ الَّذِي يُلْقِيهِ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ، مَوْقِعَ الرِّضَا مِنْ أَفْعِدَةِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ مَتَى كَانَ سُلُوكُ مَا وَاقِعًا مَوْقِعَ الرِّضَا فِي فُؤَادِ إِنْسَانٍ، إِنْ دَفَعَ هَذَا الْإِنْسَانُ إِلَى مُمَارَسَتِهِ بِكُلِّ جُرْأَةٍ وَقُوَّةٍ، غَيْرَ عَابِيٍّ بِنَفْدِ النَّاقِذِينَ، وَلَوْمِ اللَّائِمِينَ.

الْخُطُوءَةُ الشَّيْطَانِيَّةُ الرَّابِعَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَلِيَقَرِّفُوا مَا هُمْ مُقَرِّفُونَ﴾ ﴿١١٤﴾: أَي: وَلِيَكْتَسِبُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ وَالْجَرَائِمِ الَّتِي حَلَّتْ مِنْ أَفْعِدَتِهِمْ مَحَلَّ الْاسْتِحْسَانِ وَالرِّضَا مَا هُمْ مُكْتَسِبُونَ.

هَذِهِ الْخُطْوَةُ تَأْتِي تِلْقَائِيَّةً بَعْدَ الْخُطْوَةِ الثَّالِثَةِ، وَقَدْ تَحْتَاجُ مِنَ الشَّيَاطِينِ الْمُغْوِينَ الْمُضِلِّينَ شَيْئاً مِنَ الدَّفْعِ، أَوْ الْجَذْبِ، أَوْ الْمَصَاحَبَةِ، أَوْ تَهْيِئَةِ الْوَسَائِلِ وَالْأَسْبَابِ، أَوْ وَضْعِ الصَّيْدِ الْجَدِيدِ فِي الْمَكَانِ الْمُهِمِّ لِاِقْتِرَافِ السَّيِّئَاتِ وَالْجَرَائِمِ الَّتِي حَلَّتْ مِنَ الْفُؤَادِ مَحَلَّ الْاِسْتِحْسَانِ وَالرِّضَا، وَبَعْدَ الْاِقْتِرَافِ الْأَوَّلِ تَكُونُ الْأَفْعَالُ التَّالِيَةُ عَادِيَّةً، ثُمَّ تَكُونُ عَادَةً مُتِمَّكَةً.

**الافتراء:** الْاِكْتِسَابُ، يُقَالُ لُغَةً: «اِقْتَرَفَ الذَّنْبَ» أَي: افْتَعَلَهُ بِإِرَادَةٍ وَاعِيَةٍ وَتَكْلُفٍ، وَلَمْ يَفْعَلْهُ عَفْوَاً كَمَا يَذُبُّ الذُّبَابُ عَنْ وَجْهِهِ.

■ قول الله عزَّ وجلَّ يُعَلِّمُ رَسُولُهُ أَنْ يَقُولَ:

• ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ الْكِتَابُ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾:

يَرَى الْمَفْسِّرُونَ أَخْذاً مِنْ ظَوَاهِرِ سَوَابِقِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهَا مِنْ تَوَابِعِ عِلَاجِ الْمُشْرِكِينَ، وَالَّذِي ظَهَرَ لِي أَخْذاً مِمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ تَعْلِيمٍ، أَنَّهَا تَخُصُّ بَعْضَ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَسْلَمُوا، الَّذِينَ لَمْ يَتَّضَحْ لَهُمْ بَعْدُ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَشْتَمِلُ عَلَى أَحْكَامِ الْفُرُوعِ، فِي الْمَعَامَلَاتِ وَالْعَلَاَقَاتِ الْمَالِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَرُبَّمَا كَانُوا يَتَحَاكَمُونَ إِلَى مَنْ كَانُوا يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِمْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ تَكُنْ أَحْكَامُ هَذِهِ الْفُرُوعِ قَدْ نَزَلَتْ فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ السَّابِقَةِ، فَاقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الرَّبَّانِيَّةُ الْقَائِمَةُ عَلَى التَّدْرُجِ، التَّمْهِيدَ بَيَاناً أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْهُ مَا أَنْزَلَ، وَسُيُنْزَلُ سَائِرُهُ، يَشْتَمِلُ عَلَى تَفْصِيلِ لِكُبْرِيَّاتِ قُضَايَا الْأَحْكَامِ، وَأَحْكَامُهُ صَادِرَةٌ عَنْ أَحْكَامِ الْحَاكِمِينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

• ﴿أَبْتَغِي حَكْماً﴾: أَي: أَطْلُبُ حَكْماً، الْحَكْمُ: هُوَ مَنْ يُخْتَارُ لِلْقَضَاءِ، وَالْفَضْلُ بَيْنَ الْخُصْمَاءِ. «وَحَكَمَ فُلَانٌ فِي الْأَمْرِ» أَي: قَضَى فِيهِ.

لفظ «الْحَكَمَ» أَخْصُصَ مِنْ لَفْظِ «الْحَاكَمَ» أَي: ذُو دَرَجَةِ رَفِيعَةٍ فِي دِقَّةِ الْقَضَاءِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ. وَلَفْظُ «الْحَكَمَ» اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنَى.

وَذَكَرَ الْمُخْتَصُّونَ بِعُلُومِ الْقُرْآنِ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَدَنِيَّةٌ، فَإِذَا صَحَّ أَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ فَمَضْمُونُهَا خَاصٌّ بِالْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ حَتْمًا، وَيُوجَدُ فِي أَحْدَاثِ السَّيَرَةِ الْمَدَنِيَّةِ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لِنَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَقَدْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَدِينَةِ أَنَّ الْقُرْآنَ فِيهِ تَفْصِيلٌ لِأَحْكَامِ الْفُرُوعِ فِي الْمَعَامَلَاتِ، فَيَلَائِمُهُمُ الْبَيَانُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَمَامًا.

وَالِاسْتِفْهَامُ فِي عِبَارَةِ: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتَغَى حَكَمًا﴾ اسْتِفْهَامٌ إِنكَارِيٌّ عَلَى مَنْ طَلَبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ التَّحَاكُمَ إِلَى بَعْضِ حُكَّامِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، أَوْ مِنَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ دُونَ النِّفَاقِ.

• ﴿... وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا...﴾: أَي: وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ، مُشْتَمِلًا عَلَى أُسْرِ أَحْكَامِ الْمَعَامَلَاتِ، الْقَائِمَةِ عَلَى الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَفِيهَا تَفْصِيلٌ كَافٍ عَنِ طَرِيقِ النُّصُوصِ الصَّرِيحَةِ، أَوْ عَنِ طَرِيقِ الْقِيَاسِ الْجَلِيِّ وَغَيْرِهِ.

• ﴿... وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: أَرَى أَنْ هَذَا الْبَيَانُ الرَّبَّانِيُّ، مُوجَّهٌ لِمَنْ خَطَرَ لَهُ أَنْ يَتَحَاكَمَ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ لِعَیْرِ الرَّسُولِ مِنْ حُكَّامِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَقَضَاتِهِمْ، لِمَرَضٍ فِي قَلْبِهِ جَعَلَهُ يَشْكُ فِي الْقُرْآنِ، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ:

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ وَهُمْ عُلَمَاءُ الْيَهُودِ وَأَحْبَارُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ، يَعْلَمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ حَالَةً كَوْنِهِ مُتَّصِفًا بِالْحَقِّ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ، أَي: فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِينَ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ.

وَلَا أَرَى أَنْ هَذَا الْخُطَابَ مُوجَّهٌ لِلرَّسُولِ ﷺ.

وَالدَّاعِي لَوْضَعِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ هِيَ مِنَ التَّنْزِيلِ الْمَكِّيِّ، الْإِشْعَارُ

بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَكَّةَ، كَانُوا عَلَى عِلْمٍ بِأَنَّهُمْ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَرْجِعُوا فِي كُلِّ الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِمُعَامَلَاتِهِمْ، إِلَى الرَّسُولِ ﷺ لِيَتَلَقَّى عَنْ اللَّهِ الْحُكْمَ الْعَدْلَ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَا يَسْتَفْتُونَهُ فِيهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُبَيِّنُ صِفَةَ كَلِمَاتِهِ:

• ﴿رَكَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١١٥): وَفِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى: ﴿كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ وَهُمَا مُتَكَافِئَتَانِ لِأَنَّ الْمَفْرَدَ الْمُضَافَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ بِحُكْمِ الْجَمْعِ، عَلَى أَنَّ الْكَلِمَةَ قَدْ يُقْصَدُ بِهَا كَلِمَاتٌ كَثِيرَاتٌ.

بِنَظَرَةٍ تَحْلِيلِيَّةٍ مُتَعَمِّقَةٍ، يَظْهَرُ لَنَا أَنَّ كَلِمَاتِ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - تَرْجِعُ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْ أَرْبَعَةِ أَصُولٍ.

**الأصل الأول:** الْكَلِمَاتُ الْخَبَرِيَّةُ عَنِ الْأَزْلِيَّاتِ، الْوَاجِبَاتِ عَقْلًا وَالْمُسْتَحِيلَاتِ عَقْلًا وَالْجَائِزَاتِ عَقْلًا، وَعَنِ الْحَادِثَاتِ الَّتِي كَانَتْ، وَالَّتِي هِيَ كَائِنَةٌ، وَالَّتِي سَتَكُونُ أَوْ سَوْفَ تَكُونُ.

وَهَذِهِ كُلُّهَا كَلِمَاتُ صِدْقٍ، مُطَابِقَةٌ لِلْحَقِّ وَالْوَاقِعِ تَمَامًا.

وَمَعْنَى تَمَامِهَا أَنَّهَا تَحَدَّثَتْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَصِحُّ عَقْلًا أَنْ يُخْبَرَ عَنْهُ بِإِيجَابٍ أَوْ سَلْبٍ.

وَهَذِهِ الْكَلِمَاتُ مُدَوَّنَاتٌ مُسَجَّلَاتٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

**الأصل الثاني:** الْكَلِمَاتُ التَّكْوِينِيَّةُ، وَهِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا لِكُلِّ شَيْءٍ أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَهُ: كُنْ، فَهُوَ بِأَمْرِ التَّكْوِينِ يَكُونُ عَلَى وَفْقِ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَهَذِهِ كُلُّهَا كَلِمَاتُ عَدْلٍ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْكَائِنَاتِ الْمُرَكَّبَاتِ مِنْ عَنَاصِرٍ وَأَجْزَاءَ، جَعَلَ لِكُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا مِقْدَارًا مُحَدَّدًا مِنْ

الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، وَهَذِهِ الْأَجْزَاءُ تَتَفَاضَلُ فِيمَا بَيْنَهَا تَفَاضُلًا كَبِيرًا جَدًّا، فَمِنْهَا مَثَلًا مَا يَحْتَاجُ مِليَارَ ذَرَّةٍ، وَمِنْهَا مَا يَحْتَاجُ ذَرَّةً وَاحِدَةً.

وَالْعَدْلُ يَكُونُ بِأَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِليَارَ ذَرَّةٍ لِمَا قَدَّرَ لَهُ فِي خُطَّةِ التَّكْوِينِ أَنْ يَتَكَوَّنَ مِنْ مِليَارِ ذَرَّةٍ، وَأَنْ يَخْلُقَ ذَرَّةً وَاحِدَةً لِمَا قَدَّرَ لَهُ فِي خُطَّةِ التَّكْوِينِ أَنْ يَكُونَ ذَرَّةً وَاحِدَةً.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَدْلَ هُوَ إِعْطَاءُ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَالْمَسَاوَاةُ مَعَ التَّفَاضُلِ ظُلْمٌ لِلْحَقُوقِ.

وَكَلِمَاتُ التَّكْوِينِ الرَّبَّانِيَّةُ تَخْلُقُ بِالْعَدْلِ لِكُلِّ شَيْءٍ مَقْدَارًا مِنَ الذَّرَّاتِ بِحَسَبِ مَا سَبَقَ أَنْ قَدَّرَ لَهُ فِي خُطَّةِ التَّكْوِينِ الْحَكِيمَةِ.

وَتَمَامُهَا يَكُونُ بِإِيجَادِ الْمَخْلُوقِ عَلَى مَا سَبَقَ بِهِ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ.

**الأصل الثالث:** الْكَلِمَاتُ التَّشْرِيعِيَّةُ، وَهِيَ الْكَلِمَاتُ اللَّاتِي يُبَيِّنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا أَحْكَامَ شَرَائِعِهِ لِلْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ.

وَهَذِهِ الْكَلِمَاتُ دَائِرَاتٌ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْعَدْلِ:

• فَالصِّدْقُ يَكُونُ بِالمُطَابَقَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مُرَادِ اللَّهِ فِي التَّشْرِيعِ، فَلَيْسَ مِنْ حَقِّ الْعِبَادِ أَنْ يُؤَوَّلُوا النُّصُوصَ التَّشْرِيعِيَّةَ، تَأْوِيلَاتٍ يُخْرِجُهَا عَنْ دَلَالَتِهَا فِي اللُّغَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِهَا، وَإِلَّا كَانُوا مُحَرِّفِينَ، لِأَنَّهَا كَلِمَاتٌ صَادِقَاتُ.

• وَالْعَدْلُ يَكُونُ فِي أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، وَإِلَّا مَا آتَاهَا. وَيَكُونُ أَيْضًا بِإِنْزَالِ الْأَحْكَامِ الْعَدْلِيَّةِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْقَضَاةِ أَنْ يَتَّقِدُوا بِهَا لَدَى الْفَصْلِ بَيْنَ الْخُصَمَاءِ فِي الْقَضَاءِ.

وَالْكَلِمَاتُ التَّشْرِيعِيَّةُ تَامَاتٌ غَيْرَ نَاقِصَاتٍ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَكْمَلَ لِلنَّاسِ دِينَهُمْ، وَأَتَمَّهُ لَهُمْ.

**الأصل الرابع:** الْكَلِمَاتُ الْجَزَائِيَّةُ، وَهِيَ الَّتِي يَقْضِي اللَّهُ بِهَا الْجَزَاءَ عَلَى عِبَادِهِ ثَوَاباً أَوْ عِقَاباً.

وَهَذِهِ الْكَلِمَاتُ دَائِرَاتٌ بَيْنَ الصَّدَقِ وَالْعَدْلِ:

• فَالصَّدَقُ يَكُونُ بِتَحْقِيقِ وَعْدِ اللَّهِ السَّابِقِ بِأَنْ يُضَاعِفَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ أضعافاً كَثِيرَةً، وَأَنْ يَشْمَلَ بَعْضَ عِبَادِهِ بِعَفْوِهِ وَغُفْرَانِهِ عَلَى وَفْقِ حُكْمَتِهِ.

• وَالْعَدْلُ يَكُونُ فِي الْجَزَاءِ بِالْعِقَابِ عَلَى قَدْرِ الذَّنْبِ إِذَا لَمْ يَغْفُ، فَاللَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

• ﴿... لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ...﴾: أَي: وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا حَالَةً أَنَّهُ لَا مُبَدَّلَ لِأَيِّ كَلِمَةٍ مِنْ كَلِمَاتِهِ كُلِّهَا.

• فَكَلِمَاتُهُ الْخَبَرِيَّةُ حَتَّى مَا كَانَ مِنْهَا وَعْدًا أَوْ وَعِيدًا كَلِمَاتٌ صَادِقَاتٌ، لَا مُبَدَّلَ لَهَا مِنْ ذَاتِهِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ.

• وَكَلِمَاتُهُ التَّكْوِينِيَّةُ نَافِذَاتٌ حَتْمًا، لَا مُبَدَّلَ لَهَا مِنْ ذَاتِهِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ.

• وَكَلِمَاتُهُ التَّشْرِيعِيَّةُ لَا مُبَدَّلَ لَهَا مِنْ ذَاتِهِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ، ضِمَّنَ حُدُودَهَا الزَّمَنِيَّةَ الْمَقْدَرَةَ فِي خُطَّةِ التَّشْرِيعِ، وَضِمَّنَ حُدُودَ الْقَوْمِ الَّذِينَ شُرِعَتْ لَهُمْ، أَوِ الْفَرْدَ الَّذِي شُرِعَتْ لَهُ، كَنَبِيِّ أَوْ رَسُولٍ.

وَالنَّسْخُ لَيْسَ إِبْطَالًا لِحُكْمٍ سَابِقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ بَيَانُ انْتِهَاءِ وَقْتِ الْعَمَلِ بِالْحُكْمِ السَّابِقِ، أَوِ التَّشْرِيعِ السَّابِقِ، إِذْ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ لَا مِنْ ذَاتِهِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ.

• وَكَلِمَاتُهُ الْجَزَائِيَّةُ مَتَى صَدَرَتْ فَلَا مُبَدَّلَ لَهَا مِنْ ذَاتِهِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ، فَلَا بُدَّ مِنْ نَفَازِهَا ضِمَّنَ حُدُودِ آجَالِهَا الْمَقْدَرَةَ لَهَا فِي الْحُكْمِ

الْجَزَائِيَّ الرَّبَّانِيَّ، الْأَبَدِيَّ، أَوْ الْمُؤَقَّتِ، أَوْ الْمَطْلَقِ الْقَابِلِ لِلتَّقْيِيدِ لَاحِقًا.

وَمَحَوَ اللَّهُ مَا يَشَاءُ، وَإِثْبَاتُ مَا يَشَاءُ يَكُونُ فِيمَا هُوَ مَشْرُوطٌ  
بِاخْتِيَارَاتِ الْعِبَادِ، وَفِي صُحُفِ الْمَلَائِكَةِ لَا فِي كَلِمَاتِهِ الْأَصُولِ.

• ﴿... وَهُوَ السَّمِيعُ الْكَلِيمُ﴾ (١١٥): أَي: وَهُوَ السَّمِيعُ لِكُلِّ مَا هُوَ  
قَابِلٌ لِأَنْ يُسْمِعَ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

وَقَدْ جَاءَ فِي سَوَابِقِ آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ مَا يُنَاسِبُ ذِكْرَ هَٰذَيْنِ  
الْأَسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، الَّتِي هِيَ مِنْ عُنَاوِينِ الْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خِطَابًا لِرَسُولِهِ فَلِكُلِّ صَالِحٍ لِلخِطَابِ بِأُسْلُوبِ  
الْخِطَابِ الْإِفْرَادِيِّ:

• ﴿وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَبْغُوتَ  
إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (١١٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ  
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١١٧):

أَي: وَإِنْ تَطَعْ أَيُّهَا الْحَرِيصُ عَلَى أَنْ تَكُونَ مُهْتَدِيًّا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكَ  
سَعِيدًا فِي آخِرَتِكَ، أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، يُضِلُّوكَ عَنْ  
سَبِيلِ اللَّهِ بِأَقْوَالِهِمُ الرُّخْرِفِيَّةِ الْبَاطِلَةَ، الَّتِي يُزَيِّنُونَ بِهَا مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،  
وَالسَّعْيِ لِنَيْلِ أَعْظَمِ قَدَرٍ مِنْهَا، مَهْمَا كَانَ فِيهَا ضَلَالٌ بَعِيدٌ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ  
الْمُسْتَقِيمِ، وَلَوْ كَانَتْ ذَوَاتَ عَاقِبَاتٍ وَخِيَمَاتِ.

﴿وَإِنْ تَطَعْ﴾: أَي: وَإِنْ تَقَدَّرَ وَتَسْتَجِبَ وَتَتَّبِعَ، يُقَالُ لُغَةً: «أَطَاعَ فُلَانٌ  
فُلَانًا يُطِيعُهُ» أَي: انْقَادَ لَهُ، وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ، أَوْ دَعَاهُ إِلَيْهِ، وَيُقَالُ  
أَيْضًا: «طَاعَهُ، يُطِيعُهُ، طَوْعًا» أَي: انْقَادَ لَهُ.

هَٰذِهِ قَاعِدَةٌ ثَمِينَةٌ جَدًّا لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا رَشِيدًا، مِنْ قَوَاعِدِ  
الْاجْتِمَاعِ الْبَشَرِيِّ، وَالنَّاسُ لَا يَعْمَلُونَ بِهَا وَلَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا.



فَالنَّسَبَةُ الْعُظْمَى مِنَ النَّاسِ فِي كُلِّ الْقُرُونِ الْإِنْسَانِيَّةِ، هُمْ ضَالُّونَ  
بَعِيدُونَ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ مُضِلُّونَ، مُغْوَوْنَ، مُلْحَقُونَ  
بِقِسْمِ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

وَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ تَكَرَّرَ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ مِنْ ظَوَاهِرِ الْاجْتِمَاعِ  
الْبَشَرِيِّ، لَهُ سَبَبَانِ رَئِيسَانِ:

**السَّبَبُ الْأَوَّلُ:** أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ، فَهُمْ لَا يَصْبِرُونَ  
حَتَّى يَعْرِفُوا الْحَقَّ، أَوْ الصَّوَابَ، أَوْ الْأَفْضَلَ، بَيِّقِينَ، بَلْ يَتَسَرَّعُونَ بِدَوَافِعِ  
شَهْوِيَّةٍ أَوْ غَضَبِيَّةٍ مِنْ نَفْسِهِمْ، فَيَجْزِمُونَ بِالْبَوَادِرِ الَّتِي تَخْطُرُ لَهُمْ،  
وَيَجْعَلُونَهَا حَقَائِقَ، وَهِيَ ظُنُونٌ، وَأَكْثَرُهَا ظُنُونٌ كَوَازِبٌ لَا تَصْلُحُ لِلْاعْتِمَادِ  
عَلَيْهَا، وَهِيَ كَوَازِبٌ قَطْعاً إِذَا تَعَارَضَتْ مَعَ مَا جَاءَ فِي دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ  
لِعِبَادِهِ.

وفي بيانِ هَذَا السَّبَبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ...﴾:  
أَي: مَا يَتَّبِعُونَ فِي آرَائِهِمُ الَّتِي يَجْزِمُونَ بِهَا إِلَّا الظَّنَّ.

**الظَّنُّ:** هُوَ مَا دُونَ الْيَقِينِ الْعِلْمِيِّ، حَتَّى أضعِفَ دَرَجَاتِ الظُّنُونِ  
التَّوَهُّمِيَّةِ، فَمَا تَجَاوَزَ مِنَ الظُّنُونِ الدَّرَجَةَ الْوُسْطَى الَّتِي تَكُونُ فِيهَا كِفَتَا  
مِيزَانِ الْاِحْتِمَالَاتِ الْمُتَضَادَّةِ مُتَسَاوِيَتَيْنِ، فَيَرْجَحُ أَحَدُ الْاِحْتِمَالَيْنِ عَلَى ضِدِّهِ  
يَكُونُ ظَنًّا رَاجِحًا، وَيَكُونُ مُقَابِلَهُ ظَنًّا مَرْجُوحًا، وَقَدْ يَصِلُ الظَّنُّ الْمَرْجُوحُ  
إِلَى دَرَجَةِ التَّوَهُّمِ. وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَكْتَفُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ بِالظُّنُونِ الْمَرْجُوحَةِ،  
لِتَبَادُرِهَا إِلَى أَذْهَانِهِمْ، فَلَا يُكَلِّفُونَ أَنْفُسَهُمُ الْبَحْثَ وَالتَّفَكِيرَ وَالتَّأَمُّلَ،  
فَيَسْقُطُونَ فِي أَوْحَالٍ أَخْطَاءٍ شَنِيعَةٍ جَدًّا، ذَاتِ مَصِيرٍ وَخِيمٍ لِمَنْ اعْتَمَدَ  
عَلَيْهَا وَعَمِلَ بِهَا، وَيَعْتَرُّ مَنْ يَسْتَمْسِكُ بِهَا بِكَثْرَةِ النَّاسِ الَّذِينَ يَعْتَبِرُونَهَا مِنَ  
الْحَقَائِقِ الَّتِي يَجِبُ الِاسْتِمْسَاكُ بِهَا، وَالْعَمَلُ بِمَا تَدْعُو إِلَى الْعَمَلِ بِهِ.

وَأَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ الْمَوْضُوعِينَ فِيهَا مَوْضِعَ الْاِمْتِحَانِ ضَالُّونَ عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ، فَمَنْ انْقَادَ لَهُمْ فِي عَقَائِدِهِمْ وَمَفْهُومَاتِهِمْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذِهِ الْأَكْثَرِيَّةِ الضَّالَّةِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ فِي سُورَةِ (يُوسُف/ ٥٣) نَزُولُ:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٣﴾:

والمراد بِكَوْنِ أَكْثَرِ النَّاسِ يَتَّبِعُونَ الظَّنَّ، أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ الظُّنَّ الضَّعِيفَةَ الَّتِي لَا يَصُحُّ عَقْلًا الْاِحتِجَاجُ بِهَا، وَلَا الْاعْتِمَادُ عَلَيْهَا، فِي قَضَايَا الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَقَضَايَا السُّلُوكِ الْإِنْسَانِيِّ الْمَقْرُونِ بِالْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ وَالْمَصَالِحِ الْخَاصَّةِ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَّقِدُوا بِمَنْهَجِ الْإِسْلَامِ فِي الْعَمَلِ بِالظُّنُونِ الرَّاجِحَةِ، حِينَمَا لَا يَتَوَافَرُ الْيَقِينُ بِالْأَدِلَّةِ الْقَاطِعَةِ، أَوِ الْبَرَاهِينِ السَّاطِعَةِ.

أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمُسْلِمُونَ، وَلَا سِيَمَا الْعُلَمَاءُ الْمُجْتَهِدُونَ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَجْتَهِدُونَ فِي اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَى الظُّنُونِ الرَّاجِحَةِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ دَلِيلٌ يُفِيدُ يَقِينًا، وَإِذَا لَمْ يَطْهَرْ لَهُمْ ظَنٌّ أَقْوَى مِمَّا اعْتَمَدُوا عَلَيْهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ الْمُسْلِمُونَ لَيْسُوا مِنْ أَكْثَرِ أَهْلِ الْأَرْضِ.

وَالْاعْتِمَادُ عَلَى الظَّنِّ الرَّاجِحِ فِي أَحْكَامِ الْفُرُوعِ، وَفِي الْمَفْهُومَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُخْتَلَفَةِ، مَأْذُونٌ بِهِ شَرْعًا، بِأَدِلَّةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَعَمَلِ الصَّحَابَةِ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَفِي عَمَلِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَهُوَ مِمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُؤَهَّلُونَ لِلْإِجْمَاعِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لَا يُخَالِفُ فِي هَذَا مَنْ يُعْتَدُّ بِخِلَافِهِ.

السَّبَبُ الثَّانِي: أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَخْرُصُونَ، أَي: يَكْذِبُونَ، لِتَرْوِجِ آرَائِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ، بِسَبَبِ أَنَّهُمْ كَافِرُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، لَا يَخَافُونَ عِقَابَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ، عَلَى كُفْرِهِمْ وَأَكَاذِبِهِمْ وَضَلَالَاتِهِمْ.

وَفِي بَيَانِ هَذَا السَّبَبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... وَإِنَّ هُمْ إِلَّا

يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾: أي: يَكْذِبُونَ، فَاَلْمُرَادُ بِالْخَرْصِ هُنَا الْكَذِبُ، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ. وَيَأْتِي الْخَرْصُ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى التَّقْدِيرِ بِالظَّنِّ.

• ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾: إِنَّ الْحُكْمَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ بِأَنَّ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ ضَالُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَمِنْ انْقَادِ إِلَيْهِمْ أَضَلُّوهُ عَنْ سَبِيلِهِ، اسْتَدْعَى أَنْ يُبَيِّنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ عَلِيمٍ بِكُلِّ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَأَعْلَمُ مِنْ كُلِّ عَلِيمٍ بِكُلِّ الْمُهْتَدِينَ.

جاء في هَذِهِ الْآيَةِ عِبَارَةً ﴿أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ﴾ والمعروف عند عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ أَفْعَلَ التَّفْضِيلِ لَا يَتَعَدَّى إِلَى الْمَفْعُولِ بِهِ مُبَاشَرَةً، وَكَانَ الظَّاهِرُ أَنَّ يُقَالُ: أَعْلَمُ بِمَنْ يَضِلُّ. كما جاء في آخِرِ الْآيَةِ: ﴿أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ونظيره جاء في سورة (القصص/ ٢٨ مصحف/ ٤٩ نزول):

﴿... قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٨٥﴾﴾:

هَٰذَا النِّصَانِ فِي الْقُرْآنِ خَرَجًا عَنِ الْقِيَاسِ الْعَرَبِيِّ، وَقَدْ اجْتَهَدَ الْمُفَسِّرُونَ مِنْ أُمَّةِ اللُّغَةِ فِي تَخْرِيجِ هَٰذَا التَّعْبِيرِ.

• فَرَأَى بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعِبَارَةَ فِيهَا حَذْفٌ، وَأَصْلُهَا: أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ عَلِيمٍ، يَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى، وَيَعْلَمُ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

• وَرَأَى بَعْضُهُمْ أَنَّ النَّصْبَ جَاءَ بِنَزْعِ الْخَافِضِ، وَأَصْلُ الْعِبَارَةِ: أَعْلَمُ بِمَنْ.

• وَرَأَى بَعْضُهُمْ أَنَّ أَفْعَلَ التَّفْضِيلِ جَاءَ عَلَى غَيْرِ بَابِهِ، إِذْ مَعْنَاهُ: يَعْلَمُ. إِلَى غَيْرِ هَٰذِهِ مِنْ تَخْرِيجَاتٍ.

وَأَنْسَجَامًا مَعَ مَنْهَجِ الْحَذْفِ وَالطِّيِّ فِي الْقُرْآنِ، وَهُوَ كَثِيرٌ، يَتَرَجَّحُ لَدَيَّ التَّخْرِيجَ الْأَوَّلَ. عَلَى أَنَّ النَّصْبَ بِنَزْعِ الْخَافِضِ لَيْسَ مُسْتَبْعَدًا، لَكِنَّ الْحَذْفَ وَالطِّيَّ أَكْثَرُ إِثْرًا لِلْمَعَانِي.

وَلَا يَخْفَى مَا فِي عِبَارَةِ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾<sup>١</sup> مِنْ قَصْرِ الْمُسْنَدِ، وَهُوَ «الْأَعْلَمِيَّة» عَلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، وَهُوَ «اللَّهُ رَبُّكَ».

وَجَاءَ اسْتِعْمَالُ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ: ﴿يَضِلُّ﴾ وَاسْمُ الْفَاعِلِ «الْمُهْتَدِينَ» الْمَكَافِي لِلْفِعْلِ الْمَضَارِعِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى مُتَابَعَةِ عِلْمِ اللَّهِ الشَّامِلِ الْمُحِيطِ لِحَرَكَاتِ عِبَادِهِ مَعَ أَصْغَرِ الْوَحْدَاتِ الزَّمَنِيَّةِ الَّتِي تَجْرِي فِيهَا هَذِهِ الْحَرَكَاتُ. وَبِهَذَا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الرَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ).

والحمد لله على معونته ومددِهِ وتوفيقِهِ وفتحِهِ.



(٢٩)

### التدبر التحليلي للدَّرْسِ الخامس والعشرين من دُرُوسِ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ) الآيات من (١١٨ - ١٢١)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظِلْهَرِ الْأَثَرِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَثَمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخَذَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُوَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

القراءات:

(١١٩) • قرأ نافع، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: [وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ] وقرأها شعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف: [وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ].

وقراها باقي القراء العشرة: [وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ].

وَمُؤَدَّى هَذِهِ الْقُرْآنَاتِ وَاحِدٌ، وَهِيَ مِنَ التَّفْنِينِ فِي التَّعْبِيرِ.

(١١٩) • قَرَأْ عَاصِمٌ، وَحَمْزَةٌ، وَالْكِسَائِيُّ، وَخَلَفَ: [لِيُضِلُّونَ] أَي:

لِيُضِلُّونَ غَيْرَهُمْ.

وقراها باقي القراء العشرة: [لِيُضِلُّونَ].

وَبَيَّنَ الْقُرَّاءُ تَكَامُلًا فِي أَدَاءِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ، أَي: هُمْ يَضِلُّونَ عَنْ

صِرَاطِ الْحَقِّ بِأَهْوَائِهِمْ، وَيُضِلُّونَ غَيْرَهُمْ.

تمهيد:

آيَاتُ هَذَا الدَّرْسِ مِنْ فُرُوعِ السَّاقِ الْأَوَّلِ مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ

السُّورَةِ، وَفِيهَا بَيَانٌ لِلْمُؤْمِنِينَ حَوْلَ بَعْضِ مَا يُؤْكَلُ مِنَ اللَّحُومِ، عَلَى خِلَافِ أَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فِيهَا.

التدبر التحليلي:

■ قول الله تعالى خطاباً لِلْمُؤْمِنِينَ المسلمين:

• ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (١١٨) وَمَا لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ (١١٩):

بِمُنَاسَبَةِ بَعْضِ مَا جَاءَ فِي الدَّرْسِ السَّابِقِ، وَمِنْهُ: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ - ﴿وَتَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ - ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جَاءَتْ عِبَارَةُ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ تَفْرِيعًا عَلَيْهِ بِبَيَانِ أَحْكَامِ رَبَّانِيَّةِ تَتَعَلَّقُ بِالْمَطَاعِمِ مِنْ

اللَّحُومِ، وَهَذِهِ فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ أُولَى أَحْكَامِ الْفُرُوعِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، مَعَ مُقَدِّمَاتِ كُلِّيَّةِ عَنِ الزَّكَاةِ.

أي: واذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا تَذْبَحُونَ وَمَا تَصِيدُونَ، وَكُلُوا مِنْهُ، وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُبِحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، كَالَّذِي يُذْبَحُ لِلْأَوْثَانِ وَلِلْمَوْتَى، لِأَنَّهُ شَرَكٌ بِالْهَيْئَةِ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَشَرَكٌ بِحَقِّ رُبُوبِيَّتِهِ، وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ، فَرُبُّكُمْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ذَلِكَ، إِذْ هُوَ مِمَّا أَبَانَ لَكُمْ تَحْرِيمَ الْأَكْلِ مِنْهُ فِي الْآيَةِ (١٤٥) الَّتِي فَصَّلَتْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ الْأَكْلَ مِنْهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ، وَهُوَ: «الْمَيْتَةُ - وَالْدَّمُ الْمُسْفُوحُ - وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ - وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ».

والغرض من ذكر اسم الله عَلَى مَا يُذْبَحُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَعَلَى مَا يُصْطَادُ مِنْهَا، مُلَاحَظَةُ أَنَّ اللَّهَ الرَّبَّ خَالِقَهَا هُوَ الَّذِي أَبَاحَ ذَبْحَهَا وَالْأَكْلَ مِنْهَا، مَعَ الْاسْتِعَانَةِ بِهِ عِنْدَ ذَبْحِهَا أَوْ صَيْدِهَا.

رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَتَى أَنَسُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَاكُلُ مَا نَقْتُلُ، وَلَا نَأْكُلُ مَا قَتَلَ اللَّهُ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٢١) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ... ﴿وحتى غاية الآية (١٢١)).

وَحِينَمَا نُلَاحِظُ أَنَّ النَّاسَ بَافْتِرَاءِ اتِّهَمَ عَلَى اللَّهِ يَأْكُلُونَ الْمَوْتَى مِنَ الْحَيَوَانَاتِ، وَيَذْبَحُونَ ذَبَائِحَهُمْ بِاسْمِ آلِهَتِهِمْ مِنَ الْأَوْثَانِ، وَأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُحَرِّمُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ذَبْحَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْأَكْلَ مِنْ لُحُومِهَا، شَفَقَةً عَلَيْهَا، فَكَانَ مِنْ بَيَانِ أَحْكَامِ الدِّينِ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ الرَّبُّ لِعِبَادِهِ، أَنْ يُعْلِمَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَبَاحَ لَهُمْ أَنْ يَذْبَحُوا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ غَيْرِ الضَّارَّةِ وَلَا الْمُسْتَحْبَثَةِ، وَأَنْ يَصِيدُوا مِنْ صَيْدِهَا، ذَاكِرِينَ اسْمَ اللَّهِ عِنْدَ ذَبْحِهَا أَوْ صَيْدِهَا، إِذْ أَبَاحَهَا لَهُمْ وَهُوَ رَبُّهَا وَرَبُّهُمْ، وَكَانَ مِنْ بَيَانِ أَحْكَامِ الدِّينِ أَنْ يُحَرَّمَ أَكْلُ الْمَيْتَةِ، وَأَكْلُ الدَّمِ الْمُسْفُوحِ، وَأَكْلُ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ،

كَمَا سَيِّئْتِي بَعْدَ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ آيَةً فِي السُّورَةِ، وَأَنْ لَا يَنْسَاقُوا مَعَ أَوْهَامِ الَّذِينَ يَتَدَخَّلُونَ فِي رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ لِكَوْنِهِ، فَيَحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَأَمَرَهُمْ أَمْرَ إِبَاحَةٍ فَقَالَ لَهُمْ:

• ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَتَمُّ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ أَي: فَكُلُوا مِنْ ذَبَائِحِ الْحَيَوَانَاتِ الْمَأْذُونِ بِذَبْحِهَا، وَمِنَ الصَّيْدِ الْمَأْذُونِ بِصَيْدِهِ، ذَاكِرِينَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَا تَتَّبِعُوا افْتِرَاءَاتِ الْمُفْتَرِينَ عَلَى الرَّبِّ خَالِقِهِمْ وَخَالِقِ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ، وَالْمَالِكِ لِحَيَاةِ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ.

وَإِنِّي أَوْجِّهُ لَكُمْ هَذَا الْحُكْمَ مِنْ أَحْكَامِ فُرُوعِ الدِّينِ، إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ الْبَيِّنَةِ فِي كِتَابِهِ مُؤْمِنِينَ، أَي: تُتَابِعُونَ الْإِيمَانَ بِكُلِّ مَا يُنَزَّلُ إِلَيْكُمْ مِنْ آيَاتٍ، وَتُسَلِّمُونَ إِلَيْهَا قِيَادَ حَرَكَاتِ حَيَاتِكُمْ تَسْلِيمًا كَامِلًا.

وَيُظْهِرُ لِي أَنَّ شَرْطَ ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ شَرْطُ تَحْرِيزِي لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْعَمَلِ بِمُقْتَضَى إِيمَانِهِمْ، وَالتَّسْلِيمِ الْكَامِلِ لِأَحْكَامِ رَبِّهِمْ وَعَدَمِ الْاِلْتِفَاتِ إِلَى وَسَاوِسِ الْمَوْسُوسِينَ، وَضَلَالَاتِ الْمُضِلِّينَ، مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، الَّذِينَ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا.

وَخَاطَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ يَتَحَرَّجُونَ مِنْ ذَبْحِ أَوْ صَيْدِ مَا أَذِنَ اللَّهُ بِذَبْحِهِ أَوْ صَيْدِهِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ، وَيَتَحَرَّجُونَ مِنَ الْأَكْلِ مِنْ أَجْسَادِهَا، بِأَسْلُوبِ الاسْتِفْهَامِ التَّلْوِيمِيِّ، فَقَالَ لَهُمْ:

• ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَتَمُّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ ... ﴿١١٩﴾﴾ :

أَي: وَمَا الْمَانِعُ لَكُمْ الَّذِي يَمْنَعُكُمْ يَا أَيُّهَا الْمَتَحَرِّجُونَ مِنْ أَنْ تَذْبَحُوا أَوْ تَصِيدُوا مَا أَذِنَ اللَّهُ لَكُمْ بِذَبْحِهِ أَوْ أَذِنَ لَكُمْ بِصَيْدِهِ؟ وَمَا الدَّافِعُ لَكُمْ الَّذِي يَدْفَعُكُمْ إِلَى أَنْ لَا تَأْكُلُوا مِمَّا أَبَاحَ اللَّهُ لَكُمْ وَذَكَرَ عَلَى ذَبْحِهِ أَوْ

صَيِّدِهِ اسْمُ اللَّهِ الرَّبِّ الَّذِي أَبَاحَ ذَلِكَ، وَهُوَ الرَّبُّ ذُو الْحَقِّ الْأَوْحَدُ فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ؟؟.

مَا هُوَ الْمَانِعُ لَكُمْ، وَمَا هُوَ الدَّافِعُ لَكُمْ، وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الَّتِي نَزَلَتْ جُمْلَةً وَاحِدَةً<sup>(١)</sup>، مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَكْلَهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ؟؟.

وهَذَا التفصيل نَجِدُهُ فِي الْآيَةِ (١٤٥) الْآتِيَةِ، وَالْإِحَالَةَ عَلَيْهَا لَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَلَوْ كَانَ تَرْتِيبُهَا بَعْدَ نَحْوِ (٢٥) آيَةٍ، لِأَنَّ السُّورَةَ نَزَلَتْ جُمْلَةً وَاحِدَةً.

• ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾: أَي: إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَى الْأَكْلِ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، فَلَكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْهُ بِمَقْدَارِ الضَّرُورَةِ، كَالْجُوعِ الشَّدِيدِ الَّذِي يُخْشَى مِنْهُ أَذَى شَدِيدٍ، وَلَا يُوجَدُ مَا يَدْفَعُهُ إِلَّا الْأَكْلُ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ. إِنَّهُ لَا يُوجَدُ مَا يَفْتَضِي إِلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا أَبَاحَ اللَّهُ وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، إِلَّا الْاِفْتِرَاءَ عَلَى اللَّهِ، أَوْ أَوْهَامَ شَفَقَةٍ لَا وَزْنَ لَهَا فِي مَقَايِسِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَفِعْلِ الْخَيْرِ، إِنَّ اللَّهَ أَوَّلَى بِخَلْقِهِ جَمِيعاً مِنْ أَرْحَمِ الرَّحَمَاءِ بِهِمْ، وَأَوَّلَى بِهِمْ مِنْ نَفْسِهِمْ.

وَلَمَّا كَانَ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ بِغَيْرِ أَحْكَامِ اللَّهِ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ أَوْ عَوَاطِفَهُمْ أَوْ مَصَالِحَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ حَقٌّ يَفْتَضِي مَا حَكَمُوا بِهِ، فَهُمْ يَضِلُّونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَيُضِلُّونَ غَيْرَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

• ﴿... وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وَفِي الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى: ﴿لَيُضِلُّونَ﴾.

وَلَمَّا كَانَتْ أَحْكَامُ النَّاسِ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ عُذْوَانًا عَلَى حَقِّ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ، وَسَوْفَ يُجَازِيهِمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى عُذْوَانِهِمْ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

(١) قِيلَ بِاسْتِثْنَاءِ بَعْضِ آيَاتِ رُوي أَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ، وَلَيْسَ مِنْهَا الْآيَةُ (١٤٥) الْآتِيَةُ.



• ﴿... إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿١١٩﴾: فِي ذِكْرِ أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ  
بِالْمُعْتَدِينَ كِنَايَةً عَلَى أَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُجَازِيهِمْ وَيُعَاقِبُهُمْ عَلَى عُدْوَانِهِمْ عَلَى  
حَقِّ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِلْمُؤْمِنِينَ:

• ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا  
كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿١٢٠﴾:

الْإِثْمُ: هُوَ فِي اللُّغَةِ الذَّنْبُ، وَبِاسْتِقْرَاءِ لَفْظَةِ الْإِثْمِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ،  
وَجَدْتُ أَنَّهَا تُسْتَعْمَلُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى جَمِيعِ الْمَعَاصِي الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا  
كَبَائِرِهَا، وَمُتَوَسَّطَاتِهَا، وَصَغَائِرِهَا، مَا هُوَ ظَاهِرٌ مِنْهَا كَأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ  
بِالْبَاطِلِ، وَأَقْوَالِ الْكُفْرِ، وَمَا هُوَ بَاطِنٌ مِنْهَا، كَكِتْمَانِ الشَّهَادَةِ، فَهُوَ مِنَ  
الْإِثْمِ الْبَاطِنِ لِأَنَّهُ سُكُوتٌ عَنِ الْحَقِّ، فَهُوَ مِنْ إِثْمِ الْقُلُوبِ.

فَظَاهِرُ الْإِثْمِ، مَا هُوَ مُعْلَنٌ مِنْهُ، وَبَاطِنُ الْإِثْمِ مَا كَانَ مِنْهُ فِي السِّرِّ،  
وَيَدْخُلُ فِي عُمُومِ بَاطِنِ الْإِثْمِ مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالنَّفُوسِ  
الْإِرَادِيَّةِ، كَالنِّفَاقِ، وَبَعْضِ أَنْوَاعِ الشَّرِكِ الْخَفِيِّ الَّذِي يَكُونُ فِي الْقُلُوبِ  
وَالنَّفُوسِ، وَالرِّيَاءِ الْمَحْبُطِ لِلْعَمَلِ، وَالنِّيَّاتِ الْفَاسِدَاتِ مِنْ وَرَاءِ الْأَعْمَالِ،  
وَالْعَزْمِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ الَّتِي مَنَعَ مِنْ فِعْلِهَا مَانِعٌ خَارِجِيٌّ، وَالْحَسَدِ الْمُنْهِي  
عَنْهُ شَرْعًا، وَتَذْيِيرِ الْخُطْطِ لِلْإِضْرَارِ بِأَحْكَامِ الدِّينِ، أَوْ الْإِضْرَارِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ  
فِي أَنْفُسِهِمْ، أَوْ أَمْوَالِهِمْ، أَوْ أَعْرَاضِهِمْ.

وَالْإِثْمُ: هُوَ الْمُسْرِفُ الْغَالِي فِي ارْتِكَابِ الذُّنُوبِ، وَيَخْتَصُّ بِالْكَافِرِ  
الْفَاجِرِ.

وَمَا جَاءَ فِي الْأَقْوَالِ الْمَأْثُورَةِ عَنْ قُدمَاءِ الْمُفَسِّرِينَ أَقْوَالٌ قَاصِرَةٌ عَنْ  
دَلَالَةِ هَذَا الِاسْتِقْرَاءِ الْقِرَائِيِّ لِاسْتِعْمَالِ مَادَّةِ الْإِثْمِ وَمُسْتَقَاتِهَا، وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ  
هَذَا الِاسْتِقْرَاءُ هُوَ الَّذِي يَجِبُ اعْتِمَادُهُ.

**فَالْمَعْنَى:** واثركوا يا أيها المؤمنون كل ما أبنا ونبين لكم أنه إنثم، وكل ما نهيناكم عن فعله أو عن تركه نهى تحريم، ما كان منه ظاهراً معلناً، وما كان منه باطناً غير معلن، ومنه أعمال القلوب والنفوس.

إن الذين يكتسبون الإثم بفعل ما نهوا عن فعله نهى تحريم، وترك ما أمروا بفعله أمر إيجاب، سيُجزون في الدنيا أو في الآخرة بما كانوا يفترون، أي: يكتسبون من إثم عن إرادة جازمة للمعصية، وقصد غير عفوي لارتكابها، أخذاً من صيغة «يفعل» الدالة على القصد المقرون ببذل طاقة مجلوبة جلباً إرادياً.

والباء في ﴿بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ سببية، أي: بسبب ما كانوا يكتسبون.

ولما كان من ظاهر الإثم أكل الميتة التي حرم الله عز وجل الأكل منها، ولما كان من باطن الإثم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه، كالذي أهلك به لغير الله، وهو الموضوع الذي يدور حوله البيان في هذا الدرس، خاطب الله الذين آمنوا في الآية الأخيرة منه بقوله تعالى:

• ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفُسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾:

جاء في الآية (١٢٥) التي فصل الله عز وجل فيها المحرمات من المطاع من الحيوانات، قوله تعالى: ﴿أَوْ فَسَقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: أي: أعلن ذابحه أنه يذبحه قرباناً لغير الله، كوثن يعبده، أو ميت يتقرب بذبيحته إليه.

أصل معنى إهلال الذابح بذبيحته، أن يرفع صوته ذاكراً اسم من يقدم ذبيحته قرباناً له.

ومن هذا يظهر أن المراد بما لم يذكر اسم الله عليه ما أهلك به لغير الله برفع الصوت عند ذبحه، ذاكراً ذابحه اسم من يقدم ذبيحته قرباناً

لَهُ، وَهُوَ غَيْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذَا مِنْ عِبَادَاتِ الْمُشْرِكِينَ، فَهُوَ مِنَ الشُّرْكِ، وَالْأَكْلُ مِنْهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ فَسُقٌّ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مُذَكِّي ذِكَاةٍ شَرْعِيَّةٍ، فَهُوَ بِحُكْمِ الْمَيْتَةِ.

الْفِسْقُ: الْمَعْصِيَةُ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَكَاتِهَا تَسْفُلًا.

•... وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿٥٥﴾

أي: وَإِنَّ شَيَاطِينَ الْجِنِّ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، وَإِنَّ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَتَأَثَّرُونَ بِهِمْ، مُوَالِينَ لَهُمْ وَمُنَاصِرِينَ، ضَلَالَاتٍ مُغْلَفَاتٍ بِأَقْوَالٍ زُخْرَفِيَّةٍ خَادِعَةٍ بِزِينَاتِهَا، لِيُجَادِلُوكُمْ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَفِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، كَأَن يَقُولُوا لَكُمْ بِشَأْنِ الْأَكْلِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ: مَا قَتَلْتُمُوهُ أَنْتُمْ بِالذَّبْحِ أَحَلَّهُ لَكُمْ دِينُكُمْ، وَمَا قَتَلَهُ اللَّهُ فَأَمَاتَهُ حَرَّمَهُ عَلَيْكُمْ دِينُكُمْ، وَهَذَا مُخَالِفٌ لِمَنْطِقِ الْعَقْلِ، وَكَذَلِكَ يُزَخَرِفُونَ أَقْوَالًا مُشَابِهَةً فِي كَثِيرٍ مِنْ أَحْكَامِ دِينِ اللَّهِ لَكُمْ.

فَلَا تَنْقَادُوا لَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا تَتَأَثَّرُوا بِزُيُوفِ جَدَلِيَّاتِهِمْ، لِيُزَلِّقُوكُمْ فِي مَزَالِقِ كُفْرِيَّاتِهِمْ.

وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ مُنْقَادِينَ لَهُمْ، وَمُتَأَثِّرِينَ بِضَلَالَاتِهِمْ، أَخْرَجُوكُمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ رَبِّكُمْ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَفِيمَا اضْطَفَى لَكُمْ مِنَ الدِّينِ، الَّذِي جَعَلَهُ مَادَّةَ امْتِحَانِكُمْ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَيُخْرِجُوكُمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ رَبِّكُمْ، تَكُونُونَ مُطِيعِينَ فِي الْحَقِيقَةِ لِإِمَامِ الشَّيَاطِينِ إِبْلِيسَ، الَّذِي أَوْحَى إِلَى أَوْلِيَائِهِ بِهِذِهِ الضَّلَالَاتِ، وَطَاعَةَ إِبْلِيسَ الشَّيْطَانِ الْأَكْبَرِ، وَطَاعَةَ بَعْضِ جُنْدِهِ فِي أُمُورِ الدِّينِ، هِيَ مِنْ عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ.

وَعِنْدِيذٍ يَتَحَقَّقُ فِيكُمْ أَنَّكُمْ مُشْرِكُونَ اتَّخَذْتُمُ الشَّيْطَانَ مَعْبُودًا لَكُمْ، وَجَعَلْتُمُوهُ شَرِيكًا لِلَّهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ.

وَيَقُولُ اللَّهُ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ (يس/ ٤١ نزول):

﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ نَأْخُذْ بِكُمُ الْبَيْتِ بِأَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصْلَحُوا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

وبهذا تمّ تدبر الدرس الخامس والعشرين من دروس سورة (الأنعام).  
والحمد لله على معونته ومدّده وتوفيقه وفتحه.



(٣٠)

### التدبر التحليلي للدرس السادس والعشرين

من دروس سورة (الأنعام)

الآيات من (١٢٢ - ١٢٥)

قال الله عزّ وجلّ:

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشِمْهُ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.

## القراءات:

(١٢٢) • قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: [أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا] بتشديد الياء - وقرأها باقي القراء العشرة: [أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا] بإسكان الياء.  
«مَيِّت» و«مَيِّت» لُغَتَانِ بِمَعْنَى واحد.

(١٢٤) • قرأ ابن كثير، وحفص: [يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ] بالإنفراد.  
وقرأها باقي القراء العشرة بالجمع: [يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ].

والمعنى فيهما واحد، لأنَّ المفرد المضاف إلى المعرفة بحُكْم الجمع، ويُضاف إلى هذا أَنَّ بَعْضَ الرُّسُلِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الرِّسَالَةَ دُفْعَةً واحدة، وَأَنَّ آخَرِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ رِسَالَاتٍ مُتَعَدِّدَاتٍ نَجْمًا بَعْدَ نَجْمٍ، فهي باعتبار تجزئتها رسالات.

(١٢٥) • قرأ ابن كثير: [ضَيِّقًا]. وقرأها باقي القراء العشرة [ضَيِّقًا].

الضَّيِّقُ والضَّيِّقُ: مَصْدَرَانِ لِفِعْلِ «ضَاقَ، يَضِيقُ، ضَيْقًا، وَضِيقًا» أَي: لَمْ يَتَسَّعْ لِمَا حَلَّ فِيهِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْكَرْبِ، وَالْأَلَمِ فِي النَّفْسِ الضَّاعِطِ عَلَيْهَا، مِنْ حُدُوثِ مَكْرُوهٍ، أَوْ تَخَوُّفِ حُدُوثِ مَكْرُوهٍ. فَهُوَ «ضَائِقٌ، وَضَيْقٌ».

فَمَوْدَى الْقِرَاءَتَيْنِ وَاحِدٌ، وَقِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ مِنْ إِطْلَاقِ الْمَصْدَرِ وَإِرَادَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ.

(١٢٥) • قرأ نافع، وشعبة، وأبو جعفر: [حَرْجًا] بِكَسْرِ الرَّاءِ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [حَرْجًا] بفتح الرَّاءِ.

وَمَوْدَى الْقِرَاءَتَيْنِ وَاحِدٌ، «حَرْجٌ» صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ بِاسْمِ الْفَاعِلِ. وَحَرْجٌ مَصْدَرٌ وَصِفٌ بِهِ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ.

(١٢٥) • قرأ ابنُ كثير: [يَصْعَدُ]. وقرأها شُعبة. [يَصَّاعِدُ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [يَصْعَدُ] أضلها يَصْعَدُ.

في قراءتي «يَصَّاعِدُ» و«يَصْعَدُ» مَعْنَى التَّكَلُّفِ، فبينهما وَبَيَّنَ «يَصْعَدُ» تَكَامُلُ رُوعِي فِيهِ أَحْوَالُ النَّاسِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي حَالَاتِ صُعودِهِمْ، فَمَنْهُمْ مَنْ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ الشُّعُورُ بِالِاخْتِنَاقِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ.

**تمهيد:**

آيات هذا الدرس من فروع السَّاقِ الأوَّلِ من سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ. وفيها بيانٌ عن الإيمان والكُفْرَ والمقارَنةَ بَيْنَهُمَا، وَحَوْلَ الْكَافِرِينَ الْمُعَانِدِينَ الْمُصْرِينَ عَلَى عِنَادِهِمْ وَمُكْرِهِمْ وَتَعَتُّبِهِمْ، وَحَوْلَ سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي طَبِيعَةِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَسُلُوكِهَا الدَّاخِلِيَّةِ.

**التدبر التحليلي:**

■ قولُ الله تَعَالَى فِي وَصْفِ الْكَافِرِ بِالْمَيِّتِ، وَوَصْفِ الْمُؤْمِنِ بِالْحَيِّ الَّذِي أَحْيَاهُ اللَّهُ، وَجَعَلَ لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ، بِخِلَافِ الْكَافِرِ التَّائِهَةِ فِي الظُّلُمَاتِ.

• ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٥﴾﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْعَجِيبَةِ تَشْبِيهَانِ مُمْتَزَجَانِ لِلْمُؤْمِنِ، وَآخَرَانِ مُمْتَزَجَانِ لِلْكَافِرِ، تَعْقِيْبًا عَلَى مَا جَاءَ فِي سَوَابِقِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنِ الْكَافِرِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَطَالَبَتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّيَزَامِ أَحْكَامِ اللَّهِ وَالْحَذَرِ مِنْ طَاعَةِ الْكَافِرِينَ الْمُضِلِّينَ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

فَالْكَافِرُ كَالْمَيِّتِ وَكَالْأَعْمَى الْمُحَاطِ بِالظُّلُمَاتِ، وَالْمُؤْمِنُ كَالْحَيِّ

الْبَصِيرِ الَّذِي يَحْمِلُ نُورًا يُنِيرُ لَهُ طَرِيقَهُ، وَيَمْشِي بِهِ رَشِيدًا فَخُورًا بِهَدَايَتِهِ فِي النَّاسِ، لَا يَتَعَثَّرُ فِي الْوَهَادِ وَلَا الْمَهَاوِي، وَلَا يَضْطَدُّ بِالْعَقَبَاتِ.

وَجَاءَتِ الْعِبَارَةُ بِأَسْلُوبِ الاسْتِفْهَامِ عَنِ التَّسَاوِي بَيْنَ هَذَا وَهَذَا، مَوْصُوفًا كُلُّ مِنْهُمَا بِالْوَصْفِ الْمَطَابِقِ لِحَالِهِ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِعَارَةِ، لَانْتِزَاعِ الْإِجَابَةِ مِنْ كُلِّ ذِي عَقْلٍ وَرُشْدٍ، وَهِيَ عَدَمُ التَّسَاوِي بَيْنَهُمَا وَأَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا كَالْفَرْقِ بَيْنَ جَنَاتِ النَّعِيمِ وَقَاعِ الْجَحِيمِ.

• ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾.

أي: أَوْ مَنْ كَانَ كَالْمَيِّتِ قَبْلَ أَنْ يُؤْمِنَ وَيُسْلِمَ مُسْتَجِيبًا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، فَلَمَّا آمَنَ وَأُسْلِمَ أَحْيَيْنَاهُ فَجَعَلْنَاهُ كَالْحَيِّ ذَا رُوحٍ وَفَهْمٍ وَرُشْدٍ وَتَصَرُّفَاتٍ وَاعِيَاتٍ، وَجَعَلْنَا لَهُ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامَهُ كَالنُّورِ فَهُوَ يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ مَهْدِيًا رَشِيدًا سَعِيدًا فَخُورًا بِهَدَايَتِهِ.

اسْتُعِيرَ لَفْظُ «مَيِّتٍ» لِمَنْ هُوَ فِي الْجَهْلِ وَعَدَمِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ الَّتِي كَانَ مُتَّصِفًا بِهَا قَبْلَ أَنْ يُؤْمِنَ وَيُسْلِمَ.

وَاسْتُعِيرَ «الْأَحْيَاءُ» لِمَا صَارَ إِلَيْهِ حَالُهُ بَعْدَ أَنْ آمَنَ وَأُسْلِمَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِرَادَةَ مِنَ الْعَبْدِ الْمُتَمَتِّحِ الْمَخِيرِ بِقِضَاءِ اللَّهِ وَقُدْرِهِ، وَبِالْخَلْقِ مِنَ اللَّهِ.

وَاسْتُعِيرَ لِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ عِبَارَةً ﴿نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾.

أَهَذَا الْحَيُّ الرَّشِيدُ السَّعِيدُ ذُو النُّورِ الَّذِي يَهْدِيهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ، كَمَنْ وَصَفُهُ أَنَّهُ كَالْمَيِّتِ بِكُفْرِهِ، وَكَالْأَعْمَى بِجَهْلِهِ، إِذْ هُوَ غَارِقٌ فِي الظُّلُمَاتِ الْمَتْرَاكِبَاتِ الَّتِي يُحِيطُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ مِنْهَا مَا دَامَ عَلَى كُفْرِهِ، رَافِضًا الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ.

﴿مَثَلُهُ﴾: أي: وَصَفُهُ.

اسْتُعِيرَ لَفْظُ «مَيِّتٍ» الْمَطْوِي فِي النَّصِّ بِدَلَالَةِ مُقَابِلِهِ، لِمَنْ هُوَ كَافِرٌ لَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ فَلَمْ يُؤْمِنْ وَلَمْ يُسْلِمَ.

وَاسْتُعِيرَتِ الظُّلُمَاتُ لِلْجَهَالَاتِ وَالضَّلَالَاتِ وَالْعَمَايَاتِ الَّتِي يَكُونُ غَارِقاً فِيهَا مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ وَلَمْ يُسَلِّمْ، وَلَمْ يَهْتَدِ بِأَنْوَارِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَيَسْتَمِرُّ غَارِقاً فِيهَا مَا دَامَ رَافِضاً الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ.

هَلْ يَسْتَوِي الْحَيُّ وَالْمَيِّتُ، هَلْ يَسْتَوِي الْبَصِيرُ وَالْأَعْمَى، هَلْ يَسْتَوِي الْمَهْدِيُّ بِالنُّورِ، وَالْغَارِقُ التَّائِهَ الْحَيْرَانَ فِي الظُّلُمَاتِ؟؟؟.

أَجِبْ أَيُّهَا الْمَتَفَكِّرُ الْعَاقِلُ الرَّشِيدُ، ذُو الرَّأْيِ السَّلِيمِ، وَالْفَهْمِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَإِذَا سَأَلْتَ: كَيْفَ يَرْضَى إِنْسَانٌ أَنْ يَكُونَ بِمِثَابَةِ الْمَيِّتِ، وَالْأَعْمَى، وَالْغَارِقِ فِي الظُّلُمَاتِ، وَهُوَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانٍ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ؟!.

فَإِنَّا نَقُولُ لَكَ: ﴿...﴾ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾:

أي: هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ الضَّالُّونَ، وَالْمُضِلُّونَ، قَدْ زُيِّنَتْ لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ بِالْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ وَمَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْعَاجِلَاتِ، وَبِالتَّقَالِيدِ الْبَاطِلَاتِ وَالْآتِبَاعِ الْأَعْمَى، وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِسَائِرِ الْكَافِرِينَ السَّابِقِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

وَقَدْ سَبَقَ تَحْلِيلُ مَعْنَى تَزْيِينِ أَعْمَالِ كُلِّ أُمَّةٍ لَدَى تَدَبُّرِ الْآيَةِ (١٠٨) مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ، فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ، لِفَهْمِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ فَهَمًّا تَدَبُّرِيًّا تَفْصِيلِيًّا.

■ قول الله تعالى بِشَأْنِ سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِ الْمَجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ، وَهِيَ تَسَلُّطُ أَكَابِرِ مُجْرِمِي الْقُرَى عَلَى الْجَمَاهِيرِ فِيهَا، بِالْمَكْرِ الَّذِي يَمْكُرُونَهُ، بِمُنَاسَبَةِ سَوَابِقِ الْحَدِيثِ عَنِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ الْمُضِلِّينَ فِي الْآيَةِ (١١٢):

• ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾:



تَشْبِيهَا بِوَأَقْعِ حَالِ أَكْبَرِ مُجْرِمِي مَكَّةَ الَّذِينَ اشْتَمَلَتِ السُّورَةُ عَلَى  
مَقْدَارٍ كَبِيرٍ مِنْ مُعَالَجَتِهِمْ، أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سُنَّةً مِنْ سُنَنِ الْاجْتِمَاعِ  
الْبَشَرِيِّ، وَأَتْبَعَهَا بَيَانٌ يَتَعَلَّقُ بِأَكْبَرِ مُجْرِمِي مَكَّةَ وَبَعْضِ مَطَالِبِهِمُ التَّعْتِيَّةِ.  
الْقَرْيَةِ: كُلُّ أَرْضٍ فِيهَا بُيُوتٌ وَمَسَاكِينُ مُجْتَمِعَةٌ صَغِيرَةٌ أَوْ كَبِيرَةٌ وَلَوْ  
بَلَغَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً.

أكابر: جمع «أكبر» وهو الأعظم في قومه.

المُجْرِم: المتعدّي بذنب كبير، وَخُصِّرَ فِي الْقُرْآنِ بِالْكَافِرِ الْمُسْتَحِقِّ  
الْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ، لِأَنَّهُ مُرْتَكِبٌ مِنَ الذُّنُوبِ مَا هُوَ مِنْ  
مُسْتَوَى الْكُفْرِ.

المكر: تَدْبِيرٌ أَمْرٍ فِي خَفَاءٍ ضِدَّ الْمَمْكُورِ بِهِ، وَهُوَ يَكُونُ فِي الْخَيْرِ،  
وَيَكُونُ فِي الشَّرِّ.

الصَّغَارُ: الذَّلَّةُ وَالْهَوَانُ، يَقَالُ لُغَةً: «صَغُرَ، يَصْغُرُ، صَغَارًا» أَي:  
رَضِيَ بِالذُّلِّ وَالضَّعَةِ، أَوْ هُوَ الْوَاقِعُ فِي الذُّلِّ وَالضَّعَةِ.

إِنَّ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، أَنَّ الْمَجْتَمَعَ الَّذِي لَا  
تَسُودُهُ وَلَا تَحْكُمُهُ شَرِيعَةُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ بِإِرَادَةِ مُؤْمِنَةٍ مُسْلِمَةٍ، أَنْ يَعْمَلَ أَكْبَرُ  
الْمُجْرِمِينَ فِيهَا حَتَّى يَحْتَلُوا مَرَكَزَ الْقِيَادَةِ وَالتَّسْلُطِ عَلَى الْجَمَاهِيرِ، وَهَذَا  
يُمْكِنُهُمْ مِنْ تَحْقِيقِ مَنَافِعَ دُنْيَوِيَّةٍ كَثِيرَةٍ لَهُمْ، بِأَنْوَاعٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْمَكْرِ، فَإِذَا  
ظَهَرَتْ دَعْوَةُ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةُ فِي مُجْتَمَعِهِمْ، خَافُوا عَلَى مَكَانَاتِهِمْ فِي  
مُجْتَمَعِهِمْ، وَعَلَى مَصَالِحِهِمُ الْكَثِيرَةِ أَنْ تَتَفَلَّتَ مِنْ أَيْدِيهِمْ، فَيَمْكُرُونَ بِكُلِّ  
مَا يَسْتَطِيعُونَ مِنْ مَكْرٍ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ دَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، وَمِنْ دُعَاتِهَا،  
وَلِلْعَمَلِ عَلَى إِظْفَاءِ نُورِ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، أَي: بِزُخْرَفِ أَقْوَالِهِمُ الزُّيُوفِ، وَهُمْ  
غَافِلُونَ عَنْ عَدْلِ اللَّهِ الَّذِي يُعَاقِبُهُمْ عِقَابًا شَدِيدًا عَلَى مَكْرِهِمْ، وَيُحْبِطُ  
مَكْرَهُمْ، فَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا يَمْكُرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، فِي حِينٍ أَنَّهُمْ يَتَصَوَّرُونَ  
أَنَّهُمْ يَمْكُرُونَ بِدَعْوَةِ الْحَقِّ وَبِالرَّسُولِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ.

• ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا...﴾:

أي: وَكَذَلِكَ الَّذِي حَصَلَ فِي مَكَّةَ مِنْ قَبْلِ أَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ فِيهَا، مِنْ مَكْرٍ ضِدَّ الرُّسُولِ، وَضِدَّ دَعْوَةَ الْحَقِّ الَّتِي جَاءَ بِهَا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَضِدَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ، جَعَلْنَا فِي النِّظَامِ الْعَامِّ لِرَحْلَةِ الْاِمْتِحَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مِنْ خِلَالِ تَفَاضُلِ النَّاسِ فِي صِفَاتِهِمُ الْجَسَدِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ، وَضَمَّنَ الْإِرَادَةَ الْحُرَّةَ الْمَمْنُوحَةَ لِكُلِّ مُتَحَنٍّ، أَنْ يَظْهَرَ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ مُجْرِمُونَ أَذْكِيَاءُ، يَسْتَخْدِمُونَ ذَكَاءَهُمْ لِلْوُصُولِ فِي مُجْتَمَعِهِمْ إِلَى مَرَائِزِ الْقِيَادَةِ وَالتَّسَلُّطِ، بَغْيَةَ الْاِسْتِكْبَارِ إِرْضَاءً لِأَهْوَائِهِمْ، وَبُغْيَةَ تَحْقِيقِ مَنَافِعِ دُنْيَوِيَّةٍ كَثِيرَةٍ لَأَنْفُسِهِمْ عَنْ طَرِيقِ مَرَائِزِهِمُ السُّلْطَوِيَّةِ، وَهَؤُلَاءِ يَكُونُونَ - إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ - أَعْدَاءَ لِرُسُلِ اللَّهِ، وَلِدِينِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ لِدَعَوَاتِ الرُّسُلِ، وَيَتَّبِعُونَهُمْ جُنُودًا لَهُمْ.

فَالْجَعْلُ هُنَا جَعْلٌ لِلنِّظَامِ الْعَامِّ الَّذِي يَلْزِمُ عَنْهُ وُجُودُ مُجْرِمِينَ، يَعْمَلُونَ بِمَا يَسْتَطِيعُونَ مِنْ حِيلَةٍ وَذَكَاءٍ وَتَخْطِيطٍ لِيَمْكُرُوا فِي قَرْيَتِهِمْ، لِاِحْتِلَالِ مَرَائِزِ الْقِيَادَةِ فِيهَا، وَلِتَحْقِيقِ مَنَافِعِهِمْ وَمَصَالِحِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَلِيَمْكُرُوا ضِدَّ رُسُلِ اللَّهِ، وَبِمَا جَاؤُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَبِالْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ، خَوْفًا عَلَى مَرَائِزِهِمُ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَمَنَافِعِهِمْ، وَمَصَالِحِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ.

• ﴿... وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾:

أي: وَبِمَا أَنَّ مَكْرَهُمْ بِالرُّسُلِ وَبِاتِّبَاعِهِمْ، وَبِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ يُحْبِطُهُ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - ثُمَّ يَرُدُّهُ عَلَيْهِمْ وَيُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهِ عِقَابًا شَدِيدًا، فَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ لَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ، إِنَّهُمْ فِي أَحْوَالِ كَدِّهِمْ تَذْبِيرًا وَمَكْرًا كَبَارًا مُدْفُوعُونَ بِطَمَعِ شَدِيدٍ أَنَّهُمْ غَالِبُونَ، وَلَا يَشْعُرُونَ أَدْنَى شُعُورٍ بِأَنَّ مَكْرَهُمْ مَرْدُودٌ عَلَيْهِمْ.

وَمِنْ مَّظَاهِرٍ كَبَرِهِمُ الطَّبَقِيُّ، وَانْتِفَاحُ صُدُورِهِمْ بِمُنْتِنَاتٍ إِعْجَابِهِمْ  
بِأَنْفُسِهِمْ، وَعِنَادِهِمْ وَتَعَنُّتِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ، أَنْ يُطَالِبُوا بِأَنْ يُوحَى إِلَيْهِمْ، وَأَنْ  
يُؤْتُوا مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ تَعَالَى بِشَأْنِهِمْ:

• ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ...﴾ (١٢٤):

الظَّاهِرُ أَنَّهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قُرْآنِيَّةٌ مُنَزَّلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ،  
وَتَلَاهَا الرَّسُولُ عَلَيْهِمُ، وَدَعُوا إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ، قَالُوا: لَنْ  
نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ، أَيْ: أَنْ نَكُونَ  
نَحْنُ رُسُلًا، أَوْ أَنْ نَبْلُغَ مَبَاشَرَةً مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُلُ وَبَلَّغُوهُ لِأَقْوَامِهِمْ.

فَأَبَانَ هَذَا النَّصُّ أَنَّ كُلَّ أَكَابِرِ مُجْرِمِي الْقُرَى جَعَلَهُمْ دَاءَ الْكِبَرِ فِي  
نُفُوسِهِمْ يَقُولُونَ مِثْلَ مَقَالَةٍ كِبَرَاءٍ مُجْرِمِي مَكَّةَ.

وَمِنْ أُمُثِلَةٍ مَا رُوِيَ مِنْ أَقْوَالِ مُجْرِمِي مَكَّةَ مَا يَلِي:

(١) رُوِيَ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالُوا لِمُحَمَّدٍ حِينَ دَعَاهُمْ إِلَى مَا  
دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ: لَوْ كَانَ هَذَا حَقًّا لَكَانَ فِينَا مَنْ هُوَ أَحَقُّ أَنْ يُؤْتَى بِهِ  
مِنْ مُحَمَّدٍ.

(٢) وَرُوِيَ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَنَا أَوْلَى مِنْكَ  
بِالْتَّبُوءِ، لِأَنِّي أَكْبَرُ مِنْكَ سِنًا، وَأَكْثَرُ مَالًا وَوَلَدًا.

(٣) وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ (وهو مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ) قَالَ: زَاخَمَنَا بَنُو عَبْدِ  
مَنَافٍ فِي الشَّرَفِ، حَتَّى إِذَا صَرْنَا كَفَرَسِي رِهَانٍ، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ يُوحَى  
إِلَيْهِ، وَاللَّهُ لَا نَرْضَى بِهِ، وَلَا نَتَّبِعُهُ أَبَدًا، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَا وَحْيٌ كَمَا يَأْتِيهِ.

(٤) وَسَبَقَ أَنْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِهِمْ فِي سُورَةِ (الْمَدَّثَر/ ٤ نزول):

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّثَشَّرَةً﴾ (٥٦):

وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مُبَيَّنًا حِكْمَتَهُ فِي اخْتِيَارَاتِهِ لِرَسُولِهِ، فَقَالَ تَعَالَى:

• ﴿... اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...﴾ (١٢٤):

أي: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِالْبُلْغِ الْحِكْمَةِ فِي اخْتِيَارَاتِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ بِعِبَادِهِ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمَكَانِ الَّذِي يَجْعَلُ فِيهِ رِسَالَتَهُ، وَهُوَ فُؤَادُ الرَّسُولِ الْمُجْتَبَى الصَّالِحِ لِتَلْقَى رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَلِتَأْدِيتِهَا كَمَا كَلَّفَهُ رَبُّهُ، وَلِلْعَمَلِ بِهَا، وَلَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ صَالِحًا لِتَلْقَى رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَحَمْلَهَا، وَتَأْدِيتَهَا بِلَاغًا صَادِقًا، وَالْعَمَلِ بِهَا كَمَا أَمَرَ اللَّهُ. فَالنُّبُوَّةُ اضْطِفَاءً رَبَّانِيًّا، وَالرَّسَالَةُ اضْطِفَاءً رَبَّانِيًّا، وَلَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ صَالِحًا لِهَذَا الاضْطِفَاءِ، أَمَّا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُوْحَى إِلَيْهِمْ فَهُمْ مِنْ أَبَعَدِ خَلْقٍ عَنِ الْاضْطِفَاءِ بِالنُّبُوَّةِ، إِذْ هُمْ كَفَرَةٌ مُجْرِمُونَ شَاطِطِينَ، مِنْ أَهْلِ الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ.

وَتَوَعَّدَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالصَّغَارِ وَالْعَذَابِ الشَّدِيدِ يَوْمَ الدِّينِ فَقَالَ تَعَالَى:

• ﴿... سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٤):

الإِصَابَةُ: الضَّرْبَةُ الدَّاخِلَةُ أَثَارُهَا إِلَى الْعُمُقِ لِتَكُونَ أَبْلَغُ فِي الْإِيلَامِ وَالتَّعْذِيبِ، كَالسَّهْمِ الْوَاصِلِ إِلَى الْأَحْشَاءِ وَمَوَاطِنِ الْأَلَمِ فِي الْعُمُقِ.  
وَالْمَعْنَى: سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا مِنْ كُفَّارٍ مَكَّةَ وَكُفَّارٍ سَائِرِ الْقُرَى مِنْ قَبْلِهِمْ وَمِنْ بَعْدِهِمْ، الْمُعَانِدِينَ مِثْلَ عِنَادِهِمْ، وَالْمَتَعَنِّتِينَ مِثْلَ تَعَنُّتِهِمْ صَغَارٌ وَاصِلٌ إِلَى أَعْمَاقِ أَفْئِدَتِهِمْ، وَعَذَابٌ شَدِيدٌ وَاصِلٌ إِلَى أَكْثَرِ مَوَاقِعِ الْإِحْسَاسِ بِالْأَلَمِ فِيهِمْ، بِسَبَبِ مَا كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَمْكُرُونَ بِدِينِ اللَّهِ، وَبِرُسُلِهِ، وَبِالْمُؤْمِنِينَ.

■ قول الله تعالى يُبَيِّنُ سُنَّتَهُ فِي مَعُونَتِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِشَرْحِ صُدُورِهِمْ لِتَطْبِيقَاتِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ فِي السُّلُوكِ، بِحَسَبِ قُوَّةِ إِيْمَانِهِمْ، أَمَّا الْكَافِرُونَ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَيَجْعَلُ صُدُورَهُمْ ضَيْقَةً حَرِجَةً كَارِهَةً تَطْبِيقَاتِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ فِي السُّلُوكِ.

• ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾:

﴿حَرَجًا﴾ الْحَرَجُ: أَضْيَقُ الضِّيقِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْحَرَجُ: الْمَوْضِعُ الْكَثِيرُ الشَّجَرِ الَّذِي لَا يَصِلُ إِلَيْهِ الرَّاعِيَةُ، قَالَ: وَكَذَلِكَ صَدْرُ الْكَافِرِ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْحُكْمَةُ. الْحَرَجُ: مَصْدَرُ «حَرَجَ الصَّدْرُ، يَحْرَجُ، حَرَجًا» أَيُّ: ضَاقَ، وَوُصِفَ بِهِ وَهُوَ مَصْدَرٌ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ.

وفي القراءة الأخرى: [حَرَجًا] صِفَةٌ مَشَبَّهَةٌ بِاسْمِ الْفَاعِلِ.

﴿الرِّجْسَ﴾: الْأَصْلُ فِي «الرِّجْسِ» الْقَذَرُ وَالنَّجَسُ، ثُمَّ حَصَلَ تَوْسُّعٌ فِي إِطْلَاقِ اللَّفْظِ، فَصَارَ يُطْلَقُ عَلَى جَمِيعِ الرَّذَائِلِ وَالْقَبَائِحِ الْمَعْنَوِيَّةِ، مِنْ الْأَفْكَارِ، وَالْعَقَائِدِ، وَالنِّيَّاتِ، وَالْأَعْمَالِ، ثُمَّ عَلَى مَا فِيهِ، أَوْ تَجْتَمِعُ لَدَيْهِ هَذِهِ الرَّذَائِلُ وَالْقَبَائِحُ، مِنْ أَشْيَاءَ وَأَحْيَاءَ، وَصَارَ يُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْعِقَابِ وَالْعَذَابِ.

بِمَا أَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ الَّتِي يَخْتَارُونَهَا بِإِرَادَتِهِمُ الْحُرَّةِ الْمُخْتَارَةِ، إِنَّمَا تُوجَدُ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، كَانَ مِنْ مُقْتَضَى التَّخْيِيرِ، أَنَّ مَنْ آمَنَ بِإِرَادَتِهِ الْحُرَّةِ بِمَا يَجِبُ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ، أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَهْدِيَهُ فِي مَسِيرَتِهِ الْعَمَلِيَّةِ فِي حَيَاتِهِ، هِدَايَةً مُعَوْنَةً وَتَوْفِيقًا، لِيَحْكُمَ لَهُ بِالْهِدَايَةِ وَلِيُثَبِّتَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ الْاخْتِيَارِيَّةِ بِفَضْلِهِ ثَوَابًا عَظِيمًا وَجَزِيلًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَكَانَ مِنْ مُقْتَضَى التَّخْيِيرِ، أَنَّ مَنْ كَفَرَ بِإِرَادَتِهِ الْحُرَّةِ بِمَا يَجِبُ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُيَسِّرَهُ فِي مَسِيرَتِهِ الْعَمَلِيَّةِ فِي حَيَاتِهِ ضَالًّا كَمَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ، لِيَحْكُمَ عَلَيْهِ بِالضَّلَالَةِ، وَلِيُعَاقِبَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ الْاخْتِيَارِيَّةِ بِعَذْلِهِ دُونَ أَنْ يُظْلِمَهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

هَذَا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ بِإِيجَازِهَا، وَطَرِيقِ تَعْبِيرِهَا الرَّائِعِ، الَّذِي فِيهِ الدَّلَالَةُ عَلَى حُرِّيَّةِ إِرَادَاتِ الْعِبَادِ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، وَفِيهِ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُ لَا يُوجَدُ شَيْءٌ فِي كَوْنِ اللَّهِ إِلَّا بِخَلْقِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ مِنَ الْعِبَادِ طَرِيقَ الْهُدَى بِاخْتِيَارِهِ الْحُرِّ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقَ الْهُدَى، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ، وَيَسَّرَهُ لَهُ، وَخَلَقَ لَهُ مَا أَرَادَ، وَمَنْ شَاءَ مِنَ الْعِبَادِ طَرِيقَ الضَّلَالَةِ بِاخْتِيَارِهِ الْحُرِّ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقَ الضَّلَالَةِ، وَيَسَّرَهُ لَهُ، وَخَلَقَ لَهُ مَا أَرَادَ.

وَيَتِمُّ بِذَلِكَ امْتِحَانُ إِرَادَاتِ الْعِبَادِ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ وَأَتَمِّهِ، وَهِيَ إِرَادَاتُ ذَوَاتِ حُرِّيَّةٍ تَامَّةٍ فِي اخْتِيَارَاتِهَا، وَلَا يَتَحَقَّقُ فِي كَوْنِ اللَّهِ إِلَّا مَا يَخْلُقُ اللَّهُ بِمَشِئَتِهِ، لِأَنَّ لَهُ الرُّبُوبِيَّةَ الْكَامِلَةَ التَّامَّةَ فِي كَوْنِهِ الَّتِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ، فَكُلُّ مَا فِيهِ خَلْقُهُ.

• ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾: أَي: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ هِدَايَةً مَعُونَةً وَتَوْفِيقًا، فِي مَسِيرَتِهِ الْعَمَلِيَّةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْعَمَلِيِّ الَّذِي اضْطَفَاهُ لِعِبَادِهِ، لِأَنَّهُ آمَنَ إِيْمَانًا صَحِيحًا صَادِقًا، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِتَطْيِيقَاتِ الْإِسْلَامِ فِي سُلُوكِهِ، عَلَى مِقْدَارِ قُوَّةِ إِيْمَانِهِ.

**شَرْحُ الصَّدْرِ:** هُوَ بَسْطُهُ وَتَوْسِيعَتُهُ. وَشَرْحُ الصَّدْرِ لِلْإِسْلَامِ يَكُونُ بَانْفِرَاجِهِ وَسُرُورِهِ، وَذَهَابِ ضِيقِ الْغَمِّ وَالْهَمِّ وَالْحَزَنِ عَنْهُ، وَيَكُونُ بِجَعْلِهِ قَادِرًا عَلَى تَحْمُلِ الْمُرْعَبَاتِ وَالْمَكَارِهِ بِصَبْرٍ وَحِلْمٍ، وَالْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِرَغْبَةٍ وَهَمَّةٍ وَفَرَحٍ وَمَسْرَةٍ، طَمَعًا بِمَرْضَاةِ اللَّهِ وَاعْتِنَامِ ثَوَابِهِ الْعَظِيمِ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ ثَمَرَاتِ صِحَّةِ الْإِيْمَانِ فِي السُّلُوكِ.

• ﴿... وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ

فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾:

أَي: وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُيَسِّرَ لَهُ سُبُلَ الضَّلَالِ، لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَلَمْ

يُؤْمِنُ بِجَدْوَى الْأَعْمَالِ الْإِسْلَامِيَّةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، الَّتِي هِيَ صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا شَدِيدَ الضِّيقِ إِذَا دُعِيَ إِلَى تَطْبِيقِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، أَوْ أُمِرَ بِهَا، وَإِذَا وَجَدَ نَفْسَهُ مُلْزَمًا بِتَطْبِيقِهَا لِسِتْرِ نِفَاقِهِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ، أَصَابَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِهَا مَا يُشْبِهُ الْاِخْتِنَاقَ التَّدْرِيجِيَّ الَّذِي يَحْصُلُ لِلَّذِي يَصْعَدُ، أَوْ يَتَصَعَّدُ، أَوْ يَتَصَاعَدُ، فِي السَّمَاءِ، وَيَتَنَاقِصُ عَلَيْهِ أَكْسَجِينُ الْهَوَاءِ. وَهَذَا تَشْبِيهٌ رَائِعٌ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا لِلنَّاسِ فِي عَصْرِ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ.

هَذَا رَجْسٌ يُصَابُونَ بِهِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَعَدَمِ إِيْمَانِهِمْ بِالْحَقِّ الَّذِي أَمَرَهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ، وَكَذَلِكَ الرَّجْسِ الَّذِي يَجْعَلُهُ اللَّهُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْكُفْرَةِ، يَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى كُلِّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ.

دَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ عَلَى أَنَّ الْكُفْرَ هُوَ السَّبَبُ فِي إِرَادَةِ اللَّهِ تَيْسِيرِ سُبُلِ الضَّلَالِ لِبَعْضِ عِبَادِهِ، وَأَنَّ الْإِيْمَانَ هُوَ السَّبَبُ فِي إِرَادَةِ هِدَايَةِ اللَّهِ لِبَعْضِ عِبَادِهِ، إِلَى التَّطْبِيقَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ، بِشَرْحِ صَدْرِهِمْ لِلْإِسْلَامِ.

وبهذا تَمَّ تدبر الدرس السادس والعشرين من دروس سورة (الأنعام).  
والحمد لله على معونته ومَدَدِهِ وتوفيقه وفتحته المبين.



(٣١)

التدبر التحليلي للدرس السابع والعشرين من دروس سورة (الأنعام)  
الآيات من (١٢٦ - ١٣٤)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ ❀ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا

يَمَعَشَرَ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوٍ لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَظْمٍ الْفَالِغِينَ بَعْضًا يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمَعَشَرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ لِحَيَاةِ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾

### القراءات:

(١٢٦) • قرأ قبل، ورؤيس: [سِرَاطٌ] بالسّين، وقرأها خلف عن حمزة بالإشمام.

وقرأها باقي القراء العشرة بالصّادِ الخالصة: [صِرَاطٌ].

(١٢٨) • قرأ حفص، وروح: [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ] بياء المضارعة، أي: يَحْشُرُهُمُ اللهُ عزَّ وجلَّ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ] بضمير المتكلم العظيم، ومؤدّى القراءتين واحد، وفي قراءة الجمهور إضافة تربية المهابة.

(١٣٢) • قرأ ابن عامر: [عَمَّا تَعْمَلُونَ] بتاء المخاطبين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [عَمَّا يَعْمَلُونَ] بضمير الغائبين.

وبين القراءتين تكامل في الأداء البياني.

(١٣٣) • قرأ أبو جعفر: [إِنْ يَشَأْ] بإبدال الهمزة ألفاً في «يَشَأْ».

وقرأها باقي القراء العشرة: [إِنْ يَشَأْ] بالهمزة.



تمهيد:

آيَاتُ هَذَا الدَّرْسِ مِنْ فُرُوعِ السَّاقِ الْأَوَّلِ مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ. وَفِيهَا بَيَانٌ عَامٌّ عَنْ ثَوَابِ مُتَّبِعِي صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ يَوْمَ الدِّينِ. وَفِيهَا عَرْضٌ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ مُحَاسَبَةِ الْكَافِرِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبَيَانٌ عَدَلِ اللَّهِ فِي إِهْلَاكِ أَهْلِ الْقُرَى إِهْلَاكًا جَمَاعِيًّا شَامِلًا، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمُ الشَّدِيدِ الَّذِي اقْتَضَى إِهْلَاكَهُمْ. وَفِيهَا بَيَانٌ عَنْ جَزَاءِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ الْقَائِمِ عَلَى التَّفَاضُلِ فِي الدَّرَجَاتِ صُعُودًا، وَالتَّنَازُلِ فِي الدَّرَكَاتِ هُبُوطًا، بِحَسَبِ الْأَعْمَالِ الَّتِي قَدَّمَهَا النَّاسُ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَأَخِيرًا فِيهَا بَيَانٌ عَنْ صِفَتَيْنِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُمَا صِفَتَا الْغِنَى وَالرَّحْمَةِ، مَعَ إِذْكَارِ الْكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ بِأَنَّ رَبَّهُمْ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْهُمْ مِنَ الْحَيَاةِ إِذْهَابًا جَمَاعِيًّا شَامِلًا، وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِهِمْ مَا يَشَاءُ مِنْ أَحْيَاءٍ بَشَرِيَّةٍ وَغَيْرِ بَشَرِيَّةٍ كَمَا أَنْشَأَهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمَ آخَرِينَ، وَمَعَ تَوْكِيدِ أَنَّ مَا يُوعَدُونَهُ مِنْ جَزَاءِ يَوْمِ الدِّينِ لَا تَحْتَمَاءُ، وَأَنَّهُمْ غَيْرُ مُفْلِتِينَ مِنْ تَنْفِيزِ عَدَلِ اللَّهِ فِيهِمْ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ يُرِيدُهُ.

التدبر التحليلي:

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾  
لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾:

يُخَاطَبُ اللَّهُ كُلَّ مَوْضُوعٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ بِأَسْلُوبِ الْخِطَابِ الْإِفْرَادِيِّ، لِأَنَّهُ هُوَ رَبُّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - فَيَقُولُ لَهُ:

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾:

الْمُشَارُ إِلَيْهِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ «هَذَا» مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ وَمَا سَيَنْزِلُ، مَعَ بَيِّنَاتِ الرُّسُولِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ، مِنَ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَالشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَشِيرَ إِلَى مَا لَمْ يَنْزِلْ مَعَ مَا نَزَلَ مِنْ ذَلِكَ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ الْمَوْضُوعِ لِلْمُشَارِ إِلَيْهِ الْقَرِيبِ، عَلَى سَبِيلِ التَّبَعِ، وَلِأَنَّهُ مُقَدَّرٌ وَمَقْضِيٌّ تَنْزِيلُهُ حَتْمًا نَجْمًا فَنَجْمًا، وَنَظِيرُهُ قَوْلُ الْمُعَلِّمِ فِي أَوَّلِ الْعَامِ الدَّرَاسِيِّ لِطُلَابِهِ:

هَذَا عِلْمٌ سَأُشْرَحُ عَلَيْكُمْ مَسَائِلَهُ طَوَالَ الْعَامِ، وَأَخْتَبِرُ فِي النِّهَايَةِ مَدَى اسْتِيعَابِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لِمَسَائِلِهِ وَقَضَايَاهُ، فَاَلْمُشَارُ إِلَيْهِ مَا هُوَ حَاضِرٌ قَرِيبٌ فِي ذَهْنِهِ مِنْ مَسَائِلٍ وَقَضَايَا الْعِلْمِ الَّذِي ذَكَرَ لَهُمْ عُنْوَانُهُ.

﴿صِرَاطُ رَبِّكَ﴾: أَصْلُ مَعْنَى الصِّرَاطِ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الْجَلِيلِيُّ الْمُمَهَّدُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ تَعَرُّجَاتٌ وَلَا مُعْثِرَاتٍ. وَأُطْلِقَ فِي الْإِصْطِلَاحِ الدِّينِي عَلَى دِينِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الشَّامِلِ لِلْعَقَائِدِ وَالشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ وَالْوَصَايَا الرَّبَّانِيَّةِ وَالتَّعْلِيمَاتِ وَالسُّنَنِ النَّبَوِيَّةِ.

وَأُضِيفَ «صِرَاطُ» إِلَى «رَبِّكَ» لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِعِبَادِهِ، كَيْ يَكُونَ مَادَّةَ امْتِحَانِهِمْ فِي رِحْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَقَدْ اصْطَفَاهُ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَخَاطَبَ اللَّهُ كُلَّ مُمْتَحَنٍ مُكَلَّفٍ، بِأَسْلُوبِ الْخِطَابِ الْإِفْرَادِيِّ، لِيشْعِرَهُ بِمَسْئُولِيَّتِهِ الْفَرْدِيَّةِ تُجَاهَ رَبِّهِ الْمُهِيمِ عَلَيْهِ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَالْمُحِدُّ لَهُ دَوَامًا بِعَطَايَاهُ.

﴿مُسْقِيًّا﴾: حَالٌ هُوَ فِي الْمَعْنَى وَصِفٌ لِصِرَاطِ اللَّهِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ مَا فِي اسْمِ الْإِشَارَةِ مِنْ مَعْنَى «أَشِيرَ». وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْحَالَ وَصِفٌ لِصَاحِبِهَا قَيْدٌ لِعَامِلِهَا.

وَفِي هَذَا الْمُشَارِ إِلَيْهِ الَّذِي سَبَقَ بَيَانُهُ: ﴿... قَدْ فَضَّلْنَا آلَآئِكَ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٣٦﴾﴾:

• ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ : ء: قَدْ بَيَّنَّا وَأَوْضَحْنَا الْآيَاتِ الْمُشْتَمَلَاتِ عَلَى الْإِعْلَامِ بِعَنَاصِرِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

تَفْصِيلُ الْأَشْيَاءِ: تَمْيِيزُ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ، لِإِبْرَازِ حُدُودِ كُلِّ مِنْهَا، وَإِظْهَارِ مَا بَيْنَهَا مِنْ انْفِصَالٍ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَرْتَبًا، وَبِهَذَا يَتَمَيَّزُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ فِي الْإِدْرَاكِ الْفِكْرِيِّ.

• ﴿لِقَوْمٍ يَذَكِّرُونَ﴾ : أَي: لِقَوْمٍ يَضَعُونَ حَقَائِقَ صِرَاطِ اللَّهِ فِي ذَاكِرَاتِهِمْ، وَيَسْتَدْعُونَ مِنْهَا عِنْدَ كُلِّ مُنَاسَبَةٍ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا.

وَالْمَرَادُ بِالتَّذَكُّرِ الْأَثَرُ النَّفْسِيُّ وَالْقَلْبِيُّ لِحُضُورِ الْمَعْلُومَةِ فِي الذَّاكِرَةِ، اسْتِدْعَاءٌ لَهَا مِنْ خَزَائِنِ الْمَعْرِفَةِ، أَوْ وُرُودًا حَدِيثًا لَهَا مِنَ الْخَارِجِ، عَنْ طَرِيقِ بَيَانٍ وَارِدٍ، أَوْ تَأَمُّلٍ فِكْرِيٍّ ذَاتِيٍّ، أَوْ بِتَأْثِيرِ حَدَثٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ كَوْنِيَّةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، لِلْعَمَلِ بِالْمَطْلُوبِ الدِّينِيِّ فِيمَا جَاءَ بِهِ التَّذَكُّرُ.

فَالْأَثَرُ النَّفْسِيُّ وَالْقَلْبِيُّ وَالسُّلُوكِيُّ هُوَ الْمَطْلُوبُ الدِّينِيُّ مِنَ التَّذَكُّرِ.

وَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِإِجْمَالٍ ثَوَابَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ فَقَالَ تَعَالَى:

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٧):

أَجْمَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ بَيَانَ قَضِيَّتَيْنِ كُلِّتَيْنِ مِنْ ثَوَابِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ، وَفَقَّ الْمِصْطَلَحَ الْقُرْآنِيَّ لِلتَّذَكُّرِ الَّذِي سَبَقَ بَيَانُهُ آنِفًا.

الْقَضِيَّةُ الْأُولَى: أَنَّ ثَوَابَهُمُ الْخُلُودُ فِي دَارِ السَّلَامِ يَوْمَ الدِّينِ، وَهِيَ الْجَنَّةُ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ مِنْ أَسْمَائِهَا أَنَّهَا دَارُ السَّلَامِ.

السَّلَامُ: الْبَرَاءَةُ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَمِنْ كُلِّ نَقْصٍ، وَالْعَافِيَةُ، وَالْأَمْنُ. فَفِي الْجَنَّةِ الْأَمْنُ الدَّائِمُ، وَالْعَافِيَةُ الدَّائِمَةُ، وَالْخُلُودُ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَمِنْ كُلِّ أذى، فَلَا نَصَبَ فِي الْجَنَّةِ وَلَا وَصَبَ، وَلَا كَدَحَ وَلَا تَعَبَ، وَأَهْلُ

الْجَنَّةِ لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَعَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَتَعَرَّضُونَ لِقَذَى، وَقَذَارَاتٍ، وَمُكَدَّرَاتٍ.

ومن الأَمْنِ الأَمْنُ الغِذَائِي، والأَمْنُ النَّفْسِي بِتَحْقِيقِ مَطَالِبِ النَّفْسِ وَحَاجَاتِهَا المَادِّيَّةِ والمَعْنَوِيَّةِ كُلِّهَا.

**القضية الثانية:** وَلَايَةُ اللَّهِ الدَّائِمَةُ لَهُمْ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلِيَّهُ، كَانَ لَهُ حَامِيًا وَمُعِينًا وَمُسْعِدًا، وَمُلَبِّيًا كُلَّ رَغْبَاتِهِ وَلَوْ كَانَتْ خَاطِرَاتٍ لَمْ تَصِلْ إِلَى مُسْتَوَى الطَّلَبِ.

هَاتَانِ الْقَضِيَّتَانِ اللَّتَانِ جَعَلَهُمَا اللَّهُ ثَوَابَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ، أَبَانَ اللَّهُ أَنَّهُ يُثَبِّهُمُ بِهِمَا بِسَبَبِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي رَحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ صَالِحَاتٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿... بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١١٢):

■ قول الله تَعَالَى يَعْرِضُ مَشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ حِسَابِ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَأَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ، رَبُّطًا بِمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ (١١٢) مِنْ آيَاتِ الدَّرْسِ (٢٤):

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَلْجَانَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَانُكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (١٢٨):  
الْحَشَرُ: الْجَمْعُ وَالسَّوْقُ. المعشر: كُلُّ جَمَاعَةٍ أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ.

أي: وَيَوْمَ يَحْشُرُ رَبُّكَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ جَمِيعًا فِي الْمَحْشَرِ بَعْدَ الْبَعْثِ، وَيُوقِفُهُمْ مَوْقِفَ الْمُحَاسَبَةِ عَلَى مَا قَدَّمُوا فِي رَحْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، يَقُولُ لِلشَّيَاطِينِ مِنَ الْجِنِّ بِشَأْنِ أَوْلِيَائِهِمُ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْإِنْسِ: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ الَّذِينَ كَفَرْتُمْ وَجَنَّدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ لِلْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ عَنْ دِينِ رَبِّكُمْ وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ أَوْلِيََاءَ لَكُمْ، تُوَحُّونَ إِلَيْهِمْ زُخْرَفِ الْقَوْلِ التَّفْصِيلِي، لِيَقُومُوا هُمْ بِتَضْلِيلِ مَنْ يَسْتَطِيعُونَ تَضْلِيلَهُمْ مِنْ

الْإِنْسِ، فَيَعْتَرِفُ شَيَاطِينُ الْجِنِّ بِجَرَائِمِهِمْ، وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ: رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، فَكَانَ شَيَاطِينُ الْجِنِّ يَأْتُونَنَا بِمَعْلُومَاتٍ تَنْفَعُنَا وَنَأْخُذُ أَثْمَانَهَا مِنَ الْإِنْسِ، وَكُنَّا نُطِيعُهُمْ بِأَعْمَالٍ كُفْرِيَّةٍ شُرَكِيَّةٍ، فَيَرْضَى بِهَا عَنْهُمْ إِبْلِيسُ وَيَمْنَحُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يَسْتَحِقُّ مِنْ إِنْعَامَاتِهِ الَّتِي يَسْتَمْتَعُونَ بِهَا بِحَسَبِ طَبَائِعِهِمُ الْجَنَّةِ.

جاء التعبير بالفعل الماضي ﴿وَقَالَ﴾ استِقْطاعاً مِنَ الْحَدَثِ الْمُسْتَقْبَلِيِّ، وللإشعارِ بَأَنَّهُ سَيَتَحَقَّقُ حَتْمًا، فكَأَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِعْلًا.

وتابع أَوْلِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ قَائِلِينَ: ﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا﴾ أي: وانْتَهَتْ رَحْلَةُ امْتِحَانِنَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْمَوْتِ، الَّذِي انْتَهَتْ بِهِ كُلُّ حَرَكَاتِنَا وَتَصَرُّفَاتِنَا الْإِرَادِيَّةِ، وَصَرْنَا خَاضِعِينَ بِالْجَبْرِ لِلْجَزَاءِ، وَنَحْنُ الْآنَ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، لَا نَمْلِكُ لِأَنْفُسِنَا شَيْئًا، وَلَا حُجَّةَ لَنَا فِيمَا أَجْرَمْنَا، وَلَا عُذْرَ لَنَا، إِذْ كُنَّا نَتَّبِعُ أَهْوَاءَنَا وَشَهَوَاتِنَا، لِنَحْصَلَ عَلَى مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الضَّئِيلَةِ الْقَلِيلَةِ الْفَانِيَةِ، شَاكِينَ بِوَعِيدِكَ الَّذِي قَدَّرْتَ وَقَضَيْتَ وَأَخْبَرْتَ أَنَّهُ سَوْفَ يَكُونُ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

وبَعْدَ أَنْ انْقَطَعُوا وَلَمْ يَجِدُوا مَا يَعْتَذِرُونَ بِهِ ﴿قَالَ﴾ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُبَيِّنًا حُكْمَهُ عَلَيْهِمْ: ﴿النَّارُ مَوْكُكُمْ﴾: أي: دَارُ الْعَذَابِ النَّارُ هِيَ مَكَانُ إِقَامَتِكُمْ وَاسْتِفْرَاقِكُمْ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٢٨﴾:

يُقَالُ لُغَةً: «ثَوَى بِالْمَكَانِ يَثْوِي، ثَوَاءً، وَثَوِيًّا» أي: أَقَامَ بِهِ وَاسْتَقَرَّ.

الْخُلُودُ: البقاء الدائم الذي لا نِهَايَةَ لَهُ فِي دَلَالَاتِ النصوص القرآنية.

عبارة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: بيانٌ اغْتِرَاضِي هو والآية (١٢٩) الَّتِي تَدْبُرُهَا.

والاستثناء فِي ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ سَبَقَ نَظِيرُهُ فِي الْآيَةِ (١٠٧) مِنْ

سورة (هود/ ٥٢ نزول) وَسَبَقَ هُنَاكَ تَحْلِيلُ هَذَا الاستثناء لَدَى تَدْبِيرِ الآيَةِ. والمعنى الذي ظهر لي هو ما يلي: إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْتَنْثِيَهُ بِحُكْمَتِهِ مِنْ عُمُومِ الْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ بِالْخُلُودِ، فيما لو يَشَاءُ أَنْ يُقَدِّرَهُ وَيَقْضِيَهُ مُسْتَقْبَلًا، إِذْ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ أَنَّهُ يَمْحُو مَا يَشَاءُ مَحْوَهُ، وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ إِثْبَاتَهُ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ وَهُوَ عِلْمُهُ الثَّابِتُ الَّذِي لَا يَتَعَرَّضُ لِمَحْوٍ وَلَا تَغْيِيرٍ، إِذْ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ، عَلَى أَنَّهُ أَخْبَرَ جَلَّ جَلَالُهُ أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ الْكَافِرُونَ مِنَ النَّارِ.

وَلَيْسَ مِنَ التَّدْبِيرِ السَّلِيمِ أَنْ نُفَكِّرَ فِي تَعْيِينِ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَنْثِيَهُ مُسْتَقْبَلًا، لِأَنَّ الاستثناء لَمْ يَتَنَاوَلْهُ بَعْدُ. وَقَدْ احْتَفَظَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَفْسِهِ ضِمْنَ قَضَاءِ الْخُلُودِ بِأَنْ يَفْعَلَ مَا يُرِيدُ فِي مَدَى الْآبَادِ، فيما لو يَشَاءُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا يُخَالِفُ فِي ظَاهِرِهِ دَلَالََةَ عُمُومِ الْخُلُودِ، فِي كُلِّ الْأَجْزَاءِ الزَّمَنِيَّةِ الْمُتَوَالِيَةِ بِغَيْرِ نِهَآيَةٍ، وَلِكُلِّ الْخَالِدِينَ، فَهَذَا الاستثناء هو من كلماته التي لَا مُبَدَّلَ لَهَا.

وبِهَذَا الْفَهْمِ أَسْتَبْعِدُ كُلَّ الْأَرَآءِ الَّتِي طَرَحَهَا الْمَفْسِّرُونَ بِشَأْنِ تَعْيِينِ الْمُسْتَنْثَى، إِذِ الْمَعْنَى: خَالِدِينَ فِيهَا خُلُودًا بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ مُبْرَمٍ، لَا تَعْرُوهُ مَشِيئَةٌ مُعَدَّلَةٌ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا مَشِيئَةُ اللَّهِ، لِأَنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَهُوَ حَكِيمٌ فيما يُرِيدُ وَيَخْتَارُ، وَعَلِيمٌ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَا يَظْهَرُ لَهُ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا لَهُ. جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ وَسَمَتَ حُكْمَتَهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَيَانِ اغْتِرَاضِي، أَثْنَاءَ عَرْضِ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ حِسَابِ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَأَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ يَوْمَ الدِّينِ:

● ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَظْمِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٢٩):

فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانُ سُنَّةٍ عَامَّةٍ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ، يَقْتَضِيهَا النِّظَامُ الْعَامُّ الَّذِي تَوَجَّدَ أَحْدَاثُهُ وَمُفْرَدَاتُهُ بِخَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،

وَهِيَ أَنَّ مَنْ اخْتَارَ بِإِرَادَاتِهِ الْحُرَّةَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَجَدَ دَوَافِعَ نَفْسِهِ مُتَّجِهَةً لِمَصَاحَبَةِ الظَّالِمِينَ وَمُؤَالَاتِهِمْ، لِيَكُونَ بَعْضُهُمْ مُعِينًا لِبَعْضٍ، وَنَاصِرًا لِبَعْضٍ، وَمُؤَاخِيًا لِبَعْضٍ، وَمِنَ الْمَلَا حَظِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ أَنَّ اللَّصُوصَ يُكُونُونَ مُجْتَمِعَاتٍ يُوَالِي بَعْضُهُمْ فِيهَا بَعْضًا، وَأَنَّ أَهْلَ الْفُحْشِ يُكُونُونَ مُجْتَمِعَاتٍ يُوَالِي بَعْضُهُمْ فِيهَا بَعْضًا، وَأَنَّ أَحْزَابَ الشَّرِّ وَالْجَرِيمَةِ وَالْإِثْمِ وَمُحَارَبَةِ الدِّينِ وَصِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، تَتَأَلَّفُ مِنْ أَفْرَادٍ يُوَالِي كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمْ أَفْرَادَ حِزْبِهِ، وَقَدْ تَجْتَمَعُ هَذِهِ الْأَحْزَابُ مُتَنَاصِرِينَ لِقَمْعِ حِزْبِ اللَّهِ وَاضْطِهَادِهِ وَمُقَاتَلَةِ أَفْرَادِهِ. وَتَحْصُلُ هَذِهِ الْوَلَاءَاتُ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِسَبَبِ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى أَعْمَالٍ وَمُكْتَسَبَاتٍ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، أَوْ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ، أَوْ مِنْ صِنْفٍ وَاحِدٍ، أَوْ مِنْ شُذُوذٍ وَاحِدٍ.

**فَمَعْنَى الْآيَةِ:** وَكَذَلِكَ الَّذِي تَحَدَّثْنَا عَنْهُ، مِنْ اتِّخَاذِ شَيَاطِينِ الْجِنِّ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفِ الْقَوْلِ غُرُورًا فَهُمْ يَتَبَادَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ التَّنَاصُرَ عَلَى الشَّرِّ وَالْإِثْمِ وَالتَّضْلِيلِ، وَيَسْتَمْتِعُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ، تُؤَلِّي ضِمْنَ النِّظَامِ الْعَامِّ لِلْمَجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا مِنْ كُلِّ قَوْمٍ، وَكُلُّ أُمَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ مُجْتَمَعٍ فِي أَيِّ مَوْقِعٍ مِنَ الْأَرْضِ، بِسَبَبِ مَا يَشْتَرِكُونَ بِهِ مِنْ كَسْبِ ظَالِمٍ آثِمٍ، وَمِنْ ابْتِغَاءِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ.

هذه سُنَّةٌ عَامَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْجَمَاعَةِ الْبَشَرِيَّةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُتَابِعًا بَيَانَ عَرْضِ الْمَشْهَدِ مِنْ مَشَاهِدِ حِسَابِ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَأَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ، يَوْمَ الدِّينِ:

• ﴿يَمْعَشَرُ الْيَمِينُ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُذَرِّوْنَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾:

المُعْشَرُ: كُلُّ جَمَاعَةٍ أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ، والمَخَاطَبُونَ هنا من الجنِّ وأوليائهم من الإنسِ كُفْرَةً وَدُعَاةً إِلَى الْكُفْرِ، فَأَمْرُهُمْ وَاحِدٌ.

• ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ أَيْتِي﴾: أي: يُحَدِّثُونَكُمْ بِآيَاتِي مُتَّبِعِينَ كُلَّ مَا أَنْزَلْتُ مِنْ آيَاتٍ بَيِّنَةٍ عَلَيْهِمْ، لِتَبْلِيغِكُمْ إِيَّاهَا مَعَ غَيْرِكُمْ مِنَ الْمُبْلَغِينَ.

• ﴿وَسُذِرْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: أي: وَيُخْبِرُونَكُمْ إِذَا كَفَرْتُمْ بِعَدَابِي الشَّدِيدِ، يَوْمَ الدِّينِ، وَبَأَنَّكُمْ سَتَلْفُونَ يَوْمَكُمْ هَذَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْبَعْثِ، لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ، عَلَى مَا تَقْدُمُونَ فِي رِحْلَةِ الْإِبْتِلَاءِ بِاخْتِيَارِكُمْ الْحَرِّ.

الإِنْذَارُ: الْإِعْلَامُ بِمَا هُوَ مَخُوفٌ مِنْهُ.

وَقَدْ يُنَكِّرُ مِنْهُمْ مِنْكُرُونَ، وَيُخْتَمُّ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، وَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُمْ، وَيَشْهَدُ عَلَيْهِمُ الشُّهُودُ الْعُدُولُ، وَقَدْ يُعْرَضُ عَلَيْهِمْ شَرِيطُ تَسْجِيلِ حَيَاتِهِمْ فِي رِحْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بِالصَّوْتِ، وَالصُّورَةِ، وَالْخَوَاطِرِ وَالْأَفْكَارِ وَالنِّيَّاتِ وَحَرَكَاتِ الْإِرَادَاتِ.

عِنْدَئِذٍ يَعْتَرِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِأَنَّ الشَّرِيطَ الَّذِي عُرِضَ عَلَيْهِ خَاصٌّ بِهِ، وَاعْتَرَفَهُمْ شَهَادَةُ مِنْهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

وَيُسْأَلُونَ: لِمَ اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ هَذَا الَّذِي عَرَضْنَاهُ عَلَيْكُمْ، وَهُوَ سَجِلٌ حَيَاتِكُمْ؟!

فَيَقُولُونَ: عَرَّيْنَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَاتَهَا وَمَتَاعَاتَهَا.

فَيَقَالُ لَهُمْ: أَلَمْ تَكُونُوا كَافِرِينَ بِرَبِّكُمْ، وَبِرُسُلِ رَبِّكُمْ، وَبِآيَاتِ رَبِّكُمْ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي قَضَوْنَهَا عَلَيْكُمْ؟!

فَيَقُولُونَ: بَلَى، لَقَدْ كُنَّا كَافِرِينَ، وَهَذَا الْاعْتِرَافُ شَهَادَةُ مِنْهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.



هذا ما أَفْهَمُهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿... قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (١٣٠):

فالشهادة الأولى هي شهادة عَلَى أَنَّ الْأَشْرَاطَ الْمَسْجَلَةَ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَيْهِمْ، هِيَ أَشْرَاطُهُ حَيَاتِهِمُ الْمَطَابِقَةُ تَمَاماً لِمَا سَبَقَ أَنْ اُكْتَسَبُوهُ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ، لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَتَذَكَّرُ يَوْمَ الدِّينِ مَا سَبَقَ أَنْ سَعَى فِي الدُّنْيَا.

وَالشَّهَادَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ اعْتِرَافُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَافِرِينَ، فَهَذَا الْاعْتِرَافُ شَهَادَةٌ مِنْهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

وَمِنَ الْإِبْدَاعِ الْبَيَانِيِّ فِي الْآيَةِ التَّنْوِيعُ فِي عَرْضِ اعْتِرَافَاتِهِمْ، وَبَيَانِ سَبَبِ اُكْتِسَابِهِمْ جَرَائِمَهُمْ.

فَاعْتِرَافُهُمُ الْأَوَّلُ: جَاءَ بِأَسْلُوبٍ: ﴿شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ .

وَبَيَانُهُمُ السَّبَبَ: جَاءَ بِعِبَارَةٍ: ﴿وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ .

وَاعْتِرَافُهُمُ الثَّانِي: جَاءَ بِعِبَارَةٍ: ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ كَاذِبُونَ﴾ .

وَدَلَّ خِطَابُ اللَّهِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ عَلَى أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ بَعَثَ إِلَى الْجِنِّ رُسُلًا مِنْهُمْ، إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ الثَّابِتِ أَنَّ الْجِنَّ مَخْلُوقُونَ قَبْلَ الْإِنْسِ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا مَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، فَهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى رُسُلٍ يَبَيِّنُونَ لَهُمْ مَسْئُلِيَّاتِهِمْ، وَمَطْلُوبَ اللَّهِ مِنْهُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ.

وَيُظْهِرُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ خَلْقِ الْإِنْسِ، رُبَّمَا اخْتَارَ بَعْضَ رُسُلِهِ كَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنْ يَكُونُوا رُسُلًا لِلْجِنِّ، أَمَّا مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَدْ ثَبَتَ قَطْعاً أَنَّهُ كَانَ رَسُولاً عَامّاً لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ، كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ لَدَى تَذَكُّرِ سُورَةِ (الْجِنِّ/ ٤٠) نَزُولٍ وَفِي مَوَاضِعَ أُخْرَى.

■ قول الله تَعَالَى فِي بَيَانِ اعْتِرَاضِي يَكْشِفُ فِيهِ مِنْ سُنَنِهِ أَنَّهُ لَا يُهْلِكُ أَهْلَ الْقُرَى الظَّالِمِينَ وَهُمْ غَافِلُونَ عَنْ مَطْلُوبِ اللَّهِ مِنْهُمْ، بَلْ مِنْ حِكْمَتِهِ أَنْ يُرْسِلَ لَهُمْ رَسُولًا، كَمَا أَرْسَلَ رَسُولًا لِلْجِنِّ، وَرَسُولًا لِلْإِنْسِ، لِيَقْطَعَ أَعْدَارَهُمْ:

● ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ (١٣٦):

أي: ذَلِكَ الَّذِي سَأَلْنَا مَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ عَنْهُ، وَهُوَ قَوْلُنَا لَهُمْ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَفْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِي وَيُذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ (١٣٠): وَالَّذِي اقْتَضَتْهُ حِكْمَتُنَا فِي عِبَادِنَا الْمَوْضُوعِينَ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ أَنْ تُرْسِلَ لَهُمْ رَسُولًا، وَأَنْ لَا نُهْلِكَ الظَّالِمِينَ وَهُمْ غَافِلُونَ، لَمْ تُبَيِّنْ لَهُمُ الْوَاجِبَاتُ الَّتِي أَوْ جَبْنَاهَا عَلَى مَنْ نَضَعُهُمْ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ.

فَالشَّأْنُ الْعَظِيمُ أَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَكُنْ لِيُهْلِكَ أَهْلَ الْقُرَى الظَّالِمِينَ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ غَافِلُونَ عَنْ عَقَائِدِ الدِّينِ وَشَرَائِعِهِ وَأَحْكَامِهِ، بَلْ يُرْسِلُ لَهُمْ رَسُولًا يَبَيِّنُونَ لَهُمْ وَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْ غَفَلَاتِهِمْ، فَإِذَا عَانَدُوا وَكَفَرُوا عَلَى الرُّغْمِ مِنْ إِدْرَاكِهِمُ الْحَقِّ فَقَدْ يُهْلِكُهُمْ إِهْلَاكًا عَامًّا.

وَدَلَّ وَصْفُهُمْ بِالْغَفْلَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ عَلَى أَنَّ حَقَائِقَ دِينِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ مَوْجُودَةٌ فِي فِطْرِ النُّفُوسِ، إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَكُونُونَ غَافِلِينَ عَنْهَا، غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالتَّفَكُّيرِ فِيهَا وَالتَّأَمُّلِ لِإِدْرَاكِهَا، لِأَنَّهُمْ مَشْغُولُونَ لَاهُونَ بِأُمُورِ دُنْيَاهُمْ، وَقَدْ تَكُونُ أَهْوَاؤُهُمْ وَشَهَوَاتُهُمْ حَاجِبَةً بِصَائِرِهِمْ بِحِجَابٍ شَدِيدٍ الْكَثَافَةِ.

الْغَفْلَةُ: انْصِرَافُ الذَّهْنِ عَنْ مُلَاحَظَةِ الشَّيْءِ مَعَ وُجُودِهِ فِي مَجَالِ الْإِدْرَاكِ، أَوْ وُجُودِ أدِلَّتِهِ، وَإِمْكَانِ إِدْرَاكِهِ لَوْلَا وُجُودُ الصَّارِفِ أَوْ السَّهْوِ.

■ قول الله تَعَالَى مُبَيِّنًا حِكْمَتَهُ فِي الْجَزَاءِ الَّذِي يَجْزِي بِهِ عِبَادَهُ يَوْمَ الدِّينِ، الْقَائِمَةَ عَلَى التَّفَاضُلِ فِي الدَّرَجَاتِ، وَالتَّنَازُلِ فِي الدَّرَكَاتِ، بِحَسَبِ

مَا كَسَبُوا أَوْ اكْتَسَبُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ أَعْمَالٍ، وَأَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ عَلِيمٌ  
بِمَا يَعْمَلُونَ غَيْرُ غَافِلٍ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ كَبِيرًا كَانَ أَمْ صَغِيرًا:

• ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٣):

الدَّرَجَاتُ ثَلَاثُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ، وَيَكْسِبُونَ  
الْحَسَنَاتِ.

وَتَقَابِلُهَا الدَّرَكَاتُ الَّتِي ثَلَاثُ الْعُصَاةِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْفَاسِدَاتِ،  
وَيَكْسِبُونَ السَّيِّئَاتِ.

وَمِنْ هَذَا نُذْرِكُ أَنَّ فِي الْآيَةِ مَطْوِيًّا يَسْهَلُ اسْتِخْرَاجُهُ، والتقدير:

وَلِكُلِّ مَوْضُوعٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ أَعْمَالٌ يَعْمَلُهَا فِي  
رَحْلَةِ امْتِحَانِهِ، أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ ذَوُو الطَّاعَةِ لِرَبِّهِمْ، الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ،  
وَيَكْسِبُونَ الْحَسَنَاتِ، فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ دَرَجَاتٌ مِنَ الْأَجْرِ بِفَضْلِهِ  
عَلَيْهِ، عَلَى مِقْدَارِ مَا كَسَبَ مِنْ صَالِحَاتٍ وَحَسَنَاتٍ. وَأَمَّا الْعُصَاةُ مُرْتَكِبُو  
الْآثَامِ، الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْفَاسِدَاتِ، وَيَكْسِبُونَ السَّيِّئَاتِ، فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
عِنْدَ رَبِّهِ دَرَكَاتٌ مِنَ الْعِقَابِ بِعَدْلِهِ، عَلَى مِقْدَارِ مَا اكْتَسَبَ مِنْ فَاسِدَاتٍ  
وَسَيِّئَاتٍ.

﴿وَمَا رَبُّكَ﴾ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي ﴿بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بَلْ هُوَ عَلِيمٌ بِكُلِّ  
صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مِمَّا يَعْمَلُونَ جَمِيعًا، إِذْ رَقَابَةُ اللَّهِ وَعِلْمُهُ مُحِيطَانِ بِكُلِّ شَيْءٍ،  
جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ وَسَمَتْ حِكْمَتُهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُحَذِّرًا الْكَافِرِينَ وَمُنْذِرًا بِجَزَائِهِ يَوْمَ الدِّينِ. مع  
احْتِمَالِ إِهْلَاكِهِمْ إِهْلَاكًا جَمَاعِيًّا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الدِّينِ، إِذَا اقْتَضَتْ  
حِكْمَتُهُ ذَلِكَ، وَوَصَلُوا إِلَى دَرَكَةٍ مَيُؤُوسٍ مَعَهَا مِنْ أَنْ يُخْرَجَ مِنْهُمْ مُؤْمِنُونَ  
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ:

• ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾:

خاطَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ فَرْدٍ من أفرادِ الْمُعَالَجِينَ في السُّورَةِ، وَهُم أَيْمَةُ الشِّرْكِ والكُفْرِ في مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، بِأَسْلُوبِ الْخُطَابِ الْإِفْرَادِيِّ، لِيَضَعَهُ بِخُطَابِهِ أَمَامَ الْمَسْئُولِيَّةِ التَّامَّةِ، فَقَالَ لَهُ:

• ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ...﴾: أي: الْغَنِيُّ عَنِ إِيْمَانِ الْعِبَادِ، وَالْغَنِيُّ عَنِ طَاعَاتِهِمْ لَهُ، لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالْإِيْمَانِ بِهِ وَبِمَا أَمَرَهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِطَاعَتِهِ، لِحَاجَةٍ فِي نَفْسِهِ إِلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ كَمَا خَلَقَهُمْ لِيَبْلُوَهُمْ اقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ أَنْ تَكُونَ مَادَّةَ امْتِحَانِهِمْ تَدُورُ حَوْلَ الْإِيْمَانِ بِهِ وَبِسَائِرِ أَرْكَانِ الْإِيْمَانِ إِيْمَانًا إِرَادِيًّا لَا إِيْمَانًا جَبْرِيًّا، وَحَوْلَ طَاعَتِهِ فِي أُمُورٍ هِيَ لِخَيْرِهِمْ وَمَضْلَحَتِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ لَهُ.

فَحِينَ يَتَابَعُ مُعَالَجَتَهُمْ، وَإِقْنَاعَهُمْ، وَمُنَاطَرَتَهُمْ، وَتَرْغِيْبَهُمْ وَتَرْهِيْبَهُمْ، لِيُؤْمِنُوا وَلِيُسَلِّمُوا، وَيَضْبُرَ عَلَيْهِمْ، وَيُمَهِّلُهُمْ إِمْنَالًا طَوِيلًا، فَبِرَحْمَتِهِ بِهِمْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ ذُو الرَّحْمَةِ الْعُظْمَى الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ يُرِيدُ أَنْ يَأْوِيَ إِلَيْهَا وَيَسْتَدِرَّ عِظَاءَهَا.

وَإِذْهَابُكُمْ مِنَ الْحَيَاةِ، وَجَعْلُ غَيْرِكُمْ فِي أَرْضِكُمْ خُلَفَاءَ لَكُمْ فِيهَا، أَمْرٌ يَسِيرٌ عَلَيْهِ، كَمَا أَنْشَأَكُمْ أَنْتُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ، قَضَوْا أَجَالَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَكُنْتُمْ خُلَفَاءَهُمْ، دَلَّ عَلَى هَذَا:

• ﴿... إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾:

جَاءَ اسْتِعْمَالُ «مَا» فِي عِبَارَةِ ﴿مَا يَشَاءُ﴾ بِدَلِّ «مَنْ» لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنْ إِذْهَابَهُمْ يَكُونُ بِإِهْلَاكِ جَمَاعِيَّ عَامٍ، يَهْلِكُونَ فِيهِ هُمْ وَكُلُّ الْأَحْيَاءِ فِي

أَرْضِهِمْ مِنْ غَيْرِ النَّاسِ، وَحِينَ اسْتَخْلَافَ غَيْرِهِمْ، يَأْتِي بِأَحْيَاءٍ غَيْرِ الْأَحْيَاءِ  
الَّتِي أَهْلَكَهَا مَعَهُمْ، وَتَغْلِيْبًا لِلْأَحْيَاءِ الْأُخْرَى الَّتِي تَكُونُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ  
عَادَةً جَاءَ اسْتِعْمَالُ «مَا» الَّتِي تُسْتَعْمَلُ لِغَيْرِ دُوي الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ، فَقَالَ  
تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ أَي: مَنْ بَعْدَ إِهْلَاكِكُمْ.

وللَّذَلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْإِهْلَاكَ سَيَكُونُ خَاصًّا بِالْكَافِرِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ إِبَّانَ  
التَّنْزِيلِ، إِنَّ شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ، أَبَانَ أَنَّ الْمُسْتَخْلَفِينَ سَيَكُونُونَ مِنَ الذُّرِّيَّاتِ  
الْبَشَرِيَّةِ الْمَوْجُودِينَ فِي الْأَرْضِ، بِدَلَالَةِ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿... كَمَا  
أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ (١٣٣):

وَحَتَمَ اللَّهُ الدَّرْسَ بَيَّانٍ عُنْصُرٍ مِنْ عَنَاصِرِ الْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَهُوَ  
الْيَوْمُ الْآخِرُ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهِ، مِنْ حِسَابٍ، وَفَضْلِ قَضَاءٍ، وَتَنْفِيذِ جَزَاءٍ،  
فِي النَّارِ دَارِ عَذَابِ الْمُجْرِمِينَ خَالِدِينَ فِيهَا، وَفِي الْجَنَّةِ دَارِ نَعِيمِ الْمُؤْمِنِينَ  
الْمُتَّقِينَ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (١٣٤):

مَا تُوعَدُونَ: أَي: الْحَيَاةُ الْأُخْرَى بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْبَعْثِ، وَكُلُّ مَا فِي  
هَذِهِ مِمَّا سَبَقَ أَنْ أُنْبَأَكُمْ وَسُنِّبَكُمْ بِهِ.

جاء تَوْكِيدُ الْجُمْلَةِ، بـ «إِنَّ» - وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ - وَاللَّامُ الْمَرْحَلَةُ.

• ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: أَي: وَمَا أَنْتُمْ بِقَادِرِينَ عَلَى الْإِفْلَاطِ مِنْ  
عَذَابِ رَبِّكُمْ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ).

والْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



(٣٢)

## التدبر التحليلي للدرس الثامن والعشرين من دروس سورة (الأنعام) الآية (١٣٥)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿قُلْ بِقَوْمٍ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُمْ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾:

القراءات:

قرأ شُعْبَةُ: [عَلَىٰ مَكَانَاتِكُمْ] بالجمع.

وقراها باقي القراء العشرة: [عَلَىٰ مَكَانَتَكُمْ] بالإنفراد.

ومؤدَّى القراءتين واحد، فالمفرد النكرة المضاف إلى معرفة بقوة الجمع.

• قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [مَنْ يَكُونُ] بالياء.

وقراها باقي القراء العشرة بالتاء [مَنْ تَكُونُ].

والقراءتان وجهان جائزان عربياً.

تمهيد:

آية هذا الدرس مِنْ فُرُوعِ السَّاقِ الثَّانِي مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ، وفيها تَعْلِيمٌ دَعَوِيٌّ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ، فَلِكُلِّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ، بِشَأْنِ أَوَاخِرِ مَسِيرَتِهِ الدَّعَوِيَّةِ، الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْكَافِرِينَ الْمُعَانِدِينَ الْمُصِرِّينَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَمُقَاوَمَتِهِمْ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، الَّذِينَ صَارَتْ اسْتِجَابَتُهُمْ مَيُوسَافاً مِنْهَا عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةِ، بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ الَّتِي تُشَبِّهُهَا التَّجَارِبُ الْبَشَرِيَّةُ الْمُتَكَرِّرَةُ.

## التدبر التحليلي:

يَخَاطَبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ فَكُلَّ حَامِلٍ لِرِسَالَتِهِ بِشَأْنِ الَّذِينَ مَرَدُّوا عَلَى الْكُفْرِ، وَصَارُوا مَيُّوسًا مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةِ، فَيَأْمُرُهُ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَفْتَضِيهَا كُفْرُكُمْ، عِبَادَةٌ لِعَبَدَةِ اللَّهِ، وَفُسْقًا وَفُجُورًا، وَظُلْمًا وَعُدْوَانًا، وَبَغْيًا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقٍّ، ثَابِتِينَ عَلَى الْمَكَانَةِ الصَّغِيرَةِ الْحَقِيرَةِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا، فَلَسْتُ أَجْبِرُكُمْ وَلَا أَكْرِهْكُمْ عَلَى سُلُوكِ صِرَاطِ رَبِّي الْمُسْتَقِيمِ.

الْمَكَانَةُ: مُؤَنَّثُ الْمَكَانِ، الْمَوْضِعُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الشَّيْءُ، إِذْ يَحْتَلُّ فِيهِ فَرَاغًا عَلَى مَقْدَارِهِ. وَقَدْ يُطْلَقُ الْمَكَانُ وَالْمَكَانَةُ عَلَى الْمَنْزِلَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْكَائِنُ، مُرْتَقِيَةً رَفِيعَةً، أَوْ مُنْخَفِضَةً وَضِيعَةً.

إِنِّي عَامِلٌ وَفَقَّ مَا يَفْتَضِيهِ مِنِّي إِيْمَانِي وَإِسْلَامِي لِرَبِّي، وَلَيْسَ مِنْ حَقِّكُمْ أَنْ تُكْرِهُونِي وَتُجْبِرُونِي عَلَى تَرْكِ صِرَاطِ رَبِّي الْمُسْتَقِيمِ، وَسُلُوكِ مَسَالِكِكُمْ وَسُبُلِكُمْ الصَّالَةِ الَّتِي تُزِلُّقُ إِلَى عِقَابِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ.

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ، وَهِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ، خَالِدِينَ فِيهَا يَوْمَ الدِّينِ.

حَيْثُ وَجَدَ تَعْيِيرُ: «عَاقِبَةُ الدَّارِ» أَوْ «عُقْبَى الدَّارِ» فَالْمَرَادُ بِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ.

وَبِمَا أَنْتُمْ ظَالِمُونَ فَلَنْ تَنْجُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي النَّارِ، وَلَنْ تَفُوزُوا بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ ظُلْمَكُمْ مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ.

• ﴿... إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (١٣٥):

الْفَلَاحُ: النِّجَاةُ، وَالْفُوزُ، وَالظَّفَرُ. وَأَصْلُ الْفَلَاحِ الْبَقَاءُ فِي النَّعِيمِ وَالْخَيْرِ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَإِنَّمَا قِيلَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مُفْلِحُونَ، لِقُوزِهِمْ بِبَقَاءِ الدَّهْرِ.

وبهذا تَمَّ تدبر الدرس الثامن والعشرين من دروس سورة (الأنعام).

والحمد لله على معونته ومدِّه وتوفيقه وفتحته.

(٣٣)

## التدبر التحليلي للدرس التاسع والعشرين من دُروس سورة (الأنعام) الآيات من (١٣٦ - ١٤٠)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ وَهَذَا لِسُرْكَانِنَا فَمَا كَانَ لِسُرْكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرْكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرْكَائُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْسِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرْتُ حَجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرْغِمِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرْمَتٌ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

القراءات:

(١٣٦) • قرأ الكسائي: [بِرْغِمِهِمْ] بِضَمِّ الزَّاي.

وقراها باقي القراء العشرة [بِرْغِمِهِمْ] بفتح الزاي. وهما لَعَتَانِ عَرِيَّتَانِ.

(١٣٧) • قرأ ابنُ عامر: [وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرْكَائِهِمْ].

وقراها باقي القراء العشرة: [وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرْكَائِهِمْ].



وفي قراءة ابنِ عامرٍ إثباتٌ وجهٍ عربيٍّ جائزٍ، إذ فيها الفصلُ بينَ المضاف: «قَتْلُ» والمضافِ إليه «شُرَكَائِهِمْ» بِمَفْعُولٍ «قَتْلُ» وهو «أَوْلَادُهُمْ» أي: زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَقْتُلَ شُرَكَاءَهُمْ أَوْلَادَهُمْ، إمَّا بِتَسْلِيمِهِمْ إِلَى سَدَنَةِ الْأَصْنَامِ لِقَتْلِهِمْ، وَإِمَّا بِقَبُولِ حُكْمِهِمْ الظالمِ الْآثِمِ فِي أَنْ يَقْتُلُوا أَوْلَادَهُمْ. وَلَعَلَّهُمْ إِذَا دَفَعُوا الْفِدْيَةَ لِلْسَدَنَةِ رَفَعُوا عَنْهُمْ حُكْمَ الْقَتْلِ. وفي إثباتِ هذا الْوَجْهِ عَلَى نُذْرَتِهِ إِشْعَارُ بَأَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ ضَرَبَ اللَّهُ لِلنَّاسِ فِيهِ مِنْ كُلِّ مِثْلِ مِنْ أَمْهَاتِ لُغَاتِ الْعَرَبِ.

(١٣٨) • قَرَأَ الْكِسَائِيُّ: [بِزُعْمِهِمْ] بِضَمِّ الزَّايِ نَظِيرَ قِرَاءَتِهِ فِي الْآيَةِ (١٣٦).

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ [بِزُعْمِهِمْ] بِفَتْحِ الزَّايِ. وَالْقُرَّاءُ ثَانِ لُغَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ.

(١٣٨ و ١٣٩) • قَرَأَ يَعْقُوبُ: [سَيَجْزِيهِمْ] بِضَمِّ هَاءِ الضَّمِيرِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ [سَيَجْزِيهِمْ] بِكَسْرِ هَاءِ الضَّمِيرِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ.

(١٣٩) • قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: [وَإِنْ تَكُنْ مَيِّتَةً] أَي: وَإِنْ تُوجَدَ مَيِّتَةً.

وَقَرَأَهَا أَبُو جَعْفَرٍ: [وَإِنْ تَكُنْ مَيِّتَةً] بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ.

وَقَرَأَهَا شُعْبَةُ: [وَإِنْ تَكُنْ مَيِّتَةً] أَي: وَإِنْ تَكُنْ الَّتِي فِي بَطْنِ الْأَنْعَامِ مَيِّتَةً.

وَقَرَأَهَا ابْنُ كَثِيرٍ: [وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً] بِالْيَاءِ فِي «يَكُنْ» وَبِرَفْعِ «مَيِّتَةً».

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ: [وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً] بِنِصْبِ «مَيِّتَةً» وَبِالْيَاءِ مِنْ «يَكُنْ».

(١٤٠) • قرأ ابنُ كثير، وابنُ عامر: [الَّذِينَ قَتَلُوا] بِتَشْدِيدِ التَّاءِ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [الَّذِينَ قَتَلُوا] بتخفيف التَّاءِ.

رُوعي في التَّشْدِيدِ حَالُ الَّذِينَ أَكْثَرُوا الْقَتْلَ. ورُوعي في التخفيف حال الَّذِينَ كَانَ مِنْهُمْ قَتْلٌ مَا.

تَمْهيد:

آيات هَذَا الدَّرْسِ من فروع السَّاقِ الأول من ساقِي شجرة موضوع السورة، وفيها بَعْضُ تَفْصِيلِ الأحكام الجاهليَّةِ في المأكِلِ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ. وفيها بَيَانُ كَيْفَ زَيْنَ لَهُمْ شَيَاطِينُهُمْ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ، فِيمَا عُرِفَ بِالْوَادِ. وفيها بَيَانُ خَسَارَتِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ الدِّينِ.

التَّدْبِيرُ التحليلي:

■ قول الله تَعَالَى بِشَأْنِ بَعْضِ شِرْكِيَّاتِ الْمُشْرِكِينَ الدِّينِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، عَظْفًا عَلَى سَوَابِقِ مَا ذُكِرَ مِنْ شِرْكِيَّاتِهِمْ وَأَحْكَامِهِمُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي السُّورَةِ:

• ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِغْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (١٣٦) :

﴿وَجَعَلُوا﴾ استعمل في القرآن فعل «جَعَلَ» في أربعة مَعَانٍ:

المعنى الأول: الخَلْقُ والتكوين، وعليه معظم الآيات.

المعنى الثاني: الْحُكْمُ الديني الرَّبَّانِي.

المعنى الثالث: الْحُكْمُ الْإِنْسَانِي حَقًّا كَانَ أَمْ بَاطِلًا.

المعنى الرابع: الفعل ذو الأثر مِنْ أَيِّ كَائِنٍ، سواءً أَكَانَ صَادِرًا عَنْ

إِرَادَةِ أَمْ عَنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ.

والمعنى هنا في الآية يدورُ حول المعنى الثالث والرابع، فالمشركون جعلوا من أحكامهم الشَّرَكِيَّةِ بِشَأْنِ مَا يَبْذُلُونَ مِنْ أَمْوَالِ حَرْثِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ مِقْدَاراً لله وَمِقْدَاراً لِأَلِهَتِهِمْ الَّتِي جَعَلُوهَا شُرَكَاءَ لله فِي إِلَهِيَّتِهِ. وَجَعَلُوا كَذَلِكَ بِتَطْيِيقَاتِهِمُ التَّعَبُّدِيَّةِ مَعَ عَدَمِ الْإِلْتِزَامِ بِمَا جَعَلُوهُ لله، ومع الالتزام بما جَعَلُوهُ لِأَلِهَتِهِمْ مِنَ الْأَوْثَانِ، وَالْمُسْتَفِيدِ مِنْهُ سَدَنَتُهَا.

﴿ذَرَأٌ﴾: تأتي بمعنى «خَلَقَ». وتأتي بمعنى «كَثُرَ وَبَثَّ عَنْ طَرِيقِ الذَّرِيَّةِ».

﴿الْحَرْثُ﴾: العمل في الأرض لاسْتِنْبَاتِ زَرْعِهَا، أَوْ غَرْسِ شَجَرِهَا. وَيُطْلَقُ أَيْضاً عَلَى الزَّرْعِ النَّابِتِ كَمَا ذَكَرَ الرَّجَاجُ. قال الأزهري: الحرثُ قَدْفُكُ الْحَبِّ فِي الْأَرْضِ لَا زُدْرَاعٍ، وَالْحَرْثُ الزَّرْعُ، وَشَقُّ ثَرَابِ الْأَرْضِ بِالْمَحَارِثِ.

﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: هي الأموال الراعِيَّةُ، الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ. ولفظ «الأنعام» يذَكَّرُ وَيؤنَّثُ، فتقول: هي الأنعام، وتقول: هو الأنعام.

﴿نَصِيباً﴾ النَّصِيبُ: الْحِظُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

﴿بِرِزْعِهِمْ﴾ الزَّعْمُ: أَخُو الْكَذِبِ، وَيَأْتِي بِمَعْنَى الظَّنِّ. وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ الزَّعْمُ فِيمَا كَانَ بَاطِلاً، أَوْ فِيهِ ارْتِيَابٌ، وَيَأْتِي بِمَعْنَى الْإِعْتِقَادِ الْبَاطِلِ.

وفيه ثلاث لغات: «زَعَمَ» و«زُعِمَ» و«زِعِمَ».

﴿إِشْرَاقِهِمْ﴾: أَي: لِأَلِهَتِهِمُ الَّتِي جَعَلُوهَا شُرَكَاءَ لله اقْتِرَاءً عَلَيْهِ.

فالمعنى: وَجَعَلَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَحْكَامِهِمْ وَأَعْمَالِهِمُ الشَّرَكِيَّةِ التَّعَبُّدِيَّةِ، بَعْضَ مَا خَلَقَ اللهُ لَهُمْ مِنَ الزُّرُوعِ وَالشُّمَرَاتِ، وَمِنَ الْأَنْعَامِ، مِقْدَاراً يَبْذُلُونَهُ لله أَي: فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ الَّتِي يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللهِ، وَمِقْدَاراً يَبْذُلُونَهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، يَتَسَلَّمُهُ سَدَنَةُ أَوْثَانِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَدَى التَّطْبِيقِ الْعَمَلِيِّ يَبْذُلُونَ مَا جَعَلُوهُ لآلِهَتِهِمْ غَيْرَ مَقْصُودٍ، وَلَا يَبْذُلُونَ مَا جَعَلُوهُ لِلَّهِ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ الَّتِي يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ، كَالْإِنْفَاقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَيْتَامِ وَالضُّعَفَاءِ الْمَحْرُومِينَ، بَلْ يُوَجِّهُونَهُ أَيْضًا لآلِهَتِهِمْ مِنَ الْأَوْثَانِ، لِتَمْنَحَهُمْ عَطَاءَاتِهَا، وَتُسَرِّ لَهُمْ مَا يَطْلُبُونَ مِنْ شُؤْنِ دُنْيَاهُمْ، فَهُمْ مُشْرِكُونَ وَيُؤْثِرُونَ عِبَادَةَ آلِهَتِهِمْ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ عِبَادَاتِهِمْ لَهُ مَا دَامُوا مُشْرِكِينَ، فَهُوَ أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرِكِ.

● ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: سَاءَ: فِعْلٌ يُقَالُ فِي إِنْشَاءِ الذَّمِّ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ، مِثْلَ «بُسْرٍ» «مَا» نِكْرَةً فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى التَّمْيِيزِ، وَهِيَ مَوْصُوفَةٌ بِالْفِعْلِ بَعْدَهَا، وَالْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: ذَلِكَ الْحُكْمُ الَّذِي يَحْكُمُونَهُ وَالْفِعْلُ الَّذِي يَفْعَلُونَهُ.

وَالْمَعْنَى: سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ حُكْمَهُمْ، وَسَاءَ مَا يَفْعَلُونَ فِعْلَهُمْ، إِذِ افْتَرَوْا عَلَى رَبِّهِمْ فَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَجَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ فِي بَعْضِ رُبُوبِيَّتِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُبَيِّنُ قَبِيحَةَ أُخْرَى مِنْ قَبَائِحِ الْمُشْرِكِينَ، وَهِيَ قَتْلُهُمْ أَوْلَادَهُمْ بِتَرْيِينِ سَدَنَةِ آلِهَتِهِمْ ذَلِكَ لَهُمْ:

● ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيُرَدُّوهُمْ وَلَيْسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١٣٧):

● ﴿وَكَذَلِكَ﴾: أَي: وَكَذَلِكَ الَّذِي سَبَقَ ذِكْرُهُ فِي الْآيَةِ (١٣٦) بِشَأْنِ أَحْكَامِ الْمُشْرِكِينَ وَأَفْعَالِهِمُ الشَّرَكِيَّةِ.

● ﴿زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ﴾:

أَي: حَسَنَ آلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ شُرَكَاءَ لِلَّهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ، عَنْ

طَرِيقَ إِحْيَاءِ تِهِم، أَوْ عَنْ طَرِيقِ الَّذِينَ أَغْرَوْهُمْ بِعِبَادَتِهِمْ وَمِنْهُمْ سَدَنَةُ الْأَوْثَانِ، لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَقْتُلُوا أَوْلَادَهُمْ، وَمِنْ قَتْلِ الْأَوْلَادِ وَأَذْهَمَ مِنَ الْفَقْرِ أَوْ مِنْ خَشْيَةِ حُدُوثِ الْفَقْرِ مُسْتَقْبَلًا، وَمِنْ قَتْلِ الْأَوْلَادِ وَأَذْ بَنَاتِ خَوْفِ الْعَارِ عِنْدَ الْغَزْوِ وَالسَّيِّ.

التَّزْيِينُ: التَّجْمِيلُ وَالتَّحْسِينُ، وَهُوَ جَعْلُ الشَّيْءِ مُلَائِمًا لِمَا تَسْتَحْسِنُهُ النَّفْسُ أَوْ تُحِبُّهُ أَوْ تَشْتَهِيهِ، وَالْإِغْرَاءُ بِحُسْنِ الشَّيْءِ، وَالتَّحْيِيبُ بِهِ، وَإِثَارَةُ النَّفْسِ لِلتَّعَلُّقِ بِهِ بِالْوَسَاوِسِ وَالتَّسْوِيلَاتِ الْقَائِمَاتِ عَلَى الْإِطْمَاعِ بِالْبَاطِلِ، وَهَذَا مِنْ فِعْلِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ. وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمُرَادُ هُنَا.

• ﴿لِيُرَدُّوهُمْ﴾: أَي: لِيُسْقِطُوهُمْ فِي أَوْدِيَةِ الْآثَامِ وَالْجَرَائِمِ، حَتَّى يَنَالُوا سَخَطَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ، وَالْخُلُودَ فِي عَذَابِ النَّارِ.

• ﴿وَلِيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: اللَّبَسُ خَلَطٌ أَمْرٌ بِأَمْرٍ، أَوْ شَيْءٍ بِشَيْءٍ، أَوْ فِكْرَةٍ بِفِكْرَةٍ أَوْ أَفْكَارٍ، وَهَذَا اللَّبَسُ يَنْجُمُ عَنْهُ جَهْلُ كُلِّ مَنْ الْمُخْتَلِطِينَ، أَوْ أَحَدِهِمَا، وَتَوَهُّمُ أَنَّهُ مِثْلُ الْمُخْتَلِطِ بِهِ، وَمِنْهُ لَبَسَ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ لِلإِيْهَامِ بَأَنَّ الْبَاطِلَ حَقٌّ، فَكَانَ دُعَاةُ الشُّرْكِ يَخْلِطُونَ أَحْكَامَهُمْ بِأَحْكَامِ الدِّينِ الْمُرُوثِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالْمَعْرُوفُ مِنْ قَتْلِ الْأَوْلَادِ عِنْدَ مُشْرِكِي الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ هُوَ هَذَا الْوَادِ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ كُلِّ قَبَائِلِهِمْ، وَلَا عِنْدَ كُلِّ أَفْرَادِ الْقَبَائِلِ الَّتِي كَانَتْ تَفْعَلُ ذَلِكَ، وَرَبَّمَا كَانَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ نَذْرٌ قَتْلِ بَعْضِ أَوْلَادِهِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ إِذَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ يُحِبُّهُ، كَمَا فَعَلَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ جَدُّ الرَّسُولِ ﷺ، فَإِنَّهُ نَذَرَ إِنْ رَزَقَهُ اللَّهُ عَشْرَةَ أَوْلَادٍ ذُكُورٍ، ثُمَّ بَلَغُوا مَعَهُ أَنْ يَمْنَعُوهُ مِنْ عَدُوِّهِ، لِيَنْحَرَنَّ أَحَدَهُمْ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَقَدْ رَزَقَهُ اللَّهُ الذُّكُورَ الْعَشْرَةَ، وَعَزَمَ عَلَى الْوَفَاءِ بِنَذْرِهِ.

فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ: لَا تَذْبَحْهُ حَتَّى تُعْذَرَ فِيهِ، فَإِنْ كَانَ لَهُ فِدَاءٌ فَدَيْنَاهُ.

فَكَانَ يُقَدِّمُ عَشْرَةَ مِنَ الْإِبِلِ فَعَشْرَةٌ، وَيَقْتَرِعُ بَيْنَهَا وَيَبَيِّنُ مَنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ قُرْعَةُ الذَّبْحِ، فَلَمَّا بَلَغَ الْفِدَاءَ مَائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَقَعَتْ الْقُرْعَةُ عَلَى الْإِبِلِ، فَنَحَرَهَا قُرْبَانًا لِلَّهِ، وَأَنْجَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ وَالِدَ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَكَانَ ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ، أَبِيهِ وَجَدَهُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: «كَانَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ نُفَيْلٍ يُحْيِي الْمَوُؤُودَةَ، يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ: لَا تَقْتُلْهَا، أَنَا أَكْفِيكَ مَوُوتَهَا، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا تَرَعَّرَعَتْ قَالَ لِأَبِيهَا: إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مَوُوتَهَا».

وَكَانَ جَدُّ الْفَرْزَدَقِ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ فَاقْتَحَرَ بِشَعْرِهِ بِمَا كَانَ يَفْعَلُ جَدُّهُ. • ﴿... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١٣٧):

أَي: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانَهُ - أَنْ لَا يَفْعَلَ الشَّيَاطِينُ الشُّرَكَاءَ مَا زَيَّنُوهُ، وَأَنْ لَا يَفْعَلَ الْمُشْرِكُونَ مَا زَيَّنَ لَهُمْ مِنْ قَتْلِ أَوْلَادِهِمْ، لَسَلَبَهُمْ إِرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةَ وَلَجَعَلَهُمْ مَجْبُورِينَ، أَوْ لَمَنَعَهُمْ بِالْإِكْرَاهِ فَمَا اسْتَطَاعُوا تَنْفِيذَ مَا أَرَادُوا تَنْفِيذَهُ، وَلَكِنْ تَنَعَّدُوا بِهَذَا الْحُكْمِ مِنْ وَضْعِ شَيَاطِينِهِمْ وَوَضْعِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، وَلَا يَكُونُ لِلْجَزَاءِ مُقْتَضٍ يَقْتَضِيهِ مِنْ إِرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةَ.

وَأَمَّا مَنْ يَقْتُلُونَهُمْ مِنْ أَوْلَادِهِمْ، فَقَدْ سَبَقَ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ تَحْدِيدُ انْتِهَاءِ أَجَالِهِمْ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي قُتِلُوا فِيهِ.

فَاثْرَكُهُمْ يَا مُحَمَّدُ وَيَا حَامِلَ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمِّهِ وَمَا يَفْتَرُونَ مِنَ الْكَذِبِ وَمِنَ الْأَعْمَالِ الْمُبَايَنَةِ لِصِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، مَا دَامُوا قَدْ وَصَلُوا إِلَى دَرَكَةِ مَيُوسٍ مَعَهَا مَنْ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، وَلَمْ يَخْضَعُوا لِسُلْطَانِ حُكْمِ الْإِسْلَامِ، وَسُلْطَانِ حَاكِمِ مُسْلِمٍ مَأْمُورٍ بِتَطْيِيقِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ.

يَفْتَرُونَ: أَي: يَخْتَلِقُونَ الْكَذِبَ وَيَضْطَنِعُونَهُ عَنْ عَمْدٍ، وَيَعْتَدُونَ عَلَى حَقِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعَ بَيَانَ بَعْضِ قَبَائِحِ الْمُشْرِكِينَ، فِي افْتِرَائِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ بِأَحْكَامٍ تَشْرِيعِيَّةٍ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ:

● ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرِّثُ حِجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ طُحُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْثُرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِثَّةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾:

في هذا النَّصَرِ بَيَانُ أَحْكَامِ جَاهِلِيَّةٍ حَلَّلَ فِيهَا الْمُشْرِكُونَ وَحَرَّمُوا مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ صَاحِبُ الْحَقِّ فِي التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُشَارِكَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ فِي إِلَهِيَّتِهِ.

حِجْرٌ: مَصْدَرُ «حَجَرَ الشَّيْءَ عَلَى نَفْسِهِ، يَحْجُرُهُ، حَجْرًا» أَي: مَنَعَ غَيْرَهُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ. وَ«حَجَرَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ، يَحْجُرُهُ حَجْرًا» أَي: مَنَعَهُ مِنْهُ.

ولفظ «حِجْرٌ» هُنَا بِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ، أَي: مَحْجُورٌ، بِمَعْنَى «مَمْنُوعٌ» وَهُوَ يُسَاوِي كَلِمَةَ «حَرَامٌ».

فَحَرَّمُوا أَنْعَامًا، وَحَرَّمُوا حَرِثًا، وَجَعَلُوهَا لِأَصْنَامِهِمْ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِزَعْمِهِمْ إِلَّا مَنْ يَشَاءُونَ. وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ أَحْكَامٌ جَاهِلِيَّةٌ كَانُوا يَفْتَرُونَهَا عَلَى اللَّهِ.

وَحَرَّمُوا رُكُوبَ بَعْضِ الْأَنْعَامِ، وَكَانُوا يَذْبَحُونَ لِأَوْثَانِهِمْ أَنْعَامًا فَلَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا يَذْكُرُونَ عَلَى ذَبْحِهَا أَسْمَاءَ أَوْثَانِهِمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

وَجَعَلُوا بَعْضَ مَا فِي بُطُونِ الْأَنْعَامِ مِنْ أَجِنَّةٍ قَبْلَ أَنْ تُوَلَّدَ حَلَالًا لِلذُّكُورِ، وَحَرَامًا عَلَى الْإِنَاثِ، إِلَّا إِذَا كَانَ مِثَّةً فَهُوَ حَلَالٌ لِلذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ.

• ﴿خَالِصَةً لِّلذُّكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَیَّ الزَّوْجِنَا﴾: أي: أَنْعَامٌ خَالِصَةٌ الْحِلُّ لِّلذُّكُورِنَا، وَمُحَرَّمٌ عَلَیَّ نِسَائِنَا، لَفْظُ الْأَنْعَامِ يُذَكَّرُ وَيؤنَّثُ، فَرُوعِي فِي ﴿خَالِصَةً﴾ تَأْنِيثُهُ، وَرُوعِي فِي ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ تَذْكِيرُهُ.

• ﴿... سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١٣٨): أي: سَيَجْزِيهِمُ اللَّهُ جَزَاءً عَقَابِيًّا بِسَبَبِ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ عَلَيْهِ، فِي أَحْكَامِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الَّتِي هِيَ حَقٌّ رَبُّوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ.

• ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (١٣٩): أي: سَيَجْزِيهِمُ اللَّهُ جَزَاءً بِالْعَدْلِ، مُطَابِقًا لِّوَصْفِهِمُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ مُفْتَرِينَ عَلَى حَقِّ رَبُّوبِيَّتِهِ وَحَقِّ إِلَهِيَّتِهِ.

• ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾: أي: إِنَّهُ بِحُكْمَتِهِ السَّامِيَةِ يَضَعُ الْجَزَاءَ بِالْعَدْلِ فِي الْمَوْضِعِ الْمَلَائِمِ تَمَامًا لِّوَضْعِهِ.

• ﴿عَلِيمٌ﴾: أي: كَامِلُ الْعِلْمِ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، فَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا فِي أَحْكَامِهِ، وَلَا فِيمَا يُجَازِيهِ بِهِ.

وَحَرَّمَ الْمُشْرِكُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بَعْضَ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ أَنْعَامٍ افْتِرَاءً عَلَيْهِ، وَقَدْ جَاءَ تَفْصِيلٌ لِلْأَنْعَامِ الَّتِي حَرَّمُوهَا فِي سُورَةِ (المائدة/ ٥ مصحف/ ١١٢ نزول) فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا:

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِغٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَذَّبَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١١٣):

الْبَحِيرَةُ:

هِيَ مَشْقُوقَةُ الْأُذُنِ مِنَ الْأَنْعَامِ، فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى «مَفْعُولَةٌ» الْبَحْرُ عِنْدَ الْعَرَبِ: شَقُّ الْأُذُنِ.

وفي الْبَحِيرَةِ الْمُحَرَّمَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ ثَلَاثَةٌ أَقْوَال:



**القول الأول:** قال الشافعي: كان العرب إذا نتجت الناقة عندهم خمسة أبطن إناثاً، بحرّوا أذنّها فحرّمت.

**القول الثاني:** كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن، فإن كان الخامس ذكراً بحرّوا أذنّه، فأكله الرجال والنساء، وإن كان الخامس أنثى بحرّوا أذنّها، وكانت حراماً على النساء لحمها ولبنها.

**القول الثالث:** كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن، شقّوا أذنّها وحرّموا ركوبها وحرّموا لبنها.

**أقول:** لعلّ كلّ هذه الصور كانت عند أهل الجاهليّة من العرب.  
السّائبة:

هي الناقة أو البعير تُسيّب بنذرٍ ينذرُهُ مالِكُها، فلا تُحبسُ عن رعي ولا ماءٍ، ولا يركبُها أحد.

**وقيل:** هي الناقة التي تُسيّب لله فلا قيّدَ عليها، ولا راعي لها.  
**وقيل:** هي التي تابعت بينَ عشرٍ إناثٍ ليسَ بينهنَّ ذكر، فعند ذلك تُسيّب، فلا يركبُ ظهرُها، ولا يُجزّ وِبرُها، ولا يشربُ لبنها إلا ضيف.  
الوصيلة:

هي الناقة إذا ولدت أنثى بعد أنثى. **وقيل:** هي الشاة كانت إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم، وإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها فلم يذبّحوه الذكّر لآلهتهم.  
إلى غير ذلك من أقوالٍ تتضمّن أحكاماً جاهليّة ما أنزل الله بها من سلطان.

الحامي:

هو الفحل إذا ركب ولدٌ ولده. **وقيل:** هو الذي يُنتج من صلبه عشرة أبطن. قالوا: قد حمى ظهره، فلا يركب، ولا يُمنع من كلاً.

ومن هذا نُدرِكُ أَنَّ كُلَّ تَحْرِيمٍ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْأَلْبَسَةِ وَالْمَسَاكِينِ دُونَ إِذْنِ شَرْعِيٍّ، وَلَيْسَ لِلْمُحَرَّمِ فِيهِ بُرْهَانٌ مِنَ اللَّهِ، هُوَ افْتِرَاءٌ عَلَى اللَّهِ، وافتتاتٌ في الدين، والتَّدْرُعُ بِبَعْضِ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ، أَوِ الَّتِي لَا تَقْوَى عَلَى إِبْثَاتِ حُكْمِ التَّحْرِيمِ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ هَذَا الدَّرْسِ، تَعْقِيبًا عَلَى مَا سَبَقَ بَيَّانُهُ فِيهِ مِنْ أَحْكَامٍ وَأَعْمَالٍ جَاهِلِيَّةٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ:

• ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١٤٠):

الخاسر: يَأْتِي فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى الْمَغْبُونِ فِي تِجَارَتِهِ، وَبِمَعْنَى الْهَالِكِ، وَبِمَعْنَى الضَّالِّ، وَهَذِهِ الْمَعَانِي كُلُّهَا تَنْطَبِقُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ فِي الْآيَةِ.

﴿سَفَهًا﴾: السَّفَهُ: نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَالْخَفَّةُ، وَالطَّيْشُ، وَمُجَانَبَةُ الرُّشْدِ فِي الْقَوْلِ أَوْ الْعَمَلِ. وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَقْتُلُونَ أَوْلَادَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى مَا سَبَقَ بَيَّانُهُ قَدْ كَانُوا سَفَهَاءَ، وَكَانَتْ تَصَرُّفَاتُهُمْ غَيْرَ مَبْنِيَّةٍ عَلَى عِلْمٍ. وَكَذَلِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ فِي الْأَحْكَامِ، فَيُحَرِّمُونَ بَعْضَ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا أَحْكَامُ إِلَهِيَّةٍ.

فَهُمْ خَاسِرُونَ إِذْ عَرَّضُوا أَنْفُسَهُمْ لِعَذَابِ اللَّهِ، وَهُمْ سَفَهَاءُ نَاقِضُوا الْعَقْلَ مُجَانِبُوا مَنَهَجَ الرُّشْدِ، وَهُمْ ضَالُّونَ عَنْ صِرَاطِ الْحَقِّ.

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: أَي: وَمَا كَانَ لَدَيْهِمُ الْإِسْتِعْدَادُ لِأَنْ يَهْتَدُوا مُسْتَقْبَلًا، إِذْ رَفَضُوا الْحَقَّ مُعَانِدِينَ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الأنعام).

والحمد لله على معونته ومدِّه وتوفيقه وفتحهِ.



(٣٤)

## التدبر التحليلي للدرس الثلاثين من دروس سورة (الأنعام)

(الآيات من (١٤١ - ١٤٧)

قال الله عز وجل:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا  
 أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَامَ مُتَشَكِّبًا وَغَيْرَ مُتَشَكِّبٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ  
 وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ  
 الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِنَّمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ  
 إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَنِيَّةٌ أَزْوَاجٌ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ  
 قُلْ لِلذَّكَرَيْنِ حَرَمٌ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِيُّنِي يَعْلَمُ  
 إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ لِلذَّكَرَيْنِ  
 حَرَمٌ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ  
 وَصَّلَكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ  
 بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ  
 إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ  
 خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا  
 عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلُّ ذِي  
 طُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمَا عَلَيْهِمْ شُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ طُهُورُهُمَا  
 أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِنْ  
 كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ  
 الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

القراءات:

(١٤١) • قرأ نافع، وابن كثير: [أَكْلُهُ] بِإِسْكَانِ الْكَافِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [أَكُلُهُ] بضم الكاف.

وهما لغتان بمعنى الثمر.

(١٤١) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [مِنْ ثَمَرِهِ] بضمّ الثاء

والميم.

وقراها باقي القراء العشرة: [مِنْ ثَمَرِهِ] بفتح الثاء والميم.

وهما لغتان عربيّتان، جمع «ثَمَرَة».

(١٤١) • قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، ويعقوب: [حَصَادِهِ]

بفتح الحاء.

وقراها باقي القراء العشرة: [حَصَادِهِ] بكسر الحاء.

وهما لغتان عربيّتان.

(١٤٢) • قرأ نافع، والبرقي، وأبو عمرو، وشعبة، وحمزة، وخلف:

[خُطَوَاتٍ] بإسكان الطاء.

وقراها باقي القراء العشرة بضمّ الطاء: [خُطَوَاتٍ].

وهما لغتان عربيّتان.

(١٤٣) • قرأ السوسي، وأبو جعفر: [الضَّانِ] بإبدال الهمزة ألفاً.

وقراها باقي القراء العشرة: [الضَّانِ] بالهمزة الساكنة على الأصل.

(١٤٣) • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: [الْمَعَزِ] بفتح

العين.

وقراها باقي القراء العشرة بإسكان العين: [الْمَعَزِ].

وهما لغتان عربيّتان.

(١٤٣) • قرأ أبو جعفر: [نَبُونِي].

وقراها باقي القراء العشرة: [نَبُونِي].

وهما نُطْقَانِ عَرَبِيَّانِ.

(١٤٥) • قرأ ابن عامر: [إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَيِّتَةً] على اعتبار فعل الكون

تَامًّا، وبتخفيف الياء مِنْ «مَيِّتَةٍ».

وقراها أبو جَعْفَر: [إِلَّا تَكُونَ مَيِّتَةً] على اعتبار فعل الكون تَامًّا،

وَبَشْدِيدِ الياء مِنْ «مَيِّتَةٍ».

وقراها ابن كثير وَحَمْزَةً: [إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَيِّتَةً] على اعتبار فعل الكون

فَعْلًا ناقصًا، وبتخفيف الياء مِنْ «مَيِّتَةٍ».

وقراها باقي القراء العشرة: [إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيِّتَةً] على اعتبار فعل

الكون فَعْلًا ناقصًا، وبالياء بَدَلَ التاء منه، وبتخفيف الياء مِنْ مَيِّتَةٍ. وهي  
وُجُوه جائزة مُتَكَافِئَةٌ.

(١٤٥) • قرأ أبو عَمْرٍو، وعاصم، وحمزة، وَيَعْقُوب: [فَمِنْ

اضْطُرَّ].

وقراها أبو جَعْفَر: [فَمِنْ اضْطُرَّ].

وقراها باقي القُرَّاء العشرة: [فَمِنْ اضْطُرَّ]. وهي لُغَاتٌ عَرَبِيَّةٌ.

(١٤٧) • قرأ السُّوسِي، وأبو جعفر: [بَاسَهُ] بإبدال الهمزة أَلِفًا.

وكذلك حَمْزَةً فِي الْوَقْفِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [بَاسَهُ] بالهمزة السَّائِكة على الأَصْلِ دُونِ

إِبْدَالِ.

تمهيد:

آيات هذا الدرس من فروع السَّاقِ الْأَوَّلِ أيضاً مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ. وفيها بيان أحكام الله فيما أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ. وبيان مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَنْعَامِ.

وفيها التَّحْذِيرُ مِنْ اتِّبَاعِ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ بِتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنْهَا، كَمَا فَعَلَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ الَّذِينَ سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْهُمْ فِي الدَّرْسِ السَّابِقِ.

وفيها تَكْلِيفُ اللَّهِ رَسُولَهُ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا سَبَقَ أَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَأْنِ الْمَطَاعِمِ فِي رِسَالَتِهِ وَمَا قَبْلَهَا مِنْ أَحْكَامٍ، وَمَا يَقُولُهُ لَهُمْ إِنْ كَذَّبَهُ الْكَافِرُونَ مِنْ إِنْذَارٍ بِعِقَابِهِ.

التدبر التحليلي:

قول الله تعالى:

• ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاتُ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾:

قيل: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَدَنِيَّةٌ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِيهَا: ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ دَالًّا عَلَى الزَّكَاةِ الَّتِي فُرِضَتْ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ.

وَالرَّاجِحُ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ إِذْ رُوِيَ أَنَّ سُورَةَ (الأنعام) نَزَلَتْ فِي مَكَّةَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِيهَا: ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: وَآتُوا الْحَقَّ الْمُتَعَارَفَ لَدَيْكُمْ أَنْ تُؤَدُّوهُ لِلْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ الْحَصَادَ يَوْمَ حَصَادِهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَمْرُ أَمْرًا إيجابيًا قَبْلَ فَرَضِ الزَّكَاةِ ذَاتِ الْمَقْدَارِ الْمُحَدَّدِ، وَأَنْ

يَكُونُ أَمْرٌ نَذَبٌ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَحَدَّثَ فِي الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ عَنِ الزَّكَاةِ فِي نُصُوصٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ سُورٍ مَكِّيَّةٍ، وَجَعَلَهَا مُقَارِنَةً لِلصَّلَاةِ، وَهَذَا يُرْجَحُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْجَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَبْذُلُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَذَوِي الْحَاجَاتِ، مُنْذُ الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ، إِلَّا أَنَّ تَحْدِيدَ الْمَقْدَارِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُنْفِقُوهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ قَدْ تَأَخَّرَ إِلَى السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْعَهْدِ الْمَدَنِيِّ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ وَاجِبَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ مُنْذُ أَوَائِلِ الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ، حَتَّى فَرَضَ اللَّهُ عِدَدَهَا وَأَوْقَاتَهَا فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ، وَنَزَلَتْ بِشَأْنِهِ أَوَائِلُ سُورَةِ (الْإِسْرَاءِ/ ٥٠ نزول).

• ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾:

الإنشاء: الإحداثُ المصْحُوبُ بالتكاملِ المتدرِّجِ غالباً.

جَنَّاتٍ: جَمْعُ «جَنَّةٍ» وهي مَا يَحْتَوِي عَلَى أَشْجَارٍ وَثِمَارٍ وَزُرُوعٍ وَمِيَاهٍ، جَارِيَةٍ.

مَعْرُوشَاتٍ: أي: قَدْ صُنِعَ لِأَغْصَانِ أَشْجَارِهَا عَرِيشٌ، تَمْتَدُّ عَلَيْهِ، فَتَكُونُ مُظَلَّلَةً لِمَا تَحْتَهَا. يقال لغة: «عَرَشَ فُلَانٌ، يَعْرِشُ، عَرِيشًا» أي: بَنَى عَرِيشًا. الْعَرِيشُ: مَا يُسْتَقَلُّ بِهِ، وَمَا عُرِشَ لِلْكَرَمِ، وَيُقَالُ لُغَةً: «عَرِشَ الْكَرَمِ يَعْرِشُهُ عَرِيشًا، وَعُرُوشًا، فَهُوَ مَعْرُوشٌ» أي: رَفَعَ أَغْصَانَهُ عَلَى الْخَشَبِ، فَجَعَلَهَا عَرِيشًا.

وَالْمَعْنَى: وَاللَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي خَلَقَ ضِمْنَ نِظَامِ الْإِنْشَاءِ الْمَتَدَرِّجِ تَنَامِيًّا، بَسَاتِينَ لِلنَّاسِ، ذَوَاتِ أَشْجَارٍ مَعْرُوشَاتٍ مُمْتَدَّاتٍ عَلَى الْعُرُشِ الَّتِي صُنِعَتْ لَهَا بِالْهَامِ اللَّهُ، وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ لِأَنَّ سُوقَهَا قَادِرَةٌ عَلَى رَفْعِ فُرُوعِهَا وَأَغْصَانِهَا الْمُمْتَدَّةِ فِي جَوْ السَّمَاءِ، أَوْ لِأَنَّهَا تَمْتَدُّ فُرُوعُهَا عَلَى الْأَرْضِ كَالْفَصِيلَةِ الْقَرْعِيَّةِ.

• ﴿... وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاتُ مُتَشَكِّبًا وَغَيْرَ

مُتَشَكِّبَةً كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ .

سَبَقَ فِي الْآيَةِ (٩٩) مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ بَيَانٌ يُشَبِّهُ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، إِلَّا أَنَّ الْآيَةَ (٩٩) جَاءَتْ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَةِ اللَّهِ، وَإِتْقَانِ صُنْعِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَلِبَيَانِ أَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي لَا رَبَّ فِي الْوُجُودِ غَيْرُهُ، فَلَا إِلَهَ فِي الْوُجُودِ بِحَقِّ إِلَّا هُوَ.

أَمَّا مَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ (١٤١) فَقَدْ جَاءَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى مَنَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، فِيمَا خَلَقَ لَهُمْ، وَدَعَاهُمْ إِلَى مَائِدَةٍ كَوْنِهِ فِيمَا أَنْشَأَ لَهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ، لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرَاتِ أَشْجَارِهَا وَزُرُوعِهَا، وَأَمْرَهُمْ بِأَنْ يُؤْتُوا حَقَّ مَا أَخْرَجَ لَهُمْ يَوْمَ حَصَادِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْإِسْرَافِ وَأَبَانَ لَهُمْ أَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ - لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ.

• ﴿وَالنَّخْلَ﴾: سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنِ النَّخْلِ فِي تَدْبِيرِ الْآيَةِ (٩٩) مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ.

• ﴿وَالزَّرْعَ﴾: هُوَ كُلُّ مَا يُزْرَعُ مِنَ الْحَبِّ وَيُنْبِتُ خَضِرًا وَحَبًّا، وَقَدْ غَلَبَ اسْمُ «الزَّرْعِ» عَلَى الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ، وَجَمْعُهُ «الزُّرُوعُ» وَالْمَرَادُ هُنَا نَبَاتُ كُلِّ شَيْءٍ، فَالنَّبَاتَاتُ كُلُّهَا فِيمَا نَعْلَمُ ذَوَاتُ حَبٍّ يُزْرَعُ.

• ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾: أَي: حَالَةٌ كَوْنِ كُلِّ مِنْهُمَا مُخْتَلِفًا مَا يُؤْكَلُ مِنْهُ شَكْلًا وَلَوْنًا وَطَعْمًا وَخَصَائِصَ.

• ﴿وَالزَّمِنَ وَالزَّمَانَ﴾: سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْهُمَا فِي تَدْبِيرِ الْآيَةِ (٩٩) مِنَ السُّورَةِ.

• ﴿مُتَشَكِّبَةً وَغَيْرَ مُتَشَكِّبَةٍ﴾: أَي: مُتَقَارِبَ الصِّفَاتِ دُونَ تَطَابُقِ، وَغَيْرَ مُتَقَارِبِ الصِّفَاتِ، فَلَا يَلْتَبَسُ عَلَى النَّازِلِ وَالْمَجْرِبِ الْإِفْتِرَاقُ فِي الصِّفَاتِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ.



يُقَالُ لغة: «تَشَابَهَ الشَّيْئَانِ فَهُمَا مُتَشَابِهَانِ» أي: أَشْبَهَ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ حَتَّى التَّبَسَّا عَلَى مُدْرِكِهِمَا.

وبَقِيَّةُ الْبَيَانِ التَّدْبِيرِيُّ يَجِدُهُ الْقَارِئُ فِي تَدَبُّرِ الْآيَةِ (٩٩) مِنَ السُّورَةِ.

• ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾: دَعْوَةٌ تَكْرِيمِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ الْجَوَادِ الْمَنَّانِ، إِلَى الْأَكْلِ مِنْ مَا بَدَتْهُ الَّتِي نَشَرَهَا وَنَثَرَهَا فِي الْبَسَاتِينِ، أَشْجَارِهَا وَزُرُوعِهَا.

• ﴿وَأَتَاوْا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: أي: وَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالزُّرُوعِ الَّتِي أَنْشَأَهَا لَكُمْ، حَقًّا لِلْمَسَاكِينِ وَالْفُقَرَاءِ وَذَوِي الْحَاجَاتِ، وَلِلْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ وَلِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَاتُوا هَذَا الْحَقَّ يَوْمَ حَصَادِ ذَلِكَ الَّذِي أَنْشَأَهُ لَكُمْ.

الْحَصَادُ: بَفَتْحِ الْحَاءِ وَكَسْرِهَا، قَطْعُ الزَّرْعِ وَالنَّبَاتِ بِالْمَنْجَلِ، أَوْ بِأَيِّ آلَةٍ صَالِحَةٍ لِقَطْعِ الزُّرُوعِ.

• ﴿... وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾:

الإِسْرَافُ: تَجَاوُزُ حَدِّ الْحَقِّ، أَوْ الْحِكْمَةِ، أَوْ الْعَقْلِ الرَّاجِحِ، وَهُوَ يَكُونُ فِي الْأَمْوَالِ، وَفِي الْأَعْمَالِ، مِنْهَا الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ، وَالْقَوْلُ، وَالْقَتْلُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

أي: وَلَا تُسْرِفُوا فِيمَا أَنْشَأَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَشْجَارٍ وَزُرُوعٍ وَثَمَارٍ، بِالْأَكْلِ، أَوْ الْإِنْفَاقِ أَوْ الْإِتْلَافِ أَوْ وَضْعِهِ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، فَالْإِسْرَافُ لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، فَهُوَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. وَمَا لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَمَنْ لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ يُبْعِدُهُ عَنْ مَوَاطِنِ الْقُرْبِ مِنْهُ، وَمَوَاضِعِ تَنْزِلَاتِ عِنَايَاتِهِ بِعِبَادِهِ الْمُحِبُّوبِينَ لَدَيْهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا بَيَانًا بَعْضُ نَعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ مَعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ أَحْكَامٍ شَرْعِيَّةٍ، وَيُعْطَفُ عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانُهُ مِنْهَا:

• ﴿وَمِنَ الْإِنْعَامِ حُمُولَةٌ وَفَرَسٌ كَلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَنبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ تَمَنِّيَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالَّذِينَ حَرَمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَشْتَمَلْتَ عَلَيْهِمْ أَلَمْ تَكُنْ مِنْ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالَّذِينَ حَرَمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَشْتَمَلْتَ عَلَيْهِمْ أَلَمْ تَكُنْ مِنْ الْفَاسِقِينَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ :

• ﴿حُمُولَةٌ﴾: الْحُمُولَةُ: مَا أَطَاقَ الْعَمَلَ وَالْحَمْلَ، كَالِإِبِلِ وَالْبَقَرِ.

• ﴿وَفَرَسٌ﴾: الْفَرَسُ: مِنَ الْإِنْعَامِ الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ الْحَمْلَ وَالْعَمَلَ، كَالضَّأْنِ وَالْمَعْزِ، وَصِغَارِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ. وَيُطْلَقُ الْفَرَسُ عَلَى مَا يُتَّخَذُ مِنَ الْإِنْعَامِ مِنْ فَرَسٍ، كَجُلُودِهَا، وَمَا يُنْسَجُ مِنْ أَصَوَافِهَا، وَأَشْعَارِهَا، وَأَوْبَارِهَا.

في هذه الآيات يمتنُّ الله على النَّاسِ بِالْإِنْعَامِ الَّتِي خَلَقَهَا لَهُمْ، فَمِنْهَا مَا يَكْدَحُ لَهُمْ بِالْعَمَلِ كَالْحَرْثِ وَالْجَرِّ، وَبِالْحَمْلِ رُكُوبًا عَلَيْهَا، وَتَحْمِيلًا لِأَمْوَالِهِمُ الَّتِي يَنْقُلُونَهَا عَلَى ظُهُورِهَا.

وَيَدْعُو اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسَ لِأَنْ يَأْكُلُوا مِمَّا رَزَقَهُمْ مِنْ لَحْمِهَا وَمِنْ شَحْمِهَا.

وَيَنْهَاهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، فَيُحَرِّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَا لَمْ يُحَرِّمَهُ اللَّهُ، كَمَا فَعَلَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، الَّذِينَ حَرَّمُوا مِنَ الْإِنْعَامِ وَالْحَرْثِ مَا لَمْ يُنْزِلِ اللَّهُ بِهِ تَحْرِيمًا، مُتَّبِعِينَ فِي ذَلِكَ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، وَمِنْهُ مَا سَبَقَ بَيَانُهُ فِي الدَّرْسِ السَّابِقِ مِنْ دُرُوسِ السُّورَةِ.

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَهُ خُطُوَاتٌ فِي الْإِضْلَالِ وَالْإِغْوَاءِ، وَهُوَ يَنْقُلُ بِهَا فَرِيستَهُ دَرَكَةً فَدَرَكَةً، حَتَّى يُوصِلَهُ إِنْ اسْتَطَاعَ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ مُسْتَحَقِّي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

وَلَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ قَذْفَ فَرِيْسَتِهِ دُفْعَةً وَاحِدَةً إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ،  
بَيْنَمَا هُوَ فِي دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتٍ مَرْتَبَةِ الْمُتَّقِينَ .

وَيُبَيِّنُ اللَّهُ فِيهَا لِلنَّاسِ أَنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لَهُمْ وَاضِحُ الْعَدَاوَةِ، مِنْ  
خِلَالِ دَعْوَتِهِ إِلَى الْخُرُوجِ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي تَدْعُوهُمْ إِلَى  
سُلُوكِهِ فَطَرَهُمْ، وَشَرَائِعَ رَبِّهِمْ لَهُمْ، إِذَا كَانُوا سَالِكِينَ فِيهِ، أَوْ يَمْنَعُهُمْ مِنْ  
سُلُوكِهِ وَالْإِفْتِرَابِ مِنْهُ، إِذَا لَمْ يَكُونُوا قَدْ سَلَكَوْهُ بَعْدُ .

وَعَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ فِي عَرْضِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْتَهُ عَلَى النَّاسِ،  
بِالْأَنْعَامِ، ذَكَرَ أَنَّهَا ثَمَانِيَةُ أَزْوَاجٍ .

الرَّزْجُ: يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ اثْنَيْنِ مُقْتَرِنَيْنِ بِعِلَاقَةٍ مُشْتَرَكَةٍ بَيْنَهُمَا،  
كَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى مِنَ النَّوعِ أَوْ الصَّنْفِ الْوَاحِدِ .

فَالْأَزْوَاجُ الثَّمَانِيَةُ مِنَ الْأَنْعَامِ هِيَ مَا يَلِي:

(١) ذَكَرٌ وَأُنْثَى مِنَ الضَّأْنِ .

(٢) ذَكَرٌ وَأُنْثَى مِنَ الْمَعْزِ .

(٣) ذَكَرٌ وَأُنْثَى مِنَ الْإِبِلِ .

(٤) ذَكَرٌ وَأُنْثَى مِنَ الْبَقَرِ .

وَقَدْ فَصَلَ اللَّهُ لَدَى ذِكْرِ هَذِهِ الْأَزْوَاجِ بِفَاصِلٍ أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ  
يَقُولَ لِأَهْلِ الضَّأْنِ وَالْمَعْزِ:

﴿الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾! وَأَنْ  
يَقُولَ نَظِيرَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ .

وَالِاسْتِفْهَامُ هُنَا اسْتِفْهَامُ تَلْوِيمٍ وَتَعْجِيبٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، إِذْ لَا دَلِيلَ  
عِنْدَهُمْ يُثَبِّتُ أَنَّ اللَّهَ الرَّبَّ الْخَالِقَ حَرَّمَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، بِدَلِيلٍ عَقْلِيٍّ، أَوْ  
بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ مُنْزَلٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَبَلَّغَهُ رَسُولٌ مِنْ رُسُلِهِ الْمُؤَيَّدِينَ مِنْهُ  
بِالْخَوَارِقِ الْمُعْجَزَةِ، وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَةِ .

أَي: أَلَّذَكَرَيْنِ مِنَ الضَّأْنِ وَالْمَعَزِ، أَوْ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ، أَمْ الْأَنْثَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ الْأَرْبَعَةِ، حَرَّمَ اللَّهُ الْخَالِقَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَأْكُوا مِنْ لُحُومِهَا أَوْ شُحُومِهَا. أَمْ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ؟!

فَمَا لَكُمْ تَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ بِالْتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ اتِّبَاعاً لِحُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ، وَهِيَ أَحْكَامٌ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ؟!

إِنَّكُمْ لَا تَمْلِكُونَ دَلِيلًا عَقْلِيًّا وَلَا دَلِيلًا شَرْعِيًّا يُثَبِّتُ شَيْئًا مِنْ أَحْكَامِكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ. نَبِّئُونِي نَبَأًا مُؤَيَّدًا بِعِلْمٍ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بِأَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

وَتَتَّبِعَا لِنَفْسِي كُلِّ الْاِحْتِمَالَاتِ، ذَكَرَ اللَّهُ اِحْتِمَالًا وَاضِحَ السُّقُوطِ، وَهُوَ اِحْتِمَالُ أَنَّهُمْ كَانُوا شُهَدَاءَ حَاضِرِينَ وَصِيَّةَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ بِشَأْنِ الْأَنْعَامِ الَّتِي خَلَقَهَا لَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى:

• ﴿... أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا...﴾ ﴿١٤٤﴾ :

أَي: بَلْ. أَكُنْتُمْ شُهَدَاءَ حَاضِرِينَ سَامِعِينَ، تَنْقُلُونَ عَنِ اللَّهِ مُبَاشَرَةً، حِينَ وَصَّى اللَّهُ بِالْأَحْكَامِ الَّتِي زَعَمْتُمْ أَنَّهَا أَحْكَامُ رَبَّانِيَّةٍ تَلْتَزِمُونَ بِهَا.

إِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَدَّعُوا هَذَا، وَإِلَّا افْتَضَّحْتُمْ بِأَنَّكُمْ كَذَّابُونَ تَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ بِوَقَاحَةٍ وَشَنَاعَةٍ، وَلَا يُصَدِّقُكُمْ بِهَا أَحَدٌ مِنْ أَتْبَاعِكُمْ.

• ﴿... فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾

﴿١٤٥﴾ ؟

اسْتَفْهَام يُرَادُ بِهِ النَّفْيُ، أَي: لَا يُوجَدُ أَشَدُّ ظُلْمًا مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، لِيُضِلَّ النَّاسَ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّهُمْ يُضِلُّونَ بِالْبَاطِلِ، مُزَيِّنًا بِزُخْرَفِ الْقَوْلِ.

قَدْ يُوجَدُ مَنْ يُسَاوِيهِ فِي الظُّلْمِ، وَلَكِنْ لَا يُوجَدُ أَظْلَمُ مِنْهُ إِضْلَالًا وَكُفْرًا.

• ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٤): أي: إِنَّ اللَّهَ لَا يُجْبِرُ الظَّالِمِينَ عَلَى أَنْ يَكُونُوا مَهْدِيِّينَ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحْكُمُ لِلظَّالِمِينَ بِأَنَّهُمْ مَهْدِيُّونَ، بَلْ يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ، وَسَوْفَ يُجَازِيهِمْ يَوْمَ الدِّينِ بِحَسَبِ دَرَكَةِ ظُلْمِهِمْ، فِي دَرَكَاتٍ جَهَنَّمَ دَارِ عَذَابِ الْمُجْرِمِينَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَا مُرُّ رَسُولُهُ بِأَنْ يَقُولَ لِلْمُشْرِكِينَ الْمَعْنِيِّينَ بِالْمُعَالَجَةِ إِبَانَةَ تَنْزِيلِ السُّورَةِ، وَهُوَ قَوْلٌ عَامٌّ لِكُلِّ النَّاسِ:

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤٥) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (١٤٦) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرْدُّ بِأَسْفُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٤٧):

أي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: لَا أَجِدُ فِي كُلِّ مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا مِنْ مَطَاعِمِ اللَّحُومِ وَالشُّحُومِ الْحَيَوَانِيَّةِ، فِي الْإِسْلَامِ، وَفِي الرِّسَالَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ السَّابِقَةِ لِهَذِهِ الرِّسَالَةِ الَّتِي أَنَا مُكَلَّفٌ أَنْ أُبَلِّغَهَا لِلنَّاسِ، حَتَّى إِنْزَالِ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ) إِلَّا مَا يَلِي:

(١) الْمَيْتَةُ الَّتِي تَمُوتُ حَتْفَ أَنْفِهَا أَوْ بِحَدَثٍ يَحْدُثُ لَهَا غَيْرِ الذَّكَاءِ، بِالذَّبْحِ أَوْ بِالنَّحْرِ الْمَعْرُوفَيْنِ الَّذِينَ يَخْرُجُ بِهِمَا دَمُ الْحَيَوَانِ مِنْ أَوْرِدَةِ رَقَبَتِهِ.

(٢) الدَّمُ الْمَسْفُوحُ السَّائِلُ، وَهُوَ غَيْرُ الْمُتَبَقِّي فِي لَحْمِ الْحَيَوَانِ بَعْدَ ذَبْحِهِ أَوْ نَحْرِهِ، وَغَيْرِ الْمُتَمَاسِكِ فِي الْكَبِدِ وَالطَّحَالِ.

(٤) لَحْمِ الْخَنزِيرِ الشَّامِلُ لِشَحْمِهِ، فَهُوَ رَجَسٌ نَجِسٌ، وَلَا تُطَهَّرُهُ ذَكَاةٌ وَلَا وَسَائِلُ أُخْرَى.

(٥) كُلُّ مَا أَهْلًا بِهِ لِعَیْرِ اللَّهِ، وَهُوَ كُلُّ مَا أَعْلَنَ ذَابِحُهُ أَوْ نَاجِرُهُ أَوْ صَائِدُهُ أَنَّهُ يُقَدِّمُهُ قُرْبَانًا لِعَیْرِ اللَّهِ.

أَصْلُ مَعْنَى إِهْلَالِ الذَّابِحِ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ ذَاكِرًا اسْمَ مَنْ يُقَدِّمُ ذَبِيحَتَهُ قُرْبَانًا لَهُ.

لِأَنَّ الذَّبْحَ لِاسْمِ غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ فَسُقُ مِنْ دَرَكَةِ الشَّرِكِ بِاللَّهِ، وَالذَّبِيحَةُ الْمَذْبُوحَةُ لِعَیْرِ اسْمِ اللَّهِ حُكْمُهَا كَحُكْمِ الْمَيْتَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ الرَّبَّ هُوَ مَالِكُ كُلِّ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ، وَهُوَ الَّذِي لَهُ الْحَقُّ فِي إِبَاحَةِ الْأَكْلِ مِنْهَا، وَقَدْ حَرَّمَ أَنْ يُذْبَحَ أَوْ يُقْتَلَ شَيْءٌ مِنْهَا لِاسْمِ غَيْرِ اسْمِهِ، وَحَرَّمَ أَنْ يُؤْكَلَ مِمَّا ذُبِحَ لِعَیْرِ اسْمِهِ.

وَأَتَّبَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيَانَ هَذِهِ الَّتِي حَرَّمَ أَنْ يُؤْكَلَ مِنْهَا بِقَوْلِهِ:

• ﴿... فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤٥):

المُضْطَرُّ: ذُو الْحَاجَةِ الْبَالِغَةِ الشَّدَّةِ، أَصْلُ الْفِعْلِ: «اضْطَرَّ» قُلِبَتْ التَّاءُ طَاءً، وَفَقِ الْقَاعِدَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي قَلْبِ تَاءِ «افْتَعَلَ» الْمَزِيدُ بِالتَّاءِ.

• ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾: أَي: فَمَنْ اضْطُرَّ إِلَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ لِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ مَا يَدْفَعُ ضَرُورَتَهُ إِلَّا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا.

• ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: أَي: حَالَةَ كَوْنِهِ غَيْرَ بَاغٍ. الْبَاغِي: هُوَ الْمُتَجَاوِزُ لِلْحَدِّ الْمَأْدُونِ بِهِ شَرْعًا فِي سُلُوكِهِ الْإِرَادِي.

• ﴿وَلَا عَادٍ﴾: أَي: وَحَالَةَ كَوْنِهِ غَيْرَ عَادٍ. الْعَادِي: الظَّالِمُ مُتَجَاوِزُ الْحَدِّ الْمَأْدُونِ شَرْعًا فِي سُلُوكِهِ الْإِرَادِي.

وَنَظَرًا إِلَى التَّفَارُقِ الشَّدِيدِ بَيْنَ مَعْنَى «الْبَاغِي» وَمَعْنَى «الْعَادِي» فَالَّذِي

أَرَاهُ أَنَّ الْبَاغِي يُرَادُ بِهِ الْوَاحِدُ مِنَ الْبُعَاةِ، وَهُمْ الْخَارِجُونَ عَلَى السُّلْطَةِ  
الْإِدَارِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ لِسَلْبِ الْحُكْمِ مِنْ أَهْلِهِ، أَوْ لِلسُّطُو عَلَى النَّاسِ وَسَلْبِ  
أَمْوَالِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ. أَمَّا الْعَادِي فَيُرَادُ بِهِ الَّذِي يَتَجَاوَزُ حُدُودَ اللَّهِ حِينَ يَضْطَرُّ  
أَنْ يَأْكُلَ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، فَيَأْكُلُ مِنْهُمْ وَإِسْرَافٍ أَكْثَرَ مِمَّا يَدْفَعُ بِهِ ضَرُورَتَهُ.

فَالْبَاغِي الْخَارِجُ عَلَى السُّلْطَةِ الْإِدَارِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَالْقَائِمُ  
بِأَعْمَالِ السُّطُو الْحَرَامِ، لَا يُبَاحُ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ  
مِنَ الْمَطَاعِمِ، لِأَنَّهُ عَاصٍ فِي خُرُوجِهِ الَّذِي أَفْضَى بِهِ إِلَى ضَرُورَتِهِ.

وَمَنْ يُبَاحُ لَهُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ أَنْ يَأْكُلَ مِنَ الْمَطَاعِمِ الْمُحَرَّمَةِ لَيْسَ لَهُ أَنْ  
يَسْتَزِيدَ مِنَ الْأَكْلِ أَكْثَرَ مِمَّا يَدْفَعُ الضَّرُورَةُ الَّتِي يَقْدَرُهَا، وَهُوَ مُنْقَطِعٌ عَنِ  
الْمُبَاحَاتِ مِنَ الْمَأْكَلِ مَحْرُومٌ مِنْهَا.

• ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤٥): جَاءَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي آخِرِ الْآيَةِ  
لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْمُضْطَرَّ قَدْ يَسْتَزِيدُ مِمَّا يَأْكُلُ أَكْثَرَ مِمَّا يَدْفَعُ بِهِ ضَرُورَتَهُ،  
لِأَنَّهُ يَعْسُرُ عَلَيْهِ ضَبْطُ مِقْدَارِ مَا يَدْفَعُ بِهِ ضَرُورَتَهُ، أَوْ يَعْسُرُ عَلَيْهِ ضَبْطُ شَهْوَةِ  
نَفْسِهِ عِنْدَ الْحَدِّ الْمَأْدُونِ بِهِ شَرْعًا، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ، لِأَنَّهُ غَفُورٌ، كَثِيرُ  
الْغُفْرَانِ وَعَظِيمُهُ، وَهَذَا مِنْ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ، عَلَى أَنْ أَضْلَحَ حُكْمَ الْإِبَاحَةِ  
عِنْدَ الضَّرُورَةِ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَأَمَّا مَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ الْيَهُودَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ زِيَادَةً عَلَى الْمُحَرَّمَاتِ  
الْخَمْسَةِ الَّتِي سَبَقَ بَيَانُهَا، فَقَدْ كَانَ بِسَبَبِ بَعْثِهِمْ وَظُلْمِهِمْ مَعَ أَنَّهَا مِنَ  
الطَّيِّبَاتِ الَّتِي لَيْسَ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ أَنْ يُحَرِّمَهَا فِي كُلِّ رِسَالَتِهِ لِلنَّاسِ،  
فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

• ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ  
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ  
ذَلِكَ جَزَاءُهم بِبَعْثِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ (١٤٦).

﴿هَادُوا﴾: أي: صَارُوا يَهُودًا.

وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول) أَنَّهَا طِبَبَاتٌ كَانَتْ حَلَالًا فِي أَصْلِ الشَّرِيعَةِ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ جَرَائِمِهِمُ الْكَثِيرَةِ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿فَيُظَلِّمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبَبَتْ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَيَصِدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ ﴿١٦١﴾﴾.

فَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي آيَةِ (الأنعام) أَنَّهُ حَرَّمَ عَلَى الْيَهُودِ خَاصَّةً بِسَبَبِ بُغْيِهِمْ، الَّذِي جَاءَ تَفْصِيلُهُ فِي نَصِّ سُورَةِ (النساء) مَا يَلِي:

(١) كُلُّ ذِي ظُفْرٍ، وَهُوَ الْعَظْمُ الَّذِي يَكُونُ فِي مُتَنَهَى أَصَابِعِ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ، وَهُوَ يَشْمَلُ الْمَخَالِبَ. الْمِخْلَبُ: ظُفْرُ كُلِّ سَبْعٍ مِنَ الْمَاشِيِّ، وَالطَّائِرِ.

(٢) شُحُومُ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، إِلَّا الشُّحُومَ الَّتِي عَلَى ظُهُورِهِمَا، وَالشُّحُومَ الَّتِي تَكُونُ حَوْلَ الْحَوَايَا، وَهِيَ الْأَمْعَاءُ، مُفْرَدُهَا «حَاوِيَاءُ»، وَإِلَّا الشُّحُومَ الَّتِي اخْتَلَطَتْ بِعَظْمٍ، أَيْ: اسْتَدَارَتْ وَالتَّقَّتْ أَوْ التَّصَقَّتْ بِعَظْمٍ. فَهَذِهِ مُسْتَشْنَاءَةٌ مِنْ حُكْمِ تَحْرِيمِ الشُّحُومِ عَلَيْهِمْ.

• .. ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبُغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ (١٤٦): أي: ذَلِكَ التَّحْرِيمُ الْمَشَدَّدُ عَلَيْهِمْ جَزَيْنَاهُمْ بِهِ جَزَاءً عِقَابِيًّا بِسَبَبِ بُغْيِهِمْ، وَهُوَ تَجَاوُزُهُمُ الْحُدُودَ الَّتِي أَمَرْنَاهُمْ أَنْ لَا يَعْتَدُوهَا، فَاعْتَدَوْا وَبَعُوهَا.

وَجَاءَ تَفْصِيلُ لِبُغْيِهِمْ هَذَا فِي النَّصِّ الَّذِي جَاءَ فِي سُورَةِ (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول) وفيه ما يَلِي:

(١) صَدَّاهُمْ الْكَثِيرُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ صِرَاطُ دِينِهِ الْمُسْتَقِيمِ عَقِيدَةً وَعَمَلًا وَخُلُقًا، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.



(٢) أَخَذَهُمُ الرَّبُّا وَقَدْ نَهَاَهُمُ اللهُ عَنْهُ .

(٣) أَكَلَهُمُ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ .

(٤) كُفِّرَ فَرِيقٍ مِنْهُم بِمَا شَرَعَ اللهُ لَهُمُ ، وَأَنْزَلَ عَلَى رُسُلِهِمُ .

وَأَخِيرًا يُخَاطَبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ بِقَوْلِهِ :

• ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرْدُ بِأَسْمُ عَنْ أَلْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٤٧) :

أي: فَإِنْ كَذَّبَكَ الْمَعْنِيُّونَ بِالْمُعَالَجَةِ وَغَيْرُهُمْ فَأَطْمَعَهُمْ بِرَحْمَتِنَا الْوَاسِعَةِ، إِذَا تَابُوا وَاسْتَغْفَرُوا وَأَمَنُوا وَأَسْلَمُوا، وَأَنْذَرَهُمْ بِأَسِنَا الشَّدِيدِ إِذَا أَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ لَكَ، وَأَنْتَ رَسُولُ رَبِّهِمْ تُبَلِّغُهُمْ مَا أَوْحَى بِهِ إِلَيْكَ، وَأَمَرَكَ بِأَنْ تُبَلِّغَهُمْ إِيَّاهُ .

• ﴿.. رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ ..﴾ : أي: رَبُّكُمْ الْخَالِقُ لَكُمْ، وَالَّذِي يُمِدُّكُمْ دَوَامًا بِعَطَاءَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَالْمُهَيِّمُ عَلَيْكُمْ دَوَامًا بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ الْكَثِيرَةِ، ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ، تَشْمَلُ كُلَّ مَنْ أَوَى إِلَى ظِلِّهَا، وَتُغِيثُ كُلَّ مُؤْمِنٍ اسْتَعَاثَ بِهَا، وَاسْتَظَرَ مِنْهَا عَطَاءَاتِ الرَّحْمَةِ .

﴿.. وَلَا يُرْدُ بِأَسْمُ عَنْ أَلْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٤٧) :

الْبَاسُ: الْعَذَابُ الشَّدِيدُ .

أي: وَالْمُجْرِمُونَ يُعَذِّبُهُمْ رَبُّكُمْ عَذَابًا شَدِيدًا، وَإِذَا قَضَى تَعْذِيبَهُمْ فَإِنَّ قَضَاءَهُ هَذَا لَا يُرْدُّ عَنْهُمْ رَادًّا، إِذْ لَا يُوجَدُ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ مَنْ يُرْدُ عَذَابَ الرَّبِّ الَّذِي يَقْضِيهِ بِعَذْلِهِ، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ .

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الثَّلَاثِينَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ) .  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ .



(٣٥)

## التدبر التحليلي للدرس الحادي والثلاثين من دُرُوس سورة (الأنعام) الآيات من (١٤٨ - ١٥٣)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا  
ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنَ الْقِبْلَةِ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا  
قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا  
تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلَمْ  
شَهِدْكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا  
تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَيِّنَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ  
يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴿١٥١﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ  
شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّهُمْ  
وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ  
اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَلَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥٢﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا  
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ وَالْيَتِيمَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفْ نَفْسًا  
إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ  
وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٣﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا  
السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَلَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٤﴾

### القراءات:

(١٤٨) • قرأ السُّوسِي، وأبو جعفر: [بَأْسَنَا] بإبدالِ الهمزة أَلِفًا.  
وكذلك قرأها حمزة في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [بَأْسَنَا] بالهمزة على الأَصْلِ دُونَ إِبْدَالِ.

(١٥٢) • قرأ حَفْص، وحمزة، والكِسَائِي، وخَلَف: [تَذَكَّرُونَ]

بتخفيف الدَّال.

وقرأها باقي القراء العشرة: [تَذَكَّرُونَ] بِتَشْدِيدِ الذال، أَصْلُهَا تَذَكَّرُونَ.

والقراءتان متكافئتان.

(١٥٣) • قرأ حَمْزَةً، وَالْكَسَائِي، وخلف: [وَأِنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا] بِكَسْرِ هَمْزَةٍ «إِنْ» وَإِسْكَانِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

وَلِخَلْفٍ عَنْ حَمْزَةٍ إِشْمَامُ الصَّادِ صَوْتُ الزَّايِ.

وقرأها ابن عامر: [وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا] بِأَنْ الْمُخَفَّفَةِ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَبِفَتْحِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ فِي الْوَصْلِ.

وَقَرَأَهَا رَوْحٌ: [وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا] بِأَنْ الْمُخَفَّفَةِ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَبِإِسْكَانِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

وقرأها قُنبُلٌ مِثْلَ قِرَاءَةِ رَوْحٍ وَلَكِنْ بِإِبْدَالِ صَادِ «صِرَاطِي» سِينًا.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا] بِفَتْحِ هَمْزَةٍ «أَنَّ» وَبِإِسْكَانِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

وَكُلُّهَا وَجُوهٌ عَرَبِيَّةٌ مُتَكَافِئَةٌ.

(١٥٣) • قرأ الْبَزْزِيُّ: [فَتَفَرَّقَ] بِتَشْدِيدِ التَّاءِ، أَصْلُهَا «فَتَفَرَّقَ».

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَتَفَرَّقَ] بِحَذْفِ إِحْدَى التَّائِيْنِ.

**تمهيد:**

آيَاتُ هَذَا الدَّرْسِ مِنْ فُرُوعِ السَّاقِ الثَّانِي مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ.

وَفِيهَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ فَلِكُلِّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ فِقَرَاتٍ جِدَالِيَّةٍ، يُجَادِلُ بِهَا الْمُشْرِكِينَ حَوْلَ بَعْضِ الْقَضَايَا الَّتِي يُثِيرُونَهَا،

وَتَعْلِيمُ فِقَرَاتٍ دَعَوِيَّةٍ يُبَيِّنُ فِيهَا طَائِفَةً مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ، الَّتِي سَبَقَ أَنْ أَنْزَلَهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَهِيَ مِنَ الْأَحْكَامِ الثَّابِتَةِ فِي الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ.

وفيهَا خِتَامٌ بَيَانٍ أَنَّ هَذَا الدِّينَ الَّذِي يُبَلِّغُهُ الرَّسُولُ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هُوَ صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّبِعُوهُ، وَأَنْ لَا يَتَّبِعُوا السُّبُلَ الْمُتَعَدِّدَةَ الْأُخْرَى، الَّتِي تَجْعَلُهُمْ يَتَفَرَّقُونَ عَنْ سَبِيلِهِ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خُطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ، فَلِلْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ، بِشَأْنِ مَا سَيَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ مُسْتَقْبَلًا، مُتَعَلِّينَ بِالرَّأْيِ الْجَبْرِيِّ الَّذِي يَزْعُمُ فِيهِ الْجَبْرِيُّونَ أَنَّهُ لَا اخْتِيَارَ لِلنَّاسِ، بَلْ هُمْ مَجْبُورُونَ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ عَلَى اخْتِيَارَاتِهِمْ، وَلَيْسَ لَهُمْ إِرَادَاتٌ حُرَّةٌ، فَالْمُشْرِكُونَ قَدْ أَشْرَكُوا بِالْجَبْرِ الرَّبَّانِيِّ فَكَانُوا بِهِ مُشْرِكِينَ، وَعَلَى هَذَا فَهُمْ لَيْسُوا مَسْئُولِينَ عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ إِرَادَاتِهِمْ:

● ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾:

أخْبَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، بِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ سَيَقُولُونَ مُسْتَقْبَلًا أَقْوَالًا يُسَوِّغُونَ بِهَا شِرْكَهُمْ بِالرَّأْيِ الْجَبْرِيِّ، قَائِلِينَ:

﴿.. لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾:

أي: إِنَّمَا أَشْرَكْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلِنَا، وَحَرَمْنَا مِنَ الْمَطَاعِمِ الْحَيَوَانِيَّةِ مَا حَرَمْنَا بِالْجَبْرِ الرَّبَّانِيِّ الَّذِي لَمْ تَكُنْ لَنَا فِيهِ إِرَادَاتٌ حُرَّاتٌ مَسْئُولَاتٌ عَنْ اخْتِيَارَاتِهَا.

وقبل الإرشادِ إلى مُجَادَلَتِهِمْ أَبَانَ اللهُ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي ادِّعَاءِ الْجَبْرِ،  
أي: بَلْ لَهُمْ إِرَادَاتٌ حُرَاتٌ فِي اخْتِيَارَاتِهَا، وَهُمْ مَسْئُولُونَ عَمَّا يَخْتَارُونَ  
فِي حَيَاتِهِمْ مَسْئُولِيَّةً تَامَّةً. وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى إِطْلَاقِ مِثْلِ هَذَا الْكَذِبِ  
الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ.

إِنَّ مَقُولَتَهُمُ الْكَاذِبَةُ تَعْتَمِدُ عَلَى سِتْرِ الضِّدِّ الثَّلَاثِ الْوَسْطِ بَيْنَ ضِدَّيْنِ  
مُتَبَاعِدَيْنِ، سِتْرًا فِيهِ مُعَاظَةٌ يَكْتَشِفُهَا الْمُنَاطِرُ الْجَدَلِيُّ الْحَكِيمُ.  
إِنَّهُمْ جَعَلُوا الْقَضِيَّةَ مُتَرَدِّدَةً بَيْنَ اخْتِمَالَيْنِ:

**الاحْتِمَالُ الْأَوَّلُ:** أَنْ يَجْعَلَ اللهُ الْإِنْسَانَ مَجْبُورًا عَلَى الْكُفْرِ وَمِنْهُ  
الشُّرْكُ، وَعَلَى لَوَازِمِ الْكُفْرِ فِي السُّلُوكِ.

**الاحْتِمَالُ الثَّانِي:** أَنْ يَجْعَلَ اللهُ الْإِنْسَانَ مَجْبُورًا عَلَى الْإِيمَانِ  
وَالْإِسْلَامِ، وَلَوَازِمِهِمَا فِي السُّلُوكِ.

فَقَالُوا: لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُنَا، وَلَوْ شَاءَ  
مَا حَرَّمْنَا مَا حَرَّمَاهُ مِنَ الْأَنْعَامِ.

وَبِمَا أَنَّ الْقَضِيَّةَ تَتَرَدَّدُ بَيْنَ اخْتِمَالَيْنِ، فَيَلْزَمُ مِنْ هَذَا عَقْلًا أَنَّ اللهَ هُوَ  
الَّذِي شَاءَ أَنْ نَكُونَ مُشْرِكِينَ، وَأَنْ نُحَرِّمَ مَا حَرَّمَ مِنَ الْأَنْعَامِ، فَجَعَلَنَا  
بِالْجَبْرِ كَذَلِكَ، فَإِرَادَاتُنَا مَجْبُورَةٌ عَلَى أَنْ نَكُونَ عَلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ عَقِيدَةٌ  
وَسُلُوكًا، وَهَذَا يَفْتَضِي عَجْزَنَا عَنْ تَغْيِيرِ وَاقِعِنَا الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، فَلَا  
حِسَابَ عَلَيْنَا وَلَا جَزَاءَ فِيمَا هُوَ لَيْسَ مِنْ اخْتِيَارَاتِنَا.

حُجَّةٌ زُخْرُفِيَّةٌ بَاطِلَةٌ تَعْتَمِدُ عَلَى الْمِغَالِطَةِ.

إِنَّهُمْ سَتَرُوا الْإِخْتِمَالَ الثَّلَاثَ: وَهُوَ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ الْإِنْسَانَ ذَا إِرَادَةٍ  
حُرَّةً، يُخْتَارُ بِهَا مَا يَشَاءُ لِنَفْسِهِ مِنْ إِيْمَانٍ أَوْ كُفْرٍ، وَعَمَلٍ صَالِحٍ وَعَمَلٍ  
سَيِّئٍ، وَطَاعَةٍ لِلَّهِ أَوْ مَعْصِيَةٍ لَهُ، وَاللهُ يَخْلُقُ لَهُ مَا اخْتَارَ هُوَ لِنَفْسِهِ بِإِرَادَتِهِ  
الْحُرَّةَ غَيْرِ الْمَجْبُورَةِ.

وهذا الاحتمال هو الذي خلق الله الناس على وفقه، ودلت عليه النصوص القرآنية الكثيرة، فلا جبر على إيمان أو كفر، ولا على طاعة أو معصية، ولا على عمل صالح أو عمل سيئ.

فَقُولُهُمْ: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا﴾ مُقَدِّمَةٌ صَحِيحَةٌ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَكُونُوا مُشْرِكِينَ بِالْجَبْرِ، وَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ هَذَا الْمُرَادَ كَذِبٌ كَذْبُهُ، كَمَا كَذَبَ الْكُفَّارُ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَهُ، فَرَعَمُوا أَنَّهُمْ مَجْبُورُونَ عَلَى الْكُفْرِ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ.

• ﴿.. كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا ..﴾:

أي: كَذَلِكَ الْكَذِبِ الَّذِي سَيَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ الْمُعَالِجُونَ بِكَثِيرٍ مِنْ آيَاتِ السُّورَةِ، كَذَّبَ الْكُفَّارُ مِنَ الْقُرُونِ السَّابِقَةِ، وَاسْتَمَرُّوا فِي حَيَوَاتِهِمْ مُكَذِّبِينَ حَتَّى مَاتُوا وَذَاقَتْ نَفْسُهُمْ عَذَابَنَا الشَّدِيدَ عَلَى كُفْرِهِمْ عِنْدَ مَوْتِهِمْ وَبَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَسَوْفَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ بَعْدَ الْبُعْثِ الْعَذَابَ الْأَشَدَّ الْخَالِدَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، أَخَذًا مِنْ دَلَالَاتِ نُصُوصٍ أُخْرَى كَثِيرَةٍ.

• ﴿.. قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ..﴾: أي: قُلْ لَهُمْ يَا

مُحَمَّدُ وَيَا حَامِلَ رِسَالَةِ دَعْوَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ لَهُؤُلَاءِ الْمُغَالِطِينَ الْكَاذِبِينَ عَلَى رَبِّهِمْ: هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ ذِي بُرْهَانٍ عَقْلِيٍّ، أَوْ عِلْمٍ ذِي دَلِيلٍ نَصِّيٍّ مِنْ كِتَابِ رَبَّانِيٍّ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا، حَتَّى يَكُونَ مِفْتَاحَ جِدَالٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ؟.

إِنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ دَلِيلًا نَصِّيًّا مِنْ كِتَابِ رَبَّانِيٍّ صَحِيحٍ، فَلَيْسَ لَدَيْهِمْ إِلَّا أَنْ يَقَدِّمُوا مُغَالِطَتَهُمُ الَّتِي سَبَقَ بَيَانُهَا، وَهَذِهِ الْمُغَالِطَةُ تَسْقُطُ أَرْكَانُهَا حِينَمَا يُكْشَفُ لَهُمُ الْاِحْتِمَالُ الثَّالِثُ الَّذِي سَتَرُوهُ بِالْمُغَالِطَةِ، وَتَدْمَعُهُمُ الْحُجَّةُ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ خَلَقَهُمْ ذَوِي إِرَادَاتٍ لَهَا حُرِّيَّةٌ تَامَّةٌ يَخْتَارُونَ بِهَا مَا يَشَاءُونَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَهُمْ لَيْسُوا مَجْبُورِينَ، وَادَّعَاؤُهُمُ الْجَبْرُ كَذِبٌ عَلَى اللَّهِ.

• ﴿.. إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (١٤٨):

أي: وَقُلْ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ تُقِيمَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ الْقَاطِعَةَ لِجَدْلِهِمُ الْقَائِمِ عَلَى الْمُغَالَطَةِ، أَنْتُمْ بَيْنَ حَالَتَيْنِ:

الأولى: اتِّبَاعُ الظَّنِّ الضَّعِيفِ الَّذِي لَا يُرْجَحُ قَضِيَّةً فِكْرِيَّةً، فَهُوَ سَاقِطٌ لَا يَصِحُّ عَقْلاً لِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ، دَلَّ عَلَيْهَا: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ أي: مَا تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ التَّوَهُمِيَّ الضَّعِيفَ السَّاقِطَ.

الثانية: اخْتِلَاقُ الْكَذِبِ، دَلَّ عَلَيْهَا: ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ أي: وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ. الْخَرْصُ: الْكَذِبُ، فِي كُلِّ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْهُ.

• ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٤٩):

أي: فَإِذَا كَشَفْتَ مُغَالَطَتَهُمْ، وَأَبْنَتْ سُقُوطَ حُجَّتِهِمْ، وَدَمَعْتَهِمْ بِالْبُرْهَانِ السَّاطِعِ، فَقُلْ لَهُمْ: فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، أي: الْبَالِغَةُ غَايَةَ إِحْقَاقِ الْحَقِّ وَإِبْطَالِ الْبَاطِلِ.

أَمَّا قَوْلُكُمْ: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا أَشْرَكَ مِنْ قَبْلِنَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ. تَعْنُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ مَجْبُورِينَ عَلَى هَذَا، وَقَدْ أَبْنَا لَكُمْ أَنْكُمْ كَاذِبُونَ فِي هَذَا الْادِّعَاءِ، فَإِنَّا نَقُولُ لَكُمْ بَيَّانٍ مِنْ رَبِّكُمْ:

لَوْ شَاءَ رَبُّكُمْ أَنْ يَجْعَلَكُمْ مَجْبُورِينَ، لَسَلَبَكُمْ إِرَادَاتِكُمُ الْحُرَّةَ، وَلَمَّا وَضَعَكُمْ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، وَعِنْدَئِذٍ لَجَعَلَكُمْ بِالْفِطْرَةِ مُؤْمِنِينَ، مُسْلِمِينَ مَهْدِيِّينَ بِالْجَبْرِ أَجْمَعِينَ، وَلَرَفَعَ عَنْكُمْ الْمَسْئُولِيَّةَ وَالْجَزَاءَ، وَلَجَعَلَكُمْ كَالْمَلَائِكَةِ، لَا تَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرُكُمْ، بَلْ تَفْعَلُونَ مَا تُؤْمَرُونَ بِهِ.

فَاللَّهُ رَبُّكُمْ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَالضَّلَالَ، فَهُوَ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ لَا يَخْلُقُ مَخْلُوقَاتٍ مَفْظُورَةً مَجْبُورَةً عَلَى الْكُفْرِ بِهِ، وَالضَّلَالِ عَنْ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ.

أَمَّا الشَّيَاطِينُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ، فَهُمْ ذَوُو إِرَادَاتٍ حُرَّةٍ، وَمَوْضُوعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، وَسَوْفَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ سَائِرِ الْمَبْعُوثِينَ، وَسَوْفَ يُلَاقُونَ رَبَّهُمْ فِي مَحْكَمَتِهِ لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، ثُمَّ يَكُونُ جَزَاؤُهُمْ عَلَى وَفْقِ حُكْمِ اللَّهِ فِيهِمْ، فَيُنَالُ كُلُّ وَاحِدٍ عِقَابَهُ بِالْعَدْلِ عَلَى مِقْدَارِ إِغْوَائِهِ وَإِضْلَالِهِ.

وإِبْلِيسُ إِمَامُ الشَّيَاطِينِ كَانَ مِنَ الْجِنَّ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، كَانَ مِنَ الْجِنَّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ الْمُتَمَرِّدِينَ بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ، كَكُفَّارِ الْإِنْسِ.

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّيَاطِينَ مَفْطُورُونَ مَجْبُورُونَ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ وَعَلَيْهِ وَاهْمُونَ، لَمْ يُتَابِعُوا دَلَالَاتِ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ بِتَأَمُّلٍ وَإِمْعَانٍ، وَهُمْ مُتَأَثِّرُونَ بِالْعَقِيدَةِ الْجَبَرِيَّةِ الَّتِي يَعْتَقِدُهَا الْجَبَرِيُّونَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا خِطَابَهُ لِرَسُولِهِ وَيَلْحَقُ بِهِ كُلُّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ، بِشَأْنِ مُجَادَلَةِ الْمَعْنِيِّينَ بِالْمُعَالَجَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ:

• ﴿قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١٥٠):

• ﴿هَلُمْ﴾: اسْمُ فِعْلٍ أَمْرٍ بِمَعْنَى أَحْضَرُ أَوْ أَحْضِرْ، وَهُوَ فِي لُغَةِ الْحِجَازِ يَكُونُ لِلوَاحِدِ وَالْاِثْنَيْنِ وَالْجَمَاعَةِ.

• ﴿هَلُمْ شُهَدَاءُكُمْ﴾: أَي: أَحْضِرُوا شُهَدَاءَكُمْ.

• ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾: أَي: الَّذِينَ يَشْهَدُونَ لَكُمْ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا الَّذِي حَرَّمْتُمُوهُ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْحَرِثِ الَّذِي سَبَقَ ذِكْرُهُ فِي الْآيَتَيْنِ: «١٣٨» و«١٣٩».



إِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُحْضِرُوا شُهَدَاءَ يَشْهَدُونَ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ  
بَالْكِتَابِ الرَّبَّانِيَّةِ السَّابِقَةِ، إِذْ لَيْسَ فِيهَا أَحْكَامُ التَّحْرِيمِ الَّتِي افْتَرَوْهَا عَلَى اللَّهِ.  
فَإِنْ أَحْضَرُوا مِنَ الْيَهُودِ أَوْ النَّصَارَى شُهَدَاءَ زُورٍ، وَرَأَيْتَ أَنَّهُمْ  
مُسْتَعِدُّونَ أَنْ يَكْذِبُوا انْتِصَارًا لِلْمُشْرِكِينَ ضِدَّكَ وَضِدَّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ،  
وَكَيْدًا لِلَّذِينَ الَّذِينَ بَعَثْنَاكَ بِهِ.

• ﴿... فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ...﴾: أي: فَإِنْ شَهِدُوا كَاذِبِينَ  
فَلَا تَقْبَلْ شَهَادَتَهُمْ، وَبِمَاكَ أَنْ تُطَالِبَهُمْ بِمَا يُثْبِتُ صِحَّةَ شَهَادَتِهِمْ مِنْ  
نُصُوصِ كُتُبِهِمْ، وَاعْلَمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ أَهْوَاءٍ، يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ.  
• ﴿... وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا...﴾: مِنَ الْمُشْرِكِينَ  
وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَكَفَرُوا بِالْقُرْآنِ الَّذِي تَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ.

• ﴿... وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ...﴾  
﴿١٥١﴾: أي: وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، فَهُمْ لَا يَخَافُونَ  
عَذَابَ اللَّهِ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ، أي: يُسَوُّونَ بِرَبِّهِمْ  
فِي الْإِلَهِيَّةِ وَفِي بَعْضِ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ، أَلِهَتَهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ،  
وَيَجْعَلُونَهَا شُرَكَاءَ لِلَّهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُعَلِّمُ رَسُولَهُ ﷺ بَعْضَ مَا يَقُولُ لِلنَّاسِ فِي بَيَانَاتِهِ  
الدَّعْوِيَّةِ مِنَ النَّوَاهِي وَالْأَوَامِرِ وَالْوَصَايَا الرَّبَّانِيَّةِ.

• ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا  
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا  
تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ  
إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَنَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٥٢﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي  
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا  
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَنَّاكُمْ

بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ  
فَنفَرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَلَّيْتُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ :

• ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾: أي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ  
لِلنَّاسِ بَبِلَاغٍ عَامٍّ: تَعَالَوْا أَتْلُ عَلَيْكُمْ بَيَانَ رَبُّكُمْ الْمُشْتَمِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِمَّا  
حَرَّمَ عَلَيْكُمْ فَعَلَهُ أَوْ تَرَكَهُ، وَهَذَا يَعُمُّ مَا نَهَى عَنْ فِعْلِهِ أَوْ أَمَرَ بِفِعْلِهِ.

التَّلَاوَةُ: تَتَّبِعُ النُّطْقَ بِالْبَيَانِ الْقَوْلِي الْمَأْمُورِ بِتِلَاوَتِهِ عَلَى وَفْقِ حُرُوفِهِ  
وَكَلِمَاتِهِ دُونَ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ.

فَإِذَا كَانَ الْمُنطَوِّقُ تَتَّبِعًا لِكَلَامٍ مَكْتُوبٍ فَهُوَ قِرَاءَةٌ.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا النَّصْرُ مُشْتَمِلًا عَلَى قَضَايَا نَهَى اللَّهُ عَنْهَا نَهْيَ تَحْرِيمٍ،  
وَقَضَايَا أَمَرَ بِهَا أَمْرًا إِيْجَابِيًّا، كَانَ مِنْ حُسْنِ التَّدْبِيرِ أَنْ نَفْهَمَ أَنَّ عِبَارَةَ: ﴿مَا  
حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ يُرَادُ بِهَا مَا حَرَّمَ فَعَلَهُ، وَمَا حَرَّمَ تَرَكَهُ. وَمِنْ  
الْمَعْلُومِ فِي الْأَصُولِ الْعَقْلِيَّةِ، أَنَّ النَّهْيَ عَنْ شَيْءٍ مَا هُوَ أَمْرٌ بِتَرْكِهِ، وَأَنَّ  
الْأَمْرَ بِشَيْءٍ مَا هُوَ نَهْيٌ عَنْ تَرْكِهِ، هَذَا التَّلَازُمُ مِنَ الْقَضَايَا الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي  
تَكَادُ تَكُونُ بَدْهِيَّةً، فَلَا حَاجَةَ لِأَنْ يُقَالَ: مَا حَرَّمَ وَأَوْجَبَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ.

وَقَدْ اشْتَمَلَ هَذَا النَّصْرُ عَلَى عَشْرَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ السُّلُوكِ الْإِنْسَانِيِّ،  
حَرَّمَ اللَّهُ فَعْلَهَا، أَوْ حَرَّمَ تَرْكَهَا، مَعَ تَعْقِيبَاتٍ مُنَاسِبَاتٍ مُلَائِمَاتٍ لِلْأَوَامِرِ  
وَالنَّوَاهِي وَالْوَصَايَا الرَّبَّانِيَّةِ.

وفيما يلي بيانها مع التدبُّر:

الْمُحَرَّمُ الْأَوَّلُ: الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ مُكْفَّرٌ يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَهُوَ  
أَوَّلُ دَرَكَاتِ الْكُفْرِ، دَلَّ عَلَيْهِ مِنَ النَّصْرِ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أُولَى  
وَصَايَاهُ: ﴿أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ لَا فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَلَا فِي إِلَهِيَّتِهِ، إِذْ لَا رَبَّ  
فِي الْوُجُودِ غَيْرُهُ، فَلَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا مَعْبُودًا سِوَاهُ، جَلَّ جَلَالُهُ  
وَعَظَّمَ سُلْطَانَهُ.

**المُحَرَّمُ الثَّانِي:** عُتُقُوا الْوَالِدَيْنِ، بَعْدَ الْقِيَامِ بِطَاعَتِهِمَا وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، وَمِنْ حَقِّهِمَا أَنْ لَا يَقُولَ الْوَلَدُ لَهُمَا أَوْ لِأَحَدِهِمَا إِذَا كَبِرَا وَكَثُرَتْ مَطَالِبُهُمَا أَوْ سَاءَتْ مُعَامَلَتُهُمَا وَقُبِحَتْ أَقْوَالُهُمَا: كَلِمَةُ «أَفٍّ» مُتَضَجِّراً مِنْهُمَا، وَأَنْ لَا يَنْهَرُهُمَا، فَضْلاً عَمَّا هُوَ أَشَدُّ وَأَقْبَحُ. وَقَدْ جَاءَ التَّعْيِيرُ عَنْ هَذَا الْمُحَرَّمِ بِعِبَارَةِ الْأَمْرِ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿... وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ أَي: وَأَحْسِنُوا بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْإِحْسَانَ بِالْوَالِدَيْنِ أَمراً واجباً. يُقَالُ لُغَةً: «أَحْسَنَ بِهِ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ» أَي: فَعَلَ مَا هُوَ حَسَنٌ. وَإِذْ جَعَلَ اللَّهُ الْإِحْسَانَ بِالْوَالِدَيْنِ وَاجِباً، فَتَرَكُ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا مُحَرَّمٌ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَهُوَ مِنَ الْعُقُوقِ.

**المُحَرَّمُ الثَّالِث:** قَتْلُ الْأَوْلَادِ مِنَ الْفَقْرِ لِلتَّخْلِصِ مِنَ النَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ، دَلَّ عَلَى هَذَا الْمُحَرَّمِ الشَّيْعِ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي النَّصِّ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّهُمْ﴾

**الإِمْلَاقُ:** الْفَقْرُ، يُقَالُ لُغَةً: «أَمْلَقَ فُلَانٌ إِمْلَاقاً» أَي: افْتَقَرَ.

وَجَاءَ فِي سُورَةِ (الْإِسْرَاءِ/ ٥٠ نزول) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ فَلَاحَهُمْ كَانَ خِطَاءً كَبِيراً﴾ (٣١).

وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي مَوْضِعِهَا مِنْ سُورَةِ (الْإِسْرَاءِ)، وَسَبَقَ بَيَانُ التَّكَامُلِ الْفِكْرِيِّ بَيْنَ النَّصِّينِ، فَآيَةُ (الْإِسْرَاءِ) دَلَّتْ عَلَى خَشْيَةِ حُدُوثِ الْفَقْرِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَآيَةُ (الْأَنْعَامِ) دَلَّتْ عَلَى أَنَّ الْفَقْرَ مَوْجُودٌ، وَلِهَذَا جَاءَ التَّعْقِيبُ فِي النَّصِّينِ مُحْتَئِلاً بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ.

**المُحَرَّمُ الرَّابِعُ:** الْاِفْتِرَابُ مِنَ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، دَلَّ عَلَى هَذَا الْمُحَرَّمِ مِنَ النَّصِّ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾:

**الفَوَاحِشُ:** جَمْعُ «الفَاحِشَةِ» وَهِيَ كُلُّ قَبِيحٍ تَجَاوَزَ حَدَّ مَا يُحْتَمَلُ وَيُغْضَى عَنْهُ عَادَةً مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، وَكُلُّ خَصَلَةٍ قَبِيحَةٍ.

وَقَدْ نَظَرْتُ فِي الاسْتِعْمَالَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ لِهَذِهِ الْمَادَةِ، فَوَجَدْتُ أَنَّهَا تَدُورُ حَوْلَ الْكِبَائِرِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِشَهَوَاتِ الْفُرُوجِ، وَتَرْجَحَ لَدَيَّ أَنْ يُحْمَلَ مَا جَاءَ مِنْهَا مُطْلَقًا لَمْ تَبَيَّنْهُ الْقَرَأْنُ عَلَى مَا جَاءَ مِنْهَا مُبَيَّنًا بِالْقَرَأْنِ، فَهِيَ فِي الاسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِيِّ مُخَصَّصَةٌ بِهَذَا الْإِطَارِ مِنَ الْمَعَاصِيِ اضْطِلَاحًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَالنَّهْيُ عَنِ الْاِقْتِرَابِ أَشَدُّ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الْفِعْلِ، وَالْاِقْتِرَابُ مِنَ الْفَوَاحِشِ يَكُونُ مَثَلًا بِالْخُلُوعِ، وَبِالْمَلَامَسَةِ، وَبِالتَّقْيِيلِ وَالْمُعَانَقَةِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِشَهْوَةٍ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ عَنِ الْوُقُوعِ بِالْكَبِيرَةِ.

أَمَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا فَهُوَ مَا يَكُونُ لَهُ بَيُوتٌ ذَاتُ رَايَاتٍ خَاصَّةٍ تُعْرَفُ بِبُيُوتِ الْبَغَايَا، وَنَحْنُ ذَلِكَ مِنْ فَوَاحِشِ مُعْلَنَةٍ.

وَأَمَّا مَا بَطَنَ مِنْهَا فَهُوَ مَا يَكُونُ سِرًّا مَعَ الْخَلِيلَاتِ، وَالرُّنَا بَعِيدًا عَنْ أَغْيَنِ النَّاسِ، وَعَنْ مَوَاطِنِ الظَّنِّ الْمُرِيبِ، وَمِمَّا بَطَنَ مِنْهَا إِتْيَانُ الذُّكُورِ، وَهُوَ مِنْ قَبَائِحِ السَّدُومِيِّينَ قَوْمِ لُوطَ.

**الْمُحَرَّمُ الْخَامِسُ:** قَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا بِغَيْرِ حَقٍّ. دَلَّ عَلَى هَذَا الْمُحَرَّمِ مِنَ النَّصِّ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿... وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾.

**قَتْلُ النَّفْسِ:** هُوَ كُلُّ عَمَلٍ يُؤَدِّي إِلَى انْفِصَالِ الرُّوحِ عَنِ النَّفْسِ، الَّذِي تَذُوقُ بِهِ النَّفْسُ الْمَوْتَ.

أَي: وَلَا تَقْتُلُوا أَيَّ نَفْسٍ حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا بِغَيْرِ حَقٍّ، فَالنَّهْيُ مُسَلَّطٌ عَلَى قَتْلِ نَفْسٍ جَعَلَ اللَّهُ قَتْلَهَا حَرَامًا بِغَيْرِ حَقٍّ، أَمَّا النُّفُوسُ الَّتِي لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ قَتْلَهَا حَرَامًا فَلَيْسَتْ دَاخِلَةً ضِمْنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، كَنُفُوسِ أَفْرَادِ جَيْشٍ جَاءَ لِمُقَاتَلَةِ الْمُسْلِمِينَ.

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: أي: وَلَا تَقْتُلُوا أَيَّ نَفْسٍ حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا فِي عُمُومِ الْأَحْوَالِ، إِلَّا حَالَةً كَوْنِ قَتْلِهَا مُتَّصِفًا بِالْحَقِّ.

وَجَاءَ فِي النُّصُوصِ الْمَوْزَعَةِ بَيَانُ الْحَقِّ الَّذِي تُقْتَلُ بِهِ النَّفْسُ، فَمِنْ الْقَتْلِ بِالْحَقِّ مَا يَلِي:

(١) الْقِصَاصُ الَّذِي لَا يَغْفُو عَنْهُ أَحَدٌ وَرَثَةُ الْقَتِيلِ، فَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ.

(٢) الزَّانِي الْمُحْصَنُ الَّذِي اعْتَرَفَ بِزَنَاهُ، أَوْ شَهِدَ بِزَنَاهُ بَعْدَ إِحْصَانِهِ أَرْبَعَةَ شُهُودٍ رَأَوْهُ وَهُوَ يَزْنِي، وَلَيْسَ لِهَذَا مِثْلٌ وَاحِدٌ فِي تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ.

(٣) الْمُرْتَدُّ عَنِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ إِعْلَانِهِ إِسْلَامَهُ سَخَطَةً عَلَيْهِ، وَمُفَارَقَةً لِمَجْمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعَرَضُ مِنْ قَتْلِهِ حِمَايَةَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُتْلَاعِبِينَ ذَوِي الْكَيْدِ بِالِدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ.

(٤) الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، كَمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ (٣٣) مِنْ سُورَةِ (المائدة/ ٥ مصحف/ ١١٢ نزول).

(٥) الْخَائِنُ لِلْمُسْلِمِينَ الَّذِي يُعِينُ أَعْدَاءَهُمُ الْكَافِرِينَ عَلَيْهِمُ، فَلِلْمُسْلِمَةِ الْمُسْلِمَةِ إِذَا ثَبَّتَ لَدَيْهَا إِدَانَتُهُ بِجَرِيمَتِهِ أَنْ تَقْتُلَهُ.

(٦) الصَّائِلُ الَّذِي يَأْتِي مُقَاتِلًا لِلْسَّلْبِ وَالسَّطْوِ، فَلِلْمُعْتَدِي عَلَيْهِ أَنْ يُدَافِعَ عَنْ نَفْسِهِ، بِالْأَخْفِ فَلْأَشَدَّ حَتَّى الْقَتْلِ، إِنْ لَمْ يَجِدْ وَسِيلَةً أَخْفَ مِنَ الْقَتْلِ يَدْفَعُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ.

وَعَقَّبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى بَيَانِ الْمُحَرَّمَاتِ الْخَمْسَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿.. ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ، لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٥١): أي: ذَلِكُمُ الْمَذْكُورُ مُفَصَّلًا فِي الْآيَةِ نَهَاكُمُ اللَّهُ عَنْهُ وَفَرَضَهُ عَلَيْكُمْ، رَغْبَةً فِي أَنْ تَعْقِلُوا عَقْلًا عِلْمِيًّا وَعَقْلًا إِرَادِيًّا.

يُقَالُ لُغَةً: «وَصَّى، وَأَوْصَى فَلَانًا بِكَذَا» أي: أَمَرَهُ بِهِ وَفَرَضَهُ عَلَيْهِ.

**لَعَلَّ:** قَالُوا: مَعْنَاهَا التَّرَجُّي والتَّوَقُّع. **وأقول:** بما أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلِيمٌ بما كَانَ وبما هُوَ كَائِنٌ وبِمَا سَيَكُونُ، فالمرادُ لَا زِمَ المَعْنَى، وَهُوَ الرَّغْبَةُ. أي: ذَلِكُمْ وَصَاكُم رُبُّكُمْ بِهِ رَغْبَةً فِي أَنْ تَعْقِلُوا.

﴿تَعْقِلُونَ﴾: **العَقْلُ:** عَقْلَان: عَقْلٌ عِلْمِيٌّ، وَعَقْلٌ إِرَادِيٌّ.

• **فَالْعَقْلُ الْعِلْمِيُّ:** يَكُونُ بِتَقْيِيدِ الْمَعْلُومَةِ فِي الذَّاكِرَةِ، وَحِفْظِهَا فِي مَكَانٍ حَفِظَ الْمَعْلُومَاتِ فِي جِهَازِ الْمَعْرِفَةِ، وَاسْتِدْعَائِهَا عِنْدَ الْمُنَاسَبَاتِ الدَّاعِيَاتِ لِتَذَكُّرِهَا.

• **وَالْعَقْلُ الْإِرَادِيُّ:** يَكُونُ بِضَبْطِ النَّفْسِ ضَبْطاً إِرَادِيّاً عَنْ اتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ، وَالشَّهَوَاتِ، وَعَنِ الْجُنُوحِ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ فِي السُّلُوكِ.

هَذَا التَّعْقِيبُ قَدْ جَاءَ فَاصِلاً جَمِلاً مُحَقِّفاً مِنْ تَوَالِي ذِكْرِ الْمُحَرَّمَاتِ بِالتَّتَابُعِ. وَجَاءَ فِي النَّصِّ فَاصِلاً آخَرُ مُشَابِهٌ مَعَ تَغْيِيرٍ تَكَامُلِيٍّ نَفِيسٍ، وَفَاصِلٌ ثَالِثٌ مُشَابِهٌ أَيْضاً مَعَ تَغْيِيرٍ تَكَامُلِيٍّ نَفِيسٍ أَيْضاً فِي آخِرِ الدَّرْسِ.

**الْمُحَرَّمُ السَّادِسُ:** الْاِقْتِرَابُ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، وَيُسَلِّمَ إِلَيْهِ مَالَهُ، دَلَّ عَلَى هَذَا الْمُحَرَّمِ مِنَ النَّصِّ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾:

أي: وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ بِتَصَرُّفٍ مَا أَوْ بِحَرَكَةٍ مَا، إِلَّا بِالْحَرَكَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مِنْ عَدَمِ الْاِقْتِرَابِ مِنْهُ، كَحِفْظِهِ، أَوْ تَنْمِيَّتِهِ تَنْمِيَةً صَحِيحَةً، مَعْرُوفَةَ النَّتَائِجِ، كَتَأْجِيرِ عَقَارٍ، وَاسْتِعْلَالِ أَرْضٍ بِالْمُزَارَعَةِ، وَشِرَاءِ ثَوَابِتٍ لَا مُخَاطَرَةَ فِيهَا.

**فَالْمَعْنَى:** وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ الَّذِي أَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ أَوْ أَوْصِيَاءُ عَلَيْهِ، شَيْئاً بغيرِ حَقِّ.

وقد سبق بَيَانُ أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الْاِقْتِرَابِ أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الْفِعْلِ الْمُحَرَّمِ.

**الْيَتِيمَ:** هو الصغير الذي مات أبوه من الناس، وَيَبْقَى يَتِيمًا حَتَّى يَبْلُغَ الْحُلُمَ. وَيُجْمَع لفظ «يَتِيم» على «أَيْتَام» و«يَتَامَى».

﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: أي: حَتَّى يَكُونَ قَادِرًا عَلَى إِدَارَةِ أَمْوَالِهِ بِعَقْلِ وَرُشْدٍ، لَا بِسَفَهٍ وَتَبْذِيرٍ، فَبَلُوغُ الْحُلُمِ لَا يَكْفِي وَحْدَهُ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ إِيْنَاسِ الرُّشْدِ، لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول):

﴿وَابْلُغُوا إِلَيْنِي حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (١٦).

**أَشَدُّ الشَّيْءِ:** اكْتِمَالُهُ. وَأَشَدُّ كُلِّ شَيْءٍ اكْتِمَالُ تَنَامِيهِ بِحَسَبِ صِفَاتِهِ الْقَابِلَةِ لِلَاكْتِمَالِ.

**الْمُحَرَّمُ السَّابِعُ:** عَدَمُ إِيفَاءِ الْكِيلِ وَالْمِكْيَالِ وَالْوَزْنِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ، دَلَّ عَلَى هَذَا الْمُحَرَّمِ مِنَ النَّصِّ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿... وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾ (١٥٢).

أي: واجْعَلُوا الْكَيْلَ وَالْمِكْيَالَ وَالْوَزْنَ وَالْمِيزَانَ وَافِيَةً تَامَّةً غَيْرَ مَنقُوصَةٍ، جَاءَ التَّعْيِيرُ بِالْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ، لِلدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى تَحْرِيمِ عَدَمِ الْوَفَاءِ. يُقَالُ لُغَةً: «أَوْفَى الشَّيْءِ، يُوفِيهِ، إِيفَاءً» أي: أَتَمَّهُ وَافِيًا كَامِلًا غَيْرَ مَنقُوصٍ.

**الْكَيْلُ:** التَّقْدِيرُ بِالْمِكْيَالِ. الْمِيزَانُ: الْأَدَاةُ الَّتِي يُوزَنُ بِهَا.

دَلَّ الْكَيْلُ عَلَى الْوَزْنِ، وَدَلَّ الْمِيزَانُ عَلَى الْمِكْيَالِ، وَبِاسْتِخْرَاجِ الْمُطَوِّينِ تَكُونُ الْعِبَارَةُ: وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِكْيَالِ، وَالْوَزْنَ وَالْمِيزَانَ، فَهَلْهِ كُلُّهَا يَجِبُ إِيفَاؤُهَا.

﴿بِالْقِسْطِ﴾: أي: مُتَّصِفًا بِالْعَدْلِ كَيْلُكُمْ وَمِكْيَالُكُمْ، وَوَزْنُكُمْ

وَمِيزَانُكُمْ، وَيُقَاسُ عَلَى الْكِيلِ وَالْوِزْنِ تَقْدِيرُ كُلِّ شَيْءٍ بِأَيَّةٍ وَسِيلَةٍ مِنَ الْوَسَائِلِ، كَعَدِّ الْوَحْدَاتِ الْمُتَمَاثِلَاتِ بِآلَةٍ عَدِّ الْكُتُوبِيَّةِ.

وَجَاءَتْ عِبَارَةٌ: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ مُشِيرَةً إِلَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ يَعْجِزُونَ عَنْ تَحْقِيقِ الْعَدْلِ الْكَامِلِ، بَيْنَ مَنْ يُكَالُ أَوْ يُوزَنُ مِنْهُ، وَبَيْنَ مَنْ يُكَالُ أَوْ يُوزَنُ لَهُ، فَمَا عَجَزُوا عَنْ تَحْقِيقِهِ فَلَا مَسْئُولِيَّةَ عَلَيْهِمْ فِيهِ، إِذْ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، أَي: إِلَّا مِقْدَارَ طَاقَتِهَا وَاسْتِطَاعَتِهَا، وَهَذَا اخْتِرَاسٌ حَكِيمٌ، لَوْلَاهُ لَتَحَرَّجَ الْمُتَّقُونَ مِنَ الْكِيلِ وَالْوِزْنِ، خَوْفًا مِنْ مُجَابَبَةِ الْقِسْطِ فِي الْحَبَّاتِ وَالذَّرَّاتِ.

الْمُحَرَّمُ الثَّامِنُ: عَدَمُ الْعَدْلِ بِالْقَوْلِ، الَّذِي يَجْرِي بَيْنَ النَّاسِ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ. دَلَّ عَلَى هَذَا الْمُحَرَّمِ مِنَ النَّصِّ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى وَتَبَارَكَ: ﴿.. وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ ۝٦٢﴾ ..

جاء التَّعْبِيرُ عَنْ تَحْرِيمِ عَدَمِ الْعَدْلِ فِي الْقَوْلِ بِالْأَمْرِ الْإِلْزَامِيِّ بِالْعَدْلِ فِيهِ.

إِنَّ الْعَدْلَ فِي الْقَوْلِ يَتَطَلَّبُ طَرَفَيْنِ: طَرَفًا يَكُونُ الْقَوْلُ مُثْبَتًا لَهُ الْحَقُّ، وَطَرَفًا يَكُونُ الْقَوْلُ مُثْبَتًا عَلَيْهِ الْحَقُّ لِلطَّرَفِ الْأَوَّلِ.

وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي يَأْمُرُ اللَّهُ بِالْعَدْلِ فِيهِ وَيُحَرِّمُ فِيهِ مُجَابَبَةَ الْعَدْلِ يَكُونُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ جَدًّا، وَمِنْهَا مَا يَلِي:

(١) الشَّهَادَةُ إِذْ قَدْ يَكُونُ فِيهَا مَشْهُودٌ لَهُ، وَمَشْهُودٌ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ قَدْ أَمَرَ بِأَنْ تَكُونَ بِالْعَدْلِ، فَلَا يُظْلَمُ الْمَشْهُودُ لَهُ، وَلَا يُظْلَمُ الْمَشْهُودُ عَلَيْهِ.

(٢) الْقَضَاءُ الَّذِي يَصْدُرُ بِهِ نُطْقُ الْقَاضِي بِالْحُكْمِ، وَاللَّهُ قَدْ أَمَرَ بِأَنْ يَكُونَ بِالْعَدْلِ، فَلَا يُظْلَمُ الْمَقْضِيُّ لَهُ بِشَيْءٍ، وَلَا يُظْلَمُ الْمَقْضِيُّ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، وَلَا يُظْلَمُ حَقُّ اللَّهِ وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِالْحَقِّ الْعَامِّ بِشَيْءٍ.



(٣) التَّعْدِيلُ وَالْجَرْحُ، وَالْعَدْلُ فِيهِمَا التِّزَامُ الْحَقُّ فِي كُلِّ مِنْهُمَا، فَلَا يُظْلَمُ الْمُعَدَّلُ أَوْ الْمُجَرَّحُ، وَلَا يُظْلَمَ حَقُّ اللَّهِ ذُو الْأَثَرِ الْعَامِّ.

(٤) الْفَتْوَى، وَالْعَدْلُ فِيهَا التِّزَامُ الْحُكْمُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ الْحَقُّ، دُونَ غُلُوٍّ فِيهِ مُحَابَاةٌ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ التَّشَدُّدَ فِي أَحْكَامِ الدِّينِ، وَدُونَ تَهَاوُنٍ وَتَفْرِيطٍ مُحَابَاةٌ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ التَّهَاطُوتَ وَالتَّسَاهُلَ فِي أَحْكَامِ الدِّينِ إِرْضَاءً لِأَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ.

إلى غير ذلك مِنْ أُمُورٍ يَصْعُبُ حَضْرُهَا.

وَبِمَا أَنَّ أَحَدَ الطَّرَفَيْنِ قَدْ يَكُونُ ذَا قُرْبَى، كَأَبٍ وَابْنٍ وَأَخٍ، وَيَجِدُ صَاحِبُ الْقَوْلِ أَنَّ مُجَانِبَتَهُ لِلْعَدْلِ تَنْفَعُ قَرِيبَهُ، كَانَ مِنَ الْحُكْمَةِ فِي الْبَيَانِ أَنَّ يَقُولَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ أَي: وَلَوْ كَانَ الَّذِي تُجَانِبُونَ الْعَدْلَ مِنْ أَجْلِهِ ذَا قُرْبَى لَكُمْ.

وَيُقَاسُ عَلَى ذِي الْقُرْبَى صَدِيقٌ وَحَبِيبٌ وَزَوْجٌ وَزَوْجَةٌ، وَكُلٌّ مَنْ يُرِيدُ صَاحِبُ الْقَوْلِ مُجَانِبَةَ الْحَقِّ مِنْ أَجْلِهِ، وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ الْمَجْنُوفُ عَلَيْهِ مَكْرُوهًا مَبْعُوضًا، أَوْ عَدُوًّا لِصَاحِبِ الْقَوْلِ.

الْمُحَرَّمُ التَّاسِعُ: عَدَمُ الْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللَّهِ، دَلَّ عَلَى هَذَا الْمُحَرَّمِ مِنَ النَّصِّ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿.. وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ..﴾:

الْعَهْدُ: يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَوْ نَهَى عَنْهُ. وَيُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَا بَيْنَ الْعِبَادِ مِنْ مَوَاقِيقَ وَتَقَوَاهَا بِالْحَلْفِ بِاسْمِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ. وَيُطْلَقُ عَلَى مَا يَلْتَزِمُ بِهِ الْعَبْدُ تَجَاهَ رَبِّهِ وَيُبَايِعُ عَلَيْهِ، كَالْأَعْمَالِ الَّتِي كَانَ الْمُسْلِمُونَ يُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهَا، فَهِيَ عَهْدٌ مَعَ اللَّهِ، وَيَدُّ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ.

وَإِضَافَةُ الْعَهْدِ إِلَى اللَّهِ، هِيَ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى فَاعِلِهِ، إِذَا كَانَ بِمَعْنَى أَوْامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ. وَمِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، إِذَا كَانَ بِمَعْنَى التِّزَامِ الْعَبْدِ تَجَاهَ رَبِّهِ بِعَمَلٍ مَا، كَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَنُصْرَةِ رَسُولِهِ،

وَمِنْ هَذِهِ الْإِصَافَةِ مَا يَكُونُ بَيْنَ الْعِبَادِ مِنْ مَوَاقِيقَ وَتَقْوَاهَا بِالْحَلِفِ بِاسْمِ  
 مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ هَذَا التَّوْثِيقَ بِمَثَابَةِ عَهْدٍ يُعَاهَدُ بِهِ الْمُوثَّقُ اللَّهُ  
 رَبَّهُ أَنْ يَفِي بِهِ لِمَنْ أَعْطَاهُ الْوَعْدَ مِنَ النَّاسِ.

وَيُطْلَقُ الْعَهْدُ عَلَى الْوَصِيَّةِ وَعَلَى الشَّيْءِ الَّذِي يُودَعُ عِنْدَ الْمُسْتَأْمَنِ  
 لِيُؤَدِّي بِهِ عَمَلًا مَا بِإِذْنِ الْمُودِعِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانٍ.

(١) فقول الله تعالى في سورة (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول):

﴿.. وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ  
 وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ١٢٥﴾.

هو بِمَعْنَى: أَمَرْنَا، وَكَلَّفْنَا.

(٢) وقول الله تعالى بِشَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ، فِي  
 سورة (الأحزاب/ ٣٣ مصحف/ ٩٠ نزول):

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجَبُهُ وَمِنْهُمْ  
 مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ١٢٦﴾.

هو بِمَعْنَى الْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، وَصِدْقُهُمْ قَدْ كَانَ  
 بِوَفَائِهِمْ بِهِ.

(٣) وقول الله تعالى بِشَأْنِ مَا جَرَىٰ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَشْرِكِينَ مِنْ  
 عَهْدٍ فِي سُورَةِ (التوبة/ ٩ مصحف/ ١١٣ نزول):

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا  
 عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ١٢٧﴾.

هو مِنَ الْعَهْدِ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ، وَقَدْ يُوثَّقُونَهَا بِالْحَلِفِ بِاسْمِ  
 مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْمُحَرَّمُ بِصِغَةِ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللَّهِ، وَإِذْ يَقْتَضِي

الأمرُ وجوبَ الوفاءِ بالعهدِ، فإنَّ عَدَمَ الوفاءِ بِهِ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ.

وَعَقَّبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى بَيَانِ الْمُحَرَّمَاتِ الْأَرْبَعَةِ، مِنْ (٦ - ٩) بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿... ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٥٦) ﴿وَهَذَا نَظِيرُ التَّعْقِيبِ السَّابِقِ، مَعَ تَبْدِيلِ عِبَارَةِ ﴿تَعْقِلُونَ﴾ بِعِبَارَةِ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ أَي: رَغْبَةً فِي أَنْ تَضَعُوا ذَلِكَ الَّذِي وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ فِي ذَاكِرَاتِكُمْ وَرَغْبَةً فِي أَنْ تَسْتَدْعُوا مِنْهَا فِي كُلِّ مُنَاسَبَةٍ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا.

والمراد بالتذكُّرِ الأثرُ النَّفْسِيُّ وَالْقَلْبِيُّ لِحُضُورِ الْمَعْلُومَةِ فِي الذَّاكِرَةِ، اسْتِدْعَاءُ لَهَا مِنْ خَزَائِنِ الْمَعْرِفَةِ فِي النَّفْسِ، أَوْ وُجُودًا حَدِيثًا لَهَا مِنَ الْخَارِجِ، عَنْ طَرِيقِ بَيَانٍ وَارِدٍ، أَوْ تَأْمُلُ فِكْرِيٍّ ذَاتِيٍّ، أَوْ بِتَأْثِيرِ حَدَثٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ كَوْنِيَّةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، لِلْعَمَلِ بِالْمَطْلُوبِ الدِّينِيِّ فِيمَا جَاءَ بِهِ التَّذَكُّرُ. فَالْأَثَرُ النَّفْسِيُّ وَالْقَلْبِيُّ وَالسُّلُوكِيُّ، هُوَ الْمَطْلُوبُ الدِّينِيُّ مِنَ التَّذَكُّرِ.

وَهَذَا التَّعْقِيبُ لِلْمُحَرَّمَاتِ الْأَرْبَعَةِ يَصْلُحُ تَعْقِيبًا لِلْمُحَرَّمَاتِ الْخَمْسَةِ الْأُولَى وَلِلْآخِرِ مِنْهَا، وَالتَّعْقِيبُ لِلْمُحَرَّمَاتِ الْخَمْسَةِ يَصْلُحُ تَعْقِيبًا لِسَائِرِ الْمُحَرَّمَاتِ بَعْدَهَا. وَالتَّعْقِيبُ الْآخِرُ الْآتِي فِي الدَّرْسِ يَصْلُحُ لِكُلِّ الْمُحَرَّمَاتِ. فَالتَّعْقِيبَاتُ الثَّلَاثَةُ هِيَ بِمَثَابَةِ تَعْقِيبِ لَهَا جَمِيعًا، وَهَذَا مِنْ بَدَائِعِ الْفُنُونِ الْقُرْآنِيَّةِ، الْقَائِمَةِ عَلَى التَّوْزِيعِ فِي النَّصْرِ وَالتَّعْمِيمِ فِي الْمَرَادِ، لِأَنَّ الْمُحَرَّمَاتِ تَصْلُحُ لَهَا جَمِيعًا كُلُّ هَذِهِ التَّعْقِيبَاتِ.

الْمُحَرَّمُ الْعَاشِرُ: عَدَمُ مُجَانَبَةِ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَعَدَمُ اتِّبَاعِ السُّبُلِ الْآخِذَةِ بَعِيداً عَنْهُ، إِلَى الْمَهَاوِي وَالْمَهَالِكِ وَالضَّلَالَاتِ مِنْ ذَاتِ الْيَمِينِ وَمِنْ ذَاتِ الشَّمَالِ. دَلَّ عَلَى هَذَا الْمُحَرَّمِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي النَّصْرِ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ...﴾ (١٥٣) ﴿...﴾:

إِنَّ صِرَاطَ اللَّهِ يَشْمَلُ مَطَالِبَ الدِّينِ كُلِّهَا، عَقِيدَةً، وَعَمَلًا، وَإِرَادِيًّا، نَفْسِيًّا أَوْ جَسَدِيًّا، فَرْدِيًّا أَوْ اجْتِمَاعِيًّا.

فَمَنْ جَانَبَ صِرَاطَ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ وَجَدَ أَمَامَهُ سُبُلًا عَدِيدَةً مُتَفَرِّقَةً لَا حَصْرَ لَهَا، وَكُلُّ هَذِهِ السُّبُلِ الْمُتَفَرِّقَةِ تُوصِلُ إِلَى نَكْدِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَضُنُكِهَا مَقْرُونَةٌ بِلَذَّاتٍ عَابِرَاتٍ مُغْرِيَاتٍ، لَكِنَّ عَاقِبَتَهَا الْخُلُودُ فِي عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ.

هَذَا الْمُحَرَّمَ الْعَاشِرُ شَامِلٌ لِكُلِّ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِكُلِّ مَا حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ، فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَوْ لَمْ يُذَكَّرْ بِتَفْصِيلٍ فِي الْمُحَرَّمَاتِ التَّسْعِ الَّذِي جَاءَ فِي النَّصِّ بَيَانُهَا، حَتَّى الَّتِي لَمْ يَنْزِلْ فِي الْقُرْآنِ بَيَانُ عَنْهَا فِيمَا سَبَقَ أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ.

فَالْمَشَارُ إِلَيْهِ صِرَاطٌ مَوْضُوعٌ فِي الْخُطَّةِ، وَيُبَيِّنُهُ اللَّهُ شَيْئًا فَشَيْئًا فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ، حَتَّى إِتِمَامِ وَإِكْمَالِ الدِّينِ كُلِّهِ، الَّذِي هُوَ نِعْمَةُ اللَّهِ الْعُظْمَى عَلَى عِبَادِهِ.

وَعَقَّبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى بَيَانِ هَذَا الْمُحَرَّمَ الْعَاشِرِ بِقَوْلِهِ: ﴿... ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣): أَي: رَغْبَةً فِي أَنْ تَعْمَلُوا بِمَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْوَصَايَا، فَتَتَّقُوا عَذَابَ رَبِّكُمْ الَّذِي تَوَعَّدَ بِهِ مُرْتَكِبِي مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ.

وبهذا تمَّ تدبُّر الدَّرْسِ الْحَادِي والثلاثين من دُرُوسِ سورة (الأنعام).  
والحمد لله على معونته وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَتَفْهِيمِهِ وَفَتْحِهِ.



(٣٦)

التدبر التحليلي للدرس الثاني والثلاثين من دُرُوسِ سورة (الأنعام)  
الآيات من (١٥٤ - ١٦٠)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يُلْقَاؤَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٥٤) وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَأَتْبَعُوهُ

وَأَتَقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ .

### القراءات:

(١٥٧) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ورؤيس: [يَصْدِفُونَ] بِإِسْمَامِ الصَّادِ زَايَاً، فِي الْمَوْضِعَيْنِ.

وقراها باقي القراء العشرة بالصادِ الْخَالِصَةِ.

(١٥٨) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ] بِيَاءِ الْمَضَارَعَةِ.

وقراها رؤيس، والسُّوسِي، وأبو جَعْفَر: [إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ] بَتَاءِ الْمَضَارَعَةِ وَيُبَدَّلُ الْهَمْزَةُ مِنْ «تَأْتِيَهُمْ» أَلِفًا مَدِيَّةً.

وقراها باقي القراء العشرة: [إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ] بَتَاءِ الْمَضَارَعَةِ، وَبِالْهَمْزَةِ دُونَ إِبْدَالِ.

(١٥٩) • قرأ حمزة، والكسائي: [فَارْقُوا] مِنَ الْمَفَارَقَةِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [فَرَّقُوا] مِنَ التَّفْرِيقِ.

وَبَيَّنَ الْقِرَاءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي أَدَاءِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ، فَالَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ  
وَكَانُوا شِيعًا مُخْتَلِفَةً، قَدْ فَارَقُوا دِينَهُمُ الْحَقَّ.

(١٦٠) • قَرَأَ يَعْقُوبُ: [فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا] بَتْنَوَيْنِ عَشْرَ، وَرَفَعَ  
«أَمْثَالُهَا».

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقِرَاءِ الْعَشْرَةَ: [فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا] بِإِضَافَةِ «عَشْرَ» إِلَى  
«أَمْثَالِهَا».

ومؤدَّى القراءتين واحد، وهما من التفنن في التعبير.

**تمهيد:**

آيات هذا الدرس من فُرُوعِ السَّاقِ الْأَوَّلِ مِنْ سَاقِي شَجَرَةِ مَوْضُوعِ  
السُّورَةِ.

وفيها بيانٌ دَعَوِيٌّ مُبَاشِرٌ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، مَعَ إِنْذَارِ  
بِعَوَاقِبَ وَخِيَمَةٍ إِذَا لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ رَبِّهِمْ.

وفيها بيانٌ لِلرَّسُولِ بِشَأْنِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَفَارَقُوهُ، وَكَانُوا  
شِيعًا، فَيُبَيِّنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ فِيهِ انْفِصَالَهُ التَّامَّ عَنْهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ  
عَلَيْهِ أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ، وَلَوْ كَانُوا عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ.

**التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ:**

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ  
وَهَدَى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يُلَفِّقَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٥٤).

دَلَّنِي الْعُطْفُ بِحَرْفِ الْعُطْفِ «ثُمَّ» الَّذِي هُوَ بِحَسَبِ أَصْلِ الْوَضْعِ يَدُلُّ  
عَلَى التَّرْتِيبِ مَعَ الْمُهْلَةِ الْمُتَرَاخِيَةِ فِي الزَّمَنِ، عَلَى أَنَّ مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ

(١٤٥): ﴿قُلْ لَا أُحَدِّثُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ...﴾. وَمَا جَاءَ فِي الْآيَاتِ مِنْ (١٥١) - (١٥٣) قَدْ سَبَقَ أَنْ كَانَ مِنَ دِينِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامَ الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ رَسُولًا لِلْعَرَبِ، وَوَرِثُوا عَنْهُ تَعْظِيمَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَشَعَائِرَ الْحَجِّ وَالصَّلَاةِ، وَغَيْرَهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ وَفَضَائِلِ السُّلُوكِ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَ إِلَيْهِمُ الْوُثَيْيَةُ، وَالْانْحِرَافَاتِ السُّلُوكِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَبَقِيَتْ مَعْمُولًا بِهَا مُدَّةٌ مِنَ الزَّمَنِ فِي الْبَيْتِ الْعَرَبِيِّ، وَهِيَ مِنْ شَرَائِعِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا فِي الرِّسَالَاتِ السَّابِقَاتِ، إِذْ هِيَ مِنَ الدِّينِ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ لِكُلِّ النَّاسِ فِي كُلِّ الرِّسَالَاتِ.

ثُمَّ آتَى اللَّهُ مُوسَى كِتَابَ التَّوْرَةِ، فَهُوَ بِحَسَبِ التَّرْتِيبِ الزَّمَنِيِّ مُتَأَخَّرٌ عَمَّا جَاءَ بِهِ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْعَرَبِ، وَاخْتِيرَ فِي النَّصِّ التَّعْبِيرُ بِحَرْفِ الْعُطْفِ «ثُمَّ» لِلإِشْعَارِ بِهَذَا، وَهُوَ مِنْ أَدِلَّةِ وَحْدَةِ الرِّسَالَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ لِلنَّاسِ.

فحرف العطف «ثُمَّ» هُنَا لَا حَاجَةَ إِلَى اعْتِبَارِ التَّرْتِيبِ وَالتَّرَاخِي فِيهِ تَرْتِيبًا رُتَبِيًّا، وَلَا إِلَى تَخْرِيجَاتٍ أُخْرَى يُخْرِجُ النَّصُّ عَنْ أَصْلِ دَلَالَتِهِ، فَالْمُعَالَجَةُ تَدُورُ حَوْلَ فَسَادِ الْأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي افْتَرَاهَا الْمُشْرِكُونَ عَلَى اللَّهِ، وَيَبَيِّنُ أَنَّ الدِّينَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْذُ عَهْدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ كَانَ وَفَّقَ مَا جَاءَ فِي الْآيَاتِ (١٤٥) وَ (١٥١) وَ (١٥٢) وَ (١٥٣) وَالْأَحْكَامُ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ شَرَائِعِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ فِي الرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِهَا لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

• ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾: أَي: ثُمَّ بَعَدَمَا أَنْزَلْنَا فِي الرِّسَالَاتِ السَّابِقَاتِ أَحْكَامًا وَشَرَائِعَ هِيَ مِنَ الدِّينِ الَّذِي اصْطَفَيْنَاهُ لِلنَّاسِ، وَهِيَ كَافِيَاتٌ وَمُلَائِمَاتٌ لِلْأَقْوَامِ الَّتِي كُتِفَتْ أَنْ تَعْمَلَ بِهَا، آتَيْنَا مُوسَى كِتَابَ التَّوْرَةِ حَالَةً كَوْنِهِ تَمَامًا كَامِلًا فِي أَحْكَامِهِ وَشَرَائِعِهِ، مَحْمُولًا بِتَمَامِهِ عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ إِيْمَانًا وَإِسْلَامًا وَعَمَلًا، وَحَرَصَ عَلَى أَنْ يَكُونَ مُحْسِنًا مِنْ أَهْلِ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ.

• ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: أي: وَتَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ مُّلاَمٌ لَا يَبْلَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلِغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَقْوَامِ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي عُصُورِهِمْ، فِي رِحْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

• ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾: أُطْلِقَ عَلَى التَّوْرَةِ أَنَّهُ هُدًى، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ مَا فِيهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَالْخَيْرِ، وَفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، فَهُوَ بِمِثَابَةِ عَيْنِ الْهُدَى. لَفْظُ «الْهُدَى» مُصَدَّرٌ «هَذَا يَهْدِيهِ».

وَأُطْلِقَ عَلَى التَّوْرَةِ أَنَّهُ رَحْمَةٌ لِأَنَّهُ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، وَهَذَا مِنْ إِطْلَاقِ اسْمِ الشَّيْءِ عَلَى آثَارِهِ، فَهُوَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ.

• ﴿لَعَلَّهُمْ يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٥٤): أي: رَغْبَةً فِي أَنْ يُؤْمِنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يَوْمَ الدِّينِ، لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَفْهِيمِ الْجَزَاءِ. فَقَدْ كَانَ الْجُمْهُورُ الْأَعْظَمُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا تَنَزَّلَتِ التَّوْرَةُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ غَيْرَ مُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا صَحِيحًا بِيَوْمِ الدِّينِ، وَهَذَا مَا جَعَلَهُمْ يَعْبُدُونَ الْعَجَلَ الذَّهَبِيَّ الَّذِي صَنَعَهُ لَهُمُ السَّامِرِيُّ، فِي الْمُدَّةِ الَّتِي ذَهَبَ فِيهَا مُوسَى إِلَى مُنَاجَاةِ رَبِّهِ وَهُمْ فِي سَيْنَاءَ، بَعْدَ اجْتِيَازِهِمْ بَحْرَ سُوفَ، بِالْمَعْجَزَةِ الْخَارِقَةِ الَّتِي آتَاهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَحِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ خُذُوا الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ، رَفَضُوا حَتَّى رَفَعَ اللَّهُ جَبَلَ الظُّورِ فَوْقَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ بِالْهَلَاكِ، فَخَضَعُوا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْقُرْآنِ وَخِطَابًا لِلْمُشْرِكِينَ الْمَعَالَجِينَ فِي السُّورَةِ:

• ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٥٥) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَنَافِلِكُمْ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَى كِتَابٍ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ (١٥٧):



• ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ...﴾: أي: وهذا القرآن الذي يتلوه رُسُلُنَا عَلَيْكُمْ نَجْمًا فَجْمًا، نَحْنُ الَّذِينَ أَنْزَلْنَاهُ، وَهُوَ ذُو بَرَكَةٍ عَظِيمَةٍ لَا تَنْضَبُ فَيُوضُّ مَعَانِيهِ، وَذُو خَيْرَاتٍ كَثِيرَاتٍ جَدًّا، فِكْرِيَّةٍ، وَنَفْسِيَّةٍ، وَشِفَائِيَّةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

• ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾: أي: فآمِنُوا بِمَا جَاءَ فِيهِ، وَاطِيعُوا مَا جَاءَ فِيهِ مِنْ أَوْامِرَ وَنَوَاهِي وَوَصَايَا.

اتَّبَاعُ إِنْسَانٍ يَكُونُ بَاقِتِفَاءً آثَارِهِ، وَالْإِقْتِدَاءُ بِهِ، وَاتَّبَاعُ الْأَوْامِرِ وَالنَّوَاهِي وَالْوَصَايَا يَكُونُ بِالْعَمَلِ بِهَا، وَاتَّبَاعُ الْحَقِّ يَكُونُ بِالْإِيمَانِ بِأَنَّهُ حَقٌّ، وَبِالْعَمَلِ بِمَا يَفْتَضِيهِ مِنْ عَمَلٍ، وَبِتَرْكِ مَا يَفْتَضِيهِ مِنْ تَرْكِ. وَاتَّبَاعُ الشَّيْطَانِ يَكُونُ بِالْإِسْتِجَابَةِ لِإِعْوَاءَاتِهِ وَإِعْرَاءَاتِهِ وَوَسَاوِسِهِ وَتَسْوِيلَاتِهِ.

• ﴿وَاتَّقُوا﴾: أي: وَاتَّقُوا عَذَابَ رَبِّكُمْ الَّذِي أَبَانَهُ لَكُمْ فِي وَعِيدِهِ الْمُؤَجَّلِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَمَا قَدْ يَكُونُ مِنْهُ مُعْجَلًا فِي الدُّنْيَا.

• ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: أي: رَاجِينَ أَنْ يَرْحَمَكُمُ رَبُّكُمْ، فَيَغْفَرَ لَكُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَاتَّبَاعِ كِتَابِهِ، سَوَابِقِ خَطَايَاكُمْ، وَجَرَائِمِكُمْ، وَكُفْرِكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ رَسُولُ رَبِّكُمْ.

• ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾: ﴿١٥٦﴾

أي: نُوَجِّهُ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الْعَرَبُ، هَذَا الْأَمْرَ بِاتِّبَاعِ الْقُرْآنِ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ الْمُبِينِ، مَنَعَ أَنْ تَقُولُوا مُعْتَذِرِينَ عَنْ كُفْرِكُمْ يَوْمَ الدِّينِ: إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ الرَّبَّانِي عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا هُمَا: الْيَهُودُ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ التَّوْرَةَ، وَالنَّصَارَى الَّذِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْإِنْجِيلَ. وَإِنَّا كُنَّا عَنْ دِرَاسَةِ مَا عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ كِتَابِ رَبَّانِيٍّ لَغَافِلِينَ، غَيْرَ شَاعِرِينَ بِأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَّبِعَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ.

الْعَفْلَةَ عَنِ الشَّيْءِ: انْصِرَافُ الذَّهْنِ عَنْ مُلَاحَظَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ مَعَ وُجُودِهِ فِي مَجَالِ الْإِدْرَاكِ، أَوْ وُجُودِ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ فِي مَجَالِ الْإِدْرَاكِ.

• ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ...﴾:

أي: أَوْ مَنَعَ أَنْ تَقُولُوا: لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ الَّذِي هُوَ هُدًى وَرَحْمَةٌ مِنْ رَبِّنَا، لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ.

• ﴿... فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ...﴾:

أي: فَهَلْذِهِ بَيْنَهُ وَاضِحَةٌ جَلِيَّةٌ بَلَّغَتْكُمْ الْعَرَبِيَّةَ، جَاءَتْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، وَهُوَ كِتَابُهُ الْقُرْآنُ، الَّذِي هُوَ هُدًى يَهْدِيكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَإِلَى صِرَاطِ رَبِّكُمْ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ أَثَرٌ مِنْ أَثَارِ رَحْمَتِهِ لِإِنْقَادِكُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّكُمْ، وَلِفُوزِكُمْ بِالْخُلُودِ يَوْمَ الدِّينِ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ، سَعْدَاءُ تَنَالُونَ كُلَّ مَا تُحِبُّونَ وَمَا تَشْتَهُونَ وَفَوْقَ مَا تَشْتَهُونَ.

• ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا...﴾ (١٥٧)؟!

صَدَفَ عَنْهَا: أي: أَعْرَضَ وَمَالَ عَنْهَا وَلَمْ يَتَّبِعْ مَا جَاءَ فِيهَا.

والاستفهام يُرَادُ بِهِ النفي، أي: فَلَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَمَالَ عَنْهَا مُعْرِضًا غَيْرَ عَابِيٍّ بِمَا فِيهَا مِنْ هُدًى وَخَيْرٍ وَإِسْعَادٍ لِلْمُؤْمِنِينَ.

والمرادُ بِآيَاتِ اللَّهِ هُنَا آيَاتُهُ الْبَيِّنَاتُ الْمُنَزَّلَةُ عَلَى رَسُولِهِ.

• ﴿... سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا

يَصْدِفُونَ﴾ (١٥٧):

أي: سَنَجْزِي الَّذِينَ يُعْرِضُونَ مَا إِلَيْنَ عَنْ آيَاتِنَا الْمُنَزَّلَاتِ عَلَى رَسُولِنَا، غَيْرَ عَابِيٍّ بِاتِّبَاعِهَا وَالْعَمَلِ بِمَا تَقْتَضِيهِ مِنْهُمْ، شَدِيدَ الْعَذَابِ وَشَاقَّهُ وَمُؤْلَمَهُ.

سُوءَ الْعَذَابِ: أي: شَدِيدَ الْعَذَابِ، وَشَاقَّهُ، وَمُؤْلَمَهُ، وَهُوَ مِنْ إِضَافَةِ

الصفة إلى الموصوف، وأصل الكلام: العذاب السوء، أي: الشَّدِيد الشَّاقُّ المؤلم.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُحَذَّرًا وَمُنْذِرًا الْمُعَانِدِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ تَحْذِيرٌ دَائِمٌ لِكُلِّ أُمَّثَلِهِمْ:

● ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

أي؛ هَلْ يَنْتَظِرُونَ وَهُمْ مُلَاذِمُونَ مَوَاقِعَهُمْ فِي الْكُفْرِ إِلَّا وَاحِدَةً مِنْ قَادِمَاتِ ثَلَاث:

القَادِمَةُ الْأُولَى: قَادِمَةُ الْعَذَابِ عِنْدَ قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، إِذْ تَأْتِيهِمْ مَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ، كَمَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي الْآيَةِ (٥٠) مِنْ سُورَةِ (الأنفال/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول).

القَادِمَةُ الثَّانِيَّةُ: قَادِمَةُ مَوْقِفِ الْحِسَابِ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّكَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْفَجْرِ/ ٨٩ مصحف/ ١٠ نزول):

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِئَءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذَكَرُ الْإِنْسَانُ أَنَّ لَهُ الدِّكَرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾.

القَادِمَةُ الثَّالِثَةُ: قَادِمَةُ كُبْرَى مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَآيَاتِهَا، كَخُرُوجِ الدَّابَّةِ الَّتِي تُكَلِّمُ النَّاسَ، وَكَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، دَلٌّ عَلَى هَذِهِ الْقَادِمَةِ: ﴿.. أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا .. ﴿٥٨﴾﴾.

وَمِنْ آيَاتِ رَبِّكَ إِنْزَالُ الْعَذَابِ الْمُعَجَّلِ الشَّامِلِ بِهِمْ لِإِهْلَاكِهِمْ. وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَنَّهُ حِينَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ الَّتِي سَبَقَ

بَيَّانَهَا، لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا إِذَا لَمْ تُكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ، أَوْ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا خَيْرٌ تَكْسِبُهُ إِذَا لَمْ تُكُنْ كَسَبَتْ خَيْرًا مَعَ إِيْمَانِهَا قَبْلَ ذَلِكَ.

وَكَسَبُ الْخَيْرِ فِي الْإِيْمَانِ، هُوَ عَمَلٌ مَا مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ يَكُونُ تَغْيِيرًا عَنْ صِحَّةِ الْإِيْمَانِ وَصِدْقِهِ فِي عُمُقِ الْقَلْبِ.

وَلَا يُشْتَرَطُ فِي نَفْعِ الْإِيْمَانِ إِذَا جَاءَتْ بَعْضُ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي سَبَقَ بَيَّانُهَا، اقْتِرَانُهُ بِكَسَبِ خَيْرٍ فِي الْإِيْمَانِ، إِذْ لَوْ كَانَ هَذَا شَرْطًا لَمَا جَاءَ الْعَطْفُ بِحَرْفِ «أَوْ» بَلْ لَجَاءَ بِالْوَاوِ. فَحَرْفُ «أَوْ» دَلَّنَا عَلَى أَنَّ مَا بَعْدَهَا تَغْيِيرٌ عَنْ قَضِيَّةٍ ثَانِيَّةٍ، هِيَ قَضِيَّةُ كَسَبِ خَيْرٍ فِي الْإِيْمَانِ بَعْدَ مَجِيئِ بَعْضِ آيَاتِ رَبِّكَ، فَهَذَا الْكَسَبُ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا مُؤْمِنَةً، لَمْ تُكُنْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قَبْلَ ذَلِكَ، إِذِ الْبَاعِثُ عَلَى كَسَبِ الْخَيْرِ قَدْ كَانَ بَعْدَ إِقْفَالِ بَابِ التَّوْبَةِ، وَالْآرَاءُ الْمُخَالَفَةُ لِهَذَا الْفَهْمِ مَنُفَوِّضَةٌ بِالنُّصُوصِ الْقَطْعِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

● ﴿قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ .. ﴿١٥٨﴾ : أَي: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: أَنْتَظِرُوا تَحْقِيقَ آمَالِكُمْ بِمَوْتِي وَالتَّخْلُصِ مِنِّي، أَوْ بِحُدُوثِ حَدَثٍ يُوقِفُ مَسِيرَةَ دَعْوَتِي، فَأَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِي وَاتَّبَعُونِي مُنْتَظِرُونَ نَصَرَ اللَّهِ لَنَا، وَمُنْتَظِرُونَ أَنْ يُظْهَرَ دِينُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.

وَهَذَا مَا حَصَلَ فِعْلًا بَعْدَ بَضْعِ سَنِينَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِرَسُولِهِ بِشَأْنِ الْمُشْرِكِينَ وَغَيْرِهِمُ الَّذِينَ تَرَكُوا دِينَ اللَّهِ الْوَاحِدَ، فَتَفَرَّقُوا أَذْيَانًا وَمَذَاهِبَ، وَصَارُوا شِيعًا وَأَحْزَابًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ:

● ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿١٥٩﴾ :

أَي: إِنَّ الَّذِينَ تَرَكُوا دِينَ اللَّهِ وَصِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا

لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الَّتِي بَلَّغْتَهُمْ إِيَّاهَا، لَا بُدَّ أَنْ يَتَّخِذُوا سُبُلًا مُتَفَرِّقَةً مِنْ ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشَّمَالِ، وَهَذِهِ السُّبُلُ تَسِيرُ فِي انْحِدَارٍ إِلَى الْحَضِيضِ وَعَذَابٍ أَلِيمٍ خَالِدٍ يَوْمَ الدِّينِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ دِينٌ بِحَسَبِ سَبِيلِهِ الْانْحِدَارِيِّ الَّذِي اخْتَارَهُ، فَيَكُونُونَ بِذَلِكَ قَدْ فَرَّقُوا دِينَهُمْ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَعَصَّبَ كُلُّ فَرِيقٍ لِدِينِهِ مُشَاعِبًا سَالِكِي سَبِيلِهِ الْآخِذِينَ بِالذِّينِ الْمَلَائِمِ لِهَذِهِ السَّبِيلِ اعْتِقَادًا وَسُلُوكًا.

هُؤْلَاءِ لَسْتُ يَا مُحَمَّدُ فِي شَيْءٍ مِنْ دِينِهِمْ وَجَرَائِمِهِمْ، وَلَسْتُ فِي شَيْءٍ مِنْ مُشَايَعَتِهِمْ، وَلَسْتُ مَسْئُولًا عَنْ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِمْ، فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ، هُوَ الَّذِي يُحِبُّ أَعْمَالَهُمُ الْكَيْدِيَّةَ، وَهُوَ الَّذِي سَيُظْهِرُ دِينَهُ، وَسَيَنْصُرُكَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ عَلَيْهِمْ، وَسَتَأْتِيهِمْ آجَالُهُمْ دُونَ تَحْقِيقِ أَمَالِهِمُ الَّتِي يَنْتَظِرُونَ تَحْقِيقَهَا، وَيَنَالُونَ قِسْطًا مِنْ عَذَابِهِمْ عِنْدَ مَوْتِهِمْ وَفِي مُدَّةِ الْبَرْزَخِ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ لِيَقِفُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لِلْحِسَابِ، وَفُضِّلَ الْقَضَاءُ، وَتَنْفِيذُ الْجَزَاءِ، وَحِينَ يُسَأَلُهُمْ رَبُّهُمْ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَيَاةَ الْإِبْتِلَاءِ، تَوْطِئَةً لِلْحُكْمِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ مِنْ جَزَاءٍ بِالْعَدْلِ.

شِيعًا: جمع «شِيعَةٍ» وهم القوم والجماعة من الناس، الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ عَلَى أَمْرٍ مَا، وَكُلُّ قَوْمٍ أَوْ جَمَاعَةٍ لَهُمْ أَمْرٌ يَسِيرُونَ عَلَيْهِ، أَوْ طَرِيقَةٌ وَاحِدَةٌ يَتَّبِعُونَهَا.

والشِيعَةُ فِي الْغَالِبِ يُنَاصِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِيمَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي خِتَامِ هَذَا الدَّرْسِ مُبَيِّنًا الْقَاعِدَةَ الْعَامَّةَ لِلْجَزَاءِ عِنْدَهُ يَوْمَ الدِّينِ، إِنَّمَا لِلْحَدِيثِ عَنْ مَوْقِفِ حِسَابِ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا:

• ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١١٠):

**الْحَسَنَةُ:** أي: المكسوبةُ الحسنَةُ بالاختيارِ الحرِّ من الموضوع في الحياة الدنيا موضع الامتحان.

**السَّيِّئَةُ:** أي: المكسوبةُ السيِّئةُ بالاختيارِ الحرِّ من الموضوع في الحياة الدنيا موضع الامتحان.

وَقَدْ أَبَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَذْنَى الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْحَسَنَةِ، وَهُوَ مُضَاعَفَةُ الثَّوَابِ عَلَيْهَا إِلَى عَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَهَذِهِ قَابِلَةٌ لِلزِّيَادَةِ بِفَضْلِ اللَّهِ.

وَأَبَانَتْ أَعْلَى الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، وَهُوَ الْعِقَابُ عَلَيْهَا بِمِثْلِهَا فَقَطْ، فَمَهْمَا بَلَغَ عِقَابُ الْمُسِيءِ عَلَى سَيِّئَتِهِ فَإِنَّهُ لَا يُجْزَى إِلَّا بِمِثْلِهَا، وَالْمُسِيئُونَ لَا يُظْلَمُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَهَذَا الْجَزَاءُ قَابِلٌ لِلنَّقْصِ مِنْهُ بِعَفْوِ اللَّهِ وَغُفْرَانِهِ وَفَضْلِهِ عَلَى الْمُسِيئِينَ مِنْ عِبَادِهِ، ضَمَّنَ مُفْتَضِيَاتِ حِكْمَتِهِ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس الثاني والثلاثين من دروس سورة (الأنعام).  
والحمد لله في معونته ومدده وتوفيقه وفتحه.



(٣٧)

**التدبر التحليلي للدرس الثالث والثلاثين من دروس سورة (الأنعام)**  
**الآيات من (١٦١ - ١٦٥) وهو الدرس الأخير**

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَّهِ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ١٦٣﴾ قُلْ أَغْوَى اللَّهُ أُنْبَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ

مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلْقَ الْأَرْضِ  
وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ  
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ .

### القراءات:

(١٦١) • فتح ياء المتكلم من [رَبِّي إِلَى] نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر. وأسكنها باقي القراء العشرة.

(١٦١) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: [دِينًا قِيمًا].

وقراها باقي القراء العشرة: [دِينًا قِيمًا].

وبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد، فمعنى: «قِيم» مُسْتَقِيم استقامة كاملة، إذ الصيغة صيغة مُبَالِغَةٍ لاسم الفاعل «قائم».

وَيَتَرَجَّحُ لَدَيَّ أَنَّ الْمُرَادَ بِقِرَاءَةِ [دِينًا قِيمًا] دِينًا ذَا مَبَادِيٍّ عَظِيمَةٍ تُقَوِّمُ بِهَا الْعُقَايِدَ وَأَنْوَاعَ السُّلُوكِ الْإِنْسَانِي، فَالْلَفْظُ عَلَى هَذَا جَمْعُ قِيمَةٍ، وَهُوَ نَظِيرُ: «دِيمَةٍ، وَدِيمٍ»<sup>(١)</sup>.

(١٦١) • قرأ هشام: [إِبْرَاهِيمَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [إِبْرَاهِيمَ].

(١٦٢) • قرأ قالون، وأبو جعفر: [وَمَحْيَايَ] بِإِسْكَانِ الْيَاءِ الثَّانِيَةِ وَضَلًّا وَوُفْقًا، وَحِينَئِذٍ يَمْدَانٌ مَدًّا مُشْبَعًا لِأَجْلِ السَّاكِنَيْنِ، وَهَذَا وَجْهُ لَوْرَشٍ.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَمَحْيَايَ] وَهُوَ الْوَجْهَ الثَّانِي لَوْرَشٍ، وَحِينَئِذٍ لَا مَدَّ.

(١) قال السمين: هذا على رأي البصريين إِلَّا الْأَخْفَشَ (انظر الآية (٥) من سورة النساء).

وَكُلُّ مَنْ فَتَحَ الْيَأَى فِي الْوَصْلِ يَجُوزُ لَهُ فِي الْوَقْفِ الْأَوْجُهُ الثَّلَاثَةُ مِنْ الشُّكُونِ الْعَارِضِ.

(١٦٣) • أثبت ألف «أنا» من: [وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ]: في الوصل نافع، وأبو جعفر.

وقراها باقي القراء العشرة بحذف الألف وصلًا.

ولا خلاف عندهم في إثبات الألف في الوقف.

### تمهيد:

هذا الدرس من فروع الساق الثاني من ساق شجرة موضوع السورة، وهو الدرس الأخير من دروسها البديعة، وفي آياته يكلف الله عز وجل رسوله أن يعلن لقومه كبريات كليات الدين الذي يؤمن به عقيدة وسلوكًا، ويلتزم العمل به في حياته، وأنه أول المسلمين المطيعين لله في أحكام دينه، وأنه ليس مسؤولاً عن كفر من كفر منهم، وأن مرجعهم إلى الله الذي سوف يجازيهم على ما كسبوا في رحلة امتحانهم في الحياة الدنيا، التي خلقهم فيها، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، ليبلوهم فيما آتاهم.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُعَلِّمًا مَا يَقُولُهُ لِلنَّاسِ:

• ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦١) وفي القراء الأخرى: [دِينًا قِيمًا]:

﴿هَدَيْتُ﴾: أي: بيّن لي، وأوضح، وأرشد، يقال لغة: «هَدَاهُ الطَّرِيقَ، وَهَدَاهُ إِلَيْهِ، وَهَدَاهُ لَهُ» أي: بيّنه وأوضحه له، وأرشده إليه.

أي: قُلْ يَا رَسُولَنَا، يَا مَنْ جَعَلْنَاكَ خَاتَمَ الْمُرْسَلِينَ، وَرَسُولًا لِلنَّاسِ



أَجْمَعِينَ، إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لَا عِوَجَ فِيهِ وَلَا تَنَوُّاءَ، حَالَةً كَوْنُهُ دِينًا مُشْتَمِلًا عَلَى مَبَادِيٍّ وَحَقَائِقَ وَفَضَائِلَ وَمَحَاسِنَ وَضَوَابِطَ لِلسُّلُوكِ النَّفْسِيِّ وَالْجَسَدِيِّ قِيَمَةً، أَي: مُسْتَقِيمَةً اسْتِقَامَةً تَامَةً، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا قِيَمَةٌ فَذَّةٌ تُقَوِّمُ بِهَا مَا يَقْتَرِحُهُ النَّاسُ مِنْ بَدَائِلَ، فَتُكْشَفُ مَا فِيهَا مِنْ نَقْصٍ وَعُيُوبٍ وَمُخَالَفَاتٍ لِمَا تَقْتَضِيهِ سَعَادَةُ النَّاسِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَجَمِيعُهَا قِيَمٌ عَظِيمَةٌ مُتَّصِفَةٌ بِالْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْحُسْنِ وَالْجَمَالِ وَالْكَمَالِ.

أُطْلِقَ الصِّرَاطُ فِي الْقُرْآنِ بِالْأَفْرَادِ اصْطِلَاحًا، عَلَى الدِّينِ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِعِبَادِهِ، الشَّامِلِ لِأَصُولِهِ وَشَرَائِعِهِ وَأَحْكَامِهِ وَبَيَانَاتِهِ وَتَعْلِيمَاتِهِ وَوَصَايَاهُ.

وَهَذَا مِنْ نَقْلِ مَا هُوَ فِي اللُّغَةِ لِلْمَادِيَّاتِ، إِلَى الْمَعْنَوِيَّاتِ وَالْفِكْرِيَّاتِ وَالْمُشَابِهَاتِ لَهَا، عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ أَوَّلًا، ثُمَّ يَجْرِي تَعْمِيمُهُ اصْطِلَاحًا، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

• ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: أَي: دِينَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ بَدَلٌ مِنْ [دِينًا].

الْمِلَّةُ: الدِّينُ، وَالشَّرِيعَةُ.

وَكُونُ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ بِاعْتِبَارِ أَنَّ دِينَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ وَاحِدٌ فِي أَصُولِهِ وَعَقَائِدِهِ وَكُلِّيَّاتِهِ السُّلُوكِيَّةِ. وَفِي بَيَانِ أَنَّهُ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ إِعْلَامٌ لِلْعَرَبِ بِأَنَّهُ أَضَلَّ دِينَهُمْ قَبْلَ التَّحْرِيفَاتِ الشَّرِكِيَّةِ وَالْجَاهِلِيَّةِ هُوَ مَا تَلَقَّوْهُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي تَلَقَّاهُ عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَجَعَلَهُ اللَّهُ بِهِ رَسُولًا لِلْعَرَبِ. وَإِعْلَامٌ لِلْيَهُودِ وَلِلنَّصَارَى بِأَنَّهُ أَضَلَّ دِينَهُمْ هُوَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَجَاءَ تَجْدِيدُهُ تَنْزِيلًا عَلَى مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَهَذَا قَبْلَ التَّحْرِيفَاتِ الَّتِي دَخَلَتْ فِي الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ.

﴿حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: أَي: حَالَةً كَوْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مَائِلًا عَنْ كُلِّ عَوْجٍ فِي مِلَلِ النَّاسِ وَمَذَاهِبِهِمْ، وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالِاسْتِقَامَةِ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، فَالْمَائِلُ عَنْ كُلِّ عَوْجٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُسْتَقِيمًا.

وفي عبارة: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ إسقاط لانتماء العرب إلى إبراهيم عليه السلام، باني الكعبة هو وولده إسماعيل، ومعلم العرب الحج ومناسكها وشعائرها.

وفي عبارة: ﴿إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي﴾ توكيد بـ: «إِنَّ - وَالْجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ» والداعي للتوكيد أن في المخاطبين منكرون، وشاكون، وحالهم تحتاج توكيداً.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي خِطَابِ تَعْلِيمِي لِرَسُولِهِ ﷺ أَيْضًا:

• ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿١٦٣﴾ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾:

الصَّلَاةُ: هِيَ فِي الْإِصْطِلَاحِ الدِّينِيِّ الْعِبَادَةُ الْمَعْرُوفَةُ، ذَاتُ الْقِيَامِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالْجُلُوسِ، وَالتَّلَاوَاتِ، وَالْأَذْكَارِ وَالْأُدْعِيَّةِ.

النُّسُكُ وَالنُّسُكُ: الْعِبَادَةُ، وَكُلُّ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مِنْ عَمَلٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ، نَفْسِيٍّ أَوْ ذِي حَرَكَاتٍ جَسَدِيَّةٍ.

وَفِي هَذَا يُعَلِّمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ: إِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى دِينٍ أَنَا أَوَّلُ الْمُتَزِمِينَ بِهِ، إِنَّ صَلَاتِي الَّتِي هِيَ رَأْسُ أَعْمَالِي التَّعَبُّدِيَّةِ، وَسَائِرُ نُسُكِي الَّذِي أَعْبُدُ بِهِ رَبِّي، مِنْ سُلوِكٍ نَفْسِيٍّ وَجَسَدِيٍّ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ، كُلُّ ذَلِكَ بِإِرَادَتِي الصَّادِقَةِ أَجْعَلُهُ خَالِصًا لِلَّهِ رَبِّي، وَلَا أَجْعَلُ شَيْئًا مِنْهُ لِغَيْرِهِ، إِذْ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَلَا فِي إِلَهِيَّتِهِ.

وَأَوْمِنُ إِيمَانًا رَاسِخًا لَا يَتَزَلُّزَلُ أَنَّ مَحْيَايَ وَمَمَاتِي مِلْكٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ بِكُلِّ شَيْءٍ هُوَ مِنْ ذَاتِي فِي حَيَاتِي،

وَبِكُلِّ شَيْءٍ هُوَ مِنْ ذَاتِي فِي مَوْتِي، فَأَنَا أَجْعَلُ مَا هُوَ لِي بِإِرَادَتِي خَالِصًا لِلَّهِ رَبِّي، كَمَا أَنِّي فِي حَيَاتِي وَفِي مَوْتِي مِلْكٌ لِلَّهِ رَبِّي الَّذِي هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ.

﴿.. وَحَيَاى وَمَمَاتٍ ..﴾: كُلُّ مِنْهُمَا مَصْدَرٌ مِيمِي، فَهُمَا بِمَعْنَى:

حَيَاتِي وَمَوْتِي.

وَاللَّامُ فِي ﴿لِلَّهِ﴾ لِلْمِلْكِ، أَي: صَلَاتِي، وَنُسْكِي، وَحَيَاتِي، وَمَوْتِي، كُلُّهَا مِلْكٌ لِلَّهِ، فَأَنَا أَوْجِهَ صَلَاتِي وَنُسْكِي لِلَّهِ مَالِكِيهِمَا، وَأُؤْمِنُ بِأَنَّ حَيَاتِي وَمَوْتِي هُمَا مِلْكٌ لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ.

﴿.. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ..﴾: أَي: وَبِذَلِكَ الَّذِي هُوَ جَعَلُ صَلَاتِي وَنُسْكِي لِلَّهِ، وَإِيمَانِي بِأَنَّ حَيَاتِي وَمَوْتِي لِلَّهِ أُمِرْتُ مِنَ اللَّهِ رَبِّي الَّذِي، هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

﴿.. وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ..﴾ (١٦٣): أَي: وَبِمَا أَنِّي أَوَّلُ مُتَبَلِّغٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِدِينِ اللَّهِ، فَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَسْلِمِينَ لِلَّهِ رَبِّي فِيهِمْ، الْمُتَلَتِّزِينَ بِطَاعَةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَلَا إِعْفَاءَ لِي عَنْ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَظَرًا إِلَى أَنِّي رَسُولُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخَاتِمَةِ، وَقَائِدُهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي خِطَابٍ تَعْلِيمِيٍّ أَيْضًا لِرَسُولِهِ ﷺ:

﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ ابْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَازِرَةً وَذَرِ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ (١٦٤) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِيفَةَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٦٥):

في هذ الختام الَّذِي خَتَمَ اللَّهُ بِهِ سورة (الأنعام) يُكَلِّفُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولُهُ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ثَمَانِي قَضَايَا:

**القضية الأولى:** دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خُطَاباً لِرَسُولِهِ: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِيَ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ...﴾: اسْتَفْهَمُوا إِنكَارِي تَعَجُّبِي مِنْ دَعْوَةِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى عِبَادَةِ آلِهَتِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

أي: قل يا مُحَمَّدٌ لِلْمُشْرِكِينَ وَاضِعاً نَفْسَكَ مَوْضِعَ الْبَاحِثِ الطَّالِبِ، الَّذِي يَطْلُبُ لِنَفْسِهِ رَبًّا فِي الْوُجُودِ: أَغَيَّرَ اللَّهُ أَطْلُبُ لِنَفْسِي رَبًّا مَالِكاً مَحْيَايَ وَمَمَاتِي، حَتَّى اتَّخَذَهُ إِلَهاً أَحْضَهُ بِصَلَاتِي وَسَائِرِ عِبَادَاتِي، وَأَدْعُوهُ لِيَحَقِّقَ لِي مَا أَرْغَبُ فِيهِ مِنْ جَلْبِ نَفْعٍ، وَدَفْعِ ضَرٍّ، وَهُوَ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ، يُهَيِّمُنْ عَلَيْهِ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَيتَصَرَّفُ فِيهِ بِهَا عَلَى وَفْقِ اخْتِيَارِهِ الْحَكِيمِ.

إِنَّ أَمْرَكُمْ يَا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، وَدَعْوَتُكُمْ إِلَى عِبَادَةِ آلِهَتِكُمْ الَّتِي لَيْسَ لَهَا شَيْءٌ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ، لِمُسْتَنْكَرٌ جَدًّا، وَلَهُوَ أَمْرٌ عَجِيبٌ لَا يَصْدُرُ عَنْ ذِي عَقْلٍ وَفَهُمْ صَحِيحٌ سَلِيمٌ.

**القضية الثانية:** دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً خِطَابَهُ لِرَسُولِهِ: ﴿... وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا...﴾: أي: وَمِنْ حِكْمَتِهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ أَنَّهُ خَلَقَ النَّاسَ بِصِفَاتِهِمُ الْمُتَمَيِّزَةِ، وَجَعَلَ لَهُمْ إِرَادَاتٍ حُرَّةً، لِيَضَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، فَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَقَدْ كَسَبَ لِنَفْسِهِ ثَوَاباً عَظِيماً، يَنْفَضِّلُ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ يَوْمَ الدِّينِ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. وَمَنْ عَصَى رَبَّهُ الَّذِي وَضَعَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، فَقَدْ جَنَى بِكَسْبِهِ عَلَى نَفْسِهِ اسْتِحْقَاقَ عُقُوبَةٍ مِنْ رَبِّهِ بِالْعَدْلِ عَلَى مِقْدَارِ ذَنْبِهِ. وَلَا تَجْنِي نَفْسٌ بِمَا تَكْسِبُ مِنْ آثَامٍ، عُقُوبَاتٍ مِنْ رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا عُقُوبَاتِ مُسَلِّطَاتٍ عَلَيْهَا فَقَطْ، لَا يُشَارِكُهَا فِيهَا أَحَدٌ.

**القضية الثالثة:** دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً خِطَابَهُ التَّعْلِيمِي لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿... وَلَا يُزِرُّ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى...﴾ أي: وَلَا تَحْمِلْ نَفْسٌ مِنْ

شَأْنُهَا أَنْ تَرْتَكِبَ وِزْرًا بِمَعَاصِيهَا لِرَبِّهَا، وَزَرَ نَفْسٍ أُخْرَى حَمَلَتْ بِكَسْبِهَا  
وِزْرًا، وَلَوْ شَاءَتْ ذَلِكَ رَغْبَةً مِنْهَا فِي أَنْ تُخَفَّفَ عَنِ النَّفْسِ الْوَازِرَةِ الَّتِي  
تُحِبُّهَا شَيْئًا مِنْ أَوْزَارِهَا، فَعَدَّلَ اللَّهُ يَأْتِي تَشَارُكَ الْوَازِرِينَ فِي آثَامِهِمْ، بَلْ  
كُلُّ وَاحِدٍ يَحْمِلُ مِنَ الْوِزْرِ مَا كَسَبَ بِإِرَادَتِهِ الْحُرَّةِ، وَلَا يَحْمِلُ أَحَدٌ مَعَهُ  
مِنْهُ شَيْئًا وَلَوْ طَلَبَ ذَلِكَ، وَلَنْ يَطْلُبَ. وَفِي مُقَابِلِ هَذَا: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا  
فَلِنَفْسِهِ عَمَلَهُ، لَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِيهِ.

الْوِزْرُ: الْحَمْلُ الثَّقِيلُ، وَأُظْلِقَ عَلَى الذَّنْبِ الَّذِي يَرْتَكِبُهُ الْمُكَلَّفُ  
الْمُخْتَارُ، الْمَسْئُولُ عَنْ أَعْمَالِهِ الْإِرَادِيَّةِ.

الْقَضِيَّةُ الرَّابِعَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا خِطَابَهُ التَّعْلِيمِيَّ  
لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿.. ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۖ﴾:

أَي: ثُمَّ بَعْدَ رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَمُوتُونَ، وَتَمْضِي عَلَيْكُمْ مُدَّةُ  
الْبَرْزَخِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَ حَيَاتِكُمْ الْأُولَى، وَحَيَاتِكُمْ الْآخِرَى بِالْبَعْثِ وَقِيَامِكُمْ مِنْ  
أَجْدَاثِكُمْ، عِنْدِيذٍ يَكُونُ رُجُوعُكُمْ إِلَىٰ مُلَاقَاةِ رَبِّكُمْ فِي مَحْكَمَةِ يَوْمِ الدِّينِ،  
وَفِي هَذِهِ الْمَحْكَمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ تُسْأَلُونَ، وَتُحَاسِبُونَ، وَيُنَبِّئُكُمْ رَبُّكُمْ بِكُلِّ مَا  
كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ مِنْ إِيْمَانٍ وَعَمَلٍ نَفْسِيٍّ وَجَسَدِيٍّ، ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ.

فَمَنْ وَافَقَ اخْتِلَافُهُ دِينَ اللَّهِ رَبِّهِ، الَّذِي جَعَلَ الْإِلْتِمَامَ بِهِ هُوَ مَطْلُوبُهُ  
مِنْ عِبَادِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ، نَجَا وَكَانَ مِنَ السُّعَدَاءِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ،  
دَارِ جَزَاءِ الْمُتَّقِينَ.

وَمَنْ كَانَ اخْتِلَافُهُ مُضَادًّا لِدِينِ اللَّهِ رَبِّهِ، كَانَ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ فِي  
الْجَحِيمِ، دَارِ عَذَابِ الْمُجْرِمِينَ.

وَمَنْ كَانَ اخْتِلَافُهُ مُوَافِقًا لِدِينِ رَبِّهِ فِي الْإِيْمَانِ، مَعَ ارْتِكَابِهِ  
مَعَاصِيَ لِلَّهِ فِي السُّلُوكِ، اسْتَحَقَّ مِنَ الْعِقَابِ عَلَىٰ مِقْدَارِ مَا اكْتَسَبَ فِي  
رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ مِنْ أَوْزَارٍ وَآثَامٍ، وَقَدْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ وَيَعْفُو عَنْهُ بِحُكْمَتِهِ مَا

اِكْتَسَبَ أَوْ بَعْضَ مَا اِكْتَسَبَ، بِحَسَبِ عِلْمِهِ بِالظُرُوفِ الَّتِي مَرَّ بِهَا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ أَحَدًا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

جَاءَتْ عِبَارَةٌ: ﴿فَيُتَبِّحُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ كِنَايَةً عَنْ كُلِّ مَا يَجْرِي فِي مَحْكَمَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ هَذَا الْإِنْبَاءَ فِقْرَةٌ مِنْ فِقَرَاتِ هَذِهِ الْمَحْكَمَةِ، فَهِيَ تَدُلُّ بِاللُّزُومِ الْفِكْرِيِّ عَلَى مَا يَكُونُ قَبْلَهَا، وَمَا يَكُونُ بَعْدَهَا، وَهَذَا مِنَ الْكِنَايَاتِ عِنْدَ الْبَلَغِيِّينَ.

الْقَضِيَّةُ الْخَامِسَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا خِطَابَهُ التَّعْلِيمِيَّ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ...﴾:

خَلَائِفَ: جَمْعُ «خَلِيفَةٍ» يَكُونُ بِمَعْنَى: «فَاعِلٌ» وَيَكُونُ بِمَعْنَى: «مَفْعُولٌ» وَهُوَ مَنْ يَخْلُفُ غَيْرَهُ فَيَحُلُّ مَحَلَّهُ، إِذَا كَانَ بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ، وَمَنْ يَخْلُفُهُ غَيْرُهُ فَيَحُلُّ مَحَلَّهُ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ.

أَي: وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ، تَخْلُفُونَ مَنْ قَبْلَكُمْ وَيَخْلُفُكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لِيَقْضِيَ الْخَالِفُونَ رِحْلَةَ امْتِحَانِهِمْ، بِحَسَبِ آجَالِهِمْ الْمُقَدَّرَةَ لَهُمْ.

الْقَضِيَّةُ السَّادِسَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُتَابِعًا خِطَابَهُ التَّعْلِيمِيَّ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿... وَرَفَعَ بَعْضُكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ﴾:

أَي: وَجَعَلَكُمْ رَبُّكُمْ مُتَفَاوِصِينَ فِي هَبَاتِهِ وَعَطَايَاهُ لَكُمْ فِي ذَوَاتِكُمْ وَفِيمَا مَلَكَكُمْ إِيَّاهُ مِنْ أَشْيَاءَ، وَفِيمَا مَتَّعَكُمْ بِهِ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَفِيمَا مَكَّنَكُمْ مِنْ أَنْ تَتَصَرَّفُوا فِيهِ، وَفِيمَا وَهَبَكُمْ مِنْ زِينَاتٍ وَسُلْطَانٍ وَمَجْدٍ وَثَنَاءٍ حَسَنٍ، وَعِزٍّ وَذُلٍّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مُتَفَاوِصَاتٍ صَاعِدَاتٍ أَوْ هَابِطَاتٍ.

وَمِنْ حِكْمِ اللَّهِ فِي هَذَا التَّفَاوُلِ أَنْ يَمْتَحِنَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِيمَا آتَاهُ، وَجَاءَ فِي نَصِّ آخَرَ: أَنْ يَتَّخِذَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا بِحَسَبِ خَصَائِصِ كُلِّ مِنْكُمْ.

إِنَّ مِنَ الظَّاهِرِ الْجَلِيِّ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَنَّ نِظَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْخَلْقِ قَائِمٌ عَلَى التَّفَاضُلِ مِنْ أَذْنَى سُلَمٍ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْلَاهُ، فِي الذِّكَاةِ، فِي الْجَمَالِ، فِي الْقُوَّةِ، فِي الْمَالِ، فِي الصِّحَّةِ، فِي الْمَرَضِ، فِي الْعِزِّ، فِي الدَّلِّ، فِي إِتْقَانِ الصَّنَاعَاتِ وَعَدَمِ اتِّقَانِهَا، فِي كُلِّ شَيْءٍ .

الْقَضِيَّةُ السَّابِعَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُتَابِعاً خِطَابَهُ التَّعْلِيمِيَّ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿... إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ...﴾:

أَي: وَقُلْ لِمَنْ تَرَى أَنَّ مِنَ الْمَضْلَحَةِ أَنْ تُرْهِبَهُ مِنْ عِقَابِ رَبِّهِ بِأَسْلُوبِ الْخُطَابِ الْإِفْرَادِيِّ: إِنَّ رَبَّكَ الَّذِي هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، إِذَا قَضَى بِحُكْمَتِهِ أَنْ يُعَاقِبَ الْمُذْنِبَ مِنْ عِبَادِهِ، وَقَدَّرَ لِعِقَابِهِ زَمَنًا، فَإِنَّهُ سَرِيعُ تَنْفِيزِ الْعِقَابِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِعْدَادٍ وَسَائِلٍ، وَتَهْيِئَةِ أَسْبَابٍ، بَلْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ الَّذِي قَدَرَهُ وَقَضَاهُ: كُنْ، فَهُوَ يَكُونُ عِقَبَ أَمْرِ التَّكْوِينِ مُبَاشَرَةً.

لِكِنَّهُ سُبْحَانَهُ حَلِيمٌ صَبُورٌ يُمْهِلُ عِبَادَهُ حَتَّى آخِرِ مَقْدَارِ زَمَنِي تَقْتَضِي حُكْمَتَهُ أَنْ يَمْنَحَهُمُ الْإِمْهَالَ إِلَيْهِ.

فَسُرْعَةُ الْعِقَابِ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ سُلْطَانِ قُدْرَتِهِ، فِي الزَّمَنِ الْمُقَدَّرِ لِتَنْفِيزِ قَضَائِهِ، أَمَّا حِلْمُهُ وَصَبْرُهُ فَهُمَا مَظْهَرَانِ مِنْ مَظَاهِرِ رَحْمَتِهِ وَرَأْفَتِهِ بِعِبَادِهِ، رَغْبَةً فِي أَنْ يَتُوبُوا وَيُصْلِحُوا وَيُصْلِحُوا.

الْقَضِيَّةُ الثَّامِنَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً خِطَابَهُ التَّعْلِيمِيَّ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿... وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١٦٥﴾:

أَي: وَقُلْ مُطْمَعًا الْمُذْنِبِينَ مَهْمَا عَظُمَتْ ذُنُوبُهُمْ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالِإِيمَانِ وَالِإِسْلَامِ وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى صِرَاطِ رَبِّكَ الْمُسْتَقِيمِ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ، لَغَفُورٌ رَحِيمٌ:

غَفُورٌ: أَي: كَثِيرُ الْغُفْرَانِ وَعَظِيمُهُ. غَفُورٌ: صِيغَةُ مُبَالِغَةٍ لِغَافِرٍ.

رَحِيم: أي: واسعُ الرَّحْمَةِ وَعَظِيمُهَا. رَحِيم: صِيغَةُ مبالغةٍ لراحم.

ويلاحظُ أَنَّ عِبَارَةَ الإِطْمَاعِ هَذِهِ جَاءَتْ مُؤَكَّدَةً بِمَا يَلِي: «إِنَّ - الْجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ - اللَّامُ الْمُزْحَلَقَةُ».

أَمَّا عِبَارَةُ الْقَضِيَّةِ السَّابِعَةِ فَقَدْ جَاءَتْ مُؤَكَّدَةً بِمُؤَكِّدَيْنِ فَقَطْ، إِذْ لَيْسَ فِيهَا لَامُ الْإِبْتِدَاءِ الْمُزْحَلَقَةُ إِلَى الْخَبَرِ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ). وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ الْمُبِينِ.



(٣٨)

### ملحق

### مُسْتَخْرَجَاتُ بَلَاغِيَّةِ مِنَ السُّورَةِ

يُوجَدُ فِي سُورَةِ (الْأَنْعَامِ) اخْتِيَارَاتُ بَلَاغِيَّةٍ هِيَ مِنْ عَنَاصِرِ إعجازِ القرآنِ المجيد، ومنها المُسْتَخْرَجَاتُ التَّالِيَاتُ الَّتِي لَمْ أُسْتَفْصَلْ فِيهَا كُلُّ مَا يُمْكِنُ اسْتِخْرَاجُهُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ.

### أولاً

مِنْ عَنَاصِرِ إعجازِ القرآنِ الحذفُ مِنْ مَنْطُوقِ اللَّفْظِ، وَالطَّيُّ فِي الْمَثَانِي، مَعَ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَطْوِيِّ فِيهَا بِإِشَارَاتٍ لَفْظِيَّةٍ، أَوْ لَوَازِمٍ فِكْرِيَّةٍ، أَوْ دَلَالَاتٍ نَصُوصٍ أُخْرَى مُوزَّعَاتٍ فِي القرآنِ المجيد.

وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ عَلَى هَذَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ مَا يَلِي:

المثال الأول: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿.. لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۖ﴾





أي: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ مَسْوِقِينَ ﴿إِلَى﴾ مَوْقِفِ الْحِسَابِ وَفَضْلِ الْقَضَاءِ فِي  
﴿يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

المثال الثاني: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٧):

حُذِفَ مِنَ الْوَاخِرِ لِدَلَالَةِ الْأَوَائِلِ. أي: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ فَلَا  
رَافِعَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴿فَهُوَ﴾ الْحَفِيزُ النَّافِعُ، وَهُوَ الْكَاشِفُ الرَّافِعُ، وَهُوَ ﴿عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

المثال الثالث: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿.. وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ..﴾ (١٩):

أي: لِأُنذِرَكُمْ يَا سَامِعِي بِمَا جَاءَ فِيهِ مِنْ إِنْذَارَاتٍ بِعِقَابٍ عَاجِلٍ أَوْ  
أَجَلٍ، وَلِأُنذِرَ مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَتِي، وَمَنْ بَلَغَهُ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ حَقَائِقِ  
هَٰذَا الدِّينِ.

المثال الرابع: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَهُمْ يَتَهَوَّنَ عَنْهُ وَيَتَنَوَّنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢١):

أي: وَهُمْ يَنْهَيْهِمْ عَنِ اتِّبَاعِ الْقُرْآنِ وَبِنَائِهِمْ عَنْهُ يَفْعَلُونَ أَفْعَالًا مُهْلِكَةً،  
وَمَا يُهْلِكُونَ بِهَا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، وَمَا يَشْعُرُونَ، لِأَنَّ عِقَابَهُمْ لَيْسَ مُقَارِنًا  
لِأَفْعَالِهِمْ، وَلَا يَأْتِي عَقِبَ أَفْعَالِهِمْ مُبَاشَرَةً، وَإِنَّمَا يَأْتِي بَعْدَ مُدَّةٍ بَعْتَهُ وَهُمْ  
لَا يَشْعُرُونَ.

وفي هذه الآية قَصْرٌ أَيْضًا، وَهُوَ قَصْرُ إِهْلَاكِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

المثال الخامس: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيِّنُنَا نُرِدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِمَا يَأْتِي رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٧):

أي: ولو ترى أيها الرائي أيًّا كُنْتَ إِذْ وَقَفُوا عَلَى الْمَكَانِ الْمُشْرِفِ عَلَى هَاوِيَةِ النَّارِ، وهذا يَكُونُ عِنْدَ أَبْوَابِهَا.

المثال السادس: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٢٠):

أي: ولو ترى أيها الرائي أيًّا كُنْتَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ وَيَوْمَ الدِّينِ، حِينَ وَقَفُوا عَلَى مَوْقِفِ مُحَاكَمَةِ رَبِّهِمْ لَهُمْ، لَرَأَيْتَ ذِلَّتَهُمْ وَاعْتِرَافَهُمْ بِأَنَّ مَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا حَقًّا، فَيُضْذِرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحُكَمَ عَلَيْهِمْ بِالْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: ادخلوا النار ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ جحوداً واستكباراً واتباعاً للهوى.

المثال السابع: قول الله عَزَّ وَجَلَّ خطاباً لرسوله:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأُودُوا حَتَّىٰ أَنلَهُمْ نَصْرًا﴾ (٢٤):

أي: وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ يَا مُحَمَّدٌ وَأُودُوا فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا بِهِ، وَعَلَىٰ مَا أُودُوا بِهِ، حَتَّىٰ أَنَاهُمْ نَصْرُنَا، فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا حَتَّىٰ يَأْتِيكَ نَصْرُنَا.

المثال الثامن: قول الله عَزَّ وَجَلَّ خطاباً لرسوله أيضاً:

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ (٢٥):

أي: وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ الِهُمُّ وَالْحُزْنُ بِسَبَبِ إِعْرَاضِ مَنْ تَحْرِصُ

على إيمانِهِمْ وإِسْلَامِهِمْ، وَبِسَبَبِ عَدَمِ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَتِكَ، فَثَقُلَ هَذَا عَلَى مَا لَدَيْكَ مِنْ احْتِمَالٍ وَصَبْرٍ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَطْلُبَ حَفَرَ نَفَقٍ فِي الْأَرْضِ، أَوْ صُنْعَ سُلَمٍ تَصْعَدُ بِهِ فِي السَّمَاءِ، فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ تَجْعَلُهُمْ يَخْضَعُونَ لَهَا مُؤْمِنِينَ فَافْعَلْ.

وَلَنْ يَفْعَلَ الرَّسُولُ شَيْئًا عَلَى خِلَافِ حِكْمَةِ اللَّهِ، وَلَكِنْ يُبَيِّنُ اللَّهُ بِهِذَا لِلْمُتَعَنِّتِينَ حُدُودَ وَظِيفَةِ الرِّسُولِ فِيهِمْ، وَأَنَّ الْإِتْيَانَ بِالْآيَاتِ الْخَارِقَاتِ الْمَعْجَزَاتِ لَيْسَ مِنْ صِلَاحِيَّاتِهِ.

المثال التاسع: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خُطَابًا لِرَسُولِهِ مُعَلِّمًا:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٦﴾ بَلْ إِلَهُهُ تَدْعُونَ .. ﴿٤٧﴾﴾:

أي: أَرَأَيْتُمْ أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ مَا يُنْزِلُ بِكُمْ عَذَابَ اللَّهِ مِنْ وَسَائِلٍ، أَوْ أَتَتْكُمْ مُقَدِّمَاتُ السَّاعَةِ، أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ لِيَصْرِفَ عَنْكُمْ مَا هُوَ مُقْبِلٌ نَحْوَكُمْ، أَخْبِرُونِي إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

فَإِنْ قَالُوا: نَدْعُوا آلِهَتَنَا، فَقُلْ لَهُمْ: لَا تَكْذِبُوا، بَلْ تَخْضُونَ اللَّهَ وَحْدَهُ بِالْدُّعَاءِ، لِأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ آلِهَتَكُمْ لَا تُغِيثُكُمْ وَلَا تُنْجِيكُمْ، بَلِ اللَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَغِيثُكُمْ وَيُنْجِيكُمْ إِنْ شَاءَ، لِأَنَّهُ هُوَ الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ.

المثال العاشر: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خُطَابًا لِرَسُولِهِ مُعَلِّمًا:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾:

جواب الشَّرْطِ فِي: ﴿إِنْ أَتَاكُمْ﴾ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: فَلَا إِلَهَ غَيْرُ اللَّهِ يَصْرِفُ عَنْكُمْ مَا أَتَاكُمْ مِنْ وَسَائِلٍ تَعْذِيبُكُمْ.

المثال الحادي عشر: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٥٥) :

أي: ومِثْلَ التفصيل الذي سَبَقَ في الآيات، نُفَصِّلُ الْآيَاتِ بِحَسَبِ مُفْتَضِيَّاتِ الْحِكْمَةِ، لِيَسْتَبِينَ وَيُظْهَرَ صِرَاطُ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ، وَلِيَسْتَبِينَ وَتُظْهَرَ سَبِيلُ الْمَجْرِمِينَ، الَّذِينَ سَوْفَ يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَالِدِينَ فِي عَذَابِ الْجَحِيمِ.

المثال الثاني عشر: قولُ الله عَزَّ وَجَلَّ خطاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أُنِيعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) :

أي: ﴿قُلْ لَا أُنِيعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ فَإِنِّي إِنْ اتَّبَعْتُ أَهْوَاءَكُمْ أَكُونُ ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

المثال الثالث عشر: قولُ الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥٧) .

أي: ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ عِنْدَهُ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ وَتَعُودُ أَجْسَادُكُمْ تُرَاباً، ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ مِنْ مَوْتِكُمْ بَعْدَ مُدَّةِ الْبَرْزَخِ ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ لِتُلَاقُوا حِسَابَكُمْ، وَفَضْلَ قَضَائِهِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ﴿ثُمَّ﴾ فِي مَحْكَمَتِهِ ﴿يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ﴾ فِي حَيَاةِ ابْتِلَائِكُمْ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ تَوْطئةً لِإِصْدَارِ أَحْكَامِهِ.

المثال الرابع عشر: قولُ الله عَزَّ وَجَلَّ خطاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَنْجِنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٥٨) :

أي: قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ كُرْبَاتٍ تُحِيطُ بِكُمْ فِي ﴿ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾.

المثال الخامس عشر: قولُ الله عَزَّ وَجَلَّ خطاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۖ .. ﴿٧٥﴾﴾ :

أي: ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ﴾ فيجعلكم ﴿شَيْعًا﴾ مُتَضَادَّةً مُتَعَادِيَةً مُتَفَاتِلَةً ﴿وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ .

المثال السادس عشر: قول الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ :

أي: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الَّذِي سَبَقَ بَيَانُهُ مِنْ جِدَالِ إِبْرَاهِيمَ لِقَوْمِهِ ﴿نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ لِيَكُونَ ذَا حُجَجٍ بُرْهَانِيَّةٍ يُثَبِّتُ بِهَا أَنَّهُ لَا رُبُوبِيَّةَ فِي الْكُؤْنِ إِلَّا لَنَا، وَلَا إِلَهِيَّةَ بِحَقِّ فِي الْكُؤْنِ إِلَّا لَنَا ﴿وَلَيَكُونُ﴾ هُوَ فِي ذَاتِهِ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بِذَلِكَ، الْعَالِمِينَ بِهِ عِلْمًا لَا يُخَالِطُهُ وَلَا يَمَسُّهُ شَكٌّ .

المثال السابع عشر: قول الله عزَّ وجلَّ لِرَسُولِهِ:

﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۖ .. ﴿٩٦﴾﴾ :

أي: ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَسْكُنُ ﴿أُمَّ الْقُرَىٰ وَ﴾ كُلَّ ﴿مَنْ حَوْلَهَا﴾ من النَّاسِ حَتَّىٰ آخِرِ سَاكِنٍ فِي الْأَرْضِ، وَيَقُومُ مَعَكَ بِالْإِنذَارِ الدُّعَاةِ مِنْ أَمَّتِكَ عَلَى تَتَابُعِ الْأَجْيَالِ .

المثال الثامن عشر: قول الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ ۖ .. ﴿٩٦﴾﴾ :

جواب «لَوْ» مطويٌّ، تقديرُهُ: لَرَأَيْتَ شِدَّةَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ عَذَابٍ عَظِيمٍ .

المثال التاسع عشر: قول الله عزَّ وجلَّ خطاباً للمشرِّكين يَوْمَ الدِّينِ:

﴿.. لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾:

أي: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ﴾ الْوَاصِلُ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ وَبَيْنَ إِلَهَتِكُمْ مِنْ أَسْبَابٍ، فَلَمْ تَجِدُوا لَهَا أَثَرًا.

المثال العشرون: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رُبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾:

أي: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ﴾ أَوْ دَرَكَاتٍ ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾.

المثال الحادي والعشرون: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿.. وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ .. ﴿١٥٦﴾﴾:

أي: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ وَالْمِكْيَالَ، وَالْوِزْنَ ﴿وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ دَلَّ «الكيل» الذي هو مَصْدَرٌ عَلَى «الوزن» المحذوف. ودَلَّ «الميزان» الذي هو آلَةٌ عَلَى الْمِكْيَالِ المحذوف.

الكيل: التقدير بالمكيال.

الميزان: الأداة الَّتِي يُوزَنُ بِهَا.

## ثانيًا

من منهج البيان القرآني في الأقوال والأحداث والقِصَص استقطاع النُصُوصِ مِنْ أَرْوَاقِهَا الْمَاضِيَةِ أَوْ الْمُسْتَقْبَلَةِ وَعَرْضُهَا بِاللِّفَظِهَا، دُونَ الْإِشَارَةِ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ كَذَا فِيمَا مَضَى، أَوْ سَيَكُونُ فِيمَا سَيَأْتِي. وَهَذَا فَنٌّ بَدِيعٌ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ الْأَدَبَاءُ وَالْبُلَغَاءُ، وَاکْتَشَفَهُ الْإِعْلَامِيُّونَ حَدِيثًا.

ومن أمثلة هَذَا الْفَنِّ الْبَدِيعِ فِي السُّورَةِ مَا يَلِي:

(١) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ أَهْلِ جَهَنَّمَ وَقَدْ جَاءَ فِي مَعْرَضِ

الحديث عن المشركين:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَ نَارُ وَلَا نُنْكَدُ بِإِثْنَيْنِ رَبَّنَا وَكَوْنُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٧٧﴾:

أي: وَلَوْ تَرَىٰ أَيُّهَا الرَّائِي أَيًّا كُنْتَ، هَذَا الْمَوْقِفَ الَّذِي سَوْفَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَرَأَيْتَ مَا فِيهِ عِبْرَةٌ عَظِيمَةٌ لِمَنْ يَتَعَبَّرُ، وَلَكِنْ لَا يُجْدِي يَوْمَئِذٍ الْاِعْتِبَارُ.

وقد جاءَ التَّعْبِيرُ هُنَا عَمَّا سَوْفَ يَحْدُثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصِيغَةِ الْفِعْلِ الْمَاضِي فِي «وَقَفُوا» وَفِي «فَقَالُوا» اسْتِقْطَاعًا مِنَ الْحَدَثِ الَّذِي سَوْفَ يَكُونُ حَتْمًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَظَاهِرٌ أَنَّ التَّعْبِيرَ عَمَّا سَوْفَ يَحْدُثُ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي تَعْبِيرٌ يُؤَكِّدُ أَنَّهُ سَوْفَ يَتَحَقَّقُ حَتْمًا، فَهُوَ بِمِثَابَةِ أَدَوَاتِ تَوْكِيدٍ.

(٢) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ أَهْلِ جَهَنَّمَ أَيْضًا:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ٣٠﴾:

أي: وَلَوْ تَرَىٰ أَيُّهَا الرَّائِي أَيًّا كُنْتَ، هَذَا الْمَوْقِفَ الَّذِي سَوْفَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَ يُوقَفُونَ عَلَىٰ مَوْقِفٍ حَسَابٍ رَبِّهِمْ لَهُمْ.

وَمَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ نَظِيرٌ مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.

(٣) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ١٢٨﴾:

هَذِهِ الْآيَةُ شَبِيهَةٌ سَابِقَتَيْهَا فِي الْاسْتِقْطَاعِ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ، وَحِكَايَتِهِ بِأَسْلُوبِ حِكَايَةِ حَدِيثٍ مَضَى لِتَوْكِيدِ أَنَّهُ سَوْفَ يَحْدُثُ حَتْمًا.

## ثالثاً

التقديم والتأخير على خلاف الأصل في ترتيب عناصر الجملة العربية، من فنون التي تستخدم لداع بلاغي، ومنه في السورة قول الله عز وجل؛

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخَذُ وَلِيًّا فَاظِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ..﴾ (٤١)

في هذا النص قدم المعمول ﴿غَيْرَ اللَّهِ﴾ على العامل فيه ﴿أَتَّخِذُ﴾ وسلط على المقدم الاستفهام، للبداء بالإشعار بمناط الاستنكار، وهو أن يكون غير الله متخذاً معبوداً، وليس الاستنكار موجهاً لاتخاذ الولي المعبود، فالولي المعبود الحق يجب اتخاذه ولياً.

## رابعاً

من العناصر البلاغية المجددة لانتباه المتلقي ما يسميه علماء المعاني «اللتفات» وهو التحويل في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر من طرق الكلام الثلاث: «التكلم، والخطاب، والغيبة» مع أن الظاهر في متابعة الكلام يقتضي الاستمرار على ملازمة التعبير، وفق الطريقة المختارة أولاً دون التحول عنها.

وأضاف السكاكي التعبير ابتداءً في أول الكلام بواجدة من هذه الطرق، إذا كان على خلاف مقتضى الظاهر.

وقد رأيت إضافة التحول من خطاب مخاطب أو أكثر، إلى مخاطب آخر أو أكثر، دون تصريح بما يدل على التحول.

ومن أمثلة الالتفات في السورة ما يلي:

(١) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿.. ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ



قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠٩﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حَدِيثٌ بِالْغَيْبَةِ. ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ تَحَوُّلٌ إِلَى الْخِطَابِ.

(١) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ..﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي﴾ حَدِيثٌ بِالْغَيْبَةِ ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ تَحَوُّلٌ إِلَى التَّكَلُّمِ.

### خامساً

مِنْ عناصر الإيجاز في الكلام «التَّضْمِينُ» وهو تَضْمِينُ كَلِمَةٍ مَعْنَى كَلِمَةٍ أُخْرَى، وَجَعْلُ الْكَلَامِ بَعْدَهَا مَبْنِيًّا عَلَى الْكَلِمَةِ غَيْرِ الْمَذْكُورَةِ، كَالْتَعْدِيَةِ بِالْحَرْفِ الْمُنَاسِبِ لِمَعْنَاهَا، فَتَكُونُ الْجُمْلَةُ بِهِذَا التَّضْمِينِ بِقُوَّةٍ جُمَلَتَيْنِ.

ومن أمثلة التَّضْمِينِ فِي السُّورَةِ مَا يَلِي:

(١) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ..﴾ ﴿٥١٠﴾

ضُمِّنَ فِعْلٌ ﴿وَذَكَرَ﴾ مَعْنَى فِعْلِ «حَذَرَ» أَوْ «أَنْذَرَ» فَعْدِيَّ تَعْدِيَّتِهِ، أَيْ: وَذَكَرَ مُحَذَّرًا مِنْ أَنْ تُبْسَلَ، (أَيْ: مَنْ أَنْ تُرْتَهَنَ وَتُسَلَّمَ لِلْعَذَابِ).

وَضُمِّنَ فِعْلٌ فِي: ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ﴾ مَعْنَى فِعْلِ «وَتَقَدَّمْ» فَالْمَعْنَى: وَإِنْ تَعْدِلْ مُقَدِّمَةً كُلِّ فِدَاءٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا. عَلَى أَنَّهَا لَنْ تَجِدَ مَا تُقَدِّمُهُ فِدَاءً.

(٢) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿الْيَوْمَ نَجْزِيكَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٩٣).

ضَمَّنَ الْفِعْلُ فِي: ﴿تَقُولُونَ﴾ مَعْنَى الْفِعْلِ فِي: «تَكْذِبُونَ» فَعْدِي تَعْدِيَّتُهُ بِحَرْفِ الْجَرِّ «عَلَى». أَي: تَقُولُونَ كَاذِبِينَ عَلَى اللَّهِ.

وَضَمَّنَ الْفِعْلُ فِي: ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ مَعْنَى الْفِعْلِ فِي: «تَمْنَعُونَ» أَي: تَسْتَكْبِرُونَ مُمْتَنِعِينَ عَنْ اتِّبَاعِ آيَاتِ اللَّهِ.

### سادساً

مِنْ نَفِيسِ الْبَيَانِ غَيْرِ الْمُبَاشِرِ لِلدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ «الْكِنَايَةِ» وَهِيَ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ:

الْلَفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِيهَا وَضِعَ لَهُ فِي اضْطِلَاحِ التَّخَاطُبِ لِلدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى مَعْنَى آخَرَ لَا زِمَ لَهُ، أَوْ مُصَاحِبٍ لَهُ، مُرَافِقٍ أَوْ سَابِقٍ أَوْ لَاحِقٍ، أَوْ يُشَارُ بِهِ عَادَةً إِلَيْهِ، لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَلَابَسَةِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

وَالْكِنَايَةُ مِنْ أَبْدَعِ وَأَجْمَلَ فُنُونِ الْأَدَبِ، وَمِنْ أَمْثِلَةِ الْكِنَايَةِ فِي السُّورَةِ مَا يَلِي:

(١) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ..﴾ (١٢).

عِبَارَةٌ: ﴿كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ ذَاتُ لَوَازِمٍ دَلَّتْ عَلَيْهَا دَلَالَةٌ بِأَسْلُوبِ الْكِنَايَةِ.

أَي: أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَرْحَمَ عِبَادَهُ، وَكَتَبَ هَذَا فِي اللُّوحِ

المحفوظ، لِأَنَّ كُلَّ مَكْتُوبٍ مَسْبُوقٌ بِعِلْمٍ، وَهَذَا الْعِلْمُ مَسْبُوقٌ بِإِرَادَةِ وَقَضَاءٍ. فَدَلَّتْ عِبَارَةٌ: ﴿كَتَبَ﴾ عَلَى هَذِهِ اللَّوَاظِمِ الْفِكْرِيَّةِ بِأَسْلُوبِ «الْكِنَايَةِ».

(٢) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خِطَاباً لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

﴿وَلَقَدْ كَذَبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كَذَبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾ .. ﴿١٤٤﴾.

دَلَّتْ عِبَارَةٌ: ﴿حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾ عَنْ طَرِيقِ الْكِنَايَةِ عَلَىٰ أَنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ كَمَا نَصَرَ الرُّسُلَ مِنْ قَبْلِهِ، لِأَنَّ سُنَّتَهُ فِي عِبَادِهِ وَاحِدَةٌ.

أَي: فَاصْبِرْ كَمَا صَبِرُوا فَسَيَأْتِيكَ نَصْرُنَا لَكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ مَعَكَ.

(٣) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ إِهْلَاكِهِ الظَّالِمِينَ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ:

﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .. ﴿٤٥﴾.

الدَّائِرُ: التَّابِعُ فِي مُؤَخَّرَةِ الرَّكْبِ، وَقُطِعَ الدَّائِرُ يُكْنَى بِهِ عَنِ الْاسْتِثْصَالِ، أَي: أَهْلَكَ الْقَوْمُ إِهْلَاكًا شَامِلًا، حَتَّى قُطِعَ التَّابِعُ لَهُمْ وَاللَّاحِقُ بِهِمْ.

(٤) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خِطَاباً لِلنَّاسِ:

﴿.. ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .. ﴿٦٠﴾.

عِبَارَةٌ: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .. ﴿٦٠﴾ دَلَّتْ بِأَسْلُوبِ الْكِنَايَةِ عَلَى سَوَابِقِ الْإِنْبَاءِ وَلَوْاحِقِهِ فِي مُحْكَمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الدِّينِ. وَهَذِهِ مِنَ الْكِنَايَاتِ الَّتِي تَكَرَّرَتْ نَظَائِرُهَا فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

وَأُنْبَهَ هُنَا عَلَىٰ أَنَّ امْتِثَالَ الْكِنَايَةِ فِي الْقُرْآنِ هِيَ الْأَمْثَلَةُ الْعَالِيَةُ فِيهِ، عَلَى سَائِرِ الْفُنُونِ الْبَلَاغِيَّةِ، لِمَا فِيهَا مِنَ التَّعْبِيرِ غَيْرِ الْمُبَاشِرِ عَنْ كَامِلِ الْمُرَادِ، وَلِمَا فِيهَا مِنَ الْإِيْجَازِ الَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَى دَلَالَاتِ اللَّوَاظِمِ الْفِكْرِيَّةِ.

## سابعاً

من الفنون الجمالية اللَّفْظِيَّة «الجِنَاس»: وَهُوَ أَنْ يَتَشَابَهَ اللَّفْظَانِ فِي النَّطْقِ وَيَخْتَلِفَا فِي الْمَعْنَى.

وهو فنٌ بَدِيعٌ فِي اخْتِيَارِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تُوهَمُ فِي الْبَدْءِ التَّكْرِيرَ، لَكِنَّهَا تُفَاجِئُ بِالتَّأْسِيسِ وَاخْتِلَافِ الْمَعْنَى.

ومن أمثلة الجِنَاسِ فِي السُّورَةِ مَا يَلِي:

(١) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا عِنَاداً وَاسْتِكْبَاراً إِذْ يَنْهَوْنَ أَتْبَاعَهُمْ عَنِ الْاسْتِمَاعِ إِلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ، وَهُمْ يَتَّبِعُونَ عَنْ اتِّبَاعِهِ:

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٣١).

بَيَّنَّ ﴿يَنْهَوْنَ﴾ و﴿يَنْعُونَ﴾ جِنَاسٌ شَبِيهٌ بِالتَّامِّ، وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الْجِنَاسِ يُسَمَّى عِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَدِيعِ «الْجِنَاسَ الْمَضَارِعَ» أَي: الْمَشَابِهَ لِلْجِنَاسِ التَّامِّ.

(٢) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ عَقَائِدِ بَعْضِ الْمُشْرِكِينَ:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١٠٠).

بَيَّنَّ «خَلَقَ» مِنْ: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ و«خَرَقَ» مِنْ ﴿وَخَرَقُوا﴾ جِنَاسٌ شَبِيهٌ بِالتَّامِّ، لِلتَّقَارُبِ بَيْنَ اللَّامِ وَالرَّاءِ فِي النَّطْقِ، وَهُوَ أَيْضاً مِنْ نَوْعِ الْجِنَاسِ الْمَضَارِعِ.

## ثامناً

من الفنونِ الْإِبْدَاعِيَّةِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْمَعَانِي الْخُرُوجُ عَنْ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ لِدَوَاعِ بِلَاغِيَّةٍ.

وَمِنَ الْخُرُوجِ عَنْ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ لِدَوَاعِ بَلَاغِيَّةٍ، وَضَعِ الْأِسْمِ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ، وَمِنْ أَمْثَلَةِ هَذَا فِي السُّورَةِ مَا يَلِي:

(١) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ بِشَأْنِ مُكَذِّبِيهِ:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٣٣):

فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَضِعَ الْأِسْمُ الظَّاهِرُ فِي: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ بَدَلَ الضَّمِيرِ مِنْ «وَلَكِنَّهُمْ» الَّذِي كَانَ يَفْتَضِيهِ الظَّاهِرُ فِي التَّعْبِيرِ، لِبَيَانِ اتِّصَافِ مُكَذِّبِي الرُّسُولِ بِالظُّلْمِ الشَّنِيعِ، وَمِنْ ظُلْمِهِمُ الشَّنِيعِ جُحُودُهُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهَا آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مُنْزَلَاتٌ مِنْ لَدُنْهِ، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانَهُ وَهَذَا دَاعٍ بَلَاغِيٌّ فِكْرِيٌّ ذُو شَأْنٍ.

(٢) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ الْحَدِيثِ عَنِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ:

﴿فَقَطَعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥٥):

فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَضِعَ الْأِسْمُ الظَّاهِرُ فِي: ﴿الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بَدَلَ الضَّمِيرِ مِنْ: «دَائِرَهُمْ» لِبَيَانِ سَبَبِ إِهْلَاكِهِمْ بَعْدَ تَعَذُّبِهِمْ، وَهُوَ ظُلْمُهُمُ الْعَظِيمُ مِنْ دَرَكَةٍ تَقْتَضِي إِهْلَاكَهُمْ بِاسْتِنْصَالٍ. وَهَذَا دَاعٍ بَلَاغِيٌّ فِكْرِيٌّ ذُو شَأْنٍ.

(٣) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَعْرِضِ الْحَدِيثِ عَنْ أَكَابِرِ مُجْرِمِي أَهْلِ الْقُرَى:

﴿.. سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٤):

وُضِعَ فِي هَذَا النَّصْرِ الْأِسْمُ الظَّاهِرُ: ﴿الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ

الَّذِي يَقْتَضِيهِ الظَّاهِرُ، إِذْ يَقْتَضِي أَنْ يُقَالَ: «سَيُصِيبُهُمْ» والدَّاعِي الْبَلَاغِي هُنَا أَمْرَانِ:

الأول: بَيَانُ سَبَبِ مُعَاقِبَتِهِمْ بِالصَّغَارِ وَالْعَذَابِ الشَّدِيدِ.

الثاني: تَعْمِيمُ هَذَا الْعِقَابِ عَلَى سَائِرِ الْمُجْرِمِينَ أَمْثَالِ أَكَابِرِ الْمُجْرِمِينَ الْمَذْكُورِينَ فِي سَبَاقِ النَّصِّ.

### تاسعاً

من الفنون الْبَلَاغِيَّةَ لَدَى عُلَمَاءِ الْمَعَانِي مِنَ الْبَلَاغِيِّينَ، اخْتِيَارُ اسْمِ الْإِشَارَةِ الْمَوْضُوعِ لِلْمُشَارِ إِلَيْهِ الْبَعِيدِ، وَالْإِشَارَةُ بِهِ إِلَى الْمُشَارِ إِلَيْهِ الْقَرِيبِ لِأَحَدِ دَاعِيَيْنِ بَلَاغِيَيْنِ.

الدَّاعِي الْأَوَّلُ: تَكْرِيمُ الْمَشَارِ إِلَيْهِ بَيَانِ ارْتِفَاعِ مَكَانَتِهِ ارْتِفَاعاً بَعِيداً سَامِياً.

الدَّاعِي الثَّانِي: إِهَانَةُ الْمَشَارِ إِلَيْهِ بَيَانِ انْحِطَاطِ مَكَانَتِهِ انْحِطَاطاً بَعِيداً مُتَّجِهاً إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ.

وَمِنَ الْأَمْثِلَةِ عَلَى هَذَا الْفَنِّ فِي السُّورَةِ مَا يَلِي:

(١) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خِطَاباً لِرَسُولِهِ بِشَأْنِ مَا يَقُولُهُ فِي جِدَالِهِ

لِلْمُشْرِكِينَ الْمَعَانِدِينَ:

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥٥) مَن يُصْرَفُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْأَمِينُ ﴿١٦﴾.

اسْتُعْمِلَ فِي هَذَا النَّصِّ اسْمُ الْإِشَارَةِ فِي: ﴿ذَلِكَ﴾ الَّذِي يُشَارُ بِهِ إِلَى الْبَعِيدِ، مَعَ أَنَّ الظَّاهِرَ أَنْ يُقَالَ: «وَهَذَا» بِمُقْتَضَى السِّيَاقِ، لَدَّاعِ بَلَاغِي، وَهُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى ارْتِفَاعِ مَنْزِلَةِ الْفَوْزِ الَّذِي يَنَالُهُ مَن يُصْرَفُ عَنْهُ عَذَابُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٢) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْمُرْتَهِنِينَ السُّجَنَاءِ فِي جَهَنَّمَ الَّذِينَ يَذُوقُونَ عَذَابَ الْحَرِيقِ بِنَارِهَا بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ:

﴿.. أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (٧٠).

أُبْسِلُوا: أي: حُبِسُوا مُعَذِّبِينَ فِي دَارِ الْعَذَابِ.

وُضِعَ فِي هَذَا النَّصِّ اسْمُ الْإِشَارَةِ: ﴿أُولَئِكَ﴾ الَّذِي يُشَارُ بِهِ إِلَى الْمَشَارِ إِلَيْهِمُ الْبَعِيدِينَ، وَكَانَ الظَّاهِرُ أَنْ يُقَالَ: «هَؤُلَاءِ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى إِهَانَتِهِمْ، وَبَيَانِ انْحِطَاطِ دَرَكَاتِهِمْ فِي اتِّجَاهِ الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنْ دَارِ الْعَذَابِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الدِّينِ، فَهُمْ بُعْدَاءُ جَدًّا عَنْ مَوَاطِنِ تَنْزُلَاتِ رَحِمَاتِ اللَّهِ.

(٣) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢).

اخْتِيرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ اسْتِعْمَالُ اسْمِ الْإِشَارَةِ فِي: ﴿أُولَئِكَ﴾ الْمَوْضُوعِ لِلْمَشَارِ إِلَيْهِمُ الْبَعِيدِينَ، بَدَلِ «هَؤُلَاءِ» لِدَاعِ بِلَاغِيٍّ، وَهُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى عُلوِّ مَنْزِلَتِهِمْ وَرِفْعَةِ مَكَانَتِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

(٤) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ طَائِفَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ذَكَرُوا فِي الْآيَاتِ السَّابِقَاتِ لَهُ.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ..﴾ (٨٩).

اخْتِيرَ فِي هَذَا النَّصِّ اسْتِعْمَالُ اسْمِ الْإِشَارَةِ فِي: ﴿أُولَئِكَ﴾ الْمَوْضُوعِ لِلْمَشَارِ إِلَيْهِمُ الْبَعِيدِينَ، بَدَلِ «هَؤُلَاءِ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى ارْتِفَاعِ مَنْزِلَةِ الرُّسُلِ الْمَذْكُورِينَ فِي الْآيَاتِ مِنْ (٨٣ - ٨٧) وَعُلوِّ مَكَانَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ.

(٥) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ .

اختير في هذه الآية اسْتِعْمَالُ اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الموضوع لِلْمُشَارِ إِلَيْهِ الْبَعِيدِ مع قُرْبِ الحديث عَنْهُ وهو الله فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ .

أي: ذَٰلِكُمُ الْعَظِيمُ الْجَلِيلُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى الَّذِي هُوَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَالَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ، فَأَنَّى تُصْرَفُونَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ .

ونظير هذا النص قول الله تعالى:

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٦٦﴾﴾ .

### عاشراً

مِنْ فُتُونِ الْبَلَاغَةِ فِي الْبَيَانِ: «الاسْتِعَارَةُ» وهي عند عُلَمَاءِ الْبَيَانِ: اسْتِعْمَالُ لَفْظٍ مَا فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ فِي اضْطِلَاحٍ بِهِ التَّخَاطُبُ، لِعَلَّاقَةِ الْمَشَابِهَةِ، مع قَرِينَةٍ صَارِفَةٍ عَنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْمَوْضُوعِ لَهُ فِي الْاضْطِلَاحِ .

وفي الاستعارة تناسي التشبيه، وادِّعَاءُ أَنَّ الْمَشَبَّهَ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ الْمَشَبَّهِ بِهِ، أَوْ عَيْنُ الْمَشَبَّهِ بِهِ .

وَمِنْ أَمْثَلَةِ الْاسْتِعَارَةِ فِي السُّورَةِ مَا يَلِي:

(١) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ فَلِكُلِّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ مَا يَقُولُهُ فِي بَعْضِ مَجَالَاتِ دَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ .

اسْتُعِيرَ فِي هَذَا النَّصْرِ لَفْظُ ﴿الْأَعْمَى﴾ لِلدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى الْجَاهِلِ، لِأَنَّ



الجاهل بِحَقَائِقِ الدِّينِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَصِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ يُشَبِّهُ الْأَعْمَى الَّذِي لَا يَرَى طُرُقَهُ وَمَسَالِكَه.

واستُعير لفظ ﴿الْبَصِيرُ﴾ للدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى الْعَالِمِ، لِأَنَّ الْعَالِمَ بِحَقَائِقِ الدِّينِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَصِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ يُشَبِّهُ الْبَصِيرَ الَّذِي يَرَى طُرُقَهُ وَمَسَالِكَه، وَأَفَاقَ الْكَوْنِ مِنْ حَوْلِهِ.

(٢) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خِطَاباً لِلنَّاسِ، وَتَعْلِيماً لِلرَّسُولِ مَا يَقُولُهُ فِي دَعْوَتِهِ:

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾ (١٤).

استُعير في هذه الآية لفظ ﴿أَبْصَرَ﴾ للدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى مَعْنَى: «تَفَكَّرَ وَفَهِمَ وَأَمَّنَ وَأَسْلَمَ».

واستُعير فيها لفظ ﴿عَمِيَ﴾ للدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى مَعْنَى «أَذْبَرَ وَتَوَلَّى وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَةِ رَبِّهِ كَافِراً بِهَا».

(٣) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٢).

في هذه الآية العجيبَةِ اسْتِعَارَتَانِ قَائِمَتَانِ عَلَى تَشْبِيهَيْنِ مُمْتَزَجَيْنِ لِلْمُؤْمِنِ، وَفِيهَا اسْتِعَارَتَانِ قَائِمَتَانِ عَلَى تَشْبِيهَيْنِ مُمْتَزَجَيْنِ لِلْكَافِرِ.

فَقَدْ اسْتُعِيرَ فِيهَا لَفْظُ «مَيِّتٍ» للدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى مَنْ هُوَ مُتَّصِفٌ بِالْجَهْلِ وَعَدَمِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، فَالْكَافِرُ كَالْمَيِّتِ وَكَالْأَعْمَى الْمُحَاطِ بِالظُّلُمَاتِ.

واستُعيرَ فيها «الْأَحْيَاءُ» للدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مَنْ آمَنَ وَأَسْلَمَ، فَالْمُؤْمِنُ كَالْحَيِّ الْبَصِيرِ، الَّذِي يَحْمِلُ نُوراً يُنِيرُ لَهُ طَرِيقَهُ، فَيَمْشِي فِيهِ مُسْتَقِماً رَشِيداً.

وَاسْتَعِيرَ فِيهَا «النُّورُ» فِي عِبَارَةِ: ﴿نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ لِلدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى قَضَايَا الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، الَّتِي جَاءَ بَيَانُهَا فِي آيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ وَأَقْوَالِ رَسُولِهِ، فَالْبَيِّنَاتُ الدِّينِيَّةُ كَالنُّورِ الْهَادِي فِي ظُلُمَاتِ حَيَاةِ الْامْتِحَانِ فِي رِحْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَلَا يَخْفَى عَلَى ذِي التَّدَبُّرِ الْحَسَنِ، مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْمَرْجِ الْعَجِيبِ بَيْنَ مُخْتَلِفِ الاسْتِعَارَاتِ.

### حادي عشر

مِمَّا نَبَّهَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْمَعَانِي مِنَ الْبَلَاعِيِّينَ، وَكَشَفُوا أَقْسَامَهُ، وَأَرْكَانَهُ، وَطُرُقَهُ: «الْقَصْرِ»: وَهُوَ تَخْصِصُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ بِعِبَارَةِ كَلَامِيَّةٍ تَدُلُّ عَلَيْهِ.

وَمِنْ أُمُثَلَةِ الْقَصْرِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مَا يَلِي:

(١) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾: ﴿١٨﴾

فِي هَذِهِ الْآيَةِ جُمْلَتَانِ، وَفِي كُلِّ مِنْهُمَا قَصْرٌ حَقِيقِيٌّ، هُوَ مِنْ قَصْرِ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ.

وَأَدَاةُ الْقَصْرِ فِي كُلِّ مِنْهُمَا تَعْرِيفُ طَرَفِي الْإِسْنَادِ، الْمَبْتَدَأُ وَالْخَبَرُ، أَيْ: لَا أَحَدَ يَتَّصِفُ بِأَنَّهُ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَلَا أَحَدَ يَتَّصِفُ بِأَنَّهُ كَامِلُ الْحِكْمَةِ فِي كُلِّ تَصَرُّفَاتِهِ وَاخْتِيَارَاتِهِ، وَبِأَنَّهُ كَامِلُ الْخِبْرَةِ بِكُلِّ شَيْءٍ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ.

(٢) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خِطَابًا لِرَسُولِهِ:

﴿.. قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾: ﴿١٦﴾

أَيْ: قُلْ: إِنَّمَا الْإِلَهُ الْحَقُّ هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ فَقَطْ. وَفِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ قَصْرُ الْإِلَهِيَّةِ الْحَقِّ عَلَى إِلَهٍ وَاحِدٍ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَهُوَ قَصْرٌ حَقِيقِي، مِنْ قَصْرِ صِفَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْحَقِّ عَلَى اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ.  
وَأَدَاةُ الْقَصْرِ هُنَا «إِنَّمَا».

(٣) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ أَيْمَةِ الْكُفْرِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ وَنَهْيِهِمْ  
أَتْبَاعَهُمْ عَنِ الْقُرْآنِ وَنَأْيِهِمْ هُمْ عَنْهُ:

﴿... وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٦٦):

أَي: وَمَا يُهْلِكُونَ بِأَعْمَالِهِمْ الْإِجْرَامِيَّةِ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ. فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ  
قَصْرٌ إِهْلَاكِهِمْ الَّذِي يَكُونُونَ هُمْ الْمُتَسَبِّبِينَ فِيهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

وَهُوَ قَصْرٌ حَقِيقِي، مِنْ قَصْرِ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ، وَالْأَدَاةُ النَّفْيُ  
بِحَرْفِ النِّفْيِ «إِنْ» وَالِاسْتِثْنَاءُ.

(٤) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَيَانِ بَعْضِ صِفَاتِهِ:

﴿وَعِنْدُهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا  
تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ثُلُمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا  
فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٥٩):

فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَرْبَعَةُ أَمْثَلَةٍ مِنْ أَمْثَلَةِ الْقَصْرِ.

المثال الأول: ﴿وَعِنْدُهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾ أَي: وَعِنْدَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ  
لَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ، وَهُوَ قَصْرٌ حَقِيقِي، مِنْ قَصْرِ صِفَةٍ وَجُودِ مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ  
عَلَى كَوْنِهَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَالْأَدَاةُ الدَّالَّةُ عَلَيْهِ تَقْدِيمُ الْمُسْنَدِ عَلَى  
الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فِي جُمْلَةِ اسْمِيَّةٍ.

المثال الثاني: ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ أَي: لَا يَعْلَمُ مَفَاتِيحَ الْغَيْبِ كُلِّهِ  
إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَهُوَ قَصْرٌ حَقِيقِي، مِنْ قَصْرِ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ،  
وَالْأَدَاةُ الدَّالَّةُ عَلَيْهِ النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ.

المثال الثالث: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾؛ وَفِي هَذِهِ

العبارة قَصْرٌ سُقُوطٌ كُلُّ وَرَقَةٍ عَلَى كَوْنِهِ مَعْلُومًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ، أَي: بِالْإِضَافَةِ إِلَى فِكْرَةٍ مَنْ يَدَّعِي أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ صَغَائِرَ الْأَحْدَاثِ وَالْأَشْيَاءِ. وَأَدَاةُ الْقَصْرِ هُنَا النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ.

**المثال الرابع:** ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ثُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أَي: وَلَا تَوْجَدُ مِنْ حَبَّةٍ فِي ثُلُمَاتِ الْأَرْضِ، وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا هُوَ مَعْلُومٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُدَوَّنٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ عِنْدَهُ بِكُلِّ صِفَاتِهِ وَتَحَرُّكَاتِهِ. وَهَذَا الْقَصْرُ كَسَابِقُهُ.

(٥) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ رَسُولُهُ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجِدَالِ بِأَتْيِ هِيَ أَحْسَنُ، لِلَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ مَجْبُورُونَ بِالْخَلْقِ الرَّبَّانِيِّ عَلَى الشُّرْكِ، وَعَلَى تَحْرِيمِهِمْ مَا حَرَّمُوهُ مِنْ أَشْيَاءَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِتَحْرِيمِهَا مِنْ سُلْطَانٍ:

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (٤٨) أَي: مَا تَتَّبِعُونَ بِبَعْضِ مَقَالَاتِكُمْ الْبَاطِلَةَ إِلَّا الظَّنَّ الضَّعِيفَ الَّذِي لَا يَصِحُّ عَقْلًا الْاعْتِمَادُ عَلَيْهِ، وَمَا أَنْتُمْ فِي مَقَالَاتٍ أُخْرَى إِلَّا تَكْذِبُونَ.

فِي هَاتَيْنِ الْجُمْلَتَيْنِ قَصْرَانِ، هُمَا مِنَ الْقَصْرِ الْإِضَافِيِّ، وَالْأَدَاةُ فِيهِمَا النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ. فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى قَصْرٌ قَوْلُهُمْ فِي بَعْضِ الْقَضَايَا عَلَى الظَّنِّ التَّوَهُمِيِّ. وَفِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ قَصْرٌ قَوْلُهُمْ فِي بَعْضِ الْقَضَايَا عَلَى الْكَذِبِ.

(٦) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خِطَابًا لِرَسُولِهِ فَلِكُلِّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ:

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧):

أَي: قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ وَحْدَهُ الْهُدَى الْحَقُّ وَكُلُّ مَا هُوَ مُضَادٌّ لَهُ بَاطِلٌ.

دَلَّ عَلَى الْقَصْرِ تَعْرِيفُ طَرَفِي الْإِسْنَادِ فِي جُمْلَةٍ إِسْمِيَّةٍ، مَعَ التَّوَكُّيدِ بِضَمِيرِ الْفَضْلِ. وَهُوَ مِنْ قَصْرِ صِفَةِ الْهُدَى الْحَقِّ عَلَى هُدَى اللَّهِ، وَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ، أَي: بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا ضَادَّهُ وَنَاقِضُهُ.

(٧) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَبِيناً بَعْضَ صِفَاتِهِ:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ۖ﴾ (٩٩)  
 فِي هَذَا الْبَيَانِ قَصْرُ إِنْزَالِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى أَنَّهُ فِعْلٌ مِنْ أَعْمَالِ اللَّهِ  
 جَلَّ جَلَالُهُ، وَهُوَ قَصْرٌ حَقِيقِيٌّ، مِنْ قَصْرِ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ، وَالْأَدَاةُ هُنَا  
 تَعْرِيفُ طَرَفِي الْإِسْنَادِ فِي جُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ «هُوَ» وَالَّذِي أَنْزَلَ.

### ثاني عشر

وَجَّهَ عُلَمَاءُ الْمَعَانِي مِنَ الْبَلَاغِيِّينَ، تَأَمَّلَاتِهِمْ فِي النُّصُوصِ الَّتِي فِيهَا  
 اسْتِفْهَامٌ، فَرَأَوْا أَنَّ الاسْتِفْهَامَ كَثِيراً مَا يَخْرُجُ عَنْ أَصْلِ دَلَالَتِهِ الَّتِي هِيَ  
 طَلَبُ الْإِفْهَامِ، فَيُسْتَعْمَلُ لِلدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى مَعَانٍ كَثِيرَةٍ أَوْصَلُوهَا إِلَى أَكْثَرِ مِنْ  
 ثَلَاثِينَ مَعْنَى، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ لَا تَنْحَصِرُ فِيمَا ذَكَرُوهُ.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ خُرُوجِ الاسْتِفْهَامِ عَنْ أَصْلِ دَلَالَتِهِ، وَالِدَّلَالَةُ بِهِ عَلَى مَعَانٍ  
 أُخْرَى فِي السُّورَةِ مَا يَلِي:

(١) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ أَيْمَةِ الْكُفْرِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ:

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ۖ﴾ (٦)

الاسْتِفْهَامُ فِي هَذَا الْبَيَانِ يُرَادُ بِهِ التَّعْجِيبُ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمِنْ مَبْلَغِ  
 انْجِرَافِهِمُ الْإِجْرَامِيِّ، وَسُقُوطِهِمْ فِي أَوْحَالِ الْحِمَاقَةِ وَالْجَهَالَةِ وَاتِّبَاعِ  
 الْهَوَى، عَلَى نَقِيضِ مَا يَقْتَضِيهِ الرَّأْيُ السَّيِّدُ، وَالْعَقْلُ الْحَمِيدُ، وَالْعَمَلُ  
 الرَّشِيدُ.

(٢) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَعْلِيماً لِرَسُولِهِ فَلِكُلِّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ:

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ  
 الظَّالِمُونَ﴾ (٤٧)

يُرَادُ بِالْإِسْتِفْهَامِ فِي: ﴿هَلْ يُهْلِكُ﴾ النَّفْيُ، أَي: لَا يُهْلِكُ إِهْلَاكاً

جَمَاعِيًّا عَامًّا شَامِلًا، بِمُقْتَضَى سُنَّةِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ، إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ طُلْمًا شَنِيعًا مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ الْمُقْتَرِنِ بِقَبَائِحَ وَجَرَائِمَ سُلُوكِيَّةٍ كَثِيرَةٍ.

(٣) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُعَلِّمُ رَسُولُهُ فَكُلَّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ، بِشَأْنِ دَعْوَةِ الْمُصْرِّينَ عَلَى كُفْرِهِمْ عِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا.

﴿.. قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٥٥):

الاستفهام في ﴿هَلْ يَسْتَوِي ..﴾؟ يُرَادُ بِهِ تَلْوِيمُهُمْ وَتَأْنِيهِهُمْ عَلَى جَهْلِهِمْ.

والاستفهام في ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾؟ يُرَادُ بِهِ حَثُّهُمْ عَلَى التَّفَكُّرِ السَّلِيمِ لِإِدْرَاكِ الْحَقِيقَةِ إِنْ كَانُوا جَاهِلِينَ بِهَا حَقًّا، غَيْرَ مُرَاوِغِينَ وَلَا مُجَادِلِينَ بِالْبَاطِلِ.

(٤) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ اعْتِرَاضِ أَيْمَةِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى ضُعْفَاءِ الْمُسْلِمِينَ:

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (٥٣)؟؟

الاستفهام في عبارة أئمة الكفر عَنْ ضُعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾؟ اسْتِفْهَامُ اسْتِنكَارِيٍّ مِنْهُمْ، وَاحْتِقَارِيٍّ لَضُعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ.

والاستفهام في عبارة: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾؟! اسْتِفْهَامُ انْتِكَارِيٍّ عَلَى اسْتِكْبَارِ أَيْمَةِ الْكُفْرِ، وَتَعْجِيْبِيٍّ مِنْ بَالِغِ جَهْلِهِمْ بِحُكْمَتِهِ السَّامِيَّةِ، وَإِحَاطَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

(٥) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُعَلِّمُ رَسُولُهُ فَكُلَّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ، أَسْلُوبًا مِنْ أَسَالِيبِ مُجَادَلَةِ الْمُشْرِكِينَ:

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا ..﴾ (٦) !؟

الاستفهام في هذا التعليل استفهام تعجب واستنكار.

(٦) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي

صَلَلٍ مُّبِينٍ﴾ (٧٤) !؟

الاستفهام في قول إبراهيم عليه السلام لأبيه استفهام تعجبي إنكاري

تلويحي.

(٧) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ

وَمَنْ قَالَ سَأَزِلُّ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ..﴾ (٩٣) !؟

الاستفهام في هذا النص يراد به النفي، أي: لَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِنْ

هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَاءَ فِيهِ بَيَانٌ عَنْهُمْ، إِنَّهُ قَدْ يُوْجَدُ مَنْ يُشَارِكُهُمْ فِي دَرَكَةِ

الظُّلْمِ، وَلَكِنْ لَا يُوْجَدُ مَنْ هُوَ أَظْلَمُ مِنْهُمْ.

(٨) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ

ذَلِكُمْ اللَّهُ فَآلَىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ (٩٥) !؟.

الاستفهام في عبارة ﴿فَآلَىٰ تُؤْفَكُونَ﴾؟ استفهام إنكاري تلويحي

تعجبي منهم إذ يُصْرَفُونَ عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ، مَعَ كَوْنِ

آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ دَالَّاتٍ عَلَيْهِمَا.

(٨) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ

شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١١) !؟.

الاستِفْهَامُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ عَلَى الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَلَدًا، وَتَعْجِيْبِيٌّ مِنْ أَمْرِهِمْ.

(٩) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُعَلِّمُ رَسُولَهُ فَكُلَّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ أَسْلُوبًا دَعْوِيًّا وَجَدَلِيًّا لِلْمُشْرِكِينَ:

﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِيَّ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ .. ﴿١٦٤﴾﴾؟

الاستِفْهَامُ فِي هَذَا النَّصِّ اسْتِفْهَامٌ تَعْجِيْبِيٌّ مِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الشِّرْكِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

### ثالث عشر

من العناصر البلاغية التوكيدُ بأداةٍ أو أكثر من أدوات التوكيد، لأنَّ حالة المَقْصُودِ بِالْخِطَابِ تَحْتَاجُ تَوْكِيدًا.

وَمِنَ النَّصُوصِ الَّتِي فِيهَا تَوْكِيدٌ لِدَوَاعٍ بَلَاغِيَةٍ فِي السُّورَةِ مَا يَلِي:

(١) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْمُعَانِدِينَ مِنْ أَيْمَةِ الْمُشْرِكِينَ:

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿١٦١﴾﴾.

زِيدَتْ ﴿مِنْ﴾ فِي الْفَاعِلِ لِتَوْكِيدِ عُمُومِ النَّفْيِ، لِأَنَّ الْمَعْنِيَّينَ مُعْرِضُونَ فِعْلًا عَنْ كُلِّ آيَةٍ تَأْتِيهِمْ.

(٢) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُعَلِّمُ رَسُولَهُ مَا يَقُولُهُ لِلْمُشْرِكِينَ:

﴿.. قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

اسْتَمَلَّتِ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى تَوْكِيدِ بـ «إِنَّ» وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ «لِحَاجَةِ الْمُخَاطَبِينَ إِلَى التَّوْكِيدِ.

(٣) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَفًا لِلْقُطْعَةِ مِنْ أَحْدَاثِ مُحَاسَبَتِهِ تَعَالَى لِمَنْكَرِي الْبُعْثِ يَوْمَ الدِّينِ:



﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ ۞﴾ (٣٠)

زِيدَتِ الْبَاءُ فِي خَبَرِ «لَيْسَ» لَتَوْكِيدِ الْإِزَامِهِمْ بِجُرْمِهِمُ الْكَبِيرِ، إِذْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يُنْكِرُونَ الْبُعْثَ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، وَيُكَذِّبُونَ بِالْأَنْبَاءِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِمَا. وَفِي عِبَارَتِهِمْ: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ اعْتِرَافٌ مُّوَكَّدٌ بِالْقَسَمِ، اسْتِجْدَاءٌ لِلرَّحْمَةِ بِهِمْ.

(٤) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۞﴾ (٢٨)

زِيدَ حَرْفُ الْجَرِّ «مِنْ» عَلَى الْمَبْتَدَأِ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ بَعْدَ النِّفْيِ، لَتَوْكِيدِ عُمُومِ النِّفْيِ، وَالتَّنْصِصِ عَلَيْهِ، وَدَفْعِ تَوَهُّمٍ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِالنِّفْيِ التَّكْثِيرُ، لَا التَّعْمِيمَ.

وكَذَلِكَ زِيدَ حَرْفُ الْجَرِّ «مِنْ» فِي عِبَارَةِ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾.

(٥) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ اعْتِرَاضِ أَيْمَةِ الْكُفْرِ عَلَى تَفْضِيلِ اللَّهِ ضِعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ وَفُقَرَاءَهُمْ عَلَيْهِمْ.

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ۞﴾ (٥٣)

زِيدَتِ الْبَاءُ فِي خَبَرِ «لَيْسَ» لَتَتَوْكِيدِ، نَظْرًا إِلَى أَنَّ أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ مُسْتَكْبِرُونَ، وَشَاكُونَ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ فِي تَفْضِيلِهِ الضُّعَفَاءَ وَالْفُقَرَاءَ عَلَيْهِمْ.

﴿فَتَنَّا﴾: أَي: اِمْتَحَنَّا وَاخْتَبَرْنَا.

(٦) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُوتُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ ۞﴾ (٦٩)

زيد حرف الجرّ «مِنْ» في عبارة: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ لتوكيد عُمُومِ النفي والتَّنْصِيصِ عليه، ودَفْعِ تَوَهُّمِ خِلَافِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ عُمُومُ النَّصِّ.

(٧) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُعَلِّمُ رَسُولَهُ مَا يَقُولُهُ لِلنَّاسِ فِي دَعْوَتِهِ، وَفِي جَدَلِيَّاتِهِ لِلْمُخَالِفِينَ:

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَّهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾.

جاء في هذا النص التوكيد بـ«إِنَّ» - والجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ في موضعين، لغرضين:

**الغرض الأول:** مُرَاعَاةَ بَعْضِ أَحْوَالِ الْمُخَاطَبِينَ الشَّاكِّينَ بِصِدْقِ الرَّسُولِ فِي دَعْوَتِهِ.

**الغرض الثاني:** إِعْلَانُ ثَبَاتِهِ فِي مَوْقِفِهِ الْإِيمَانِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، الَّذِي لَا تَزْخِرْهُ عَنْهُ مُرْهَبَاتُ النَّاسِ، وَلَا اسْتِزْالَاتُهُمُ التَّرْغِيبِيَّةُ.

(٨) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي آخِرِ السُّورَةِ:

﴿.. إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٦٥).

جاء في هذا النص توكيد الجملة الأولى بـ«إِنَّ» - والجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ فقط.

وتوكيد الجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ بـ«إِنَّ» - والجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ - ولَامُ الْإِبْتِدَاءِ الْمَزْخَلَقَةِ إِلَى الْخَبَرِ» وَقَدْ زِيدَ فِيهَا التَّوَكِيدُ، لِأَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَسْبَقُ مِنْ غَضَبِهِ وَانْتِقَامِهِ ضِمْنَ مَجَارِي حُكْمَتِهِ.

وبهذا تَمَّتْ مُسْتَخَرَّجَاتِي لِإِبْلَاغِيَّاتِ سُورَةِ (الأنعام) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



## سورة الصّافات

٣٧ مصحف ٥٦ نزول

وهي مكية كلها



(١)

## نص السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالْثَّلَاثِ ذِكْرًا ﴿٣﴾  
 إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ  
 الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيْنًا أَسْمَاءُ الدُّنْيَا بَرِيَّةِ الْكُوكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا  
 مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِمًا لَّا أَعْلَىٰ وَيُقَذِّفُونَ  
 مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَن  
 خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ  
 خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ

٦ - • قرأ شعبة: [بَرِيَّةِ الْكُوكِبِ].

وقراها حفص، وحمزة: [بَرِيَّةِ الْكُوكِبِ].

وقراها باقي العشرة: [بَرِيَّةِ الْكُوكِبِ].

والمؤدَّى في هذه القراءات وَاحِدٌ، وهي من التَّفَنُّنِ في التعبير.

٨ - • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [لَا يَسْمَعُونَ] بفتح السّن والميم مُشَدَّدَتَيْنِ.

وقراها باقي العشرة: [لَا يَسْمَعُونَ] بإسكان السّين وفتح الميم دون تشديد.

أي: لَا يستطيعون أن يقتربوا لِيَسْمَعُوا، وإذا اقترَبَ بَعْضُهُمْ فَلَا يُمْكِنُونَ مِنَ السَّمَاعِ.

١١ - • قرأ رؤيس: [فَاسْتَفْتِهِمْ] بِضَمِّ هَاءِ الضَّمِيرِ.

وقراها باقي العشرة: [فَاسْتَفْتِهِمْ] بِكَسْرِ هَاءِ الضَّمِيرِ.

عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً  
يَسْتَسْخَرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَعِذَا مِنَّا  
وَكُنَّا نُرَابًا وَعَظْمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ  
نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ  
﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَوْمَئِذٍ هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي  
كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢١﴾ \* أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا  
كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾  
وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ

- ١٢ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [عَجِبْتَ] بناء المتكلم.  
وقرأها باقي العشرة: [عَجِبْتَ] بناء المخاطب، وبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد.
- ١٦ - • قرأ ابن عامر: [إِذَا.... أَئِنَّا].  
وقرأها نافع، والكسائي وأبو جعفر، ويعقوب: [أَيْذَا.... إِنَّا].  
وقرأها باقي القراء العشرة: [أَيْذَا.... أَئِنَّا].  
ومؤدَّى هذه القراءات واحد.
- ١٦ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب [مُتْنًا] بضم الميم.  
وقرأها باقي القراء العشرة: [مُتْنًا] بكسر الميم.
- ١٧ - • قرأ قالون، وأبو جعفر، وابن عامر: [أَوْ أَبَاؤُنَا].  
وقرأها الباقون: [أَوْ أَبَاؤُنَا].
- ١٨ - • قرأ الكسائي: [نَعَمْ] بكسر العين.  
وقرأها الباقون: [نَعَمْ] بفتح العين.
- ٢٥ - • قرأ البرقي، وأبو جعفر: [لَا تَنَاصَرُونَ] بتشديد التاء، مع المد المشبع للساكيتين.  
وقرأها باقي القراء العشرة: [لَا تَنَاصَرُونَ].  
والقراءتان وجهان من النطق العربي.

الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا  
 إِنَّكُمْ كُنْتُمْ نَاثُوتَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ  
 ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾  
 فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰبِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غٰوِينَ  
 ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذٰلِكَ نَفْعَلُ  
 بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
 يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا ءِلٰهَيْنَا لِشَاعِرٍ فَيَجْنُونَ ﴿٣٦﴾  
 بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَٰبِقُوا الْعَذَابِ الْآلِيمِ  
 ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ  
 الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوْكُهُمْ وَهُمْ يَكْمُرُونَ  
 ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَبِّلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ  
 بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ  
 وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾

٤٠ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابنُ عامر، ويعقوب: [الْمُخْلَصِينَ] بكسر اللام اسم فاعل من: «أخلص».

وقرأها باقي القراء العشرة: [الْمُخْلَصِينَ] بفتح اللام اسم مفعول.  
 وبين القراءتين تكاملاً في أداء المعنى المراد، أي: أخلصوا لله إيمانهم  
 وإسلامهم وعباداتهم فجعلهم الله من المخلصين عنده.

٤٧ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [يُنْزَفُونَ] من فعل: «أَنْزَفَ» بمعنى: سَكَرَ،  
 أو ذَهَبَ عَقْلُهُ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [يُنْزَفُونَ] من فعل: «أَنْزَفَهُ» بمعنى: أَسْكَرَهُ، أو  
 أَذْهَبَ عَقْلَهُ.

فمؤدّي القراءتين واحد.

كَانَهُنَّ بَيْضٌ مَّكَنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ  
 ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَتَأْتِكَ لِمَنَ  
 الْمَصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَهْنَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ  
 هَلْ أَنتُمْ مُطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطْلَعَ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ  
 تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ  
 الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوَئِنَّا الْأُولَى وَمَا  
 نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا  
 فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ تُزَلُّوا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾  
 إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ  
 الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ  
 مِنْهَا فَمَا لَئُونٌ مِنْهَا الْبَطُونُ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ  
 حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا

٥٣ - • قرأ ابن عامر، وأبو جعفر: [إِذَا... أَهْنَا].

وقراها نافع، والكسائي، ويعقوب: [أُنْذَا... إِنَّا].

وقراها باقي القراء العشرة: [أُنْذَا... أَهْنَا].

والمؤدّي واحد.

٥٣ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشُعْبَةُ، وأبو جعفر، ويعقوب:

[مُتَّنًا] والباقون: [مُتَّنًا].

وهما لغتان عربيتان.

٥٦ - • قرأ ورش في الوصل، ويعقوب في الوصل والوقف: [لَتُرْدِينِي] بإثبات ياء  
 المتكلم.

وقراها باقي القراء العشرة: [لَتُرْدِينَ] بحذف ياء المتكلم وصلًا ووقفًا.



عَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ عَثَرِهِمْ مُّهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ  
 قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾  
 فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ  
 الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾  
 وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ  
 الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوْحٍ فِي  
 الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْعَةٍ  
 لَّيَزِيدُهَا إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَيُّهَا  
 وَقَوْمُهُ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَيفْكًا ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا  
 ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي  
 سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ ءَالِهِمْ فَقَالَ أَلَا  
 تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ  
 ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾

٧٤ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب: [المُخْلَصِينَ] بكسر اللام

اسم فاعل من فعل: «أخلص».

وقرأها باقي القراء العشرة بفتح اللام اسم مفعول.

وبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد، كما سبق في الآية (٤٠).

٩٤ - • قرأ حمزة: [يَزْفُونَ] مِنْ فعل: «أَزَفَ» بمعنى أسرع الخطو.

وقرأها باقي القراء العشرة: [يَزْفُونَ] من فعل: «زَفَ، يَزِفُ، زَفًا» أي: أسرع الخطو.

فالقراءتان لغتان لمعنى واحد.

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي  
 الْخِجْمِ ﴿٩٧﴾ فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ  
 إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾  
 فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنِي  
 إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَّبِعُ  
 أَعْمَلُ مَا تُوَمِّرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا  
 أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ  
 الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ

- ٩٩ - • قرأ يعقوب: [سَيِّدِينَ] بإثبات ياء المتكلم في الوصل والوقف.  
 وقرأها باقي القراء العشرة بحذف ياء المتكلم في الحالين: [سَيِّدِينَ].  
 وهذا الحذف مألوف في العربية مع ملاحظته ذهناً.  
 ١٠٢ - • قرأ حفص: [يَا بُنْيَ] بفتح الياء مُشَدَّدة.  
 وقرأها باقي القراء العشرة بكسرها مشددة: [يَا بُنْيَ] وهما نطقان عريان.  
 ١٠٢ - • فتح ياء المتكلم في الموضعين من: [إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ]  
 نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر.  
 وأسكنها في الموضعين باقي القراء العشرة.  
 ١٠٢ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [مَاذَا تَرَىٰ] أي: ماذا تُقَدِّمُ مِنْ رَأْيٍ لِي.  
 وقرأها باقي القراء العشرة: [مَاذَا تَرَىٰ] أي: أَنْتَ لِنَفْسِكَ.  
 وبين القراءتين تكاملٌ في أداء المعنى المراد.  
 ١٠٢ - • قرأ ابن عامر، وأبو جعفر: [يَا أَبَتَ] بفتح التاء.  
 وقرأها باقي القراء العشرة: [يَا أَبَتَ] بكسر التاء.  
 وهما لغتان عربيَّتان.  
 ١٠٢ - • فتح ياء المتكلم من: [سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ] نافع، وأبو جعفر. وأسكنها  
 باقي القراء العشرة.  
 ١٠٥ - • قرأ السوسي: [الرُّؤْيَا].  
 وقرأها أبو جعفر: [الرُّؤْيَا].

الْمَيِّينَ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ  
 ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُمْ  
 مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ  
 ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ  
 لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾  
 وَجَعَلْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا  
 هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا  
 الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾  
 سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ  
 ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ  
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تُتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا

= وقرأها باقي القراء العشرة: [الرُّؤْيَا].

وَوَقَفَ حَمْرُهُ كَالسُّوسِيِّ وَأَبِي جَعْفَرٍ.

١١٨ - • قرأ قُتَيْلٌ، وَرُوَيْسٌ: [السَّرَاطُ].

وقرأها خلف عن حمزة بإشمام الصَّادِ صَوْتِ الزَّايِ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [الصَّرَاطُ].

١١٩ - • قرأ يعقوب: [عَلَيْهِمَا] بضمِّ هاء الضمير.

وقرأها باقي القراء العشرة بكسر هاء الضمير: [عَلَيْهِمَا].

وهما لغتان.

١٢٣ - • قرأ ابن ذَكْوَانَ فِي إِحْدَى قِرَاءَتَيْنِ لَهُ: [وَإِنَّ إِلْيَاسَ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَإِنَّ إِلْيَاسَ].

وهو الوجه الثاني لابن ذكوان.

وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ  
 الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ  
 الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ  
 يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ  
 أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ  
 ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْيَلِيلِ أَفَلَآ تَعْقِلُونَ  
 ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ  
 الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْفَقْمَةُ الْحَوْتُ  
 وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِثَّ فِي

١٢٦ - • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ].  
 وقرأها باقي القراء العشرة: [اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ] على أَنَّهُ خبر مبتدأ محذوف  
 تقديره: هو اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ.  
 والقراءتان وَجْهَانِ عَرَبِيَّانِ جَائِزَانِ.

١٢٨ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابنُ عامر، ويعقوب: [الْمُخْلَصِينَ] بكسر  
 اللام، اسم فاعل.

وقرأها باقي القراء العشرة بفتح اللام: [الْمُخْلَصِينَ] اسم مفعول.  
 وبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد، كما سبق بيانه في الآية (٤٠).

١٣٠ - • قرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب: [عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [عَلَىٰ إِلْيَاسِينَ].

وهُمَا تُطْقَانِ عِنْدَ الْعَرَبِ.

١٤٢ - • أَسْكَرَ الْهَاءُ مِنْ: [وَهُوَ] قَالُونَ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَالْكَسَائِيُّ، وَأَبُو جَعْفَرٍ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [وَهُوَ] بضم الهاء.

وَهُمَا لَغَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ.

بَطْنِهِ ۖ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَبَدَّلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقُطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتَيْهِمُ الرِّبَّكَ الْأَبْنَاتُ وَلَهُمُ الْبُتُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَلَانَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكُتُبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَالًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَن هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا

١٤٧ - • قرأ أبو جعفر: [مِيَّة]. وكذلك قرأها حمزة في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة [مِائَة].

وهما نطقان عربيان.

١٤٩ - • قرأ يعقوب: [فَاسْتَفْتَيْهِمْ] بضم هاء الضمير.

وقرأها باقي القراء العشرة بكسر هاء الضمير: [فَاسْتَفْتَيْهِمْ].

١٥٢ - • قرأ أبو جعفر: [لَكَاذِبُونَ أَصْطَفَى].

وقرأها باقي القراء العشرة: [لَكَاذِبُونَ أَصْطَفَى] على الاستفهام.

١٥٥ - • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [تَذَكَّرُونَ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [تَذَكَّرُونَ] بتشديد الذال.

١٦٣ - • قرأ يعقوب: [صَالِي] في الوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [صَالٍ] في الوصل والوقف.

لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ  
 لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ  
 الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ  
 كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا  
 لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ  
 يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِئِهِمْ فَسَاءَ  
 صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ  
 يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾  
 وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

١٦٩ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب: [المُخْلِصِينَ] بكسر اللام، اسم فاعل.

وقرأها باقي القراء العشرة بفتح اللام: [المُخْلِصِينَ] اسم مفعول.

وبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد، كما سبق بيانه في الآية (٤٠).

(٢)

## مما وَرَدَ بشأن سورة (الصَّافَات)

(١) روى النسائي، والبيهقي في سننه، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا بِالتَّخْفِيفِ، وَيُؤْمِنُنَا بِالصَّافَاتِ».

أي: كان يأمرنا بالتخفيف في الصَّلوات، وكان يقرأ الصَّافَات وهو إمامٌ لنا أحياناً.

(٢) ورُوي عن ابن عباسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ يَسْرَ والصَّافَاتِ يوم الجمعة، ثم سأل الله أعطاه سُؤْلَهُ».

(٣) وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا سَأَلَهُ مُلُوكُ حَضْرَمَوْتَ عِنْدَ قُدُومِهِمْ عَلَيْهِ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، قَرَأَ ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿... رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ ﴿٥﴾ ولهذا الحديث تمة.

(٣)

### موضوع سورة (الصافات)

تسير آياتُ سُورَةِ (الصافات) مُورَعَةً عَلَى فَرْعَيْنِ: أَحَدُهُمَا لِمُعَالَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، بِشَأْنِ شِرْكِهِمْ وَبَعْضِ عِقَائِدِهِمْ وَمَقَالَاتِهِمُ الْبَاطِلَاتِ. وَالْآخَرُ لِتَرْبِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، وَطَمَأْنِيتِهِمْ بِأَنَّ نَصَرَ اللَّهِ لَهُمْ آتٍ لَا مَحَالَةَ، عَلَى وَفْقِ سُنَّتِهِ السَّابِقَةِ الَّتِي تَحَقَّقَتْ فِي الرُّسُلِ السَّابِقِينَ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ وَاتَّبَعُوهُمْ.

**فالفَرْعُ الأولُ:** يَشْتَمِلُ عَلَى مُعَالَجَةِ الْمُشْرِكِينَ حَوْلَ عَدَدٍ مِنْ عِقَائِدِهِمْ وَمَقَالَاتِهِمُ الْبَاطِلَاتِ، وَمَوَاقِفِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا إِبَّانَ تَنْزِيلِ السُّورَةِ، وَهِيَ كَمَا يَلِي:

(١) إِبْثَاتُ أَنَّ شِرْكَهُمْ بَاطِلٌ، بِإِبْثَاتِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ، هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ، وَكُلُّ حَدَثٍ يَحْدُثُ فِيهِ.

(٢) قَضِيَّةُ اعْتِرَازِهِمْ بِقَوَاهِمِ الْمَادِيَّةِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَعَلَى الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، إِبَّانَ تَنْزِيلِ السُّورَةِ، مَعَ اسْتِكْبَارِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْحَقِّ، وَاتِّبَاعِ رَسُولِ رَبِّهِمْ.

(٣) قَضِيَّةُ إِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ وَيَوْمَ الدِّينِ، دُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ حُجَّةٌ إِلَّا التَّعَجُّبُ مِنَ الْإِحْيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَتَحَوُّلِ الْأَجْسَادِ إِلَى تَرَابٍ مُخْتَلِطٍ بِتَرَابِ الْأَرْضِ.

(٤) قُضِيََ اعتقادهم بأنَّ الملائكة بناتُ الله، واعتقادهم بأنَّ بَيْنَ الله وبينَ الجنِّ نسباً.

(٥) كُشِفَ كَذِبُهُمْ في قولهم الَّذي كانوا يقولونه قَبْلَ بَعْثِ مُحَمَّدٍ ﷺ: لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَكُنَّا مِنَ الْمُخْلَصِينَ، وَمِنَ الْمُخْلَصِينَ.

(٦) وفي أثناء معالجة هذه القضايا جاء في السُّورَة عَرْضُ صُورٍ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ لِلْكَافِرِينَ فِي الْآخِرَةِ، مع تَقْدِيمِ لَقَطَاتٍ مِنْ مَشَاهِدِ عَذَابِهِمْ يَوْمَ الدِّينِ.

**الفرع الثاني:** تَرْبِيَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بَعْدَةَ عناصر تَرْبِيَةٍ، وَطَمَأْنَتُهُمْ أَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُمْ كَمَا نَصَرَ الرُّسُلَ السَّابِقِينَ، وَالَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وجاء في أثناء السُّورَة لَقَطَاتٌ مِنْ قِصَصِ سَبْعَةِ رُسُلٍ نَصَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى كُفَّارِ أَقْوَامِهِمْ، وَتَتَضَمَّنُ هَذِهِ اللَّقَطَاتُ إِشْعَاراً لِلرُّسُولِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مَنْصُورُونَ، وَهُوَ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ، وَإِعْلَاماً لِلْكَافِرِينَ بِأَنَّهُمْ سَيُعْلَبُونَ حَتْمًا، وَسَيَنْصُرُ اللَّهُ رَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، ضِمْنَ مَجَارِي سُنَّتِهِ فِي عِبَادِهِ، وَهُوَ مِنَ الْمُنْذِرَاتِ.

وجاءت فيها قِصَّةُ «يُونُسَ» بِأَنَّهُ لَمَّا يَسَرَ مِنْ قَوْمِهِ، وَتَرَكَهُمْ دُونَ إِذْنِ مَنْ رَبِّهِ عَاقَبَهُ اللَّهُ بِأَنْ تُقَمَّهَ الْحُوتُ، وَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَمَّا نَجَا مِنْ بَلْعِ الْحُوتِ لَهُ وَهْضَمِهِ. وفي عَرْضِ هَذِهِ الْقِصَّةِ تَلْوِيحٌ تَرْبَوِيٌّ، بِأَنَّ حَامِلَ رِسَالَةِ رَبِّهِ الْمَكْلَفَ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَجْتَهِدَ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ، فَيَتْرُكَ وَظِيفَتَهُ الدَّعْوِيَّةَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ الْأَمْرُ أَوْ الْإِذْنُ الرَّبَّانِيُّ بِذَلِكَ.

(٤)

### دروس سورة (الصافات)

ظَهَرَ لِي بَعْدَ تَأَمُّلٍ أَنْ أَقْسَمَ السُّورَة إِلَى سَبْعَةِ دُرُوسٍ ضِمْنَ وَحْدَةٍ مَوْضُوعِهَا الَّذِي سَبَقَ بَيَانُهُ آنفًا:



## الدرس الأول: الآيات من (١ - ١٠).

وفي آياتِ هذا الدَّرْسِ قَسَمٌ عَلَى أَنَّ الإِلَهَ الْحَقُّ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ  
وَاحِدٌ، هُوَ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ، مع بيان ظاهرة كَوْنِيَّةٍ تَدُلُّ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ لِكُلِّ  
مَا فِي الْكَوْنِ، وَيَلْزَمُ عَقْلًا عَنْ رُبُوبِيَّتِهِ هَذِهِ أَنْ يَكُونَ هُوَ الإِلَهَ الْحَقُّ الَّذِي  
لَا إِلَهَ سِوَاهُ.

## الدَّرْسُ الثَّانِي: الآيات من (١١ - ٧٤) وفي هذا الدَّرْسُ ثلاثة

فصول:

## الفصل الأول: الآيات من (١١ - ٣٩).

وفي آياتِ هذا الفصل معالجة طائفة من المشركين بشأن اعتزازهم  
بِقُوَّتِهِمْ، وَسُخْرِيَّتِهِمْ مِنْ دَعْوَةِ الْحَقِّ، وعنادهم، وَمُبَالَغَتِهِمْ بِالسُّخْرِيَّةِ إِذَا  
رَأَوْا آيَةً تَشْهَدُ لِلرَّسُولِ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا، ويقولون هي من قبيل  
السَّحَرِ.

وفيها عِلَاجٌ مَا لِإِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ، ومنه عَرَضُ بَعْضِ  
مَشَاهِدَ مِنْ يَوْمِ الدِّينِ لِعَذَابِهِمْ وعذاب سائر الْمُجْرِمِينَ.

## الفصل الثاني: الآيات من (٤٠ - ٦١).

وفي آياتِ هذا الفصل عَرَضُ بَعْضِ مَشَاهِدَ مِنْ نَعِيمِ الْمُؤْمِنِينَ  
الْمُتَّقِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُخْلِصِينَ، فِي مُقَابِلِ عَرَضِ مَشَاهِدِ عَذَابِ الْمُجْرِمِينَ.

## الفصل الثالث: الآيات من (٦٢ - ٧٤).

وفيها عَوْدٌ لِبَيَانِ عَذَابِ الْمُجْرِمِينَ فِي الْجَحِيمِ.

## الدَّرْسُ الثَّالثُ: الآيات من (٧٥ - ١٤٨).

وفي آياتِ هذا الدَّرْسِ لِقَطَاتٌ مِنْ قِصَصِ سَبْعَةِ رُسُلٍ هُمْ: «نوح،  
وإبراهيم، وموسى، وهارون، وإلياس، ولوط، ويونس» عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَيَنْقَسِمُ هَذَا الدَّرْسُ إِلَى سِتَّةِ فُصُولٍ:

**الفصل الأول:** الآيات من (٧٥ - ٨٢). وفيها لقطات من قصّة نوح عليه السلام، ونَصْرِ الله لَهُ على قومه الكافرين.

**الفصل الثاني:** الآيات من (٨٣ - ١١٣) وفيها لقطات من قصة إبراهيم عليه السلام مع قَوْمِهِ، ونَصْرِ الله لَهُ، وبيان بَعْضِ ما اُمْتَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ.

**الفصل الثالث:** الآيات من (١١٤ - ١٢٢) وفيها بيان ما اُمْتَنَّ اللهُ بِهِ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ، وَنُصْرَتِهِمَا وَنُصْرَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ وَجُنُودِهِمْ.

**الفصل الرابع:** الآيات من (١٢٣ - ١٣٢) وفيها بيان مُوجِزٌ عن دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ لِقَوْمِهِ، وَمَا اُمْتَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ.

**الفصل الخامس:** الآيات من (١٣٣ - ١٣٨) وفيها بيان مُوجِزٌ عن نُصْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لوطاً عَلَيْهِ السَّلَام، وإِهْلَاكِ كُفَّارِ قَوْمِهِ، وتَدْمِيرِ بِلَادِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ عَلَيْهِمْ.

**الفصل السادس:** الآيات من (١٣٩ - ١٤٨) وفيها لقطات موجزاتٌ من قصّة يونس عليه السلام، مع بيان مَا تَعَرَّضَ لَهُ، إِذْ تَرَكَ قَوْمَهُ وَانْصَرَفَ عَنْهُمْ بِاجْتِهَادٍ مِنْهُ، دُونَ إِذْنٍ لَهُ مِنْ رَبِّهِ بِذَلِكَ، وَفِي عَرَضٍ مَا تَعَرَّضَ لَهُ تَلْوِيحٌ بِأَنَّ عَلَى حَامِلِ رِسَالَةِ رَبِّهِ الْمَكْلَفِ أَنْ لَا يَتْرُكَ قَوْمَهُ مُهَاجِرًا مَا لَمْ يَأْمُرْهُ اللهُ بِذَلِكَ أَوْ يَأْذَنَ لَهُ بِهِ.

**الدَّرْسُ الرَّابِعُ:** الآيات من (١٤٩ - ١٦٣).

وفي آيات هذا الدَّرْسِ مناقشة المشركين حَوْلَ عَقِيدَتِهِمْ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ.

## الدَّرْسُ الخامس: الآيات من (١٦٤ - ١٦٦).

وفي آيات هذا الدَّرْسِ تَوْجِيهٌ لِلْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُمْ يَقُولُوا لِلْمُشْرِكِينَ، مُعْلِنِينَ مَوْقِفَهُمُ الْمَضَادَّ لِمَوَاقِفِ كُلِّ الْكَافِرِينَ، وَأَنََّّهُمْ هُمُ الصَّافُونَ وَالْمُسَبِّحُونَ.

## الدرس السادس: الآيات من (١٦٧ - ١٧٠).

وفي آيات هذا الدَّرْسِ عَرْضٌ مُقَالَءٍ مِنْ مَقَالَاتِ الْمُشْرِكِينَ الَّتِي كَانُوا يَقُولُونَهَا قَبْلَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ: لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِثْلَ ذِكْرِ الْيَهُودِ أَوْ ذِكْرِ النَّصَارَى، لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ وَالْمُخْلِصِينَ. فَلَمَّا جَاءَهُمُ الذِّكْرُ مِنْزَلًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَفَرُوا، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ مَصِيرَهُمْ جَزَاءَ كُفْرِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

## الدرس السابع: الآيات من (١٧١ - ١٨٢) آخر السورة.

وفي آيات هذا الدَّرْسِ طَمَآنَةٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ بِأَنَّهُمْ مَنْصُورُونَ حَتْمًا، ضِمْنَ سُنَّةِ اللَّهِ الَّتِي سَبَقَتْ بِهَا كَلِمَتُهُ. مَعَ تَوْجِيهِ لِلرَّسُولِ ﷺ بِشَأْنِ مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنْ مَوْقِفٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ الْمُعَانِدِينَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، إِيَّانَ تَنْزِيلِ السُّورَةِ.



(٥)

**التدبر التحليلي للدَّرْسِ الأول من دُرُوسِ سورة (الصافات)**  
**الآيات من (١ - ١٠)**

قال الله عزَّ وجلَّ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًا﴾ ١ ﴿فَالزَّجَرِ زَجْرًا﴾ ٢ ﴿فَالنَّالِيَةِ ذِكْرًا﴾ ٣ ﴿إِنَّ إِلَهَهُمُ لَوَاحِدٌ﴾ ٤ ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ ٥ ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ

الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ  
الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطَفَ  
الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعُهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ .

### القراءات:

(٦) • قرأ شعبة: [بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ] بنصب الكواكب على تقدير. أعني وأخصر.

وقراها حفص وحمزة: [بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ] بجر الكواكب على أنها بدل.

وقراها باقي القراء العشرة: [بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ] على إضافة زينة إلى الكواكب.

والمؤدّي في هذه القراءات واحد، وهي من التثنية في التعبير.

(٨) • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي: [لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ  
الْأَعْلَى] بتشديد السين والميم من «يَسْمَعُونَ» أضلّها: «يَسْمَعُونَ».

وقراها باقي القراء العشرة: [لَا يَسْمَعُونَ] بإسكان السين، وفتح الميم دون تشديد.

وبين القراءتين تكاملٌ في أداء المعنى المراد، فقراءة [يَسْمَعُونَ] دَلَّتْ عَلَى أَنَّ الشَّيَاطِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْتَرِبُوا إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى لِيَسْمَعُوا، ودَلَّتْ قِراءَةُ [لَا يَسْمَعُونَ] عَلَى أَنَّهُ إِذَا اقْتَرَبَ بَعْضُهُمْ لَا يُمْكِنُونَ مِنَ السَّمَاعِ.

### تمهيد:

يُقْسِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلنَّاسِ، وَلَا سِوَا الْمَشْرُكُونَ مِنْهُمْ عَلَى أَنَّ إِلَهُهُمْ

لَوَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ  
الْمَشَارِقِ، وَمَنْ كَانَ رَبُّ الْمَشَارِقِ فَهُوَ رَبُّ الْمَغَارِبِ، إِذْ لَا تَشْرِقُ الشَّمْسُ  
مِنْ جِهَةٍ، إِلَّا غَرَبَتْ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ عَنِ الْجِهَةِ الْمَقَابِلَةِ لَهَا فِي دَوْرَةِ  
الْأَرْضِ حَوْلَ نَفْسِهَا.

وَيَمْتَنُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى النَّاسِ فِي الْأَرْضِ، بَأَنَّهُ زَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا  
بِالْكَوَاكِبِ الْمُضِيئَةِ، وَأَبَانَ أَنَّهَا ذَاتُ وَظِيفَةٍ أُخْرَى وَهِيَ حِفْظُ السَّمَاءِ مِنْ  
كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ طَرْدًا لَهُ عَنْ مَوَاطِنِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ، الَّذِينَ  
يُبْلَغُونَ أَوَامِرَ اللَّهِ لِلْمَلَائِكَةِ الْمَكْلَفِينَ تَنْفِيذَ أَوَامِرِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَوَسِيلَةَ  
طَرْدِ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَحَاوِلُونَ تَلْقُظَ أَخْبَارِ السَّمَاءِ، هِيَ مُلَاحَقَتُهُمْ بِالشُّهُبِ  
الَّتِي إِذَا أَصَابَتْهُمْ أَحْرَقَتْهُمْ، أَوْ أَنْزَلَتْ بِهِمْ عَذَابًا يَمْنَعُهُمْ مِنَ التَّقَاطُ  
الْأَخْبَارِ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًا ۝١﴾ فَالزَّجَرِ زَجْرًا ۝٢﴾ فَالتَّالِيَةِ ذِكْرًا ۝٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ  
لَوَاحِدٌ ۝٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝٥﴾: الواو في:  
﴿وَالصَّفَّاتِ﴾ هي واو القسم.

قِيلَ: إِنَّ الْمُقْسَمَ بِهِمْ أَصْنَافٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَكِنِّي لَمْ أَرِ أَنَّ الْقَسَمَ  
بِأَصْنَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهُمْ مَخْلُوقَاتٌ غَيْرُ مَشْهُودَةٍ لِلنَّاسِ، يُؤَكِّدُ لَدَى  
الْمُشْرِكِينَ أَنَّ إِلَهُهُمْ لَوَاحِدٌ، هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ  
الْمَشَارِقِ.

إِنَّ التَّوْحِيدَ دَلِيلُهُ عَقْلِيٌّ مُسْتَفَادٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ  
الرَّبَّ وَاحِدًا لَا شَرِيكَ لَهُ، وَاللَّازِمُ الْعَقْلِيُّ الْمُبَاشِرُ لِهَذَا أَنَّ الْإِلَهَ الْمَعْبُودَ  
الْحَقُّ هُوَ وَحْدَهُ الرَّبُّ الْوَاحِدُ.

إِنَّ الْمَلَائِكَةَ مَخْلُوقَاتٌ غَيْبِيَّةٌ، لَمْ يُعَلِّمْ وَجُودَهُمْ، وَلَمْ تُعَلِّمْ صِفَاتَهُمْ، إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الْحَبَرِ الدِّينِيِّ، وَالْمُشْرِكُونَ لَمْ يَقْبَلُوا الْأَخْبَارَ الدِّينِيَّةَ ابْتِدَاءً بِشَأْنِ التَّوْحِيدِ، فَكَيْفَ يُؤَكِّدُ لَهُمُ الْقَسَمَ بِالْمَلَائِكَةِ الْغَائِبِينَ عَنِ الْحَوَاسِّ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدَ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَعْجَبَنِي قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمَقْسَمَ بِهِمْ جَمَاعَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ يُصَلُّونَ صُفُوفًا، وَيَجَاهِدُونَ صُفُوفًا مُتَرَاصَّةً.

**أقول:** إِنَّ مِنْ عَادَةِ النَّاسِ أَنْ يُقْسِمُوا بِمَنْ يُعْظَمُونَ، وَبِمَنْ يُكْرَمُونَ، وَبِمَنْ يُحِبُّونَ مِنْ أَزْوَاجٍ، أَوْ أَوْلَادٍ، أَوْ أَخِلَاءٍ، فَيَكُونُ قَسَمُهُمْ فِي عُرْفِ النَّاسِ مُؤَكَّدًا لِأَقْوَالِهِمْ، وَالْقَسَمُ مُؤَكَّدٌ كَسَائِرِ أَدَوَاتِ التَّوَكُّدِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُحْسِنِينَ، وَالْأَبْرَارَ، وَكَامِلِي التَّقْوَى، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ رُسُلُ اللَّهِ، وَأَنْبِيَآؤُهُ، وَاتَّبَاعُهُمْ بِإِحْسَانٍ، هُمْ مَحْبُوبُونَ لِلَّهِ، وَأَصْحَابُ مَكَانَاتٍ رَفِيعَاتٍ عِنْدَهُ، وَهُمْ أَصْحَابُ مَكَانَاتٍ عَالِيَاتٍ فِي كُلِّ أُمَّةٍ لِمَا يَتَحَلَّلُونَ بِهِ مِنْ فَضَائِلِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ السُّلُوكِ. فَالْقَسَمُ بِهِمْ وَهُمْ مَشْهُودُونَ لِلنَّاسِ بِفَضَائِلِهِمْ، يُشْعِرُ بَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّهُمْ وَيَرْفَعُ عِنْدَهُ مَكَانَاتِهِمْ، فَيَأْتِي الْقَسَمُ بِهِمْ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ التَّوَكُّدِ الْمَأْلُوفَةِ بَيْنَ النَّاسِ، مَعَ دَلَالَةِ الْقَسَمِ عَلَى تَكْرِيمِهِمْ وَتَفْضِيلِهِمْ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ.

وَأَبْرَزَ اللَّهُ مِنْ فَضَائِلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمَ بِهِمْ مِنْ جَمَاعَاتِ الْأُمَمِ الرَّبَّانِيَّةِ مَا يَلِي:

• ﴿وَالصَّفَاتِ صَفًا﴾: أَي: أَقْسِمُ بِجَمَاعَاتِ الرَّبَّانِيِّينَ مِنْ عِبَادِي الْمُحْسِنِينَ، وَالْأَبْرَارِ، وَكَامِلِي التَّقْوَى، الَّذِينَ هُمْ أَحْبَابِي مِنْ عِبَادِي، وَذَوُو مَكَانَاتٍ رَفِيعَاتٍ عِنْدِي، وَمُقَرَّبُونَ مِنِّي، الَّذِينَ مِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ صَافِينَ صُفُوفًا مُسْتَوِيَةً مُتَرَاصَّةً، وَيَجَاهِدُونَ وَيُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِي صُفُوفًا مُسْتَوِيَةً مُتَرَاصَّةً، لَا مُتَخَالِفَةً، وَلَا مُتَنَافِرَةً، وَلَا مُتَصَارِعَةً، وَلَا مُتَفَرِّقَةً شِيعًا وَأَحْزَابًا.

«صَافَات»: جَمْعٌ مُفْرَدُهُ «صَافَةٌ» وهي الجماعةُ الَّتِي تَنْتَظِمُ مُسْتَقِيمَةً عَلَى خَطٍّ، أَوْ خُطُوطٍ بَعْضُهَا وَرَاءَ بَعْضٍ، مُؤْتَمَّةٌ بِإِمَامٍ وَاحِدٍ يَقُودُ حَرَكَاتِهَا، فِي الصَّلَاةِ، وَفِي جِهَادِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَفِي الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ تَخَضُّعٍ لِنِظَامٍ صَفِيِّ مُنْضَبِطٍ وَلَوْ تَفَرَّقُوا فِي الْمَوَاقِعِ.

فَالصَّافَاتُ وَصَفٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: الْجَمَاعَاتُ الصَّافَاتُ، وَاخْتِيرَ هَذَا الْجَمْعُ الْمُؤَنَّثُ الدَّلَالُ عَلَى الْجَمَاعَاتِ لِيَشْمَلَ جَمَاعَاتِ الْإِيمَانِ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَالْأَبْرَارِ، وَكَامِلِي التَّقْوَى، مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَصْرٍ، فَهُمْ السَّابِقُونَ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ وَيُحِبُّونَهُ.

﴿صَفًا﴾: مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ يُؤَكِّدُ التِّزَامَهُمْ بِالْإِنْضِبَاطِ الصَّفِيِّ الْمَطْلُوبِ مِنْهُمْ شَرْعًا.

وَيُؤَكِّدُ هَذَا الْفَهْمَ مَا جَاءَ فِي الْآيَاتِ مِنْ (١٦٤ - ١٦٦) الَّتِي أَرْشَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوهُ فِي أَوَاخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى مُعَلِّمًا:

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

وَسِيَاتِي تَذَكُّرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿فَالزَّجَرِ زَجْرًا ﴿٢﴾﴾: «الزَّجْرُ»: هُوَ فِي اللُّغَةِ الْمَنْعُ وَالنَّهْيُ وَالْإِنْتِهَارُ، يُقَالُ لَغَةً: «زَجَرُهُ، يَزْجُرُهُ، زَجْرًا» أَي: مَنَعَهُ وَنَهَاهُ وَانْتَهَرَهُ.

دَلَّ هَذَا الْوَصْفُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَالْأَبْرَارِ، وَكَامِلِي التَّقْوَى، تَقُومُ بِرِسَالَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ضَمَّنَ الْمِنْهَاجِ الرَّبَّانِيِّ، وَتَنْصَحُ وَتُرْشِدُ، فَمَنْ أَعْلَنَ إِيمَانَهُ وَإِسْلَامَهُ، عَلَّمَتْهُ شَرَائِعَ اللَّهِ وَأَحْكَامَ دِينِهِ، وَطَلَبَتْهُ بِالْإِتِمَامِ فِي حَيَاتِهِ، وَتَابَعَتْ رِسَالَاتَهَا فِي الْمَجْتَمَعِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْلِمِ

تُرْشِدُ وَتَنْصَحُ، وتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، فَمَنْ أَصْرَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ارْتِكَابِ كِبَائِرِ الْمَعَاصِي زَجَرْتُهُ عَنْ مَعَاصِيهِ بِشِدَّةٍ، فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْعُنْفِ وَالْإِنتِهَارِ، لِيَمْتَنَعَ عَنْ كِبَائِرِهِ، وَيَسْتَقِيمَ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ.

فَدَلَّ التَّعْبِيرُ بِالزَّجْرِ عَلَى سَوَابِقِهِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا الْحِكْمَةُ التَّرْبَوِيَّةُ فِي الْإِسْلَامِ، عَنْ طَرِيقِ اللَّوَاظِمِ الْفِكْرِيَّةِ، مَعَ مِلَاحَظَةِ مِنْهَااجِ فَقِهِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَفَقِهِ التَّضَحُّعِ وَالْإِرْشَادِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، إِذِ الزَّجْرُ يَكُونُ مُتَأَخِّرًا فِي تَرْتِيبِ الْعِلَاجِ التَّرْبَوِيِّ، وَلَا يَكُونُ فِي أَوَائِلِ الْعِلَاجِ وَلَا فِي أَوَاسِطِهِ، أَمَّا التَّعَاذِيرُ الْعِقَابِيَّةُ فَهِيَ مِنْ وَظَائِفِ الْإِدَارَةِ الْحَاكِمَةِ الْمُسْلِمَةِ، لَا مِنْ وَظَائِفِ حَمَلَةِ الرِّسَالَةِ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

﴿زَجَرًا﴾: مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ يُؤَكِّدُ اتِّصَافَ هَؤُلَاءِ النُّخْبَةِ بِغَيْرَتِهِمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ، غَيْرَةً تَجْعَلُهُمْ يَصِلُونَ إِلَى مُسْتَوَى زَجَرِ مُرْتَكِبِي الْكِبَائِرِ بِعُنْفٍ حَكِيمٍ، غَيْرِ مُنْفَرٍّ وَلَا مُشْهَرٍّ بِالْمُسْتُورِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَعَاصِي.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا﴾ (٢): أَي: فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا مُنْزَلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، تَعَلُّمًا وَتَعْلِيمًا، وَطَلَبًا لِثَوَابِ اللَّهِ الَّذِي أَعَدَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لِتَالِي آيَاتِ كِتَابِهِ، وَتَبْلِيغًا لِكِتَابِ اللَّهِ مَا وَجَدُوا لَهُ سَبِيلًا بِمُخْتَلِفِ وَسَائِلِ التَّبْلِيغِ. إِنَّ مِنْ صِفَاتِ الْجَمَاعَاتِ الَّذِينَ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَالْأَبْرَارِ، وَكَامِلِي التَّقْوَى، أَنَّ مِنْ أَحْوَالِهِمُ الدَّائِمَةِ أَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَيُسَبِّحُونَ بِحَمْدِهِ، وَيَتْلُونَ كِتَابَهُ مُتَعَلِّمِينَ، وَمُعَلِّمِينَ، وَمُبَلِّغِينَ.

﴿ذِكْرًا﴾: مَفْعُولٌ بِهِ لِجَمْعِ اسْمِ الْفَاعِلِ: ﴿فَالْتَلَيْتَ﴾.

وجاء العطف بالفاء في: ﴿فَالزَّجَرُ زَجْرًا﴾ (٢) وفي ﴿فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا﴾ (٢) الدَّالَّةُ عَلَى التَّرْتِيبِ مَعَ التَّعْقِيبِ، مُلَانِمًا لِلتَّرْتِيبِ الطَّبِيعِيِّ،



فَالصَّفُّ فِي الصَّلَاةِ يَكُونُ أَوَّلًا، وَبَعْدَهُ يَكُونُ الصَّفُّ فِي الْجِهَادِ الدَّعَوِيِّ  
وَالْقِتَالِ، وَبَعْدَهُ تَتَكَوَّنُ الْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ، وَعِنْدَئِذٍ يُوجَّهُ لَهَا الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ،  
فَالزَّجْرُ، فَالْمَدَاوِمَةُ عَلَى تِلَاوَةِ الذِّكْرِ تَبْلِيغًا، وَتَعْلَمًا، وَتَعْلِيمًا.

هذه صفات النُّخْبَةِ السَّابِقَةِ فِي الْخَيْرَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ،  
وَهُمُ الْمُحْسِنُونَ، وَالْأَبْرَارُ، وَكَامِلُو التَّقْوَى.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خُطَابًا لِلنَّاسِ وَلَا سِيَمَا الْمَشْرُكُونَ:

• ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۖ﴾: أي: إِنَّ إِلَٰهَكُمْ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكُمْ  
أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِعِبَادَتِهِ أَحَدًا، هُوَ وَاحِدٌ فَقَطْ، لَا شَرِيكَ لَهُ.  
جَاءَ تَوْكِيدُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ بِعِدَّةِ مُؤَكَّدَاتٍ هِيَ: «الْقَسَمُ بِالنُّخْبَةِ  
الْمُصْطَفَاةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ - وَإِنَّ - وَالْجُمْلَةُ الْأَسْمِيَّةَ - وَلامُ الْإِبْتِدَاءِ  
الْمَزْحَلْقَةِ إِلَى الْخَبَرِ».

﴿إِلَٰهَكُمْ﴾: أي: مَعْبُودُكُمْ الْحَقُّ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّنًا وَصْفَ الْإِلَٰهِ الْحَقِّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَعْبُدَهُ  
الْمُكَلَّفُونَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ، وَأَنْ لَا يُشْرِكُوا بِعِبَادَتِهِ أَحَدًا، وَلَا شَيْئًا:

• ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ۖ﴾:

أي: هُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،  
وَخَالِقُ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، لِأَنَّ الْمَشَارِقَ تَحْدُثُ مَعَهَا الْمَغَارِبُ دَوَامًا فِي  
الْجِهَةِ الْمَقَابِلَةِ لَهَا، وَهُوَ الْمَتَصَرِّفُ وَالْمُهَيِّمُنْ عَلَيْهَا دَوَامًا بِصِفَاتِ رَبُّوبِيَّتِهِ  
الْكَثِيرَةِ.

السَّمَاوَاتُ: هِيَ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ الَّتِي جَاءَ الْحَدِيثُ عَنْهَا فِي نُصُوصٍ  
قَرَأْنِيَّةٍ كَثِيرَةٍ.

الأرض: هِيَ هَذَا الْكَوْكَبُ ذُو السَّطْحِ الْبَارِدِ، الَّذِي يَسْكُنُ عَلَيْهِ

النَّاسُ، وَيُلْحَقُ بِهَا غِلَافُهَا الْغَازِيُ الْمُنْجَذِبُ إِلَيْهَا، وَهَذَا الْغِلَافُ هُوَ سَمَاءُ قَرِيبَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَرْضِ، وَفَقِ الْوَضْعُ اللَّغَوِيُّ لِلْفِظِ «سَمَاءٌ».

وَمَا بَيْنَهُمَا: أَي: وَمَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهِيَ الْكَائِنَاتُ فِي الْفَضَاءِ الْخَارِجِ عَنِ جاذِبَةِ الْأَرْضِ، وَجاذِبَاتِ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ الْكَائِنَةِ فِي السَّمَاءِ الْأُولَى.

**المشارك:** تَدُورُ الْأَرْضُ بِسُرْعَةٍ حَوْلَ مُحْوَرِّهَا بِاتِّجَاهِ الشَّمْسِ، وَهَذِهِ الْحَرَكَةُ الدَّوْرَانِيَّةُ السَّرِيعَةُ تَجْعَلُ الشَّمْسَ فِي نَظَرِ سُكَّانِ الْأَرْضِ كَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَتَحَرَّكُ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ مُسَبِّبَةً خُذُوثَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ عَلَى الْأَرْضِ، وَجَانِبُ النَّهَارِ عَلَى الْأَرْضِ هُوَ الْجَانِبُ الْمُوَاكِفُ لِلشَّمْسِ، وَأَمَّا اللَّيْلُ فَيَكُونُ فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ الَّذِي لَا تَكُونُ الشَّمْسُ مُوَاكِفَةً لَهُ.

وَبَدَوْرَانِ الْأَرْضِ حَوْلَ نَفْسِهَا بِاتِّجَاهِ الشَّمْسِ، تَكُونُ الشَّمْسُ ذَاتَ مَشَارِقٍ عَلَى الْأَرْضِ لِحِظَةٍ فَلِحِظَةٍ، وَكُلُّ سَاكِنٍ مِنَ الْأَرْضِ يَرَى الشُّرُوقَ الَّذِي يَكُونُ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يَسْكُنُهَا، وَمَنْ يَسْكُنُ أَبْعَدَ مِنْهُ فِي اتِّجَاهِ الْغَرْبِ، يَرَى عَلَى أَرْضِهِ شُرُوقاً آخَرَ، وَنَظِيرُهُ فِي الْمَقَابِلِ الْغُرُوبُ.

**مشارك:** جَمَعَ «مَشْرِقٌ» وَهُوَ يُطْلَقُ عَلَى مَكَانِ شُرُوقِ الشَّمْسِ، وَزَمَانَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الشُّرُوقِ بِاعْتِبَارِهِ مَصْدَرًا مِيمِيًّا، وَمَعْلُومٌ فِي الْمَفَاهِيمِ الدِّينِيَّةِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَهَيِّمُنْ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ خَلْقًا وَتَدْبِيرًا وَتَصَارِيفَ عَلَى الشُّرُوقِ، وَعَلَى أَمْكِنَةِ الشُّرُوقِ، وَعَلَى أَرْمَنَةِ الشُّرُوقِ، فَهُوَ رَبُّ كُلِّ الْمَشَارِقِ، وَكُلِّ الْمَغَارِبِ، وَلَا أَحَدَ غَيْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ رُبُوبِيَّةٌ مَا فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

وَجَاءَ التَّصْرِيحُ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَبُّ الْمَغَارِبِ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (المعارج/ ٧٠ مصحف/ ٧٩ نزول):

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ﴾ (٤٠) عَلَيَّ أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ .

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ بَعْضِ مَنِّهِ عَلَى النَّاسِ .

● ﴿إِنَّا زَيْنًا أَلَمًا أَلَدْنَا بِرِنَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحَفَظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى أَلَمٍ أَلَعَلَّيْ وَيُقَذَّفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَن خُطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ :

يتحدَّثُ رَبُّنَا - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - بِضَمِيرِ المتكَلِّمِ العظيم مُؤَكِّدًا: ﴿إِنَّا زَيْنًا أَلَمًا أَلَدْنَا بِرِنَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ الْقِرَاءَاتِ وَبَيَانُ الْحِكْمَةِ فِيهَا. وَلَمَّا كَانَتْ ظَاهِرَةً هَذَا التَّزْيِينِ مِنْ خَصَائِصِ أَعْمَالِ الرَّبِّ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُهَا فِي الْوُجُودِ أَحَدٌ سِوَاهُ، كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ التَّحَدُّثُ عَنْهَا بِضَمِيرِ المتكَلِّمِ العظيم.

﴿زَيْنًا﴾: أَي: حَسَنًا وَجَمَلْنَا، وَهَذَا التَّزْيِينُ بِالْكَوَاكِبِ السَّمَاوِيَّةِ ظَاهِرٌ لِكُلِّ ذِي نَظَرٍ يَرَى بِهِ السَّمَاءَ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ لَدَى عُلَمَاءِ الْكَوْنِ أَنَّ الْكَوَاكِبَ وَالنُّجُومَ لَا تَظْهَرُ زِينَتُهَا لِأَعْيُنِ النَّاطِرِينَ فِي الْأَرْضِ، إِلَّا بِوَسَاطَةِ الْخَصَائِصِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْغِلَافِ الْغَازِي حَوْلَ الْأَرْضِ، وَلَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ زِينَةً لِلنَّاطِرِينَ، وَهَذَا التَّزْيِينُ مِنْ مَنِّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ مِنَ النَّاسِ، وَهُوَ مِنْ آيَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ لِكُونِهِ.

وَلَمَّا كَانَ الْغِلَافُ الْغَازِي حَوْلَ الْأَرْضِ هُوَ الْوَسِيطُ الَّذِي تَظْهَرُ بِهِ زِينَةُ الْكَوَاكِبِ، وَيُسَمَّى فِي اللُّغَةِ «سَمَاءً» كَانَ لَنَا أَنْ نَفْهَمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالسَّمَاءِ الدُّنْيَا هُوَ هَذَا الْغِلَافُ الْغَازِي حَوْلَ الْأَرْضِ، إِذْ هُوَ الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ زِينَةُ الْكَوَاكِبِ، وَلَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ ذَاتَ زِينَةٍ. لَفْظُ ﴿الدُّنْيَا﴾ مُؤَنَّثٌ الْأَدْنَى، أَي: السَّمَاءُ الْأَقْرَبُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ.

وَلَا يَقْتَصِرُ أَمْرُ الْكَوَاكِبِ عَلَى كَوْنِهَا زِينَةً، بَلْ هِيَ أَيْضًا كَمَا جَاءَ فِي النَّصِّ، تَحْفَظُ السَّمَاءَ مِنْ أَنْ يَسْتَرْقِ الشَّيَاطِينُ الْمَرْدَةُ السَّمْعَ مِنْ مَلَائِكَةِ

الْمَلَأَ الْأَعْلَى، حِينَ يَنْزِلُونَ مُبَلِّغِينَ أَوَامِرَ اللَّهِ الْمُتَعَلِّقَةَ بِتَصَاريفِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ. لِذَوِي الْوظَائِفِ الْأَرْضِيَّةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَحَفَظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ (٧) : أي: وَجَعَلْنَاهَا أَدَوَاتٍ حِفْظٍ مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ، وَهَذِهِ وَظِيفَةٌ لِلْكَوَاكِبِ مِنَ الْوظَائِفِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَهَا فِي كَوْنِهِ.

شيطان: اسم جنس يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مُغْوٍ مُضِلٍّ مُتَمَرِّدٍ مُفْسِدٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَابْلِيسُ إِمَامُ كُلِّ الشَّيَاطِينِ وَرَئِيسُهُمْ. وَالَّذِينَ كَانُوا يَسْتَرْقُونَ السَّمْعَ مِنَ الشَّيَاطِينِ، هُمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ.

مَارِد: أي: بِالْعُغَايَةِ فِي الْعُتُوِّ وَالْإِجْرَامِ وَالْإِفْسَادِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ (٨) دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (١٠) :

أي: فَشَيَاطِينُ الْجِنِّ الْمَرَدَّةُ، بَعْدَ أَنْ حَفِظَ اللَّهُ السَّمَاءَ مِنْ اقْتِرَابِهِمْ مِنْهَا بِالشُّهُبِ، خَافُوا مِنْ أَنْ تُصِيبَهُمُ الشُّهُبُ الْمُحْرِقَةُ، فَصَارُوا لَا يَتَسَمَّعُونَ إِلَى الْكَلَامِ الَّذِي تَنْزِلُ بِهِ مَلَائِكَةُ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِالْأَوَامِرِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لِمَلَائِكَةِ تَنْفِيذِ الْأَوَامِرِ فِي الْأَرْضِ.

وَذَلِكَ الْقِرَاءَةُ الْأُخْرَى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ عَلَى أَنَّهُ إِذَا غَامَرَ بَعْضُهُمْ وَبَلَغَ مَكَانًا مَا يَسْمَعُ وَهُوَ فِيهِ تَنَضُّتًا، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْمَعَ، إِذْ يَجِدُ قَذَائِفَ تَوَجَّهَ لِقَتْلِهِ أَوْ إِحْرَاقِهِ أَوْ مَسِّهِ بِضُرٍّ شَدِيدٍ مِنَ الشُّهُبِ، مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِهِ.

• ﴿دُحُورًا﴾: أي: لِأَجْلِ دَخَرِهِمْ وَطَرْدِهِمْ عَنْ مَوَاقِعِ التَّسْمَعِ مِنْ مَلَائِكَةِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، النَّازِلِينَ لِتَبْلِيغِ مَلَائِكَةِ التَّنْفِيذِ أَوَامِرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

**الدُّحُور: والدَّخْرُ:** الطَّرْدُ والإِبْعَادُ الْمُقْتَرِنُ بِدَفْعٍ عَنِيفٍ فِيهِ إِهَانَةٌ وَإِذْلَالٌ.

• ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾: أي: وَلَهُمْ إِذَا حَاوَلُوا التَّسَمُّعَ عَذَابٌ دَائِمٌ مُلَازِمٌ، إِذَا لَمْ تُحْرِقْهُمْ الشُّهْبُ. أَوْ: وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ دَائِمٌ.

• ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾:

اسْتِثْنَاءٌ مِنْ [لَا يَسْمَعُونَ] وَمِنْ [لَا يَسْمَعُونَ] فِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى، أَيْ: إِلَّا شَيْطَانًا مَارِدًا اسْتَرَقَ بَعْضَ الْكَلَامِ مِنْ مَلَائِكَةِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، بِأَسْلُوبِ الْخُطْفِ السَّرِيعِ، فَإِنَّهُ لَا يُتْرَكُ بَلْ يَتَّبِعُهُ شِهَابٌ نَارِيٌّ فَيُحْرِقُهُ أَوْ يُنْزِلُ بِهِ عِلَّةً تَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَنْقُلَ إِلَى وَلِيِّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، مَا اخْتَطَفَهُ مِنْ كَلَامٍ بِتَسْمُوعِهِ.

﴿خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾: يُقَالُ لُغَةً: «خَطِفَ الشَّيْءُ، يَخْطُفُهُ، خَطْفًا» أَيْ: جَذَبَهُ وَأَخَذَهُ بِسُرْعَةٍ.

• ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾: أَيْ: فَتَبِعَهُ بِسُرْعَةٍ وَقُوَّةٍ.

• ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾: الشُّهَابُ: الشُّعْلَةُ السَّاطِعَةُ مِنَ النَّارِ، وَالثَّاقِبُ: الْمُتَوَقِّدُ لَهَا، فَهُوَ شِهَابٌ شَدِيدُ التَّوْهِجِ النَّارِي.

وَيُطْلَقُ الشُّهَابُ عَلَى النَّجْمِ الْمُضِيِّ اللَّامِعِ، وَيُطْلَقُ عَلَى جَرَمٍ سَمَاوِيٍّ يَسْبَحُ فِي الْفُضَاءِ، فَإِذَا دَخَلَ إِلَى جَوْ الْأَرْضِ انْجَذَبَ إِلَيْهَا بِشِدَّةٍ فَاشْتَعَلَ وَصَارَ رَمَادًا غَالِبًا.

أَيْ: فَتَبِعَهُ بِسُرْعَةٍ وَقُوَّةٍ شِهَابٌ مُتَوَقِّدٌ لَهَا، فَقَتَلَهُ، أَوْ مَسَّهُ بِحَرِيقٍ وَأَنْزَلَ بِهِ ضَرًّا، فَمَنْعَهُ مِنْ أَنْ يَنْقُلَ شَيْئًا إِلَى وَلِيِّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ.

وَقَدْ كَانَ شَيَاطِينُ الْجَنِّ يَسْتَرْقُونَ بِمَسَامِعِهِمْ مَا تَتَحَادَثُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ، أَوْ مَا يُلْقَى إِلَيْهِمْ مِنْ أَوَامِرِ رَبَّانِيَّةٍ وَأَنْبَاءٍ، وَيُيَلِّغُونَ مَا اسْتَمَعُوهُ

إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، الْكَهَنَةِ وَالْعَرَّافِينَ، فَمُئِعُوا مِنْ ذَلِكَ بَعْدَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالشُّهُبِ، كَمَا سَبَقَ إِيضَاحُهُ لَدَى تَدْبِيرِ سُورَةِ (الْجَنِّ/ ٤٠ نزول).

وَحِكْمَةُ هَذَا الْمَنْعِ حِمَايَةُ الرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ الَّتِي اضْطَفَى اللَّهُ لَهَا مُحَمَّدًا ﷺ، مِنْ أَنْ يَلْتَبَسَ الْوَحْيُ الرَّبَّانِيُّ بِمَا تُلْقِيهِ شَيَاطِينُ الْجَنِّ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، عَنْ طَرِيقِ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ مِنْ مَلَائِكَةِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَكَانَ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ مِنَ الْكَهَنَةِ وَالْعَرَّافِينَ، يَكْذِبُونَ مَعَ الْخَبَرِ الصَّحِيحِ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنْ قُرْنَائِهِمْ مِنَ الْجَنِّ مِثَّةً كَذِبَةً، وَقَدْ جَاءَ هَذَا فِيمَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الأول من دروس سورة (الصافات).  
والحمد لله على معونته ومدّته وتوفيقه وفتحِهِ.



(٦)

التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (الصافات)  
الآيات من (١١ - ٧٤) وفيه ثلاثة فصول

### الفصل الأول

الآيات من (١١ - ٣٩)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿فَاسْتَفْنِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ۝ (١١)  
بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ۝ (١٤)  
وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝ (١٥) إِذَا مِنْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظْمًا إِنَّا لَمَبْهُوتُونَ ۝ (١٦) أَوْ  
ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ ۝ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ

(١٩) وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ  
 (٢١) ﴿٢١﴾ أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ  
 إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ  
 أَلَيَوْمٍ مُّسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنْ  
 الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ  
 كُنْتُمْ قَوْمًا طَغَيْنَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَوِينَ  
 ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ  
 كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهِنَا  
 لِسَاعٍ نَجْنُومُ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ  
 ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾

### القراءات:

(١١) • قرأ رؤيس: [فَاسْتَفْتِهِمْ] بضم هاء الضمير.

وقراها باقي القراء العشرة: [فَاسْتَفْتِهِمْ] بكسر هاء الضمير.

وهما لغتان عربيتان.

(١٢) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [بَلْ عَجِبْتُ] بتاء المتكلم

وهو الله عَزَّ وَجَلَّ.

وقراها باقي القراء العشرة: [بَلْ عَجِبْتُ] بتاء المخاطب وهو

الرسول ﷺ.

وبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد، فالله عَجِبَ من  
 اعتزازهم بقوتهم مع أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً، وَالرَّسُولُ ﷺ  
 عَجِبَ أَيْضاً مِنْ أَمْرِهِمْ هَذَا، وَالْعَجَبُ مِنَ اللَّهِ مَعْنَاهُ الْإِنْكَارُ الشَّدِيدُ عَلَيْهِمْ  
 لِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ مَكَابِرَةٍ حَمَقَاءَ.

(١٦) • قرأ ابن عامر: [إِذَا... أَئْتْنَا].

وقراها نافع والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب: [أَيْذَا... إِنَّا].

وقراها باقي القراء العشرة: [أَيْذَا... أَئْتْنَا].

ومؤدّي هذه القراءات واحد، فَحَذَفُ هَمْزَةِ الاستفهام هو عَلَى أَنَّهَا مُقَدَّرَةٌ ذَهْنًا. والاستفهام هنا تَعَجُّبِيٌّ إنكاري.

(١٦) • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشُعْبَةُ، وأبو جعفر، ويعقوب [مُتْنًا] بضم الميم.

وقراها باقي القراء العشرة بِكَسْرِ الميم [مُتْنًا].

وهما وَجْهَانِ عَرَبِيَّانِ، والقياسُ بضم الميم، لأنَّ الفعل «مَاتَ، يَمُوتُ».

(١٧) • قرأ قالون، وأبو جعفر، وابن عامر: [أَوْ أَبَاؤُنَا] بحرف العطف «أَوْ».

وقراها باقي القراء العشرة: [أَوْ أَبَاؤُنَا] بهمزة الاستفهام والعطف بالواو.

ومؤدّي القراءتين واحد.

(١٨) • قرأ الكسائي: [نَعِم] بِكَسْرِ الْعَيْنِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [نَعِم] بِفَتْحِ الْعَيْنِ.

فتح الْعَيْنِ وَكَسَرُهَا فِي «نَعِم» لُغَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ.

(٢٥) • قرأ البرقي، وأبو جعفر: [لَا تَنَاصَرُونَ] بِتَشْدِيدِ التَاءِ، مع المدّ المشبّع للسَّاكِنَيْنِ، أَضْلُهَا: «لَا تَتَنَاصَرُونَ» أَدْغَمَتِ التَاءُ بِالتَاءِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [لَا تَنَاصَرُونَ] بحذف إحدى التاءين للتخفيف، وهذا مِنَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الْفَصِيحِ.



تمهيد :

في هذا الفصل مُعَالَجَةُ لِأَيِّمَةِ الْكُفْرِ الْمُعَانِدِينَ إِبَّانَ تَنْزِيلِ السُّورَةِ ،  
بشأن سَبْعِ ظَاهِرَاتٍ بَارِزَاتٍ فِيهِمْ :

**الظَّاهِرَةُ الْأُولَى :** اغْتِرَازُهُمْ بِقُوَّتِهِمِ الْمَادِّيَّةِ عَلَى الرُّسُولِ وَعَلَى الَّذِينَ  
آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ .

**الظَّاهِرَةُ الثَّانِيَّةُ :** سُخْرِيَّتُهُمْ بِالرُّسُولِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ ، وَسُخْرِيَّتُهُمْ  
بِالْمُؤْمِنِينَ .

**الظَّاهِرَةُ الثَّالِثَةُ :** عَدَمُ اسْتِجَابَتِهِمْ لِلتَّذْكِيرِ مَهْمَا كَانَ ذَا تَأْثِيرٍ فِي الْعُقُولِ  
وَالنَّفُوسِ ، لِقِسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ .

**الظَّاهِرَةُ الرَّابِعَةُ :** إِمْعَانُهُمُ الْمُسْرِفُ بِالسُّخْرِيَّةِ مِنَ الْآيَاتِ الْخَارِقَاتِ  
الدَّالَّاتِ عَلَى أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا ، لِحَجْبِ أَتْبَاعِهِمْ عَنِ  
التَّأَثُّرِ بِهَا ، وَتَصْدِيقِ الرُّسُولِ ، زَاعِمِينَ أَنَّهَا مِنْ قِبَلِ السَّحْرِ .

**الظَّاهِرَةُ الْخَامِسَةُ :** إنْكَارُهُمُ الْبَعْثَ الَّذِي سَوْفَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،  
دُونَ أَنْ يُقَدِّمُوا دَلِيلًا إِلَّا الْاسْتِفْهَامَ التَّعْجِيبِيَّ الْإِنْكَارِيَّ .

**الظَّاهِرَةُ السَّادِسَةُ :** اسْتِكْبَارُهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ ، وَإِعْلَانِ كَلِمَةِ  
التَّوْحِيدِ ، وَعَنْ تَرْكِهِمْ عِبَادَةَ آلِهَتِهِمُ الَّتِي وَرِثُوا الْإِعْتِقَادَ بِهَا عَنْ آبَائِهِمْ .

**الظَّاهِرَةُ السَّابِعَةُ :** شَتْمُهُمُ الرُّسُولَ بِأَنَّهُ شَاعِرٌ مَجْنُونٌ .

التدبر التحليلي :

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خُطَابًا لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ :

● ﴿ فَاسْتَفِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ

لَا زِيْبِ ۝ ١١ ﴾ :

الاسْتِفْتَاءُ: طلبُ الإجابةِ عَلَى الْمَسْئُولِ عَنْهُ.

﴿مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾: أي: من طِينٍ مُتَمَاسِكٍ فِيهِ قُوَّةُ الْإِلْتِصَاقِ بالأشياء، يقال لغة: «لَزَبَ الطِّينُ، يَلْزُبُ، لَزُوبًا» أي: تماسك وَلَزِقَ، وَيُقَالُ: «لَزَبَ بِالشَّيْءِ يَلْزُبُ، وَلَزَبَ يَلْزُبُ لَزْبًا» أي: لَصِقَ، فهو لَازِبٌ.

أَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ كِبَرَاءَ مُشْرِكِي مَكَّةَ، وَعَتَاتِهِمْ إِيَّانَ تَنْزِيلِ السُّورَةِ، كَانُوا يَعْتَرِضُونَ بِقُوَّتِهِمُ الْغَالِبَةِ وَيَقْفُونَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ، وَمِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ مَوْقِفَ الْمُعْتَرِضِ بِقُوَّتِهِ الْقَادِرِ عَلَى الْبُطْشِ وَالتَّنْكِيلِ، وَهَذَا مَا جَعَلَهُمْ يَتَسَلَّطُونَ عَلَى ضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَعَلَ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ يَهَاجِرُونَ مِنْ مَكَّةَ طَلَبًا لِسَلَامَةِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ عُدُوَانِ طُغَاةِ الْكُفَرَةِ، وَمُضَاقِيَاتِهِمْ لَهُمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ.

فَعَلَّمَ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنْ يَسْأَلَ هَؤُلَاءِ الْأَكَابِرِ الْمُجْرِمِينَ، الْمُعْتَرِضِينَ بِقُوَّتِهِمْ، وَبِقُوَّةِ جُنُودِهِمْ وَأَنْصَارِهِمْ، وَالْمُتَحَدِّينَ بِأَجْسَادِهِمُ الْمَتِينَةِ، فيقول لَهُمْ: أَلَنْتُمْ أَشَدَّ خَلْقًا مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، الَّتِي عَادَتْ رُسُلَ رَبِّهَا، وَبَغَتْ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ وَاتَّبَعُوهُمْ فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ. أَلَمْ يُهْلِكِ اللَّهُ عَادًا وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ خَلْقًا وَقُوَّةً؟ أَلَمْ يُهْلِكِ اللَّهُ ثَمُودًا؟ أَلَمْ يُهْلِكِ اللَّهُ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ وَجُنُودَهُ؟.

إِنْ كُنْتُمْ أَهْلَ عَقْلِ فَاحْذَرُوا نِقْمَةَ اللَّهِ مِنْكُمْ، وَتَدَارَكُوا أَمْرَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبُ رَبِّكُمْ. وَأَيْضًا أَلَنْتُمْ أَشَدَّ خَلْقًا أَمْ مِنْ خَلْقْنَا مِنْ مَلَائِكَةِ ذَوِي قُوَى تَقْلِبُ الْبِلَادَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا.

انْظُرُوا إِلَى أَصْلِ إِنْشَاءِ اللَّهِ لَكُمْ، إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّكُمْ قَدْ خَلَقَ أَبَاكُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ، وَهِيَ إِحْدَى مَرَاحِلِ خَلْقِ اللَّهِ لَادَمَ، وَأَنْتُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، فَأَنْتُمْ مِنْ سُلَالَةِ مَخْلُوقٍ مِنْ طِينٍ، مَاءٍ مُمْتَرِجٍ بِثَرَابٍ، وَكَمَا خَلَقَكُمْ فِي الْخَلْقِ الْأَوَّلِ هُوَ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِكُمْ وَبَعْثِكُمْ إِلَى الْحَيَاةِ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ، لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ، وَقَادِرٌ عَلَى إِهْلَاكِكُمْ كَمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ مُجْرِمِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، فَلَسْتُمْ أَكْرَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْهُمْ، إِذْ كُلُّكُمْ خُلِقَ مِنْ خَلْقِهِ، وَعَبِيدٌ مِنْ عِبِيدِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْمَعَاجِينَ أَنْفُسَهُمْ:

• ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ ﴿١٢﴾ وفي القراءة الأخرى: [بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ] بقاء المتكلم وهو الله عَزَّ وَجَلَّ.

«بَلْ» للإضراب الانتقالي مِنْ بَيَانٍ إِلَى بَيَانٍ آخَرَ.

أي: أَنَا وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ عَجِبْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الْجَبَابِرَةِ الْعَتَاةِ الْكَفَرَةِ، إِذْ يُعَانِدُونَ الْحَقَّ الْجَلِيَّ الَّذِي أَدْرَكُوهُ وَفَهِمُوهُ، وَيُعَرِّضُونَ أَنْفُسَهُمْ لِعَذَابٍ شَدِيدٍ مَعَ إِهْلَاكِ مُهَيَّنٍ مُخْزٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابٍ شَدِيدٍ خَالِدٍ فِي دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ أَهْلُ فَطَانَةٍ وَذُكَاةٍ، وَلَكِنَّهُمْ يَسْتَجِيبُونَ لِأَهْوَائِهِمْ وَعَوَامِلِ كِبَرِهِمْ فِي نُفُوسِهِمْ، وَالتَّزَامِهِمْ بِتَقَالِيدِهِمُ الَّتِي يُحَقِّقُونَ بِهَا مَصَالِحَ لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ.

وَهُمْ يَسْخَرُونَ مِنَ الْإِنذَارَاتِ الَّتِي تُوجَّهُ لَهُمْ الْعَاجِلَةَ وَالْآجِلَةَ ظَانِينَ ظَنًّا تَوْهُمِيًّا أَنَّهَا لَنْ تَتَحَقَّقَ.

أَنَا وَأَنْتَ فِي مَوْقِفِ الْمُتَعَجَّبِ مِنْ أَمْرِهِمْ، الْمَرْفُوضِ فِي مَقَاسِ الْعُقُولِ الْمُؤْهَبَةِ لَهُمْ. وَهُمْ فِي مَوْقِفِ السَّاخِرِ مِنَ الْوَعِيدِ الَّذِي وَجَّهَ لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ، عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ الَّذِي اسْتَيْقَنُوا صِدْقَهُ، وَجَحَدُوا آيَاتِ اللَّهِ خَالِقِهِمُ الَّتِي بَلَّغَهُمْ إِلَيْهَا.

التَّعَجُّبُ الَّذِي وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ نَفْسَهُ هُوَ صِفَةُ نَفْسِيَّةٍ تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ، أَوْ هُوَ عَلَى مَعْنَى الْاسْتِنْكَارِ وَالتَّلْوِيمِ وَالتَّشْرِيبِ، لِأَنَّ مَوْقِفَهُمْ مَوْقِفٌ مَذْمُومٌ مُسْتَنْكَرٌ، وَاضِحُ الْإِنْجَرافِ عَنْ مَسَالِكِ ذَوِي الْعَقْلِ السَّلِيمِ، وَالْفَهْمِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَتَعَجَّبُ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ أَمْرِهِمْ، فِيهِ مَعْنَى اسْتِنْكَارِ مَوْقِفِهِمُ الَّذِي يُسْتَغْرَبُ حُصُولُهُ مِنْ أَهْلِ فِطْنَةٍ وَذَكَاءٍ، يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَهْلَ عَقْلِ وَرُشْدٍ، وَقَادَةَ لَجْمَاهِيرٍ كَثِيرَةٍ مِنْ قَوْمِهِمْ.

هذه الآية تكشف موقفين متقابلين بين الله والرسول من جهة وبين أئمة الشرك والكفر في مكة من جهة أخرى، إبان تنزيل سورة (الصافات).

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْمُعَالَجِينَ أَنْفُسَهُمْ أَيْضاً.

● ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾﴾:

أي: وإذا ذُكِّرُوا بِمَا سَبَقَ أَنْ أُبْلَغُوهُ وَبَيَّنَّ وَشَرَحَ لَهُمْ مِنْ حَقَائِقِ دِينِ اللَّهِ لَهُمْ، وَأَحْكَامِ شَرِيعَتِهِ الْحَكِيمَةِ الرَّشِيدَةِ، مُقْتَرِنًا كُلَّ ذَلِكَ بِالْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ وَالْحُجَجِ السَّاطِعَةِ، لَا يَذْكُرُونَ ذِكْرًا ذَا أَثَرٍ يُغَيِّرُونَ بِهِ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ تَمَسُّكِ بِالْبَاطِلِ عَقِيدَةً وَإِيمَانًا، فَيُؤْمِنُونَ بِأَرْكَانِ الْعَقِيدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ الْحَقِّ، وَيُغَيِّرُونَ بِهِ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ سُلُوكِ آثِمٍ ظَالِمٍ، وَمُعَادَاةٍ لِلْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْفَضَائِلِ، وَلِأَهْلِهَا حَمَلَةٍ رِسَالَةِ الدَّعْوَةِ إِلَيْهَا، فَيَتَّبِعُونَ صِرَاطَ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي أَبَانَتْهُ آيَاتُ كِتَابِ اللَّهِ الْحَكِيمِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْمُعَالَجِينَ أَنْفُسَهُمْ أَيْضاً:

● ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾:

﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾: أي: يَسْخَرُونَ بِشِدَّةٍ، مُظْهِرِينَ سُخْرِيَّتَهُمُ الْعَنِيْفَةَ أَمَامَ جَمَاهِيرِهِمْ، لِصِدْقِهِمْ عَنِ التَّأَثُّرِ بِسُلْطَانِ الْآيَةِ الْخَارِقَةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا وَفِي هَذِهِ الصِّيْغَةِ مَعْنَى اسْتِدْعَاءِ جَمَاهِيرِهِمْ أَنْ يَسْخَرُوا تَقْلِيدًا لَهُمْ.

أي: وإذا رَأَوْا آيَةً مِنَ الْآيَاتِ الْخَارِقَاتِ الدَّالَّاتِ عَلَى أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا، اسْتَدَّوْا فِي إِظْهَارِ سُخْرِيَّتِهِمْ مِنْهَا، لِصِدْقِ جَمَاهِيرِهِمْ عَنِ التَّأَثُّرِ بِسُلْطَانِهَا، وَوَضَعَ غِشَاوَةً مِنَ السُّخْرِيَّةِ الشَّدِيدَةِ عَلَى عُقُولِهِمْ،

وَيُكْرَرُونَ هَذِهِ السُّحْرِيَّةَ الشَّدِيدَةَ، أَخْذًا مِنْ دَلَالَةِ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ: ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ الدَّالُّ عَلَى التَّكَرُّارِ وَالتَّجَدُّدِ.

وَإِذَا انْتَهَى وَقْتُ جَرَيَانِ الْآيَةِ الْخَارِقَةِ، وَعَادَتِ الْأُمُورُ إِلَى طَبِيعَتِهَا، قَالُوا: إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ ظَاهِرٌ مُبِينٌ مِنْ أَعْمَالِ السَّحَرَةِ، فَمُحَمَّدٌ سَاحِرٌ مِنَ السَّحَرَةِ، وَلَيْسَ رَسُولًا.

دَلَّنِي عَلَى هَذَا الَّذِي فَهِمْتُهُ مِنَ النَّصِّ، اسْتِعْمَالُ الْفِعْلِ الْمَاضِي فِي: ﴿وَقَالُوا﴾ بَعْدَ اسْتِعْمَالِ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ فِي ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْمُعَالَجِينَ أَنْفُسِهِمْ أَيْضًا وَإِنْكَارِهِمْ لِلْبَعْثِ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ، حِكَايَةٌ لِقَوْلِهِمْ:

• ﴿إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظْمًا إِذَا لَمُبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾:

دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ فِي سُورَةِ (الصَّافَّاتِ) عَلَى أَنَّهُمْ مَا زَالُوا إِبَّانَ نَزْوِلِهَا يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ وَيَوْمَ الدِّينِ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَأْتُوا بِدَلِيلٍ وَلَا بِشُبْهَةٍ دَلِيلٍ، غَيْرِ مُجَرَّدِ الِاسْتِعْرَابِ وَالِاسْتِبْعَادِ بِأَسْلُوبِ الِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ، الَّذِي سَبَقَ أَنْ تَعَلَّلُوا بِهِ مِنْذُ بَدْءِ تَلْقِيهِمْ لِنَبَأِ الْبَعْثِ، وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ اسْتِعْرَابِ أَمْرٍ مَا أَنْ يَكُونَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ بَاطِلٌ، فَكَمْ يَسْتَعْرِبُ النَّاسُ أَشْيَاءَ أَوْ أَحْدَاثًا وَهِيَ مِنَ الْحَقَائِقِ الثَّابِتَةِ بَيِّنِينَ.

وَقَدْ سَبَقَ أَنْ قَدَّمَ اللَّهُ لَهُمُ الدَّلِيلَ الْبُرْهَانِيَّ الدَّافِعَ لِاسْتِبْعَادِهِمْ وَاسْتِعْرَابِهِمْ، فَلَمْ يَقْبَلُوهُ وَأَصْرُوا عَلَى إِنْكَارِهِمْ وَمَوْقِفِهِمُ الَّذِي لَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهِ، فَكَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾: أَي: نَعَمْ سَتُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ، وَأَنْتُمْ أَذِلَّاءُ، صَاغِرُونَ، خَاضِعُونَ.

الداخر: هُوَ فِي اللَّغَةِ الدَّلِيلُ، الصَّاعِرُ، الْخَاضِعُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَعْرِضُ مَشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ بَعْثِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مُقْتَطَعًا مِنَ الْأَحْدَاثِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ، وَمُقَدِّمًا بِصُورَةٍ كَلَامِيَّةٍ بَدِيعَةٍ مُرْهَبَةٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ، تَحْكِي قِصَّةَ مَا سَوْفَ يَجْرِي، كَأَنَّهُ يَجْرِي الْآنَ.

• ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (١٩) وَقَالُوا يَوْمَ هَذَا بُلْغَةٌ لِّمَا كُنَّا فِي الشَّكِّ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَهْلَكُونَ ۖ إِنَّهُمْ أَكْثَرُ ضَلَالٍ ۖ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّبِينٍ ۚ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ وَأَرْوَجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٣﴾ مَن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٤﴾ وَكَفُّوا عَنْهُمْ وَقِيلُوا لَنَنْصَرُنَّ لَكُمْ لَآ نَنْصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ أَیُّوْمٌ مُّسْتَسْمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ نَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَّمْ تَكُونُوا مَوْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِيْنَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰبِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَجْنَاكُم إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ :

• ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (١٩) :

أي: فَإِنَّمَا قِصَّةُ بَعْثِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَيِّحَةٌ وَاحِدَةٌ يُحَدِّثُهَا النَّفْخُ فِي الصُّورِ، الَّذِي يَنْفُخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والمراد بالزَّجَرِ هُنَا الإِثَارَةُ الصَّوتِيَّةُ الَّتِي يُحْدِثُهَا النَّفْخُ فِي الصُّورِ يَوْمَ  
الْبَعْثِ إِلَى الْحَيَاةِ.

يُقَالُ لُغَةً: «زَجَرَ الشَّيْءُ، يَزْجُرُهُ، زَجْرًا» أَي: أَثَارَهُ.

وَالزَّجْرَةُ: هِيَ الْمَرْءُ مِنَ الزَّجَرِ، وَوُصِفَتْ بِأَنَّهَا وَاحِدَةٌ لِدَفْعِ تَوَهُمِ تَكَرَّارِهَا، وَلِتَوْكِيدِ عَدَمِ الْحَاجَةِ لَدَى بَعْثِ الْمَوْتَى إِلَى أَكْثَرِ مِنْ صِيْحَةٍ وَاحِدَةٍ فِيهَا شِدَّةُ إِثَارَةٍ.

لفظ ﴿هِيَ﴾: ضَمِيرُ الْقِصَّةِ، أَوْ يَقَالُ ضَمِيرُ الشَّانِ، وَهُوَ لَا يَعُودُ عَلَى شَيْءٍ سَابِقٍ لَهُ. إِنَّمَا تَفْسَرُهُ الْجُمْلَةُ الَّتِي تَأْتِي بَعْدَهُ.

● ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾: أي: فَيَفْجَأُ الْمَوْتَى بِأَنَّهُمْ أَحْيَاءُ بِأَجْسَادِ ذَاتِ حَيَاةٍ، يَنْظُرُونَ بِأَعْيُنِهِمْ أَحْدَاثَ يَوْمِ الدِّينِ.

قول الله تعالى:

• ﴿وَقَالُوا يَوَلَّيْنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿٢٠﴾:

أي: وإذا شاهدوا بأعينهم أحدات يوم الدين، التي أنبأهم بها رسل ربهم في الحياة الدنيا، قالوا: يا ويلنا هذا يوم الدين.

﴿يَوَلَّيْنَا﴾: عبارة يندب بها قائلوها نفوسهم، تحسراً، وتوجعاً، وتفجعاً، خوفاً من المصير الوخيم الذي هم إليه صائرُونَ، ومن العذاب الأليم الذي يترقبُونَ، بما جنوا على نفوسهم في الحياة الدنيا، إذ كانوا بالبعث ويوم الدين يكذبُونَ، وبالحق الرباني يجحدُونَ، وللجرائم الكبرى يرتكبُونَ، وبربهم يكفرون، إذ برؤوبيته وإلهيته يشركُونَ، أو يجحدُونَ.

عندئذ يقال لهم ما جاء في الآية التالية، أو يقول بعضهم لبعض:

• ﴿هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكْذِبُونَ﴾ ﴿٢١﴾:

﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾: أي: يوم فصل قضاء الله بين عباده الذين كانوا في الحياة الدنيا موضوعين موضع الامتحان، تمهيداً لتنفيذ ما يقضي الله بشأنهم من جزاء.

وهذا اليوم الذي أنتم الآن فيه هو اليوم الذي كنتم به في حياة الامتحان تكذبُونَ، ما جاءكم بشأنه من أنباء عن ربكم، بلغكم إياها رسله الصادقون المؤيدون من لدنه بالآيات الباهرات، والخوارق المعجزات.

وبينما يكونون في موقفهم خائفين أذلاء صاغرين، لا يجدون مهرباً مما هم فيه، يصدر الأمر الرباني للملائكة المكلفين جمعهم وسوفهم، إذ يقول الله لهم:

• ﴿اخْشُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ من دون الله فاهدوهم

إلى صراط الجحيم ﴿٢٣﴾ وقفوه لهم إنيهم مسئولون ﴿٢٤﴾:

**الحَشَر:** الْجَمْعُ وَالسَّوْقُ إِلَى الْجِهَةِ الَّتِي يُرَادُ السَّوْقُ إِلَيْهَا، وَإِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يُرَادُ إِيقَافُهُمْ فِيهِ.

أي: اْجْمَعُوا وَسُوقُوا يَا مَلَائِكَتِي الْمَكْلَفِينَ، الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَأَزْوَاجَهُمُ اللَّوَاتِي كُنَّ ظَالِمَاتٍ مِثْلَهُمْ، وَاجْمَعُوا وَسُوقُوا أَشْبَاهَهُمْ وَنُظَرَاءَهُمْ فِي دَرَكَةِ الظُّلْمِ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَاجْمَعُوا وَسُوقُوا مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ مَعْبُودَاتٍ تَعْلَمُ أَوْ لَا تَعْلَمُ، وَدُلُّوهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاسِعِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْلُكُوهُ وَلَوْ قَهْرًا وَإِكْرَاهًا، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمَوْصِلُ إِلَى أَبْوَابِ الْجَحِيمِ، وَقِفُوهُمْ قَرِيبًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَحِيمِ، إِنَّهُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَبُّوا فِيهَا مِنَ الْبَابِ الْخَاصِّ بِهِمْ بِحَسَبِ جَرَائِمِهِمْ مَسْئُولُونَ.

يَأْتِي «هَذَا» فِي اللَّغَةِ بِمَعْنَى: «ذَلِكَ» وَالذَّلَالَةُ تَكُونُ إِلَى بُسْتَانِ الرَّفَاهِيَةِ، وَتَكُونُ إِلَى سِجْنِ الْعَذَابِ.

**الصِّرَاطُ:** الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الْوَاسِعُ.

**الْجَحِيمُ:** اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ، وَكُلُّ نَارٍ عَظِيمَةٍ فِي مَهْوَاةٍ هِيَ جَحِيمٌ.

فَإِذَا وَصَلُوا إِلَى مَوْقِفِ سُؤَالِهِمْ قَبْلَ كِبْكَبَتِهِمْ إِلَى الْجَحِيمِ، سَأَلَهُمْ رَبُّهُمْ عَنْ جَرَائِمِهِمُ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ، وَحَاسَبَهُمْ عَلَيْهَا، وَقَضَى عَلَيْهِمْ بِالْخُلُودِ فِي عَذَابِ الْحَرِيقِ، وَسَأَلَهُمْ سُؤَالَ تَعْجِيزٍ وَإِهَانَةٍ وَإِذْلَالٍ، فَأَيُّهَا لَهُمْ:

• ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ (٢٥): أي: أَيْنَ قُدْرَاتُكُمْ التَّنَاصُرِيَّةُ الَّتِي كُنْتُمْ تَسْتَخْدِمُونَهَا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ، فَتَقْفُونَ مُتَعَاوِنِينَ مُتَنَاصِرِينَ، ضِدَّ رُسُلِ رَبِّكُمْ، وَضِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ وَاتَّبَعُوهُمْ، إِذْ كُنَّا قَدْ مَنَحْنَاكُمْ حُرِّيَّةَ الْاِخْتِيَارِ، وَمَكَّنَّاكُمْ مِنْ اتِّخَاذِ الْوَسَائِلِ لِتَنْفِيزِ مَا تَخْتَارُونَ؟؟



إِنَّكُمْ الْيَوْمَ عَاجِزُونَ، لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ عَذَاباً مَّا، وَلَا أَنْ تَحَقِّقُوا لِأَنْفُسِكُمْ مَطْلُوباً مَّا، إِنَّكُمْ الْيَوْمَ تَحْتَ سُلْطَانِ الْقَهْرِ وَالْجَبْرِ، وَلَيْسَ لَكُمْ حُرِّيَّةٌ اخْتِيَارٍ لِّشَيْءٍ مَّا.

إِنَّ وَاقِعَ حَالِهِمْ مُطَابِقٌ لِمَا أَبَاتَهُ الْآيَةُ التَّالِيَةُ:

• ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ (٢٦):

أي: هُمْ لَا يُفَكِّرُونَ فِي التَّنَاصُرِ، لِعِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ عَاجِزُونَ، بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ اسْتِسْلَاماً تَاماً، شُعوراً مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ مَسْلُوبُوا كُلَّ قُوَّةٍ يُحَقِّقُونَ بِهَا مَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ عَذَاباً، أَوْ يَجْلُبُ لَهُمْ نَفْعاً.

حرف ﴿بَلْ﴾ هُنَا يَعْطِفُ عَلَى مَحْذُوفٍ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ فِي الْفَهْمِ التَّدْبِيرِيِّ الَّذِي سَبَقَ.

بَعْدَئِذٍ يُقَدِّمُ النَّصَّ صُورَةَ حِوَارٍ بَيْنَ الْأَتْبَاعِ الضَّالِّينَ، وَالْقَادَةِ الْمُضِلِّينَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

• ﴿وَأَفْكَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ﴾ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰبِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَيْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَوِينَ ﴿٣٢﴾:

حِوَارٌ تَنَازَعِيٌّ بَيْنَ الضَّالِّينَ مِنْ أَهْلِ الشَّمَالِ، بَعْدَ الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ، وَبَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا أُتِمَّتْهُمْ، وَقَادَتْهُمْ، وَمُعْوِيَهُمْ، وَالسَّاعِينَ فِي إِغْرَائِهِمْ حَتَّى يَكُونُوا جُنُودَ ضَلَالٍ وَعَوَايَةِ لَهُمْ.

• ﴿وَأَفْكَلَ بَعْضُهُمْ﴾ وَهُمْ الْأَتْبَاعُ فِي الدُّنْيَا ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾ وَهُمْ الْأُئِمَّةُ وَالْقَادَةُ الَّذِينَ كَانُوا يُعْوَوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴿يَسَاءَلُونَ﴾ أي: يَتَحَاوَرُونَ تَحَاوَرًا تَنَازَعِيًّا مُفْتَاَحُهُ السُّؤَالُ يُوجِّهُهُ مِنْ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ الْمُتَحَاوِرِينَ لِلْآخَرِ، فَيَجِيبُ الْفَرِيقُ الْآخَرُ، وَقَدْ يَتَّبِعُ إِجَابَتَهُ بِسُّؤَالٍ يُوجِّهُهُ لِلْفَرِيقِ الْأَوَّلِ، فَأُطْلِقَ عَلَى التَّحَاوُرِ التَّنَازَعِيِّ: «التَّسَاوُلُ».

الفريق الأول (الأتباع) لِلَّذِينَ كَانُوا قَادَتَهُمْ وَأَيَّمَتَهُمْ فِي الدُّنْيَا:

أَلَسْتُمْ الَّذِينَ أَضَلَلْتُمُونَا، فَجَعَلْتُمُونَا نُكْذِبُ رُسُلَ رَبِّنَا، وَنَكْفُرُ بِالْحَقِّ، وَلَا نُؤْمِنُ بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهِ؟ أَلَا تَحْمِلُونَ عَنَّا قِسْطًا مِنْ عَذَابِ رَبِّنَا؟.

الفريق الثاني (الأئمة المتبوعون): قَالُوا: نَحْنُ لَمْ نُضِلَّكُمْ، وَلَا نَحْمِلُ عَنْكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئًا، حَسْبُنَا مَا نَحْنُ فِيهِ.

الفريق الأول (الأتباع): ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ أي: إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا صَادِقِينَ إِيَّانَا عَنِ الْإِيمَانِ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَجْعَلَنَا الْيَوْمَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، لَا مِنْ أَصْحَابِ الشَّمَالِ.

ضَمَّنَ الْفِعْلَ فِي: ﴿تَأْتُونَنَا﴾ مَعْنَى الْفِعْلِ فِي «تَصُدُّونَنَا» فَعُدِّي تَعْدِيَّتُهُ بِحَرْفِ الْجَرِّ «عَنْ». وَطُويَ فِي الثَّانِي بَيْنَ «عَنْ» وَ«الْيَمِينِ» مَا يَقْتَضِيهِ الْحَوَارُ النَّازِعِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَي: تَصُدُّونَنَا عَنِ الْإِيمَانِ الَّذِي يَجْعَلُنَا الْيَوْمَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ.

الفريق الثاني (الأئمة المتبوعون): ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٩): أَي: لَسْنَا الَّذِينَ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، بَلِ الْوَاقِعُ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ حِينَما اسْتَنْصَرْنَا بِكُمْ، وَلَمْ تَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِأَنْ تُؤْمِنُوا.

لفظ ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ بِمَنْزِلَةِ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ هُنَا يَدُلُّ عَلَى الْحَالِ وَالاسْتِقْبَالِ.

الفريق الأول (الأتباع): أَمَا تَذْكُرُونَ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَحَاوِلُونَ إِفْئَاعَنَا بِأَنْ الرُّسُولَ كَاهِنٌ، أَوْ شَاعِرٌ، أَوْ مَجْنُونٌ، وَبِأَنْ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ نَبَأِ الْبُعْثِ كَذِبٌ افْتَرَاهُ، وَبِأَنْ آيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَبِأَنْ الْآيَاتِ الْخَارِقَاتِ الْمُعْجَزَاتِ اللَّاتِي أَجْرَاهَا اللَّهُ لَهُ سِحْرٌ مُبِينٌ؟

الفريق الثاني (الأئمة المتبوعون): بَلَى كُنَّا نَقُولُ لَكُمْ هَذَا، [وَأَلَيْسَ] ﴿مَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: مِنْ قُوَّةٍ قَاهِرَةٍ تُجْبِرُكُمْ عَلَى قَبُولِ أَقْوَالِنَا وَاتِّبَاعِنَا ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ أي: بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِدِينَ مُفْسِدِينَ، ظَالِمِينَ جَائِرِينَ مُعْتَدِينَ، مُجْتَمِعِينَ عَلَى إِثْمٍ وَشَرٍّ، فَأَعْجَبَتْكُمْ مَسَالِكُنَا الْكُفْرِيَّةُ الْإِجْرَامِيَّةُ فَاتَّبَعْتُمُونَا، لِأَنَّكُمْ وَجَدْتُمُونَا صَالِحِينَ لِقِيَادَتِكُمْ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ إِثْمٍ وَشَرٍّ.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾ جَمِيعًا نَحْنُ وَأَنْتُمْ ﴿قَوْلَ رَبِّنَا﴾ الَّذِي أَصْدَرَ بِهِ الْحُكْمَ بِعَذَابِنَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَبِمُقْتَضَى حُكْمِهِ الْعَادِلِ عَلَيْنَا جَمِيعًا: ﴿إِنَّا لَدَٰقِقُونَ﴾ عَذَابَ الْحَرِيقِ خَالِدِينَ فِيهِ أَبَدًا، كَمَا أَنْبَأْنَا فِي الدُّنْيَا رُسُلَ رَبِّنَا، وَكَمَا أَنْبَأْتَنَا بِهِ آيَاتُ كِتَابِهِ.

عِبَارَةٌ: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾ وَأَشْبَاهُهَا فِي الْقُرْآنِ، هِيَ بِمَعْنَى: ثَبَتَ وَتَحَقَّقَ نَازِلًا عَلَيْنَا مَضْمُونُ قَوْلِ رَبِّنَا مَهْمَا يَكُنْ هَذَا الْمَضْمُونُ.

وَلَا نَقُولُ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَّا لَكُمْ إِعْوَاءٌ بِالتَّزْيِينِ وَالتَّحْسِينِ وَمُحَاوَلَاتِ إِفْتَاعِكُمْ بِالْبَاطِلِ، لِاسْتِتْبَاعِكُمْ وَالِاسْتِنْصَارِ بِكُمْ، بَلْ كَانَ مِنَّا كُلُّ ذَلِكَ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَنَا عَلَيْكُمْ سُلْطَانٌ ﴿فَأَعْوَيْنَاكُمْ﴾ بِالتَّزْيِينِ وَالتَّحْسِينِ وَالِإِطْمَاعِ بِالْبَاطِلِ، لَتَنْضَمُّوا إِلَيْنَا ﴿إِنَّا كُنَّا غُلَّوِينَ﴾ فَأَنْتُمْ تَتَحَمَّلُونَ جَرِيمَةَ غَوَايَتِكُمْ، وَنَحْنُ نَتَحَمَّلُ جَرِيمَةَ غَوَايَتِنَا، وَكُلٌّ مِنَّا يَتَحَمَّلُ مِنَ الْجُرْمِ عَلَى مِقْدَارِ مَا اكْتَسَبَ فِي حَيَاةِ الْامْتِحَانِ مِنْهُ.

الإِعْوَاءُ: تَزْيِينٌ وَتَحْسِينٌ الضَّلَالِ، وَالْبُعْدُ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ، وَالانْغِمَاسُ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْأَهْوَاءِ الْفَاسِدَةِ الْمُفْسِدَةِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْإِعْوَاءِ الْإِجْبَارُ وَالْإِكْرَاهُ وَالْقَهْرُ، بَلِ الْغَاوِي يَسْلُكُ مَسَالِكَ الْغَوَايَةِ بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ.

■ وَيُعَلِّقُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْحَوَارِ بَيْنَ الْآتِبَاعِ وَالْمَتَبُوعِينَ مِنْ أَهْلِ دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

• ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (٣٣) ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهِنَا لِشَاعِرٍ يَجْنُونِ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تَجْرُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ :

■ قَوْلُهُ تَعَالَى:

• ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (٣٣) : أي: فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ يَجْرِي الحوارُ الَّذِي سَبَقَ بَيَانُهُ بَيْنَهُمْ، وَهُوَ يَوْمَ الدِّينِ، وَسَوْفَ يَكُونُونَ مُشْتَرِكِينَ فِي الْعَذَابِ، وَلَا يَفْتَضِي الاشتِرَاكُ فِي الْعَذَابِ تَسَاوِيَ الْأَفْرَادِ الْمُعَذَّيِّينَ فِي نِسْبَةِ الْعَذَابِ الَّذِي يَذُوقُونَهُ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ يَذُوقُ مِنَ الْعَذَابِ عَلَى مِقْدَارِ جَرَائِمِهِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا فِي حَيَاةِ الْامْتِحَانِ بِالْعَدْلِ، مَعَ احْتِمَالِ عَفْوٍ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْجَرَائِمِ بِالْفَضْلِ الرَّبَّانِيِّ.

■ قَوْلُهُ تَعَالَى:

• ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٤) : أي: لَا يَخْتَصُّ هَذَا الْإِجْرَاءُ الْجَزَائِيَّ بِالْمُجْرِمِينَ مُكَذِّبِي رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ، بَلْ نَفْعَلُ نَظِيرَهُ بِسَائِرِ الْمُجْرِمِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

جاءت في هذه الجملة الإشارةُ إلى الْعَذَابِ الَّذِي يَشْتَرِكُ فِيهِ الْمُتَحَاوِرُونَ أَتْبَاعاً وَمَتَّبِعِينَ، بِاسْمِ الْإِشَارَةِ «ذَلِكَ» الَّذِي يُشَارُ بِهِ إِلَى الْبَعِيدِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى بُعْدِ دَرَكِهِ فِي جَهَنَّمَ دَارِ عَذَابِ الْمُجْرِمِينَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّنًا بَعْضَ جَرَائِمِهِمْ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، الَّتِي اقْتَضَتْ تَعَذِّيهِمْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ فِي حَيَاةِ الْجَزَاءِ:

• ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهِنَا لِشَاعِرٍ يَجْنُونِ ﴿٣٦﴾ :

أي: إِنَّهُمْ كَانُوا فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، وَهِيَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، إِذَا قِيلَ لَهُمْ: تَعَالَوْا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، لَا تُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا، يَسْتَكْبِرُونَ، فَلَا يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، لِئَلَّا يَكُونُوا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ أَتْبَاعَ رَسُولِ رَبِّهِمْ. وَكَانُوا يَقُولُونَ مُسْتَكْبِرِينَ وَشَاتِمِينَ رَسُولَ رَبِّهِمْ: ﴿أَيْنَا لَتَارِكُوا إِلَهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾.

الاستفهام هُنَا اسْتِفْهَامُ اسْتِكْبَارِيٍّ إِنْكَارِيٍّ، وَالتَّوَكِيدُ بِاللَّامِ فِي ﴿لَتَارِكُوا﴾ تَوْكِيدٌ لِلنَّفْيِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْاسْتِفْهَامُ، أَي: إِنَّا نُوَكِّدُ أَنَّنَا لَا نَتْرُكُ عِبَادَةَ إِلَهَتِنَا الَّتِي وَرَثْنَا عِبَادَتَهَا عَنْ آبَائِنَا اسْتِجَابَةً لِدَعْوَةِ شَاعِرٍ مَجْنُونٍ يَدَّعِي أَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

فَجَعَلُوا الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الشُّعْرِ، وَشَتَمُوا الرَّسُولَ بِأَنَّهُ مَجْنُونٌ.

■ فَرَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ:

● ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٧): أَي: لَيْسَ مُحَمَّدٌ كَمَا قُلْتُمْ كَاذِبِينَ وَشَاتِمِينَ: هُوَ شَاعِرٌ مَجْنُونٌ، بَلْ هُوَ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، جَاءَكُمْ وَجَاءَ النَّاسَ جَمِيعًا بِالْحَقِّ مِنْ لَدُنَّا، وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ السَّابِقِينَ فِيمَا جَاءُوا بِهِ عَنَّا، لَا فِيمَا افْتَرَاهُ الْمُتَمَتِّعُونَ إِلَيْهِمْ مُحَرِّفِينَ وَمُعَيِّرِينَ وَمُتْلَاعِبِينَ بِلَدِينِ رَبِّهِمْ.

وَبَعْدَ أَنْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ خَاطِبُهُمْ بِقَوْلِهِ:

● ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾:

أَي: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْمَكْذُوبِ الْمُجْرِمُونَ لَذَائِقُونَ فِي جَهَنَّمَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ حَرِيقًا فِي النَّارِ، وَهَذَا أَشَدُّ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ الْمَادِيِّ.

وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا جَزَاءَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، فَيَذُوقُ كُلُّ مُعَذَّبٍ مِنْكُمْ جَزَاءَ عَمَلِهِ، وَلَا يَذُوقُ مِنْ عَذَابٍ عَمَلٍ غَيْرِهِ شَيْئًا مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ كَسْبٌ آثِمٌ فِي عَمَلٍ غَيْرِهِ، فَيَنَالُ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَى مِقْدَارِ كَسْبِهِ.

أُطْلِقَ الذَّوْقُ عَلَى الْإِحْسَاسِ بِالْعَذَابِ، لَأَنَّ حَاسَةَ الذَّوْقِ أَكْثَرُ  
الْحَوَاسِّ إِحْسَاساً بِالْأَنْوَاعِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي تُلَامِسُهَا، أَوْ تَدْخُلُ تَحْتَ  
سَطْحِهَا.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ مِنَ الدَّرْسِ الثَّانِي مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ  
(الصَّافَاتِ). وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



## الفصل الثاني

### من الدرس الثاني من دروس سورة (الصافات) الآيات من (٤٠ - ٦١)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَكَهَهُمْ مَكْرُمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ فَاكِهَةٍ مِمَّنْ مَعِينٍ (٤٥) بَيَضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ (٤٧) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُضْطَّغِبِينَ (٥٢) إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظْمًا إِذَا لِمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُمْ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتَرَذِلْنَ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلَيْنَ (٥٨) إِلَّا مَا كُنَّا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبَيْنَ (٥٩) إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ \*

القراءات:

(٤٠) • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب:

[الْمُخْلَصِينَ] بكسر اللام، اسم فاعل من فعل: «أَخْلَصَ».

وقرأها باقي القراء العشرة: [المُخْلِصِينَ] بفتح اللام، اسم مفعول.

وَبَيْنَ الْقَرَاءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي أَدَاءِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ، أَي: أَخْلَصُوا لِلَّهِ إِيْمَانَهُمْ وَإِسْلَامَهُمْ وَعِبَادَاتِهِمْ، فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْمُخْلِصِينَ عِنْدَهُ.

(٤٧) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [يُنْزِفُونَ] من فعل: «أَنْزَفَ» بمعنى: سَكِرَ، أو ذَهَبَ عَقْلُهُ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [يُنْزِفُونَ] من فعل: «أَنْزَفَهُ» بمعنى: أَسْكِرَهُ، أو أَذْهَبَ عَقْلَهُ.

فمؤدَّى القراءتين واحد.

(٥٣) • قرأ ابن عامر، وأبو جعفر: [إِذَا... أَئِنَّا].

وقرأها نافع، والكسائي، ويعقوب: [أَئِنَّا... إِنَّا].

وقرأها باقي القراء العشرة: [أَئِنَّا... أَئِنَّا].

ومؤدَّى هذه القراءات واحد.

(٥٣) • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب: [مُتَنَّا] بِضَمِّ الْمِيمِ.

وقرأها باقي القراء العشرة [مُتَنَّا] بِكَسْرِ الْمِيمِ.

والقراءتان لُعْنَانِ عَرَبِيَّتَانِ فَصِيحَتَانِ، والقياس الضم.

(٥٦) • قرأ ورش في الوصل فقط، ويعقوب في الوصل والوقف: [لَتُرْدِينِي] بِإِثْبَاتِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

وقرأ باقي القراء العشرة: [لَتُرْدِينِ] بِحَذْفِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

وحذف ياء المتكلم مع ملاحظتها ذهناً مألوف في اللسان العربي.

## تمهيد :

إذ جاء في الفصل الأول من هذا الدرس الثاني، عرض لقطات من مشاهد يوم الدين المتعلقة بالكفرة المجرمين، كان من الحكمة التربوية الملتزمة في القرآن، عرض لقطات من مشاهد يوم الدين المتعلقة بالمؤمنين المسلمين المتقين، فجاء في هذا الفصل الثاني عرض هذه اللقطات، وبينها وبين اللقطات الموزعات في القرآن تكامل، يكشفه حسن التدبر في دراسات متأنيات شاملات.

## التدبر التحليلي :

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

• ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ وفي القراءة الأخرى [المخلصين] بكسر اللام، أي: أخلصوا لله إيمانهم وإسلامهم وعباداتهم، فجعلهم الله من المخلصين عنده، ومن أهل ولايته الذين يتولاهم بعنايته.

أي: لكن لا يقتصر ثواب عباد الله المخلصين المخلصين على ما كانوا يعملون في رحلة امتحانهم، بل يضاعف الله ثوابهم بفضلِهِ أضعافاً كثيرة جداً، كما جاء بيانه مفصلاً في نصوص كثيرة من القرآن والسنة، على أن مجازاتهم بدخول جنات النعيم هو من محض فضل الله عليهم.

**المخلص:** هو من أخلص عمله ونيته من الشوائب، وجعل قصده ابتغاء مرضاة الله عز وجل، مع التزامه بما شرع الله وحكم.

**المخلص:** هو المختار، وهو المصفى المنقى من الشوائب، والمراد الذي جعله الله من المقبولين عنده، لإيمانه وإسلامه وصدقِهِ في ابتغاء مرضاته.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنّاً بَعْضَ ثَوَابِ «المخلصين المخلصين» في جنات النعيم:



• ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَهَهُمْ مِّمَّنْ مَّا كَرُمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾. وفي القراءة الأخرى: [يُنْزَفُونَ] والمعنى واحد. أي: ولا هُمْ بَعْدَ شُرْبِهِمْ لَهَا يُصَابُونَ بِالسُّكْرِ وَذَهَابِ الْعَقْلِ، إِذْ لَيْسَ فِيهَا غَوْلٌ (وَهُوَ مَا يُخْذِثُهُ شُرْبُ الْخَمْرِ مِنْ صَدَاعٍ وَسُكْرِ).

■ قَوْلُهُ تَعَالَى:

• ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَهَهُمْ ﴿٤٢﴾: أي: أُولَئِكَ الْمَخْلُصُونَ الْمَخْلُصُونَ رَفِيعُوا الْمَكَانَةَ عِنْدَنَا لَهُمْ رِزْقٌ مِّنَ الْفَوَاكِهِ مَعْلُومٌ، أي: سَبَقَ أَنْ أَعْلَمْنَاكُمْ بِهِ. فَوَاكِه: جمع فَاكِهَةٍ.

في هذا البيان إِحَالَةٌ عَلَى مَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ بِشَأْنِ ثَوَابِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَأَنَّ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةً كَثِيرَةً لَا مَقْطُوعَةً وَلَا مَمْنُوعَةً، فَقَدْ جَاءَ فِي سُورَةِ (الواقعة/ ٤٦ نزول) قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾: ﴿٣٣﴾

فَالرِّزْقُ الَّذِي سَبَقَ الْعِلْمُ بِهِ مِنَ الْفَوَاكِهِ هُوَ أَنَّهُ لَا مَقْطُوعٌ وَلَا مَمْنُوعٌ، وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ هَذَا النَّصِّ لَدَى تَدَبُّرِ سُورَةِ (الواقعة).

وْغَابَ هَذَا الْمَعْنَى عَنْ مُلَاحَظَةِ الْمَفْسِّرِينَ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَضَعُوا فِي خُطَّةِ تَدَبُّرِهِمْ تَرْتِيبَ النُّزُولِ.

■ قَوْلُهُ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَانِ بَعْضِ ثَوَابِ الْمَخْلَصِينَ الْمَخْلَصِينَ:

• ﴿... وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾: ﴿٤٤﴾

أي: وَالْحَالُ أَنَّهُمْ مُكْرَمُونَ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ، مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ، مُتَقَابِلِينَ يُقَابِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِلتَّحَادُثِ السَّارِّ، وَالْأَنْسِ وَالتَّنْعَمِ بِالمواجهة.

مُكْرَمُونَ: أي: مُفَضَّلُونَ مَوْضُوعُونَ فِي أَمَاكِنِ تَعْظِيمٍ، وَيُقَدَّمُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَسُرُّهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّكْرِيمِ وَالتَّعْظِيمِ وَالحفاوة والبهجة، إِذْ هُمْ مُلُوكٌ قُصُورُهُمْ.

فِي جَنَاتٍ: تَشْتَمِلُ الْجَنَّةُ الْعَظْمَى يَوْمَ الدِّينِ عَلَى أَقْسَامٍ كُلُّ قِسْمٍ مِنْهَا هُوَ جَنَّةٌ كَامِلَةٌ.

النَّعِيمِ: مُضَدَّرُ «نَعِمٍ، يَنْعَمُ، نَعْمًا، وَنَعَمَةً، وَنَعِيمًا» أي: طَابَ، وَرَفَهُ، وَهَذَا بِأَلْهِ، وَاسْتِرَاحَ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ تَخْصِيصُ لَذَاتِ الْآخِرَةِ، وَمَا فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ سَعَادَةٍ، بِأَنَّهَا «نَعِيمٌ» لِبَقَائِهَا وَعِظَمِ قِيَمَتِهَا، وَتَخْصِيصُ لَذَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَاهِيَاتِهَا بِأَنَّهَا «مَتَاعٌ» لِسُرْعَةِ زَوَالِهَا، وَنَقْصِ قِيَمَتِهَا مَهْمَا بَلَغَتْ.

السُّرُرُ: جَمْعٌ مَفْرَدُهُ «السَّرِير» وَهُوَ الْمُضْجَعُ ذُو الْقَوَائِمِ الْأَرْبَعَةِ، وَيُسَطُّ عَلَيْهِ الْفِرَاشُ اللَّيِّنُ عَلَى قَدْرِ الْمَسْطَحِ مِنْهُ.

■ قَوْلُهُ تَعَالَى مُتَابِعًا بَيَّانَ بَعْضِ ثَوَابِ الْمُخْلِصِينَ الْمُخْلِصِينَ:

• ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ وَ﴿يُنْزَفُونَ﴾.

الطواف: تَكَرُّارُ الْمُرُورِ عَلَى دَوَائِرِهِمْ أَنَا فَإِنَّا بِحَسَبِ الْحَاجَةِ.

أي: يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلِدَانٌ مُخَلَّدُونَ خَدَمًا لَهُمْ مَصْحُوبٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِكَأْسٍ مِنْ خَمَرٍ تَجْرِي بِهِ بَعْضُ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَهِيَ مَعِينَةٌ مَشْهُودَةٌ الْجَرَيَانِ.

الكأس: قَالَ أَهْلُ اللَّغَةِ: الْكَأْسُ الْقَدْحُ مَا دَامَ فِيهِ الْخَمَرُ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ خَمَرٌ فَهُوَ «كُوبٌ».

• ﴿مِنْ مَّعِينٍ﴾ أي: مِنْ نَهْرٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ الْجَارِيَةِ، يَسْهُلُ  
الاعْتِرَافُ مِنْهُ.

• ﴿بَيْضَاءَ﴾ وَصَفَ لِلْكَأْسِ، أي: الْآنِيَةُ وَمَا فِيهَا مِنْ خَمْرٍ، وهذا  
يُشْعِرُ بَأَنَّ الْآنِيَةَ شَفَافَةٌ لَوْنُهَا مِنْ لَوْنِ مَا فِيهَا، فَهِيَ مِنْ أَنْفَسِ الْجَوَاهِرِ،  
كَالْأَلْمَاسِ مِثْلًا.

• ﴿لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾: اللَّذَّةُ: إِدْرَاكُ الْمَلَائِمِ لِمَطْلُوبِ النَّفْسِ مَعَ التَّنْعَمِ  
أَوِ الاسْتِمْتَاعِ بِهِ.

فَدَلَّ وَصَفَ الْكَأْسِ بِالْبَيْضَاءِ عَلَى أَنَّهَا تَلَذُّ الْأَعْيُنَ، وَدَلَّ وَصْفُهَا بِأَنَّهَا  
لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ عَلَى أَنَّ طَعْمَهَا يَجْعَلُ الشَّارِبِينَ يَتَلَذَّذُونَ بِهَا. فَتَحَقَّقَ بِهِذَيْنِ  
الْوَصْفَيْنِ كَمَالُهَا، حُسْنُ مَنَظَرٍ، وَطِيبُ طَعْمٍ.

• ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾: الْعَوْلُ: مَا يُحْدِثُهُ شُرْبُ خَمْرِ الدُّنْيَا مِنْ صُدَاعٍ  
وَسُكْرِ. وَحَسَّنَ تَقْدِيمَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ ﴿فِيهَا﴾ عَلَى الْمُسْنَدِ ﴿غَوْلٌ﴾ إِرَادَةً  
تَخْصِيصِ خَمْرِ الْجَنَّةِ بِسَلْبِ صِفَةِ الْعَوْلِيَّةِ عَنْهَا.

• ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ﴾ و﴿يُزْفُونَ﴾ أي: وَلَا هُمْ بَعْدَ شُرْبِ خَمْرِ  
الْجَنَّةِ مَهْمَا شَرَبُوا مِنْهَا يُصَابُونَ بِصُدَاعٍ أَوْ سُكْرٍ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ نَزَعَ مِنْ  
خَمْرِ الْجَنَّةِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ صِفَةَ الْعَوْلِيَّةِ، بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا.

دَلَّ تَقْدِيمَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا﴾ عَلَى الْمُسْنَدِ الْفِعْلِيِّ ﴿يُزْفُونَ﴾  
عَلَى تَخْصِيصِ خَمْرِ الْجَنَّةِ بِهَذَا الْوَصْفِ.

وَدَلَّنِي عَلَى أَنَّ الطَّائِفِينَ وَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ  
(الواقعة/ ٤٦ نزول) فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ السَّابِقِينَ:

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا  
يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾﴾.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَانَ بَعْضِ ثَوَابِ الْمُخْلِصِينَ الْمُخْلِصِينَ:

● ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ أَلْفُ عَيْنٍ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾:

أي: وَعِنْدَهُمْ دَوَاماً حُورِيَّاتٍ مِنْ نِسَاءِ الْجَنَّةِ اللَّوَاتِي أَنْشَأَهُنَّ اللَّهُ فِيهَا  
إِنْشَاءً لَهُمْ، غَيْرُ أَزْوَاجِهِمُ الْمُؤْمِنَاتِ مِنْ نِسَاءِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَقَدْ وَصَفَهُنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِثَلَاثِ صِفَاتٍ:

**الصِّفَةُ الْأُولَى:** أَنَّهُنَّ ﴿قَصْرٌ أَلْفُ عَيْنٍ﴾: أي: وعند المُخْلِصِينَ  
المُخْلِصِينَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، مِنْ نِسَاءِ الْجَنَّةِ زَوْجَاتٌ قَاصِرَاتُ  
الطَّرْفِ، لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ.

**قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ:** صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ، أي: زَوْجَاتٌ قَاصِرَاتُ  
الطَّرْفِ.

**الطَّرْفُ:** يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى، تَحْرِيكِ الْجَفْنِ، وَعَلَى الْعَيْنِ، وَعَلَى  
النَّظَرِ.

وَذَاتُ الطَّرْفِ الْقَاصِرِ هِيَ الْعَفِيفَةُ الَّتِي لَا تَنْظُرُ إِلَى غَيْرِ زَوْجِهَا.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُنَّ عَفِيفَاتٌ لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ فِي الْجَنَّةِ لِشِدَّةِ  
حُبِّ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ لِزَوْجِهَا، فَتَقْصُرُ طَرَفَهَا عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهِ لَا تَتَعَدَّاهُ.

يُقَالُ لُغَةً: «قَصَرَ الشَّيْءُ عَلَى كَذَا» أي: لَمْ يُجَاوِزْ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ.  
«وَقَصَرَ غَلَّةٌ بُسْتَانَهُ عَلَى عِيَالِهِ» أي: جَعَلَهَا لَهُمْ خَاصَّةً.

**الصِّفَةُ الثَّانِيَّةُ:** أَنَّهُنَّ ﴿عَيْنٌ﴾ لَفْظُ «عَيْنٍ» هُوَ جَمْعُ «عَيْنَاءٍ» وَهِيَ ذَاتُ  
الْعَيْنِ الْحَسَنَةِ الْوَاسِعَةِ. وَلَا يَخْفَى مَا لِحُسْنِ الْعُيُونِ الْوَاسِعَةِ مِنْ تَأْثِيرٍ عَمِيقٍ  
سَارٍّ لِلنُّفُوسِ حَتَّى غَمَقَ الْقُلُوبِ وَالْأَفْئِدَةِ.

**الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ:** أَنَّ لَوْنَ بَشَرَتِهِنَّ تُشَبِّهُ بَيْضَ النَّعَامِ الْمَكْنُونِ، فَقَالَ اللَّهُ  
تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾:

قالوا: الْبَيْضُ الْمَكْنُونُ: هُوَ بَيْضُ النَّعَامِ، إِذِ النَّعَامُ يُكْنُ بَيْضَهُ فِي حَفَرٍ فِي الرَّمْلِ، وَيَفْرَشُ لَهَا مِنْ دَقِيقِ رِيشِهِ، فَيَكُونُ الْبَيْضُ شَدِيدَ لَمَعَانِ اللَّوْنِ، وَهُوَ أَيْضُ مَشُوبٌ بَيَاضُهُ بِصُفْرَةٍ، وَهَذَا اللَّوْنُ أَحْسَنُ أَلْوَانِ النِّسَاءِ فِي عُيُونِ الرِّجَالِ.

وَجَاءَ فِي وَصْفِ نِسَاءِ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ الْمُتَفَوِّقِينَ نَعِيمًا عَلَى أَصْحَابِ الْيَمِينِ الْمُخْلِصِينَ الْمُخْلِصِينَ، بِأَنَّهُنَّ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، فَهِنَّ أَكْمَلُ حُسْنًا مِنَ اللَّوَاتِي كَانَتْهُنَّ بَيْضُ مَكْنُونٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الواقعة/ ٤٦) نزول) بِشَأْنِهِنَّ:

﴿وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَأَمْثَلِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ (٢٣).

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُبَيِّنًا مَشْهُدًا حِوَارِيًّا بَيْنَ بَعْضِ أَهْلِ الْيَمِينِ الْمُخْلِصِينَ الْمُخْلِصِينَ وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، وَبَيْنَ قَرِينٍ لَهُ كَانَ فِي الدُّنْيَا كَافِرًا، فَهُوَ يَوْمَ الدِّينِ مِنَ الْمَعْدِيَّينِ فِي النَّارِ:

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ (٥٤) قَاطِعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَمَّا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٦٠):

مَجْلِسُ مَوَاسَّةٍ وَمُحَادَثَةٍ بَيْنَ طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فِي جَنَّةٍ مِنْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ، مِمَّا سَوْفَ يَكُونُ حَتْمًا عَلَى مَا شَمَلَهُ عِلْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مُسْتَقْطَعٌ مِنْ أَحْدَاثِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَمُقَدَّمٌ عَلَى أَنَّهُ حَدَثٌ مَضَى، لِتَوْكِيدِ أَنَّهُ سَوْفَ يَحْدُثُ حَتْمًا.

• ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٥٠):

أَي: فَبَيْنَمَا كَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ أُنْسٍ بَعْضُهُمْ

يَبْعُضُ، يَتَنَعَّمُونَ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنْ ذِكْرَيَاتِ مَاضِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُمْ يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى أَنْ جَعَلَهُمْ بِإِيمَانِهِمُ الْخَالِصِ الصَّادِقِ، وَإِسْلَامِهِمُ الْخَالِصِ الصَّادِقِ مِنْ أَهْلِ جَنَّاتِ النِّعَمِ، فَذَكَرُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ الْحَمْدُ.

• ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ ﴿٥١﴾ يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾  
إِنَّا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظْمًا إِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾:

القَرِين: المصاحب الملازم، كأنه مَقْرُونٌ مَعَهُ بِقَرْنٍ، وهو الحَبْلُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ الْأَسِيرُ.

• ﴿إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾؟: أي: أَيْنَا لَمَجْزِيُونَ عَلَى أَعْمَالِنَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فِي حَيَاةٍ أُخْرَى يَكُونُ بِهَا الْبَعْثُ وَالْحِسَابُ وَفَضْلُ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيذُ الْجَزَاءِ، فِي دَارِ عَذَابٍ لِلْكَفَرَةِ وَالْمَجْرِمِينَ، وَلِلْعَصَاةِ وَالْمَذْنِبِينَ، اسْمُهَا النَّارُ، وَفِي دَارِ نَعِيمٍ يُنْعَمُ فِيهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ، وَالْأَبْرَارُ وَالْمُحْسِنُونَ. اسْتَفْهَامٌ يُرَادُّ بِهِ الْإِنْكَارُ، وَتَكْذِيبُ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ بِشَأْنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْحَيَاةِ الْآخَرَى.

هُمَا قَرِينَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَحَدُهُمَا مُؤْمِنٌ، وَالْآخَرُ كَافِرٌ، يَقُولُ الْكَافِرُ لِقَرِينِهِ الْمُؤْمِنِ بِأَسْلُوبِ الاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ، الْقَائِمِ عَلَى التَّعْجُبِ وَالِاسْتِغْرَابِ وَالِاسْتِعْرَابِ:

﴿.. إِنَّكَ﴾ يَا قَرِينِي ﴿لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَهَلَاكِ الْأَجْسَادِ وَتَفْتِثِهَا، وَأَنْتَ الصَّاحِبُ الْعَاقِلُ الذَّكِيُّ؟!

﴿إِنَّا مِنَّا﴾ وَوُضِعْنَا فِي قُبُورِنَا وَتَفَسَّخَتْ أَجْسَادُنَا ﴿وَكُنَّا﴾ أَي: وَصِرْنَا ﴿تُرَابًا وَعَظْمًا﴾ نَخْرَةً ﴿إِنَّا﴾ لَمَبْعُوثُونَ لِحَيَاةٍ أُخْرَى غَيْرِ هَذِهِ الْحَيَاةِ؟! وَ﴿إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْآخَرَى، عَلَى مَا كَسَبْنَاهُ وَاكْتَسَبْنَاهُ فِي الْحَيَاةِ الْأُولَى؟!

هَلْ يُقْبَلُ هَذَا عَقْلًا؟! إِنَّهُ لَا يُقَدَّم دَلِيلًا مَا غَيْرَ الِاسْتِفْهَامِ التَّعْجِيبِيِّ  
الِاسْتِغْرَابِيِّ الَّذِي لَا يَتَضَمَّنُ إِلَّا إِنكَارَ غَيْرِ الْمَأْلُوفِ، مَعَ أَنَّ الْحَيَاةَ الْأُخْرَى  
لِلْحِسَابِ، وَفَضْلَ الْقَضَاءِ، وَتَحْقِيقِ الْجَزَاءِ، قَدْ قَامَ لِإثْبَاتِهَا دَلِيلُ الْعَقْلِ  
الْمُسْتَدِّدِ إِلَى صِفَاتِ رُبُوبِيَّةِ الرَّبِّ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ الْقَدِيرِ، وَإِلَى دَلِيلِ الْخَبَرِ  
الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ بِلَاغًا عَنْهُ، وَهُوَ خَالِقُ الْكَوْنِ، وَوَاضِعُ خُطَّةِ حَيَاةِ  
الْإِبْتِلَاءِ وَحَيَاةِ الْجَزَاءِ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، قَبْلَ أَنْ يَبْرَأَ الْإِنْفُسَ، وَقَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ  
الْجَنِّ وَالْإِنْسَ وَيَضَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ.

وَإِذْ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْجَنَّةِ مُمَكِّنِينَ بِوَسِيلَةٍ مَا مِنْ أَنْ يُطْلِعُوا عَلَى  
أَهْلِ النَّارِ، وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فِيهَا، وَمُمَكِّنِينَ مِنْ أَنْ يُحَادِثُوهُمْ، أَفْرَادًا أَوْ  
جَمَاعَاتٍ، فَقَدْ قَامَ فِي نَفْسِ الْقَرِينِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يُطْلَعَ جُلَسَاءَ أُنْسِهِ فِي  
الْجَنَّةِ، عَلَى قَرِينِهِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا يُحَرِّضُهُ عَلَى التَّكْذِيبِ بِيَوْمِ الدِّينِ،  
فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ عَرْضًا تَخْيِيرِيًّا:

• ﴿قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُطْلِعُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ عَلَى قَرِينِي الْكَافِرِ الَّذِي سَأَطْلَعُ عَلَيْهِ  
وَأُحَادِثُهُ؟

«اطَّلَعَ يَطْلَعُ عَلَى الشَّيْءِ» أَي: أَشْرَفَ عَلَيْهِ نَاطِرًا إِلَيْهِ.

قَالُوا: نَعَمْ، أَعْمِلْ جِهَازَ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْمَعَذِبِينَ فِي الْجَحِيمِ.

﴿فَاطْلَعَ قَرَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٥٥﴾: أَي: فِي وَسْطِ النَّارِ لِأَنَّهُ كَانَ  
كَافِرًا وَمَاتَ كَافِرًا، فَهُوَ يُعَذَّبُ بِالْحَرِيقِ بِالنَّارِ، فَحَادِثُهُ وَتَعَارَفَا بِمُقْتَضَى  
الصُّحْبَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمَا فِي الدُّنْيَا، وَبِالْوَسِيلَةِ الَّتِي يَرَى وَيَسْمَعُ كُلُّ مَنْهُمَا  
الْآخِرَ.

﴿قَالَ﴾ الْمُؤْمِنُ الْمَنَعَمُ فِي الْجَنَّةِ لِلْكَافِرِ الَّذِي كَانَ قَرِينُهُ فِي الدُّنْيَا:  
﴿تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتَرْدِينِ﴾ أَي: أَقْسِمُ لَكَ بِالْقَسَمِ الْعَظِيمِ إِنَّكَ كِدْتَ بِإِعْرَاءِ تِلْكَ  
وَإِعْوَاءِ تِلْكَ لِتُسْقِطَنِي مَعَكَ فِي هَاوِيَةِ عَذَابِ الْجَحِيمِ، إِذْ كُنْتَ تُحَرِّضُنِي

على التكذيب بيوم الدين، لأنطلق معك في معصية رب العالمين، واتباع خطوات الشياطين.

يقال لغة: «أرداه يُرديه» أي: أسقطه في هاوية.

وقال له أيضاً: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ ﴿٥٧﴾:

أي: ولولا منة الله ربي علي، بالتثبيت على الإيمان بالحق، الذي اتجهت إرادتي للإدعان له بصدق، لاستجبت لإغوائك وإغرائك، فكفرت، فكنت من المحضرين المسوقين قهراً حتى أكون معك في الجحيم حاضراً.

جاء في القرآن استعمال عبارة «محضرون - محضرين» بمعنى الإحضار في دار العذاب، وبمعنى الإحضار لمجلس الحساب، وفصل القضاء، لدى رب العالمين، والقرائن هي التي تُرشد إلى المراد بالإحضار. قال الماوردي: «أحضر» لا يستعمل إلا في الشر.

فليحذر من كان ذا رأيٍ سديد، وعملٍ رشيد، من قرين الشؤ الذي قد يُغريه فيغويه، فيُرديه.

وأفقل المؤمنين وسيلة الاطلاع على أهل النار، وقطع حديثه مع المعذب في الجحيم الذي كان قرينه في الحياة الدنيا.

هنا ملأت الفرحة والبهجة والمسرّة قلبه ونفسه وكلّ مشاعره، وكذلك حصل لكلّ الذين يؤنس بعضهم بعضاً في مجلسه، وأخذوا يرفعون أصواتهم بحمد الله والثناء عليه، وجعلتهم الفرحة والمسرّة يقولون مثل ما يقول العاشق حينما تزف معشوقته له في ليلة العرس: أنت حقاً زوجتي أعشيقتي الليلة زوجتي، أنت في مخدعي، أهذه الليلة ليلة سعادتي، يا فرحتي.

فالاستفهامات هنا استفهامات الفرح بما حصل ووقع وكان أملاً مستبعداً.



عَلَىٰ مِثْلِ هَٰذَا يُنْشَدُ أَصْحَابُ هَٰذَا الْمَجْلِسِ مُعَبِّرِينَ عَنْ  
فَرْحَتِهِمْ بِالْخُلُودِ الَّذِي لَا يَتَخَلَّلُهُ مَوْتُ، وَفَرْحَتِهِمْ بِعَفْوِ اللَّهِ عَنْهُمْ،  
فَلَمْ يُعَذِّبْهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي كَانُوا يَسْتَحِقُّونَ عَلَيْهَا  
العذاب، ويقولونَ بِأَسْلُوبِ اسْتِفْهَامِ الْفَرْحِ بِمَا هُوَ فِيهِ، الَّذِي يَحْمَدُ  
رَبَّهُ عَلَىٰ مَا أَوْلَاهُ:

• ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلَيْنِ﴾ (٥٨) إِلَّا مَوَلَّتْنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ  
هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾.

إِنَّهُمْ يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَعَلَىٰ مَا مَنَّ عَلَيْهِمْ مِنْ  
عَفْوٍ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، مُعْلِنِينَ أَنَّ مَا هُمْ فِيهِ فَوْزٌ عَظِيمٌ لَهُمْ.

نَشِيدٌ بَدِيعٌ يُنْشَدُهُ أَصْحَابُ الْيَمِينِ، الْمُخْلِصُونَ الْمُخْلَصُونَ.

الفوز: يأتي بمعنَى الظَّفَرِ بِخَيْرٍ، وَالنَّجَاةِ مِنَ الشَّرِّ.

وَأَبَانُوا انْحِصَارَ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَنْفُوا  
وُجُودَ فَوْزٍ أَعْظَمَ، وَهُوَ الْفَوْزُ الَّذِي نَالَهُ مَثَلًا أَهْلُ جَنَّاتِ عَدْنٍ، أَوْ أَهْلُ  
الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى، وَكُلُّ الَّذِينَ ارْتَقَتْ دَرَجَاتُهُمْ عَنْ دَرَجَاتِ أَصْحَابِ  
الْيَمِينِ.

وَجَاءَ التَّعْقِيبُ الرَّبَّانِيُّ عَلَىٰ هَٰذَا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (٦١):

هَٰذَا خِطَابٌ مُوجَّهٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فِيهِ إِرْشَادٌ لِمَا هُوَ الْخَيْرُ لِلنَّاسِ  
الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، يُبَيِّنُ لَهُمْ فِيهِ أَنََّّهُمْ إِذَا آمَنُوا  
وَأَسْلَمُوا وَعَمِلُوا صَالِحًا، نَالُوا يَوْمَ الدِّينِ بِفَضْلِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الجواد الكريم فَوْزًا عَظِيمًا.

والمعنى: لِمِثْلِ هَذَا الْفَوْزِ الْعَظِيمِ يَوْمَ الدِّينِ فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ إِيْمَانًا وَإِسْلَامًا وَطَاعَةً لِرَبِّهِمْ، حَتَّى يَنَالُوهُ.

وبهذا انتهى تدبر الفصل الثاني من فصول الدرس الثاني من دروس سورة (الصافات). والحمد لله على معونته ومَدَدِهِ وتوفيقه وفتحه.



### الفصل الثالث

#### من الدرس الثاني من دروس سورة (الصافات) الآيات من (٦٢ - ٧٤)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۖ إِنَّا جَعَلْنَهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۖ﴾ (٦٢)  
 إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۖ (٦٣) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ۖ (٦٤)  
 فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَاكِهُونَ ۖ (٦٥) وَمِنْهَا الْيُسُوفُ ۖ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حِمِيمٍ ۖ (٦٧)  
 ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ۖ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ۖ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ  
 يُهْرَعُونَ ۖ (٧٠) وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ۖ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ  
 ۖ (٧٢) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ۖ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۖ ﴿٧٤﴾

القراءات:

(٧٤) • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب:

[الْمُخْلَصِينَ] بكسر اللام، اسم فاعل من فعل: «أَخْلَصَ».

وقراها باقي القراء العشرة بفتح اللام، اسم مفعول.

وبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد، أي: أَخْلَصُوا لِلَّهِ

إيمانهم وإسلامهم وعباداتهم، فجعلهم الله من المخلصين عنده.

تمهيد:

اقتضى ذِكْرُ لَقَطَاتٍ مِنْ نَعِيمِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ الْمُخْلَصِينَ وَالْمُخْلَصِينَ

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَمِنْهَا مَطَاعِمُهُمْ مِّنَ الْفَوَاكِهَ، وَمَشَارِبُهُمُ النَّفِيسَةَ، أَنْ تُقَابَلَ بِذِكْرِ لَقَطَاتٍ مِّنْ شَقَاءِ الْكَفَرَةِ الْمَكْذِبِينَ أَصْحَابِ الشَّمَالِ، فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ، مَعَ التَّعْقِيبِ بَيَانِ السَّبَبِ الَّذِي أَوْصَلَهُمْ إِلَى هَذَا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَالشَّقَاءِ الْمُسْتَدِيمِ، رَغْبَةً فِي أَنْ يَتَّعِظَ النَّاسُ بِبَيِّنَاتٍ رَبَّهُمْ، وَتَحْذِيرَاتِهِ لَهُمْ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

● ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ (٦٢):

المشارُ إليه بعبارة: ﴿أَذَلِكَ﴾؟ هو مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي الْآيَاتِ مِنْ (٤١ - ٤٩) الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَبَعْضُ مَا هُوَ نُزْلُهُمْ (أَي: ضِيَافَتُهُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ).

وَطَرَحَتْ هَذِهِ الْآيَةُ سُؤَالَ عَمَّا هُوَ الْأَفْضَلُ بَيْنَ النُّزْلَيْنِ، أَنْزُلُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، أَمْ نُزْلُ أَصْحَابِ الشَّمَالِ الْآتِي وَصْفُهُ.

«خَيْرٌ» أَي: أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ وَأَخِيرُ، وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّنْزِيلِ فِي الْعَرْضِ، دُونَ أَنْ يَكُونَ إِمْلَاءً خَبَرِيًّا، مَعَ أَنَّ نُزْلَ أَصْحَابِ الشَّمَالِ لَا خَيْرَ فِيهِ مُطْلَقًا، بَلْ هُوَ مِنْ عَنَاصِرِ الشَّقَاءِ، وَالتَّعْذِيبِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ اسْتِهْزَاءٍ بِالَّذِينَ اسْتَهْزَؤُوا بِشَجَرَةِ الزَّقُّومِ، كَأَبِي جَهْلٍ.

النُّزْلُ: هُوَ مَا يُعْذُّهُ الرَّجُلُ لَضَيْفِهِ، وَيُقَدِّمُهُ إِلَيْهِ إِذَا نَزَلَ بِهِ.

﴿... أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾؟

جَاءَ بِشَأْنِ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ثَلَاثَةٌ نُّصُوصٍ سَبَقَ تَدْبِيرُهَا تَدْبِيرًا تَكَامُلِيًّا فِي الْمَلْحَقِ الثَّانِي مِنْ مَلَا حِقِ تَدْبِيرِ سُورَةِ (الْوَاقِعَةِ/ ٤٦ نزول)<sup>(١)</sup> وَهِيَ:

(١) انظر هذا الملحق في المجلد الثامن، الصفحات من (٥٢٥ - ٥٤٠).

(١) الآيات من (٤٩ - ٥٦) من سورة الواقعة/ ٥٦ مصحف/ ٤٦ نزول).

(٢) الآيات من (٦٢ - ٦٨) من سورة (الصافات/ ٣٧ مصحف/ ٥٦ نزول).

(٣) الآيات من (٤٣ - ٥٠) من سورة (الدخان/ ٤٤ مصحف/ ٦٤ نزول).

إِنَّ أَهْلَ جَهَنَّمَ يُلْجَأُونَ مِنْ شِدَّةِ جُوعِهِمْ، وَشِدَّةِ آلامِهِمْ مِنْهُ، أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِ شَجَرٍ فِي جَهَنَّمَ، يُسَمَّى «شَجَرِ الرَّقُومِ» أَوْ «شَجَرِ زُقُومٍ».

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ (١٣):

أصلُ معنى الفتنة الصَّهْرُ بالنار للمُعْدِن، كالدَّهَبِ والفِضَّة، لتمييز رَدِيئِهِ مِنْ جَيِّدِهِ، وشاعَ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ بمعنى الاختبار والامتحان. وَيُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ التَّعْذِيبُ بِالنَّارِ، أَوْ بِمَا يُشَبِّهُ التَّعْذِيبَ بِالنَّارِ، وهذا المعنى الأخيرُ هُوَ المعنى الأكثرُ ملاءمةً لِلآيَةِ هُنَا، لِأَنَّ شَجَرَةَ الرَّقُومِ فِي جَهَنَّمَ شَجَرَةٌ يُعَذَّبُ بِالْأَكْلِ مِنْ ثَمَرِهَا الظَّالِمُونَ، وَهُمْ يُلْجَأُونَ إِلَى الْأَكْلِ مِنْهُ، لِشِدَّةِ الْجُوعِ الَّذِي يُحْسِنُونَ بِآلَامِهِ فِي بُطُونِهِمْ، وَلَا يَجِدُونَ غَيْرَ ثَمَرِهَا يَأْكُلُونَ مِنْهُ فِي الدَّرَكَاتِ الَّتِي هُمْ فِيهَا فِي جَهَنَّمَ.

﴿لِلظَّالِمِينَ﴾: المرادُ بِالظَّالِمِينَ هُنَا الظَّالِمُونَ مِنْ دَرَكَاتِ الْكُفْرِ، لَا الظَّالِمُونَ لِنُفُوسِهِمْ بِكَثْرَةِ الْمَعَاصِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾:

أي: إِنَّهَا صِنْفٌ شَجَرَةٌ تَنْبُتُ فِي قَعْرِ الْجَحِيمِ، دار عذاب المجرمين الكَفَرَةِ الْمَكْذِبِينَ يَوْمِ الدِّينِ عَذَابًا دَائِمًا.

وَلَا عَجَبَ أَنْ يُنْبِتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَشْجَارًا فِي مَوَاطِنِ النَّارِ، فَهُوَ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وَيَجْعَلُ لِمَا يَخْلُقُ الْأَسْبَابَ الْمَلَائِمَةَ لِشُرُوطِ وَجُودِ الْمَخْلُوقِ وَبِقَائِهِ.

وَطَلْعُ شَجَرَةِ الرَّقُومِ، أي: الثَّمَرُ الَّذِي يُؤْكَلُ مِنْهُ وَصَفَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ يُشَبِّهُ رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ، وفي هذا إِحَالَةٌ عَلَى مُتَخَيَّلٍ فِي أَذْهَانِ الْمُخَاطَبِينَ لِرُؤُوسِ الشَّيَاطِينِ، إِذْ يَتَخَيَّلُونَهَا بِأَفْبَحِ صُورَةٍ، وَأَشْنَعِ مَنْظَرٍ، وَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ذَاتَ صُورٍ شَدِيدَةِ الْقُبْحِ، فَكَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقٌّ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ أَنَّ مِنْهَا الْبُطُونُ﴾ (١١):

أي: إِنَّ الظَّالِمِينَ الْمَجْرِمِينَ سَوْفَ يَجِدُونَ نُفُوسَهُمْ مُلْجَبِينَ إِلَى الْأَكْلِ مِنْ صِنْفِ شَجَرَةِ الرَّقُومِ، لِشِدَّةِ الْجُوعِ الَّذِي تَشْتَدُّ أَلَامُهُ فِي بُطُونِهِمْ، وَلَا يَجِدُونَ فِي الْجَحِيمِ شَيْئًا آخَرَ يَأْكُلُونَهُ أَحَفَّ مِنْهُ أَدَى وَإِيلَامًا.

وبما أَنَّهُ لَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ فَإِنَّهُمْ يَمْلَأُونَ مِنْهُ بُطُونَهُمْ، عَسَى أَنْ يَكُونَ مَلُؤُهَا سَبَبًا فِي إِسْكَاتِ جُوعِ بُطُونِهِمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ (١٢):

أي: ثُمَّ بَعْدَ امْتِلَاءِ بُطُونِهِمْ مِنْ طَلْعِ شَجَرِ الرَّقُومِ، الَّذِي يَغْلِي فِي بُطُونِهِمْ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ، كَمَا جَاءَ فِي نَصِ سُورَةِ (الدخان) يَشْتَدُّ ظَمْؤُهُمْ شِدَّةً عَظِيمَةً، فَلَا يَجِدُونَ مَاءً بَارِدًا وَلَا شَرَابًا حَسَنًا يُرْوُونَ بِهِ ظَمَأَهُمْ، بَلْ

يَجِدُونَ حَمِيمًا، أَي: مَاءً شَدِيدَ الْحَرَارَةِ، قَدْ أُعِدَّ لَهُمْ لِيَشْرَبُوا مِنْهُ، فَيَشْرَبُونَ مِنْهُ مُلَجَّيْنِ، لِتَخْفِيفِ لَهَيْبِ ظَمَّتِهِمْ، فَيَدْخُلُ هَذَا الْمَاءُ الْحَمِيمُ إِلَى بُطُونِهِمْ، فَيَخْتَلِطُ بِمَا أَكَلُوا مِنْ طَلْعِ شَجَرِ الرَّقُومِ.

﴿لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾: الشَّوْبُ فِي اللُّغَةِ مَا اخْتَلَطَ بِغَيْرِهِ، أَي: هُمْ يَشْرَبُونَ عَلَى مَا أَكَلُوا مِنْ طَلْعِ شَجَرِ الرَّقُومِ مَاءً شَدِيدَ الْحَرَارَةِ، فَيَخْتَلِطَانِ فِي بُطُونِهِمْ. وَهَذَا الْحَمِيمُ مَعَ الرَّقُومِ الَّذِي يَعْلِي فِي الْبُطُونِ لَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنَ الظَّمَا وَحَرَارَتِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾: ﴿١٨﴾

دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ جُوعَهُمُ الشَّدِيدَ يَجْعَلُهُمْ يَرْحَلُونَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ فِي الْجَحِيمِ، إِلَى قَاعِهَا حَيْثُ مَنَابِتُ شَجَرِ الرَّقُومِ، لِيَأْكُلُوا مِنْهُ، وَعَلَى أَنَّ ظَمَأَهُمُ الشَّدِيدَ يَجْعَلُهُمْ يَرْحَلُونَ إِلَى حَيْثُ يُوجَدُ الْمَاءُ، فَلَا يَجِدُونَ إِلَّا مَاءً حَمِيمًا، فَيَشْرَبُونَ مِنْهُ شُرْبَ الْهَيْمِ، وَهِيَ الْإِبِلُ الْمُصَابَةُ بِدَاءِ الْهَيْامِ، إِذْ تَسْتَمِرُّ بِهِ ظَامِئَةً شَدِيدَةً الظَّمَا مَهْمَا شَرَبَتْ، فَتَسِيرُ فِي الْأَرْضِ هَائِمَةً كَثِيبَةً تُعَانِي مِنَ أَوْجَاعِهَا.

وَإِذْ يَجِدُونَ مَوَاقِعَ شَجَرِ الرَّقُومِ، وَمَوَاقِعَ الْمَاءِ الْحَمِيمِ، أَشَدَّ مِنْ مَنَازِلِهِمْ فِي الدَّرَكَاتِ الَّتِي هُمْ فِيهَا مِنَ الْجَحِيمِ، فَإِنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى دَرَكَاتِهِمْ فِيهَا، حَتَّى تُلْجِئَهُمُ الضَّرُورَةُ إِلَى رِحْلَةٍ أُخْرَى، لِلْأَكْلِ مِنْ شَجَرِ الرَّقُومِ، وَلِلشُّرْبِ مِنَ الْحَمِيمِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّنًا مَا جَعَلَهُمُ ظَالِمِينَ مُجْرِمِينَ خَالِدِينَ فِي

الْجَحِيمِ:

• ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ صَالِينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾:

﴿الْفَوْا﴾: أي: وجدوا.

﴿يُهْرَعُونَ﴾: أي: يمشون. أو يعدون في اضطراب وسرعة، يُقَالُ لُغَةً: «هُرِعَ الرَّجُلُ يَهْرَعُ» بالبناء على صيغة المجهول، أي: مشى، أو عدا في اضطراب وسرعة.

أي: إنهم وجدوا آباءهم ضالين، نائين عن صراط الله المستقيم، يتبعون أهواءهم وشهواتهم، فهم في حركات حيواتهم يمشون على آثار خطوات آبائهم، وبعضهم يسرعون الخطو عادين في اضطراب، تفلقهم دوافع الأهواء والشهوات ورغبات النفوس.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا حَالِ أَكْثَرِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ عَذَابٍ مُهِلِكَ:

• ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾  
وفي القراءة الأخرى [المُخْلَصِينَ] بِكسْرِ اللام، اسم فاعل من فعل «أَخْلَصَ» أي: جعل إيمانه وإسلامه وعبادته خالصة لله تعالى، يبتغي بها وجهه ومَرْضَاتِهِ وثوابه.

أي: ونؤكد لك أيها المتلقي في أي مكان وزمان، أنه لقد ضلَّ قبل المُعْنَيْنِ بِالْمَعَالَجَةِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْأُمَمِ، وَهُمْ الَّذِينَ اجْتَاؤُوا رِحَالَ امْتِحَانِهِمْ قَبْلَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ، وَكَانَ ضَلَالُهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَعَنْ صِرَاطِنَا الْمُسْتَقِيمِ، بِإِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةِ، إِذْ كَانُوا قَدْ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، وَوَسَاوَسَ الشَّيَاطِينِ وَتَسْوِيلَاتِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، كَمَا أَبْنَا لَكَ هَذَا فِي آيَاتٍ كَثِيرَاتٍ سَابِقَاتِ التَّنْزِيلِ.

وَنُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّنا أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رُسُلًا مُبَلِّغِينَ وَمُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ بِجَنَاتِ النَّعِيمِ مَنْ آمَنَ وَأَطَاعَ، وَمُنْذِرِينَ مَنْ كَذَّبَ وَكَفَرَ وَعَصَى بِعَذَابٍ خَالِدٍ يَوْمَ

الدِّينَ، وَمُنْذِرِينَ بِإِهْلَاكِ مَصْحُوبٍ بِتَغْذِيبِ عَامٍّ شَامِلٍ سَاحِقٍ مَاحِقٍ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ.

فَمَا كَانَ مِنْهُمْ بَعْدَ الْمُعَالَجَاتِ الْكَثِيرَاتِ لَهُمْ، مَعَ حِلْمٍ وَصَبْرٍ عَلَيْهِمْ، وَإِمْهَالٍ طَوِيلٍ لَهُمْ، إِلَّا الْإِضْرَارُ عَلَى كُفْرِهِمْ مُعَانِدِينَ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِهْلَاكًا جَمَاعِيًّا شَامِلًا، كَمَا سَبَقَ أَنْ أَنْبَأْنَا بِإِهْلَاكِ كُفَّارِ قَوْمِ نُوحٍ، وَكُفَّارِ قَوْمِ هُودٍ، وَكُفَّارِ قَوْمِ صَالِحٍ، وَكُفَّارِ قَوْمِ لُوطٍ، وَكُفَّارِ قَوْمِ شُعَيْبٍ، وَفِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ، وَجُنُودِهِمْ، فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ السَّابِقَةِ لِسُورٍ مِنَ الْقُرْآنِ.

فَانْظُرْ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّيِ الْمُتَفَكِّرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ، وَانْظُرْ إِلَى آثَارِ دِيَارِهِمْ الَّتِي دَمَرْنَاهَا عَلَيْهِمْ حِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ إِهْلَاكًا عَقَابِيًّا، لِيَكُونُوا عِبْرَةً لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ مِنْ أَجْيَالِ النَّاسِ.

وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ الْمُنْذَرِينَ قَدْ أَهْلِكُوا، بَلْ كَانَ مِنْ ضِمْنِهِمْ مَنْ آمَنَ وَأَسْلَمَ وَعَمِلَ صَالِحًا، مُخْلِصًا فِي إِيمَانِهِ وَإِسْلَامِهِ وَعَمَلِهِ، فَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْمَخْلُصِينَ، فَأَنْجَيْنَاهُ وَلَمْ نُهْلِكْهُ مَعَ الْمُهْلَكِينَ.

خاطب الله عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ مَوْضُوعٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ بِأَسْلُوبِ الْخِطَابِ الْإِفْرَادِيِّ، لِيُشْعِرَهُ بِالمَسْئُولِيَّةِ الْكَامِلَةِ، مَعَ تَكْرِيمِهِ بِالْخِطَابِ.

التوكيد جاء بِـ ﴿لَقَدْ﴾ مَرَّتَيْنِ، فَالْلامُ يَرَى الْمُعْرَبُونَ أَنَّهَا واقعةٌ فِي جوابِ قَسَمٍ مَنْوِيٍّ، وَ﴿قَدْ﴾ لِلتَّحْقِيقِ، وَفِي التَّحْقِيقِ توكيدٌ ظاهرٌ.

وبهذا تَمَّ تدبُّرُ الدرس الثاني بفصوله الثلاثة من دروس سورة (الصَّافَّاتِ).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.





(٧)

## التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الصافات) الآيات من (٧٥ - ١٤٨) وفيه ستة فصول

### الفصل الأول

الآيات من (٧٥ - ٨٢)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَخَيَّئْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

تمهيد:

هَذَا الْبَيَانُ الْمُفْتَضَّبُ الْمَوْجَزُ عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ذُو هَدَفَيْنِ

جَلِيلَيْنِ:

**الْهَدَفُ الْأَوَّلُ:** الْإِنذَارُ مِنَ اللَّهِ لِلْمَعَالَجِينَ الْمَكْذِبِينَ بِعِنَادٍ وَإِصْرَارٍ عَلَى الْكُفْرِ، مِنْ كُبرَاءِ مُشْرِكِي مَكَّةَ، بِأَنَّ مُحَمَّدًا إِذَا دَعَانَا أَنْ نُهْلِكَ مُنَاوِيَهُ الَّذِينَ يُؤْذُونَهُ، وَيَضْطَّهَدُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، فَإِنَّا نُجِيبُهُ وَنُهْلِكُ أَعْدَاءَهُ وَمُنَاوِي دَعْوَتِهِ.

**الْهَدَفُ الثَّانِي:** طَمَآنَةٌ اللَّهِ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، بِأَنَّهُ نَاصِرُهُمْ، وَمُؤَيِّدُهُمْ، كَمَا نَصَرَ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنْجَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ، الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ مِنْ قَبْلِ قَوْمِهِمْ، أَي: فَإِنْ وَصَلَتْ يَا مُحَمَّدُ مَعَ قَوْمِكَ إِلَى حَالَةٍ كَرْبٍ عَظِيمٍ فَادْعَنَا نُنَجِّكَ.

وَدَلَّ هَذَا النَّصُّ عَلَى آخِرِ مَسِيرَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دَعْوَتِهِ لِقَوْمِهِ، الَّتِي اسْتَمَرَّتْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا.

وَوَصَلَ حَالُ أَجْيَالٍ قَوْمِهِ أَنْ هَدَّوْهُ وَأَهْلَهُ بِالرَّجْمِ، فَنَادَى رَبَّهُ أَنْ  
يَنْصُرَهُ، فَنَصَرَهُ، وَنَجَّاهُ وَأَهْلَهُ مِمَّا نَزَلَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ مِنْ كَرْبٍ عَظِيمٍ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَتَحَدَّثُ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ وَبِمَا يُلَائِمُهُ:

● ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾:

سَبَقَ فِي سُورَةِ (القمر/ ٣٧ نزول) بَيَانُ دُعَائِهِ لِرَبِّهِ بِأَنْ يَنْصُرَهُ، إِذْ جَاءَ  
فِيهَا بِشَأْنِهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾.

وَجَاءَ هُنَا فِي (الصَّافَّاتِ/ ٥٦ نزول) بَيَانُ أَنَّهُ نَادَى رَبَّهُ، أَي: دَعَاهُ  
دُعَاءً فِيهِ شِدَّةُ النَّدَاءِ وَحُرْقَتُهُ، وَلَا يُشْرَطُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ بِرَفْعِ صَوْتٍ، لِأَنَّ  
الْأَدَبَ مَعَ اللَّهِ فِي الدُّعَاءِ أَنْ يَكُونَ بِتَضَرُّعٍ وَخُفْيَةٍ، وَتَخْتَلِفُ النِّسْبَةُ النَّفْسِيَّةُ  
بَيْنَ دُعَاءٍ يَرْفُقُ وَدُعَاءٍ بِشِدَّةٍ.

﴿.. فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾: الْفَاءُ تَعْطِفُ عَلَى جُمْلٍ مَحْذُوفَةٍ، وَفِيهَا  
مَعْنَى التَّفْرِيعِ، وَالتَّقْدِيرِ: فَاسْتَمَعْنَا نِدَاءَهُ، وَأَجَبْنَا دُعَاءَهُ، وَفَرَجْنَا كَرْبَهُ،  
وَكَانَ نَصْرُنَا لَهُ عَظِيمًا يَسْتَحِقُّ الْمَدْحَ وَالثَنَاءَ: فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ.

الْأَمُّ فِي: «لَنِعْمَ» لَامُ الْابْتِدَاءِ لِلتَّأْكِيدِ، وَلَفْظُ «نِعْمَ» فِعْلٌ جَامِدٌ  
لِإِنْشَاءِ الْمَدْحِ عَلَى سَبِيلِ الْمَبَالِغَةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَانَهُ بِشَأْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

● ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾:

أَي: وَخَلَّصْنَاهُ وَخَلَّصْنَا أَهْلَهُ مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنْ كَرْبٍ عَظِيمٍ، مِنْ قِبَلِ  
مَلَائِكَةِ قَوْمِهِ إِذْ تَوَعَّدُوهُمْ بِالرَّجْمِ بِالْحِجَارَةِ.

دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ سَائِرَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ لَمْ يَتَعَرَّضُوا مِنْ قِبَلِ

قَوْمِهِمْ لِمِثْلِ مَا تَعَرَّضَ لَهُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَهْلُهُ مِنْ كَرْبٍ عَظِيمٍ، مَعَ  
أَنَّهُمْ رَكِبُوا مَعَهُ فِي الْفُلِّ، وَأَنْجَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْغَرَقِ.

الْكَرْبُ: الْحَزْنُ وَالْغَمُّ يَأْخُذُ بِالنَّفْسِ، كَأَنَّ حَبْلًا أُبْرِمَ عَلَيْهَا وَشُدَّ.

وُطِيتَ قَبْلَ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَحْدَاثٌ، وَطُويتَ بَعْدَهُ أَحْدَاثٌ،  
جَاءَ بَيَانُهَا فِي نُصُوصٍ أُخْرَى لِتَكْمِلِ النُّصُوصُ فِيمَا بَيْنَهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّنًا خَبْرًا تَارِيخِيًّا جَاءَ لَاحِقًا، هُوَ أَنَّ الَّذِينَ كَانَتْ  
لَهُمْ خَلَائِفٌ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ مِنْ قَوْمِهِ، كَانُوا جَمِيعًا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ:

● ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ﴾ (٧٧):

أَي: لَمْ يُنْجِبْ أَحَدٌ ذُرِّيَّةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ رَكِبُوا مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ  
وَنَجَوْا مِنَ الْغَرَقِ، غَيْرُ أَوْلَادِهِ.

وَيَذْكُرُ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ الشُّعُوبَ انْحَدَرَتْ مِنْ أَبْنَاءِ نُوحٍ الثَّلَاثَةِ، «سَامَ -  
وَحَامَ - وَيَافَثَ».

قالوا: ف«سَامَ» أَبُو الْعَرَبِ، وَفَارِسَ، وَالرُّومِ.

و«حَامَ» أَبُو السُّودَانِ.

و«يَافَثَ» أَبُو التُّرْكِ، وَالْخَزَرِ «أَي: التَّتَارَ» وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَسَائِرِ  
شُعُوبِ الشَّرْقِ الْأَقْصَى.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّنًا ثَوَابًا تَكْرِيمِيًّا مُعْجَلًا فِي الدُّنْيَا لِنُوحٍ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ، إِذْ شَرَعَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ،  
أَنْ يُحْيِيَهُ بِالسَّلَامِ كُلَّمَا ذَكَرَ اسْمُهُ:

﴿وَرَكَّنَا عَلَيْهِ فِي الْأَخْرَيْنِ﴾ (٧٨) سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمَيْنِ ﴿٧٩﴾:

هَذَا السَّلَامُ هُوَ تَحِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ يَدْعُو بِهَا الْمُرْسَلُونَ وَاتَّبَاعُهُمْ، فَمَنْ

سَلَّمَ عَلَى نوح، أَوْ عَلَى أَيِّ رَسُولٍ أَوْ نَبِيٍّ كُتِبَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، لِأَنَّهُ تَعْلِيمٌ مَشْرُوعٌ أَشْعَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّدْبِ إِلَيْهِ، بِعِبَارَةٍ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ دُونَ عِبَارَةٍ فِيهَا مَعْنَى الْأَمْرِ أَوْ الْإِلْزَامِ. وَجَاءَ عِنْدَ الْمُفْسِّرِينَ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ ثَنَاءً حَسَنًا ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ أَي: فَالْمَفْعُولُ بِهِ مَحْذُوفٌ.

لَكِنَّ التَّعْبِيرَ الْقُرْآنِيَّ يُشْعِرُ بَأَنَّ الْمَتْرُوكَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ هُوَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ الْمَذْكُورَةُ عَلَى الْحِكَايَةِ ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ﴾ وَجَاءَتْ عِبَارَةٌ ﴿فِي الْعَالَمِينَ﴾ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضَ مِمَّنْ يَبْتَغُونَ رِضْوَانَ اللَّهِ، يُحْيَوْنَهُ بِهَذِهِ التَّحِيَّةِ، فيقولون: سَلَامٌ عَلَى نوح، أَوْ عِبَارَةٌ نَحْوَهَا، وَيُحْيَوْنَ بِمِثْلِهَا كُلَّ الرُّسُلِ الَّذِينَ تَرَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِثْلَ هَذَا السَّلَامِ، وَيَقِيسُونَ عَلَيْهِمْ سَائِرَ الرُّسُلِ، مُسْتَفِيدِينَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي آخِرِ السُّورَةِ: ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٧١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٢﴾ فَعَمَّمَ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِمْ، تَعْلِيمًا لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ أَقْوَالِ الرَّسُولِ ﷺ هَذَا التَّسْلِيمِ، عِنْدَ ذِكْرِ بَعْضِ الْمُرْسَلِينَ. مِنْهَا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ حِينَ سُئِلَ عَنْ أَكْرَمِ النَّاسِ:

«الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ، يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ».

وَهَذَا مِنَ الرَّسُولِ ﷺ بَيَانٌ تَطْبِيقِيٌّ نَسْتَفِيدُ مِنْهُ كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَى الرُّسُلِ.

السَّلَامُ: الْبَرَاءَةُ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَمِنْ كُلِّ نَقْصٍ، وَالْعَافِيَّةُ، وَالْأَمْنُ، وَقَدْ اخْتَارَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَكُونَ عِبَارَةً لِلْقَاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِخَاءً، وَتَكْرِيمًا وَإِيْنَسًا، وَدُعَاءً بِالسَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَحَدِّثًا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

● ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾:

أي: إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ جَزَيْنَاهُ بِالنَّجَاةِ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ مِنْ قَبْلِ قَوْمِهِ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ تَحِيَّةً طَيِّبَةً فِي الْآخِرِينَ، سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ، لِأَنَّهُ كَانَ مُحْسِنًا، وَإِنَّا كَذَلِكَ الْجَزَاءِ الَّذِي جَزَيْنَاهُ نُوحًا نَجْزِي سَائِرَ الْمُحْسِنِينَ، فَلِكُلِّ مُحْسِنٍ عِنْدَنَا جَزَاءٌ مُشَابَهُ لِلْجَزَاءِ الْمُعْجَلِ الَّذِي جَزَيْنَاهُ نُوحًا.

الإِحْسَانُ: هُوَ الْمَرْتَبَةُ الْعُلْيَا مِنْ مَرَاتِبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَدُونَهَا مَرْتَبَةُ الْبِرِّ، وَدُونَهَا مَرْتَبَةُ التَّقْوَى، وَلِكُلِّ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ دَرَجَاتٌ كَثِيرَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَلَكِنْ لَا يَرْتَقِي إِلَى مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ أَوْ مَرْتَبَةِ الْبِرِّ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْمُتَّقِينَ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا وَصِدْقًا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِهِ: ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ فَلَا يُؤْمَنُ هُوَ قَاعِدَةُ الْبِنَاءِ الْارْتِقَائِيِّ فِي مَرَاتِبِ الْمُتَّقِينَ، فَالْأَبْرَارُ، فَالْمُحْسِنِينَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

● ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾:

أي: وَبَعْدَ أَنْ أَنْجَيْنَا نُوحًا وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ، إِذْ رَكِبُوا فِي السَّفِينَةِ، وَابْتَعَدُوا عَنْ أَرْضِ قَوْمِهِمْ، وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ مَحْفُوظَةً بِحِفْظِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَخَذَ الْمَاءُ يَتَصَاعَدُ فِي أَرْضِ قَوْمِهِ، وَأَخَذَ كُفَّارُ قَوْمِهِ يَتَسَلَّقُونَ الْمُرْتَفَعَاتِ، وَيَتَابِعُهُمُ الْمَاءُ الْمُتَصَاعِدُ، تَفْجُرًا مِنْ عُيُونِ الْأَرْضِ، وَانْهَمَارًا مِنَ السُّحُبِ فِي السَّمَاءِ، وَسُيُولًا جَارِفَةً عَلَيْهِمْ مِنَ الْجِبَالِ، حَتَّى تَمَّ إِغْرَاقُهُمْ جَمِيعًا، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ إِتِمَامُ إِغْرَاقِهِمْ، بَعْدَ جَرِي السَّفِينَةِ فِي الْمَاءِ الْمُتَصَاعِدِ بَزْمٍ مُتَطَاوِلٍ يَحْسُنُ التَّعْيِيرُ عَنْهُ بِحَرْفِ الْعَطْفِ «ثُمَّ».

هَذَا فَضْلٌ مُقْتَضَبٌ مُوجَزٌ جَدًّا، يَشْتَمِلُ عَلَى ثَمَانِي آيَاتٍ قِصَارٍ،  
لِكِنَّةٍ مَلِيَّةٍ بَيَانِ قَضَايَا ذَاتِ شَأْنٍ فِي الْفِكْرِ الدِّينِيِّ.

وَكَثِيرٌ مِنْ آيَاتِ هَذَا الْفَضْلِ تَصْلُحُ أَمْثِلَةً لِإِيجَازِ الْقِصْرِ، وَبَعْضُهَا  
أَمْثِلَةٌ لِإِيجَازِ الْحذفِ.

وبهذا انتهى تدبرُ الفصل الأول من الدرس الثالث من دروس سورة  
(الصافات). والحمد لله على معونته ومدّهِ وتوفيقه وفتحهِ.



### التدبر التحليلي للفصل الثاني من الدرس الثالث

#### من دروس سورة (الصافات)

#### الآيات من (٨٣ - ١١٣)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ مِنْ شِعْبِهِمْ لِإِبْرَاهِيمَ <sup>(٨٣)</sup> إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ  
سَلِيمٍ <sup>(٨٤)</sup> إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ <sup>(٨٥)</sup> أَتَيْفَاكُمَا إِلَهَةٌ دُونِ اللَّهِ تَرْيَدُونَ  
<sup>(٨٦)</sup> فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ <sup>(٨٧)</sup> فَظَرَّ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ <sup>(٨٨)</sup> فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ  
<sup>(٨٩)</sup> فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ <sup>(٩٠)</sup> فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ <sup>(٩١)</sup> مَا لَكُمْ لَا  
تَنْطِفُونَ <sup>(٩٢)</sup> فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِالْيَمِينِ <sup>(٩٣)</sup> فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُُونَ <sup>(٩٤)</sup> قَالَ اتَّعَبُدُونَ مَا  
نَنْحِتُونَ <sup>(٩٥)</sup> وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ <sup>(٩٦)</sup> قَالُوا ابْنُوا لِمَ بُيِّنَّا فَأَلْفُوهُ فِي الْغَجْرِ  
<sup>(٩٧)</sup> فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ <sup>(٩٨)</sup> وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ  
<sup>(٩٩)</sup> رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ <sup>(١٠٠)</sup> فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ <sup>(١٠١)</sup> فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ  
السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَّبِعُ  
أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ <sup>(١٠٢)</sup> فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ <sup>(١٠٣)</sup>  
وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُمُ <sup>(١٠٤)</sup> قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ <sup>(١٠٥)</sup> إِنَّ  
هَذَا لَهُوَّ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ <sup>(١٠٦)</sup> وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ <sup>(١٠٧)</sup> وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ <sup>(١٠٨)</sup>  
سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ <sup>(١٠٩)</sup> كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ <sup>(١١٠)</sup> إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ <sup>(١١١)</sup>

وَبَشِّرْهُمْ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ وَبَارِكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ  
وَطَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِيتٌ ﴿١٢٣﴾ .

### القراءات:

(٩٤) • قرأ حمزة: [يُزِفُونَ] مِنْ فعل «أَزَفَ» بمعنى: أَسْرَعَ الخطو.

وقرأها باقي القراء العشرة: [يَزِفُونَ] من فعل: «زَفَ، يَزِفُ، زَفًّا»  
بمعنى: أَسْرَعَ الخطو.

فالقراءتان لغتان لمعنى واحد.

(٩٩) • قرأ يعقوب: [سَيَهْدِينِي] بِإِثْبَاتِ يَاءِ المتكلم في الوصل

والوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة بحذف ياء المتكلم في الحالين:  
[سَيَهْدِينِ] وهذا الحذف مألوف في العربية مع ملاحظته ذهنًا.

(١٠٢) • قرأ حفص عن عاصم: [يَا بُنَيَّ] بفتح الياء مُشَدَّدَةً.

وقرأها باقي القراء العشرة بِكسرها مُشَدَّدَةً: [يَا بُنَيَّ].

والقراءتان نُطْقَانِ عَرَبِيَّانِ متكافئتان.

(١٠٢) • فتح ياء المتكلم في الموضعين مِنْ [إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ

أَنِّي أَذْبَحُكَ] نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر.

وأسكنها باقي القراء العشرة في الموضعين أيضًا.

(١٠٢) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [مَاذَا تُرِي]: أي مَاذَا

تُقدِّمُ مِنْ رأيٍ بِشَأْنِ هذه الرؤيا.

وقرأها باقي القراء العشرة: [مَاذَا تَرَى]: أي: مَاذَا تَرَى أَنْتَ لِنَفْسِكَ

بِشَأْنِ هذه الرؤيا.

وبين هَاتَيْنِ الْقِرَاءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي أَدَاءِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ.

(١٠٢) • قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَأَبُو جَعْفَرٍ: [يَا أَبْتَ] بَفَتْحِ التَّاءِ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ: [يَا أَبْتَ] بِكَسْرِ التَّاءِ.

وَهُمَا لُغَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ.

(١٠٢) • فَتَحَ يَاءَ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ: [سَتَحِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ] نَافِعٌ، وَأَبُو

جَعْفَرٌ.

وَأَسْكَنَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ.

(١٠٤) • قَرَأَ السُّوسِيُّ: [الرُّوْيَا].

وَقَرَأَهَا أَبُو جَعْفَرٍ: [الرُّيَا].

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ: [الرُّوْيَا].

وَوَقَفَ حَمْزَةً كَالسُّوسِيِّ، وَأَبِي جَعْفَرٍ.

وَهِيَ وَجُوهٌ مِنَ الْأَدَاءِ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ.

تمهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الْفَصْلِ لِقَطَاتٌ مِنْ قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَسِيرَتِهِ الدَّعْوِيَّةِ وَالْجِهَادِيَّةِ، وَهِيَ تَتَضَمَّنُ تَرْبِيَةً لِلرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَطَمَآنَةً لَهُ بِأَنَّهُ مُؤَيَّدٌ مِنْ رَبِّهِ، وَمَنْصُورٌ لَا مَحَالَةَ، كَمَا نَصَرَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ قَبْلُ.

وَفِي طَمَآنَتِهِ بِعَاقِبَةِ النَّصْرِ إِمَّاخٌ لِأَيِّمَةِ الْكُفْرِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ بِأَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ هُمُ الْمَغْلُوبِينَ.



## التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ (٨٣):

أي: وَإِنَّ مِنْ شِيعَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام.

الشَّيْعَةُ: كُلُّ قَوْمٍ أَوْ جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ لَهُمْ أَمْرٌ وَاحِدٌ هُمْ مُتَّفِقُونَ

عليه، أَوْ لَهُمْ مَذْهَبٌ وَاحِدٌ يَسِيرُونَ عَلَيْهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا فِي زَمَنِ وَاحِدٍ.

دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ مَا زَالَتْ بَقَايَا مِنَ الدِّينِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ

عَلَى نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَوْجُودَةً لَدَى بَعْضِ النَّاسِ، وَلَا سِيَّمَا عَقِيدَةُ

التَّوْحِيدِ، وَبَعْضُ الْعِبَادَاتِ كَالصَّلَاةِ، وَبَعْضُ الْأَخْلَاقِ كَالصَّدْقِ وَالْأَمَانَةِ،

وَبَعْضُ أَنْوَاعِ السُّلُوكِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَالْآدَابِ، وَقَدْ تَلَقَّاهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مِنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ بِهَا فَآمَنَ بِهَا وَالتَّزَمَهَا، فَكَانَ بِذَلِكَ مِنْ شِيعَةِ نُوحٍ،

وَأَتْبَاعَ دِيَانَتِهِ.

وَأَسَالِيْبُهُ الْجَدَلِيَّةُ بَعْدَ ذَلِكَ هِيَ مِنْ نَوْعِ مُجَارَاةِ قَوْمِهِ مُجَارَاةً ظَاهِرَةً،

لِيَنْتَقِلَ مِنْهَا إِلَى نَقْضِ عَقَائِدِهِمُ الشَّرْكَِيَّةِ بِالْحُجَجِ الدَّامِغَةِ، وَإِبْطَالِ اعْتِقَادِهِمْ

فِي رُبُوبِيَّةِ النُّجُومِ وَالْهَيْئَتِهَا، وَإِبْطَالِ عِبَادَاتِهِمْ لِلْأَوْثَانِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام:

• ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٤):

أي: ضَعُ فِي ذَاكِرَتِكَ ابْتِدَاءً أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي أَنَّ إِبْرَاهِيمَ جَاءَ رَبَّهُ بَعْدَ

رِحْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِقَلْبٍ سَلِيمٍ مِنْ كُلِّ مَرَضٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي

تُصِيبُ الْقُلُوبَ، كَالشَّرْكِ، وَالشَّكِّ فِي اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَالْحَسَدِ، وَإِرَادَةِ الشُّوْءِ

وَالشَّرِّ وَالْمَعْصِيَةِ.

وَالْمِرَادُ بِالْقَلْبِ مَرْكَزُ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْإِرَادَةِ الْحُرَّةِ، وَالْمَكْتَسَبَاتِ

الْإِرَادِيَّةِ، ذَوَاتِ الْأَثَارِ النَّفْسِيَّةِ، وَالْآثَارِ السُّلُوكِيَّةِ الظَّاهِرَةِ.

وهذا ثناء من الله جلَّ جلاله، على إبراهيم بعد عبوره رحلة الامتحان، وهي رحلة الحياة الدنيا، قبل الدخول في ذكر اللقطات المختارات من قصته عليه السلام في هذه السورة.

وقد رجَّح لديَّ هذا الفهم نصان آخران جاءا بشأن مجيء العبد إلى ربه بعد موته.

**النص الأول:** قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (ق/ ٣٤ نزول):

﴿وَأَرْسَلْنَا الْجَنَّةَ لِمُنْقِينَ غَيْرِ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَتَّى الرَّحْمَنُ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾.

أي: وجاء ربه يوم الدين بقلب تائب راجع مطيع له.

**النص الثاني:** قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الشعراء/ ٤٧ نزول) في حكاية دعاء إبراهيم عليه السلام لربه:

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

وقد سبق تدبر هذين النصين في مواضعهما، فمن الظاهر أن نفهم الآية من سورة (الصافات) على الوجه الذي في سورتي (ق) و(الشعراء).

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضاً:

• ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَبِكُلِّ عِلَةٍ غَوَّيْتُمْ أَوْ لَكُمْ إِلَهَةٌ غَيْرُ اللَّهِ تَرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾:

شروع في عرض اللقطات المختارات من قصته عليه السلام، لهذه السورة ومقتضياتها إبان التنزيل.

سبق في سورة (الأنعام/ ٥٥ نزول) بيان دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر، وسبق أيضاً بيان لقطات من قصته في نجوم التنزيل قبل

(الأنعام) سَبَقَ تَدَبُّرُهَا، وَسَتَأْتِي فِي سُورٍ كَثِيرَةٍ لَقَطَاتٌ مِنْ قِصَّتِهِ، وَهِيَ تَحْتَاجُ دِرَاسَةً تَكَامُلِيَّةً تَدَبُّرِيَّةً فِي مُلْحَقِ أَسْأَلِ اللَّهِ أَنْ يُعِينَنِي عَلَيْهِ، لِيَكُونَ مُلْحَقاً مِنْ مَلَاحِقِ تَدَبُّرِ سُورَةٍ مِنَ السُّور.

قَوْلُهُ تَعَالَى:

• ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (٨٥) ؟:

أي: ضَعُ في ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي جِهَادَ إِبْرَاهِيمَ الدَّعَوِيِّ، حِينَ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مُسْتَنْكَرًا مُتَتَقِدًا بِشِدَّةِ عِبَادَتِهِمْ أَوْثَانًا هُمْ يَنْحِتُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ، لَا تَسْمَعُ وَلَا تُجِيبُ وَلَا تَعْقِلُ، وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ.

﴿مَاذَا؟﴾ مُرَكَّبَةٌ مِنْ «مَا» الاستفهامية، و«ذَا» الموصولة الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى «الَّذِي» أَي: مَا الَّذِي تَعْبُدُونَ، والاستفهام استنكاريٌّ تَلْوِيْمِي، مع مَا فِيهِ مِنْ إِظْهَارِ الْعَجَبِ الشَّدِيدِ مِنْ سَفَاهَتِهِمْ وَنَقْصِ عُقُولِهِمْ.

وَجَوَابُ سُؤَالِهِ لَهُمْ، جَاءَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ (الشُّعَرَاءِ/ ٤٧ نزول):

﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُنُّهَا عَدَكِينًا﴾ (٧١) .

فَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ:

﴿.. هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ﴾ (٧٢) أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ (٧٣) .

فَقَالُوا لَهُ: لَا ﴿.. بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٧٤) .

هُنَا يَأْتِي قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي (الصافات) الَّتِي تَدَبَّرُهَا، حِكَايَةً لِمَا رَدَّ بِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام:

• ﴿أَيُّهَا إِلَهَةُ دُونِ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (٨٦) ؟:

الإِفْكَ: الكَذِبُ قَوْلًا كَانَ أَوْ عَمَلًا، فَمَنْ صَنَعَ صَنَمًا وَجَعَلَهُ إِلَهًا يَعْْبُدُهُ، فَقَدْ عَمِلَ كَذِبًا، لِأَنَّهُ يَجْعَلُ مَا لَيْسَ لَهُ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَلَا مِنَ الإِلَهِيَّةِ شَيْءً، إِلَهًا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

**فالمعنى:** اتَّخِذُونَ أَصْنَامًا وَتَجْعَلُونَهَا إِلَهَةً تُعْبُدُ إِفْكَاً وَكَذِباً عَلَى اللَّهِ، الَّذِي لَهُ وَحْدَهُ فِي كُلِّ الْوُجُودِ الرَّبُّوبِيَّةِ، فَلَهُ وَحْدَهُ الْإِلَهِيَّةِ. وَتُرِيدُونَ بِعِبَادَتِكُمْ لَهَا أَنْ تَجْلِبَ لَكُمْ نَفْعًا، أَوْ تَدْفَعَ عَنْكُمْ ضَرًّا.

وأصل العبارة على ما أفهم: أَتُرِيدُونَ جَلْبَ نَفْعٍ أَوْ دَفْعَ ضَرٍّ، بِعِبَادَةِ أَصْنَامٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ، تَتَّخِذُونَهَا إِلَهَةً إِفْكَاً وَكَذِباً.

حُذِفَ الْفِعْلُ النَّاصِبُ [لِإِفْكَآ إِلَهَةً]. وَحُذِفَ مَعْمُولُ: [تُرِيدُونَ] أَي: جَلْبَ نَفْعٍ أَوْ دَفْعَ ضَرٍّ، وَنَظِيرُ هَذَا الْحَذْفِ مَأْلُوفٌ فِي الْقُرْآنِ. إِنَّ هَذَا الْعَمَلَ مِنْكُمْ سَفَاهَةٌ وَنَقْصٌ فِي الْعَقْلِ، وَكُفْرٌ بِحَقِّ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ:

• ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٧):

أَي: فَمَا ظَنُّكُمْ الَّذِي تَظُنُّونَهُ بِرَبِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ جَمِيعًا، الْقَادِرِ عَلَى الْإِبْجَادِ وَالْإِعْدَامِ، وَالْجَزَاءِ وَالْعِقَابِ وَالْإِنْتِقَامِ، وَالَّذِي هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْقَدِيرُ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَالَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ؟؟

أَتَظُنُّونَ أَنَّهُ سَيَغْفِرُ لَكُمْ عِبَادَتَكُمْ لِعَیْرِهِ، وَأَنْ تَجْعَلُوا لَهُ شَرِيكًا مِمَّا خَلَقَ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ، كَمَا أَنَّكُمْ مَخْلُوقُونَ لَهُ، وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ سِوَى اللَّهِ هُوَ مَخْلُوقٌ وَمَرْبُوبٌ لِلَّهِ دَوَامًا؟؟.

أَتَظُنُّونَ أَنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ غَيْرُ عَالِمٍ بِمَا تَصْنَعُونَ، وَبِمَا فِي أَنْفُسِكُمْ تُضْمِرُونَ؟.

أَتَظُنُّونَ أَنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا يُحْصِي عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ الْإِرَادِيَّةَ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، وَلَا يُحَاسِبُكُمْ وَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا يَوْمَ الدِّينِ؟.

اسْتَعْمَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ التَّعْيِيرَ بِالظَّنِّ هُنَا، لِأَنَّ قَوْمَهُ لَا يَمْلِكُونَ ظَنًّا مُؤَيَّدًا بِدَلِيلٍ مَا، يَخَالِفُ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَنَبَذَ الشِّرْكَ، وَالتَّزَامَ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ.

أَمَّا عِبَادَتُهُمْ لِإِلَهَتِهِمْ فَهِيَ عَقَائِدُ خُرَافِيَّةٌ تَقْلِيدِيَّةٌ، لَا يَقْتَرِنُ بِهَا ظَنٌّ مَقْبُولٌ فِي أَذْهَانِ الْعُقَلَاءِ، بَلْ هِيَ أَوْهَامٌ صَارَتْ عَقَائِدَ بِالتَّقْلِيدِ الْأَعْمَى.

وَبَعْدَ أَنْ جَاهَدَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ جِهَادًا دَعَوِيًّا لِيَنْبِذُوا شِرْكَهُمْ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ، وَكَانَ فَتًى مُكْتَمِلَ الْقُوَّةِ، ذَا عَزِيمَةٍ وَنَشَاطٍ، وَتَرَقَّبَ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ أَعْيَادِ قَوْمِهِ، إِذْ يَخْرُجُونَ مِنْ مَدِينَتِهِمْ إِلَى مَكَانٍ جَامِعٍ يَلْتَقُونَ فِيهِ، وَيَلْهَوْنَ وَيَلْعَبُونَ، فَدَعَا إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُمْ غَدًا، فَأَرَادَ أَنْ يَكِيدَ فِي يَوْمِ عِيدِهِمْ أَصْنَامَهُمْ فِي مَعْبَدِهَا الْمُخَصَّصِ لَهَا، فَيَحْطَمَهَا إِلَّا كَبِيرَهَا؛ فِيلْزَمُهُمُ الْحِجَّةَ فِي أَنَّهَا لَا تَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ.

• ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾:

حَرَكَهَ ذَكِيَّةٌ بَارِعَةٌ، أَوْهَمَ بِهَا مَنْ حَوْلَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ، أَنَّهُ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ فِي النَّظَرِ إِلَى حَرَكَاتِ النُّجُومِ، دُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إِنِّي اسْتَطَلَعْتُ حَرَكَاتَهَا، وَأَتَّبَعْتُ هَذِهِ الْحَرَكَهَ بِقَوْلِهِ لَهُمْ: إِنِّي سَقِيمٌ، أَي: مَرِيضٌ، وَمَرَضِي يَمْنَعُنِي مِنْ أَنْ أَخْرُجَ مَعَكُمْ فِي يَوْمِ عِيدِكُمْ.

فَتَوَهَّمُوا أَنَّهُ اسْتَطَلَعَ مِنَ النَّظَرِ إِلَى النُّجُومِ أَنَّهُ سَيَكُونُ غَدًا سَقِيمًا، يَمْنَعُهُ سَقَمُهُ مِنَ الْخُرُوجِ مَعَهُمْ لِيَلْهَوْا وَيَلْعَبُوا فِي يَوْمِ عِيدِهِمْ.

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنِّي سَقِيمٌ»، هِيَ إِحْدَى الْكَذَبَاتِ الثَّلَاثِ اللَّاتِي احْتَسَبَهَا عَلَى نَفْسِهِ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ<sup>(١)</sup>، مَعَ أَنَّ ثُنَيْتَيْنِ مِنْهَا كَانَتَا فِي ذَاتِ اللَّهِ، وَهُمَا قَوْلُهُ: «إِنِّي سَقِيمٌ».

(١) انظر حديث الشفاعة في الصفحات من (٤١٤ - ٤١٦) من المجلد (٨) الملحق الثاني: «حول الشفاعة يوم الدين وأنواعها».

وقوله: «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا». أمّا الثالثة فَقَوْلُهُ لِلْمَلِكِ حِينَ أَرَادَ امْرَأَتَهُ «سَارَةَ»: هِيَ أُخْتِي، يَعْنِي أُخْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، إِذْ مِنْ عَادَةِ هَذَا الْمَلِكِ أَنْ يَقْتُلَ أَزْوَاجَ مَنْ تُعْجِبُهُ مِنَ النِّسَاءِ، كَمَا سَيَأْتِي فِي ص ٦٠٧.

فَقَبِلْتُ عَشِيرَتَهُ عُذْرَهُ، وَخَرَجُوا مَعَ النَّاسِ إِلَى عِيدِهِمْ، وَبَقِيَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَدِينَةِ لَا يُرَاقِبُهُ فِيهَا أَحَدٌ.

• ﴿فَنَوَلُّوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ (٩١):

﴿فَنَوَلُّوا﴾: أَي: فَخَرَجَ أَهْلُهُ وَعَشِيرَتُهُ نَائِبِينَ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ هُوَ فِيهِ فِي الْمَدِينَةِ.

التولي: يَأْتِي بِمَعْنَى الْإِدْبَارِ، وَبِمَعْنَى الْإِبْتِعَادِ.

﴿مُدْبِرِينَ﴾: حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ لِمَعْنَى الْإِدْبَارِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقْعَ فِي ظَنِّهِمْ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ شَيْئاً فِي غِيَابِهِمْ مِمَّا يَكْرَهُونَ، بَلْ سَيَجْلِسُ جِلْسَةَ السَّقِيمِ فِي بَيْتِهِ، فَلَمْ يَتْرَكُوا رَقِيباً يُرَاقِبُهُ، بَلْ كَانُوا جَمِيعاً مُدْبِرِينَ.

أُدْبِرَ: أَي: جَعَلَ ظَهْرَهُ إِلَى جِهَةِ مَنْ أَدْبَرَ عَنْهُ.

فَلَمَّا اِظْمَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَنَّ الْمَدِينَةَ فَرَعَتْ مِنْ أَهْلِهَا، وَلَا مُرَاقِبَ فِيهَا يُرَاقِبُهُ، أَسْرَعَ إِلَى تَنْفِيزِ خُطَّتِهِ الَّتِي رَسَمَهَا فَأَسْرَعَ بِخِفَّةِ الْفَتَى الْقَوِي إِلَى بَيْتِ أَصْنَامِهِمْ:

• ﴿فَرَاغَ إِلَهُ إِلَهُهُمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطُقُونَ ﴿٩٢﴾.

﴿فَرَاغَ﴾: أَي: فَأَسْرَعَ بِخِفَّةٍ وَنَشَاطٍ يَسِيرُ يَمِيناً وَشَمَالاً، وَيَحْذَرُ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَيْتِ أَصْنَامِهِمْ.

فَقَدَّمَ لِلْأَصْنَامِ طَعَاماً، فَقَالَ لَهُمْ: أَلَا تَأْكُلُونَ؟ خَاطَبَهَا بِخَطَابِ الْجَمَاعَةِ الذُّكُورِ، إِذْ هِيَ عَلَى صُورِ ذُكُورٍ.

وَحَادَثَ الْأَصْنَامَ فَلَمْ تُجِبْهُ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا لَكُمْ لَا تَنْطُقُونَ؟ سُخْرِيَّةٌ

بِهِمْ وَاحْتِقَاراً لَهُمْ، إِذْ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا حِجَارَةٌ لَا حَيَاةَ لَهَا فَهِيَ لَا تَتَكَلَّمُ، وَإِنَّمَا نَحْتَهَا السُّفَهَاءُ عَلَى صُورِ أَحْيَاءٍ، وَصَارُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

وَهُنَا ثَارَ غَضَبُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَبِّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَعَزَمَ عَلَى تَحْطِيمِهَا بِأَدَاةٍ حَدِيدِيَّةٍ، أَوْ كَانَ هُوَ ذَا قُوَّةٍ فَائِثَةٍ، وَكَانَتْ يَدُهُ ذَاتَ قُدْرَةٍ عَلَى تَكْسِيرِ الْحِجَارَةِ دُونَ أَدَاةٍ حَدِيدِيَّةٍ.

• ﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ (٩٣):

أَي: فَأَسْرَعَ بِخَفَّةٍ وَحِدَةٍ وَنَشَاطٍ يَضْرِبُهَا ضَرْبًا قَوِيًّا بِيَدِهِ الْيَمِينِ، فَهِيَ الْيَدُ الْأَقْوَى عِنْدَهُ، وَهِيَ الْيَدُ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا فِي الْأُمُورِ الشَّرِيفَةِ، كَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْقِتَالِ، عَلَى وَفْقِ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ.

فَكَسَرَهَا إِلَّا وَثَنًا كَبِيرًا فِيهَا، فَجَعَلَهَا جُذَاذًا، أَي: قِطْعًا مُكَسَّرَةً، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٢١ مصحف/ ٧٣ نزول) بِشَأْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَكْسِيرِهِ أَصْنَامَ قَوْمِهِ:

• ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٨):

فَلَمَّا رَجَعُوا مِنْ عِيدِهِمْ وَجَدُوا إِلَهَتَهُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ مُكَسَّرَةً، إِلَّا الصَّنَمَ الْكَبِيرَ مِنْهَا، وَاشْتَدَّ غَضَبُ الْقَوْمِ مِمَّنْ كَسَرَ إِلَهَتَهُمْ، فَتَسَاءَلُوا: مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْإِلَهَتِنَا، وَهُنَا يَأْتِي التَّكْمِيلُ فِي سُورَةِ الْأنبياء/ ٧٣ نزول):

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهَتِنَا يَبْنَـٰ رَبِّهِمْ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَشَكُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا إِلَهَتَكُمْ إِنْ

كُنْتُمْ فَعَلَيْكُمْ ﴿٧٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٨٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ .

كُلُّ هَذَا الَّذِي جَاءَ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٧٣ نزول) قَدْ اقْتُطِعَ مِنَ الْقِصَّةِ فِي سُورَةِ (الصَّافَّات) وَجِيءَ مِنْهَا بِمُخْتَزَلٍ، وَفَقَ الْمُنْهَجِ الْقِرْآنِي فِي التَّوْزِيعِ التَّكَامُلِيِّ فِي السُّورِ لِعَرْضِ الْقِصَصِ فِيهِ .

وَأَتَابِعُ مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الصَّافَّات):

• ﴿فَاقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾ ﴿٩٤﴾: أي: فَأَقْبَلَ قَوْمُهُ إِلَيْهِ يُسْرِعُونَ. يُقَالُ لُغَةً: «زَفَ، يَزِفُ، زَفًا، وَزَفُوفًا، وَزَفِيفًا» أي: أَسْرَعَ. وَيُقَالُ أَيْضًا: «أَزَفَ، يُزِفُ» بِمَعْنَى: أَسْرَعَ، وَعَلَى هَذَا الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى: «يُزْفُونَ» .

لَقَدْ أَسْرَعُوا إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ قَالَ قَائِلُونَ مِنْهُمْ: سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُ آلِهَتَنَا بِسُوءٍ، فَهُوَ الْمَتَّهَمُ بِتَكْسِيرِهَا .

وُطُوِي هُنَا مَا جَاءَ مُفَصَّلًا فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٧٣ نزول) وَفَقَرَ النَّصُّ هُنَا إِلَى بَيَانِ مُنَاقَشَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ بِشَأْنِ آلِهَتِهِمْ مِنَ الْأَصْنَامِ:

• ﴿قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾!؟

أي: قَالَ لِقَوْمِهِ مُجَاهِدًا جِهَادًا دَعْوِيًّا بِشَجَاعَةٍ تَامَّةٍ، وَبِأَسْلُوبِ الْاسْتِفْهَامِ الْاسْتِنكَارِيِّ التَّلْوِيْمِيِّ الَّذِي فِيهِ تَسْفِيهُ لِعُقُولِهِمْ: اتَّعْبُدُونَ حِجَارَةً وَصُحُورًا أَنْتُمْ تَنْحِتُونَهَا وَتُصَوِّرُونَهَا عَلَى صُورِ أَحْيَاءٍ، وَتَجْعَلُونَهَا شَرِيكَةً لِلَّهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ، مَعَ أَنَّهُ خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ كُلَّ مَا تَعْمَلُونَ، وَمِمَّا تَعْمَلُونَ أَصْنَامَكُمْ الَّتِي تَنْحِتُونَهَا، أَفَتَعْبُدُونَ الْمَخْلُوقَ الَّذِي لَا إِلَهِيَّةَ لَهُ وَتَجْعَلُونَهُ شَرِيكًا لِلْخَالِقِ فِي إِلَهِيَّتِهِ؟!؟

إِنَّ عِبَادَتَكُمْ لِأَصْنَامِكُمْ سَفَاهَةٌ مَا دُونَهَا سَفَاهَةٌ .



فَلَمَّا غَلَبَهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْحُجَّةِ، وَلَمْ يَجِدُوا لِأَنْفُسِهِمْ حُجَّةً مَّقْبُولَةً فِي الْعُقُولِ يَحْتَجُّونَ بِهَا، رَأَوْا أَنْ يَتَخَلَّصُوا مِنْهُ بِالتَّحْرِيقِ الْعَلَنِيِّ نَصْرَةً لِّلَّهِتِهِمْ، وَهُنَا يَأْتِي مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٧٣ نزول):

• ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

وَتَشَاوَرَ مَلَأَ قَوْمِهِ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي يُحَرِّقُونَهُ بِهَا، وَهُنَا يَأْتِي مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الصافات/ ٥٦ نزول):

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾:

أي: اسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ بَعْدَ التَّشَاوُرِ عَلَى أَنْ يَبْنُوا بُيُوتًا، كَجِدَارٍ دَائِرِيٍّ، يُرَى مِنْ أَعْلَاهُ كَبِيرٌ مَطْوِيَّةٌ، وَيَمْلَأُوهَ حَطَبًا، وَيُوقِدُوا هَذَا الْحَطَبَ حَتَّى يَكُونَ جَمْرًا وَنَارًا مُلْتَهَبَةً، وَأَنْ يُلْقُوهُ فِيهَا بِحُضُورِ جَمَاهِيرِ قَوْمِهِمْ، لِيَكُونَ عِبْرَةً لِمَنْ يَعْتَبِرُ، فَفَعَلُوا.

البحيم: كُلُّ نَارٍ عَظِيمَةٍ فِي مَهَوَةٍ فَهِيَ جَحِيمٌ.

وَهُنَا يَأْتِي قَوْلُ اللَّهِ الَّذِي جَاءَ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٧٣ نزول):

﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

أي: وَأَرَادُوا بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ مَا يُلْغِيهَا بِتَحْرِيقِهِ وَيَمْنَعُ انْتِشَارَهَا، فَلَمَّا جَعَلْنَا النَّارَ بَارِدَةً عَلَيْهِ، وَخَرَجَ مِنْهَا سَالِمًا لَمْ يَمَسَّهُ مِنْ حَرَارَةِ النَّارِ شَيْءٌ، كَانَ مَنْ دَبَّرُوا لَهُ كَيْدَ التَّحْرِيقِ هُمُ الْأَخْسَرِينَ، إِذْ أَخَذَتْ مَشَاعِرُ جَمَاهِيرِ قَوْمِهِ تَعْتَقِدُ بَطْلَانَ الشَّرِّكَ، وَفَسَادَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَإِنْ بَقِيَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ الْقَائِمَةِ يَوْمَئِذٍ وَثْنِيًّا.

وَجَاءَ فِي سُورَةِ (الصافات/ ٥٦ نزول):

• ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾:

أَي: فَجَعَلْنَاهُمْ الْمَغْلُوبِينَ الَّذِينَ سَقَطُوا إِلَى الْأَسْفَلِ فِي الصَّرَاحِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالسَّاقِطُ إِلَى الْأَسْفَلِ بَيْنَ الْمُتَصَارِعِينَ هُوَ الْمَغْلُوبُ الْخَاسِرُ الْمَخْزِيُّ الدَّلِيلُ الْمُحْتَقَرُ.

وَإِذْ بَقِيَ سُلْطَانُ الدَّوْلَةِ الْكَافِرَةِ فِي الْحُكْمِ، وَأَدَّى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَظِيفَتُهُ الدَّعْوِيَّةَ عَلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ، وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَوْ أذنَ لَهُ بِأَنْ يُهَاجِرَ، قَالَ: اللَّهُمَّ قَدْ بَلَغْتَ الرِّسَالَةَ، وَنَصَحْتَ الْأُمَّةَ، إِذْ جَاءَ الْعُطْفُ التَّالِي بِالْوَاوِ عَلَى مَطْوِيٍّ، وَهَذَا أَوْلَى مَا يَقُولُهُ.

• ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ (٩٩):

أَي: وَقَالَ لِعَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَرْضٍ غَيْرِ أَرْضِكُمْ أَهَاجِرُ إِلَيْهَا، يَخْتَارُهَا لِي رَبِّي.

قَالُوا: هَلْ تَعْرِفُهَا؟ قَالَ: سَيَهْدِينِي رَبِّي الَّذِي أَمَرَنِي بِالْهَجْرَةِ أَوْ أذنَ لِي بِهَا.

فَهَاجَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ وَبَعْضُ أَهْلِهِ، وَمِمَّنْ هَاجَرَ مَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ «لُوطٌ» عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، وَانْتَهَتْ بِهِ هَجْرَتُهُ بَعْدَ مَرَّاحِلَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا لِلْعَالَمِينَ، وَهِيَ أَرْضُ فَلَسْطِينَ، وَنَجَّاهُ وَنَجَّى لُوطًا مَعَهُ مِنْ شُرُورِ قَوْمِهِ وَمَكَايِدِهِمْ.

وَهُنَا يَأْتِي قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءِ/ ٧٣ نَزُول):

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ (٧٣).

وَكَانَتْ «سَارَةَ» زَوْجَةَ «إِبْرَاهِيمَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ عَقِيمًا لَا تُنْجِبُ ذُرِّيَّةً، فَرَغِبَ أَنْ تَكُونَ لَهُ ذُرِّيَّةً، فَدَعَا رَبَّهُ قَائِلًا، كَمَا فِي (الصَّافَات):

• ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠٠):

أَي: رَبِّ هَبْ لِي وَلَدًا مِّنْ ذُرِّيَّتِي يَكُونُ صَالِحًا مِّنَ الصَّالِحِينَ.

فَجَرَتْ أَحْدَاثٌ فِي رِحْلَاتِهِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ مَرَّ عَلَى أَرْضٍ فِيهَا مَلِكٌ جَبَّارٌ، إِذَا أَبْلَغَهُ جُنُودُهُ بِامْرَأَةٍ حَسَنَاءَ اضْطَفَّاهَا لِنَفْسِهِ، فَإِذَا كَانَ لَهَا زَوْجٌ قَتَلَهُ وَاضْطَفَّاهَا لِنَفْسِهِ، فَأَبْلَغَهُ جُنُودُهُ، بِوُجُودِ امْرَأَةٍ حَسَنَاءَ هِيَ «سَارَةُ» زَوْجَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاسْتَدْعَاهُمَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ إِلَى قَصْرِهِ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِذَا سَأَلَكَ عَنِّي فَقُولِي هُوَ أَخِي، وَأَنَا أَيْضًا أَقُولُ: إِذَا سَأَلَنِي أَنْتِ أُخْتِي، فَلَمَّا التَّقَاهُمَا قَالَ: هِيَ أُخْتِي وَقَالَتْ: هُوَ أَخِي، فَأَدْخَلَهَا الْمَلِكُ إِلَى حَيْثُ يَبْتَغِي بِهَا الْفَاحِشَةَ، وَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُصَلِّي، وَيَدْعُو رَبَّهُ أَنْ يَعِصِمَهَا مِنْهُ، فَلَمَّا أَرَادَ الْمَلِكُ أَنْ يَمَسَّهَا عَصَمَهَا اللَّهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِعِلٍّ نَزَلَتْ بِهِ كَادَتْ تَقْتُلُهُ، فَسَأَلَهَا أَنْ تَدْعُو لَهُ وَهُوَ يَكْفُ عَنْهَا، فَدَعَتْ لَهُ، فَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ مَا نَزَلَ بِهِ، فَأَهْدَاهَا هَدَايَا، وَصَرَفَهَا، وَكَانَ مِنْ هَدَايَاهُ لَهَا أَنْ أَعْطَاهَا «هَاجِرَ» الْمِصْرِيَّةَ خَادِمَةً، فَأَهْدَتْهَا هِيَ لِزَوْجِهَا لِيُنْجِبَ مِنْهَا.

فَدَخَلَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُنَا يَأْتِي مَوْقِعُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي (الصَّافَّاتِ) عَطْفًا بِالْفَاءِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى التَّرْتِيبِ مَعَ التَّعْقِيبِ:

● ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعِلْمٍ حَلِيمٍ﴾ (١١١): فَحَقَّقَ اللَّهُ الْبَشْرَى، فَوَلَدَتْ هَاجِرُ الْغُلَامَ الْحَلِيمَ فَسَمَّاهُ «إِسْمَاعِيلَ» وَهُوَ اسْمُ عِبْرِيٍّ مَعْنَاهُ «يَسْمَعُ اللَّهُ» وَكَانَ أَوَّلَ ذُرِّيَّةٍ وَهَبَهَا اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَهُنَا جَرَتْ أَحْدَاثٌ نَقَلَهُ مَعَ أُمِّهِ «هَاجِرَ» إِلَى أَرْضِ مَكَّةَ، وَكَانَتْ وَادِيًّا لَا زَرْعَ فِيهِ، وَبِأَمْرِ اللَّهِ تَرَكَ الطِّفْلَ وَأُمُّهُ عِنْدَ مَكَانِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَقَدْ مَضَى فِي تَدْبِيرَاتٍ سَابِقَاتٍ بَيَانُ مُوجَزٍ مِنْ قِصَّةِ الْأُمِّ «هَاجِرَ» وَابْنِهَا «إِسْمَاعِيلَ» وَسَتَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَفْصِيلَاتٍ أَوْسَعُ.

الْغُلَامُ: هُوَ فِي اللُّغَةِ الصَّبِيُّ مُنْذُ وَلَادَتِهِ وَحَتَّى سِنَّ الْبُلُوغِ.

الْحَلِيمُ: هُوَ ذُو الْأَنَاقَةِ، الْقَادِرُ عَلَى ضَبْطِ نَفْسِهِ عِنْدَ الْغَضَبِ، أَوْ عِنْدَ

حُلُولٍ مَكْرُوهٍ، وَهُوَ الَّذِي يَعْقِلُ بِإِرَادَةِ قَوِيَّةٍ نَوَازِعَ نَفْسِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَغْفُو وَيَصْفَحُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَأْتٍ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦٧﴾﴾:

أي: فَوَهَبْنَاهُ الْغُلَامَ الْحَلِيمَ الَّذِي بَشَّرْنَاهُ بِهِ، وَنَشَأَ الْغُلَامُ إِسْمَاعِيلُ نَشْأَةً صَالِحَةً فِي وَادِي مَكَّةَ، عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَكَانَ أَبُوهُ يَتَعَهَّدُ زِيَارَتَهُ حِينًا فَحِينًا، وَلَمَّا بَلَغَ «إِسْمَاعِيلُ» السَّنَ اللَّتِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْعَىٰ فِيهَا مَعَ إِبْرَاهِيمَ مُجَاهِدَيْنِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَتَعْلِيمِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ اللَّتِي نَشَأَ فِيهَا إِسْمَاعِيلُ أُسِّسَ الْإِيمَانُ وَأَحْكَامَ السُّلُوكِ وَفَضَائِلَ الْأَخْلَاقِ وَالْأَدَابِ.

أَصْلُ السَّعَى: الْعَدُوُّ، وَهُوَ فَوْقَ الْمَشْيِ الْعَادِيِّ، وَيُفِيدُ مَعْنَى الْهِمَّةِ فِي الْعَمَلِ بِجِدٍّ وَنَشَاطٍ.

لَمَّا بَلَغَ «إِسْمَاعِيلُ» عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذِهِ السَّنَ، وَكَانَ أَبُوهُ عِنْدَهُ فِي مَكَّةَ فِي إِحْدَى زِيَارَاتِهِ لَهُ قَالَ لَهُ: ﴿يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ﴾: أي: يَا بَنِيَّ إِنَّ رُؤْيَا تَتَكَرَّرُ عَلَيَّ فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّي مَأْمُورٌ مِنَ اللَّهِ بِأَنْ أَذْبَحَكَ.

دَلَّ عَلَى تَكَرُّارِ الرُّؤْيَا اسْتِعْمَالُ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ ﴿أَرَىٰ﴾ وَلَوْ كَانَتْ رُؤْيَا وَاحِدَةً لَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ.

• ﴿فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾: وَفِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى: [فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرِي] أي: فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَى أَنْتَ لِنَفْسِكَ، وَأَنْظُرْ مَاذَا تُقَدِّمُ لِي مِنْ رَأْيٍ: فَأَسْرَعَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُبِينًا لِأَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا رَأَى.

• ﴿قَالَ يَتَأْتٍ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

فَهُمْ «إِسْمَاعِيلُ» عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الرُّؤْيَا تَتَّصِمُنْ تَكْلِيفًا رَبَّانِيًّا يَا مَرْءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَذْبَحَ وَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي صَارَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَسْعَى مُجَاهِدًا مَعَ أَبِيهِ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَتَبْلِيغِ الدِّينِ الَّذِي اضْطَفَاهُ لِعِبَادِهِ، فَقَالَ لَهُ: ﴿يَا بَنِيَّ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ وَطَمَأَنَ الْابْنُ أَبَاهُ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ طَائِعًا مُسْتَسْلِمًا مُسْتَجِيبًا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَبَأَنَّهُ سَيَكُونُ صَابِرًا مِنْ أَهْلِ الْإِحْسَانِ الصَّابِرِينَ، إِذْ كَانَ قَدْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ الْاسْتِعْدَادَ لِلْاسْتِسْلَامِ التَّامِّ، وَلَكِنْ عَلَّقَ أَمْرَ صَبْرِهِ عَلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ، التَّزَامًا بِالْوَاجِبِ الدِّينِيِّ فِي الْوَعْدِ بِعَمَلِ مُسْتَقْبَلِيٍّ، وَاسْتِعَانَةً بِاللَّهِ وَتَوَكُّلاً عَلَيْهِ، حَتَّى يُمِدَّهُ بِالصَّبْرِ، فَقَالَ لِأَبِيهِ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ وَقَدَّمَ التَّغْلِيْقَ عَلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ عَلَى الْوَعْدِ بِالصَّبْرِ، لِأَنَّ التَّغْلِيْقَ عَلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ مُرْتَبِطٌ مُبَاشَرَةً بِالْإِيمَانِ، أَمَّا الصَّبْرُ فَهُوَ مَطْلُوبٌ فِي السُّلُوكِ مِنْ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ.

وَحِينَ اطْمَأَنَّ الْأَبُ «إِبْرَاهِيمُ» إِلَى أَنَّ الْابْنَ «إِسْمَاعِيلَ» سَيَكُونُ مُسْتَسْلِمًا كَامِلَ الْاسْتِسْلَامِ لِقِيَامِ أَبِيهِ بِذَبْحِهِ طَاعَةً لِأَمْرِ اللَّهِ، وَأَسْلَمَ «إِبْرَاهِيمُ» أَمْرَهُ لِرَبِّهِ كَابِحًا كُلَّ عَوَاطِفِهِ نَحْوَ وَلَدِهِ، حِينَئِذٍ أَقْدَمَ الْأَبُ لِلْقِيَامِ بِذَبْحِ وَلَدِهِ، وَاسْتَجَابَ الْابْنُ لِأَمْرِ:

• ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (١١٣):

أَي: فَلَمَّا أَسْلَمَ الْأَبُ وَالْابْنُ أَمْرَهُمَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، طَاعَةً لَهُ، وَامْتِثَالًا لِأَمْرِهِ الَّذِي جَاءَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رُؤْيَا مَنَامِيَّةٍ، فَرُؤْيَا الرُّسُلِ حَقُّ.

وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ: أَي: أَلْقَى الْأَبُ «إِبْرَاهِيمُ» الْابْنَ «إِسْمَاعِيلَ» عَلَيْهِمَا السَّلَامَ عَلَى عُنُقِهِ وَخَدِّهِ، وَجَعَلَ جَبِينَهُ أَي: أَحَدَ جَانِبَيْ جَبْهَتِهِ عَلَى الْأَرْضِ، وَقَبَضَ عَلَى مِقْبَضِ سِكِّينِهِ لِيُنْفِذَ الْأَمْرَ الرَّبَّانِيَّ. وَفِي «التَّلِّ» مَعْنَى الشَّدَّةِ، كَمَا يَتْلُ الْمَصَارِعُ نَدَّهُ.

وَكَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ إِذْ أَسْلَمَا وَأَطَاعَا، وَأَتَمَّا امْتِحَانَهُمَا بِنَجَاحٍ بَاهِرٍ،  
أَنْ يُوقِفَ اللَّهُ التَّنْفِيزَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي تَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ أَنْ يَذْبَحَ الْوَالِدُ الرَّحِيمُ  
وَلَدَهُ الْحَلِيمَ، إِنَّمَا كَانَ الْعَرَضُ امْتِحَانَهُمَا، وَقَدْ نَجَحَا فِيهِ نَجَاحًا عَظِيمًا،  
أَوْقَفَ اللَّهُ تَنْفِيزَ الذَّبْحِ، وَهَذَا فِيمَا أَرَى جَوَابُ «لَمَّا» الْمَطْوِيِّ فِي الْمَثَانِي.  
■ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

• ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُ إِبرَاهِيمُ﴾ (١١٤) قَدْ صَدَقَتْ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ  
(١١٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْأَمِينُ ﴿١١٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١١٧﴾:

إِنَّ إِيقَافَ تَنْفِيزِ الذَّبْحِ بِأَمْرِ رَبَّانِيٍّ، رُبَّمَا كَانَ مُوجَّهًا مِنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ، تَبِعَهُ نِدَاءٌ، تَفْسِيرُهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَقَتْ الرُّؤْيَا، أَيُّ: إِنَّ  
التَّكْلِيفَ فِي الرُّؤْيَا كَانَ ذَا حَدٍّ يَقِفُ قَبْلَ تَنْفِيزِ الذَّبْحِ بِإِدْخَالِ حَدِّ السَّكِينِ  
فِي الْمَذْبَحِ مِنَ الرَّقَبَةِ، وَقَدْ طَابَقَ مَا فَعَلَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا جَاءَ فِي  
الرُّؤْيَا التَّكْلِيفِيَّةِ فَصَدَّقَهُ، وَبِهَذَا انْتَهَتْ حُدُودُ التَّكْلِيفِ، وَقَدْ كَانَ هُوَ وَابْنُهُ  
مِنَ الْمُحْسِنِينَ تَسْلِيمًا لِلَّهِ، فَلَأَبُّ قَدْ قَهَرَ أَعْظَمَ عَوَاطِفِهِ طَاعَةً لِأَمْرِ رَبِّهِ،  
وَالابْنُ قَدْ قَهَرَ حُبَّهُ لِلْحَيَاةِ، فَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِلذَّبْحِ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ، طَاعَةً  
لِأَمْرِ رَبِّهِ، وَانْتَهَتْ بِمَا فَعَلَا حُدُودَ التَّكْلِيفِ.

• ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: أَيُّ: قَدَّرْنَا وَأَمَرْنَا بِإِيقَافِ عَمَلِيَّةِ  
الذَّبْحِ جَزَاءً مُرْضِيًا لَهُمَا وَسَارًّا لِقُلُوبِهِمَا، وَكَذَلِكَ الْجَزَاءُ السَّامِي الَّذِي  
أَنْعَمْنَا بِهِ عَلَيْهِمَا نَجْزِي سَائِرَ الْمُحْسِنِينَ، الَّذِينَ يُحْسِنُونَ مِثْلَ إِحْسَانِهِمَا.

• ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْأَمِينُ﴾ (١١٦): أَيُّ: إِنَّ هَذَا الْامْتِحَانَ الَّذِي  
امْتَحَنَّا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، لَهُوَ الْامْتِحَانُ الْجَلِيُّ الظَّاهِرُ، الَّذِي اجْتَاَزَهُ  
كُلُّ مِنْهُمَا بِنَجَاحٍ بَاهِرٍ، وَوَصَفَ الْبَلَاءَ بِأَنَّهُ مُبِينٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَخْفَى  
عَلَى أَحَدٍ.

وَجَاءَ تَوْكِيدُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ بِالْمُؤَكَّدَاتِ: «إِنَّ - وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ، وَالْأَبْتِدَاءُ الْمَرْخُلَّةُ لِلْخَبَرِ».

• ﴿وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠٧): أي: وَقَدَيْنَا إِسْمَاعِيلَ إِذْ أَوْقَفْنَا الذَّبْحَ عِنْدَ بَدَايَتِهِ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ. أي: بِمَذْبُوحٍ عَظِيمٍ، رُويَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: بِكَبْشٍ أَبْيَضَ أَعْيَنَ أَقْرَنَ، قَدْ رُبِطَ بِسُمْرَةٍ، أي: بِشَجَرَةٍ مِنْ أَشْجَارِ السَّمَرِ.

وَيُظْهِرُ أَنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ أَنْ يَذْبَحَ هَذَا الذَّبْحَ الْكَبِيرَ، بَعْدَ أَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ قَدْ صَدَّقَ الرُّوْيَا، وَأُمِرَ بِأَنْ لَا يُتِمَّ ذَبْحَ وَلَدِهِ، وَأَخَذَ الْكَبْشَ مِنْ مَرْبِطِهِ فَذَبَحَهُ، وَكَانَ فِدَاءً مِنَ اللَّهِ لَوَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَام.

• ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٠٨) سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾:

هَذَا السَّلَامُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ هُوَ تَحِيَّةٌ يَدْعُو بِهَا الْمُرْسَلُونَ وَاتَّبَاعُهُمْ، فَمَنْ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، أَوْ عَلَى أَيِّ رَسُولٍ كُتِبَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، لِأَنَّهُ تَعْلِيمٌ مَشْرُوعٌ أَشْعَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّدْبِ إِلَيْهِ، بِعِبَارَةٍ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١١١) سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٢﴾.

ومثل هذا الجزاء يَجْزِي اللَّهُ بِهِ سَائِرَ الْمُحْسِنِينَ، الَّذِينَ ارْتَقَوْا بِأَعْمَالِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ إِلَى مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ، وَهِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ.

ووصف الله عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ كَمَالِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ تَعَالَى بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١١) ومثل هذا الثَّنَاءُ بَعْدَ الْإِشْعَارِ بِأَنَّهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ يُدُلُّ عَلَى أَنَّ (ال) فِي لَفْظِ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ هِيَ لِلْكَمَالِ، أَي: الْمُؤْمِنِينَ الْكَامِلِينَ فِي إِيمَانِهِمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَبَشِّرْهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٢):

أي: وَبَشَّرْنَاهُ بِوَلَدٍ مِنْهُ وَمِنْ زَوْجَتِهِ «سَارَةَ» يَكُونُ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ يُوحَى إِلَيْهِ، وَيَكُونُ مِنَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ كَمَالِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (١١٤):

الْبَرَكَةُ: الْكَثْرَةُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

أي: وَأَنْعَمْنَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى وَلَدِهِ إِسْحَاقَ بِخَيْرَاتٍ كَثِيرَاتٍ مِنَ الْمَادَّيَاتِ وَالْمَعْنَوِيَّاتِ.

ووصف الله عز وجل ما تناسل من ذريتهما بأنهم على درجاتٍ أو دركات، فأفضلهم مُحْسِنٌ، أي: مِنْ أَهْلِ دَرَجَةِ الْإِحْسَانِ. وَأَحْطَظُهُمْ دَرَكَةٌ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ، وَاضِحٌ فِي انْحِطَاطِهِ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ، وَسَائِرُهُمْ عَلَى دَرَجَاتٍ أَوْ دَرَكَاتٍ بَيْنَ دَرَجَةِ الْمُحْسِنِ، وَدَرَكَةِ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ الْمُبِينِ.

وبهذا انتهى تدبر الفصل الثاني من الدرس الثالث من دروس سورة (الصافات). والحمد لله على معونته ومدده وتوفيقه وفتحته.



### التدبر التحليلي للفصل الثالث من الدرس الثالث

#### من دروس سورة (الصافات)

#### الآيات من (١١٤ - ١٢٢)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ

الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَيِّنَ ﴿١١٧﴾

وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْيَرِ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَى



مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ .

### القرءات:

- (١١٨) • قرأ قُتَيْبٌ، وَرُوَيْسٌ: [السَّطْرَ] بالسَّيْنِ.
- وقرأها خَلْفٌ عن حمزة بِأَشْمَامِ الصَّادِ صَوْتُ الزَّايِ.
- وقرأها باقي القراء العشرة [الصَّطْرَ] بِالصَّادِ الْخَالِصَةِ.
- (١١٩) • قرأ يَعْقُوبُ: [عَلَيْهِمَا] بِضَمِّ هَاءِ الضَّمِيرِ.
- وقرأها باقي القراء العشرة بِكَسْرِ هَاءِ الضَّمِيرِ: [عَلَيْهِمَا].

### تمهيد:

في هَذَا الْفَصْلِ بَيَانُ مَا أَمْتَنَ اللَّهُ بِهِ عَلَى مُوسَى وَأَخِيهِ هَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَنُصْرَتِهِمَا وَنُصْرَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ وَجُنُودِهِمْ، وَأَنَّ اللَّهَ أَنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَتِينَ، وَهُوَ التَّوْرَةُ، وَتَرَكَ عَلَيْهِمَا مَثَلًا تَرَكَ عَلَى سَائِرِ الْمُرْسَلِينَ مِنْ سَلَامٍ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمَا بِالْإِحْسَانِ، وَبَأَنَّهُمَا مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

### التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

- ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١٢١﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْنُؤُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١٢٢﴾ وَءَايَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَتِينَ ﴿١٢٣﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢٤﴾﴾ :

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ تَنْبِيهُ عَلَى مَنَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَمْتَنَ عَلَيْهِمَا بِهَا، مُتَحَدِّثًا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ، وَقَدْ سَبَقَ تَفْصِيلُ بَعْضِ هَذِهِ الْمَنَنِ فِي نَجْمِ التَّنْزِيلِ.

- ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾: أَي: وَنُؤَكِّدُ لِلْمُتَلَقِّي أَنَّنَا أُنْعَمْنَا وَأَحْسَنَّا.

الْمَنُّ: الإِنْعَامُ والإِحْسَانُ، يقال لغةً: «مَنَّ عَلَيْهِ، يَمُنُّ، مَنًّا» أي: أَنْعَمَ عَلَيْهِ نِعْمَةً طَيِّبَةً، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ بِعَطَاءٍ، ويظهر أَنَّ الْمَنَّ يُسْتَعْمَلُ فِي الإِنْعَامِ الْعَظِيمِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ.

• ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾: أي: عَلَى الْإِخْوَيْنِ النَّبِيِّينِ الرَّسُولَيْنِ، مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَدْ كَانَتْ مِنْهُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا كَثِيرَةٌ وَجَلِيلَةٌ، مِنْهَا أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اصْطَفَاهُمَا بِالنُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ، وَاتَّاهُمَا الْآيَاتِ التَّسْعُ شَهَادَةً مِنْهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - عَلَى أَنَّهُمَا نَبِيَّانِ وَرَسُولَانِ صَادِقَانِ حَقًّا، يُبَلِّغَانِ رِسَالَاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. إِلَى مِنْ كَثِيرَةٍ جَاءَ تَفْصِيلُ بَعْضِهَا فِي نُصُوصٍ قُرْآنِيَّةٍ أُخْرَى.

• ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾: أي: وَخَلَّصْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ وَقَوْمَهُمَا بَنِي إِسْرَائِيلَ.

• ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾: أي: مِنَ الشَّدَّةِ الضَّاعِظَةِ عَلَيْهِمُ الْمُنْزَلَةِ بِهِمْ حُزْنًا وَغَمًّا، وَهِيَ الشَّدَّةُ الَّتِي كَانَ فِرْعَوْنُ وَآلُهُ وَجُنُودُهُ يُعَامِلُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِهَا، إِذْ يَعْتَبِرُونَهُمْ فِي مِصْرَ بِمَثَابَةِ الْعَبِيدِ.

الْكَرْبُ: هُوَ فِي اللُّغَةِ الْحُزْنُ وَالْغَمُّ يَأْخُذُ بِالنَّفْسِ، كَأَنَّ حَبْلًا أُبْرِمَ عَلَيْهَا وَشُدَّ. وَيُظْهِرُ أَنَّ أَصْلَ الْاسْتِعْمَالِ مَأْخُودٌ مِنْ كَرْبِ الْحَبْلِ، وَهُوَ شَدُّهُ وَفَتْلُهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْفَتْلَ يَجْعَلُ الْأَجْزَاءَ تَتَضَاعَطُ فَتُؤْلِمُ ذَا الْإِحْسَاسِ بِالْأَلَمِ.

• ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكُنُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾: أي: وَنَصَرْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَهُمَا، بِتَنْجِيَّتِهِمْ بِفُلْقِ الْبَحْرِ لَهُمْ، وَجَعَلِهِمْ يَمْرُونَ عَلَى الْيَابِسَةِ فِي قَاعِ مَكَانِ الْفُلْقِ بِسَلَامٍ، وَبِإِغْرَاقِ فِرْعَوْنَ وَجَيْشِهِ الَّذِي خَرَجَ مَعَهُ وَرَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ لِأَعْدَائِهِمْ بِتَدَخُّلِ الْخَارِقِ الرَّبَّانِيِّ الْعَجِيبِ، دُونَ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قِتَالٌ لِأَعْدَائِهِمْ، وَلَا مُوَاجَهَةٌ لَهُمْ بِحَرْبٍ أَوْ دِفَاعٍ.

• ﴿وَأَيِّنُّهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾: أي: وآتيناهما موسى وهارون عليهما السلام التوراة الذي هو كتابٌ مُسْتَبِينٌ.

المُسْتَبِينُ: أي: الظاهرُ الواضحُ وضوحاً شديداً، فلا غُمُوضَ فيه، ولا غَبَشَ عَلَيْهِ.

• ﴿وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: أي: وهدينا موسى وهارون بما أنزلنا عليهما الصراط المستقيم الذي لا عوجَ فيه، وهو الصراط الذي رَسَمْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ لِعِبَادِنَا الْمُحْسِنِينَ وَالْأَبْرَارِ وَالْمُتَّقِينَ، لِيَتَّبِعُوهُ فِي مَسِيرَةِ حَيَاةِ الْآمِتِحَانِ، ضَمَّنَ طُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

أصل الصراط: الطريق الواضح الجلي، وأُطْلِقَ في الاصطلاح الديني على تعليمات الحق والعدل والخير، والبر والإحسان والتقوى، وفضائل السلوك، ومكارم الأخلاق.

يقال لغة: «هَذَا الطَّرِيقُ، وَهَذَا إِلَيْهِ، وَهَذَا لَهُ» أي: دَلَّهُ عَلَيْهِ، وَبَيَّنَّهُ لَهُ، وَأَرْشَدَهُ إِلَيْهِ، وَعَرَفَهُ بِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَوَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ (١١٩) سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾.

هذه الآيات مُشَابِهَاتٌ لِمَا جَاءَ فِي السُّورَةِ قَرِيباً بِشَأْنِ نوح عليه السلام، فَشَأْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام.

فلا دَاعِي للتدبر التحليلي لهذه الآيات، إذ يُغْنِي عَنْهُ التحليل الذي سَبَقَ أَنْفَاءً بِشَأْنِ نوح وإِبْرَاهِيمَ عليهما السلام.

ويُلاحظُ أَنَّهُ قد جاءت بشأنِ نوح ومُوسَى وهارون عليهم السلام عبارة: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٩) أَمَّا مَا جَاءَ بِشَأْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ

السَّلام، ففِي شَأْنِ الْفِدَاءِ: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٠) وفي شَأْنِ تَرْكِ السَّلامِ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ، فَقَدْ جَاءَتِ الْعِبَارَةُ فِيهِ: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

وَيَبْدُو لِي أَنَّ زِيَادَةَ التَّوَكُّيدِ فِي: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٠) لَوْحَظْ فِيهَا مَزِيدُ الْعِنَايَةِ بِشَأْنِ مَنْ كَانَ ذَا إِحْسَانٍ زَائِدٍ فِي جِهَادِهِ وَصَبْرِهِ، وَبَشَأْنِ الْحَالَةِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا ذَا إِحْسَانٍ زَائِدٌ.

وبهذا انتهى تدبر الفصل الثالث من الدرس الثالث من دروس سورة (الصافات). والحمد لله على معونته ومَدِّدِهِ وتوفيقه وفتحِهِ.



### التدبر التحليلي للفصل الرابع من الدرس الثالث من دروس سورة (الصافات) الآيات من (١٢٣ - ١٣٢)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَلَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُّحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾.

القراءات:

(١٢٣) • قرأ ابن ذَكْوَانَ فِي إِحْدَى قَرَأَتَيْنِ لَهُ: [وَإِنَّ لِيَّاسَ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَإِنَّ إِلْيَاسَ] وهو الوجه الثاني لابن ذَكْوَانَ.

«إِيَّاس» و«إِلْيَاس» نُطْقَانِ لاسم هذا الرسول عليه السلام.

(١٢٦) • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ] بالنَّصْب.

وقرأها باقي القراء العشرة: [اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ] بالرفع، على أَنَّهُ خَبَرٌ مُّبْتَدَأٌ محذوف، تقديرُهُ: هو اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ.

والقراءتان وَجْهَانِ عَرَبِيَّانِ جائِزَانِ.

(١٢٨) • قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وابنُ عامر، ويعقوب: [المُخْلِصِينَ] بكسر اللام اسم فاعل.

وقرأها باقي القراء العشرة بفتح اللّام: [المُخْلِصِينَ] اسم مفعول.

وبين القراءتين تكامُلٌ في أداء المعنى المراد، كما سَبَقَ بيانهُ في الآية (٤٠).

(١٣٠) • قرأ نافع، وابنُ عامر، ويعقوب: [عَلَى آلِ يَاسِينَ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [عَلَى إِيَّاسِينَ].

وهما نطقان عند العرب.

**تمهيد:**

في هذا الفصل بيان مُوجِزٌ عَن دَعْوَةِ إِيَّاس عَلَيْهِ السَّلَام لِقَوْمِهِ، وما اُمْتَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ.

**تعريف بالرسول إِيَّاس عليه السلام:**

سبق ذكر إِيَّاس في الآية (٨٥) من سورة (الأنعام/ ٥٥ نزول)، وسبق بيانٌ مُوجِزٌ عَنْهُ، وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ من المرسلين.

لم يتفق المؤرّخون على نَسَبٍ مُنْضَبِطٍ له، وذَكَرَ الطبريُّ له التَّسَبُّبُ  
التالي:

«هو إِيَّاسُ، بَنُ يَاسِينَ، بَنِ فِتْحَاصٍ، بَنِ الْعِزَّارِ، بَنِ هَارُونَ» فهو  
على هذا من ذُرِّيَّةِ هَارُونَ عليه السلام، فهو من بني إِسْرَائِيلَ، وَيُسَمَّى عِنْدَ  
الْإِسْرَائِيلِيِّينَ: «إِيلِيَّا» وهو اسم عِبْرِيٌّ مَعْنَاهُ: «إِلَهِي يَهُوه». واسْمُهُ فِي  
الْيُونَانِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ: «إِيَّاس» وَلَهُ عِنْدَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ عِدَّةُ أَخْبَارٍ.  
ومن أخباره عند الإسرائيليين:

(١) عاشَ فِي جَلْعَادَ، وَكَانَ عَادَةً يَلْبَسُ ثَوْبًا مِنَ الشَّعْرِ «= مُسُوحًا»  
وَيَلْبَسُ مِنْطَقَةً مِنَ الْجِلْدِ.

(٢) كَانَ يَقْضِي كَثِيرًا مِنْ وَقْتِهِ فِي الْبَرِّيَّةِ.

(٣) وَقَدْ عَبَدَ شَعْبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ «الْبُعْلَ» وَهُوَ إِلَهٌ كَنْعَانِيٌّ وَلَهُ وَثَنٌ  
مَعْرُوفٌ، اكْتُشِفَ فِي «أَوغاريت» بِسُورِيَّةٍ، وَكَانَتْ عِبَادَةُ «الْبُعْلِ» مُتَشِيرَةً بَيْنَ  
أَهَالِي الْمَشْرِقِ فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ، وَكَانَ لِلْبُعْلِ كَهَنَةٌ كَثِيرُونَ يَخْدَعُونَ النَّاسَ  
بِسِحْرِهِمْ وَشَعُودَتِهِمْ وَأَعْمَالٍ كَثِيرَةٍ يَنْسُبُونَهَا لِلَّهِمَّ.

وَلَمَّا عَبَدَ شَعْبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبُعْلَ، تَنَبَّأَ إِيلِيَّا بِأَنَّ اللَّهَ سَيَمْنَعُ الْمَطَرَ  
عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَاعْتَرَلَهُمْ، وَذَهَبَ إِلَى نَهْرِ كَرِيتَ، وَكَانَتِ الْغُرَبَانُ تَأْتِيهِ  
بِالطَّعَامِ.

(٤) أَجْرَى اللَّهُ لَهُ عِدَّةَ خَوَارِقَ عَلَى مَا ذَكَرُوا<sup>(١)</sup>.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَإِنَّ إِيَّاسَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾:

(١) أَخَذًا مِنْ «قَامُوسِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ».

يُؤَكِّدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ «إِلْيَاسَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، أَي: فَهُوَ نَبِيٌّ أَيْضاً لِأَنَّ كُلَّ رَسُولٍ هُوَ نَبِيٌّ. والتوكيد جاء بالمؤكدات: «إِنَّ - والجملة الاسمية - واللام المزحلقة».

والمؤكِّدُ لَهُمْ بِهَذِهِ الْمُؤَكَّدَاتِ الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّهُ نَبِيٌّ لَا رَسُولٌ، أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمُسْلِمُونَ فَإِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِخَبَرِ اللَّهِ وَلَوْ كَانَ خَالِياً مِنْ أَيِّ تَوْكِيدٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٧٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾:

أَي: ضَعُ فِي ذَاكَرَتِكَ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي لِهَذَا الْبَيَانِ دَعْوَةَ إِيَّاسَ لِقَوْمِهِ حِينَ قَالَ لَهُمْ بِأَسْلُوبِ الْعَرَضِ الرَّفِيقِ مَعَ الْإِلْحَاحِ.

• ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾: أَي: أَلَا تَتَّقُونَ عَذَابَ اللَّهِ الَّذِي أُنْذِرُ بِهِ الْمُشْرِكِينَ.

«أَلَا» هُنَا لِلْعَرَضِ، وَقَدْ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى التَّحْضِيضِ.

• ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾: أَي: أَتَعْبُدُونَ إِلَهًا بَاطِلًا تَتَّخِذُونَ لَهُ وَثْنًا، وَتُسَمُّونَهُ «بَعْلًا». أُطْلِقَ الدُّعَاءُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا عَلَى مَعْنَى الْعِبَادَةِ، لِأَنَّ الدُّعَاءَ أَوَّلُ عِبَادَاتِ الْمَعْبُودِ.

• ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾: أَي: وَتَتْرَكُونَ عِبَادَةَ اللَّهِ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ، وَالْمُرَادُ بِالْخَالِقِينَ هُنَا الْمُقَدَّرُونَ، الَّذِينَ يُعْطُونَ أَجْزَاءَ الشَّيْءِ مَقَادِيرَهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى جُمْلَتِهِ الْكُلِّيَّةِ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذَا الْمَعْنَى أَحْسَنُ الْمُقَدِّرِينَ.

أَمَّا الْخَلْقُ بِمَعْنَى ابْتِدَاعِ الشَّيْءِ مِنَ الْعَدَمِ، فَهُوَ مِمَّا أَنْفَرَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، فَلَا أَحَدَ غَيْرُ اللَّهِ يَبْتَدِعُ مِنَ الْعَدَمِ.

وَيُظْهِرُ أَنَّ عَابِدِي الْبُعْلِ يَرَوْنَهُ ذَا تَقْدِيرَاتٍ حَسَنَةٍ فِي شُؤْنٍ كَثِيرَةٍ مِنْ شُؤْنِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَبَيَّنَ لَهُمْ إِيَّاسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ اللَّهَ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ جَمِيعًا، فَهُوَ الَّذِي تَجِبُ عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ.

• ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾:

أي: وَتَتَرَكُونُ اللَّهَ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ، فَلَا تَعْبُدُونَهُ، هَذِهِ الْعِبَارَةُ بَدَلٌ مِنْ عِبَارَةٍ: ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ عَلَى قِرَاءَةِ النَّصْبِ، فَلَا اسْتِفْهَامَ الْإِنْكَارِيَّ عَلَيْهِمْ، وَالتَّعْجِيْبِيَّ مِنْ أَمْرِهِمْ مُنْسَحَبٌ عَلَيْهَا.

تَذَكِيرُهُمْ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ لَهُمْ وَلِآبَائِهِمُ الْأَوَّلِينَ حَتَّى جَدَّهُمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ إِيَّاسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَانَ لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْمَتَصَرِّفُ بِكُلِّ أُمُورِهِمْ، بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ الشَّامِلَةِ لِمُعْظَمِ أَسْمَائِهِ الْحَسَنَى، فَلَا شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِهِمْ إِلَّا هُوَ خَاضِعٌ لِرُبُوبِيَّتِهِ، إِيْجَادًا وَإِعْدَامًا إِلَى سَائِرِ التَّصَارِيفِ، وَأَنَّهُ لَا أَحَدَ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ يُشَارِكُ اللَّهَ فِي رُبُوبِيَّتِهِ لِلْكَوْنِ، فَالْإِلَهِيَّةُ حَقُّهُ وَحْدَهُ، فَمَنْ عَبَدَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ كَانَ مُشْرِكًا ظَالِمًا لِحَقِّ رَبِّهِ عَلَيْهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (١٧٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٧٨):

أي: فَكَذَّبَهُ مُعْظَمُ قَوْمِهِ، وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ، فِي نَبَذِ عِبَادَةِ «الْبُعْلِ» وَفِي وَجُوبِ التَّزَامِ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

فَإِنَّهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ رَبِّهِمْ لَمُحْضَرُونَ فِي عَذَابِ نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الدِّينِ.

كَلِمَةُ: «مُحْضَرُونَ» جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ غَالِبًا بِمَعْنَى الْإِحْضَارِ فِي دَارِ الْعَذَابِ يَوْمَ الدِّينِ أَوْ الْإِحْضَارِ لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ وَفَصْلِ الْقَضَاءِ.



أَضْلُ مَعْنَى الإِحْضَارِ السَّوْقُ قَهْرًا، وَهَذَا يَكُونُ فِي الْغَالِبِ لِمُسُوقٍ ظَالِمٍ  
آثَمٍ، لَتَعْذِيبِهِ، أَوْ لِمَحَاسِنَتِهِ وَالْحَكْمُ عَلَيْهِ بِجَرَائِمِهِ.

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ بَفَتْحِ اللَّامِ، وَالْمُخْلَصِينَ بِكَسْرِ اللَّامِ فَإِنَّهُمْ لَا  
يَكُونُونَ مِنَ الْمُحْضَرِينَ قَهْرًا لَتَعْذِيبِهِمْ، بَلْ يُسَاقُونَ مُكْرَمِينَ لِجَعْلِهِمْ مِنْ  
أَهْلِ دَارِ النِّعَمِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَأْسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي  
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾:

هَذِهِ الْآيَاتُ مُمَثِّلَاتٌ لَمَّا جَاءَ فِي السُّورَةِ بِشَأْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ،  
وَلَمَّا جَاءَ بِشَأْنِ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَقَدْ سَبَقَ تَدْبُّرُهَا فَلَا حَاجَةَ  
إِلَى الْإِعَادَةِ.

أَمَّا لَفْظُ: [إِلِ يَاسِينَ] وَفِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى: [آلِ يَاسِينَ] فَقَدْ يَكُونُ  
مِنَ الْأَلْفَافِ الَّتِي اشْتَهَرَتْ فِي قَوْمِهِ عَنِ اسْمِ «إِلْيَاسَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ  
يَكُونُ مِنَ الْأَلْفَافِ الَّتِي اشْتَهَرَتْ فِي قَوْمِهِ عَنْهُ وَعَمَّنْ نَاصِرُهُ لِلتَّخْلُصِ مِنْ  
سَدَنَةِ «بَعْلٍ» بِقَتْلِهِمْ، وَكَانَ فِيهِمْ «آلٌ» لَهُ وَمُؤَيَّدُونَ لَهُمْ.

وَقَدْ جَاءَ بَيَانٌ عَنْ سَعْيِهِ لِقَتْلِهِمْ عِنْدَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ.

وَالسَّلَامُ عَلَى آلِ يَاسِينَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ الَّذِينَ نَصَرُوهُ يَسْتَلْزِمُ السَّلَامَ عَلَى  
«إِلْيَاسَ» عَقْلًا مِنْ بَابِ أَوْلَى.

وَبِهَذَا تَمَّ تَدْبِيرُ الْفَصْلِ الرَّابِعِ مِنْ فُصُولِ الدَّرْسِ الثَّالِثِ مِنْ دُرُوسِ  
سُورَةِ الصَّافَاتِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَدَدِهِ وَمَعُونَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



## التدبر التحليلي للفصل الخامس من الدرس الثالث من دروس سورة (الصافات) الآيات من (١٣٣ - ١٣٨)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِنَّ لُوطًا لِّمَنِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ بَخَّيْتَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّا لَنُرَوِّنُهُمْ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْبَيْتِ أَفْلًا نَّعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

تمهيد:

في هذه الآيات بيانٌ مُّوجِزٌ جَدًّا عَنْ نَصْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لُوطًا عَلَيْهِ السَّلَام، وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ الْعَجُوزَ الَّتِي كَانَتْ كَافِرَةً مَعَ قَوْمِهَا، وَعَنْ تَدْمِيرِهِ كُفَّارَ قَوْمِهِ أَهْلِ سَدُومَ، مَعَ تَذْكِيرِ كُفَّارِ مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ بِأَنَّهُمْ يَمُرُّونَ فِي أَسْفَارِهِمْ عَلَى مَكَانٍ إِهْلَاكِهِمْ عِنْدَ الصَّبَاحِ أَوْ فِي اللَّيْلِ، وَهُوَ الْبَحْرُ الْمَيِّتُ.

وقد سبقت دراسةً تَكَامُلِيَّةً لِلنُّصُوصِ الْقَرَأَتِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِشَأْنِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَام وقومه، في الملحق الخامس من ملاحق تدبر سورة الأعراف، فَأَقْتَصِرُ هُنَا عَلَى تَحْلِيلِ آيَاتِ هَذَا الْفَصْلِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

● ﴿وَإِنَّ لُوطًا لِّمَنِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾﴾:

يؤكدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمُؤَكَّدَاتِ: «إِنَّ - وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ - وَاللَّامُ الْمَزْحَلَّةُ» أَنَّ لُوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ كَانَ نَبِيًّا وَرَسُولًا.

وقد سبق بيان أن الله قد أرسله إلى سُكَّانِ أَرْضِ سَدُومَ، الَّذِينَ

كَانَتْ لَهُمْ قَبَائِحُ كَثِيرَةٌ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ،  
وَكَانُوا يُجَاهِرُونَ بِذَلِكَ بَوَاقِحَهُ، وَكَانُوا مُسْرِفِينَ فِي قَبَاحَاتِهِمْ إِسْرَافًا لَمْ يَبْلُغْ  
إِلَى مِثْلِهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْفُجُورِ وَالطُّغْيَانِ، وَالْفِسْقِ وَالْعِصْيَانِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

● ﴿إِذْ بَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٢٥﴾﴾:

أي: ضَعُ في ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي الْحَدِيثِ وَعِبْرَتُهُ حِينَ نَجَّيْنَا لُوطًا  
وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عَجُوزًا هِيَ زَوْجَتُهُ الْكَافِرَةُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى هَوَى  
قَوْمِهَا، كَائِنَةً فِي الْغَابِرِينَ الْهَالِكِينَ.

الغابر: يَأْتِي فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى الْمَاكِثِ الَّذِي لَا يَتَحَوَّلُ، وَيَأْتِي بِمَعْنَى  
الْمَاضِي الذَّاهِبِ الَّذِي لَمْ يَبْقَ لَهُ وَجُودٌ. وَيَصْلُحُ هُنَا الْمَعْنِيَانِ، فَقَدْ كَانَتْ  
امْرَأَةُ لُوطٍ الْعَجُوزُ فِي الْمَاكِثِينَ فِي أَرْضِ قَوْمِهَا بِإِهْلَاكِهَا فِيهَا، وَفِي  
الْمَاضِينَ الذَّاهِبِينَ الْمُهْلِكِينَ الَّذِينَ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ وَجُودٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

● ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾:

أي: وَبَعْدَ أَنْ نَجَّيْنَا لُوطًا وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ، وَأَوْصَلْنَاهُمْ إِلَى أَرْضِ  
آمِنَةٍ لَا تَنْزِلُ عَلَيْهَا الْمُهْلِكَاتُ الْمَدْمَرَاتُ، وَمَنْحَنَاهُمْ مُهْلَةً زَمِيَّةً لِلِاسْتِقْرَارِ  
الْآمِنِ، دَمَرْنَا الْآخَرِينَ وَهُمْ كُفَّارُ قَوْمِهِ.

التدمير: هُوَ الْإِهْلَاكُ بِاسْتِئْصَالٍ، مَعَ مَحْوِ الْمَبَانِي وَآثَارِهَا حَتَّى لَا  
يُرَى مِنْهَا شَيْءٌ. وَأَضْلُ التَّدمِيرِ: تَحْطِيمُ الشَّيْءِ الْمُدمَرِ عَلَى وَجْهِ لَا يُرْجَى  
بَعْدَهُ صَلَاحُهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِكُفَّارِ مَكَّةَ إِبَّانِ التَّنْزِيلِ:

• ﴿وَإِنَّكُمْ لَسَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ :

أي: وَإِنَّكُمْ أَيُّهَا الْكُفَّارُ الْمَعَانِدُونَ الْمُصِرُّونَ عَلَى كُفْرِكُمْ، وَالْمُكَذِّبُونَ رَسُولَ رَبِّكُمْ فِيمَا يُبَلِّغُكُمْ مِنْ إِنْذَارِنَا لَكُمْ بِإِهْلَاكِكُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا مُكْذِبِي رَسُولِ رَبِّهِمْ مِنْ قَبْلِكُمْ، لَتَمُرُونَ فِي أَسْفَارِكُمْ فِي تِجَارَاتِكُمْ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ، عَلَى الْأَرْضِ الْمَشْرِقَةِ عَلَى الْبَحْرِ الْمَيِّتِ، حَيْثُ جَعَلْنَا قُرَى قَوْمِ لُوطٍ مَدْفُونَةً فِي قَاعِ هَذَا الْبَحْرِ بَعْدَ أَنْ عَذَّبْنَا وَأَهْلَكْنَا كُفَّارَهَا فِيهَا.

وَيَكُونُ مُرُورُكُمْ هَذَا عَلَيْهَا فِي أَسْفَارِكُمْ حَالَةً كَوْنِكُمْ مُصْبِحِينَ، أي: دَاخِلِينَ فِي الصَّبَاحِ، أَوْ حَالَةً كَوْنِكُمْ بِاللَّيْلِ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ.

وَيَظْهَرُ أَنَّ مَسِيرَهُمْ فِي أَسْفَارِهِمُ التَّجَارِيَّةَ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ، قَدْ كَانَ مُقَدَّرًا تَقْدِيرًا يَجْعَلُهُمْ يَصِلُونَ إِلَى جَوَارِ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ فِي الصَّبَاحِ أَوْ بِاللَّيْلِ، بِحَسَبِ الْمَرَاجِلِ وَالْمَنَازِلِ الَّتِي يَحْطُونَ فِيهَا وَيَرَحِلُونَ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟! اسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٍّ وَتَعْجِييٍّ، عَنْ عَدَمِ تَعْقُلِهِمْ، بِعَدَمِ إِدْرَاكِ الْعِبْرَةِ، وَعَدَمِ ضَبْطِ أَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ بِإِرَادَةٍ وَاعِيَةٍ عَاقِلَةٍ.

وَيَتَضَمَّنُ هَذَا الاسْتِفْهَامُ حَثَّهُمْ عَلَى أَنْ يَعْقِلُوا عَقْلَ إِدْرَاكِ لِلْعِبْرَةِ، وَعَقْلَ إِرَادَةٍ حَازِمَةٍ.

العقل هنا: يَتَنَاوَلُ الْعَقْلَ الْعِلْمِيَّ الْفِكْرِيَّ، وَالْعَقْلَ الْإِرَادِيَّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَعْقِلُوا بِهِ أَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَنَزَعَاتِهِمْ وَنَزَعَاتِ شَيَاطِينِهِمْ عَنِ الشُّرُودِ إِلَى مَهَاوِي هَلَاكِهِمْ.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ الْفَصْلِ الْخَامِسِ مِنَ الدَّرْسِ الثَّالِثِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الصَّافَاتِ). وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَفَتْحِهِ.



## التدبر التحليلي للفصل السادس من الدرس الثالث من دروس سورة (الصافات) الآيات من (١٣٩ - ١٤٨)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِنْ يُؤْخَذِ لِمَنْ أَلْمَسَ لَيْتَ ۖ إِذْ أَتَىٰ إِلَىٰ أَلْفِكَ الْمَسْحُونَ ﴿١٣٩﴾ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤٠﴾ فَالْقَمَّةُ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤١﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٢﴾ لَلِئْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٣﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٤﴾ وَأَبَلَّتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٥﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٦﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٧﴾﴾.

### القراءات:

(١٤٢) • أَسْكَنَ الْهَاءِ مِنْ [وَهُوَ] قَالُونَ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَالْكَسَائِي،  
وَأَبُو جَعْفَرٍ.

وقرأها باقي القراء العشرة بِضَمِّ الْهَاءِ: [وَهُوَ].

وَهُمَا لَغَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ.

(١٤٧) • قرأ أبو جعفر: [مِيَّةً] وَكَذَلِكَ قَرَأَهَا حَمَزَةٌ فِي الْوَقْفِ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [مِائَةً].

وهما نطقان عَرَبِيَّانِ.

### تمهيد:

في آيات هذا الفصل لقطاتٌ مُوجَزَاتٌ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،  
مَعَ بَيَانٍ مَا تَعَرَّضَ لَهُ، إِذْ تَرَكَ قَوْمَهُ مُغَاضِبًا وَأَنْصَرَفَ عَنْهُمْ بِاجْتِهَادٍ مِنْهُ،  
دُونَ إِذْنٍ لَهُ مِنْ رَبِّهِ بِذَلِكَ، وَظَاهِرٌ أَنَّ فِي ذِكْرِ مَا تَعَرَّضَ لَهُ تَلْوِيحًا بِأَنَّ

عَلَى حَامِلٍ رِسَالَةٍ رَبِّهِ الْمَكْلَفِ، أَنْ لَا يَتْرُكَ قَوْمَهُ مُهَاجِرًا مَا لَمْ يَأْمُرْهُ اللَّهُ بِذَلِكَ، أَوْ يَأْذَنَ لَهُ بِهِ.

### مقدمة عامة حول يونس عليه السلام وقومه:

(١) يُونُسُ هو ابْنُ مَتَّى، قالوا: «مَتَّى» هِيَ أُمُّهُ وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى أُمِّهِ مِنَ الرُّسُلِ غَيْرُهُ وَغَيْرُ عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام.

(٢) وَيُسَمَّى عند أهل الكتاب: «يُونَانُ بن أُمْتاي» قالوا: وَيُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَام مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيَتَّصِلُ نَسَبُهُ بِشَقِيقِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَام «بَنِيَامِينَ». وعند أهل الكتاب أنه من سِبْطِ «زَبُولُون» أحد أولاد يعقوب عليه السلام، وهو مِنْ أَهَالِي «جَت حافر» على بُعْدِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ النَّاصِرَةِ.

(٣) أَرْسَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى أَهْلِ «نَيْنَوَى» وَكَانَتْ مَدِينَةً كَبِيرَةً تَقَعُ عَلَى نَهْرٍ دَجَلَةٌ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ تَجَاهُ مَدِينَةِ «الموصل» مِنْ أَرْضِ آشور، وَجَاءَ فِي «قَامُوسِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ» أَنَّ «نَيْنَوَى» كَانَتْ عَاصِمَةَ الْإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الْأَشُورِيَّةِ.

(٤) كَانَ عَدَدُ أَهْلِ «نَيْنَوَى» زَائِدًا عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ، بِعَدَدِ اخْتَلَفَتْ فِيهِ الْآثَار.

(٥) يَظْهَرُ أَنَّ رِسَالَتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ خِلَالَ الْقُرْنِ الثَّامِنِ قَبْلَ مِيلَادِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَام.

(٦) أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَهْلِ «نَيْنَوَى»، لِيُرِدَّهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ انْحَرَفُوا عَنْ دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ وَعَبَدُوا الْأَوْثَانَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

قال المؤرخون: وَكَانَ لِأَهْلِ «نَيْنَوَى» صَنَمٌ يَعْبُدُونَهُ اسْمُهُ «عَشْتَار».

(٦) ذَهَبَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَوْطِنِهِ فِي بِلَادِ الشَّامِ إِلَى «نَيْنَوَى»

فَدَعَا أَهْلَهَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَّهُ بِمِثْلِ دَعْوَةِ سَائِرِ الرُّسُلِ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ، كَشَانِ أَكْثَرِ أَهْلِ الْقُرَى، فَأَوْعَدَهُمْ بِالْعَذَابِ فِي يَوْمٍ مَعْلُومٍ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا، وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَدَّى رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَقَامَ بِكَامِلِ الْوُضُفَةِ الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِهَا، وَخَرَجَ عَنْهُمْ مُعَاضِبًا، وَكَانَ غَضَبُهُ لِلَّهِ مِنْ إِعْرَاضِهِمْ وَعَدَمِ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ غَضَبًا شَدِيدًا، لَكِنَّهُ خَرَجَ بِاجْتِهَادٍ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ دُونَ أَنْ يَتَلَقَّى مِنْ رَبِّهِ أَمْرًا أَوْ إِذْنًا بِالْخُرُوجِ، ظَانًّا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُؤَاخِذُهُ عَلَى هَذَا الْخُرُوجِ وَلَا يُضَيِّقُ عَلَيْهِ.

(٧) فَلَمَّا تَرَكَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَهْلَ «نَيْنَوَى» وَجَاءَ مَوْعِدُ الْعَذَابِ، وَظَهَرَتْ نُذْرُهُ، عَرَفُوا صِدْقَ رَسُولِهِمْ «يُونُسَ» وَخَرَجُوا إِلَى ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ، وَأَخْرَجُوا دَوَابَّهُمْ وَأَنْعَامَهُمْ خَائِفِينَ مُلْتَجِئِينَ إِلَى اللَّهِ رَبِّهِمْ، تَائِبِينَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَأَخَذُوا يَبْحَثُونَ عَنْ رَسُولِهِمْ «يُونُسَ» عَلَيْهِ السَّلَامَ، لِيُعْلِنُوا لَهُ الْإِيمَانَ وَالتَّوْبَةَ، وَلِيَسْأَلُوهُ أَنْ يَكْفَّ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ فَلَمْ يَجِدُوهُ.

وَلَمَّا ظَهَرَتْ مِنْهُمْ التَّوْبَةُ الصَّادِقَةُ، وَعَلِمَ اللَّهُ صِدْقَهُمْ فِيهَا، كَفَّ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، فَعَادُوا إِلَى مَدِينَتِهِمْ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ، مُوَحِّدِينَ لَهُ، هَاجِرِينَ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ.

(٨) أَمَّا «يُونُسَ» عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَإِنَّهُ سَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، فَوَجَدَ سَفِينَةً عَلَى سَفَرٍ، فَطَلَبَ مِنْ أَهْلِهَا أَنْ يُرْكَبُوهُ مَعَهُمْ، فَتَوَسَّمُوا فِيهِ خَيْرًا فَأَرْكَبُوهُ.

وَلَمَّا تَوَسَّطُوا الْبَحْرَ هَاجَ الْبَحْرُ بِهِمْ وَاضْطَرَبَ، فَقَالُوا: إِنَّ فِيْنَا صَاحِبَ ذَنْبٍ، فَاسْتَهْمُوا فِيْمَا بَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ السَّهْمُ أَلْقَوْهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَقَعَ السَّهْمُ عَلَى «يُونُسَ» فَسَأَلُوهُ عَنْ شَأْنِهِ وَعَجَبُوا مِنْ أَمْرِهِ وَهُوَ التَّقِيُّ الصَّالِحُ، فَحَدَّثَهُمْ بِقِصَّتِهِ، فَأَشْفَقُوا أَنْ يُلْقَوْهُ فِي الْبَحْرِ، وَأَرَادُوا

الرُّجُوعَ بِهِ إِلَى السَّاحِلِ فَلَمْ يَقْدِرُوا، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُلْقَوْهُ فِي الْبَحْرِ لِيَسْكُنَ عَنْهُمْ غَضَبُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَلْقَوْهُ.

فَلَمَّا أَلْقَوْهُ التَّمَمَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حُوتٌ عَظِيمٌ، وَسَارَ بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ فِي حِفْظِ اللَّهِ وَتَأْدِيبِهِ، وَتَمَّتِ الْخَارِقَةُ الرَّبَّانِيَّةُ.

وَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْحُوتِ أَنْ لَا يُصِيبَ مِنْ «يُونُسَ» عَلَيْهِ السَّلَام لَحْمًا، وَلَا يَهْشِمَ لَهُ عَظْمًا، فَحَمَلَهُ الْحُوتُ الْعَظِيمُ وَسَارَ بِهِ عَلَى سَطْحِ الْبَحْرِ، وَيُونُسُ فِي فَمِهِ حَيٌّ يُسَبِّحُ اللَّهَ وَيَسْتَغْفِرُهُ، وَيُبَادِي فِي الظُّلُمَاتِ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، وَنَجَّاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَأَوْحَى إِلَى الْحُوتِ أَنْ يَقْذِفَ بِهِ فِي الْعَرَاءِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَأَلْقَى بِهِ وَهُوَ سَقِيمٌ.

قَالُوا: وَقَدْ لَبِثَ فِي جَوْفِ فَمِ الْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بَلِيَالِيهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٩) وَجَدَ «يُونُسَ» عَلَيْهِ السَّلَام نَفْسَهُ فِي الْعَرَاءِ سَقِيمًا هَزِيلًا، فَحَمَدَ اللَّهَ عَلَى النِّجَاةِ، وَأَنْبَتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا وَاسْتَظَلَّ بِظِلِّهَا، وَعَافَاهُ اللَّهُ مِنْ سَقَمِهِ، وَتَابَ عَلَيْهِ.

وَعَلِمَ «يُونُسُ» عَلَيْهِ السَّلَام أَنَّ مَا أَصَابَهُ تَأْدِيبٌ رَبَّانِيٌّ مَحْفُوفٌ بِالْإِطْفَافِ فِي مُعْجَزَةٍ مِنْ لَطَائِفِ خَوَارِقِهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - وَعَلِمَ أَنَّ مَا حَصَلَ لَهُ قَدْ كَانَ بِسَبَبِ اسْتِعْجَالِهِ وَخُرُوجِهِ مُعَاضِبًا لِقَوْمِهِمْ مِنْ «نِينَوِي» دُونَ إِذْنِ صَرِيحِ مَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِالْخُرُوجِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ فِيهِ اجْتِهَادٌ مَقْبُولٌ، إِلَّا أَنْ مِثْلَ هَذَا الاجْتِهَادِ إِنْ قُبِلَ مِنَ الصَّالِحِينَ الْعَادِيِّينَ، فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنَ الرُّسُلِ الْمُقَرَّبِينَ الَّذِينَ يُوحَى إِلَيْهِمْ، فَهُوَ بِخُرُوجِهِ وَاسْتِعْجَالِهِ قَدْ فَعَلَ مَا يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ اللَّوْمُ وَالتَّأْدِيبُ الرَّبَّانِيَّ.

(١٠) وَلَمَّا اسْتَطَاعَ «يُونُسُ» عَلَيْهِ السَّلَام أَنْ يَسِيرَ، عَادَ إِلَى قَوْمِهِ



فَوَجَدَ أَنَّهُمْ قَدْ آمَنُوا وَأَسْلَمُوا، وَتَابُوا إِلَى بَارِئِهِمْ، مُنْتَظِرِينَ عَوْدَةَ رَسُولِهِمْ لِيَأْتِمِرُوا بِأَمْرِهِ وَيَتَّبِعُوهُ، فَلَبِثَ فِيهِمْ يُعَلِّمُهُمْ وَيَهْدِيهِمْ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ.

(١١) وَمَتَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَهْلَ «نَيْنَوَى» فِي مَدِينَتِهِمْ مُدَّةَ إِقَامَةِ «يُونُسَ» عَلَيْهِ السَّلَام فِيهِمْ، وَمَتَّعَهُمْ بَعْدَهُ فِيهَا آمِنِينَ مُظْمَئِينَ حَتَّى حِينٍ، إِذْ أَفْسَدُوا وَضَلُّوا فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ دَمَّرَ لَهُمْ مَدِينَتَهُمْ، فَكَانَتْ أَحَادِيثَ يَرْوِيهَا الْمُؤَرِّخُونَ، وَيَعْتَبِرُ بِهَا الْمَعْتَبِرُونَ.

وجاء عند المؤرخين أَنَّ «نَيْنَوَى» دُمِّرَتْ عَلَى أَيْدِي «سِيَاكْرِيسَ» مَلِكِ «مِيدْيَا» و«نَابُؤُولُصَارَ» مَلِكِ «بَابِلَ» فِي سَنَةِ (٦١٢ ق م) وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقد جاء بشأن «يونس» عليه السَّلَامُ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ سِتَّةُ نصوص:

أَمَّا الْأَوَّلُ مِنْهَا، فَمَّا جَاءَ فِي سُورَةِ (القلم/ ٦٨ مصحف/ ٤ نُزُول) وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُخْتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾  
لَوْلَا أَن تَدَارَكُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْنِبْهُ رَبُّهُمُ فَجَعَلَهُمُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

وقد سَبَقَ تَدَبُّرُ هَذَا النَّصِّ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ سُورَةِ (القلم/ ٤ نُزُول).

وَأَمَّا اثْنَانِ مِنْهَا فَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ «يونس» عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمَا عَلَى أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ.

الْأَوَّلُ: مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الأنعام/ ٦ مصحف/ ٥٥ نُزُول) فِي الْآيَةِ (٨٦) مِنْهَا، فَقَدْ جَاءَ ذِكْرُهُ فِيهَا ضِمْنَ طَائِفَةٍ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآيَاتِ مِنْ (٨٣ - ٨٧) وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ هَذَا النَّصِّ.

الثَّانِي: مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نُزُول) فِي الْآيَاتِ

من (١٦٣ - ١٦٥) ضَمَنَّ طَائِفَةً مِنَ الْمُرْسَلِينَ ذَكَرُوا فِيهَا مَعَ بَيَانِ الْحِكْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ مِنْ إِرْسَالِهِمْ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ .

وَأَمَّا ثَلَاثَةٌ مِنْهَا، فَهِيَ :

(١) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (يُونُس/ ١٠ مصحف/ ٥١ نزول):

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسَّسُ لِمَا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ .

وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ هَذَا النَّصِّ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ سُورَةِ (يُونُس).

(٢) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الصَّافَّات/ ٣٧ مصحف/ ٥٦ نزول)

وَهُوَ الْآيَاتُ مِنْ (١٣٩ - ١٤٨) وَهِيَ آيَاتُ هَذَا الْفَصْلِ الَّذِي أُسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَى تَدَبُّرِهِ .

(٣) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْأَنْبِيَاء/ ٢١ مصحف/ ٧٣ نزول):

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَكَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ .

هَذِهِ النُّصُوصُ تَحْتَاجُ دِرَاسَةً تَكَامُلِيَّةً تَحْلِيلِيَّةً أُسْتَعِينُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ الْوَهَّابِ عَلَى تَدَبُّرِهَا هُنَا، إِذْ لِقَلَّتِهَا لَا تَحْتَاجُ فَرْزًا فِي مُلْحَقٍ خَاصٍّ بِالنَّبِيِّ الرَّسُولِ «يُونُسَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ .

أَوَّلًا: أَثَبَتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُؤَكَّدًا أَنَّ «يُونُسَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، أَي: فَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الصَّافَّات/ ٥٦ نزول):

• ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ :

جاء في هذه الآية التوكيد بـ«إِنَّ» - والجملة الاسمية - واللام

المزحلقة» للردِّ على الذين يَعْتَبِرُونَهُ نَبِيًّا فَقَطَّ، وَلَيْسَ رَسُولًا مُرْسَلًا مِنْ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِقَوْمٍ بَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ.

ثانياً: طَوَّتِ النُّصُوصُ ذَكَرَ الْقَوْمَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ، وَعِنْدَ الْمُؤَرِّخِينَ أَنَّهُمْ أَهْلُ نَيْنَوَى كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ فِي الْمَقَدِّمَةِ الْعَامَّةِ.

وَطَوَّتِ النُّصُوصُ ذَكَرَ ذَهَابِهِ إِلَى قَوْمِهِ، وَدَعَوَتِهِمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَتَحْذِيرِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ، حَتَّى يَيْسَ مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ، فَغَضِبَ لِلَّهِ مِنْهُمْ، وَأَنْذَرَهُمْ بِعَذَابٍ مِنَ اللَّهِ.

ثالثاً: لَمَّا غَضِبَ لِلَّهِ مِنْ قَوْمِهِ، وَأَنْذَرَهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ رَبِّهِمْ، انْصَرَفَ عَنْهُمْ مُغَاضِباً لَهُمْ، دُونَ إِذْنٍ مِنَ اللَّهِ لَهُ بِالْانْصِرَافِ عَنْهُمْ، وَقَدْ جَاءَ فِي بَيَانِ هَذَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٢١ مصحف/ ٧٣ نزول):

• ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ..﴾ (٧٧) :

النُّونُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْحُوتِ، وَلَعَلَّهُ صِنْفٌ خَاصٌّ مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَاتَانِ الْعَظْمَى.

أَي: وَضَعَ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي قِصَّةَ «يُونُسَ» صَاحِبِ الْحُوتِ، الَّذِي التَّقَمَّهُ حِينَ انْصَرَفَ عَنْ قَوْمِهِ مُغَاضِباً لَهُمْ مِنْ أَجْلِ دِينِ رَبِّهِ، دُونَ إِذْنٍ لَهُ مِنَ اللَّهِ بِأَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهُمْ.

وَعَقِبَ تَحَرُّكِهِ ذَاهِباً عَنْهُمْ وَمُغَاضِباً لَهُمْ بِأَنْفِعَالٍ شَدِيدٍ، ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ وَرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ، لَنْ يُضَيِّقَ عَلَيْهِ، وَلَنْ يَجْعَلَهُ مُوَاخِذاً عَلَى ذَهَابِهِ عَنْ قَوْمِهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ صَرِيحٍ مِنْهُ، وَظَنَّ أَنَّ لَهُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضُوعِ، لَكِنَّهُ كَانَ ظَنًّا فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ الْمَقْبُولِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ بِوَصْفِهِ رَسُولًا.

﴿لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: أَي: لَنْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ فِي الاجْتِهَادِ، فَجَعَلَهُ مُلْزَمًا بِالْأَمْرِ أَوْ الْإِذْنِ الصَّرِيحِ، بِاعْتِبَارِهِ نَبِيًّا رَسُولًا يُوحَى إِلَيْهِ.

رَابِعاً: وَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ قَوْمِهِ مَغَاضِباً لَهُمْ تَوَجَّهَ جِهَةً سَاحِلَ الْبَحْرِ، لِيَسْتَقِيلَ إِلَى بَلَدِهِ فِي فَلَسْطِينَ عَلَى مَرْكَبَةٍ بَحْرِيَّةٍ تُقَرِّبُهُ إِلَى مَنَازِلِ أَهْلِهِ، فَوَجَدَ فُلْكَاً مُنَاسِباً، فَتَفَاوَضَ مَعَ أَصْحَابِهِ عَلَى أَنْ يَرْكَبُوهُ مَعَهُمْ، فَقَبِلُوا ذَلِكَ مِنْهُ فَأَرْكَبُوهُ، دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الصَّافَات/ ٣٧ مصحف/ ٥٦ نزول):

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٨﴾﴾ :

وَصَفَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَنَّهُ عَبْدٌ أَبَقٌ، إِذْ ذَهَبَ عَنْ قَوْمِهِ دُونَ إِذْنٍ مِنْ رَبِّهِ.

الْعَبْدُ الْأَبَقُ: هُوَ الَّذِي يَهْرُبُ مِنْ سَيِّدِهِ مَالِكِ رَقَبَتِهِ، لِئَلَّا يَقُومَ بِمَا كَلَّمَهُ إِيَّاهُ، يُقَالُ لَعَةً: «أَبَقَ، يَأْبِقُ، أَبْقَاءً، وَإِبَاقاً» أَي: هَرَبَ، فَهُوَ «أَبَقٌ» و«أَبُوقٌ».

الْفُلُّكَ: مَرْكَبُ الْبَحْرِ، يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَغَيْرِهِ، يُذَكَّرُ، وَيُؤنَّثُ.

الْمَشْحُونُ: أَي: الْمَمْلُوءُ، يُقَالُ لَعَةً: «شَحَنَ السَّفِينَةَ يَشْحِنُهَا» أَي: مَلَأَهَا أَحْمَالاً وَرُكَّاباً.

أَي: ضَعَّ فِي ذَاكِرَتِكَ أَثَرَهَا الْمُتَلَقِّي، أَنَّ النَّبِيَّ الرَّسُولَ «يُونُسَ» أَبَقَ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي لَمْ يَأْذَنْ لَهُ رَبُّهُ بِأَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهُ إِذْناً صَرِيحاً، وَذَهَبَ رَاغِباً فِي الْعُودَةِ إِلَى مَنَازِلِ أَهْلِهِ فِي فَلَسْطِينَ، فَاخْتَارَ أَنْ يَرْكَبَ مَرْكَبَةً بَحْرِيَّةً تُقَرِّبُهُ، فَوَجَدَ فُلْكَاً مَشْحُوناً، فَتَفَاوَضَ أَصْحَابُهُ عَلَى أَنْ يَحْمِلُوهُ مَعَهُمْ فَوَافَقُوا عَلَى طَلْبِهِ فَحَمَلُوهُ.

خَامِساً: وَطَوَّتِ النُّصُوصُ بَيَانَ أَنَّ الْبَحْرَ هَاجَ وَمَاجَ وَخَافَ أَهْلُ الْفُلِّكَ وَرُكَّابُهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْغَرَقِ، فَفَرَّروا أَنْ يُجْرُوا قُرْعَةً لِإِسْقَاطِ مَنْ تَقَعُ الْقُرْعَةُ عَلَيْهِ فِي الْبَحْرِ، وَيُظْهَرُ أَنَّ هَذَا الْإِجْرَاءَ كَانَ مِنْ عَادَةِ رُكَّابِ الْبَحْرِ فِي زَمَانِهِمْ.

وَقَدْ جَاءَ بَيَانُ هَذِهِ الْقُرْعَةِ فِي سُورَةِ (الصَّافَات/ ٣٧ مصحف/ ٥٦ نزول) وَهُوَ كِنَايَةٌ تَدُلُّ عَلَى مُقْتَضِيَّاتِهَا، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ (١٤١):

الْمُسَاهَمَةُ: الْمَشَارَكَةُ فِي الْقُرْعَةِ بِالسَّهَامِ الَّتِي يُعَيِّنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِوَاحِدٍ مِنَ الْمُتْسَاهِمِينَ، فَمَنْ خَرَجَ سَهْمُهُ وَقَعَ عَلَيْهِ النَّصِيبُ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا.

فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ: أَي: فَكَانَ يُؤَنَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمُزْلَقِينَ عَنِ الْفُلْكِ بِمُقْتَضَى الْقُرْعَةِ الَّتِي أَجْرُوهَا بِإِجَالَةِ السَّهَامِ. يُقَالُ لَعَةً: «أَدْحَضَهُ» أَي: دَفَعَهُ وَزَحَزَحَهُ، وَأَزْلَقَهُ.

أَي: فَالْقَوُّهُ فِي الْبَحْرِ بَعْدَ أَنْ كَانَ بِمُقْتَضَى الْقُرْعَةِ مِنَ الْمُزْلَقِينَ.

وَلَعَلَّ وَسَيَلَتْهُمْ لِلْإِلْقَاءِ فِي الْبَحْرِ، كَانَتْ أَنْ يَضَعُوا الْمُلْقَى فِيهِ عَلَى لَوْحٍ مُثَبَّتِ الْوَسْطَ عَلَى الْفُلْكِ، وَقَابِلٍ لِلتَّحْرُكِ، إِذَا رَفَعُوهُ مِنْ جِهَةِ الْفُلْكِ انْزَلَقَ مِنْ وَضْعِ عَلَيْهِ إِلَى جِهَةِ الْبَحْرِ فَأُلْقِيَ فِيهِ.

سَادِسًا: وَعَقِبَ أَنْ أُلْقِيَ أَصْحَابُ الْفُلْكِ «يُونُسَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْبَحْرِ أَرْسَلَ اللَّهُ حُوتًا عَظِيمًا فَالْتَقَمَهُ، أَي: جَعَلَهُ كَلْقَمَةٍ فِي جَوْفِ فَمِهِ، وَقَدْ جَاءَ بَيَانُ هَذَا فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الصَّافَات/ ٣٧ مصحف/ ٥٦ نزول):

• ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (١٤٢):

فَالْتَقَمَهُ: أَي: فَوَضَعَهُ فِي جَوْفِ فَمِهِ كَأَنَّهُ لُقْمَةٌ مِنْ طَعَامٍ.

الْحُوتُ: أَي: الْحُوتُ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ لِيَلْتَقِمَهُ، فَهُوَ حُوتٌ مُكَلَّفٌ بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ خَاصٌّ بِغَيْرِ أَهْلِ الْعِلْمِ. «ال» فِيهَا مَعْنَى التَّعْرِيفِ بِأَنَّهُ حُوتٌ مُعَيَّنٌ بِالْهَامِ مِنَ اللَّهِ.

وَهُوَ مُلِيمٌ: أي: «يونس» عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَتَى بِمَا يُلَامُ عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ رَبِّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، يُقَالُ لُغَةً: «أَلَامَ فُلَانٌ فَهُوَ مُلِيمٌ» أي: فَعَلَ مَا يُلَامُ عَلَيْهِ.

وَالَّذِي جَعَلَ «يونس» عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاقِعًا فِيمَا يُلَامُ عَلَيْهِ أَنَّهُ تَرَكَ قَوْمَهُ دُونَ إِذْنِ لَهُ بِذَلِكَ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ رَسُولٌ يُوحَى إِلَيْهِ.

سَابِعًا: وَجَدَ «يونس» عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ بِمِثَابَةِ لُقْمَةِ فِي فَمِ حُوتٍ عَظِيمٍ، وَوَجَدَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ وَيُسَبِّحَهُ وَيَدْعُوهُ، فَاسْتَعْلَقَ قُدْرَتَهُ عَلَى ذَلِكَ بِالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ وَالاعْتِرَافِ بِذَنْبِهِ.

دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الأنبياء/ ٢١ مصحف/ ٧٣ نزول):

﴿.. فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧).

أي: فَكَادَى رَبُّهُ وَهُوَ فِي جَوْفِ فَمِ الْحُوتِ مُحَاطٌ بِظُلْمَةِ هَذَا الْجَوْفِ، وَظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَظُلْمَةِ الْعَيْمِ فَوْقَ سَطْحِ الْبَحْرِ، بِالنَّدَاءِ ذِي الْمَضْمُونِ التَّالِي:

(١) ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾: أي: رَبِّ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ إِلَّا أَنْتَ، فَأَنْتَ وَحْدَكَ الرَّبُّ الَّذِي تَسْتَحِقُّ أَنْ تُعْبَدَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ.

(٢) ﴿سُبْحَنَكَ﴾: أي: تَنَزَّهْتَ عَنْ كُلِّ شَرِيكَ، وَتَنَزَّهْتَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِرُبُوبِيَّتِكَ، وَإِلَهِيَّتِكَ، وَتَنَزَّهْتَ عَنْ أَنْ تُجْرِيَ مَقَادِيرَكَ دُونَ أَنْ تَكُونَ مُتَّصِفَةً بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ.

(٣) ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: أي: أَاكُذُّ مُعْتَرِفًا بِذَنْبِي إِذْ ذَهَبْتُ مُعَاضِبًا قَوْمِي بَعْدَ أَنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِي، دُونَ أَنْ أَتَلَقَّى أَمْرًا أَوْ إِذْنًا مِنْكَ بِانْصِرَافِي عَنْهُمْ، وَقَدْ اخْتَرْتَنِي رَسُولًا لَهُمْ يُوحَى إِلَيَّ.

ثَامِنًا: فَقَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، وَاسْتَجَابَ دُعَاءَهُ، فَأَوْحَى إِلَى الْحُوتِ أَنْ يَلْفِظَهُ فِي الْعَرَاءِ قَرِيبًا مِنْ شَاطِئِ الْبَحْرِ.

دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الصَّافَات/ ٣٧ مصحف/ ٥٦ نزول):

• ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾  
 ﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَبْنَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾:

أَي: فَلَوْلَا أَنَّ «يُونُسَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي جَوْفِ فَمِ الْحُوتِ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ، إِذْ قَالَ فِي دُعَائِهِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لَأَكَلَهُ الْحُوتُ وَهَضَمَهُ، وَلَمْ يَعُدْ إِلَى الْحَيَاةِ إِلَّا يَوْمَ يُبْعَثُ النَّاسُ لِلْحِسَابِ، وَفَضَّلِ الْقَضَاءَ، وَتَنَفِذِ الْجَزَاءَ.

وَدَلَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ اسْتَجَابَ دُعَاءَهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الْأَنْبِيَاء/ ٢١ مصحف/ ٧٣ نزول):

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾:

أَي: فَاسْتَجَبْنَا لَهُ دُعَاءَهُ، وَخَلَّصْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ الَّذِي كَانَ فِيهِ كَلْقَمَةً فِي جَوْفِ فَمِ الْحُوتِ. وَمِثْلُ هَذَا التَّخْلِيسِ مِنَ الْغَمِّ نُخَلِّصُ سَائِرَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ كَامِلِي الْإِيمَانِ.

الْغَمُّ: الْكَرْبُ الْمَحِيطُ بِالْقَلْبِ.

فَقَدَّرْنَا أَنَّ يَلْفِظُهُ الْحُوتُ عَلَى الْيَابَسَةِ قَرِيبًا مِنْ شَاطِئِ الْبَحْرِ، فَلَفَظَهُ، فَبَدَّنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ.

النَّبَذُ: طَرَحُ الشَّيْءِ بِسُرْعَةٍ.

الْعَرَاءُ: الْفَضَاءُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ يُسْتَرُّ بِهِ.

السَّقِيمُ: الْمَرِيضُ الَّذِي اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْمَرَضُ.

﴿وَأُنَبِّتُنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ (١٤٦): أي: وَأُنَبِّتُنَا شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ بجواره، فَأَمْتَدَّتْ عُرْوُفُهَا عَلَيْهِ وَظَلَّلَتْهُ أَوْرَاقُهَا.

مِن يَقْطِينٍ: أي: مِّن نُّوعِ شَجَرِ الْيَقْطِينِ، وهو الدُّبَاءُ وَكُلُّ مَا يَنْتَمِي إِلَى هَذَا النُّوعِ.

وَلَعَلَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا، أَوْ هَيَأُ اللَّهُ لَهُ مَا يَتَعَدَّى بِهِ، حَتَّى أَبْلَّ مِنْ سَقَمِهِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ، بِسَبَبِ وُجُودِهِ فِي جَوْفِ فَمِ الْخُوتِ ذِي اللَّعَابِ الْمُسْقَمِ.

تاسعاً: أَمَّا أَهْلُ «نِينَوَى» فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَوَادِرَ نُّذْرِ الْعَذَابِ اقْتَرَبَتْ مِنْهُمْ، وَرَأَوْا أَنَّ رَسُولَ رَبِّهِمْ «يُونُسَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ فَارَقَهُمْ مُغَاضِباً لَهُمْ إِذْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ، تَابُوا، وَآمَنُوا بِرَبِّهِمْ، وَنَبَذُوا شُرَكَائِيَّتَهُمْ، فَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ.

دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (يُونُسَ) ١٠/ مصحف/ ٥١ نزول):

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٩٨).

وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ هَذَا النَّصِّ فِي مَوْضِعِهِ مِّنْ سُورَةِ (يُونُسَ) ٥١/ نزول) فلا حاجة إلى التكرار.

عاشراً: وَلَمَّا أَبْلَّ «يُونُسَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ سَقَمِهِ، وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاجْتَبَاهُ، وَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ، أَرْسَلَهُ إِزْسَالاً جَدِيداً إِلَى قَوْمِهِ أَهْلِ «نِينَوَى» الَّذِينَ تَابُوا إِلَىٰ بَارِيهِمْ، وَبَحَثُوا عَنْ رَسُولِهِمْ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ أَعْلَنُوا إِيمَانَهُمْ بِهِ، وَاتَّبَاعَهُمْ لَمَّا يُبَلِّغُهُمْ عَنْ رَبِّهِ.

دَلَّ عَلَى هَذِهِ الْفَقْرَةِ مِنْ قِصَّتِهِ، قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْقَلَمِ) ٦٨ مصحف/ ٤ نزول):



﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٥٠):

أي: فاصطفاهُ رَبُّهُ اصْطَفَاءً جَدِيداً بَعْدَ حَادِثَةِ الْحَوْتِ التَّأْدِيبِيَّةِ لَهُ، وَبَعْدَ الَّذِي كَانَ مِنْهُ وَهُوَ سَاجِدٌ مَغْمُومٌ مَكْرُوبٌ فِي جَوْفِ فَمِ الْحَوْتِ، فَجَعَلَهُ بِحُكْمِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ الصَّالِحِينَ.

وقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الصَّافَّاتِ/ ٣٧ مصحف/ ٥٦ نزول):

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (٤٧) ﴿فَتَمَتَّعْتَهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (٤٨):

أي: وَأَرْسَلْنَاهُ إِرْسَالاً جَدِيداً بَعْدَ أَنْ اجْتَبَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الصَّالِحِينَ، إِلَى أَهْلِ «نِينَوَى» وَكَانُوا يَزِيدُونَ عَلَى مِئَةِ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ.

وَلَمْ يَرِدْ خَبَرٌ صَحِيحٌ عَنِ الرَّسُولِ الْمُعْصُومِ ﷺ مَقْدَارُ زِيَادَتِهِمْ عَلَى مِئَةِ أَلْفٍ، فَلَا دَاعِيَ لِلِاسْتِعْمالِ بِتَحْدِيدِ هَذِهِ الزِّيَادَةِ بِرَوَايَاتٍ وَأَثَارٍ لَمْ تَبْلُغْ مَبْلَغَ الصَّحَّةِ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَمَتَّعْتَهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ إشارَةٌ إِلَى أَنَّ أَهْلَ «نِينَوَى» فَسَدُوا بَعْدَ ذَلِكَ فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مُهْلِكَاتٍ أَهْلَكَتْهُمْ وَدَمَّرَتْ مَدِينَتَهُمْ.

حادي عشر: وَحَذَّرَ اللَّهُ الدُّعَاةَ الصَّادِقِينَ مِنْ أَمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، بِأَسْلُوبِ خِطَابِ الرَّسُولِ قَائِدِهِمْ وَقُدُوتِهِمْ، مِنَ التَّصَجُّرِ مِنْ عَدَمِ اسْتِجَابَةِ مَنْ يَدْعُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنَ التَّخَلِّي عَنْ مُتَابَعَةِ تَأْدِيبِ وَظَائِفِ رِسَالَتِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خُطَاباً لِرَسُولِهِ فِي آيَاتِ مَدَنِيَّةِ التَّنْزِيلِ مَضْمُومَةٍ إِلَى سُورَةِ (الْقَلَمِ/ ٦٨ مصحف/ ٤ نزول) الَّتِي هِيَ مِنْ أَوَائِلِ التَّنْزِيلِ الْمَكِّيِّ:

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحَوْتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (٤٨) ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُكُمْ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ (٤٩):

مَكْظُومٌ: أي: مَمْلُوءٌ غَمًّا وَكَرْبًا، مَعَ ضَبْطِ نَفْسِهِ بِإِيمَانٍ قَوِيٍّ، إِذْ كَانَ مُعْتَرِفًا بِأَنَّهُ كَانَ بِعَمَلِهِ مِنَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ التَّأْدِيبَ.

﴿لَيْذٌ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾: أي: إِنَّهُ نَبَذَ بِالْعَرَاءِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَذْمُومًا، بَلْ كَانَ مِنَ الْأَوَّابِينَ التَّائِبِينَ، فَاسْتَحَقَّ أَنْ يَجْتَبِيَهُ رَبُّهُ، وَأَنْ يَحْكَمَ لَهُ بِأَنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَمَا كَانَ مِنْهُ قَدْ كَانَ اجْتِهَادًا أَخْطَأَ فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي اجْتَهِدَ فِيهِ وَهُوَ نَبِيُّ رَسُولٍ يُوحَى إِلَيْهِ.

وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ هَذَا النَّصْرِ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ سُورَةِ (القلم/ ٤ نزول) فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ.

وبهذا انتهَى تَدَبُّرُ هَذَا الْفَصْلِ السَّادِسِ، وَانْتَهَى تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الثَّالِثِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الصَّافَاتِ) بِفُضُولِهَا السَّتَّةِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



(٨)

**التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (الصافات)**  
**وهو الآيات من (١٤٩ - ١٦٣)**

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخَنَةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْخَنَةُ إِنَّهُمْ لُمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْحَنِيمِ ﴿١٦٣﴾.

## القراءات:

(١٤٩) • قرأ يعقوب: [فَاسْتَفْتَهُمْ] بِضَمِّ هاء الضمير.

وقراها باقي القراء العشرة بكسْرِ هاء الضمير: [فَاسْتَفْتَهُمْ].

وهما لغتان عَرَبِيَّتَانِ.

(١٥٢ - ١٥٣) • قرأ أبو جعفر: [لَكَاذِبُونَ اصْطَفَى] بهمزة وصلٍ في

«اصْطَفَى».

وقراها باقي القراء العشرة: [لَكَاذِبُونَ. اصْطَفَى] بِهَمْزَةٍ اسْتِفْهَامٍ.

(١٥٥) • قرأ حفص، وحمة، والكسائي، وخلف: [تَذَكَّرُونَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [تَذَكَّرُونَ] بِتَشْدِيدِ الدَّالِّ.

(١٦٣) • قرأ يعقوب: [صَالِي] فِي الْوَقْفِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [صَالٍ] فِي الْوَقْفِ وَالْوَصْلِ.

## تمهيد:

في آيات هذا الدرس تَعْلِيمٌ مُنَاقَشَةٌ لِلْمَشْرِكِينَ، بِشَأْنِ عَقِيدَتِهِمْ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ.

## التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ بِشَأْنِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ: تَزَوَّجَ اللَّهُ مِنْ سَرَوَاتِ الْجِنِّ فَوُلِدْنَ لَهُ الْمَلَائِكَةُ، وَهُوَ تَعْلِيمٌ لِكُلِّ مُنَاطِرٍ لَهُمْ مُؤْمِنٍ بِاللَّهِ إِيْمَانًا حَقًّا.

• ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: الاستفتاء: طَلَبُ الْإِجَابَةِ عَلَى الْمَسْئُولِ عَنْهُ.

أما السُّؤَالُ الَّذِي يَحْسُنُ أَنْ يُطْرَحَ عَلَيْهِمْ بِصُورَةٍ إِفْرَادِيَّةٍ لَتَكُونَ

المنافرة بَيْنَ سَائِلٍ وَمَسْئُولٍ، فِي مُحَاجَّةٍ حَاصِرَةٍ لَهُمْ بِثَلَاثَةِ أَسْئَلَةٍ:

**السؤال الأول:** لماذا تَجْعَلُونَ أَوْلَادَ اللَّهِ مِنْ صِنْفِ الْبَنَاتِ لَا مِنْ صِنْفِ الذُّكُورِ، وَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ الْإِنَاثَ لِأَنْفُسِكُمْ وَتُحِبُّونَ أَنْ يُوَلَّدَ لَكُمْ الذُّكُورُ؟!

هَلْ لَدَيْكُمْ دَافِعٌ نَفْسِيٌّ؟! هَلْ لَدَيْكُمْ بُرْهَانٌ عِلْمِيٌّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ ذُرِّيَّةً مِنَ الْإِنَاثِ؟!

دلَّ على هذا الاحتمال قول الله في تعليم طَرِحِ الاستفتاء على المناظرِ عَنْ أَصْحَابِ هَذِهِ الْفَرِيَةِ:

﴿.. أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ (١٤٩):

أي: مِنْ أَيْنَ لَكَ أَيُّهَا الْمَنَظِرُ عَنْ قَبِيلِكَ هَذَا الْاِفْتِرَاءُ عَلَى رَبِّكَ إِذْ جَعَلْتُمْ لَهُ أَوْلَادًا، وَجَعَلْتُمْ هَؤُلَاءِ الْأَوْلَادَ مِنْ صِنْفِ الْبَنَاتِ لَا مِنْ صِنْفِ الذُّكُورِ، وَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ أَنْ تُوَلَّدَ لَكُمْ الْبَنَاتُ، وَتُحِبُّونَ أَنْ يُوَلَّدَ لَكُمْ الذُّكُورُ؟!

هذا السؤال يفتح الطريق لَطَرِحِ أَسْئَلَةٍ كَثِيرَةٍ، حَوْلَ الرَّبِّ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، مِنْ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ، وَتَنْزُّهِهِ عَنِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ.

ويفتح مجالاً لبيان سَفَاهَتِهِمْ وَنَقْصِ عَقُولِهِمْ إِذْ يَنْسُبُونَ إِلَى رَبِّهِمْ مَا يَكْرَهُونَهُ لِنَفْسِهِمْ.

إِنَّ الْأَزْلِيَّ الْأَبَدِيَّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ صَمَدًا، لَا يِلْدُ وَلَا يُوَلَّدُ وَلَا يَكُونُ لَهُ كُفُوًّا أَحَدٌ، وَبُرْهَانُ الْعَقْلِ قَائِمٌ عَلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، وَسؤال المناظرِ مِنْهُمْ: ﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ سؤالٌ فِيهِ الْبَدْءُ بِتَسْفِيهِ عَقُولِهِمْ، لِيَكُونَ مِفْتَاحًا لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ الْبُرْهَانِيَّةِ عَلَيْهِ.

**السؤال الثاني:** هَلْ شَهِدْتُمْ الْمَلَائِكَةَ عُرَاةً، وَعَلِمْتُمْ مِنْ شُهُودِكُمْ

بِأَعْيُنِكُمْ أَتَهُمْ إِنَّا، ذَوَاتُ فُرُوجٍ كِنَانِ الْإِنْسِ، حَتَّى قُلْتُمْ مَا افْتَرَيْتُمْ بِشَأْنِهِمْ.

دَلَّ عَلَى تَعْلِيمِ طَرَحِ هَذَا السُّؤَالِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذَا الدَّرْسِ:

• ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْتًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ (١٥٠):

أي: قُلْ أَيُّهَا الْمُنَاطِرُ الْمُؤْمِنُ لِمَنْ تَنَاطَرُهُ مِنْهُمْ:

أَكَانَ قَبِيلُكَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ حَاضِرِينَ يُشَاهِدُونَ بِأَعْيُنِهِمْ، حِينَ خَلَقَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ، فَرَأَوْا أَتَهُمْ إِنَّا؟!.

إِنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَزْعُمَ هَذَا، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا السُّؤَالُ مُفْجِعًا لِلْمُنَاطِرِ، وَكَاشِفًا افْتِرَاءَ جَمَاعَتِهِ.

«أَمْ» هِيَ بِمَعْنَى «بَل» الْإِضْرَابِيَّةُ، مَعَ هَمْزَةِ الاسْتِفْهَامِ.

لَمْ يَكُنْ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَأْتِيَ فِي التَّعْلِيمِ: أَشْهَدُوا وَلَادَةَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ زَوَاجَاتِ اللَّهِ؟! لَيْلًا يَكُونُ فِي الْكَلَامِ مَا يُشْعِرُ بِقَبُولِ أَصْلِ الْادِّعَاءِ، وَلَوْ قَبُولًا جَدَلِيًّا، إِذِ الْفَرِيَّةُ مَرْفُوضَةٌ وَلَوْ فِي مُنَاطَرَةٍ جَدَلِيَّةٍ، وَمَتَى سَقَطَ احْتِمَالُ أَنْ يَكُونُوا قَدْ شَهِدُوا أَتَهُمْ إِنَّا عِنْدَ خَلْقِهِمْ، سَقَطَ أَصْلُ الْادِّعَاءِ الَّذِي زَعَمُوا فِيهِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ.

وَجَاءَ فِي تَعْلِيمِ الْمُنَاطَرَةِ لِلْمُنَاطِرِ الْمَجَادِلِ الْمُؤْمِنِ، بِنَاءً عَلَى السُّؤَالَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكِهَمٍ يَّقُولُونَ﴾ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾:

﴿أَلَا﴾: أَدَاةُ اسْتِفْتَاكِ وَتَنْبِيهِ وَتَحْقِيقِ.

أي: انْتَبِهْ وَتَحَقَّقْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ الْمُنَاطِرُ لِهَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي

ادْعَائِهِمْ «وَلَدَ اللَّهُ» فالله الْأَزَلِيُّ الْأَبَدِيُّ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَبُرْهَانُ الْعَقْلِ يَقْضِي حَتْمًا، بَأَنَّ الْأَزَلِيَّ الْأَبَدِيَّ لَا يَتَغَيَّرُ، فَلَا هُوَ مُسْتَقٌّ مِنْ شَيْءٍ، وَلَا يُسْتَقُّ مِنْهُ شَيْءٌ، وَكُلُّ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ فَإِنَّمَا يَصْدُرُ عَنْهُ خَلْقٌ بِأَمْرِ التَّكْوِينِ، «كُنْ» فَالْمُرَادُ لِلَّهِ يَكُونُ، دُونَ أَنْ يَنْفَصِلَ عَنْ ذَاتِهِ الْأَزَلِيَّةِ الْأَبَدِيَّةِ شَيْءٌ.

**الإفك:** الكلام الكذب، ولو لَمْ يَقْصِدْ قَائِلُهُ أَنْ يَكُونَ كاذبًا، يقال لغة: «أَفَكَ، يَأْفِكُ، أَفْكَاءً، وَإِفْكَاءً، وَأُفْكَاءً» ويُقال: «أَفَكَ، يَأْفِكُ إِفْكَاءً» أي: قَالَ قَوْلًا كَذِبًا.

وأصل «الإفك» صَرَفُ الشَّيْءِ عَنْ وَجْهِهِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ.

وعلى اِحْتِمَالِ ادْعَائِهِمْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ، وَجَعَلَهُنَّ بَنَاتِهِ بِالتَّبْنِيِّ، يُقَالُ لَهُنَّ: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ (٥٣) !!؟

أي: إِنَّ مَنْطِقَ الْعَقْلِ يَقْضِي بِأَنَّ لَا يَصْطَفِي الرَّبُّ الْأَزَلِيُّ الْأَبَدِيُّ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، لَوْ شَاءَ أَنْ يَتَبَنَّى بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ، الْبَنَاتِ وَيُفَضِّلَهُنَّ بِالتَّبْنِيِّ عَلَى الْبَنِينَ.

هذه مُحَاجَّةٌ جَدَلِيَّةٌ لِإِسْقَاطِ ادْعَائِهِمْ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا تَقْتَضِي حِكْمَتَهُ بِأَنْ يَتَبَنَّى خَلْقًا مِنْ خَلْقِهِ، لِأَنَّهُ غَنِيٌّ بِذَاتِهِ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْلَادٌ، إِنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ فِي الْأَكْوَانِ مِنْ آثَارِ خَلْقِهِ بِأَمْرِ التَّكْوِينِ.

وَجَاءَ فِي تَعْلِيمِ الْمُحَاجَّةِ الْجَدَلِيَّةِ لِلْمُنَاطِرِ الْمُؤْمِنِ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ، قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ !!؟

مَا لَكُمْ: أَيُّ: أَيُّ شَيْءٍ هُوَ حُجَّةٌ لَكُمْ تَحْتَجُّونَ بِهِ مِنْ دَلِيلٍ عَقْلِيٍّ، يُسَوِّغُ لَكُمْ أَنْ تَزْعُمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ أَنْجَبَ وَلَدًا مِنْ نُسْلِهِ، أَوْ تَبَنَّى وَلَدًا؟ !!.

كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟! أَيُّ: كَيْفَ تَصَاغَرَتْ عُقُولُكُمْ وَتَضَاعَلَتْ، حَتَّى

صَدَرَ عَنْكُمْ هَذَا الْحُكْمُ الْبَاطِلُ، وَقَدْ مَنَحَكُمْ رَبُّكُمْ فِي أَصْلِ فِطْرِكُمْ عُقُولًا ذَاتَ مَوَازِينَ تُفَرِّقُونَ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ!!؟.

إِنَّ هَذَا لَأَمْرٌ مُسْتَنَكِرٌ مِنْكُمْ جَدًّا، وَيَسْتَحِقُّ أَنْ يَتَعَجَّبَ مِنْهُ الْعُقَلَاءُ، وَيُلْؤَمُونَكُمْ عَلَيْهِ، وَيُسَفَّهُونَ بِهِ أَحْلَامَكُمْ.

الاستفهامان في ﴿مَا لَكُمْ﴾؟! وفي ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؟! للتعجيب من أمرهم، والإنكار الشديد عليهم، مع التلويح والتشريب.

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟: أي: أفستَمِرُّونَ عَلَى التَّزَامِ مَا أَنْتُمْ مُتَمَسِّكُونَ بِهِ مِنْ بَاطِلٍ، فَلَا تَضَعُونَ مَوَازِينَ الْحَقِّ فِي سَاحَةِ تَذَكُّرِكُمُ الْحَاضِرِ، لِتَهْدِيَكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْحَقِّ الْمُتَعَلِّقِ بِاللَّهِ رَبِّكُمْ، وَنَبَذِ الْخَرَافَاتِ الْبَاطِلَاتِ الَّتِي وَرَثْتُمُوهَا بِالتَّقْلِيدِ الْأَعْمَى عَنِ أَسْلَافِكُمْ.

وفي هذا الاستفهام حثٌّ شديدٌ لَهُمْ عَلَى تَرْكِ الْبَاطِلِ الَّذِي هُمْ فِيهِ، وَالِاسْتِمْسَاكِ بِالْحَقِّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ الدَّاعِي الْمُؤْمِنُ الْمُنَاطِرُ لَهُمْ، فَيَنْزِعُوا مِنْ تَصَوُّرَاتِهِمْ أَوْهَامَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ.

السؤال الثالث: إِذَا قَامَتْ عَلَيْكُمُ الْبَرَاهِينُ الَّتِي وُجِّهَتْ لَكُمْ، اسْتِثْقَاً مِنَ السُّؤَالِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، فَإِنَّهُ يُوجَدُ احْتِمَالٌ ثَالِثٌ قَدْ تَدَّعَوْنَ فِيهِ مَا يُسَوِّغُ مَا زَعَمْتُمُوهُ، لِنُعْطِيَكُمْ آخَرَ جَوْلَةٍ مِنْ جَوَلَاتِ الْمُنَاطَرَةِ، وَهُوَ احْتِمَالُ أَنْ يَكُونَ لَدَيْكُمْ بَيَانٌ عَنْ رَبِّكُمْ جَاءَ عَلَى لِسَانِ رَسُولٍ صَادِقٍ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ، وَفِيهِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ نَسَبًا أَوْ بِالتَّبَنِّي.

وَقَدْ جَاءَ التَّعْلِيمُ بِطَرَحِ سُؤَالٍ حَوْلَ هَذَا الْاحْتِمَالِ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾:

الْمُرَادُ بِالسُّلْطَانِ الْمُبِينِ هُنَا الْحُجَّةُ الْبَيِّنَةُ الرَّبَّانِيَّةُ، الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا آيَاتٍ فِي كِتَابٍ مُنْزَلٍ عَلَى رَسُولٍ مِنْ رُسُلِهِ.

أَي: بَلْ. أَلَكُمُ حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ، جَاءَتْ فِي آيَاتِ كِتَابٍ مُنَزَّلٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَبِّكُمْ، وَفِيهَا إِبْتِثَاتٌ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ بِالنَّسَبِ أَوْ بِالتَّبْنِيِّ؟؟  
فَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَعْتَمِدُونَ عَلَى حُجَّةٍ نَصِيَّةٍ مُنَزَّلَةٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ، فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ وَأَرُونَا بَيَانَ رَبِّكُمْ فِي هَذَا، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي هَذَا  
الادِّعَاءِ.

لَكِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ لَدَيْهِمْ بَيَانٌ مَا مِنْ رَبِّهِمْ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِي  
إِبْتِثَاتٍ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ.

وَبِإِفْحَامِهِمْ فِي حُدُودِ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ الْمُحَاصِرَةِ لَهُمْ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ،  
لَا تَبْقَى لَهُمْ ذَرِيعَةٌ يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَلَّلُوا بِهَا، وَيُغْلَبُونَ فِي الْمَنَاطَرَةِ، فَإِنْ  
أَصْرُوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنْ بَاطِلٍ، فَإِنَّهُمْ مُكَابِرُونَ مُعَانِدُونَ جَاحِدُونَ  
لِلْحَقِّ، سَاقِطُونَ سَفَهَاءُ لَدَى جَمِيعِ الْعُقَلَاءِ.

وَيَتَّصِلُ بِادِّعَائِهِمْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ افْتِرَاؤُهُمْ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ  
عَمَّا يَصِفُونَ - قَدْ تَزَوَّجَ نِسَاءً مِنْ سَرَواتِ الْجِنِّ، فَأَنْجَبَ مِنْهُنَّ الْمَلَائِكَةَ،  
فَالْمَلَائِكَةُ ذُوو نَسَبٍ مُتَّصِلٍ بِاللَّهِ نَاتِجٍ عَنْ مُصَاهَرَةِ اللَّهِ لِأَشْرَافِ مِنَ الْجِنِّ.

أَي: زَعَمَ بَعْضُ مُشْرِكِي الْعَرَبِ أَنَّ اللَّهَ صَاحِرَ أَشْرَافِ الْجِنِّ، فَتَنَجَّ  
عَنْ هَذِهِ الْمُصَاهَرَةِ أَوْلَادٌ هُمْ الْمَلَائِكَةُ، فَالْمَلَائِكَةُ ذُوو نَسَبٍ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ  
الْجِنِّ، إِذْ هُمْ أَوْلَادُ اللَّهِ مِنْ جِهَةِ أَبِيهِمْ، وَأَوْلَادُ نِسَاءِ الْجِنِّ مِنْ جِهَةِ  
أُمَّهَاتِهِمْ.

أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْفَرِيقَةَ مِنْ إِفْكِ الْمُشْرِكِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

• ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾:

هَذِهِ الْفَرِيقَةُ مُضَافَةٌ إِلَى فَرِيقَتِهِمْ فِي أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، وَإِلَى  
كَذِبِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ: وَلَدَ اللَّهُ إِذْ هُمْ يَقُولُونَ فِيهَا: إِنَّ اللَّهَ تَزَوَّجَ مِنْ نِسَاءِ



سَرَوَاتِ الْجِنِّ، فَأَنْجَبَنَ لَهُ، فَكَانَ أَوْلَادُهُ مِنْهُمْ لَهْنٌ صِلَاتٌ بِهِ نَسَبًا، وَلَهْنٌ صِلَاتٌ بِالْحِنَةِ نَسَبًا، وَالتَّعْيِيرُ عَنْ هَذَا جَاءَ بِعِبَارَةٍ: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحِنَةِ نَسَبًا﴾ وَلَا يَقْتَضِي هَذَا أَنْ يَكُونَ الْجِنُّ أَوْ بَعْضُهُمْ مِنْ ذُرَارِي اللَّهِ، بَلِ الْأَوْلَادُ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ نِسَاءِ الْجِنِّ هُمْ صِلَةٌ ذَاتُ ارْتِبَاطٍ نَسَبِيٍّ بَيْنَهُمَا.

الْحِنَةُ: لَفْظٌ يُطْلَقُ عَلَى الْجِنِّ.

وَالرُّدُّ عَلَى هَذِهِ الْفَرِيَةِ مُنَاطِرٌ لِلرَّدِّ الْعَقْلِيِّ، وَلِلرُّدُّودِ الَّتِي سَبَقَتْ مُحَاصِرَتُهُمْ بِالْأَسْئَلَةِ الثَّلَاثَةِ حَوْلَ افْتِرَاءَاتِهِمْ السَّابِقَةِ فِي هَذَا الدَّرْسِ.

وَيُضَافُ إِلَيْهَا الْإِعْلَامُ بِأَنَّ الْجِنِّ يُكَذِّبُونَهُمْ فِي افْتِرَائِهِمْ هَذَا، إِذْ أَشْرَافُ الْجِنِّ يَعْلَمُونَ أَنََّّهُمْ عِبَادٌ لِلَّهِ، وَأَنََّّهُمْ مَوْضُوعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ قَبْلَ الْإِنْسِ، وَأَنََّّهُمْ سَيُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَسَيُحْضَرُونَ مَسْوُوقِينَ إِلَى مَحْكَمَةِ رَبِّهِمْ لِلْحِسَابِ، وَفُضِّلَ الْقَضَاءُ، ثُمَّ لَتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ، عَلَى مَا قَدَّمُوا فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، فَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا.

دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآيَةِ:

﴿.. وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْحِنَةُ إِنَّهُمْ لُمُحْضَرُونَ﴾ (١٥٨)

أَي: وَلَقَدْ عَلِمَ الْجِنُّ أَنََّّهُمْ عَبِيدٌ لِلَّهِ مُمْتَحَنُونَ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَنََّّهُمْ مُحْضَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْمَحْكَمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَا مِنْ ذُرَارِيهِمْ أَوْلَادًا لِلَّهِ، إِذْ لَوْ كَانَ بَعْضُ ذُرَارِيهِمْ مِنْ نَسْلِ اللَّهِ، لَكَانَ فِيهِمْ جُزْءٌ مِنْ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ، وَمَنْ لَهُ رُبُوبِيَّةٌ مَا لَا يَخْضَعُ لِحِسَابٍ، وَفُضِّلَ قَضَاءُ، وَتَنْفِيذُ جَزَاءِ.

هَذَا الْاِحْتِجَاجُ هُوَ مِنْ قَبِيلِ نَفْيِ اللَّازِمِ لِنَفْيِ الْمَلْزُومِ، أَوْ مِنْ إِبْثَاتِ نَقِيضِ اللَّازِمِ لِنَفْيِ الْمَلْزُومِ، لِأَنَّ إِبْثَاتِ نَقِيضِ اللَّازِمِ هُوَ فِي مَضْمُونِهِ نَفْيٌ لِلَّازِمِ.

وَالْمُرَادُ بِالْإِحْضَارِ هُنَا: الْإِحْضَارُ لِلْحِسَابِ، وَفَضْلُ الْقَضَاءِ، وَبَعْدَهُ  
يَجْرِي تَنْفِيزُ الْجَزَاءِ عَلَى وَفْقِ فَضْلِ الْقَضَاءِ.

وَحَتَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا التَّعْلِيمَ الْجِدَالِيَّ لِلْمُؤْمِنِ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ  
بِقَوْلِهِ:

• ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾:

أَي: تَنَزَّهَ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - عَنْ كُلِّ مَا يَصِفُهُ بِهِ  
الْوَاصِفُونَ بَارِئِهِمْ، وَأَوْهَامِهِمْ، وَتَحْيَلَاتِهِمْ، مِنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ إِذْ لَمْ  
يَأْتِ بِهِ نَبِيٌّ يُوحِي إِلَيْهِ، وَلَمْ يَنْزِلْ بِهِ بَيَانٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فِي كِتَابٍ مِنْ كُتُبِهِ،  
بِاسْتِثْنَاءِ عِبَادِ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ الَّذِينَ حَكَّمَ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ بَرِيئُونَ مِنْ وَصْفِ اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَهُمْ الْمُرْسَلُونَ، وَالنَّبِيُّونَ، وَالْمُؤْمِنُونَ الْمُتَمَرِّضُونَ  
فِي عَقِيدَتِهِمْ بِمَا جَاءَ بِهِ رُسُلُ رَبِّهِمْ، فَهَؤُلَاءِ لَا يَصِفُونَ اللَّهَ إِلَّا بِالصِّفَاتِ  
الْحَقِّ، الَّتِي جَاءَ بِهَا بَيَانٌ عَنْهُ، وَالَّتِي لَهُمْ فِيهَا بُرْهَانٌ مِنَ اللَّهِ.

وَأخيراً خَاطَبَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ خُطَاباً مُبَاشِراً بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ:

• ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ  
الْجِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾:

أَي: فَإِنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مَعَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ رَبِّكُمْ، مَهْمَا  
اتَّخَذْتُمْ مِنْ وَسَائِلِ إِغْرَاءٍ وَإِغْوَاءٍ، لِفِتْنَةٍ أَحَدٍ وَجَعَلِهِ يَعْتَقِدُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ  
مِنْ شُرَكَيَّاتِكُمْ، وَمَعْتَقِدَاتِكُمُ الْبَاطِلَاتِ، فَإِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ  
سُلْطَانٌ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الْمَوْضُوعَيْنِ مَوْضِعَ الْإِبْتِلَاءِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَصْحَابُ  
إِرَادَاتٍ حُرَّةٍ لَا يُمَكِّنُ إِكْرَاهُهَا.

فَمَا أَنْتُمْ بِفَاتِنِينَ فِتْنَةً إِكْرَاهٍ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَحَدًا، لَكِنْ مَنْ  
اسْتَجَابَ لَكُمْ بِإِرَادَتِهِ الْحُرَّةِ، اتَّبَاعاً لِأَهْوَايِهِ وَشَهَوَاتِهِ وَإِثَاراً لِمَتَاعَاتِهِ مِنْ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ بِاخْتِيَارِهِ الْحُرِّ صَائِرٌ إِلَى عَذَابِ الْحَرِيقِ فِي الْجَحِيمِ.

• ﴿مَا أَنْتَ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ﴾ (١٦٦): أي: ما أنتم حالة كونكم ثابتين على شرككم بفاتنين أحداً، فتنة تسلط وإكراه، ليعتقد معتقداتكم، ويسلك طرائقكم.

المراد بالفتنة هنا الإضلال بالإغواء والإغراء والوساوس والتسويلات.

• ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ (١٦٦): أي: لكن من هو سالك باختياره الحر، مسالك توصله إلى أن يكون معذباً يوم الدين بالحريق في الجحيم، فإنه يجد فيما تدعونه إليه ما يهوى، فيستجيب لإغوائكم وتضليلاتكم، ومصيره، باختياره الحر أنه صالي الجحيم.

صالي: اسم فاعل من «صلي النار، وصلي بها» أي: احترق فيها، أو عذب فيها عذاب الحريق.

وبهذا تم تدبر الدرس الرابع من دروس سورة (الصفات). والحمد لله على معونته ومدده وتوفيقه وفتحه.



(٩)

**التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (الصفات)**  
**وهو الآيات من (١٦٤ - ١٦٦)**

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَمَا مِمَّا إِلَّا لَهُمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ (١٦٤) ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (١٦٥) ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ﴾ (١٦٦).

**تمهيد:**

في آيات هذا الدرس توجيه للمؤمنين أن يقولوا للمشركين، مُعلنين موقفهم المضاد لمواقف كل الكافرين، وأن يقولوا: إِنَّهُمْ هُمُ الصَّافُونَ فِي

صَلَوَاتِهِمْ وَفِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى دِينِ رَبِّهِمْ، وَفِي جِهَادِهِمْ وَقِتَالِهِمْ إِذَا دَعَا  
الوَاجِبُ لِذَلِكَ، وَإِنَّهُمْ هُمُ الْمُسَبِّحُونَ الَّذِينَ يُنْزَهُونَ رَبَّهُمْ عَنْ كُلِّ مَا لَا  
يَلِيْقُ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

### مُقَدِّمَةٌ عَامَّةٌ :

جَاءَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ (الصَّافَّاتِ) تَمْجِيدُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِجَمَاعَاتِ الْأُمَّةِ  
الرَّبَّانِيَّةِ الْوَاحِدَةِ، مُنْذُ بَدْءِ التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ حَتَّى آخِرِ جَمَاعَةٍ مِنْ أُمَّةِ  
مُحَمَّدٍ ﷺ، بِأَسْلُوبِ الْقَسَمِ بِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالْزَّجَرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالَّتِلَافِ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾.

وَكَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ قُبِيلَ آوَاخِرِ السُّورَةِ، أَنْ يُعَلِّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُعْلِنُوا لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ مِنْ دُونِهِمْ، أَنَّهُمْ مُنْفَصِلُونَ  
مُتَمَيِّزُونَ عَنِ النَّاسِ فِي مَقَامِهِمُ الْإِيمَانِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، الَّذِي يُلَازِمُونَهُ وَلَا  
يُفَارِقُونَهُ، فَلَا يَتَعَدَّوْنَهُ إِلَى أَيِّ مَقَامٍ آخَرَ يَقُومُ عَلَيْهِ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَلِكِ  
وَالْأَدْيَانِ وَالْمَذَاهِبِ الْمُخَالِفَةِ لِدِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، الَّذِي آدَى رِسَالَتِهِ مُحَمَّدٌ بْنُ  
عَبْدِ اللَّهِ ﷺ.

وَأَنْ يُعْلِنُوا أَنَّهُمْ هُمْ مِنْ دُونِ النَّاسِ الصَّافُّونَ فِي صَلَوَاتِهِمْ، وَفِي  
أَنْوَاعِ جِهَادِهِمْ، وَفِي سَائِرِ شُؤُنِ حَيَاتِهِمْ، بِصُفُوفٍ مُتَرَاصَةٍ مُنْتَظِمَةٍ، غَيْرِ  
مُتَفَرِّقَةٍ وَلَا مُتَشَاكَّةٍ، وَلَا مُتَنَافِرَةٍ.

وَأَنْ يُعْلِنُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُسَبِّحُونَ لِرَبِّهِمْ، الْمُنْزَهُونَ لَهُ مِنْ كُلِّ مَا لَا  
يَلِيْقُ بِذَاتِهِ وَلَا بِصِفَاتِهِ.

فَتَمَيِّزُهُمْ بِمَقَامٍ خَاصٍّ بِهِمْ مُنْفَصِلٍ عَنِ سَائِرِ النَّاسِ يُبْرِزُ أَنَّهُمْ أُمَّةٌ  
وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ، وَهُمْ سَائِرُونَ عَلَى طَرِيقِ الْأُمَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْوَاحِدَةِ،  
الْمُتَتَابِعَةِ الْمَوَاقِبِ بِقِيَادَاتِ رُسُلِ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ مُنْذُ عَهْدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،

حَتَّىٰ بَعْثَةٍ مِّنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (المؤمنون/ ٢٣ مصحف/ ٧٤ نزول) خِطَابًا لِلرُّسُلِ جَمِيعًا:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٧﴾﴾.

وَأَمَّا التَّزَامُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ فِي جَمَاعَتِهِمْ الانضِبَاطَ بِالصَّفِّ الْوَاحِدِ، فِي صَلَوَاتِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ الْأُخْرَى، وَجِهَادِهِمْ وَقِتَالِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَسَائِرِ شُؤُونِ حَيَاتِهِمْ، فَهُوَ يَمْنَحُهُمْ قُوَّةً لَا تُغْلَبُ، وَعِزَّةً وَمَنْعَةً بَيْنَ النَّاسِ، مَحْمِيَّةً بِحِمَايَةِ اللَّهِ وَمَحْفُوظَةً بِحِفْظِهِ.

وَقَدْ عَلَّمَنَا اللَّهُ فِي الْإِسْلَامِ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةَ مَعَ الْجَمَاعَةِ فِي صُفُوفٍ مُنْتَظِمَةٍ مُنضَبِطَةٍ، تُتَابِعُ إِمَامًا فِي قِيَامِهِ وَرُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ وَجُلُوسِهِ.

وَأَبَانَ لَنَا فِي سُورَةِ (الصَّفِّ/ ٦١ مصحف/ ١٠٩ نزول) أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَّرْصُوفٌ ﴿٤٤﴾﴾.

وَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَنْ يَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مِثْلَ هَذَا التَّعَاوُنِ هُوَ مِنْ ثَمَرَاتِ اجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ صَفًّا وَاحِدًا، وَلَا بُدَّ أَنْ نَفْهَمَ أَنَّ الْعَمَلَ الصَّفِيَّ لَا يَلْزَمُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ عَلَى سَطَرٍ أَقْيَى أَوْ سَطَرٍ طَوِيلٍ، بَلِ الْعَمَلُ الصَّفِيُّ هُوَ الَّذِي يَخْضَعُ لِنِظَامٍ وَاحِدٍ تُحَرِّكُهُ قِيَادَةٌ وَاعِيَّةٌ ذَاتُ إِمَامَةٍ، وَهَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْعَمَلِ الَّذِي يَقْتَضِي الْعَمَلَ التَّعَاوُنِيَّ التَّكَامُلِيَّ.

فَالْعَمَلُ الصَّفِيُّ فِي الْحَرْبِ يَرْسُمُ لِلطَّائِرَاتِ نِظَامَ عَمَلٍ مُتَعَاوِنٍ مَعَ الْآلِيَّاتِ الْحَرْبِيَّةِ الَّتِي تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَمَعَ الْجُنُودِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى أَرْجُلِهِمْ، وَمَعَ الْأَسْلِحَةِ الْخَفِيفَةِ وَالثَّقِيلَةِ، كَالْمَدَافِعِ، وَالصَّوَارِيخِ، وَالْبِنَادِقِ وَالْقَنَابِلِ الْيَدَوِيَّةِ وَغَيْرِهَا.

وَهَذَا الْعَمَلُ الْمُتَعَاوَنُ يَرُسُّ لِكُلِّ مَجْمُوعَةٍ أَوْ فَرْدٍ مَوْعِياً مُحَدَّداً فِي سَاحَةِ مَعْرَكَةِ الْقِتَالِ أَوْ سَاحَاتِهَا، ضِمْنَ نِظَامٍ تَكَامُلِيٍّ، سَوَاءً أَكَانَ هَذَا الْمَوْقِعُ مُتَقَدِّماً أَمْ مُتَوَسِّطاً أَمْ مُتَأَخِّراً، وَفِي أَيِّ جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ أَوْ سَاحَاتِهَا.

فَعُنْوَانُ الصَّفِّ يَشْمَلُ كُلَّ نِظَامٍ عَامٍّ تَكَامُلِيٍّ تَقْتَضِيهِ الْمَصْلَحَةُ، ذَاتُ النَّتَائِجِ الَّتِي يُرْجَى نَجَاحُهَا وَإِعْطَاؤُهَا أَفْضَلَ الثَّمَرَاتِ.

وَأَمَّا كَوْنُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ هُمُ الْمُسَبِّحُونَ، فَهُوَ بَيَانٌ لِلْوَاجِبِ الْإِيمَانِيِّ الْإِعْتِقَادِيِّ، الَّذِي يُمَيِّزُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ جَمِيعِ الْكَافِرِينَ، إِذِ الْكَافِرُونَ لَا يُسَبِّحُونَ اللَّهَ وَلَا يُنْزَهُونَهُ، بَلْ يَكْفُرُونَ بِهِ مِنْ أَخْفِ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ وَهُوَ الشِّرْكَ، إِلَى أَشَدِّ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ وَهُوَ جُحُودُ وُجُودِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَاعْتِقَادُ أَنَّهُ لَا رَبَّ، وَأَنَّ الْكَوْنَ مَادَّةٌ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُرْشِدُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ يُعْلِنُوا لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ما يلي:

● ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ (١٦٤):

مَقَامٌ: أَي: مَكَانٌ قِيَامٌ مَعْنَوِيٌّ يَخْتَارُهُ الْقَائِمُ فِيهِ، فَاَلْمَوْضُوعُ يَتَعَلَّقُ بِالْمُعْتَقَدَاتِ وَلِوَازِمِهَا مِنَ السُّلُوكِيَّاتِ، وَمَا تَقْتَضِيهِ مِنَ الْمَفْهُومَاتِ حَوْلَ مُخْتَلَفِ شُؤُنِ الْحَيَاةِ.

وَالْمَعْنَى: وَمَا مِنَّا نَحْنُ الْبَشَرُ فَرِيقٌ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ اعْتِقَادِيٌّ وَسُلُوكِيٌّ اخْتَارَ أَنْ يَكُونَ ثَابِتاً عَلَيْهِ، وَمُلَازِماً لَهُ.

فَمَقَامُنَا الَّذِي اخْتَرْنَا لُزُومَهُ وَالثَّبَاتَ عَلَيْهِ، هُوَ مَقَامُ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ بِرَبِّنَا، الْمُقْتَرِنِ بِالْبَرَاهِينِ الْقَوَاطِعِ، وَالْإِسْلَامِ لَهُ بِإِعْلَانِ الطَّاعَةِ وَالْانْقِيَادِ

لَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، الَّتِي بَلَّغَهَا رَسُولُهُ الْمُؤَيَّدُ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ الدَّلَالَتِ  
بِيقِينٍ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا يُبَلِّغُ عَنْ رَبِّهِ.

فَنَحْنُ ثَابِتُونَ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ، وَمُلَازِمُونَ لَهُ، وَمَقَامُنَا هَذَا مَعْلُومٌ  
وَاضِحٌ لَا غُمُوضَ فِيهِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ غِشَاوَاتٌ، فَلَا تُجْهِدُوا أَيُّهَا الْمَخَالِفُونَ  
لَنَا أَنْفُسَكُمْ فِي فِتْنَتِنَا، لِرَحْزَحَتِنَا عَنْ إِيْمَانِنَا وَإِسْلَامِنَا بِإِعْرَاءِ تَكْمٍ،  
وَإِعْوَاءِ اتِكُمْ، وَزُخْرُفِ أَقْوَالِكُمْ، وَوَسَاوِسِكُمْ، وَإِظْمَاعَاتِكُمْ لَنَا بِالْبَاطِلِ،  
وَتَزْيِينَاتِكُمْ مَسَالِكِ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ.

وَكُلُّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ لَهُ مَقَامٌ مِنْ مَقَامَاتِ الْكُفْرِ بِمَا آمَنَّا نَحْنُ بِهِ مِنَ  
الْحَقِّ، تُجَاهَ رَبَّنَا، وَنَسَأَتِنَا، وَمَصِيرِنَا، وَالْعَايَةِ مِنْ خَلْقِنَا، وَوُظِيفَتِنَا فِي  
هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

فَالْمُشْرِكُونَ مِنْكُمْ لَهُمْ مَقَامٌ شَرِكِيٌّ قَدْ اخْتَارُوا أَنْ يَلَازِمُوهُ، إِذْ وَجَدُوهُ  
مُرْضِيًّا لِأَهْوَائِهِمْ، وَشَهَوَاتِهِمْ، وَنَزَعَاتِهِمْ، وَنَزَعَاتِ شَيَاطِينِهِمْ.

وَبَجَاحِدُوا وَجُودَ الرَّبِّ الْخَالِقِ لَهُمْ مَقَامٌ جُحُودِيٌّ قَدْ اخْتَارُوا أَنْ  
يَلَازِمُوهُ، إِذْ وَجَدُوهُ مُرْضِيًّا لِكِبْرِهِمْ، وَانْطِلَاقِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَاجِرِينَ  
مُجْرِمِينَ، لَا يَرُدُّعُهُمْ عَنْ شُرُورِهِمْ رَادِعٌ، وَلَا يُخَفِّفُهُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ  
مُخِفٌ يَضَعُونَ احْتِمَالَ وَجُودِهِ فِي تَصَوُّرَاتِهِمْ.

وَهَكَذَا كُلُّ فَرِيقٍ لَهُ اعْتِقَادٌ مَا، هُوَ مُعْجَبٌ بِهِ وَمُلَازِمٌ لَهُ، لَهُ مَقَامٌ  
مَعْلُومٌ لَهُ، فَإِذَا كَانَ عَلَى غَيْرِ إِيْمَانِنَا وَإِسْلَامِنَا، دَعَوْنَاهُ إِلَى نَبْذِهِ وَالْإِنْتِقَالِ  
إِلَى مَقَامِنَا، فَإِنْ أَبَى تَرَكْنَاهُ وَمَقَامَهُ، وَسَوْفَ يُلَاقِي مَصِيرَهُ الَّذِي هُوَ صَائِرٌ  
إِلَيْهِ عِنْدَ رَبِّهِ، عَذَابًا بِالْحَرِيقِ بِالنَّارِ فِي الْجَحِيمِ يَوْمَ الدِّينِ، وَلَيَعْلَمَنَّ أَنَّهُ  
صَائِرٌ إِلَيْهِ بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ، لَمْ يُجْبِرْهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ، فَقَدْ مَنَحَهُ رَبُّهُ إِرَادَةَ حُرَّةً  
غَيْرَ مَجْبُورَةٍ، وَأَدَاةَ تَفْكِيرٍ وَفَهُمْ يُفَرِّقُ بَهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ  
وَالشَّرِّ، وَعَقْلًا قَادِرًا عَلَى إِدْرَاكِ الْمَعَارِفِ، وَعَقْلًا إِرَادِيًّا يَقْدِرُ بِهِ أَنْ يَضْبِطَ

أَهْوَاءَ نَفْسِهِ وَشَهَوَاتِهَا، وَلَوْ فِي حُدُودِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ رَبِّهِ، وَإِعْلَانِ الْإِسْلَامِ  
بَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَيَنْجُو مِنَ الْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ.

وعبارة ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤) تُشَبِّهُ التَّعْلِيمَ الرَّبَّانِيَّ الَّذِي  
أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ بِهِ، فِي قَوْلِهِ لَهُ فِي سُورَةِ (الْأَنْعَامِ/ ٦ مصحف/ ٥٥  
نزول):

﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ  
لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (١٢٥).

الْمَكَانَةُ: مُؤَنَّثُ الْمَكَانِ، وَهِيَ الْمَقَامُ الْاِعْتِقَادِيُّ وَالسُّلُوكِي، الَّذِي  
يَخْتَارُهُ لِنَفْسِهِ الْمَوْضُوعُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْاِمْتِحَانِ.

أي: اَعْمَلُوا عَلَى الْمَقَامِ الْاِعْتِقَادِيِّ وَالسُّلُوكِيِّ الَّذِي اخْتَرْتُمُوهُ  
لِنَفْسِكُمْ، وَأَصْرَرْتُمْ عَلَى مُلَازِمَتِهِ وَعَدَمِ مُفَارَقَتِهِ إِلَى مَقَامِ الْحَقِّ وَالرُّشْدِ،  
إِنِّي عَامِلٌ وَأَنَا عَلَى مَقَامِي الْاِعْتِقَادِيِّ وَالسُّلُوكِيِّ مِنَ الْإِيمَانِ الْكَامِلِ  
الصَّحِيحِ بِرَبِّي، وَالْإِسْلَامِ لَهُ، وَلَنْ تُرْخِزِحُونِي عَنْ مَقَامِي مَهْمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ  
وَسَائِلٍ.

فَالْأَمْرُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ رَسُولَهُ، أَرْشَدَ اللَّهُ عَامَّةَ الْمُؤْمِنِينَ  
الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقُولُوا نَظِيرَهُ لِغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ، مِنْ أَصْحَابِ الْمَلِكِ  
وَالنَّحْلِ وَالْمَذَاهِبِ، الْمَضَادَّةَ لِمَا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ رَسُولَهُ دَاعِينَ  
وَهَادِينَ، وَمُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ.

وَلَسْتُ أَرَى أَنَّ هَذَا خَاصٌّ بِمَوْضُوعِ التَّعْلِيمِ الْجَدَلِيِّ الَّذِي جَاءَ فِي  
الدرس الرابع السابق، بَلْ هُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ قَضَايَا الدِّينِ وَمَسَائِلِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُتَابِعاً إِرْشَادَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُعْلِنُوهُ  
لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، عَلَى اخْتِلَافِ فِرَقِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ:



﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾:

أي: وَإِنَّا لَنَحْنُ وَحْدَنَا مِنْ دُونِ النَّاسِ جَمِيعاً، المطالبُونَ بِأَنْ نَكُونَ فِي حَيَاتِنَا، وَعِبَادَاتِنَا لِرَبِّنَا مُنْضَبِّطِينَ بِالنِّظَامِ الصَّفِيِّ، فِي وَحْدَةِ إِيْمَانِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ جَمَاعِيَّةٍ عَلَى الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ دِينُنَا عَنْ رَبِّنَا.

وَالنِّظَامُ الصَّفِيُّ يَمْتَضِي قِيَادَةً وَإِمَامَةً تُتَّبَعُ، كَالْإِمَامِ فِي الصَّلَاةِ.

اسْتِفِيدَ الْحَضَرُ وَالْقَصْرُ مِنْ تَعْرِيفِ طَرَفِي الْإِسْنَادِ، مَعَ التَّوَكُّدِ بِ«إِنَّ» -

وَالْجُمْلَةُ الْاِسْمِيَّةُ - وَاللَّامُ الْمُزْحَلَّةُ» فِي كُلِّ مِنَ الْآيَتَيْنِ (١٦٥) وَ(١٦٦).

أَمَّا أَصْحَابُ الْمِلَلِ وَالنَّحْلِ وَالْمَذَاهِبِ الْأُخْرَى، فَتَحَسَّبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى، تُفَرِّقُ بَيْنَهَا الْمَنَافِعُ وَالْمَصَالِحُ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيُلْقِي فِيهَا الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ، التَّحَاسُّدُ عَلَى مَا يَنَالُ الْأَفْرَادُ، أَوْ تَنَالُ الْعِصَابَاتُ مِنْهُمْ، مِنْ مَغَانِمَ وَمَكَاسِبَ مَادِّيَّةٍ أَوْ مَعْنَوِيَّةٍ، عَنْ طَرِيقِ الْمِلَّةِ أَوْ النَّحْلَةِ أَوْ الْمَذْهَبِ.

بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ الصَّادِقِينَ فَإِنَّ مَطَامِعَهُمُ الْعَظْمَى تَتَعَلَّقُ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ، فَيَكْسِبُهُمْ ذَلِكَ الرِّضَا بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَتَتَضَاعَلُ عِنْدَهُمْ مَشَاعِرُ الْحَسَدِ، وَتَقْوَى لَدَيْهِمْ مَشَاعِرُ الْأُمَّةِ الْوَاحِدَةِ، بِنِظَامِ الْأَنْضِبَاطِ الصَّفِيِّ، عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانُهُ فِي الْمَقْدَمَةِ الْعَامَّةِ.

وَلَمَّا كَانَ تَسْبِيحُ اللَّهِ بِمَعْنَى تَنْزِيهِهِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِذَاتِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، لَا يُوجَدُ إِلَّا فِي عَقِيدَةِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُتَلَزِمُونَ وَحْدَهُمْ مِنْ دُونِ النَّاسِ، بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ وَبَلَاغَاتِهِ عَنْ رَبِّهِ، كَانَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ يُعْلِنُوا لِلنَّاسِ جَمِيعاً، أَنَّهُمْ وَحْدَهُمْ هُمُ الْمُسَبِّحُونَ لِرَبِّهِمْ، كَمَا عَلَّمَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ:

• ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

أَصْلُ مَعْنَى تَسْبِيحِ اللَّهِ تَنْزِيَهُهُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَيُحْمَلُ غَالِباً عَلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ الَّتِي يَصِفُهَا بِهَا الْوَثْنِيُّونَ وَالْمُشْرِكُونَ،

كَالْإِشْرَاقِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَالْإِشْرَاقِ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَجَعَلَهُ أَبًا لِلْأَوْلَادِ مِنْ نَسْلِهِ،  
أَوْ بِالتَّبْنِيِّ، أَوْ أَنَّ لَهُ صَاحِبَةً، أَوْ أَنَّ لَهُ صِفَاتٍ كَصِفَاتِ خَلْقِهِ، مَعَ أَنَّهُ  
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، إِلَى نَحْوِ هَذِهِ الصَّلَالَاتِ.

لَكِنَّ الْمُرَادَ مِنَ التَّسْبِيحِ هُنَا عَلَى مَا أَرَى، يَشْمَلُ إِنْبَاتِ صِفَاتِ  
الْكَمَالِ لَهُ جَلَّ جَلَّاهُ، مَعَ تَنْزِيهِهِ عَنِ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ  
عَزَّ وَجَلَّ مُنَزَّهٌ أَيْضًا عَنْ عَدَمِ اتِّصَافِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي هِيَ لَهُ، كَالْعِلْمِ،  
وَالْقُدْرَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْحِكْمَةِ، وَالرَّحْمَةِ، إِلَى سَائِرِ مَا اشْتَمَلَتْ  
عَلَيْهِ أَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى، وَصِفَاتُهُ الْعُلْيَا.

وَهَذَا التَّسْبِيحُ الْحَقِيقِيُّ الشَّامِلُ لَا يُوجَدُ إِلَّا عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ  
حَقًّا وَصِدْقًا.

وَمِنَ التَّسْبِيحِ الَّذِي تَشْمَلُهُ هَذِهِ الْعِبَارَةُ أَيْضًا، التَّسْبِيحُ الْعَمَلِيُّ،  
وَهَذَا يَكُونُ بِاجْتِنَابِ الْأَعْمَالِ الشَّرِكِيَّةِ الَّتِي يَفْعَلُهَا الْمُشْرِكُونَ، وَيَكُونُ  
أَيْضًا بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَالْمَنْدُوبَاتِ لِلَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ، خَالِصَةً مِنْ أَنْوَاعِ الشَّرِكِ الْخَفِيِّ، وَخَالِيَةً مِنَ الرِّيَاءِ لِكَسْبِ  
مَنَافِعَ دُنْيَوِيَّةٍ.

وبهذا انتهت تدبرُ الدرس الخامس من دروس سورة (الصافات).  
والحمد لله على معونته ومدده وتوفيقه وفتحِهِ.



(١٠)

التدبر التحليلي للدرس السادس من سورة (الصافات)

وهو الآيات من (١٦٧ - ١٧٠)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُنَّ ۖ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ  
الْمُخْلِصِينَ (١٦٩) فَكُفِّرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠)﴾.

## القراءات:

(١٦٩) • قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وابنُ عامر، ويعقوبُ:

[المُخْلِصِينَ] بِكَسْرِ اللام، اسمُ فاعِلٍ من فعل «أَخْلَصَ».

وقرأها باقي القراء العشرة بِفَتْحِ اللّام: [المُخْلِصِينَ] اسمُ مَفْعُولٍ مِنْ فِعْلٍ «أَخْلَصَ».

وَيَبَيِّنُ الْقِرَاءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي أَدَاءِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ، أَي: أَخْلَصُوا لِلَّهِ إِيْمَانَهُمْ وَإِسْلَامَهُمْ، فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ عِنْدَهُ مِنَ الْمُخْلِصِينَ.

## تمهيد:

في آيات هذا الدرس عَرَضُ مَقَالَةٍ مِنْ مَقَالَاتِ الْمُشْرِكِينَ، الَّتِي كَانُوا يَقُولُونَهَا قَبْلَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَقَدْ كَانُوا يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا كِتَابًا هُوَ ذِكْرٌ لَنَا مِثْلَ كِتَابِ الْيَهُودِ التَّوْرَةِ، أَوْ مِثْلَ كِتَابِ النَّصَارَى الْإِنْجِيلِ، لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ.

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْقُرْآنُ ذِكْرًا عَظِيمًا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولٍ عَرَبِيٍّ هُوَ مِنْهُمْ كَفَرُوا بِهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ بِهِ.

فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ مَصِيرَهُمُ الَّذِي هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الدِّينِ، حَرِيقًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ جَزَاءَ كُفْرِهِمْ بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ.

## مقدمة عامة:

سَبَقَ فِي سُورَةِ (يس/ ٤١ نزول) لَدَى تَدْبِيرِ الْآيَةِ (٦) مِنْهَا. وَفِي سُورَةِ (القصص/ ٤٩ نزول) لَدَى تَدْبِيرِ الْآيَاتِ مِنْ (٤٦ - ٥١) بَيَانُ مَا تَرَجَّحَ لَدَيْ، مِنْ أَنَّ الْعَرَبَ قَبْلَ بَعْثَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَانُوا مَسْؤُولِينَ عَنِ اتِّبَاعِ الدِّينِ الْحَقِّ، الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى فَرُسُلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِهِ

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَبَلَّغَهُمْ هَذَا الدِّينَ عَنْ طَرِيقِ أَتْبَاعِهِ، مَعَ الْآيَاتِ الْبُرْهَانِيَّةِ الَّتِي آتَاهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى وَهَارُونَ وَعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَهُمْ لَيْسُوا مَعْصِيَيْنَ بَاغْتِبَارِهِمْ أَهْلَ فِتْرَةٍ كَمَا يَقُولُ بَعْضُ عُلَمَاءِ التَّوْحِيدِ، وَالْأَدِلَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَدُلُّ عَلَى مَا تَرَجَّحَ لَدَيَّ.

وَقَدْ سَبَقَ لَدَى تَدَبُّرِ الْآيَةِ (٦) مِنْ سُورَةِ (يَس/ ٤١) نَزُولَ (عَرَضُ طَائِفَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ، مَعَ تَدَبُّرِ دَلَالَاتِهَا، وَكَذَلِكَ لَدَى تَدَبُّرِ الْآيَاتِ مِنْ (٤٦ - ٥١) مِنْ سُورَةِ (الْقَصَص/ ٤٩) نَزُولَ) فَأَجِيلُ الْقَارِئِ عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانُهُ وَشَرْحُهُ.

وَآيَاتُ هَذَا الدَّرْسِ السَّادِسِ مِنْ سُورَةِ (الصَّافَّاتِ/ ٥٦) نَزُولَ (ذَاتُ صِلَةٍ مَا بِمَا سَبَقَ فِي سُورَتَيْ (يَس/ ٤١) نَزُولَ) وَ(الْقَصَص/ ٤٩) نَزُولَ).

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُنَّ ۖ لَوْ أَنْ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٧﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٨﴾ فَكْفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ وَفِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى: [الْمُخْلَصِينَ] بِكَسْرِ اللَّامِ.

أَي: وَقَدْ كَانَ أَيْمَةُ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ فِي مَكَّةَ الْمُعَاصِرُونَ لِلرُّسُولِ يَقُولُونَ قَبْلَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ: لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا كِتَابًا رَبَّانِيًّا وَرِثْنَاهُ مِنَ الرُّسُلِ الْأَوَّلِينَ إِسْمَاعِيلَ وَإِبْرَاهِيمَ أَوْ غَيْرِهِمَا، وَبَقِيَ لَدَيْنَا ذِكْرًا نَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي عَقَائِدِنَا وَمَنَاجِحِ سُلُوكِنَا فِي حَيَاتِنَا، لَاتَّبَعْنَا آيَاتِهِ، وَتَعْلِيمَاتِهِ، وَمَا فِيهِ مِنْ أَوَامِرَ وَنَوَاهِي، وَلَكُنَّا بِهَذَا الْإِتِّبَاعِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ لَهُ فِي إِيْمَانِنَا وَأَعْمَالِنَا، وَبِإِخْلَاصِنَا لَهُ نَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الْمُخْلَصِينَ، إِذْ يَحْكُمُ لَنَا بِأَنْ نَكُونَ عِنْدَهُ خَالِصِينَ مِنْ شَوَائِبِ الْخُرُوجِ عَنِ الْإِيْمَانِ الْحَقِّ، وَالطَّاعَةِ وَالْإِنْقِيَادِ لِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ فِي الذِّكْرِ الَّذِي هُوَ عِنْدَنَا، وَالَّذِي وَرِثْنَاهُ عَنِ الرُّسُلِ الْأَوَّلِينَ.

لَقَدْ كَانَ هَذَا تَمَنِّيًّا دَفَعَ إِلَيْهِ غَيْرَتُهُمْ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ لَدَيْهِمْ كِتَابُ التَّوْرَةِ ذِكْرًا لَهُمْ، وَغَيْرَتُهُمْ مِنَ النَّصَارَى الَّذِينَ لَدَيْهِمْ كِتَابُ الْإِنْجِيلِ، مَعَ كُتُبِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

[إِنْ] مِنْ ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ هِيَ الْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَتُفِيدُ التَّوَكِيدَ وَالتَّحْقِيقَ، وَجَاءَتْ لَأَمْ الْإِبْتِدَاءَ فِي ﴿يَقُولُونَ﴾ فَارِقَةً لَهَا عَنْ «إِنْ» النَّافِيَةِ.

• ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦٨):

«لَوْ» شَرْطِيَّةٌ، «وَأَنَّ» وَمَا بَعْدَهَا سَدٌّ مَسَدٍّ فَعَلِ الشَّرْطِ.

﴿ذِكْرًا﴾: أَي: كِتَابًا رَبَّانِيًّا مُنْزَلًا يَكُونُ ذِكْرًا لَنَا نَرْجِعُ إِلَيْهِ.

﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾: أَي: مَوْرُوثًا مِنَ الرُّسُلِ الْأَوَّلِينَ.

• ﴿لَكُمَا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٦٩) و«المُخْلَصِينَ» فِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى، جَوَابُ الشَّرْطِ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ «لَوْ».

لَكِنَّهُمْ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولٍ عَرَبِيٍّ مِنْهُمْ كِتَابًا هُوَ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ جَمِيعًا الْعَرَبِ وَغَيْرِ الْعَرَبِ كَفَرُوا بِهِ، دَلَّ عَلَى هَذَا الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿فَكْفَرُوا بِهِ..﴾: أَي: فَأَبَوْا أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ، وَظَهَرَ أَنَّ مَقُولَتَهُمْ قَبْلَ بَعْثِهِ قَدْ كَانَتْ تَعْلَةً كَاذِبَةً، وَاعْتِذَارًا ظَاهِرِيًّا عَنْ عَدَمِ إِيْمَانِهِمْ بِمُوسَى وَكِتَابِهِ، وَعِيسَى وَكِتَابِهِ الْحَقِّ.

وَأَنْذَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ فِي آخِرِ هَذَا الدَّرْسِ.

• ﴿.. فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (١٧٠): أَي: فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عِنْدَ مَوْتِهِمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَنَّ كُلَّ مَا أَنْذَرُوا بِهِ حَقٌّ، وَأَنَّهُمْ بِإِصْرَارِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُ رَبِّهِمْ، وَبِعِنَادِهِمْ، وَمُكَابَرَتِهِمْ، وَجُحُودِهِمْ، قَدْ جَلَبُوا لَأَنْفُسِهِمْ عَذَابًا أَبَدِيًّا، وَهُوَ عَذَابُ حَرِيقٍ فِي الْجَحِيمِ، مَعَ مَا يُرَافِقُهُ مِنْ أَنْوَاعٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

لَمْ يُصْرَحْ فِي الْعِبَارَةِ هَذِهِ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي سَوْفَ يَعْلَمُونَهَا، عِنْدَ الْمَوْتِ، وَبَعْدَ الْمَوْتِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذْ قَدْ جَاءَتْ بِهَا نُصُوصٌ مُتَعَدِّدَةٌ كَثِيرَةٌ، نَزَلَتْ فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ الَّتِي نَزَلَتْ قَبْلَ إِنْزَالِ سُورَةِ (الصَّافَّاتِ/ ٥٦) نزول).

وَمَعْلُومٌ مَا فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ مِنْ إِنْذَارٍ شَدِيدٍ بِالْعَوَاقِبِ الْوَحِيمَةِ جَدًّا، لَهُمْ وَلِكُلِّ أَمْثَالِهِمُ الْكَافِرِينَ بِالْحَقِّ الرَّبَّانِي، وَالْمُكَذِّبِينَ رُسُلَ رَبِّهِمْ، فِي نُبُوءَاتِهِمْ وَرِسَالَاتِهِمْ، وَمَا جَاؤُوا بِهِ بَلَاغًا عَنْهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ السَّادِسِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الصَّافَّاتِ).  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



(١١)

**التدبر التحليلي للدرس السابع من سورة (الصافات)**

**وهو الآيات من (١٧١ - ١٨٢) آخر السورة**

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَمُهمُ الْمَصْرُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَلْبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرْتُمْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِبِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرْتُمْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس السابع من دروس سورة (الصافات) طمأنة من الله عزَّ وجلَّ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلِلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، بِأَنَّهُمْ

مَنْصُورُونَ حَتْمًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ غَيْرِ الْبَعِيدِ، ضِمْنَ سُنَّتِهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - الَّتِي سَبَقَتْ بِهَا كَلِمَتُهُ.

وفيها تَوْجِيهٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ بِشَأْنِ مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنْ مَوْقِفٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ الْمُعَانِدِينَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، إِبَّانَ تَنْزِيلِ السُّورَةِ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَتَحَدَّثُ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ طَمَآنَةً لِرَسُولِهِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ:

● ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٧١﴾ إِنَّهُمْ لَكُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٧٣﴾﴾:

العطف في أول هذا البيان هُوَ مِنْ عَظْفٍ مَوْضُوعٍ عَلَى مَوْضُوعٍ، وَأكَّدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَضْمُونَهُ بِعِبَارَةٍ: [لَقَدْ].

وَالْمَعْنَى: لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا الْمَعْبَرَةُ عَنْ تَقْدِيرِنَا وَقَضَائِنَا، لِأَجْلِ عِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ، وَلِأَجْلِ جُنَدِنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ لِنُصْرَةِ دِينِنَا وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِنَا، هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى بَيَانَيْنِ مِنْ عِدَّةِ كَلِمَاتٍ مُفْرَدَاتٍ:

(١) إِنَّ رُسُلَنَا لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ.

(٢) وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ.

أي: إِنَّ رُسُلَنَا لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ بِنَصْرِ مِنَّا فِي آخِرِ صِرَاعَاتِهِمْ لِأَقْوَامِهِمْ، مَهْمَا نَالَهُمْ فِي مَسِيرَاتِهِمْ مَعَهُمْ مِنْ أذى وَهَزَائِمٍ جُرِيَّةٍ مُؤَقَّتَةٍ.

وَقَدْ أَكَّدَتْ شَوَاهِدُ تَارِيخِ الرُّسُلِ جَمِيعاً هَذِهِ الْحَقِيقَةَ، وَلَا يَتَضَمَّنُ الْوَعْدُ بِالنَّصْرِ أَنْ يَتَفَوَّقَ الرُّسُلُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ فِي الْحَرْبِ وَالْقُوَى الْعَسْكَرِيَّةِ، وَيَغْلِبُوهُمْ، بَلْ يَكْفِي فِي تَحْقِيقِ الْوَعْدِ بِالنَّصْرِ أَنْ يَنْتَقِمَ اللَّهُ بِالْخَوَارِقِ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، كَمَا أَهْلَكَ اللَّهُ قَوْمَ نُوحٍ، وَقَوْمَ هُودٍ وَقَوْمَ صَالِحٍ، وَقَوْمَ لُوطٍ،

وَقَوْمَ شَعِيبَ، وَفِرْعَوْنَ وَجَيْشَهُ الَّذِي خَرَجَ مَعَهُ لِقِتَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ يَنْصُرَ مَا جَاؤُوا بِهِ نَصَرَ غُلُوٍّ وَانْتِشَارٍ وَإِظْهَارٍ.

وَأَنَّ جُنْدَنَا الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ أَحْزَابَ الْكُفْرِ صَادِقِينَ، ضَمَنَ وَصَايَانَا وَتَعْلِيمَاتِنَا، وَالَّتِي مِنْهَا أَخَذَهُمْ بِالْأَسْبَابِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، دُونَ تَفْرِيطٍ وَلَا تَقْصِيرٍ بِهَا، لَهُمُ الْغَالِبُونَ أَخِيرًا فِي مَعَارِكِ الْقِتَالِ، مَهْمَا كَانَ بَيْنَ الْبِدَايَاتِ وَالنِّهَايَاتِ مِنْ فَرٍّ وَكَرٍّ، وَبَعْضِ هَزَائِمٍ لِيُجْنِدَ اللَّهُ.

وَمَا قَالَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كَلِمَتِهِ بِشَأْنِ رُسُلِهِ، كَتَبَهُ عِنْدَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ حَقِيقَةً عِلْمِيَّةً عَمَّا سَيَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ تَنْفِيدًا لِتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ السَّابِقِينَ، دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْمُجَادَلَةِ/ ٥٨ مصحف/ ١٠٥ نزول):

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٥﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي: يَعُصُونَهُمَا وَيُغَضِبُونَهُمَا بِكُفْرِهِمْ، وَمُقَاوَمَةِ دِينِ رَبِّهِمْ، وَمُقَارَعَةِ أَوْلِيَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَبَشَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِأَنَّهُمْ مَنْصُورُونَ، وَبِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ سَيَقَاتِلُونَهُمْ مَغْلُوبُونَ، وَقَدْ تَحَقَّقَتْ هَذِهِ الْبَشَارَةُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْأَنْفَالِ/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول):

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْسِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصْدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْشِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

وَعَلَّمَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ، أَنَّ يَقُولَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا: سَتُغْلَبُونَ، أَيُّ: مَهْمَا أَعْدَدْتُمْ مِنْ وَسَائِلَ، لِيُضْعِفَ مِنْ عَزَائِمِهِمْ، وَيَنْبَهَهُمْ عَلَى ضَلَالِهِمْ وَفَسَادِ مَا هُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (آلِ عِمْرَانَ/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول) خِطَابًا لِرَسُولِهِ ﷺ:



﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ لَّيْسَ لَهُمْ شُرَكَاءُ فِيهِمْ يُخَالِفُونَ إِلَهُ حُنَافٍ عِدْلٌ﴾  
 أي: سَتُعْلَبُونَ فِي مَعَارِكِ الْقِتَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، وَسَوْفَ تُسَاقُونَ  
 وَتُجْمَعُونَ، وَيَكُونُ سَوْقُكُمْ وَجْمَعُكُمْ إِلَى جَهَنَّمَ دَارِ عَذَابِكُمْ، الَّتِي سَتَكُونُ  
 مَكَانًا مُعَدًّا لَكُمْ تَسْتَقِرُّونَ فِيهِ.

الْمِهَادُ: الْمَكَانُ الْمُمَهَّدُ الْمَوْطَأُ، أُطْلِقَ عَلَى مَكَانِ الْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ  
 عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ بِهِمْ وَالشُّخْرِيَةِ مِنْهُمْ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمُ الْعِنَادِيِّ الْجُحُودِيِّ  
 لِلْحَقِّ.

وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ رَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ هُمْ حِزْبُ اللَّهِ،  
 وَأَنَّهُمْ هُمُ الْغَالِبُونَ، أي: إِذَا عَمِلُوا بِوَصَايَاهُ السَّبْبِيَّةِ وَكَانُوا صَادِقِينَ  
 مُخْلِصِينَ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (المائدة/ ٥ مصحف/ ١١٢ نزول):

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾<sup>(٥٦)</sup>.

أي: وَمَنْ يَجْعَلِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَوْلِيَاءَ، يُؤَيِّدُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ  
 وَيُجَاهِدُ جِهَادَهُمْ، فَهُوَ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ، وَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ كَانَ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ فَهُوَ مِنْ جُنْدِ اللَّهِ، فَهُوَ يَدْخُلُ فِي  
 وَعْدِ اللَّهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَنْ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾<sup>(٥٧)</sup>.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُوصِي رَسُولُهُ مُحَمَّدًا ﷺ، بِشَأْنِ الْمَعَانِدِينَ  
 الْمَيُوسِرِ مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، وَهُمْ أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ فِي مَكَّةَ  
 إِبَّانَ تَنْزِيلِ سُورَةِ (الصافات/ ٥٦ نزول):

﴿قَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾<sup>(٥٨)</sup> وَأَبْصَرُهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾<sup>(٥٩)</sup>.

﴿قَوْلَ عَنْهُمْ﴾: أي: فَابْتَغِدْ عَنْهُمْ، وَلَا تَشْغَلْ وَقْتَكَ وَطَاقَاتِكَ  
 بِمُعَالَجَتِهِمْ لِيُؤْمِنُوا، فَقَدْ أُثْبِتَتْ تَجَرِبَتُكَ الطَّوِيلَةَ مَعَهُمْ أَنَّهُمْ مَيُوسِرٌ مِنْ  
 إِصْلَاحِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةِ، وَوَجْهَ جُهُودِكَ وَطَاقَاتِكَ لِلْمُطْمَوعِ  
 بِاسْتِجَابَتِهِمْ وَلَوْ ظَمَعًا يَسِيرًا، وَهَؤُلَاءِ كَثِيرُونَ.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: أي: حَتَّىٰ وَفَتٍ تَقْتَضِي الْحِكْمَةَ أَنْ تُوَاجِهَهُمْ فِيهِ بِقِتَالٍ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعِنْدَئِذٍ نَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ، وَيُظْفِرُكُمْ بِهِمْ.

وَقَدْ تَحَقَّقَ فِيْمَا بَعْدُ مَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ هَذِهِ الْعِبَارَةُ، فَانْصَرَّ اللَّهُ جُنْدَهُ فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى، وَأَوْقَعَ بِأَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ فِي مَكَّةَ خِزْيًا وَعَارًا، وَنَكَبَاتٍ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَتَوَقَّعُهَا، وَأَمَدَّ اللَّهُ جُنْدَهُ بِمَلَائِكَةٍ يُقَاتِلُونَ مَعَهُمْ فَيَضْرِبُونَ فَوْقَ أَغْنَاقِ الْكَافِرِينَ، وَيَقْطَعُونَ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ.

• ﴿وَبَصُرُومُ﴾: أي: فَإِذَا تَوَلَّيْتَ يَا مُحَمَّدٌ عَنِ الْاِشْتِعَالِ بِدَعْوَتِهِمْ، وَمُعَالَجَتِهِمْ لِيُؤْمِنُوا، إِذْ وَصَلُوا إِلَى حَالَةِ مَيُؤُوسٍ مَعَهَا مِنْ أَنْ يُؤْمِنُوا عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةِ، فَلَا تَكُنْ غَافِلًا عَنْهُمْ، بَلْ ضَعُهُمْ تَحْتَ مُلَاحَظَتِكَ الدَّائِمَةِ بِبَصْرِكَ، لَتَكُونَ عَلَى عِلْمٍ بِمَا يُدَبِّرُونَ ضِدَّكَ، وَضِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِكَ وَاتَّبَعُوكَ، فَهُمْ أَعْدَاءٌ لَا يَدْعُونَ مَكِيدَةً يَكِيدُونَهَا إِلَّا جَعَلُوهَا ضِمْنًا تَدْبِيرَاتِهِمْ، وَبِهَذِهِ الْمَتَابَعَةِ الدَّائِمَةِ لَهُمْ بِبَصْرِكَ تَكُونَ عَلَى حَذَرٍ مِنْ مَكَايِدِهِمْ، فَلَا تَدْعُهُمْ يُنْفَذُونَ شَيْئًا مِنْهَا، بِتَدَابِيرٍ مُضَادَّةٍ تَتَّخِذُهَا أَنْتَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِكَ وَاتَّبَعُوكَ، وَرَبُّكَ مَعَكَ مُلَهُمْ وَمُسَاعِدٌ وَمُعِينٌ.

﴿.. فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (١٧٥): أي: فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَاقِبَتَهُمُ الْوَحِيمَةَ، وَهِيَ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِالْحَرِيقِ فِي نَارِ الْجَحِيمِ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا.

وَسَوْفَ يُبْصِرُونَ فِي زَمَنٍ قَدْ يَرُونَهُ بَعِيدًا، كَيْفَ نَنْصُرُكَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا مَا تَحَقَّقَ بَعْدَ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ هَؤُلَاءِ الْأَيْمَةِ الْمَيُؤُوسِ مِنْ إِيْمَانِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةِ، وَبِشَأْنِ مَقَالَاتِهِمُ السَّاخِرَاتِ حَوْلَ إِنْذَارَاتِ الرَّسُولِ لَهُمْ بِعَذَابِ اللَّهِ، إِذْ صَدَرَتْ مِنْهُمْ مَقَالَاتٌ تُشْعِرُ بِتَكْذِيبِهِمْ لَهُ فِي إِنْذَارَاتِهِ لَهُمْ، وَظَاهِرُهَا يُشْعِرُ بِاسْتِعْجَالِهِمْ لَهَا:

• ﴿أَفِعْدَابًا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾.

دَلَّتْ عِبَارَةٌ: ﴿أَفَعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿١٧١﴾ عَلَى أَنَّهُمْ صَارُوا يُوجَّهُونَ  
لِلرَّسُولِ ﷺ أَقْوَالاً فِيهَا اسْتِهْزَاءٌ بِإِنذَارَاتِهِ لَهُمْ بِعَذَابِ اللَّهِ، مِثْلُ:

• أَيْنَ الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتَ وَمَا زِلْتَ تُنذِرُنَا بِهِ؟!

• لَوْ كُنْتَ رَسُولًا حَقًّا قَدْ أَرْسَلَكَ اللَّهُ إِلَيْنَا لَأَنْزَلَ بِنَا مَا كُنْتَ وَمَا  
زِلْتَ تُنذِرُنَا بِهِ مِنْ عَذَابٍ.

• وَسَبَقَ فِي سُورَةِ (الإسراء/ ١٧ مصحف/ ٥٠ نزول) بَيَانُ أَنَّهُمْ قَالُوا  
لِلرَّسُولِ ﷺ: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا، أَوْ تَكُونَ  
لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ  
كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا، إِلَى غَيْرِ هَذِهِ مِنْ مَطَالِبٍ جَاءَ بَيَانُهَا فِي الْآيَاتِ  
مِنْ (٩٠ - ٩٣) مِنَ (الإسراء).

فَهُمْ فِي ظَاهِرِ بَعْضِ عِبَارَاتِهِمْ يَسْتَعْجِلُونَ عَذَابَ اللَّهِ، مَعَ أَنَّهُمْ فِي  
الْحَقِيقَةِ لَا يُرِيدُونَ أَنْزَالَ عَذَابِ اللَّهِ بِهِمْ، لَكِنَّهُمْ يُشْعِرُونَ بِأَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ  
الرَّسُولَ فِي إِنذَارَاتِهِ لَهُمْ بِعَذَابِ اللَّهِ، مُتَوَهِّمِينَ أَنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ رَسُولًا  
صَادِقًا يُبْلِغُ عَنْ رَبِّهِ.

وَاقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الْعِلَاجِيَّةُ أَنْ يُعَامِلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ  
الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ أَقْوَالُهُمْ.

فَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا يَلِي:

إِنْ كَانُوا يَطْلُبُونَ حَقِيقَةَ أَنْ نُعَجِّلَ تَعَذِّيبَهُمْ، قَبْلَ الْوَقْتِ الَّتِي قَضَتْ  
حِكْمَتُنَا أَنْ نُعَذِّبَهُمْ فِيهِ، فَلْيَعْلَمُوا أَنَّ عَذَابَنَا إِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ، مُحِيطًا بِهِمْ  
مِنْ كُلِّ جِهَاتِهِمْ، وَغَامِرًا لَهُمْ، فَهُوَ عَذَابٌ شَدِيدٌ جِدًّا، وَسَيِّئَاتِيهِمْ صَبَاحًا  
أَوْ بَيَاتًا، وَزَمَنُ الصَّبَاحِ الَّذِي يُحِيطُ بِكُلِّ جُزْءٍ مِنْهُمْ يُقَالُ بِشَأْنِهِ: «سَاءَ  
صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ».

«سَاءَ» فِعْلٌ يُقَالُ فِي إِنْشَاءِ الذَّمِّ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ، مِثْلُ: «بِئْسَ».

أي: إِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ الشَّامِلُ الْمُحِيطُ بِهِمْ، بَيَاتًا أَوْ فِي الصَّبَاحِ، فَصَبَّاحُهُمْ مَضْحُوبٌ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ الْإِيلَامِ وَالْخَزْيِ لَهُمْ، وَأُبْلَغُ وَصْفٍ لَهُ أَنْ يُقَالَ: سَاءَ صَبَّاحُهُمْ.

قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ تَعْقِيًّا عَلَى اسْتِعْجَالِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ، بِحَسَبِ مَا يَظْهَرُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ:

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى جِئَ ۖ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ﴾ (١٧٦):

هَذِهِ الْوَصِيَّةُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ هِيَ عَيْنُ الْوَصِيَّةِ فِي الْآيَتَيْنِ (١٧٤) وَ(١٧٥).

إِلَّا أَنَّ مَا جَاءَ فِي الْآيَتَيْنِ (١٧٨) وَ(١٧٩) قَدْ جَاءَ مُبَيَّنًّا عَلَى أَقْوَالِ أُمَّةِ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ الْاسْتَهْزَائِيَّةِ بِالرَّسُولِ، وَالَّتِي يَدُلُّ ظَاهِرُهَا عَلَى أَنَّهُمْ يَسْتَعْجِلُونَ مَا أُنْذِرُهُمْ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ: لَا زِمَ الْمَوْقِفَ الَّذِي أَوْصَيْنَاكَ بِهِ أَنْفَاءً، وَتَابِعْ تَوَلِيكَ عَنْهُمْ، وَوَجِّهْ طَاقَاتِكَ لِدَعْوَةِ غَيْرِ الْمَيُؤُوسِ مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ، مَعَ شِدَّةِ مُرَاقَبَتِكَ لَهُمْ بِبَصْرِكَ، فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ عَاقِبَتَهُمْ الْوَحِيمَةَ أَجَلًا وَعَاجِلًا.

هَذِهِ الْوَصِيَّةُ لَيْسَتْ تَأْكِيدًا لِنَظِيرَتِهَا السَّابِقَةِ، بَلْ هِيَ تَأْسِيسٌ مُبْنِيٌّ عَلَى مَوْقِفٍ آخَرَ غَيْرِ الْمَوْقِفِ الَّذِي سَبَقَ فِي الْآيَتَيْنِ (١٧٤) وَ(١٧٥).

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي خِتَامِ سُورَةِ (الصَّافَاتِ) مُبَيَّنًّا وَمُعَلِّمًا مَا يَحْسُنُ أَنْ نَخْتِمَ مَقَالَاتِنَا وَمَجَالِسَنَا الْإِيمَانِيَّةَ بِهِ:

● ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾:

• ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ﴾: أي: أُنْزِرُهُ رَبَّكَ مِنْ كُلِّ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُوصَفَ بِهِ، تَنْزِيهِهُ لِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَكُلِّ تَصَارِيفِهِ.

وَكَلِمَتُهُ «سُبْحَانَ» اسْمٌ عَلَمٌ لِمَعْنَى الْبَرَاءَةِ وَالتَّنْزِيهِ، فِي مَوْضِعِ الْمَصْدَرِ. وَهُوَ مُضَافٌ وَلَفْظُ «رَبِّ» مُضَافٌ إِلَيْهِ.

• ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾: أي: رَبُّ الْقُوَّةِ الْعَالِيَةِ، فَكُلُّ قُوَّةٍ فِي الْكَوْنِ هُوَ خَالِفُهَا وَمَالِكُهَا وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهَا بِحُكْمَتِهِ تَصَرَّفَ كَمَالٍ.

• ﴿.. عَمَّا يَصِفُونَ﴾: أَيُّ: تَنْزَرَهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - عَمَّا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِذَاتِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَتَدْبِيرَاتِهِ، وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.

وَالْتَّنْزِيَهُ هُنَا يَشْمَلُ إِثْبَاتَ كُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ لَهُ مِنْ أَسْمَى عُلوِّ لَهَا، لِأَنَّ النِّقْصَ بِشَيْءٍ مَا مِنْهَا هُوَ مُبَرِّأٌ عَنْهُ وَمُنْزَعٌ مِنْهُ، وَبِهَذَا كَانَتْ عِبَارَةُ «سُبْحَانَ اللَّهِ» دَالَّةً عَلَى إِثْبَاتِ كُلِّ كَمَالٍ لَهُ، وَعَلَى تَنْزِيهِهِ مِنْ كُلِّ صِفَةٍ نَقْصٍ مُنَافِيَةٍ لِكَمَالِهِ، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ، وَتَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَيْءٌ أَوْ نِدٌّ أَوْ كُفُوٌ.

• ﴿وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: وَتَحِيَّةٌ احْتِرَامٍ وَتَوْقِيرٍ وَتَكْرِيمٍ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ، لِيُؤَدُّوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، فَأَدَّوْا رِسَالَاتِهِ كَمَا أَمَرَهُمْ، وَنَصَحُوا أَقْوَامَهُمْ، وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِمْ، عَلَى تَفَاضُلٍ فِي دَرَجَاتِهِمُ السَّامِيَاتِ مِنْ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ، وَسَلَامٌ دُعَاءٍ لَهُمْ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ مَا لَا يُحِبُّونَ مِنْ نَقْصٍ فِي دَرَجَاتِ سَعَادَاتِهِمْ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى مِنْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

وَهَذَا السَّلَامُ يَنْفَعُ الدَّاعِيَ بِهِ عِنْدَ رَبِّهِ بِأَنْ يَجْزِيَهُ اللَّهُ أَضْعَافَ مَا دَعَى بِهِ، فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ بِهَا عَشْرًا».

• ﴿وَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: وَكُلُّ الْحَمْدِ الَّذِي لَا تُتَصَوَّرُ لَهُ غَايَةٌ، وَلَا نِهَايَةٌ، هُوَ مِنْ اسْتِحْقَاقِ اللَّهِ رَبِّ كُلِّ الْعَالَمِينَ.

ولفظ العالمين هنا يَشْمَلُ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وقَدْ سَبَقَ تَحْلِيلُ هذه العبارة في تدبر سورة (الفاتحة).

وبهذا تَمَّ تدبر الدرس السَّابع مِنْ دُرُوس سورة (الصَّافات) وبه ختم الله عَزَّ وَجَلَّ السورة. والحمد لله على معونته، ومَدِّدِهِ، وتوفيقه، وفتحِهِ.



(١٢)

### ملحق مستخرجات بلاغية من سورة (الصافات)

يوجد في سورة (الصَّافات) اختيارات بلاغية مُتَعَدِّدة، هي من عناصر إعجاز القرآن المجيد، وفيها المستخرجات التالية:

#### أولاً

مِنْ منهج البيان القرآني في الأقوال، والأحداث، والقصص، استقطاع النصوص من أزمانها الماضية، أو المستقبلية، وعرضها بألفاظها، دون الإشارة إلى أَنَّهُ كان كذا فيما مَضَى، أو سَيَكُونُ كذا فيما سَيَأْتِي، وهذا فنٌ بديعٌ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ الْأَدْبَاءُ وَالْبُلْغَاءُ مِنْ قَبْلُ، وَاحْتَشَفَهُ الْإِعْلَامِيُّونَ حَدِيثاً.

ومن أمثلة هذا الفن البديع في السورة ما يلي:

**المثال الأول:** قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِكَايَةَ لِقَوْلِ مُنْكَرِي الْبَعْثِ حِينَما يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا يُقَالُ لَهُمْ، وَمَا يُقَالُ بِشَأْنِهِمْ:

﴿وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ نُكَذِّبُوكَ  
 ﴿٢١﴾ أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ  
 إِلَى صِرَاطٍ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفَوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا نَنْصَرُونَ ﴿٢٥﴾ ....  
 وحتى الآية ﴿٣٢﴾.﴾

المثال الثاني: مَا جاء في الآيات من (٥١ - ٥٧).

## ثانياً

وَمِنْ الْبَلَاغِيَّاتِ فِي السُّورَةِ «التشبيه».

ومن أمثلة التشبيه في السورة ما يلي:

المثال الأول: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي وَصْفِ الْحُورِ الْعِينِ اللَّائِي  
 أَنْشَأَهُنَّ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ:  
 ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾:

أي: يُشَبِّهُ لَوْنُ بَشَرَةِ أَجْسَادِهِنَّ، لَوْنَ قِشْرَةِ بَيْضِ النَّعَامِ الْمَكْنُونِ  
 الْمَحْفُوظِ بِنَاعِمٍ مِنْ رِيشِ النَّعَامِ، فَهُوَ أَبْيَضٌ مُشْرَبٌ بِصُفْرَةٍ قَلِيلَةٍ.

قَالُوا: وَهَذَا مِنْ أَجْمَلِ أُلْوَانِ بَشَرَاتِ النِّسَاءِ، وَأَحْسَنُ مِنْهُ مَا كَانَ  
 كَاللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، وَهُوَ وَصْفُ نِسَاءِ أَصْحَابِ الْمَرَاتِبِ الرَّفِيعَةِ فِي الْجَنَّةِ مِنَ  
 الْحُورِ الْعِينِ، وَالْغَرَضُ مِنَ التَّشْبِيهِ تَقْرِيبُ صُورَةِ جُلُودِهِنَّ لِلْمُتَلَقِّي.

المثال الثاني: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي وَصْفِ ثَمَرِ شَجَرِ الرَّقُومِ الَّذِي  
 يَأْكُلُ مِنْهُ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ:

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾﴾:

جاءَ فِي هَذَا النَّصِّ تَشْبِيهُ طَلْعِ شَجَرِ الرَّقُومِ بِرُءُوسِ الشَّيَاطِينِ، وَهُوَ  
 تَشْبِيهُ بِشَيْءٍ مُتَنَزِعٍ مِنْ خَيَالِ الْمُتَلَقِّينَ عَنْ رُءُوسِ الشَّيَاطِينِ، إِذْ لَا يَعْرِفُونَ

هَذِهِ الرُّؤُوسُ، لَكِنْ يُوجَدُ فِي خِيَالِهِمْ أَنَّ الشَّيَاطِينَ لَهُمْ رُؤُوسٌ قَبِيحَةٌ جَدًّا مُنْفَرَّةٌ وَمُخِيفَةٌ، فَالصُّورَةُ الَّتِي يَتَخَيَّلُهَا النَّاسُ لَهَا أَقْبَحُ وَأَخْبَثُ صُورَةٌ. فَالتَّشْبِيهِ بِرُؤُوسِ الشَّيَاطِينِ تَشْبِيهُ مُتَتَرِّعٌ مِنْ خِيَالِ النَّاسِ لَهَا، وَقَدْ يَكُونُ وَاقِعٌ رُؤُوسِ الشَّيَاطِينِ شَدِيدَ الْقُبْحِ وَالتَّنْفِيرِ.

### ثالثاً

من الفنون البلاغية الكناية، وقد سبق تعريفها في مستخرجات بلاغيات سابقات.

ومن أمثلة الكناية في هذه السورة ما يلي:

المثال الأول: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥):

إنَّ عبارة: ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ تدلُّ بأسلوب الكناية على أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَجَابَ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا نَادَاهُ بِهِ.

المثال الثاني: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (١٢٣) لَلَبْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢٤﴾:

أي: لِأَكَلِهِ الْحَوْثُ وَهَضْمُهُ، وَلَمْ يَعُدْ إِلَى الْحَيَاةِ إِلَّا يَوْمَ الْبَعْثِ.

المثال الثالث: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ عَلَيْهِمَا

السَّلَامُ:

﴿وَنَرَكُنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِيتٌ﴾ (١١٣):

جاء في هذه الآية الاكتفاء بذكر الصَّنِفِ الْأَعْلَى وَذِكْرِ الصَّنِفِ الْأَدْنَى، إِذْ يَلْزَمُ عَقْلاً وَجُودَ أَصْنَافٍ عَلَى دَرَجَاتٍ بَيْنَ الْأَعْلَى الَّذِي هُوَ مُحْسِنٌ، وَبَيْنَ الْأَدْنَى الَّذِي هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ، فَدَلَّ الْأَعْلَى وَالْأَدْنَى بِأَسْلُوبِ الْكِنَايَةِ عَلَى اللَّازِمِ الْفِكْرِيِّ بَيْنَهُمَا، وَهُمَ ذَوُو الدَّرَجَاتِ بَيْنَهُمَا.



## رابعاً

إِطْلَاقُ اللَّفْظِ بِمَعْنِيهِ اللَّغَوِيَّيْنِ، وَهَذَا مِنَ الْإِيجَازِ الْبَلِغِ، وَمِنْ أَمْثَلَتِهِ فِي السُّورَةِ، قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ امْرَأَةٍ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ كَانَتْ كَافِرَةً مَعَ هَوَى قَوْمِهَا أَهْلِ سَدُومَ:

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ بَجَّعْنَاهُ وَآهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٣٥﴾﴾:

الغابر: يأتي في اللغة بِمَعْنَى الباقي، ويأتي بِمَعْنَى الماضي الذَّاهِبِ. وَهَذَانِ الْمَعْنَيَانِ يَنْطَبِقَانِ عَلَى امْرَأَةِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَدْ كَانَتْ مِنَ الْبَاقِيْنَ فِي أَرْضِ قَوْمِهَا إِذْ أَهْلِكَتْ وَهِيَ فِيهَا، وَكَانَتْ مِنَ الْمَاضِيْنَ الذَّاهِبِينَ بِالْإِهْلَاكِ مَعَ قَوْمِهَا.

## خامساً

مِنَ الْفُنُونِ الْبَلَاغِيَّةِ الْإِيجَازِ، وَهُوَ قِسْمَانِ:

• **إِيجَازُ الْقِصْرِ:** وَهُوَ الْإِيجَازُ الَّذِي لَا يُعْتَمَدُ فِيهِ عَلَى اسْتِخْدَامِ الْحَذْفِ.

• **إِيجَازُ الْحَذْفِ:** وَهُوَ الْإِيجَازُ الَّذِي يَكُونُ قِصْرُ الْكَلَامِ فِيهِ بِسَبَبِ اسْتِخْدَامِ حَذْفِ بَعْضِ الْكَلَامِ، اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ الْقَرَأَنِ.

وَالْأَمْثَلَةُ عَلَى إِيجَازِ الْحَذْفِ فِي السُّورَةِ كَثِيرَةٌ، يُدْرِكُهَا مَنْ تَدَبَّرَ السُّورَةَ بِإِمْعَانٍ.

وَأَقْصَرُ هُنَا عَلَى ذِكْرِ مِثَالَيْنِ لِإِيجَازِ الْقِصْرِ، فَلأَوَّلُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا بِشَأْنِ الْبُعْثِ بِزَجْرَةٍ وَاحِدَةٍ:

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

والثاني بَعْضُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَفَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

أما التَّوكِيدُ لدواعِ بِلَاغِيَّةٍ، فقد تَرَكْتُ اسْتِخْرَاجَ أَمْثَلَةٍ مِنْهُ، لِوُضُوحِهَا مِنْ النَّظَائِرِ الَّتِي اسْتَخْرَجْتُهَا مِنَ السُّورِ السَّابِقَةِ.

وَكَذَلِكَ خُرُوجُ الاسْتِفْهَامِ عَنْ أَصْلِ دَلَالَتِهِ فَقَدْ سَبَقَ اسْتِخْرَاجُ نَظَائِرٍ فِي الْمُسْتَخْرَجَاتِ الْبَلَاغِيَّةِ مِنَ السُّورِ السَّابِقَةِ.

وَأَكْتَفِي فِي هَذَا الْمُلْحَقِ بِهَذِهِ الْمُسْتَخْرَجَاتِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ.



## سورة لقمان

٣١ مصحف ٥٧ نزول

وهي سورة مكيّة

إِلَّا الآيات (٢٧ و ٢٨ و ٢٩)

فيما رُوي عن ابن عبّاس  
ورُوي عنه أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا



(١)

## نصُّ السُّورَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ فَرْشِ القِرَاءَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلَمْ (١) تَلِكْ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً  
 لِّلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِيْنَ يُقِيمُوْنَ الصَّلَاةَ وَيُوْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
 بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُوْنَ (٤) اُولٰٓئِكَ عَلٰى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ؕ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ  
 الْمُفْلِحُوْنَ (٥) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهٗوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ  
 عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ؕ اُولٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ  
 مُّهِينٌ (٦) وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِ ءَايٰتُنَا وَلِيَ مُّسْتَكْبِرًا كَاَن لَّمْ  
 يَسْمَعْهَا كَاَن فِىْ اُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّشْهُ بِعَازٍ اَلِيمٍ (٧) اِنَّ

١ - سَكَتَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى: «أَلْفٍ» وَ«لَامٍ» وَ«مِيمٍ».

٣ - قَرَأَ حَمْزَةً: [وَرَحْمَةً] بِالرَّفْعِ.

وَقَرَأَهَا بَاقِيَ الْقِرَاءِ الْعَشْرَةَ بِالنَّصْبِ: [وَرَحْمَةً].

وَالْقِرَاءَتَانِ وَجْهَانِ عَرَبِيَّانِ جَائِزَانِ.

٦ - قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو: [لِيُضِلَّ] مِنْ فَعَلَ: «ضَلَّ».

وَقَرَأَهَا بَاقِيَ الْقِرَاءِ الْعَشْرَةَ: [لِيُضِلَّ] مِنْ فَعَلَ: «أَضَلَّ».

وَبَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي آدَاءِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ.

٦ - قَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ، وَشُعْبَةُ، وَأَبُو جَعْفَرٍ:

[وَيَتَّخِذَهَا] بِرَفْعِ الْفِعْلِ عَطْفًا عَلَى «يَشْتَرِي».

وَقَرَأَهَا بَاقِيَ الْقِرَاءِ الْعَشْرَةَ بِالنَّصْبِ الْفِعْلُ: [وَيَتَّخِذَهَا] أَي: وَلَيَتَّخِذَهَا.

٦ - لَفْظُ: «هُزُوًا» فِيهِ قِرَاءَاتٌ «هُزَأً، هُزَأً، هُزُوًا، هُزُوًا» وَهِيَ لَهْجَاتُ عَرَبِيَّةٍ.

٧ - قَرَأَ نَافِعٌ: [أُذْنَيْهِ] بِاسْكَانِ الذَّالِ.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَبْثَنَّا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ

= وقرأها باقي القراء العشرة: [أُذْنِيهِ] بضم الذال.  
وهما نطقان عريان.

١٢ و ١٤ - • قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحزمة ويعقوب: [أَنْ أَشْكُرْ] في الآيتين، بكسر النون.

وقرأها باقي القراء العشرة بضم النون: [أَنْ أَشْكُرْ].

١٣ - • قرأ حفص: [يَا بُنَيَّ] بفتح الياء المشددة.

وقرأها ابن كثير: [يَا بُنَيَّ] بإسكان الياء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [يَا بُنَيَّ] بكسر الياء المشددة.

وهي وجوه في النطق العربي.

إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنِيٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَحْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِيٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

١٦ - • قرأ نافع، وأبو جعفر: [مِثْقَال] بِالرَّفْعِ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [مِثْقَال] بِالنَّصْبِ.

وهما وجهان نحويان جائزان.

١٦ - • قرأ حفص: [يَا بُنَيَّ].

وقرأها الباقيون: [يَا بُنَيَّ].

١٧ - • قرأ البزي، وحفص: [يَا بُنَيَّ].

وقرأها قبل: [يَا بُنَيَّ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [يَا بُنَيَّ].

وهي وجوه عربية من الأداء.

١٨ - • قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: [وَلَا تُصَعِّرْ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَا تُصَاعِرْ].

وهما لغتان بمعنى إمالة العُنُقِ مِنَ الْكِبَرِ وَاحْتِقَارِ النَّاسِ.

٢٠ - • قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر: [نِعْمَةً] جمع «نِعْمَةٌ».

وقرأها باقي القراء العشرة: [نِعْمَةً] بِالْإِفْرَادِ وَالتَّنْكِيرِ، وَهِيَ اسْمُ جِنْسٍ،

وَالْمَوْدَى وَاحِدٌ.

يُجَدِّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾  
 وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ  
 آبَاءَنَا أُولَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾  
 ﴿٢٢﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ  
 بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٣﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا  
 يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ  
 بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ  
 غَلِيظٍ ﴿٢٥﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ  
 اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ لِلَّهِ مَا فِي  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٧﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي  
 الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ  
 أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ مَا  
 خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ  
 ﴿٢٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي

٢٢ - • قرأ قالون، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر: [وهو] بإسكان الهاء.  
 وقرأها الباقون بالضم: [وهو].

٢٣ - • قرأ نافع: [فَلَا يُحْزِنُكَ] من فعل: «أَحْزَنَهُ».  
 وقرأها باقي القراء العشرة من فعل: «حَزَنَهُ»: [فَلَا يَحْزُنُكَ].  
 وهما لغتان عَرَبِيَّتَانِ.

٢٧ - • قرأ أبو عمرو، ويعقوب: [وَالْبَحْرُ] بالنصب.  
 وقرأها باقي القراء العشرة بالرفع: [وَالْبَحْرُ].  
 وهما وجهان عَرَبِيَّانِ جائِزَانِ.



أَلَيْلٍ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى  
 وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ  
 وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ  
 ﴿٣٠﴾ أَلَمْ نَرِ أَنْ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ  
 مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾  
 وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا  
 نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ  
 خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَتَأْتِيَ النَّاسُ اتِّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا  
 يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا  
 إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا  
 يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ  
 وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا  
 تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ  
 خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

٣٠ - • قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر: [وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ] بناء المخاطبين.

وقراها باقي القراء العشرة بياء الغائبين: [وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ].

وبين القراءتين تكامل في الأداء البياني.

٣٤ - • قرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر: [وَيُنَزِّلُ] من فعل: «نَزَلَ».

وقراها باقي القراء العشرة: [وَيُنَزِّلُ] من فعل: «أَنزَلَ».

والقراءتان متكافئتان، فالفعل المهموز أخو الفعل المضعف.

(٢)

**مما ورد بشأن سورة (لقمان)**

رَوَى النِّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: «كُنَّا نُصَلِّي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ الظُّهْرَ، نَسْمَعُ مِنْهُ الْآيَةَ بَعْدَ الْآيَةِ مِنْ سُورَةِ لُقْمَانَ، وَالذَّارِيَاتِ».

(٣)

**سَبَبُ نَزُولِ سُورَةِ (لُقْمَانَ)**

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ: أَنَّ قُرَيْشًا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قِصَّةِ لُقْمَانَ مَعَ ابْنِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ السُّورَةَ.

وَيُظْهَرُ أَنَّ بَعْضَ وَصَايَا لُقْمَانَ وَمَوَاعِظِهِ لَابْنِهِ، كَانَتْ مَتَدَاوِلَةَ الذِّكْرِ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَيَسْتَشْهَدُونَ بِهَا، وَيُثْنُونَ عَلَى حِكْمَتِهِ فِيهَا، وَتُوجَدُ فِي الْمَأْثُورَاتِ الْعَرَبِيَّةِ حِكْمٌ كَثِيرَةٌ مُسَوَّبَةٌ إِلَيْهِ.

(٤)

**مَوْضُوعُ سُورَةِ (لُقْمَانَ)**

يُظْهَرُ لِي أَنَّ مَوْضُوعَهَا يَدُورُ حَوْلَ الثَّنَاءِ عَلَى لُقْمَانَ الْحَكِيمِ، بِشَأْنِ وَصَايَاهُ وَمَوَاعِظِهِ لَابْنِهِ، الَّتِي جَاءَ فِي السُّورَةِ عَرْضُ طَائِفَةٍ مِنْهَا مَعَ إِقْرَارِ لَهَا، إِذْ هِيَ مَأْخُودَةٌ مِنْ كَلَامِ النُّبُوتِ السَّابِقَاتِ، وَجَاءَ فِي السُّورَةِ ذِكْرُ وَصَايَا وَبَيِّنَاتٍ رَبَّانِيَّةٍ سَابِقَةٍ لَهَا فِي آيَاتِ السُّورَةِ، وَآتِيَةٍ بَعْدَهَا، وَأُخْرَى وَارِدَةٌ أَثْنَاءَهَا، لِلإِشْعَارِ بِأَنَّ وَصَايَا وَمَوَاعِظَ لُقْمَانَ لَابْنِهِ هِيَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى الرُّسُلِ السَّابِقِينَ، فَكُلُّ مَا جَاءَ فِي السُّورَةِ وَمِنْهَا مَوَاعِظُ لُقْمَانَ لَابْنِهِ، تَعْلِيمَاتٌ وَوَصَايَا وَمَوَاعِظُ رَبَّانِيَّةٍ.

وَمَا جَاءَ فِي السُّورَةِ مِنْ وَصَايَا وَمَوَاعِظٍ وَتَعْلِيمَاتٍ رَبَّانِيَّةٍ، هِيَ مُكَمَّلَاتٌ، وَدَاعِمَاتٌ لِمَا جَاءَ فِيهَا مِنْ مَوَاعِظِ لُقْمَانَ لَابْنِهِ، وَهِيَ تَتَعَلَّقُ

بمفرداتِ سُلُوكِيَّةِ إِسْلَامِيَّةٍ، وَعَنَاصِرَ اعْتِقَادِيَّةٍ، وَأَيَّاتٍ كَوْنِيَّةٍ دَالَّاتٍ عَلَى رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَبَيِّنَاتٍ عَنْ بَعْضِ صِفَاتِ اللَّهِ، مَعَ تَرْبِيَّةٍ لِلرَّسُولِ ﷺ والدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ.

وفيهما تَرْغِيبٌ وَتَرْهِيْبٌ، عَلَى وَفْقِ مَنْهَجِ الْقُرْآنِ فِي التَّبَشِيرِ وَالْإِنْذَارِ.

(٥)

### دُرُوسُ سُورَةِ (لُقْمَان)

تَكَادُ تَكُونُ السُّورَةُ بَيِّنَاتٍ وَوَصَايَا وَمَوَاعِظَ مِنْ دَرْسٍ وَاحِدٍ يَشْتَمِلُ عَلَى (٣٤) آيَةٍ.

وَتَسْهِيلاً لِلتَّدَبُّرِ أَقْسَمَهَا إِلَى أَحَدِ عَشَرَ دَرْساً.

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: الْآيَاتُ مِنْ (١ - ٥).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ يَتَعَلَّقُ بِالْقُرْآنِ وَهَدَايَتِهِ.

الدَّرْسُ الثَّانِي: الْآيَتَانِ (٦) وَ(٧).

وَفِيهِمَا بَيَانٌ عَمَّنْ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِلَهْوِ الْحَدِيثِ، وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُ اللَّهِ وَلَّى مُسْتَكْبِراً، وَفِيهِمَا إِنْذَارُهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ.

الدَّرْسُ الثَّلَاثُ: الْآيَتَانِ (٨) وَ(٩).

وَفِيهَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِأَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ: الْآيَتَانِ (١٠) وَ(١١).

وَفِيهِمَا عَرْضُ بَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَهَذَا يُلْزَمُ عَنْهُ عَقْلاً أَنَّهُ وَاحِدٌ فِي إِلَهِيَّتِهِ.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ: الْآيَاتُ مِنْ (١٢ - ١٩).

وفي آيات هذا الدرس ما جاء في السورة بشأن «لقمان» الحكيم، ومواعظه لابنه، تعلّماً للمؤمنين كيف يؤصّون أبناءهم ويعظونهم فيما فيه طيب معيشتهم في دنياهم، وسعادتهم في آخرتهم مع إدخال وصايا من الله في أثنائها.

#### الدرس السادس: الآيات من (٢٠ - ٢٤).

وفيهما بيان عن نعم الله على الناس، التي تستدعي شكرهم له، إلا أن من الناس من لا يشكرون ربهم على نعمه، ويجادلون بالباطل، مع إنذارهم بعذاب السعير، وبشارة المؤمن الذي يسلم وجهه لله وهو محسن بالعاقبة الحسنى يوم الدين، وتوصية الرسول وكل داعٍ إلى الله بأن لا يحزنه كفر من كفر، وأن مصيرهم إلى عذابٍ غليظ.

#### الدرس السابع: الآيتان (٢٥) و(٢٦).

وفيهما تعلّم جولة جدليّة للمشرّكين بشأن من خلق السموات والأرض.

#### الدرس الثامن: الآية (٢٧).

وفيهما بيان سعة علم الله، وبيان أن كلماته مسيراتٌ لواسع علمه.

#### الدرس التاسع: الآية (٢٨).

وفي هذه الآية بيان قدرة الله العظيمة، من خلال بيان أن خلق الناس وبعثهم كخلق نفس واحدة، وفيها بيان أن الله سميعٌ بصيرٌ، للإشعار بأن حسابهم وفضل القضاء بينهم مسبوقٌ بعلمه بكلّ أحوالهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة.

#### الدرس العاشر: الآيات من (٢٩ - ٣٢).

وفيهما عرضٌ بعض آيات الله في كونه، ونعمه على عباده، مع عرض

بَعْضِ أحوَالِ النَّاسِ تُجَاهُ الْأَحْدَاثِ الْمُخِيفَةِ مِنْ ظَاهِرَاتِ تَصَارِيفِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ.

الدرس الحادي عشر: الآيتان (٣٣) و(٣٤) آخر السورة.

وفيها نداء للناس جميعاً بأنَّ يَتَّقُوا رَبَّهُمْ، وَيَخْشَوْا عَذَابَهُ الْمَعَدَّ لِلْعَصَاةِ وَالْكَافِرِينَ يَوْمَ الدِّينِ، مع بيانِ أَنَّ عِنْدَهُ وَحْدَهُ عِلْمَ السَّاعَةِ، وَأَنَّهُ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَأَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ مَا فِي الْأَرْحَامِ، وَأَنَّهُ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا، وما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ.

لَكِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ بِكُلِّ شَيْءٍ.



(٦)

التدبر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (لقمان)  
وهو الآيات من (١ - ٥)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾  
مَنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾.

القرئات:

(١) • سَكَتَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى: «ألف» و«لام» و«ميم».

ولم يَسْكُتْ باقى القراء العشرة.

(٣) • قرأ حمزة: [وَرَحْمَةً] بِالرَّفْعِ، عَلَى أَنَّ «هُدًى» خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ

محذوف، تَقْدِيرُهُ: «هُوَ».

وقرأها باقي القراء العشرة بالنَّصْبِ: [وَرَحْمَةً] على أنْ هُدَى حَالٌ، أي: حَالَةٌ كَوْنُ الكتاب الحكيم هُدَى وَرَحْمَةً.

فالقراءتان وجهان نحويان جائزان.

### تَمْهيد:

في هذه الآيات بَيَانٌ عَنِ الْقُرْآنِ كِتَابُ اللَّهِ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الدِّينِ الخاتم، وَأَنَّهُ هُدَى لِلْمُحْسِنِينَ، كَمَا هُوَ هُدَى لِلْمُتَّقِينَ، وَالْأَبْرَارِ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿الْم ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدَى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾.

﴿الْم ١﴾: هذه من الحروف المقطعة التي بدأ الله عَزَّ وَجَلَّ بها بعض سُورِ الْقُرْآنِ، وقد سبقَ بيان ما يَكْفِي بشأنها في تدبر أول سورة (القلم/ ٤ نزول):

• ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾:

جاءت الإشارة إلى آيات القرآن باسم الإشارة في: [تلك] الموضوعه للمشارة إليها البعيدة مع قُرْبِهَا لِعَرَضِ الدَّلَالَةِ عَلَى ارْتِفَاعِ مَكَانَتِهَا فِي بِلَاغَتِهَا، وفي المعاني السَّامِيَةِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا دَلَالَاتُ جُمْلَتِهَا، وارتفاع مكانتها يدلُّ على أَنَّهَا تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّ مَنْ سِوَى اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهَا، وهو ما جاء مُصَرِّحاً به في نصوصٍ أُخْرَى.

وَسُمِّيَتْ أَجْزَاءُ السُّورَةِ الَّتِي تَنْتَهِي بِفَصِلَاتِهَا «آيات» لِأَنَّ فِيهَا عِلَامَاتٍ دَلَالِيَّةً عَلَى كَوْنِهَا مُنْزَلَاتٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَيْسَتْ مِنْ كَلَامِ إِنْسٍ وَلَا جِنٍّ وَلَا غَيْرِهِمَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ.

الآية: هي اللُّغَةُ العَلَامَةُ الدَّالَّةُ عَلَى شَيْءٍ مَا، مُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ، أَوْ غَيْرِ مُدْرِكٍ بِهَا، كَالْفِكْرِيَّاتِ وَالْوُجْدَانِيَّاتِ.

وَأُطْلِقَ عَلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَيَانٍ كَلَامِيٍّ لَفْظَ «الْكِتَابِ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى وُجُوبِ تَدْوِينِهِ بِالْكِتَابَةِ، وَجَعَلِهِ بَيْنَ النَّاسِ كِتَابًا مُحَرَّرًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، مَحْمِيًّا مِنَ التَّحْرِيفِ، وَالتَّغْيِيرِ، بِالزِّيَادَةِ، أَوْ بِالنَّقْصِ، أَوْ بِالتَّبْدِيلِ.

و«ال» في لفظ «الْكِتَابِ» لِلْكَمَالِ.

وَجَاءَ وَصْفُ الْقُرْآنِ هُنَا بِأَنَّهُ ﴿الْحَكِيمُ﴾ أَي: الْمُحْكَمُ إِذْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحْكَمًا. أَوْ ذُو الْحِكْمَةِ فِي أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ، فَلَفْظُ «الْحَكِيمِ» إِمَّا بِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ، أَوْ بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ، أَوْ هُوَ مُحْكَمٌ وَذُو حِكْمَةٍ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ الْقُرْآنُ، فَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحْكَمًا فَهُوَ ذُو حِكْمَةٍ.

الحكمة: هي وَضْعُ الْأَشْيَاءِ فِي مَوَاضِعِهَا، فِكْرًا، أَوْ مَعْرِفَةً، أَوْ اِعْتِقَادًا، أَوْ عَمَلًا، أَوْ حُكْمًا وَقَضَاءً، وَتَكُونُ الْحِكْمَةُ بِاخْتِيَارِ أَفْضَلِ الْأَشْيَاءِ وَأَتْقَنِهَا وَأَحْسَنِهَا مِنْ كُلِّ الْبَدَائِلِ لِمَا تُخْتَارُ لَهُ.

وَالْقُرْآنُ بِكُلِّ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مُتَّصِفٌ بِالْحِكْمَةِ، إِذْ هُوَ تَنْزِيلُ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وقد جاء في القرآن وَصْفُ الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ حَكِيمٌ، وبأنَّهُ مُبِينٌ (أي: هُوَ ظَاهِرٌ، وَهُوَ مُظْهِرٌ لِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ دَلَالَاتٍ). وبأنَّهُ مُبَارَكٌ (أي: كَثِيرُ الدَّلَالَاتِ ثَرُّ الْمَعَانِي الَّتِي فِيهَا هِدَايَةٌ وَخَيْرٌ عَظِيمٌ لِلنَّاسِ).

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

● ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ (٢):

هُدًى: مَصْدَرٌ «هَدَاهُ، يَهْدِيهِ، هُدًى» أي: بَيَّنَ لَهُ وَأَرشَدَهُ. وَوَصَفَ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ هُدًى، وَهُوَ وَصَفٌ بِالمَصْدَرِ، لِأَنَّ كُلَّ جُمْلَةٍ فِيهِ تَشْتَمِلُ عَلَى بَيَانٍ أَوْ دَلَالَةٍ عَلَى حَقٍّ أَوْ رُشْدٍ، أَوْ مَا فِيهِ خَيْرٌ لِلْمَوْضُوعَيْنِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، فَمِنَ الْحَقِّ أَنْ يُوصَفَ كُلُّهُ بِأَنَّهُ هُدًى، إِذْ كُلُّ جُزْءٍ فِيهِ جُزْءٌ هَادٍ إِلَى حَقٍّ أَوْ رُشْدٍ أَوْ خَيْرٍ، وَهَذَا مِنْ دَوَاعِي وَصْفِ الشَّيْءِ بِالمَصْدَرِ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ وَصْفِهِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ.

وَرَحْمَةً: الرَّحْمَةُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الْجَلِيلَةِ، وَهِيَ صِفَةُ نُشِئَتِهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَمِنْ آثَارِهَا الْعَطَاءُ، وَالْمَعُونَةُ، وَالتَّوْفِيقُ، وَإِزَالَةُ الْبُؤْسِ، وَالْإِمْدَادُ بِمَا يَسْرُ، وَيُسْكِنُ النَّفْسَ، وَيُطْمِئِنُّ الْقَلْبَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ خَيْرَاتٍ.

وَوُصِفَ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ رَحْمَةٌ لِأَنَّ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ هِدَايَةٍ، هُوَ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ الْمَوْضُوعَيْنِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِبْتِلَاءِ.

لِلْمُحْسِنِينَ: أي: الْقُرْآنَ هُدًى وَرَحْمَةً لِأَهْلِ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ، وَهِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُمْ يَتَعَلَّقُونَ بِهِ اسْتِمَاعًا، وَتِلَاوَةً، وَتَدَبُّرًا، وَعَمَلًا بِمَا جَاءَ فِيهِ مِنْ هَدًى.

وَعَلَى مَنْهَجِ الْقُرْآنِ فِي التَّفْصِيلِ، لِيَتَّكَامَلَ الْمَفْصَّلَاتُ فِيَمَا بَيْنَهَا، وَيَأْخُذَ كُلُّ جُزْءٍ حَظَّهُ مِنَ الْبَيَانِ، جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَصْفُ الْقُرْآنِ بِمَا يَلِي:

(١) بِأَنَّهُ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ. (الآية ٢ من سورة البقرة).

(٢) وبأنَّهُ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ. (الآية ٩٧ من سورة البقرة).

(٣) وبأنَّهُ هُدًى لِلنَّاسِ. (الآية ١٨٥ من سورة البقرة).

(٤) وبأنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، أي: لَدَيْهِمُ الْقَابِلِيَّةُ لِأَنَّ يُؤْمِنُوا بِإِرَادَاتِهِمُ الْحَرَّةَ. (الآية ٢٠٣ من سورة الأعراف).



(٥) وَبِأَنَّهُ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ . (الآية ٢ من سورة النمل).

(٦) وَبِأَنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ . (الآية ٢٠ من سورة الجاثية).

(٧) وَبِأَنَّهُ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ . (الآية ١٠٢ من سورة النحل).

ولدى تدبر هذه النصوص معاً نلاحظ التكامل فيما بينها.

أمّا بالنسبة إلى مراتب المؤمنين الثلاثة: (مَرْتَبَةُ الْمُتَّقِينَ، وَمَرْتَبَةُ الْأَبْرَارِ، وَمَرْتَبَةُ الْمُحْسِنِينَ) فنلاحظ أن الله عز وجل ذكر في سورة (لقمان/ ٥٧ نزول) أنه هدى ورحمة للمحسنين. وذكر في سورة (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول) أنه هدى للمتقين. ولما كانت مرتبة المتقين هي المرتبة الدنيا، ومرتبة المحسنين هي المرتبة العليا، فإننا نفهم بالضرورة العقلي أنه هدى للأبرار، إذ مرتبة الأبرار هي الوسطى بين المحسنين والمتقين.

وإذا كان القرآن هدى ورحمة للمحسنين، فهو هدى ورحمة للأبرار وللمتقين حتماً، لأن أصحاب المراتب الأدنى أحوج إلى الرحمة ليرتقوا بها إلى الدرجات الأعلى.

■ ووصف الله عز وجل المحسنين في هذا الدرس بصفاتٍ معظمها من صفات أهل مرتبة التقوى، لأن صفات أهل المراتب الأدنى هي من صفات أهل المراتب الأعلى مع زيادةٍ عليها، فقال تعالى:

• ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ :

﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ : أي: يؤدّون الصلوات المفروضة التي سبق إلزام المؤمنين المسلمين بها، في ليلة الإسراء، والتي سبق بيانها والتنويه بشأنها لدى تدبر سورة (الإسراء/ ٥٠ نزول).

والمراد بإقامة الصلاة: المداومة والمواظبة على أدائها في أوقاتها،

وَأَدَاؤُهَا عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ الْمَطْلُوبِ فِيهَا، وَجَعَلُهَا مُسْتَقِيمَةً خَالِصَةً لِّوَجْهِ اللَّهِ، لَا عِوَجَ فِيهَا وَلَا رِيَاءَ، وَلَا زِيَادَةَ، وَلَا نَقْصًا.

﴿يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: أي: وَيُنْفِقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِالْإِنْفَاقِ فِيهَا، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا إِعْطَاءُ الْفُقَرَاءِ وَذَوِي الْحَاجَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ.

وهذا التكليف قد كان منزلاً في العهد المكِّي دون تحديد للمقادير الواجبة من الزكاة، ثم جاء في العهد المدني تحديد أنصبه الزكاة وما يجب فيها.

الزكاة: هي في اللغة الطهارة من النجاسات والأرجاس، وتأتي بمعنى النماء.

وأُظِّلَتْ فِي الاصطلاح الديني على ما يجب على المسلم أن يُنْفِقَهُ مِنْ أَمْوَالِهِ، لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَسَائِرِ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ، إِذْ هُوَ بِهَذَا الْإِنْفَاقِ يُطَهَّرُ أَمْوَالُهُ، وَيَجْعَلُهَا مُؤَهَّلَةً لِلنَّمَاءِ بِفَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾:

الْيَقِينُ: هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَأَدْنَى مَرَاتِبِهِ مَا اعْتَمَدَ عَلَى أَدَلَّةٍ نَظَرِيَّةٍ أَوْ خَبَرِيَّةٍ صَادِقَةٍ لَا شَكَّ فِيهَا.

فَمِنْ صِفَاتِ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يَكُونُ الْقِرَانُ هُدًى وَرَحْمَةً لَهُمْ، أَنَّهُمْ يُوقِنُونَ بِأَنَّ الْحَيَاةَ الْآخِرَةَ، وَالذَّارَ الْآخِرَةَ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ.

وَجَاءَ فِي الْعِبَارَةِ التَّوَكُّيدُ بِضَمِيرِ الْفَصْلِ فِي: ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْيَقِينَ الْكَامِلَ مِنْ دَرَجَاتِهِ وَمَرَاتِبِهِ الْعُلْيَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْمُحْسِنِينَ، إِذْ جَعَلَ هَذَا الضَّمِيرُ الْجُمْلَةَ بِقُوَّةِ الْجُمْلَةِ الْأَسْمِيَّةِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا الْمُسْنَدُ وَالْمُسْنَدُ إِلَيْهِ مُعَرَّفَيْنِ، فَهِيَ تُفِيدُ الْقُصْرَ.

وبهذا الفهم يكون اليقين بالآخرة من خصائص صفات المحسنين،  
أما المتقون أهل مرتبة التقوى فيكفيهم أن يكونوا مؤمنين بالآخرة إيماناً  
تصديقاً، وعليه قول الله عز وجل في سورة (الأنعام/ ٥٥ نزول):

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ  
حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

■ وأننى الله عز وجل على المحسنين بقوله في آخر هذا الدرس  
الأول:

● ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾:

أشار الله عز وجل إليهم باسم الإشارة الموضوع للبعدين، للدلالة  
على ارتفاع درجاتهم عنده إذ هم محسنون، فجاءت الإشارة إليهم بعبارة  
﴿أُولَئِكَ﴾ مرتين.

﴿عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾: أي: أولئك سائرُونَ على صراطٍ وطريقٍ حقٍّ  
ورُشدٍ، مبينٍ من ربهم.

يُسْتَعْمَلُ «الهُدَى» بمعنى الصراط وهو طريق الحق والرشد والخير،  
وهذا هو الملائم هنا.

● ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: أي: وأولئك هم وُحْدَهُمُ هُمُ الظَّافِرُونَ  
الْفَائِزُونَ فَوْزاً لَا يُدَانِيهِ فَوْزٌ.

يقال لُغَةً: «أَفْلَحَ، يُفْلِحُ» أي: ظَفَرَ بما يُريدُ، وفَارَ بالنعيم العظيم  
يوم الدين.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الأول من دروس سورة (لقمان).  
والحمد لله على معونته، ومدِّه، وتوفيقه، وفتحته.



(٧)

## التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (لقمان) وهو الآيتان (٦) و (٧)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ  
وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا  
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾.

### القراءات:

(٦) • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: [لِيُضِلَّ] من فعل: «ضَلَّ».

وقراها باقي القراء العشرة: [لِيُضِلَّ] من فعل: «أَضَلَّ».

وَبَيَّنَ القراءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي أَدَاءِ الْمَعْنَى الْمَرَادِ، إِذْ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ  
الْحَدِيثِ يَضِلُّ بِنَفْسِهِ، وَقَدْ يَضِلُّ غَيْرُهُ.

(٦) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة، وأبو  
جعفر: [وَيَتَّخِذَهَا] برفع الفعل عطفاً على «يَشْتَرِي».

وقراها باقي القراء العشرة: [وَيَتَّخِذَهَا] بِالنَّضْبِ، أَي: وَلِيَتَّخِذَهَا.

(٦) • في لفظ: [هُزُوًا] عدّه قراءات هي من اللهجات العربية:  
«هُزَاءً» و«هُزَاً» و«هُزُوءًا» و«هُزُؤًا».

(٧) • قرأ نافع: [أُذُنَيْهِ] بإسكان الدال.

وقراها باقي القراء العشرة: [أُذُنَيْهِ] بضمّ الدال.

وَهُمَا نُطْقَانِ عَرَبِيَانِ.

## تمهيد:

في هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بَيَانٌ لِحَالِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ، فَهُمْ يُعْجِبُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْإِشْغَالُ بِالْمُلْهِيَّاتِ، وَمِنْهَا لَهُوَ الْحَدِيثُ، وَلَوْ بَدَّلُوا مَا لَمْ يَلْتَمِزُوا لَهَا، ضَالِّينَ مُضِلِّينَ، أَوْ ضَالِّينَ فَقَطْ.

وَيَنْفِرُونَ مِنَ الْإِسْتِمَاعِ إِلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَمَا تُوضِّحُهُ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ الْمَوْصِلِ إِلَى جَنَّاتِ التَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهَا، إِذْ لَا يَجِدُونَ فِيهَا مَنَفَعَةً دُنْيَوِيَّةً عَاجِلَةً، وَلَا مُتَعَةً تَسْلِيَّةً بِحِكَايَاتِهَا، فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ.

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ أَذَارُوا ظُهُورَهُمْ وَنَأَوْا، لئَلَّا يَسْمَعُوهَا، وَاسْتَكْبَرُوا عَنْ سَمَاعِهَا، شُعُوراً مِنْهُمْ بِأَنَّهَا دُونَ مَا يَهْتَمُّونَ بِهَ لِمْصَالِحِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ، أَوْ لِمَتَعَتِهِمْ، فَحَالُهُمْ مَعَهَا كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهَا، كَأَنَّ فِي آذَانِهِمْ صَمَماً، أَوْ شِبْهَ صَمَمٍ.

هَذَا الْفَرِيقُ مِنَ النَّاسِ وَقَفَ عَلَى الطَّرَفِ الْأَقْصَى الْمَضَادِّ لِلْمُحْسِنِينَ، الَّذِينَ جَاءَ الْبَيَانُ عَنْهُمْ فِي آيَاتِ الدَّرْسِ الْأَوَّلِ.

إِنَّ الْمُحْسِنِينَ يَرَوْنَ كِتَابَ اللَّهِ هُدًى وَرَحْمَةً لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ، فَهُمْ يَتَعَلَّقُونَ بِهِ سَمَاعاً، وَتِلَاوَةً، وَتَذَكُّراً، وَعَمَلاً بِهَدْيِهِ، فَهُمْ بِذَلِكَ يَكُونُونَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ، وَتَكُونُ عَاقِبَتُهُمْ أَنََّّهُمْ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فَلَاحاً مِنَ الدَّرَجَاتِ السَّامِيَّاتِ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

أَمَّا الْفَرِيقُ الْوَاقِفُ عَلَى الطَّرَفِ الْأَقْصَى الْمَقَابِلِ لِلْمُحْسِنِينَ، فَهُمْ يَرَوْنَ دَلَالَاتِ آيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ دُونَ مُسْتَوَى اهْتِمَامَاتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَكْبِرُونَ عَنْ سَمَاعِهَا، وَيَنْفِرُونَ مِنْهَا إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ وَيُصِمُّونَ آذَانَهُمْ.

إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَالُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ، أَوْ هُمْ ضَالُّونَ مُضِلُّونَ، وَلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ عِنْدَ رَبِّهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، فَبَشِّرْهُمْ أَتْيَهَا الدَّاعِيَ إِلَى اللَّهِ بِهَذَا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الَّذِي سَوْفَ يُعَذِّبُونَهُ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (٦):

وفي القراءة الأخرى: [لِيُضِلَّ] و[يَتَّخِذَهَا هُزُوًا].

أي: وفي مقابل المحسنين الذين تكون آيات القرآن هدىً ورحمةً لهم، فيتعلّقون بها سماعاً، وتلاوةً، وتدبراً، واهتداءً بهديها، يُوجد ضالّون ومضِلّون لا يؤمنون بالآخرة، فتعلّق نفوسهم وقلوبهم بمُلَهِيّاتٍ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ومنها لهو الحديث، الذي يشغلون به أوقاتاً كثيرةً من حياتهم، ولو بذلوا للاستمتاع به أموالاً، وهذا اللهو يجعلهم ضالّين عن سبيل الله، وقد يجعلهم مضلّين غيرهم عن سبيل الله من الذين يقلّدونهم، أو يستحيون لإغراءاتهم بالماهي التي لا فائدة حقيقية تُرجى منها.

وهذا الضلال أو الإضلال لا يقترن بعلم يسوغه، بل هو من قبيل أهواء النفوس والشهوات، ومُعْرِياتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ومن قبيل الاستمتاع بما يُلْهي عن الأشياء النافعة المفيدة في العاجلة والآجلة.

• ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: أي: وبَعْضُ النَّاسِ.

• ﴿مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾: أي: مَنْ يَبْذُلُ مَا لَا لِيَسْتَمْتِعَ بِالْحَدِيثِ الَّذِي يَتَضَمَّنُ لَهُوَ عَمَّا هُوَ نَافِعٌ وَمُفِيدٌ فِي عَاجِلِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ وَآجِلِهَا يَوْمَ الدِّينِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ الْمُلَهِيّاتِ تُبْذَلُ فِيهَا أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ.

اللَّهُو: كُلُّ أَمْرٍ غَيْرِ ذِي قِيَمَةٍ صَحِيحَةٍ يَشْغُلُ عَمَّا يَجِبُ تَوَجُّهُ الْجَهْدِ وَالْعَمَلِ لَهُ. وإضافة «لهو» إلى «الحديث» من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: الحديث الموصوف بأنه لهو.

ولهو الحديث يَدْخُلُ فِيهِ: قِرَاءَةُ الْقِصَصِ وَالْحِكَايَاتِ وَسَمَاعُهَا مِنَ الْقَصَاصِينَ، وَأَغْلَبُهَا مَوْضُوعٌ لِلتَّلْهِي، وَشَغْلُ الْأَوْقَاتِ بِهَا. وَالتَّمَثِيلَاتُ الَّتِي تَلْتَهُمُ أَوْقَاتُ النَّاسِ كَمَا تَلْتَهُمُ النَّارُ الْحَطَبَ الْجَافَّ، وَالنَّفْطُ السَّرِيعَ الْاِسْتِعَالَ، وَدَوَاوِينُ الشَّعْرِ الْقَائِمَةُ عَلَى الْمَدْحِ وَالْهَجْوِ وَالْغَزَلِيَّاتِ وَخُرَافَاتِ الْأَفْكَارِ.

وَأَقْبَحُ مِنْ لَهْوِ الْحَدِيثِ التَّلْهِي بِآلَاتِ الطَّرَبِ وَالْأَغَانِي السَّاقِطَةِ الْمُنْحَطَّةِ، الْمَثِيرَةِ لِلشَّهَوَاتِ، وَالْمَحْرُضَةِ عَلَى الْمَعَاصِي وَارْتِكَابِ كِبَائِرِ الْإِثْمِ.

وَمِنَ الْمُلهِيَّاتِ الْمُضِيعَاتِ لِلأَوْقَاتِ بِغَيْرِ فَائِدَةٍ تُرْجَى، إِنْفَاقُ الْأَوْقَاتِ الطَّوِيلَةِ فِي مُشَاهَدَاتِ مُبَارَيَاتِ الْأَلْعَابِ الْمُخْتَلِفَةِ، الَّتِي لَا يَسْتَفِيدُ مِنْهَا الْمَشَاهِدُونَ شَيْئاً لِأَجْسَادِهِمْ أَوْ عُقُولِهِمْ أَوْ نَفُوسِهِمْ.

وَمِنَ الْمُلهِيَّاتِ: الْجُلُوسُ فِي الْمَقَاهِي وَإِضَاعَةُ الْأَوْقَاتِ بِالْعَابِ طَاوَلَاتِ الزَّهْرِ، وَالْعَابِ الْأَوْرَاقِ، وَامْتِصَاصِ الدُّخَانِ إِلَى الرِّثَائِ وَدَفْعِهِ مِنْهَا، وَمَا يَجْرِي فِي مَجَالِسِ الْأُنْسِ وَالسَّمْرِ مِمَّا لَا خَيْرَ فِيهِ لِلدِّينِ أَوْ دُنْيَا.

وَالْمُلهِيَّاتُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَثِيرَاتٌ، وَجَاءَ ذِكْرُ لَهْوِ الْحَدِيثِ فِي الْآيَةِ مِثَالاً مِنْ أَمْثَلِهَا لِيُقَاسَ عَلَيْهِ.

وَجَاءَ فِي بَيَانَاتِ سَبَبِ النَّزُولِ: أَنَّ النَّضَرَ بْنَ الْحَارِثِ كَانَ يُسَافِرُ فِي تِجَارَةٍ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ، فَيَتَلَقَّى أَكَاذِبَ الْأَخْبَارِ عَنْ أَبْطَالِ الْفُرسِ فِي الْحُرُوبِ الْمَمْلُوءَةِ بِالْخُرَافَاتِ الْمُسْتَمْلَحَةِ، وَالْأَكَاذِبِ الَّتِي تُعْجِبُ السَّامِعِينَ، فَيَقْضُهَا عَلَى قُرَيْشٍ فِي أَسْمَارِهِمْ، وَيَقُولُ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ

يُحَدِّثُكُمْ بِأَحَادِيثٍ عَادٍ وَثَمُودَ، فَأَنَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَحَادِيثٍ رُسْتَمَ، وَاسْفَنْدِيَارَ، وَبَهْرَامَ. وَكَانَ يَشْتَرِي مِنْ بِلَادِ فَارِسٍ كُتُبَ أَخْبَارِ مُلُوكِهِمْ، فَيُحَدِّثُ بِهَا قُرَيْشًا.

أقول: إِنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ الْقِرَآنِيِّ، لَا بِخُصُوصِ سَبَبِ النُّزُولِ وَإِنْ صَحَّ.

• ﴿لِيُضِلَّ﴾ غَيْرُهُ وَ﴿لِيُضِلَّ﴾ هُوَ نَفْسُهُ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَغَيِّرِ عِلْمِهِ﴾.

أي: لِيُتَكُونَ عَاقِبَةُ شُغْلِ الْأَوْقَاتِ بِالْمُلْهِيَّاتِ ضَلَالًا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَسْلُكَهُ الْمَوْضُوعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِمْتِحَانِ، وَقَدْ يَحْصُلُ هَذَا الضَّلَالُ وَالْإِضْلَالُ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ سُوءَ الْعَاقِبَةِ.

وَقَدْ أَدْرَكَ هَذَا التَّأْثِيرَ فِي النَّاسِ شَيَاطِينُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَابْتَدَعُوا مِنَ الْمُلْهِيَّاتِ مَا لَا حَظَرَ لَهُ، لَا تَخَازِهَا وَسَائِلَ إِضْلَالٍ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَإِبْعَادٍ عَنْهُ إِلَى مَتَاهَاتٍ وَمَهَالِكٍ تَسْتَنْزِلُ سَالِكِيهَا إِلَى الْوَهْدَاتِ وَالذَّرَكَاتِ، حَتَّى يَكُونُوا كُفَّارًا مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ الْخَالِدِينَ فِيهَا يَوْمَ الدِّينِ.

وَنَلَا حِظَّ تَوَالِيِ الْمُبْتَكِرَاتِ مِنَ الْمُلْهِيَّاتِ، الَّتِي يَدْفَعُ بِهَا الشَّيَاطِينُ مِنْ تَجَارِ الْمُبْتَكِرَاتِ الصَّنَاعِيَّةِ إِلَى أَجْيَالِ الشُّعُوبِ، لِقَتْلِ أَوْقَاتِهِمْ فِيهَا لَا خَيْرَ فِيهِ، وَفِيهَا يُبْعِدُهُمْ وَيُضِلُّهُمْ عَنْ سُلُوكِ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَيَبْتَرِزُونَ بِهَا أَمْوَالًا كَثِيرَةً، كَانَ يَجِبُ أَنْ تُوفَرَ لِحَاجَاتِ النَّاسِ وَضُرُورَاتِ مَعَاشِهِمْ وَأُمُورِ آخِرَتِهِمْ.

• ﴿وَيَتَخَذَهَا هُزُوءًا﴾: أي: وَيَتَّخِذُ سَبِيلَ اللَّهِ الْمَوْصِلَةَ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ يَوْمَ الدِّينِ شَيْئًا مَهْزُوءًا بِهِ.

الهُزْءُ: السُّخْرِيَّةُ، أُطْلِقَ الْمَصْدَرُ فِي مَوْضِعِ اسْمِ الْمَفْعُولِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ كُلَّ عَنَاصِرِ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ تَكُونُ عِنْدَ هَؤُلَاءِ أَشْيَاءَ يَسْتَهْزِئُونَ بِهَا.



إِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ فِي طَبَائِعِ النَّاسِ، أَنَّهُمْ إِذَا تَعَلَّقُوا بِشَيْءٍ اسْتَهْوَاهُمْ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَجَدُوا كُلَّ صَارِفٍ لَهُمْ عَنْهُ شَيْئًا لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَعْْبُرُوا بِهِ، أَوْ يَكْتَرِثُوا لَهُ، فَإِذَا دُعُوا إِلَيْهِ اسْتَهْزَؤُوا بِهِ وَسَخِرُوا، وَسَفَّهُوا دَاعِيَهُمْ إِلَيْهِ.

ومن الأمثلة على هذا، مَا هُوَ مُلَاحَظٌ لَدَى الْمُسْتَغْرِقِينَ فِي مَلَهَاتِهِمْ، أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ وَدَعَاهُمُ الدَّاعِي إِلَى تَأْدِيَةِ الْفَرِيضَةِ وَهِيَ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ، اسْتَنْكَرُوا دَعْوَتَهُ لَهُمْ وَهُمْ يَرْمُونَ بِأَحْجَارِ الرَّهْرِ مَثَلًا، لِيَعْرِفُوا حُظُوظَهُمْ مِنْ أَعْدَادِ نِقَاطِهَا، وَوَجَّهُوا عِبَارَاتِ الشُّخْرِيَةِ بِهِ، وَالِاسْتِهْزَاءَ مِنْهُ، وَرُبَّمَا اسْتَهْزَؤُوا بِالصَّلَاةِ وَحَرَكَاتِهَا، إِذَا لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ مُسْلِمِينَ، وَهَذَا مِنَ الْهَزْءِ بِسَبِيلِ اللَّهِ.

فَمَا بِأَلْكَ بِالْمَقَامِرِينَ، وَالشُّكَارَى، وَالْمُسْتَغْرِقِينَ بِالِاسْتِمْتَاعِ بِشَهَوَاتِهِمْ مِنَ النِّسَاءِ.

وَنَجِدُ قَرِيبًا مِنْ هَذَا لَدَى الشُّعُوفِينَ بِمُشَاهَدَةِ الْأَلْعَابِ الرِّيَاضِيَّةِ، الَّتِي هِيَ الْمَلَهَاءُ الْعُظْمَى، لِجَمَاهِيرِ النَّاسِ فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي نَعِيشُهُ. وَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَصِيرَ الَّذِينَ يَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ضَلَالًا مُكْفَّرًا، فَقَالَ تَعَالَى:

• ﴿.. أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ﴿٦﴾

أي: أُولَئِكَ الْبُعْدَاءُ الْمُنْحَدِرُونَ فِي اتِّجَاهِ الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ، أُعِدَّ لَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ عَذَابٌ مُهِينٌ.

مُهِينٌ: أي: مُذِلٌّ مَخْزٍ. وَهَذَا الْإِذْلَالُ وَالِاحْتِقَارُ لَهُ يَكُونُ فِي مُقَابِلِ اسْتِهْزَائِهِ بِعَنَاصِرِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَاحْتِقَارِهِ لَهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِذْ كَانَتْ تَشْغُلُهُ عَنْهَا الْمُلهِيَّاتُ الَّتِي كَانَ يَجِدُ فِيهَا مُتَعَاتٍ تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِهَا، فَصَارَ يَحْتَقِرُ مِنْ أَجْلِهَا عَنَاصِرَ سَبِيلِ اللَّهِ الْمُوصِلِ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، إِذْ هُوَ غَيْرُ مُؤْمِنٍ بِالْآخِرَةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُتَابِعاً وَصَفَ الَّذِي يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ لَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ:

• ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنَّ مُسْتَكْبِرًا كَانَتْ يَمْسَعُهَا كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ قُورًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ .

دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ هَذَا الْفَرِيقَ مِنَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ، فِي مُقَابِلِ الْفَرِيقِ الَّذِي جَاءَ بَيَانُ عَنْهُمْ فِي الدَّرْسِ الْأَوَّلِ، الَّذِينَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ مُوقِنُونَ.

وبما أَنَّ الْفَرِيقَ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ لَا يَجِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا يُمَتِّعُهُ فِي دُنْيَاهُ، فَإِنَّ مِنْ آثَارِ كُفْرِهِ بِيَوْمِ الدِّينِ أَنْ يَجِدَ مَا يَدْعُوهُ إِلَى سُلُوكِ سَبِيلِ اللَّهِ أَمْرًا بَاطِلًا، وَأَنْ يَرَى إِضَاعَةَ الْوَقْتِ فِي اسْتِمَاعِ مَا يُبَيِّنُ عَنَاصِرَ سَبِيلِ اللَّهِ خَسَارَةً مِنْ عُمْرِهِ، وَأَنَّ مِنْ مَصْلَحَتِهِ أَنْ لَا يَخْسَرَ شَيْئًا مِنْ عُمْرِهِ فِيمَا لَا فَائِدَةَ لَهُ بِهِ، وَلَا سِيَّما إِذَا كَانَ يَدْعُوهُ إِلَى تَرْكِ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الَّتِي هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِهَا.

إِنَّ آيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ فِيمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ هِدَايَةٍ، مُنْفَرَّةٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَى نَفْسِهِ، وَمَا تُؤْمِنُ بِهِ وَمَا تَكْفُرُ بِهِ، فَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ أَدَارَ ظَهْرِهِ وَابْتَعَدَ عَمَّنْ يَتْلُوها عَلَيْهِ، مُسْتَكْبِرًا وَمُسْتَكْبِرًا.

دَلَّ عَلَى اسْتِنكَارِهِ تَوَلَّيْهِ وَابْتِعَاذِهِ، وَدَلَّ عَلَى اسْتِكْبَارِهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ أَي: هُوَ يَرَاهَا دُونَ مَعَالِي الْأُمُورِ الَّتِي يَهْتَمُّ بِهَا.

إِنَّهُ لَا يَخْطُرُ فِي بَالِهِ أَنْ يَقْرَأَ شَيْئًا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مُؤْمِنٍ بِالْقُرْآنِ وَلَا بِجَدْوَى قِرَاءَتِهِ لَهُ، لَكِنْ قَدْ يَتْلُو عَلَيْهِ دَاعٍ مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ شَيْئًا مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَهَا اشْمَازَتْ نَفْسُهُ وَنَفَرَتْ مِنْ سَمَاعِهَا، لِأَنَّهَا تَتَحَدَّثُ عَنْ أَشْيَاءَ هُوَ كَافِرٌ بِهَا، وَيَرَى الْحَدِيثَ عَنْهَا مِنَ السَّفَاهَةِ.

وَيُعْبَرُ عَنْ نَفُورِ نَفْسِهِ مِنْ سَمَاعِهَا، بِانْصِرَافِهِ عَنْ مَكَانِ التَّلَاوَةِ

جَسَدِيًّا، أَوْ بَانْصِرَافِ حَوَاسِهِ عَنِ الاسْتِمَاعِ لَهَا، حَتَّى كَأَنَّهُ أَصَمُّ، أَوْ قَرِيبٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَصَمًّا.

• ﴿وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا﴾: أي: وَإِذَا تَلَا عَلَيْهِ مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ آيَاتٍ مِنْ آيَاتِنَا فِي الْكِتَابِ الْحَكِيمِ الْقُرْآنِ.

• ﴿وَلَى﴾: أي أَدْبَرَ وَنَأَى عَنْ مَكَانِ التَّلَاوةِ جَسَدِيًّا، أَوْ نَفْسِيًّا. يُقَالُ لُغَةً: «وَلَى عَنِ الشَّيْءِ يُؤَلَّى» أي: أَدْبَرَ عَنْهُ، وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الإِدْبَارِ نَأْيٌ وَابْتِعَادٌ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَدْبَرَ وَنَأَى.

وَالْمَدْبُرُ النَّائِي عَنِ الشَّيْءِ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُسْتَكْبِرًا لَهُ وَنَافِرًا مِنْهُ.

• ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾: أي: مُتَرَفِّعًا عَنْهُ بِشِدَّةٍ، لِأَنَّهُ يَرَاهُ شَيْئًا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، فَهُوَ يَحْتَفِرُهُ، وَلَا يَغْبَأُ بِهِ، وَلَا يَجِدُهُ أَهْلًا لِأَنْ يَنْزِلَ إِلَى مَكَانِهِ الْمُنْخَفِضِ عَنِ الْمَعَالِي الَّتِي تُهْمُهُ، وَيَرَى أَنَّهَا جَدِيرَةٌ بِتَوَجُّيهِ عِنَايَتِهِ.

الاسْتِكْبَارُ: الشَّدَّةُ وَالْعُلُوُّ فِي مَشَاعِرِ الْكِبَرِ.

• ﴿كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾: أي: إِنَّ حَالَةَ نُفُورِهِ النَّفْسِيِّ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ تَجَعَّلَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَإِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا قَالَ: لَا أَدْرِي.

• ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ وَقرًا﴾: أي: كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ صَمَمًا، أَوْ ضَعْفًا شَدِيدًا فِي السَّمْعِ قَرِيبًا مِنَ الصَّمَمِ.

الْوَقْرُ: صَمَمٌ، أَوْ ثَقُلٌ شَدِيدٌ فِي السَّمْعِ قَرِيبٌ مِنَ الصَّمَمِ.

وفي خِتَامِ هَذَا الدَّرْسِ عَلَّمَ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ الْمُسْلِمَ أَنْ يَقُولَ لِهَذَا الْإِنْسَانِ مِنْ هَذَا الْفَرِيقِ: أَبْشِرْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ عِنْدَ رَبِّكَ إِذَا لَمْ تَفِئْ إِلَى رُشْدِكَ، بِتَدَبُّرِ آيَاتِ كِتَابِ رَبِّكَ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: ﴿.. فَبَشِّرْهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾. الْأَصْلُ فِي الْبَشَارَةِ أَنْ تَكُونَ إِخْبَارًا بِمَا يَسُرُّ، وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ فِي الْإِخْبَارِ بِمَا يَسُوءُ، لُغَةً أَوْ عَلَى سَبِيلِ التَّهْكُمِ.

وبهذا انتهى تدبُّر الدَّرْسِ الثاني من دُرُوس سورة (لقمان).  
والحمدُ لله على معونته ومَدَدِهِ وتوفيقه وفتحِهِ.

(٨)

## التدبر التحليلي للدَّرس الثالث من دُرُوس سورة (لقمان)

وهو الآيتان (٨) و (٩)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾.

تَمْهِيد:

في مُقَابِلِ الْعَذَابِ الْمُهِينِ وَالْأَلِيمِ الَّذِي جَاءَ بَيَّانُ إِعْدَادِهِ لِلْكَفَرَةِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، وَيَتَّخِذُونَ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا، وَيَسْتَكْبِرُونَ عَنْ سَمَاعِهَا، فِي الدَّرْسِ الثَّانِي السَّابِقِ. جَاءَ فِي آيَتِي هَذَا الدَّرْسِ الثَّالِثِ التَّبَشِيرُ بِالْخُلُودِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

## التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

● ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾:

أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّ الظَّفَرَ بِاسْتِحْقَاقِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ يَكُونُ لِلَّذِينَ تَحَقَّقَ فِيهِمْ شَرْطَانِ:

**الشَّرْطُ الْأَوَّلُ:** أَنْ يُؤْمِنُوا بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ وَضَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَهِيَ أَرْكَانُ الْإِيمَانِ السَّتَّةُ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ تَفْصِيلَاتٍ.

**الْإِيمَانُ:** تَصَدِيقٌ إِرَادِيٌّ وَاعْتِرَافٌ قَلْبِيٌّ بِعَنَاصِرِ الْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَيْسَ مُجَرَّدَ عِلْمٍ بِهِذِهِ الْعَنَاصِرِ، فَالْعِلْمُ غَيْرُ الْمَضْحُوبِ بِتَصَدِيقٍ إِرَادِيٍّ فِي الْقَلْبِ لَيْسَ إِيْمَانًا، بَلْ قَدْ يَكُونُ مَضْحُوبًا بِجُحُودٍ، وَهُوَ مِنْ أَشَدِّ دَرَكَاتِ الْكُفْرِ.

وَيَتَّبِعِ التَّصَدِيقَ الْإِرَادِيَّ عَاطِفَةً نَفْسِيَّةً مُلَائِمَةً لَهُ، ثُمَّ تَأْتِي الْإِرَادَاتُ السُّلُوكِيَّةَ مُوجَّهَةً مِنْ عَامِلَيْنِ: الْإِيمَانِ، وَالْعَاطِفَةِ النَّفْسِيَّةِ.

**الشَّرْطُ الثَّانِي:** أَنْ يَعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ، أَي: أَنْ يَعْمَلُوا أَعْمَالاً صَالِحَاتٍ تُرْضِي اللَّهَ عَنْهُمْ، كإِعْلَانِ الشَّهَادَتَيْنِ، وَإِعْلَانِ الْاِسْتِسْلَامِ لِلَّهِ وَلِأَوَامِرِهِ، وَالِدُّعَاءِ لِلَّهِ وَحْدَهُ دُونَ إِشْرَاكِ بِهِ، وَأَدَاءِ بَعْضِ الْفُرُوضِ وَالْوَاجِبَاتِ، وَبَدْلِ الْمَالِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَالِابْتِعَادِ عَنِ بَعْضِ الْمَحْرَمَاتِ طَاعَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

هذا الشَّرْطُ يُمَثَّلُ تَغْيِيرًا عَمَلِيًّا عَنْ صِحَّةِ الْإِيمَانِ الْإِرَادِيَّ الْاِعْتِقَادِيَّ.

﴿لَمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ اللَّامُ فِي ﴿لَهُمْ﴾ هِيَ لَامُ الْاِسْتِحْقَاقِ، أَي: هُمْ يَسْتَحِقُّونَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

جاء لفظ «جَنَّاتٍ» جمعاً، لِأَنَّ دَارَ نَعِيمِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ ذَاتُ أَقْسَامٍ كَثِيرَةٍ جَدًّا، كُلُّ قِسْمٍ مِنْهَا هُوَ جَنَّةٌ فِيهَا كُلُّ مَا يُحَقِّقُ كُلَّ نَعِيمِ الْمُقِيمِينَ فِيهِ، فَهِيَ جَنَّاتٌ كَثِيرَاتٌ فِي دَارِ عُظْمَى وَاحِدَةٍ تُسَمَّى «جَنَّةً».

**النَّعِيمُ:** خَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَذَاتِ الْجَنَّةِ وَالسَّعَادَاتِ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا بَلْفِظِ «نَعِيم - وَالنَّعِيم».

وَخَصَّ لَذَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَلْفِظِ «مَتَاعٍ» لِسُرْعَةِ زَوَالِهَا وَقِلَّةِ قِيَمَتِهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٩):

أَي: لَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ جَنَّاتُ النَّعِيمِ حَالَةً كَوْنِهِمْ خَالِدِينَ فِيهَا خُلُوداً أَبَدِيًّا بِلَا نِهَايَةٍ.

ومثل هذه الحال تُسَمَّى عِنْدَ الثُّحَاةِ حَالاً مُقَدَّرَةً، أَي: حَالَةً كَوْنِ خُلُودِهِمْ فِيهَا أَمراً مُقَدَّراً بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ.

﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ :

**الْوَعْدُ:** الإِخْبَارُ بِمَا تَمَّتْ بِتَحْقِيقِهِ إِرَادَةُ الْمُخْبِرِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، يُقَالُ لُغَةً: «وَعَدَهُ بِخَيْرٍ، وَوَعَدَهُ بِشَرٍّ». أما الْوَعِيدُ وَالْإِعَادُ فَهُمَا فِي الشَّرِّ خَاصَّةً.

**وَعَدَ اللَّهُ:** «وَعَدَ» مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ نَائِبٌ عَنْ فِعْلِهِ، وَأَصْلُ الْكَلَامِ: وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِدُخُولِ جَنَاتِ النَّعِيمِ وَعَدًا مُؤَكَّدًا لَا خُلْفَ فِيهِ. **حَقًّا:** أَيُّ: حَالَةٍ كَوْنٍ وَعَدِ اللَّهُ حَقًّا، مُرَادًا بِهِ تَحْقِيقُهُ فِي الْوَاقِعِ مُسْتَقْبَلًا، وَمَعْلُومٌ مِنْ عَنَاصِرِ الْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ، إِذْ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ فِيمَا يَقْدَرُهُ وَيَقْضِي بِهِ، وَالْقَدِيرُ عَلَى تَنْفِيزِ مَا يَعِدُ بِهِ، لَا يُعْجِزُهُ أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَهُوَ يَكُونُ.

• ﴿... وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ : خَتَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الدَّرْسَ بِاسْمَيْنِ جَلِيلَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، مُنَاسِبَيْنِ لِمَضْمُونِ وَعْدِهِ الَّذِي وَعَدَهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

**الْعَزِيزُ:** أَيُّ: الْقَوِيُّ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ تَحْقِيقِ مَا يَشَاءُ مَهْمَا كَانَ عَظِيمًا وَدَقِيقًا، وَيَحْتَاجُ أَعْظَمَ وَأَجَلَّ إِتْقَانٍ، فَهُوَ بِعِزَّتِهِ يَخْلُقُ مَا يُرِيدُ.

**الْحَكِيمُ:** أَيُّ: الَّذِي يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَوْضِعِ الْمَلَائِمِ بِإِتْقَانٍ كَامِلٍ، وَيَخْتَارُ أَفْضَلَ الْأَشْيَاءِ وَأَتَقْنَهَا وَأَحْسَنَهَا فِي الْأُمُورِ الْمُخْتَلِفَةِ لِمَا يُعْطِي أَحْسَنَ الْأَعْمَالِ وَأَحْسَنَ النَّتَائِجِ، فَهُوَ بِحِكْمَتِهِ يَقْدُرُ وَيَقْضِي عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ وَأَحْسَنِهِ وَأَتَقْنِهِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثالث من دروس سورة لقمان).

والحمد لله على معاونته، ومدده، وتوفيقه، وفتحته.



(٩)

## التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (لقمان)

وهو الآيتان (١٠) و (١١)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَاللَّيْلِ فِي الْأَرْضِ رَوْسَى أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ  
وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ۖ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ  
كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ  
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ .

تمهيد:

مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ نَافِرِينَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ،  
الَّذِي أَنْزَلَهُ هُدًى وَرَحْمَةً، لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ وَضَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ سَبِيلَهُ الْمُسْتَقِيمَ، الْمُوَصِّلَ لِمَنْ سَلَكَهُ إِلَى السَّعَادَةِ فِي  
جَنَّاتِ النِّعَمِ خَالِدِينَ فِيهَا يَوْمَ الدِّينِ، قَدَّمَ لَهُمْ فِي آيَتِي هَذَا الدَّرْسِ تَنْبِيهاً  
عَلَى بَعْضِ آيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ، الدَّالَّاتِ عَلَى قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ، وَحِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ،  
وِثْقَانِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَكَثِيرٍ مِنْ صِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ لِكَوْنِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ هَذَا  
الْكُونَ عَبَثاً، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ خَلَقَ النَّاسَ لِيَبْلُوَهُمْ وَيَخْتَبِرَهُمْ فِي  
ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَأَيُّهُمْ الْمُسِيءُ الَّذِي يَقْتَضِي  
الْعَدْلُ أَنْ يُجَازَى بِحَسَبِ عَمَلِهِ، كَمَا يَقْتَضِي الْفَضْلُ أَنْ يُثَابَ الْمُحْسِنُ عَلَى  
إِحْسَانِهِ، فِي حَيَاةٍ أُخْرَى غَيْرِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

فَالْحَيَاةُ الْأُخْرَى، وَالِدَّارُ الْآخِرَةُ، مِنَ الْحَقَائِقِ الَّتِي يَدُلُّ عَلَيْهَا بُرْهَانُ  
الْعَقْلِ، إِذَا تَفَكَّرَ مَنْ وَهَبَهُ اللَّهُ أَدَاةَ التَّفَكِيرِ وَالْفَهْمِ فِي الظَّاهِرَاتِ الْكَوْنِيَّةِ  
الدَّالَّاتِ عَلَى اللَّهِ الْخَالِقِ الرَّبِّ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ الْقَدِيرِ، الَّذِي أَنْقَرَنَ كُلَّ شَيْءٍ  
صُنْعًا.

وَالظَّاهِرَاتِ الْكَوْنِيَّةُ تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، الَّتِي يَلْزَمُ عَنْهَا عَقْلاً وَحَدَانِيَّتُهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، فَمَنْ اعْتَقَدَ غَيْرَ هَذَا كَانَ ظَالِمًا وَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْفَلَكِ فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (١٠).

فِي هَذِهِ الْآيَةِ يُنبِّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَرْبَعِ آيَاتٍ ظَاهِرَاتٍ مِنْ آيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ، وَهِيَ دَالَاتٌ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ لِكَوْنِهِ، الَّتِي يَلْزَمُ عَنْهَا عَقْلاً أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقِ النَّاسَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَبَثًا، بَلْ هُمْ مُمْتَحَنُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَسَوْفَ يُحْيِيهِمْ حَيَاةً أُخْرَى يُحَاسِبُهُمْ فِيهَا عَلَى مَا قَدَّمُوا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ، وَيَفْصِلُ الْقَضَاءَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يُجَازِيهِمْ بِمُقْتَضَى حُكْمِهِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ.

الآيَةُ الْأُولَى مِنَ الظَّاهِرَاتِ الْكَوْنِيَّةِ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: فاعل: ﴿خَلَقَ﴾ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ يَعُودُ عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ فِي ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مِنَ الْآيَةِ (٩).

السَّمَاوَاتُ: هِيَ مَجْمُوعَاتُ النُّجُومِ الْمُنْبَثَّةِ فِي الْكَوْنِ مِنْ حَوْلِ الْأَرْضِ، وَالَّتِي يُقَدِّرُهَا عُلَمَاءُ الْفَلَكَ بِبِلَايِينَ الْمَجَرَّاتِ، دُونَ أَنْ يَتَوَصَّلُوا إِلَى مَعْرِفَةِ عَدَدِ الْمَجَرَّاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْكَوْنِ.

الْمَجَرَّةُ: نِظَامٌ مِنَ النُّجُومِ وَالْغُبَارِ وَالْغَازَاتِ الْمَتَمَاسِكَةِ مَعًا بِوَسَاطَةِ الْجَازِبِيَّةِ، وَتَنْتَشِرُ الْمَجَرَّاتُ فِي الْكَوْنِ. وَقُطْرُ بَعْضِ الْمَجَرَّاتِ يَصِفُ مَلْيُونِ



سَنَةٌ ضَوْئِيَّةٌ. وَالسَّنَةُ الضَّوئِيَّةُ هِيَ الْمَسَافَةُ الَّتِي يَقْطَعُهَا الضَّوُّ فِي سَنَةٍ، وَهِيَ نَحْوُ (٩,٥ ترليوناً كم). وَيُوجَدُ فِي الْمَجَرَّاتِ الْكَبِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ تَرْليُونِ نَجْمَةٍ، أَمَّا الْمَجَرَّاتُ الصَّغِيرَةُ فَيُوجَدُ فِيهَا مَا يُقَارِبُ بُلْيُونِ نَجْمَةٍ.

وَجَاءَ فِي الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ أَنَّ السَّمَاوَاتِ سَبْعٌ، أَيُّ: فَهَذِهِ الْمَجَرَّاتُ تَنْقَسِمُ إِلَى سَبْعَةِ أَقْسَامٍ، كُلُّ قِسْمٍ مِنْهَا سَمَاءٌ، وَهِيَ مُتَتَابِعَةٌ فِي الْمَدَى الْكَوْنِيِّ الْبَعِيدِ الَّذِي لَا تَسْتَطِيعُ مَدَارِكُ الْخَلَائِقِ تَصَوُّرَ أَبْعَادِهِ.

وَهَذِهِ السَّمَاوَاتُ مَوْجُودَةٌ فِي مَوَاقِعِهَا مِنَ الْكَوْنِ، مَعَ تَحَرُّكِ نُجُومِهَا، بِنِظَامِ الْجَازِبِيَّةِ الْعَجِيبِ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ بِهِ لِكُلِّ سَمَاءٍ، وَكُلِّ نَجْمٍ وَكَوْكَبٍ فِيهَا، وَلِكُلِّ مَجَرَّةٍ فِيهَا، مَوْقِعاً لَا يَخْرُجُ عَنْهُ إِلَّا ضِمْنِ إِرَادَةِ اللَّهِ الْمُسِيرَةِ لِكُلِّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ، مِنَ الذَّرَّةِ إِلَى أَكْبَرِ مَجَرَّةٍ. وَلَفْظُ «السَّمَاءِ» فِي اللُّغَةِ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَا عَلَا فَاطَّلَ.

وَالْجَازِبِيَّةُ الَّتِي يُمَسِّكُ اللَّهُ بِهَا السَّمَاوَاتِ وَمَا فِيهَا هِيَ بِمِثَابَةِ عَمَدٍ غَيْرِ مَرِّيَّةٍ بِالْعُيُونِ، وَلَكِنْ تُدْرِكُ أَثَارَهَا بِضَبْطِ كُلِّ نَجْمٍ، وَكُلِّ كَوْكَبٍ، وَكُلِّ مَجَرَّةٍ، وَكُلِّ سَمَاءٍ مِنَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، فِي مَوْقِعِهِ أَوْ مَدَارِهِ أَوْ خَطِّ حَرَكَةِ سَيْرِهِ، ضَبْطاً عَجِيباً مُتَقَنّاً، ضِمْنَ نِظَامٍ عَامٍّ شَامِلٍ لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ.

وَبِنَاءٍ عَلَى هَذَا نَفْهَمُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أَيُّ: بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَاهَا الْعُيُونُ، لَكِنَّهَا جَازِبِيَّاتٌ هِيَ بِمِثَابَةِ عَمَدٍ غَيْرِ أَنَّهَا لَا تَرَاهَا الْعُيُونُ، وَهَذِهِ الْجَازِبِيَّاتُ الَّتِي هِيَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْعَجِيبِ فِي كَوْنِهِ، هِيَ قُوَى غَيْرُ مَنْظُورَةٍ ذَاتُ قُدْرَاتٍ تُحَدِّدُ مَوَاقِعَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَكُلِّ شَيْءٍ فِيهَا، فَلَا تَتَحَرَّكُ إِلَّا بِنِظَامِ رَبَّانِيٍّ يَمْنَعُهَا مِنَ التَّصَادُمِ مَا لَمْ يَقْضِ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

الْعَمَدُ: جَمْعُ مُفْرَدِهِ «الْعَمُودُ» وَيُجْمَعُ أَيْضاً عَلَى «عُمْدٍ» و«أَعْمَدَةٍ».

الآيَةُ الثَّانِيَّةُ مِنَ الظَّاهِرَاتِ الْكَوْنِيَّةِ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَالَّذِي فِي الْأَرْضِ رَوًى أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾: أي: وَأَلْقَى اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - فِي الْأَرْضِ جِبَالاً رَوَاسِي مَنَعَ أَنْ تَمِيدَ الْأَرْضُ بِكُمْ.

رَوَاسِي: أي: ثَوَابِت، وهو صِفَةُ لِمَوْصُوفٍ مَحذُوفٍ هِيَ الْجِبَالُ، إِذِ الْوَاقِعُ الْمَشْهُودُ فِي الْأَرْضِ أَنَّ الْجِبَالَ هِيَ الْمَلَقَاةُ الْغَائِصَاتُ أَسَافِلُهَا فِي الْأَرْضِ، وَهِيَ الْمَثَبَاتُ لِلْمُنْبَسِطَاتِ مِنَ الْأَرْضِ مَانِعَةً لَهَا عَنْ أَنْ تَمِيدَ بِالنَّاسِ السَّاكِنِينَ عَلَيْهَا.

يُقَالُ لُغَةً: «مَادَ الشَّيْءُ، يَمِيدُ، مِيداً، وَمِيدَاناً» أي: تَحَرَّكَ وَاضْطَرَبَ، فَالْجِبَالُ مَثَبَاتٌ لِلْمُنْبَسِطَاتِ مِنَ الْأَرْضِ، وَمَانِعَةٌ لَهَا مِنْ أَنْ تَتَحَرَّكَ وَتَضْطَرِبَ، بِالصَّوْغِظِ عَلَيْهَا مِنْ بَاطِنِ الْأَرْضِ، بِمَا فِيهَا مِنْ غَازَاتٍ تَمْتَدُّ لِتَخْرُجَ، وَتَحْدُثُ عَنْهَا فِي مَوَاطِنَ عَدِيدَةٍ مِنَ الْأَرْضِ بَرَائِكِينَ تَتَفَجَّرُ بِالْحَمَمِ، وَبِالصَّخُورِ وَالأَثَرِبَةِ الذَّائِبَةِ السَّائِلَةِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرَارَةِ وَالْعُلْيَانِ فِيهَا، إِذْ بَاطِنُ الْأَرْضِ كُتْلَةٌ نَارِيَّةٌ مُلْتَهَبَةٌ.

فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُنَبِّهُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ آيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ، وَهِيَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ سُكَّانِ الْأَرْضِ.

الآيَةُ الثَّالِثَةُ مِنَ الظَّاهِرَاتِ الْكُونِيَّةِ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾: أي: وَنَشَرَ فِي الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ جَنْسٍ، وَنَوْعٍ، وَصِنْفٍ مِمَّا خَلَقَ مِنَ الدَّوَابِّ.

الْبَثُّ: النُّشْرُ وَالتَّفْرِيقُ فِي مُخْتَلِفِ الْجِهَاتِ، يُقَالُ لُغَةً: «بَثَّ الشَّيْءُ، يَبِثُّهُ، بَثًّا» أي: فَرَّقَهُ، وَنَشَرَهُ فِي مُخْتَلِفِ الْجِهَاتِ.

دَابَّةٌ: هَذَا اللَّفْظُ يُطْلَقُ لُغَةً عَلَى كُلِّ مَا يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ حَيَوَانَ. يُقَالُ لُغَةً: «دَبَّ، يَدْبُ، دَبًّا، وَدَيْبًا» أي: مَشَى عَلَى هَيْئَتِهِ. فَكُلُّ حَيَوَانٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ أَوْ فِي دَاخِلِهَا هُوَ دَابَّةٌ، سَوَاءً مَشَى عَلَى قَوَائِمٍ أَوْ مَشَى عَلَى بَطْنِهِ كَالثَّعَالِيَيْنِ وَالدَّيْدَانِ وَغَيْرِهَا.

وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ مَا بَثَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ دَوَابٍّ خَلَقَهَا بِقُدْرَتِهِ، وَاتَّقَنَ صُنْعَهَا بِحِكْمَتِهِ، مِنَ الْأَدَلَّةِ الْكُبْرَى عَلَى طَائِفَةٍ جَلِيلَةٍ مِنْ صِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ لِكَوْنِهِ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الدَّوَابِّ فِيهِ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ، إِذَا تَوَصَّلُوا إِلَى مَعْرِفَةِ خَصَائِصِهَا وَوَسِيلَةِ الْإِسْتِفَادَةِ مِنْهَا لِمَعَايِشِهِمْ، وَأَدْوِيَّتِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

الآية الرابعة من الظاهرات الكونية: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾:

الْتَفَتَ الْبَيَانُ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ، مَعَ اسْتِعْمَالِ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ، لِمَا فِي الْآيَةِ الْمُبَيِّنَةِ هُنَا مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى عَظَمَةِ سُلْطَانِ اللَّهِ، وَعَظِيمِ مَنَّتِهِ عَلَى عِبَادِهِ بِأَرْزَاقِهِمُ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ بَقَاءِ حَيَوَاتِهِمْ إِلَى آجَالِهَا، وَبِالْثَّمَرَاتِ الْمُتَنَوِّعَاتِ اللَّاتِي هِيَ مِنْ أَجَلٍّ وَسَائِلٍ مَتَاعَاتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

• فَنِظَامُ تَبَخُّرِ الْمِيَاهِ وَتَكُونُهَا سُحْبًا، وَتَخْلِصُهَا مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الشَّوَائِبِ وَالْأَمْلَاحِ الَّتِي اخْتَلَطَتْ بِهَا فِي الْأَرْضِ، مِنْ عَجَائِبِ إِتْقَانِ صُنْعِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، عِنَايَةً بِسُكَّانِ الْأَرْضِ مِنَ النَّاسِ وَالْأَحْيَاءِ الْأُخْرَى.

• وَإِنْزَالُ الْمَاءِ الطَّهُورِ مِنَ السَّمَاءِ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ الْحَكِيمِ، مِنَ الدَّلَائِلِ الْكُبْرَى عَلَى حِكْمَتِهِ، وَعِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ، وَحُسْنِ تَصَارُيفِهِ.

• وَإِنْبَاتُ الزُّرُوعِ وَالْأَشْجَارِ، وَإِخْرَاجُ الثَّمَرَاتِ الطَّيِّبَاتِ النَّافِعَاتِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ كَرِيمٍ، مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى تَفَضُّلِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَنِعَمِهِ الْجَلِيلَةِ، وَمِنْهُ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُونَ إِحْصَاءَهَا، مَعَ مَا فِيهَا مِنْ أَدَلَّةٍ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَإِتْقَانِهِ لِمَخْلُوقَاتِهِ، وَعِلْمِهِ الْمَحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ.

مِنْ كُلِّ زَوْجٍ: أَي: مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الزُّرُوعِ وَالْأَشْجَارِ وَالثَّمَرَاتِ.

كَرِيم: أي: جَامِعٌ لِلصِّفَاتِ الْمُحْمَدَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى صِنْفِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي

ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾:

لَمَّا كَانَتْ الْآيَةُ السَّابِقَةُ (١٠) مُوجَّهَةً إِيَّانَ التَّنْزِيلِ لِلْمُشْرِكِينَ، مَعَ صِلَاحِيَّةٍ تَوْجِيهِهَا لِكُلِّ الْكَافِرِينَ حَتَّى الدَّهْرِيِّينَ، أَتْبَعَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ (١١) مُوجَّهَةً لِمُعَالَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ يَعْبُدُونَ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانَهُ - فَقَالَ لَهُمْ:

• ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾: الْمَشَارُ إِلَى بـ ﴿هَذَا﴾ الْآيَاتِ الْأَرْبَعِ مِنَ الظَّاهِرَاتِ الْكُونِيَّةِ الَّتِي سَبَقَ شَرْحُهَا فِي الْآيَةِ (١٠).

أي: هَذَا الَّذِي نَبَّهْنَا عَلَيْهِ فِي الظَّاهِرَاتِ الْكُونِيَّةِ الْأَرْبَعِ مِنْ أَثَارِ خَلْقِ اللَّهِ.

لفظ «خَلَقَ» هُنَا مَصْدَرٌ «خَلَقَ» أَطْلِقَ بِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ، أي: مَخْلُوقُ اللَّهِ، أي: مَخْلُوقٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: أي: فَأَرُونِي أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، الَّذِينَ تَعْبُدُونَ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، مُتَوَهِّمِينَ أَنَّ لَهَا رُبُوبِيَّةً مَا فِي الْكَوْنِ، مَاذَا خَلَقَ مِنَ الْكَوْنِ آلِهَتُكُمْ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ رَبِّكُمْ، تَلْتَمِسُونَ مِنْهُمْ جَلْبَ نَفْعٍ لَكُمْ، أَوْ دَفْعَ ضَرٍّ عَنْكُمْ، أَوْ جَلْبَ ضَرٍّ لِأَعْدَائِكُمْ وَخُصُومِكُمْ.

إِنَّهُ لَا يُوجَدُ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُثَبِّتَ أَنَّ شَيْئاً مِنَ الْكَوْنِ وَأَحْدَاثِهِ، هُوَ مِنْ خَلْقِ آلِهَتِهِ الَّتِي يَعْبُدُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَإِذَا عَجَزَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ إِثْبَاتِ ذَلِكَ فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَا رُبُوبِيَّةَ لَهَا، وَحِينَ تَسْقُطُ رُبُوبِيَّتُهَا

لِشَيْءٍ مِنْ أَحْدَاثِ الْكَوْنِ، تَسْقُطُ إِلَهِيَّتُهَا بِالزُّرْمِ الْعُقْلِيِّ، لِأَنَّ الْإِلَهِيَّةَ حَقٌّ مَنْ لَهُ رُبُوبِيَّةٌ مَا، وَلَا رُبُوبِيَّةٌ فِي الْكَوْنِ لِغَيْرِ اللَّهِ، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

●... بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾: لَفْظُ «بَلْ» فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ يَعْطِفُ عَلَى مَحْذُوفٍ يَسْهَلُ اسْتِخْرَاجُهُ ذَهْنًا، إِذِ التَّقْدِيرُ: إِنَّ الْمَخَاطِبِينَ الْمَعَاجِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُثْبِتُوا أَنَّ شَيْئًا مِنَ الْكَوْنِ أَوْ أَحْدَاثِهِ مِنْ خَلْقِ إِلَهْتِهِمْ، بَلْ هُمْ فِي ضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ جَلِيٍّ وَوَاضِحٍ. وَضَعُ ﴿الظَّالِمُونَ﴾ بَدَلَ الضَّمِيرِ «هُمْ» لِبَيَانِ أَنَّهُمْ ظَالِمُونَ فِي شَرِكِهِمْ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الرابع من دروس سورة (لقمان).  
والحمد لله على معونته، ومدّده، وتوفيقه، وفتحته.



(١٠)

التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (لقمان)

وهو الآيات من (١٢ - ١٩)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلُہُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَىٰ إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ

بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾

### القراءات:

(١٢) و(١٤) • قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحَمْزَة، ويعقوب: [أَنْ اشْكُرْ] بِكسْرِ النون في الآيتين.

وقراها باقي القراء العشرة بِضَمِّ النون: [أَنْ اشْكُرْ] في الآيتين.  
وَهُمَا نُطْقَانِ عَرَبِيَّانِ.

(١٣) • قرأ حفص: [يَا بُنَيَّ] بفتح الياء المشددة.

وقراها ابن كثير: [يَا بُنَيَّ] بإسكان الياء.

وقراها باقي القراء العشرة: [يَا بُنَيَّ] بكسر الياء المشددة.  
وهي وُجُوهٌ في النطق العربي.

(١٦) • قرأ حفص: [يَا بُنَيَّ] بفتح الياء المشددة.

وقراها باقي القراء العشرة: [يَا بُنَيَّ] بكسر الياء المشددة.

(١٦) • قرأ نافع، وأبو جعفر: [مِثْقَالٍ] بالرفع.

وقراها باقي القراء العشرة: [مِثْقَالٍ] بالنصب.

والقراءتان وَجْهَانِ نَحْوِيَّانِ جَائِزَانِ.

(١٧) • قرأ البزّي، وحفص: [يَا بُنَيَّ] بفتح الياء المشددة.

وقراها قُنبَل: [يَا بُنَيَّ] بإسكان الياء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [يَا بُنَيَّ] بِكَسْرِ الياء المشددة.

(١٨) • قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب:

[وَلَا تُصَعِّرْ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَلَا تُصَاعِرْ].

«تُصَعِّرُ، وَتُصَاعِرُ»: لُعْتَانُ بِمَعْنَى إِمَالَةِ الْعُنُقِ مِنَ الْكِبَرِ وَاحْتِقَارِ

الناس.

**تمهيد:**

في آياتِ هذا الدرسِ ثناءٌ عَلَى لُقْمَانَ الْحَكِيمِ، مِنْ خِلَالِ عَرْضِ وَصَايَاهُ الدِّينِيَّةِ لِابْنِهِ، وَمَوَاعِظِهِ لَهُ، وَتَتَضَمَّنُ تَوْجِيهًا لِلْأَبَاءِ بِأَنْ يُوصُوا وَيَعْظُوا أَبْنَاءَهُمْ بِمِثْلِهَا.

وَجَاءَ فِي أَثْنَائِهَا عَرْضُ وَصِيَّةِ اللَّهِ الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ، لِلإِشْعَارِ بِأَنْ وَصَايَا لُقْمَانَ وَمَوَاعِظُهُ لِابْنِهِ هِيَ مِمَّا تَلَقَّاهُ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوتِ السَّابِقَةِ لَهُ، فَهِيَ جُزْءٌ مِنَ التَّعْلِيمَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ فِي الدِّينِ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ، وَهَذَا الْأَسْلُوبُ قَدْ تَكَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ، وَهُوَ مِنَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي يُدْرِكُهَا الْفُطَنَاءُ، وَقَدْ يَسْتَعْمِلُهَا بَعْضُ أَذْكِيَاءِ الشُّيُوخِ لِإِقْرَارِ مَا يَقُولُهُ وَيَشْرَحُهُ بَعْضُ تَلَامِيذِهِمْ فِي مَجْلِسِهِمْ، فَيُضِيفُونَ إِلَى مَا يَقُولُونَ أَقْوَالَ مِنْ عِنْدِهِمْ.

**تعريف بلقمان:**

(١) لَمْ يَأْتِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ «لُقْمَانَ» كَانَ نَبِيًّا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ حَكِيمٌ، دَاعٍ إِلَى اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَهَذَا مَا عَلَيْهِ جُمُهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمُؤَرِّخُونَ.

(٢) أَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ تُفِيدُ أَنَّهُ كَانَ أَسْوَدَ الْجِسْمِ، فَقِيلَ: هُوَ مِنْ بِلَادِ الثُّوبَةِ، وَقِيلَ: مِنَ الْحَبَشَةِ.

(٣) قالوا: وَكَانَ فِي زَمَنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٤) قال ابن إسحاق في السيرة: قَدِمَ سُؤَيْدُ بْنُ الصَّامِتِ أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ مَكَّةَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، فَتَصَدَّى لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ سُؤَيْدٌ: فَلَعَلَّ الَّذِي مَعَكَ مِثْلُ الَّذِي مَعِيَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا الَّذِي مَعَكَ؟». قَالَ: مَجَلَّةٌ لُقْمَانَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اعْرِضْهَا عَلَيَّ»، فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ حَسَنٌ، وَالَّذِي مَعِيَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَرَأَى أَنْزَلَهُ اللَّهُ.

(٥) كَانَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ مَعْرُوفًا عِنْدَ الْعَرَبِ، وَهَذَا مَا جَعَلَ قُرَيْشًا يَسْأَلُونَ الرَّسُولَ ﷺ عَنْهُ، كَمَا جَاءَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١٣):

العطف بالواو في أول هذا الدرس هو مِنْ عَطْفٍ مَوْضُوعٍ عَلَى مَوْضُوعٍ، وَقِصَّةٍ عَلَى قِصَّةٍ.

■ وَيُؤَكِّدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقَسَمِ الْمُنَوِيِّ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ اللَّامُ، وَبِحَرْفِ «قَدْ» الدَّالِّ عَلَى التَّحْقِيقِ، أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَتَى لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ، فَقَالَ تَعَالَى بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ إِشْعَارًا بِمَنْتِهِ الْعَظِيمَةِ عَلَى لُقْمَانَ.

• ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾:

سَبَقَ شَرْحُ الْحِكْمَةِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، وَأُضِيفَ هُنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ تَرْجِعُ إِلَى جَذَرَيْنِ:

الجذر الأول: الْحِكْمَةُ فِي الْمَعْرِفَةِ، وَتَكُونُ بِمُطَابَقَةِ الْعِلْمِ لِلْوَاقِعِ، أَوْ



لِأَحْسَنِ وَأَقْوَمِ صُورَةٍ مُّمَكِّنَةٍ تَقْتَرِبُ مِنْ مُطَابَقَةِ الْكَمَالِ فِي الشَّيْءِ .

الجذر الثاني: الْحِكْمَةُ فِي السُّلُوكِ، سواءً أكانَ خُلُقاً، أَمْ عَمَلًا جَسَدِيًّا، أَمْ تَصَرُّفًا فِي قَوْلٍ، أَوْ إِفْتَاءٍ، أَوْ حُكْمٍ، أَوْ سِيَاسَةٍ، أَوْ إِدَارَةٍ، أَوْ تَرْبِيَةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَضَعُ اسْتِقْصَاؤُهُ .

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿.. أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١٢):

دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى الْعُنْصُرِ الْأَوَّلِ مِنْ عَنَاصِرِ الْحِكْمَةِ الَّتِي آتَاهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لُقْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أَيُّ قُلْنَا لَهُ فِيمَا تَلَقَّى مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ السَّابِقَةِ: اشْكُرْ لِلَّهِ، حَتَّى آخِرِ مَا جَاءَ فِي الْبَيَانِ، فَكَانَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، فَتَدَفَّقَتْ عَلَيْهِ بِفَتْحٍ مِنْ رَبِّهِ فُيُوضُ حِكْمٌ جَلِيلَةٌ .

• ﴿أَنْ﴾ تَفْسِيرِيَّةٌ، تُفَسِّرُ الْعُنْصُرَ الْأَوَّلَ مِنْ عَنَاصِرِ الْحِكْمَةِ الَّتِي آتَاهَا اللَّهُ لَهُ .

• ﴿أَشْكُرَ لِلَّهِ﴾: الشُّكْرُ مُقَابَلَةُ الْعَمَلِ الْحَسَنِ، وَإِنْعَامِ الْمُنْعَمِ، بِمَا يُرْضِيهِ، وَقَدْ يَشْمَلُ الْقَوْلُ الَّذِي فِيهِ مَا يُرْضِي الْمُنْعَمَ .

يُقَالُ لُغَةً: «شَكَرُهُ، وَشَكَرَ لَهُ» وَأَكْثَرُ مَا اسْتُعْمِلَ فِي الْقُرْآنِ التَّعْدِيَّةُ بِاللَّامِ .

• ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾: أَيُّ: وَمَنْ يَشْكُرِ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ وَالْحَمْدِ وَالطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ بِمَرَاضِيهِ، فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِمَصْلَحَةِ نَفْسِهِ وَفَائِدَتِهَا مِنَ الشُّكْرِ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَجْزِيهِ عَلَى شُكْرِهِ ثَوَابًا عَظِيمًا يَوْمَ الدِّينِ فِي جَنَّاتِ التَّعِيمِ، خَالِدًا فِيهَا مُخَلَّدًا سَعِيدًا .

أَمَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَزِيدُ شُكْرُ الشَّاكِرِينَ لَهُ فِي مُلْكِهِ شَيْئًا، وَكَذَلِكَ لَا يَنْقُصُ كُفْرُ الْكَافِرِينَ بِهِ مِنْ مُلْكِهِ شَيْئًا.

• ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾: أي: وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ، وَالْحَمْدِ وَالطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ بِمَرَاضِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ بِذَاتِهِ، لَا يَزِيدُ فِي مُلْكِهِ شُكْرُ كُلِّ عِبَادِهِ لَهُ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ مُلْكِهِ كُفْرُ كُلِّ عِبَادِهِ بِهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَحْمُودٌ دَوَامًا مِنْ قَبْلِ مَلَائِكَتِهِ، وَمَحْمُودٌ مِنْ قَبْلِ كُلِّ شَيْءٍ وَكُلِّ ذَرَّةٍ خَلَقَهَا فِي كَوْنِهِ، بِلِسَانِ الْحَالِ، وَيَنْطِقُ خَاصًّا بِكُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ فِي الْوُجُودِ لَا نَفْقَهُهُ نَحْنُ، وَهُوَ مَا أَبَانَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ (الْإِسْرَاءِ/ ١٧ مصحف/ ٥٠ نزول):

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾:

لفظ «حميد» من قول الله تعالى: ﴿غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ هو بمعنى مَحْمُود، أي: هو مَحْمُودٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ، وَلَا يَخْرُجُ عَنْ هَذَا إِلَّا إِرَادَةُ الْكَافِرِ بِرَبِّهِ، أَمَّا كُلُّ ذَرَّةٍ فِي ذَاتِهِ فَهِيَ مُسَبِّحَةٌ بِحَمْدِهِ دَوَامًا، إِذْ هِيَ تَدْخُلُ فِي عُمُومِ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٣﴾:

أي: وَضَعَ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي آيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ الْحَكِيمِ، هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِي جَرَىٰ حِينَ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.

تَلَطَّفَ لُقْمَانُ فِي مُحَاظَبَتِهِ لِابْنِهِ مُوصِيًّا وَوَاعِظًا، فَقَالَ لَهُ: ﴿يَا بُنَيَّ﴾

بالنداء [يا] للتنبية على جلالة الموضوع، وبصيغة التّصغير للتّقريب والتّحبّب، كأنّه قال له، يا ابني القريب من قلبي، والحبيب لي. أمّا الوصية المقرّنة بالموعظة في هذه العبارة، فهي قوله له: ﴿... لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ: هذه هي الوصية، يُقال لغة: «وصى، وأوصى، فلان فلاناً بالشيء» أي: أمره به وفرضه عليه، إذا كان ممّا يُطلب فعله، ونهاه عنه وحرّمه عليه إذا كان ممّا يُطلب تركه.

والوصية: بيان مقرونٌ بنصحٍ مُؤكّدٍ بعهد، وليس مجرد بيانٍ عابر، أو نصّح فاتر، بل هي نصّح مُشدّد مُؤكّد بعهد.

﴿وَهُوَ يَعْطُ﴾: الوعظ: هو النصّح بالفعل أو بالتّرك المقرون بما يُشير الرّغبة أو الرّهبة في النفس، للانتفاع بالنّصح، واتباع ما هدى إليه فعلاً أو تركاً، قال ابن سيده: الوعظ: تذكيرك للإنسان بما يُلين قلبه من ثواب وعقاب. والموعظة: ما يكون به الوعظ من قول أو فعل.

وَمَعْنَى: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾: لَا تَجْعَلْ لِلَّهِ فِي اعْتِقَادِكَ أَوْ عَمَلِكَ شَرِيكاً لِلَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ لِكُونِهِ، أَوْ فِي إِلَهِيَّتِهِ، إِذْ لَا يَسْتَحِقُّ أَحَدٌ أَنْ يُعْبَدَ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ إِلَّا اللَّهُ الرَّبُّ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ.

هذا النّهْي وصيةٌ مُؤكّدة مُشدّدة بعهد، أوصى بها لقمان ابنه.

• ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾: أي: إنّ اتّخاذَ شريكٍ لله ربّ جلّ جلاله، في رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ فِي إِلَهِيَّتِهِ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ في جانب حقّ الله عزّ وجلّ على عباده، ويلزّم عقلاً وخبراً عن هذا الظلم العظيم أن يستحقّ الظالم به عند ربّه عذاباً أليماً، خالداً به في نار جهنّم.

وَيُعْلَظُ بَعْضُ النَّاسِ فَيَرَى أَنَّ الشِّرْكَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ، مَعَ أَنَّهُ أَوَّلُ دَرَكَاتِ الْكُفْرِ الْمُنْحَدِرَةِ إِلَى قَاعِ جَهَنَّمَ، إِذْ أَشَدُّ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ ظُلْماً

جُحُودٌ وَجُودُ اللَّهِ، وَاعْتِبَارُ أَنَّ الْكَوْنَ مَادَّةٌ، وَأَنَّهُ لَا يُوجَدُ رَبُّ يَهِيْمُنْ عَلَى الْكَوْنَ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الدَّهْرِيُّونَ قَدِيماً، وَمَلَا حِدَةَ الشُّيُوعِيِّينَ الَّذِينَ ظَهَرُوا فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ الْمِيلَادِي وَقَبْلَهُ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ وَالْقَادِمَةِ.

وَيَسْبِقُ إِلَى أَذْهَانِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْلَطُونَ هَذَا الْغَلَطَ، أَنَّ الْعِبَارَةَ الْقَرَأَتِيَّةَ تُفِيدُ أَنَّ الشُّرْكَ أَظْلَمُ الظُّلْمِ، مَعَ أَنَّهَا تُفِيدُ أَنَّ الشُّرْكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ، وَهِيَ لَا تَنْفِي أَنْ يُوجَدَ مَا هُوَ أَظْلَمُ مِنْهُ، وَهُوَ انْكَارُ وُجُودِ خَالِقٍ لِهَذَا الْكَوْنَ، يَهِيْمُنْ عَلَيْهِ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَعُرِفَ هَؤُلَاءِ الْمُنْكَرُونَ فِي عَصْرِنَا بِاسْمِ الْمُلْحِدِينَ، وَكَانُوا يُعْرِفُونَ بِاسْمِ الزَّانِدَةِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ أُطْلِقَ عَلَيْهِمُ انَّهُمُ الدَّهْرِيُّونَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي بَيَانِ صَادِرٍ عَنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَثْنَاءَ عَرْضِ وَصَايَا لُقْمَانَ لِابْنِهِ، لِلْإِشْعَارِ بِأَنَّ وَصَايَا لُقْمَانَ لِابْنِهِ مِنْ وَصَايَا اللَّهِ الَّتِي أَنْزَلَ بِهَا بَيَانَاتٍ عَلَى رُسُلٍ سَابِقِينَ لِللُّقْمَانَ الْحَكِيمِ:

• ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَعَرَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾:

أي: إِنَّ مَا وَعَظَ بِهِ لُقْمَانُ ابْنَهُ هُوَ مِنْ وَصَايَانَا السَّابِقَةِ فِي رِسَالَاتِ الْمُرْسَلِينَ لِلْإِنْسَانِ، وَهَذَا يُشْعِرُ بِأَنَّ هَذِهِ الْوَصَايَا مُوجَّهَةٌ لِلْإِنْسَانِ مِنْذُ عَهْدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَخْذًا مِنْ ذِكْرِ لَفْظِ الْإِنْسَانِ.

وقد سبقَ قَرِيباً شَرْحُ مَعْنَى الْوَصِيَّةِ، وَفِي هَذَا بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَصَّى الْإِنْسَانَ مِنْذُ تَارِيخِ الْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ، بَعْدَ آدَمَ وَزَوْجِهِ بَوَالِدِيهِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ.

• ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُهَا فِي عَامَيْنِ﴾:

جاء في هذا البيان التذكير بسبب الوصية بالوالدين قبل ذكر ما أوصى الله به الإنسان الابن بوالديه، وجاء تخصيص ما تعانيه الأم في حمل ولدها في بطنها وتربيته حتى فطامه بالذكر، لأنها الأكثر معاناة وخدمات في هذه المدة، ولهذا فهي تستحق ثلاثة أرباع البر من ولدها، في جانب استحقاق الأب نسبة الربع، على أن خدمات الأب وإنفاقه مستمرّة العطاء، ما دام مسؤولاً شرعاً عن تربيته والإنفاق عليه، مع ماله من عاطفة صادقة تجاه ولده، يشاركه بها في آلامه ومسراته.

الوهن: والوهن: الضعف وذبول الحيوية.

• ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾: أي: حملته أمه حمل ضعيف في حالتها النفسية، على ضعف في قواها الجسدية، إذ تحدث فيها بسبب الحمل تغيرات داخلية يكون الجنين فيها مشاركاً لأمه في غذائها من دمها، مع ما يعثرها من تغيرات في حالتها النفسية تُصاب معها بالغثيان، والرغبة في التقيؤ إلى بعض آلام كصداع في الرأس، وغير ذلك.

وتتعرض بعد نهاية الحمل إلى آلام الوضع، ومتاعب النفاس.

ثم بعد الوضع تعاني الأم من متاعب الإرضاع والتربية وخدماتها، فقال تعالى:

• ﴿وَفِصْلُهَا فِي عَامَيْنِ﴾: أي: ويكون فطامه عن الرضاع في مدة غايتها الفضلى نهاية عامين، لمن أراد أن يتم الرضاعة الفضلى.

الفصل: فطام الطفل الرضيع عن الرضاعة.

وفي هذه المدة تعاني الأم في العادة ما تعاني من متاعب شاقة على جسدها وعلى نفسها.

وَسَكَتَ النَّصْرَ عَمَّا يُعَانِيهِ الْأَبُ أَيْضاً فِي الْعَادَةِ مِنْ مَتَاعِبِ نَفَقَةٍ وَمُشَارَكَةِ لِلْأُمِّ فِي تَرْبِيَةِ الطِّفْلِ، اكْتِنَاءً بِإِشَارَةِ تَوْصِيَةِ الْوَلَدِ بِأَنْ يَشْكُرَ لِرَبِّهِ وَلِوَالِدَيْهِ، فَقَالَ تَعَالَى فِي بَيَانِ الْوَصِيَّةِ.

• ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾: فَجَعَلَ الْأَمْرَ بِشُكْرِ الْوَالِدَيْنِ عَقِبَ الْأَمْرِ بِشُكْرِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُبَاشَرَةً.

اللهُ هُوَ الرَّبُّ الْخَالِقُ الْمُمِدُّ بِنِعَمِهِ دَوَاماً، وَالْوَالِدَانِ كَانَا سَبَباً فِي وُجُودِ الْوَلَدِ، مَعَ مَا قَدَّمَاهُ مِنْ خِدْمَاتٍ كَثِيرَاتٍ لَهُ، حَمَلاً، وَوِلَادَةً، وَإِرْضَاعاً، وَتَرْبِيَةً، وَنَفَقَاتٍ، وَمُشَارَكَاتٍ لَهُ بِعَوَاطِفِ الْوَالِدِيَّةِ الَّتِي فَطَرَهُمَا اللهُ عَلَيْهَا.

وَلَمَّا كَانَ شُكْرُ اللهِ وَالْوَالِدَيْنِ بِرَّهِمَا، مَأْجوراً عِنْدَ اللهِ بِثَوَابٍ عَظِيمٍ يَوْمَ الدِّينِ، وَكَانَ الْكُفْرَانُ وَالْعُقُوقُ مُعَاقِباً عَلَيْهِمَا عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْعَدْلِ، كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ تَأْتِيَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِمَا فِي آخِرِ الْآيَةِ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿... إِلَى الْمَصِيرِ ۝﴾: أَي: إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفِيهِ يَجْرِي حِسَابُهُمْ، وَفَضْلُ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ تَكُونُ مُجَازَاتُهُمْ بِحَسَبِ الْأَحْكَامِ الَّتِي تَصْدُرُ بِشَأْنِهِمْ، فَضْلاً أَوْ عَذَلاً مِنْ رَبِّهِمْ.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى مُتَابِعاً وَصِيَّتَهُ لِلْإِنْسَانِ بِشَأْنِ وَالِدَيْهِ:

• ﴿وَلِنْ جَهْدَكَ عَلَى أَنْ تَشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾:

أَبَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَنَّ حَقَّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مُقَدَّمٌ عَلَى حَقِّ الْوَالِدَيْنِ، وَلَمَّا كَانَ مِنْ شُكْرِهِمَا طَاعَتُهُمَا فِي أُمُورِهِمَا الدُّنْيَوِيَّةِ، كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي الْبَيَانِ الْإِحْتِرَاسُ بِتَقْيِيدِ طَاعَتِهِمَا بِمَا لَيْسَ فِيهِ مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعُدْوَانٌ عَلَى حَقٍّ مِنْ حُقوقِهِ، إِذْ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ.

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّوَجُوبِ عَدَمِ طَاعَتِهِمَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى،  
أَنْ يُجَاهِدَا وَلَدَهُمَا عَلَى أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ، رَغْبَةً فِي أَنْ  
يَكُونَ عَلَى دِينِهِمَا عَقِيدَةً وَمَنْهَجَ حَيَاةٍ.

• ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾: أي: وَإِنْ اشْتَدَّ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ إِلَى حَدِّ  
الْإِلْزَامِ بِالْإِكْرَاهِ وَالضَّرْبِ. أَضْلُ الْمَجَاهِدَةِ الْمُغَالَبَةُ بِذَلِّ كُلِّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ  
طَاقَتَهُ، لِيَغْلِبَ الْفَرِيقَ الْآخَرَ الْمُغَالِبَ لَهُ، وَأَقْصَاهَا الْمَقَاتِلَةُ. وَقَدْ تَدُلُّ عَلَى  
بَذْلِ غَايَةِ الطَّاقَةِ، كَمَا لَوْ كَانَ الصَّرَاعُ بَيْنَ مُتَقَاتِلَيْنِ.

• ﴿عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: أي: وَإِنْ جَاهَدَاكَ مُكْرِهَيْنِ  
لَكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي شَرِيكًا مَا، لَيْسَ لَكَ عِلْمٌ بِأَنَّهُ شَرِيكٌ لِي.

يُلاحَظُ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَيِّنُ أَنَّ الْعِلْمَ أَسَاسٌ  
لِلْقَضَايَا الْإِيمَانِيَّةِ، فَمَا يُثَبِّتُهُ الْعِلْمُ بِأَدِلَّتِهِ الصَّحِيحَةِ فَمِنْ حَقِّ الْإِنْسَانِ أَنْ  
يُؤْمِنَ بِهِ.

فَعَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّ الشُّرْكَ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ أَوْ بِإِلَهِيَّتِهِ، لَا يُوْجَدُ لَهُ دَلِيلٌ  
عِلْمِيٌّ يُعْطِي بِشَأْنِهِ يَقِينًا وَلَا ظَنًّا، بَلِ الْأَدِلَّةُ الْعِلْمِيَّةُ تَكْشِفُ أَنَّهُ بَاطِلٌ،  
وَحِرَافَةُ شَيْطَانِيَّةٍ مَصْنُوعَةٍ، أُعْطِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِهِ مَجَالًا لِلتَّفَكِيرِ  
الْعِلْمِيِّ، فَإِذَا وَجَدَ الْإِنْسَانُ دَلِيلًا عِلْمِيًّا يَسْمَحُ لَهُ عَقْلًا بِأَنْ يُؤْمِنَ بِوُجُودِ  
شَرِيكِ اللَّهِ فَلْيُؤْمِنْ بِهِ، لَكِنَّهُ لَنْ يَجِدَ مَهْمَا بَذَلَ مِنْ جَهْدٍ.

إِنَّ قَضَايَا الْإِيمَانِ فِي الدِّينِ الَّذِي اضْطَفَاهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ قَضَايَا عَقْلِيَّةٍ  
عِلْمِيَّةٍ، تُثَبِّتُهَا أَدِلَّةٌ يَقِينَةٌ قَطْعِيَّةٌ، لَا يُخَالِطُهَا خَلَلٌ وَلَا شَكٌّ.

• ﴿فَلَا تُطْعِمُهُمَا﴾: أي: فَلَا تَسْتَجِبْ لَهُمَا، وَلَا تَكُنْ مُتَّبِعًا لَهُمَا فِي  
ذَلِكَ. الطَّاعَةُ: هِيَ فِي اللُّغَةِ الْإِنْقِيَادُ، وَالْإِمْتِثَالُ، وَالْمَتَابَعَةُ.

فِي هَذَا نَهْيٍ مُشَدَّدٍ مِنَ اللَّهِ عَنِ طَاعَةِ الْإِنْسَانِ لِوَالِدَيْهِ، إِنْ جَاهَدَاهُ  
يُزِمَرَانِهِ عَلَى أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ، وَيُقَاسُ عَلَى قَضِيَّةِ الشُّرْكِ

كُلُّ قَضِيَّةٍ فِيهَا مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَحَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ فِي طَاعَتِهِ، مُقَدَّمٌ عَلَى حُقُوقِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الطَّاعَةِ.

وَيَقَعُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي جَهَالَةٍ عَظُمَى حِينَمَا يَرُونَ وَجُوبَ طَاعَةِ أُولِي الْأَمْرِ، وَلَوْ أَمَرُوا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ الْفِكْرَةَ مُسْتَوْرَدَةٌ مِنْ أَنْظِمَةِ الْحُكْمِ غَيْرِ الْإِسْلَامِيَّةِ، الَّتِي يُمَجِّدُ فِيهَا الْقَانُونَ الَّذِي يُلْزِمُ بِطَاعَةِ ذِي السُّلْطَانِ، وَلَوْ أَمَرَ بِقَتْلِ الْبُرَّاءِ، أَوْ أَمَرَ بِالْكُفْرِ بِاللَّهِ، أَوْ بِالْفِسْقِ وَالْفُجُورِ وَإِبَاحَةِ الْفَوَاحِشِ عَلَنًا.

• ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾: الْمَصَاحِبَةُ: الْمُرَافَقَةُ الَّتِي تَقْتَضِي حُسْنَ الْمَعَاشِرَةِ وَالْخِدْمَةِ وَالْمَعُونَةِ.

مَعْرُوفًا: صِفَةُ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ هُوَ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ مِنَ الْفِعْلِ فِي: ﴿وَصَاحِبُهُمَا﴾ أَي: وَصَاحِبُهُمَا صَحَابًا مَعْرُوفًا.

يُقَالُ لُغَةً: «صَاحِبُهُ، مُصَاحِبُهُ، وَصَحَابًا».

وَالْمُرَادُ بِكَوْنِهِ مَعْرُوفًا، مَا تَعَارَفَ النَّاسُ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ مُصَاحِبَةِ الْوَلَدِ لَوَالِدَيْهِ، بِالْبِرِّ وَالْخِدْمَاتِ وَالطَّاعَةِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَأَنْوَاعِ الْإِكْرَامِ، وَالْخُضُوعِ تَذَلُّلاً لَهُمَا، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِمَا بِمَحَابِبِهِمَا.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ بَيَانٌ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، وَخَفِضَ جَنَاحَ الذُّلِّ لَهُمَا مِنَ الرَّحْمَةِ وَالِدُعَاءِ لَهُمَا، وَنَفَهُمُ أَنَّ هَذَا مَطْلُوبٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ الْمُسْلِمِينَ.

وَجَاءَ فِيهِ بَيَانٌ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِمُعَامَلَةِ الْوَالِدَيْنِ بِالْحُسْنَى، وَنَفَهُمُ أَنَّ هَذَا مَطْلُوبٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّ الْحُسْنَ هُنَا دُونَ الْإِحْسَانِ الَّذِي جَاءَ بِشَأْنِ الْوَلَدَيْنِ الْمُسْلِمِينَ.

وَجَاءَتْ عِبَارَةٌ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ لِتَقْيِيدِ الْمَصَاحِبَةِ بِالْمَعْرُوفِ فِي أُمُورِ



الدُّنْيَا، وَلِلْإِشَارَةِ إِلَى مَنْعِ تَقْدِيمِ شَيْءٍ لَهُمَا يَتَعَلَّقُ بِأُمُورِ الْآخِرَةِ، كَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمَا، وَالِدُعَاءِ لَهُمَا بِالرَّحْمَةِ، وَالصَّدَقَةِ عَنْهُمَا، إِذَا كَانَا مُشْرِكَيْنِ كَافِرَيْنِ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَلَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لِأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ الْكَافِرَيْنِ.

وَقَدْ سَبَقَ فِي الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَالِدَيْنِ الْمَعْنِيِّينَ فِي النَّصِّ مُشْرِكَانِ، غَيْرُ مُؤْمِنَيْنِ مُسْلِمَيْنِ.

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾: أَيُّ: لَا تُطِيعْ وَالِدَيْكَ الْمَشْرِكَيْنِ فِي مُجَاهَدَتِهِمَا إِيَّاكَ لِشُرْكَ بَرِّكَ، وَاتَّبِعْ فِي مَسِيرَتِكَ فِي حَيَاتِكَ مَا بَيْنَ حَدَيِّ صِرَاطِ رَبِّكَ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي يَسِيرُ بَيْنَ حَدَيْهِ مِنْ ذَاتِ الْيَمِينِ وَمِنْ ذَاتِ الشِّمَالِ الَّذِينَ أَنَابُوا رَاجِعِينَ إِلَى سُلُوكِ صِرَاطِي، وَتَارِكِينَ كُلَّ السُّبُلِ الَّتِي تُفَرِّقُ عَنْ صِرَاطِي، وَتُبْعِدُ عَنْهُ، مَنْ يَسْتَجِيبُونَ بِأَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، لِدَعْوَاتِ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

أَنَابَ: أَيُّ: رَجَعَ، يُقَالُ لُغَةً: «أَنَابَ فُلَانٌ إِلَى الشَّيْءِ يُنِيبُ» أَيُّ: رَجَعَ إِلَيْهِ مَرَّةً، فَمَرَّةً. وَيُقَالُ أَيْضًا: «نَابَ إِلَى الشَّيْءِ» أَيُّ: رَجَعَ إِلَيْهِ وَاعْتَادَهُ.

وَالْمُنِيبُونَ إِلَى اللَّهِ: هُمُ الرُّسُلُ، وَاتَّبَاعُ الرُّسُلِ الْمُؤْمِنُونَ.

• ﴿.. ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

أَيُّ: ثُمَّ بَعْدَ رِحْلَةِ الْامْتِحَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبَعْدَ مَوْتِكُمْ، أُبْعَثُكُمْ إِلَى الْحَيَاةِ الْآخِرَى، الَّتِي يَكُونُ مَرْجِعُكُمْ فِيهَا إِلَى حِسَابِي وَفَصْلِ قَضَائِي، وَتَنْفِيزِ جَزَائِي.

إِنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا حَيَاةُ الْإِبْتِلَاءِ، وَإِنَّ الْحَيَاةَ الْآخِرَى هِيَ حَيَاةُ الْجَزَاءِ.

وَحِينَ تَقْفُونَ فِي مَحْكَمَتِي يَوْمَ الدِّينِ لِمَحَاسَبَتِكُمْ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ فِي

رِحْلَةً امْتِحَانِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أُتَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، مِنْ طَاعَةٍ لِي أَوْ مَعْصِيَةٍ.

مَرْجِعُكُمْ: الْمَرْجِعُ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ: اسْمُ مَكَانٍ، وَاسْمُ زَمَانٍ، وَمَصْدَرٌ مِيميٌّ. أَي: ثُمَّ إِلَيَّ رُجُوعُكُمْ، وَمَكَانُ رُجُوعِكُمْ، وَزَمَانُهُ.

جَاءَتْ عِبَارَةٌ: ﴿فَأُتَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ كِنَايَةً عَنْ مَوْقِفِ الْمَحْكَمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ يَوْمَ الدِّينِ، وَعَنْ كُلِّ مَا يَجْرِي فِيهَا، إِذِ الْإِنْبَاءُ الَّذِي جَاءَ بَيَانُهُ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَحَدُ الْعُنَاصِرِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْمَحْكَمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ يَوْمَ الدِّينِ.

وَبَعْدَ هَذَا الْفَاصِلِ الْبَيَانِيِّ الْمُبَاشِرِ، الْمَوْجِبِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْحِكْمَةِ الَّتِي سَبَقَ بَيَانُهَا. يُتَابِعُ الْبَيَانُ الرَّبَّانِيَّ فِي الدَّرْسِ حِكَايَةَ وَصَايَا وَمَوَاعِظَ لُقْمَانَ لِابْنِهِ، الَّتِي هِيَ مُسْتَفَادَةٌ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ قَبْلَ لُقْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً لِمَا قَالَهُ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ لِابْنِهِ:

• ﴿يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦):

أَرَادَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ أَنْ يُفَهِّمَ ابْنَهُ شُمُولَ عِلْمِ اللَّهِ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَظِيمَ قُدْرَتِهِ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ كُلِّ مَا يَرَاهُ النَّاسُ عَسِيرًا وَصَعْبًا، فَضَرَبَ لَهُ مَثَلًا بِأَصْغَرِ الصَّغِيرَاتِ الَّتِي يَعْرِفُهَا مِنَ الْحُبُوبِ النَّبَاتِيَّةِ، وَالَّتِي يُشَبِّهُ النَّاسُ الصَّغِيرَاتِ جَدًّا بِهَا، وَهِيَ حَبَّةُ الْخَرْدَلِ.

فَأَبَانَ لَهُ أَنَّ الْكَائِنَةَ الصَّغِيرَةَ فِي الْوُجُودِ وَلَوْ كَانَتْ مِقْدَارَ حَبَّةِ خَرْدَلٍ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْكَائِنَةُ فِي بَاطِنِ صَخْرَةٍ مَهْمَا كَانَتْ شَدِيدَةً الْقَسَاوَةِ، أَوْ كَانَتْ فِي مَكَانٍ مَا مِنَ السَّمَاوَاتِ، أَوْ فِي مَكَانٍ مَا مِنْ بَاطِنِ الْأَرْضِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِهَا، خَبِيرٌ بِكُلِّ أَحْوَالِهَا، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا أَتَى بِهَا مِنْ مَكَانٍ وَجُودِهَا بِالْطَّفِ وَسَيْلَةٍ، لِأَنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ.

• ﴿يَنْحَى﴾: سَبَقَ بَيَانُ مَا فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ مِنْ اِهْتِمَامٍ شَدِيدٍ بِالنِّدَاءِ بِحَرْفِ النِّدَاءِ «يَا» مَعَ مَا فِي التَّصْغِيرِ مِنْ تَقَرُّبٍ وَتَحَبُّبٍ.

• ﴿إِنَّمَا﴾ قَالَ النَّحْوِيُّونَ الضَّمِيرُ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ ضَمِيرُ الْقِصَّةِ.

وأقول: هَذَا الضَّمِيرُ يُفَسِّرُ فِي كُلِّ بَيَانٍ بِمَا يُلَاحِظُ مَوْضُوعَهُ. وَأَرَى أَنَّ الْمُرَادَ هُنَا: أَنَّ الْغَائِبَةَ عَنِ الْخَلَائِقِ مَهْمَا كَانَتْ خَافِيَةً عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِهَا، خَبِيرٌ بِأَحْوَالِهَا، وَهُوَ قَدِيرٌ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ بِهَا إِذَا شَاءَ، دُونَ أَنْ يَتَغَيَّرَ شَيْءٌ آخَرُ عَنْ وَضْعِهِ وَصِفَاتِهِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى لَطِيفٌ لِفِعْلٍ مَا يَشَاءُ.

• ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: ﴿تَكُ﴾ أَصْلُهَا «تَكُنْ» وَهَذَا مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَجُوزُ فِيهَا حَذْفُ نُونِ مُضَارِعٍ «كَانَ».

أَي: إِنْ تَكُنِ الْغَائِبَةُ الْخَفِيَّةُ عَلَى الْخَلَائِقِ.

مِثْقَالٌ: مِثْقَالُ الشَّيْءِ مِثْلُهُ فِي وَزْنِهِ وَمِقْدَارِهِ، وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَأَبُو جَعْفَرٍ: [مِثْقَالٌ] بِالرَّفْعِ عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ فِعْلَ ﴿تَكُ﴾ فِعْلٌ تَامٌّ غَيْرُ نَاقِصٍ، وَلَفْظُ «مِثْقَالٌ» فَاعِلٌ. وَبَقِيَ الْفِعْلُ بِنَاءِ التَّأْنِيثِ لِأَنَّ لَفْظَ «مِثْقَالٌ» مُضَافٌ إِلَى «حَبَّةٍ» وَهِيَ مُوَعَّثَةٌ اللَّفْظِ.

• ﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: الْخَرْدَلُ: اسْمُ فَصِيلَةٍ مِنَ النَّبَاتَاتِ الْمَوْسِمِيَّةِ الْمُرَقَّةِ الَّتِي تَنْمُو فِي الْمَنَاطِقِ الْمَعْتَدِلَةِ. وَلِهَذَا النَّبَاتُ بَزُورٍ عَلَى شَكْلِ حُبُوبٍ صَغِيرَةٍ جَدًّا، يُشَبَّهُ النَّاسُ الْأَشْيَاءَ الصَّغِيرَةَ بِحَبَّةٍ مِنْهَا، لِصِغَرِهَا الشَّدِيدِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ مِنْ حُبُوبِ النَّبَاتَاتِ، وَحَبُّ الْخَرْدَلِ يَسْتَعْمَلُهُ النَّاسُ فِي التَّوَابِلِ.

وَصَارَ النَّاسُ يَسْتَخْرِجُونَ مِنَ الْخَرْدَلِ غَارَاتٍ سَامَّاتٍ قَاتِلَاتٍ، يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي الْحُرُوبِ.

• ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾: أَي: فَتَكُنْ هَذِهِ الْغَائِبَةُ الْخَفِيَّةُ عَلَى الْخَلَائِقِ، فِي دَاخِلِ صَخْرَةٍ مَا، مَهْمَا كَانَتْ عَظِيمَةً وَشَدِيدَةً الْقَسَاوَةَ.

- ﴿أَوْ فِي السَّمَوَاتِ﴾: أي: أو في مكانٍ ما من السَّمَوَاتِ الَّتِي فِيهَا بَلَايُنُ الْمَجَرَّاتِ، كما سبق بيَّانه في تدبُّر الدرس الرابع من هذه السورة.
- ﴿أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: أو في مكانٍ ما من باطنِ الأرض حتَّى المركزِ منها.

• ﴿يَأْتِي بِهَا اللَّهُ﴾: أي: يَأْتِ بِهَا اللَّهُ مِنْ مَكَانِهَا الَّتِي هِيَ فِيهِ، إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي تَقْضِي الْحُكْمَةَ بِأَنْ يَأْتِيَ بِهَا إِلَيْهِ، إِذَا شَاءَ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا. وَمَعْلُومٌ ذَهْنًا أَنَّهُ لَا يَأْتِي بِهَا إِلَّا إِذَا كَانَ ذَا عِلْمٍ بِمَكَانِهَا لِأَنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَذَا خُبْرَةٍ بِأَحْوَالِهَا وَتَغْيِيرَاتِهَا مَعَ تَتَابُعِ الْوَحْدَاتِ الزَّمَنِيَّةِ الصُّغْرَى، وَلَا يَأْتِي بِهَا مِنْ مَكَانِهَا إِلَّا إِذَا كَانَ ذَا قُدْرَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَى حَيْثُ وَجُودِهَا، وَلَا يَسْتَخْرِجُهَا مِنْ مَكَانِهَا دُونَ تَغْيِيرِ شَيْءٍ عَنْ صِفَاتِهِ مِنْ حَوْلِهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ لَطِيفًا بِقُدْرَتِهِ لُطْفًا يَجْعَلُ الْأَشْيَاءَ مِنْ حَوْلِهَا لَا تَتَأَثَّرُ بِاسْتِخْرَاجِهَا مِنْهُ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ مِنَ الْأَشْيَاءِ اللَّطِيفَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْأَنْوَارَ، وَالْجاذِبِيَّاتِ، وَالْأَرْوَاحِ.

• ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾: في هَذَا رَبْطٌ لِلْبَيَانِ السَّابِقِ بِالْجَذْرِ الْاِعْتِقَادِيِّ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ بِقُدْرَتِهِ الْعُظْمَى لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ يَشَاوُهُ فِي كَوْنِهِ، بَلْ يَفْعَلُهُ بِلُطْفٍ بَالِغِ الْغَايَةِ، وَأَنَّهُ بِشُمُولِ عِلْمِهِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ أَصْغَرُ صَغِيرٍ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ وَلَا أَكْبَرُ كَبِيرٍ مِنْهَا، بَلْ هُوَ خَبِيرٌ بِكُلِّ صِفَاتِهِ وَتَغْيِيرَاتِهِ الَّتِي تَجْرِي لَهُ أَوْ فِيهِ مَعَ أَقَلِّ الْوَحْدَاتِ الزَّمَنِيَّةِ الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ مَدَارِكُ الْخَلَائِقِ إِدْرَاكَهَا.

اللَّطِيفُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، وَمَعْنَاهُ: الَّذِي يُجْرِي تَدَابِيرَهُ وَأَعْمَالَهُ وَأَفْعَالَهُ بِرَفْقٍ تَامٍ لَا غُفْ فِيهِ وَلَا خُسُونَةٌ.

وَاللَّطِيفُ: الَّذِي يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ بَرَقَّةٍ دُونَ أَنْ يُحَسَّ بِدُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ، وَمِنْ الْكَائِنَاتِ اللَّطِيفَةِ الْمَلَائِكَةُ، وَالنَّسِيمُ، وَالْأَشْيَعَةُ، وَالْأَرْوَاحُ.

**الخبير:** اسْمٌ من أسماء الله الحُسنى، مَعْنَى الخبير في اللُّغة: الْعَلِيمُ  
بِالشَّيْءِ عَنْ تَجَرُّبَةٍ وَمُمَارَسَةٍ مَعَ شُهُودٍ وَحُضُورٍ مُصَاحِبٍ لِكُلِّ أَجْزَاءِ الْعَمَلِ  
الَّذِي يَعْمَلُهُ ظَوَاهِرُهُ وَبَوَاطِنُهُ.

والله عَزَّ وَجَلَّ عَلِيمٌ عِلْمًا كَامِلًا شَامِلًا، لِكُلِّ ظَوَاهِرِ الْأَشْيَاءِ  
وَبَوَاطِنِهَا، عِلْمٌ حُضُورٍ وَشُهُودٍ وَتَذْيِيرٍ وَخَلْقٍ وَتَصَارِيفٍ، إِذْ كُلُّ مَا يَجْرِي  
فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ خَلَقَهُ وَفَعَلَهُ، - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانَهُ - فَهُوَ بِهِ خَبِيرٌ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا بَيَانِ وَصَايَا وَمَوَاعِظِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ:

• ﴿يَبْنَئُ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا  
أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ  
مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ  
إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾.

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بَيَانُ ثَمَانِي وَصَايَا أَوْصَى بِهَا لُقْمَانُ ابْنَهُ، وَبَضَمَهَا  
إِلَى الْوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْآيَةِ (١٣) تَكُونُ وَصَايَاهُ لَهُ تِسْعًا.

أَمَّا الْوَصَايَا الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا هَذِهِ الْآيَاتُ (١٧) وَ (١٨) وَ (١٩)

فَهِىَ:

الْوَصِيَّةُ الْأُولَى: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَبْنَئُ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾:

• ﴿يَا بُنَيَّ﴾: سَبَقَ بَيَانُ مَا فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ الرَّفِيقَةِ الرَّشِيقَةِ مِنْ  
تَقَرُّبٍ وَتَحَبُّبٍ مِنْ لُقْمَانَ لِوَلَدِهِ.

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: أَي: أَدِّ الصَّلَاةَ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ  
وَضَعَهُمْ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ فِي رِحْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

دَلَّتْ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ عَلَى أَنَّ أَوْلَى الْفَرَائِضِ بَعْدَ الْإِيمَانِ إِقَامَةُ  
الصَّلَاةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فِي الدِّينِ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الَّذِينَ خَلَقَهُمْ

لِيَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَهَذَا يُشْعِرُ بَأْنَ فَرِيضَةِ الصَّلَاةِ مِنَ الْفَرَايِضِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى آدَمَ وَكُلِّ بَنِيهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَهَذَا الْمَعْنَى مُؤَيَّدٌ بِنُصُوصٍ كَثِيرَةٍ فِي الْقُرْآنِ، وَمِنْهَا مَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ لَهُ كَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الحج/ ٢٢ مصحف/ ١٠٢ نزول):

﴿... وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾.

والمرادُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ الْمُدَاوِمَةَ وَالْمُواظَبَةَ عَلَى أَدَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا، وَأَدَاؤَهَا عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ الْمَطْلُوبِ فِيهَا، وَجَعَلَهَا مُسْتَقِيمَةً خَالِصَةً لَوْجِهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا عِوَجٍ فِيهَا، وَلَا رِيَاءَ وَلَا سُمْعَةَ، وَلَا زِيَادَةً، وَلَا نَقْصًا.

الْوَصِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾:

الْوَصِيَّةُ الثَّالِثَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾:

دَلَّتْ هَاتَانِ الْوَصِيَّتَانِ عَلَى أَنَّ مُجْتَمَعَ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُجْتَمَعَ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٍ، لَدَيْهِ عِلْمٌ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ، فَهُوَ مَعْرُوفٌ لَدَيْهِمْ، وَلَدَيْهِ عِلْمٌ بِمَا نَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ عَنْهُ، فَهُوَ مُنْكَرٌ لَدَيْهِمْ، فَمَنْ تَرَكَ الْمَعْرُوفَ وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ، وَهُوَ دِينَ اللَّهِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ فِي رِسَالَتِهِ لِلنَّاسِ الَّتِي بَلَّغَهَا جَمِيعُ الْمُرْسَلِينَ، أَوْ فَعَلَ الْمُنْكَرَ وَهُوَ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ، فَقَدْ عَصَى رَبَّهُ، وَعَلَى حُمَاةِ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ تَفَاقُمِ مَعَاصِي أَفْرَادِهِ، أَنْ يَقُومُوا بِوُظَيْفَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ دَوَامًا، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ عَوَاقِبِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ تَنْتَشِرُ فِيهِمْ، ثُمَّ لَا يَسْتَطِيعُونَ التَّخْلُصَ مِنْهَا وَلَا كَبْحَهَا، مَتَى تَفَاقَمَتْ وَانْتَشَرَتْ.

وَيُظْهِرُ أَنَّ لُقْمَانَ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ ابْنَهُ الَّذِي وَجَّهَ لَهُ هَذِهِ الْوَصَايَا، مِنْ أُمَّةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي مُجْتَمَعِهِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْلِمِ،

فَأَوْصَاهُ بِأَنْ يَقُومَ بِوُظَيْفَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ دَاخِلَ مُجْتَمَعِهِ، فَمَنْهَجُ اللَّهِ فِي رِسَالَاتِهِ، وَفِي تَكْوِينِ الْأُمَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْمُلْتَزِمَةِ بِوَجْهِ عَامِّ أَحْكَامٍ شَرِيعَتِهِ، بِفِعْلِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ مَنْهَجٌ وَاحِدٌ، لِأَنَّهُ هُوَ الْمَنْهَجُ الْأَحْكَمُ.

وَقَدْ رَأَيْنَا أَنَّهُ لَمَّا ضَعُفَتْ أُمَّةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَقَلَّتْ أَعْدَادُهَا عَمَّا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ فِي الْأُمَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، انْتَشَرَتْ فِيهَا الْمَعَاصِي، وَكَثُرَ فِي أَفْرَادِهَا تَرْكُ فُرُوضِ الْإِسْلَامِ، وَكَثُرَ فِيهَا ارْتِكَابُ الْمُحَرَّمَاتِ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَصَارَتْ هَذِهِ الْمَعَاصِي مِنَ الْكِبَائِرِ أُمُورًا مَأْلُوفَةً، لَا تُقَابَلُ بِالْإِسْتِنْكَارِ مِنْ مُعْظَمِ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ، لَوْفُوعِ أَكْثَرِهِمْ بِهَا أَوْ بِمِثْلِهَا، فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ عَزَّتْهُمْ وَفُؤَاهُمْ الْمُنْتَصِرَةَ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ، وَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَعْدَاءَهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ، ثُمَّ مِنَ الْيَهُودِ شَرَّ الْبَرِيَّةِ.

الْوَصِيَّةُ الرَّابِعَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾  
إِنْ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾:

لَقَدْ عَلِمَ لُقْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِحُكْمَتِهِ الَّتِي آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، وَتَجَارِبِهِ الْمُتَكَرِّرَةِ، أَنَّ مَنْ يَقُومَ بِوُظَيْفَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَا بُدَّ أَنْ يَلْقَى أَدَى مِنَ الَّذِينَ يُوجِّهُ لَهُمْ أَوْامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ، فَأَوْصَى ابْنَهُ بِأَنْ يُتَابَعَ الْقِيَامَ بِهَذِهِ الْوُظَيْفَةِ وَلَا يَضْعُفَ عَنْ أَدَائِهَا، وَأَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَا يُصِيبُهُ مِنْ أَدَى.

وَجَاءَتْ عِبَارَةٌ: ﴿مَا أَصَابَكَ﴾ بِاسْتِعْمَالِ الْفِعْلِ الْمَاضِي، دُونَ عِبَارَةِ: «مَا يُصِيبُكَ» بِاسْتِعْمَالِ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ قَالَ لَهُ: وَسَيُصِيبُكَ أَدَى مِنَ الَّذِينَ تَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ تَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ مِنْ أَنْصَارِهِمْ وَجُنُودِهِمْ، وَسَيَنَالُكَ مِنْهُمْ مَا تَكْرَهُ فِي نَفْسِكَ أَوْ فِي جَسَدِكَ، فَاعْتَبِرْ أَنَّ هَذَا قَدْ وَقَعَ فِعْلًا، فَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ.

وَأَبَانَ لُقْمَانَ لِابْنِهِ أَنَّ دَرَجَةَ الصَّبْرِ عَلَى مَا يُصِيبُ حَامِلَ وَظِيفَةِ الْأَمْرِ  
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ دَرَجَةٌ رَفِيعَةٌ جَدًّا، فَأَشَارَ إِلَى هَذَا الصَّبْرِ  
بِاسْمِ الْإِشَارَةِ الْمَوْضُوعِ لِلْبَعِيدِ بِعِبَارَةٍ: ﴿ذَلِكَ﴾ مَعَ التَّأْكِيدِ بِحَرْفِ التَّأْكِيدِ:  
«إِنَّ».

عِبَارَةٌ: ﴿مَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ﴾ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى مَا يُصِيبُ حَامِلَ  
وَضِيفَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، ابْتِغَاءَ الْخَيْرِ لِمَنْ يَأْمُرُهُمْ  
وَيَنْهَاهُمْ، يَحْتَاجُ إِرَادَةً قَوِيَّةً مِنْ مُسْتَوَى «الْعَزْمِ» إِذِ الْعَزْمُ أَعْلَى مُسْتَوِيَاتِ  
قُوَّةِ الْإِرَادَةِ، وَوَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ طَائِفَةً مُمَفَّضَةً مِنْ رُسُلِهِ بِأَنَّهُمْ أُولُو  
الْعَزْمِ، إِذْ تَحَمَّلُوا مَتَاعِبَ وَأَذَى كَثِيرًا مِنْ أَقْوَامِهِمْ بِصَبْرٍ عَظِيمٍ<sup>(١)</sup>.

فَمَعْنَى: ﴿مَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ﴾ عَلَى مَا أَفْهَمَ: مِنْ إِرَادَةِ الْأُمُورِ إِرَادَةً  
قَوِيَّةً رَفِيعَةً هِيَ مِنْ مُسْتَوَى الْعَزْمِ. فَالْإِضَافَةُ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى  
مَفْعُولِهِ.

يُقَالُ لُغَةً: «عَزَمَ فُلَانٌ الْأَمْرَ، وَعَزَمَ عَلَيْهِ» أَي: جَدًّا، وَصَبَرَ. وَالْجَدُّ  
وَالصَّبْرُ يَحْتَاجَانِ إِرَادَةً قَوِيَّةً مِنْ مُسْتَوَى الْعَزْمِ.

وَنَفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ لُقْمَانَ يُحَرِّضُ ابْنَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ  
الْعَزْمِ (أَي: مِنْ أَصْحَابِ الْإِرَادَةِ الْقَوِيَّةِ ذَاتِ الْمُسْتَوَى الرَّفِيعِ) بِالصَّبْرِ عَلَى  
مَا يُصِيبُهُ مِمَّا يَكْرَهُ بِسَبَبِ أَمْرِهِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي بَيِّنَتِهِ.

الْوَصِيَّةُ الْخَامِسَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ  
لِلنَّاسِ﴾:

تَصْعِيرُ الْخَدِّ: إِمَالَتُهُ بِإِمَالَةِ الْعُنُقِ عُجْبًا وَكِبْرًا. وَكَانَ هَذَا التَّصْعِيرُ

(١) انظر شَرْحَ الْعَزْمِ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ، صَفْحَةٌ مِنْ (١١٣ - ١١٦) مِنْ كِتَابِ «الْأَخْلَاقِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَسْسُهَا» لِلْمُؤَلِّفِ.



مِنْ عَادَةِ الْجَبَابِرَةِ وَبَعْضِ الْمُلُوكِ لِلِاشْعَارِ بِاسْتِعْلَائِهِمْ عَلَى النَّاسِ، وَاحْتِقَارِهِمْ لَهُمْ، إِذْ هُمْ أَوْفَرُ حَظًّا مِنْهُمْ فِي الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ، وَفِي الْقُوَّةِ وَالسُّلْطَانِ، وَالْقُدْرَةِ عَلَى تَنْفِيذِ مَا يُرِيدُونَ.

وَلَمَّا كَانَتْ وَظِيفَةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي الْجَمَاهِيرِ، قَدْ تَوَلَّدَ لَدَى بَعْضِ صِغَارِ النُّفُوسِ، وَمُرِيدِي الِاسْتِعْلَاءِ بَيْنَ النَّاسِ عُجْبًا بَأَنْفُسِهِمْ، وَكِبْرًا عَلَى الْعَامَّةِ، وَهَذَا قَدْ يَجْعَلُهُمْ يُمِيلُونَ رِقَابَهُمْ مِنَ الْعُجْبِ بَأَنْفُسِهِمْ وَمِنَ الِاسْتِعْلَاءِ عَلَى النَّاسِ، أَوْ يَتَصَرَّفُونَ تَصَرُّفَاتٍ أُخْرَى تُشْعِرُ بِمَا تَسْلَلُ إِلَى نُفُوسِهِمْ مِنْ دَاءِ الْعُجْبِ بِالنَّفْسِ وَالْكِبَرِ، كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يُوصِيَ لُقْمَانُ ابْنَهُ بِأَنْ لَا يُعْجَبَ بِنَفْسِهِ وَلَا يَسْتَكْبِرَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ، إِذَا وَجَدَ أَنَّ الْجَمَاهِيرَ أَعْظَمَتْهُ اخْتِرَامًا وَتَوْقِيرًا، إِذْ تَصَدَّى لِأَمْرِهِمْ وَنَهْيِهِمْ.

وَجَاءَ النَّهْيُ عَنِ بَعْضِ مَظَاهِيرِ هَذِهِ الْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ فِي السُّلُوكِ، وَالتِّي يُقَاسُ عَلَيْهَا أَشْبَاهُهَا، لِأَنَّ ضَبْطَ السُّلُوكِ عَنِ الظَّوَاهِرِ الدَّالَّةِ عَلَى مَا فِي النُّفُوسِ، يُسَاعِدُ الْإِنْسَانَ عَلَى مُعَالَجَةِ نَفْسِهِ بِشَفَائِهَا مِمَّا تَسْلَلُ إِلَيْهَا مِنْ دَاءِ نَفْسِيٍّ، أَمَّا تَرْكُ الْإِنْسَانِ إِرَادَتَهُ تُعَبِّرُ عَمَّا فِي نَفْسِهِ بِظَاهِرَاتِ سُلُوكِيَّةٍ، فَإِنَّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَزِيدَ فِي نِسْبَةِ الدَّاءِ الَّذِي تَسْلَلُ إِلَيْهَا.

**الْوَصِيَّةُ السَّادِسَةُ:** دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

**الْمَرَحُ:** الْاِخْتِيَالُ، وَالتَّبَخُّرُ فِي الْمَشْيِ، وَأَصْلُهُ شِدَّةُ الْفَرَحِ وَالنَّشَاطِ، وَتَجَاوُزُ الْحَدِّ الْمُعْتَادِ مِنْ حَرَكَاتِ الْعُقَلَاءِ وَأَهْلِ الرُّشْدِ عِنْدَ فَرَحِهِمْ وَسُرُورِهِمْ.

فِي هَذِهِ الْوَصِيَّةِ يُتَابَعُ لُقْمَانُ نَهْيَ ابْنِهِ عَنْ ظَاهِرَةِ أُخْرَى مِنْ ظَوَاهِرِ الْكِبَرِ، وَالْعُجْبِ بِالنَّفْسِ، وَهِيَ ظَاهِرَةُ الْاِخْتِيَالِ وَالتَّبَخُّرِ فِي الْمَشْيِ.

هَذِهِ الظَّاهِرَةُ أَقْبَحُ مِنْ ظَاهِرَةِ تَصْغِيرِ الْخَدِّ، لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى خِفَّةٍ فِي

الْعَقْلُ، وَرُعُونَةٍ فِي الْحَرَكَاتِ، فَالْعَاقِلُ الرَّزِينُ، وَذُو الرَّأْيِ الرَّشِيدُ، لَا يَسْتَخْفُهُ الْكِبَرُ فِي نَفْسِهِ حَتَّى يَمْشِيَ فِي الْأَرْضِ مُخْتَالًا مُتَكَبِّرًا مُتَبَخِّرًا، إِذْ يَشْعُرُ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ تَدُلُّ عَلَى رُعُونَتِهِ وَخِفَّةِ عَقْلِهِ.

وَحَذَّرَ لُقْمَانَ ابْنَهُ مِنْ عَاقِبَةِ هَذَا السُّلُوكِ بِقَوْلِهِ لَهُ: ﴿.. إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨): أَيُّ: وَمَنْ لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ لِقِيَامِهِ بِمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ نَهْيَ الْإِزَامِ، فَإِنَّهُ يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِعِقَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

إِنَّ مَنْ يَحْمِلُ وَظِيفَةَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ بَيْنَ الْجَمَاهِيرِ، يَقْبُحُ بِهِ جِدًّا أَنْ يَمْشِيَ فِي الْأَرْضِ مَرِحًا، مُخْتَالًا مُتَبَخِّرًا، وَسَلُوكُهُ هَذَا يُنْفِرُ النَّاسَ مِنْهُ، فَلَا يَتَأَثَّرُونَ بِمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ، وَلَا بِمَا يَنْهَاهُمْ عَنْهُ، مِنْ أُمُورٍ دِينِيَّةٍ، إِذْ يَرَوْنَهُ فِي سُلُوكِهِ مُخَالَفًا لِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ حَامِلِي رَسُولَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَبِمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُهُ، أَخْذًا مِمَّا قَالَ لَهُ فِي سُورَةِ (الْحَجَرِ/ ٥٤) نَزُولٍ:

﴿.. وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٨).

الْوَصِيَّةُ السَّابِعَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: الْقَصْدُ: هُوَ الْإِعْتِدَالُ فِي الْأَمْرِ، دُونَ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ. وَالْقَصْدُ فِي الْمَشْيِ: هُوَ التَّوَسُّطُ بَيْنَ الْإِسْرَاعِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْخِفَّةِ وَالطَّيْشِ، وَبَيْنَ الْإِبْطَاءِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْكَسَلِ وَالضَّعْفِ وَانْعِدَامِ النَّشَاطِ لِلْحَرَكَةِ.

إِنَّ الْقَصْدَ فِي الْمَشْيِ يَدُلُّ عَلَى الرِّزَانَةِ وَالرِّصَانَةِ، وَالْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ فِي التَّنَقُّلِ، وَهُوَ مِنَ الْمُرَشِّحَاتِ لِأَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مِنْ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، الَّذِينَ هُمْ أَيْمَةٌ يَقْتَدِي بِهِمُ الْمُتَّقُونَ، كَمَا جَاءَ فِي بَيَانِ الصِّفَاتِ الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا عِبَادُ الرَّحْمَنِ، فِي أَوَاخِرِ سُورَةِ (الْفِرْقَانِ/ ٤٢) نَزُولِ) الَّتِي سَبَقَ تَدَبُّرُهَا، وَشَرَحُ مُوسَعٍ فِيهَا لِصِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ.

الْوَصِيَّةُ الثَّامِنَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿.. وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٩):

**غَضُّ الصَّوْتِ:** خَفْضُهُ وَعَدَمُ رَفْعِهِ، فَرَفَعَ الصَّوْتُ فِي الْأَحَادِيثِ الْعَادِيَةِ مُنَافٍ لِسُلُوكِ الْعَاقِلِ الرَّصِينِ الرَّشِيدِ.

أَصْلُ الْغَضِّ مِنَ الشَّيْءِ النَّقْصُ مِنْهُ، وَالْمَطْلُوبُ فِي الصَّوْتِ عِنْدَ الْمُحَادَثَةِ أَنْ يَكُونَ بِمِقْدَارِ مَا يُسْمَعُ دُونَ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ.

إِنَّ الزِّيَادَةَ فِي رَفْعِ الصَّوْتِ عَنِ الْمَطْلُوبِ رُغُونَةٌ لَا تَلِيْقُ بِالْعَاقِلِ الْحَكِيمِ الرَّشِيدِ، وَإِنَّ خَفْضَهُ عَنِ الْمَطْلُوبِ لِلإِسْمَاعِ مُنَافٍ لِلْحِكْمَةِ، وَدَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُحَدَّثَ لَا يَمْلِكُ الْحَسْرَ اللَّازِمَ لِتَقْدِيرِ الْأُمُورِ قَدَرَهَا بِحَسَبِ الْحَاجَةِ.

إِنَّ رَفْعَ الْأَصْوَاتِ مِنْ أَعْمَالِ الْبَاعَةِ الْمُتَجَوِّلِينَ، الَّذِينَ يُرِيدُونَ إِسْمَاعَ النَّاسِ فِي بُيُوتِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ عَمَّا جَلْبُوهُ لِيَسْمَعُوهُ، وَهَؤُلَاءِ لَا يَعْنِيهِمُ الْإِتِّزَامُ بِالْآدَابِ الْعَامَّةِ، إِنَّمَا يَعْنِيهِمْ بَيْعُ بَضَائِعِهِمُ الَّتِي جَلْبُوها، لِكَسْبِ أَرْزَاقِهِمْ، وَالنَّاسُ يَعْذُرُونَهُمْ فِي هَذَا، لَكِنَّهُمْ لَا يَعْذُرُونَ الْمُحَدَّثِينَ فِي الْمَجَالِسِ، أَوْ الْمُتَحَادِّثِينَ فِي أُمُورٍ خَاصَّةٍ أَوْ عَامَّةٍ، إِذَا رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ عَنْ مِقْدَارِ حَاجَةِ الإِسْمَاعِ، وَيَعْتَبِرُونَ ذَلِكَ عَمَلًا مُزْعَجًا لِآذَانِ النَّاسِ الَّذِينَ لَا مَصْلَحَةَ لَهُمْ فِي سَمَاعِ الْحَدِيثِ، وَمُخَالَفًا لِلْآدَابِ الْعَامَّةِ.

وَلِلتَّنْفِيرِ مِنْ رَفْعِ الصَّوْتِ دُونَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ:

﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾: أَي: إِنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ دُونَ حَاجَةٍ إِلَى رَفْعِهِ مِنْ صِفَاتِ الْحَمِيرِ، فَلَا تَكُنْ يَا بُنَيَّ مُتَّصِفًا بِصِفَةٍ هِيَ مِنْ صِفَاتِ الْحَمِيرِ الَّتِي تَنْهَقُ فَتَرْفَعُ أَصْوَاتَهَا الْمُنْكَرَةَ لِحَاجَةٍ فِي أَنْفُسِهَا.

أَنْكَرُ الْأَصْوَاتِ: أَي: أَقْبَحُهَا وَأَكْثَرُهَا تَنْفِيرًا لِلْإِسْمَاعِ.

وَجَاءَ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ التَّوَكِيدُ بِ«إِنَّ» - وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ - وَاللَّامُ الْمَرْحَلَةُ وَالْعَرَضُ مِنَ التَّوَكِيدِ بِهِذِهِ الْمُؤَكِّدَاتِ الْمُبَالِغَةُ فِي التَّنْفِيرِ مِنْ رَفْعِ الصَّوْتِ دُونَ حَاجَةٍ إِلَى رَفْعِهِ.

## مأثورات مِنْ وَصَايَا لُقْمَانَ:

أَنْقُلْ هُنَا طَائِفَةً مِنْ وَصَايَا لُقْمَانَ الْمَنْثُورَةِ فِي الْكُتُبِ، وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ قَدْ جَمَعَهَا «الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ» فِي تَفْسِيرِهِ: «التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ» بَعْدَ أَنْ فَسَّرَ الْآيَاتِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِوَصَايَاهُ لِابْنِهِ:

(١) • أَيُّ بُنَيَّ، إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ، وَقَدْ غَرِقَ فِيهَا أَنْاسٌ كَثِيرٌ، فَاجْعَلْ سَفِينَتَكَ فِيهَا تَقْوَى اللَّهَ تَعَالَى، وَحَشَوْهَا الْإِيمَانَ، وَشِرَاعَهَا التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، لَعَلَّكَ أَنْ تَنْجُو، وَلَا أَرَاكَ نَاجِيًا.

(٢) • مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ، كَانَ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَافِظٌ، وَمَنْ أَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ زَادَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ عِزًّا، وَالذُّلُّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَقْرَبُ مِنَ التَّعَزُّزِ بِالْمَعْصِيَةِ.

(٣) • ضَرْبُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ كَالسَّمَادِ لِلزَّرْعِ.

(٤) • يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَالِدَيْنِ، فَإِنَّهُ ذُلُّ النَّهَارِ، وَهَمُّ اللَّيْلِ.

(٥) • يَا بُنَيَّ ارْجُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَجَاءً لَا يُجَرِّتُكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ تَعَالَى، وَخَفِ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَوْفًا لَا يُؤْيِسُكَ مِنْ رَحْمَتِهِ تَعَالَى شَأْنُهُ.

(٦) • مَنْ كَذَبَ ذَهَبَ مَاءٌ وَجْهِهِ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ كَثُرَ غَمُّهُ، وَنَقِلُ الصُّخُورِ مِنْ مَوَاضِعِهَا أَيْسَرُ مِنْ إِفْهَامِ مَنْ لَا يَفْهَمُ.

(٧) • يَا بُنَيَّ، حَمَلْتُ الْجَنْدَلَ وَالْحَدِيدَ وَكُلَّ شَيْءٍ ثَقِيلٍ، فَلَمْ أَحْمِلْ شَيْئًا هُوَ أَثْقَلُ مِنْ جَارِ السُّوءِ. وَذُقْتُ الْمِرَارَ فَلَمْ أَذُقْ شَيْئًا هُوَ أَمْرٌ مِنَ الْفَقْرِ.

(٨) • يَا بُنَيَّ، لَا تُرْسِلْ رَسُولَكَ جَاهِلًا، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ حَكِيمًا فَكُنْ رَسُولَ نَفْسِكَ.

(٩) • يَا بُنَيَّ، احْضُرِ الْجَنَائِزَ، وَلَا تَحْضُرِ الْعُرْسَ، فَإِنَّ الْجَنَائِزَ تُذَكِّرُكَ بِالْآخِرَةِ، وَالْعُرْسُ يُشْهِيكُ الدُّنْيَا.

(١٠) • يَا بُنَيَّ، لَا تَأْكُلْ شَيْعًا عَلَى شَيْعٍ، فَإِنَّ إِقْدَاقَكَ إِيَّاهُ لِلْكَلْبِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَأْكُلَهُ.

(١١) • لَا تَكُنْ حُلُوءًا فَتُبْلَعَ، وَلَا تَكُنْ مُرًّا فَتُتْلَفَظَ.

(١٢) • لَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا الْأَتْقِيَاءُ، وَشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الْعُلَمَاءَ.

(١٣) • لَا خَيْرَ لَكَ فِي أَنْ تَتَعَلَّمَ مَا لَمْ تَعْلَمْ، وَلَمَّا تَعْمَلْ بِمَا قَدْ عِلِمْتَ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ اخْتَطَبَ حَطْبًا، فَحَمَلَ حُزْمَةً، وَذَهَبَ يَحْمِلُهَا، فَعَجَزَ عَنْهَا، فَضَمَّ إِلَيْهَا أُخْرَى.

(١٤) • يَا بُنَيَّ، إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُؤَاحِي رَجُلًا، فَأَغْضِبْهُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَإِنْ أَنْصَفَكَ عِنْدَ غَضَبِهِ فَأَخِجْهُ، وَإِلَّا فَاحْذَرْهُ.

(١٥) • لِتَكُنْ كَلِمَتُكَ طَيِّبَةً، وَلِيَكُنْ وَجْهُكَ بَسْطًا تَكُنْ أَحَبَّ إِلَى النَّاسِ مِمَّنْ يُعْطِيهِمُ الْعَطَاءَ.

(١٦) • يَا بُنَيَّ، أَنْزِلْ نَفْسَكَ مِنْ صَاحِبِكَ مَنْزِلَةً مَنْ لَا حَاجَةَ لَهُ بِكَ، وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ.

(١٧) • يَا بُنَيَّ، كُنْ كَمَنْ لَا يَبْتَغِي مَحَمَدَةَ النَّاسِ، وَلَا يَكْسِبُ ذَمَّهُمْ، فَتَنْفُسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ.

(١٨) • يَا بُنَيَّ، امْتَنِعْ بِمَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِكَ، فَإِنَّكَ مَا سَكَتَ سَالِمٌ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لَكَ مِنَ الْقَوْلِ مَا يَنْفَعُكَ.

(١٩) • يَا بُنَيَّ، جَالِسِ الْعُلَمَاءَ، وَزَاحِمِهِمْ بِرُكْبَتَيْكَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ بِنُورِ الْعِلْمِ، كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ بِوَابِلِ السَّمَاءِ.

(٢٠) • قِيلَ لِلْقُتَيْبَانِ: مَا بَلَغَ بِكَ مَا نَرَى؟ فَقَالَ: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَتَرْكُ مَا لَا يَغْنِيَنِي.

(٢١) • يَا بُنَيَّ، لِيَكُنْ أَوَّلَ مَا تُفِيدُ مِنَ الدُّنْيَا بَعْدَ خَلِيلٍ صَالِحٍ، امْرَأَةً صَالِحَةً.

(٢٢) • يَا بُنَيَّ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ تَبَاوَلَ عَلَيْهِمْ مَا يُوعَدُونَ، وَهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ سِرَاعًا يَذْهَبُونَ، وَإِنَّكَ قَدْ اسْتَدْبَرْتَ الدُّنْيَا مُنْذُ كُنْتَ، وَاسْتَقْبَلْتَ الْآخِرَةَ. وَإِنَّ دَارًا تَسِيرُ إِلَيْهَا أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ دَارٍ تَخْرُجُ عَنْهَا.

(٢٣) • لَيْسَ غِنَى كَصِحَّةٍ، وَلَا نِعْمَةٌ كَطِيبِ نَفْسٍ.

(٢٤) • يَا بُنَيَّ، لَا تُجَالِسِ الْفُجَّارَ، وَلَا تُمَاشِهِمْ، اتَّقِ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَيُصِيبَكَ مَعَهُمْ.

(٢٥) • يَا بُنَيَّ، جَالِسِ الْعُلَمَاءَ وَمَاشِهِمْ، عَسَى أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ رَحْمَةٌ فَتُصِيبَكَ مَعَهُمْ.

(٢٦) • قَالَ لِرَجُلٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ: إِنَّ كُنْتَ تَرَانِي غَلِيظَ الشَّفَتَيْنِ، فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنَهُمَا كَلَامٌ رَقِيقٌ، وَإِنْ كُنْتَ تَرَانِي أَسْوَدَ قَلْبِي أَيْضًا.

(٢٧) • أَمَرَهُ مَوْلَاهُ بِذَبْحِ شَاةٍ وَأَنْ يَأْتِيَهُ بِأَطْيَبِ مُضْغَتَيْنِ، فَأَتَاهُ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ.

ثُمَّ أَمَرَهُ بِذَبْحِ أُخْرَى، وَقَالَ لَهُ أَلْقِ مِنْهَا أَحَبَّتَ مُضْغَتَيْنِ، فَأَلْقَى اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ.

فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: هُمَا أَطْيَبُ مَا فِيهَا إِذَا طَابَا، وَأَحَبُّ مَا فِيهَا إِذَا حَبَّتَا.

(٢٨) • قِيلَ: دَخَلَ لُقْمَانُ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ يَسْرُدُ الدُّرُوعَ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْأَلَهُ عَمَّاذَا يَصْنَعُ، فَأَذْرَكَهُ الْحِكْمَةُ فَسَكَتَ. فَلَمَّا أَتَمَّهَا دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَبِسَهَا وَقَالَ: نِعْمَ لَبُوسُ الْحَرْبِ أَنْتَ. فَقَالَ لُقْمَانُ: الصَّبْرُ حِكْمَةٌ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ.

(٢٩) • قِيلَ لِلْقُفَّارِ: أَيُّ النَّاسِ شَرٌّ، فَقَالَ: الَّذِي لَا يُبَالِي أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ سَيِّئًا، أَوْ مُسِيئًا.

(٣٠) • إِنَّ الْحَاكِمَ بِأَشَدِّ الْمُنَازِلِ وَكَدِرَهَا، يَغْشَاهُ الْمَظْلُومُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، إِنْ يُصَبِّ فَبِالْحَرِيِّ أَنْ يُنْجُو، وَإِنْ أَخْطَأَ أَخْطَأَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ.

(٣١) • مَنْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا ذَلِيلًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ شَرِيفًا.

(٣٢) • مَنْ يَخْتَرِ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ تَفْتُهُ الدُّنْيَا وَلَا يُصَبِّ الْآخِرَةَ.

(٣٣) • قِيلَ: إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ لُقْمَانَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ فَقَالَ: أَصْبَحْتُ فِي يَدَيَّ غَيْرِي.

(٣٤) • قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: إِنَّ اللَّهَ رَضِيَني لَكَ فَلَمْ يُوصِنِي بِكَ، وَلَمْ يَرْضَكَ لِي فَأَوْصَاكَ بِي.

(٣٥) • يَا بُنَيَّ، إِذَا امْتَلَأْتَ الْمَعِدَةَ نَامَتِ الْفِكْرَةُ، وَخَرَسَتِ الْحِكْمَةُ، وَقَعَدَتِ الْأَعْضَاءُ عَنِ الْعِبَادَةِ.

(٣٦) • يَا بُنَيَّ، إِنَّ مَثَلَ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ، كَمَثَلِ الدُّهْنِ فِي الرَّأْسِ، يُلَيِّنُ الْعُرُوقَ، وَيُحَسِّنُ الشَّعْرَ، وَمَثَلُهَا كَمَثَلِ التَّاجِ عَلَى رَأْسِ الْمَلِكِ، وَمَثَلُهَا كَمَثَلِ اللُّؤْلُؤِ وَالْجَوْهَرِ لَا يَدْرِي أَحَدٌ مَا قِيمَتُهُ، وَمَثَلُ الْمَرْأَةِ السُّوءِ كَمَثَلِ السَّيْلِ، لَا يَنْتَهِي حَتَّى يَبْلُغَ مُنْتَهَاهُ، إِذَا تَكَلَّمْتَ أَسْمَعْتَ، وَإِذَا مَسَتْ أَسْرَعَتْ، وَإِذَا قَعَدَتْ رَفَعَتْ، وَكُلُّ دَاءٍ يَبْرَأُ إِلَّا دَاءَ امْرَأَةِ السُّوءِ، تَبْكِي وَهِيَ الظَّالِمَةُ، وَتَحْكُمُ وَهِيَ الْجَائِرَةُ، وَتَنْطِقُ وَهِيَ الْجَاهِلَةُ، وَهِيَ أَفْعَى بِلَدِّهَا.

(٣٧) • يَا بُنَيَّ، سَافِرٌ بِسَيْفِكَ، وَخُفِّكَ، وَعِمَامَتِكَ، وَخِبَائِكَ، وَسِقَائِكَ، وَخِيُوطِكَ، وَمِخْرَزِكَ، وَتَزَوَّدَ مَعَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ مَا تَنْتَفِعُ بِهِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ، وَكُنْ لِأَصْحَابِكَ مُوَافِقًا إِلَّا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

يَا بُنَيَّ، إِذَا سَافَرْتَ مَعَ قَوْمٍ فَأَكْثِرِ اسْتِشَارَتَهُمْ فِي أَمْرِكَ وَأُمُورِهِمْ، وَأَكْثِرِ التَّبَسُّمَ فِي وُجُوهِهِمْ، وَكُنْ كَرِيمًا عَلَى زَادِكَ بَيْنَهُمْ، فَإِذَا دَعَوْكَ

فَأَجِبْهُمْ، وَإِذَا اسْتَعَانُوا بِكَ فَاعْنِهِمْ، وَاسْتَعْمِلْ طُولَ الصَّمْتِ، وَكَثْرَةَ الصَّلَاةِ، وَسَخَاءَ النَّفْسِ بِمَا مَعَكَ مِنْ دَابَّةٍ أَوْ مَاءٍ، أَوْ زَادٍ، وَإِذَا اسْتَشْهَدُوكَ عَلَى الْحَقِّ فَاشْهَدْ لَهُمْ، واجْتَهِدْ رَأْيَكَ لَهُمْ إِذَا اسْتَشَارُوكَ، ثُمَّ لَا تَعْزِمِ حَتَّى تَتَبَّتَ وَتَنْظُرَ، وَلَا تُجِبْ فِي مَشُورَةٍ حَتَّى تَقُومَ فِيهَا وَتَقْعُدَ وَتَنَامَ وَتَأْكُلَ وَتُصَلِّيَ وَأَنْتَ مُسْتَعْمِلٌ فِكْرَتِكَ وَحِكْمَتِكَ فِي مَشُورَتِكَ، فَإِنْ مَنْ لَمْ يَمَحْضِ النَّصِيحَةَ مِنْ اسْتِشَارَةِ سَلْبِهِ اللَّهُ رَأْيَهُ.

وَإِذَا رَأَيْتَ أَصْحَابَكَ يَمْشُونَ فَأَمْشِ مَعَهُمْ، فَإِذَا رَأَيْتَهُمْ يَعْمَلُونَ فاعْمَلْ مَعَهُمْ، واسْمَعْ لِمَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ سِنًا، وَإِذَا أَمْرُوكَ بِأَمْرٍ وَسَأَلُوكَ شَيْئًا فَقُلْ: «نَعَمْ» وَلَا تَقُلْ: «لَا». فَإِنْ «لَا» عَيٌّ وَلَوْمْ.

وَإِذَا تَحَيَّرْتُمْ فِي الطَّرِيقِ فَاَنْزِلُوا، وَإِذَا شَكَّكْتُمْ فِي الْقَصْدِ فَقِفُوا وَتَأَمَّرُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَخْصًا وَاحِدًا فَلَا تَسْأَلُوهُ عَنْ طَرِيقِكُمْ وَلَا تَسْتَرْشِدُوهُ، فَإِنَّ الشَّخْصَ الْوَاحِدَ فِي الْفَلَاةِ مُرِيبٌ، لَعَلَّهُ يَكُونُ عَيْنَ اللَّطُوصِ، أَوْ يَكُونُ هُوَ الشَّيْطَانُ الَّذِي حَيَّرَكُمْ، واحْذَرُوا الشَّخْصَيْنِ أَيْضًا، إِلَّا أَنْ تَرَوْا مَا لَا أَرَى، لِأَنَّ الْعَاقِلَ إِذَا أَبْصَرَ بَعَيْنِهِ شَيْئًا عَرَفَ الْحَقَّ مِنْهُ، وَالشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبَ.

يَا بُنَيَّ، إِذَا جَاءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَلَا تُؤَخِّرْهَا لِشَيْءٍ، صَلِّهَا وَاسْتَرِحْ مِنْهَا، فَإِنَّهَا دَيْنٌ، وَصَلِّ فِي جَمَاعَةٍ وَلَوْ عَلَى رَأْسِ رُجٍّ<sup>(١)</sup>، وَإِذَا أَرَدْتُمْ النُّزُولَ فَعَلَيْكُمْ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ بِأَحْسَنِهَا لَوْنًا، وَالْيَنِيهَا ثُرْبَةً، وَأَكْثَرَهَا عُشْبًا.

وَإِذَا نَزَلْتَ فَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَجْلِسَ، وَإِذَا أَرَدْتَ قَضَاءَ حَاجَتِكَ فَأَبْعِدِ الْمَذْهَبَ فِي الْأَرْضِ.

(١) الرَّجُّ: الْحَدِيدَةُ فِي أَسْفَلِ الرَّمْحِ، وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ الْمِبَالِغَةِ، وَالْمَرَادُ وَلَوْ فِي مَكَانٍ شَدِيدِ الضِّيقِ.



وَإِذَا ارْتَحَلْتَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ ودَّعِ الْأَرْضَ الَّتِي حَلَلْتَ بِهَا، وَسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لِكُلِّ بَقْعَةٍ أَهْلًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَأْكُلَ طَعَامًا حَتَّى تَبْتَدِئَ فَتَتَّصِدَّقَ مِنْهُ فَأَفْعَلْ.

وَعَلَيْكَ بِقِرَاءَةِ كِتَابِ اللَّهِ مَا دُمْتَ رَاكِبًا، وَعَلَيْكَ بِالتَّسْبِيحِ مَا دُمْتَ عَامِلًا عَمَلًا، وَعَلَيْكَ بِالذُّعَاءِ مَا دُمْتَ خَالِيًا، وَإِيَّاكَ وَالسَّيْرَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى آخِرِهِ، وَإِيَّاكَ وَرَفَعَ الصَّوْتِ فِي مَسِيرِكَ.

وبهذا أنتهي من تدبر الدرس الخامس من دروس سورة (لقمان).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١١)

## التدبر التحليلي للدرس السادس من دروس سورة (لقمان) وهو الآيات من (٢٠ - ٢٤)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُوا كَمَا الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُہٗٔ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمِيعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾.

القراءات:

(٢٠) • قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر: [نِعْمَهُ] جَمَعَ

«نِعْمَةً».

وقرأها باقي القراء العشرة: [نِعْمَةً] بالإنفراد، والتَّنْكِير، وهي اسمُ جنس، والمؤدَّى واحد.

(٢٢) • قرأ قَالُون، وأَبُو عَمْرُو، وَالْكَسَائِي: [وَهُوَ] بِإِسْكَانِ الهاء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَهُوَ] بِضَمِّ الهاء.

وَهُمَا نُطْقَانِ عَرَبِيَانِ.

(٢٣) • قرأ نافع: [فَلَا يُحْزِنُكَ] مِنْ فِعْلٍ «أَحْزَنَهُ».

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَلَا يَحْزِنُكَ] مِنْ فِعْلٍ «حَزَنَهُ».

قال الجوهري: «حَزَنَهُ» لغة قريش، و«أَحْزَنَهُ» لغة تميم.

### تمهيد:

في آياتِ هذا الدَّرْسِ بَيَانٌ تَذْكِيرِيٌّ لِلنَّاسِ بِنِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْهِمْ، الَّتِي تَسْتَدْعِي أَنْ يَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا.

وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ بِالْبَاطِلِ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ إِنْذَارِهِمْ بِعَذَابِ السَّعِيرِ.

وفيهَا بَشَارَةٌ لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي يُسَلِّمُ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فِي عِبَادَتِهِ لِرَبِّهِ، بِالْعَاقِبَةِ الْحَسَنَى يَوْمَ الدِّينِ.

وفيهَا تَوْصِيَةٌ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَلِكُلِّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ بِأَنْ لَا يَحْزَنَهُ كُفْرُ مَنْ كَفَرَ، فَالْكَافِرُونَ مَصِيرُهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ، وَهُمْ بِاخْتِيَارِهِمُ الْحَرَّ يَجْنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ إِذْ يَدْفَعُونَ بِهَا إِلَى عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِلنَّاسِ جَمِيعًا، وَالْمَقْصُودُونَ بِالْمَعَالَجَةِ الَّذِينَ لَا يُؤْذُونَ وَاجِبَ شُكْرِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْهِمْ، بَلْ يُشْرِكُونَ بِهِ مَا لَا يَجْلِبُ لَهُمْ نَفْعًا، وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ ضَرًّا:

• ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً .. ﴿٢٠﴾﴾ :

**التَّسْخِيرُ:** التَّذْلِيلُ لِعَمَلٍ مَا، أَوْ لِأَمْرٍ مَا، وَجَعْلُ الشَّيْءِ مُطَاوِعًا لِمَا يُرَادُ مِنْهُ، ضَمَّنَ قَانُونِ تَسْخِيرِهِ، وَهَذِهِ الْمَطَاوِعَةُ قَدْ تَكُونُ بِالطَّبْعِ كَتَسْخِيرِ الْأَشْيَاءِ، وَقَدْ تَكُونُ بِالْقُوَّةِ، كَتَسْخِيرِ الْعُجَمَاوَاتِ، وَقَدْ تَكُونُ بِالِاخْتِيَارِ الْحَرِّ لِمَا فِي الْمَطَاوِعَةِ مِنْ مَصْلَحَةٍ لِلْمَطَاوِعِ.

**الإِسْبَاغُ:** الإِتِمَامُ، وَالتَّوْسِيعَةُ، وَإِطَالَةُ الشَّيْءِ، يُقَالُ لُغَةً: «أَسْبَغَ الثَّوبَ» أَي: وَسَّعَهُ، وَيُقَالُ: «أَسْبَغَ لَهُ فِي النَّفَقَةِ» أَي: وَسَّعَ عَلَيْهِ فِيهَا، وَيُقَالُ: «أَسْبَغَ اللَّهُ عَلَيْكَ النِّعْمَةَ» أَي: أَكْمَلَهَا وَأَتَمَّهَا.

• ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾: اسْتَفْهَامٌ يُحْمَلُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ الْمُخَاطَبِينَ عَلَى التَّقْرِيرِ، وَيُحْمَلُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِهِمْ عَلَى التَّلْوِيمِ وَالتَّثْرِيبِ وَالتَّعْنِيفِ، وَيُحْمَلُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِهِمْ عَلَى الْحَثِّ وَالْحِضِّ حَتَّى يَرَوْا رُؤْيَا شَامِلَةً لِلرُّؤْيَا الْفِكْرِيَّةِ وَالرُّؤْيَا الْعَيْنِيَّةِ الْمَشَاهِدِيَّةِ.

• ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: أَي: سَخَّرَ بِتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ مُسَخَّرَاتٍ لَكُم فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

• الشَّمْسُ مُسَخَّرَةٌ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وَخَلْقِهِ وَمُتَابَعَتِهِ الدَّائِمَةِ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، لِمَنَافِعِ النَّاسِ وَالْأَحْيَاءِ الْأُخْرَى فِي الْأَرْضِ.

• وَالْقَمَرُ مُسَخَّرٌ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وَخَلْقِهِ وَمُتَابَعَتِهِ الدَّائِمَةِ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، لِمَنَافِعِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ، وَكُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ مُسَخَّرٌ لِلنَّاسِ.

• وَالرِّيَّاحُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لِلنَّاسِ فِي الْأَرْضِ.

• وَالنُّجُومُ الْقَرِيبَةُ وَالْبَعِيدَةُ مُسَخَّرَاتٌ كَذَلِكَ.

• إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا نُدْرِكُ كَوْنَهُ مُسَخَّرًا، وَلَا نُدْرِكُ فِينَا آثَارَ هَذَا

التَّسْخِيرِ، وَمِنَ التَّسْخِيرِ نِظَامُ الْجَاذِبِيَّاتِ الضَّابِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ مِنْ أَذْنَاهُ إِلَيْنَا، إِلَى أَقْصَاهُ عَنَّا.

• ﴿وَأَسْغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهَرَةً وَبَاطِنَةً﴾: أي: وَأَتَمَّ وَأَكْمَلَ وَوَسَّعَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ نِعْمَهُ الْكَثِيرَةَ، الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُونَ إِحْصَاءَهَا، حَالَةً كَوْنِ هَذِهِ النِّعَمِ ظَاهِرَةً مَشْهُودَةً لَكُمْ، وَبَاطِنَةً لَا تُشَاهِدُونَهَا بِأَبْصَارِكُمْ، فَنِعْمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قِسْمَانِ:

• قِسْمٌ ظَاهِرٌ مَشْهُودٌ لَكُمْ.

• وَقِسْمٌ بَاطِنٌ لَا تَرَوْنَهُ، وَلَدَى الْبَحْثِ وَالتَّتَبُّعِ نُذْرِكَ أَنَّ نِعَمَ اللَّهِ الْبَاطِنَةَ أَكْثَرُ مِنْ نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ، وَبَعْضُهَا أَجَلٌ وَأَعْظَمُ مِنْ نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ الْمَنْظُورَةِ، وَمِنَ النِّعَمِ الْبَاطِنَةِ الْجَلِيلَةِ قُدْرَاتُ الْفَهْمِ وَالتَّفْكِيرِ، وَالرُّوحِ، وَالْمَشَاعِرِ وَالْعَوَاطِفِ النَّفْسِيَّةِ.

وَمِنَ النِّعَمِ الْبَاطِنَةِ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي كَوْنِهِ مِنْ كَائِنَاتٍ مُسَخَّرَاتٍ لِحِمَايَةِ النَّاسِ وَحِفْظِهِمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّنًا جُحُودَ الْكَافِرِينَ بِرَبِّهِمْ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ شُرَكَاءَ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ بِالْبَاطِلِ، وَيُجَادِلُونَ لِتَزْيِينِ بَاطِلِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ:

﴿... وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلَوْ كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾:

أي: وَيُوجَدُ مِنَ النَّاسِ كُفَّارٌ بِرَبِّهِمْ عَلَى الرُّغْمِ مِنْ كُلِّ الْبَرَاهِينِ وَالْأَدْلَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْآيَاتِ الْكُونِيَّةِ، الدَّلَالَةِ عَلَى رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ فِيهَا، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَيَلْزَمُ عَنْ هَذَا عَقْلًا أَنَّهُ وَاحِدٌ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَهَؤُلَاءِ لَا يُؤَدُّونَ وَاجِبَ الشُّكْرِ لَهُ، بَلْ يَلْتَمِسُونَ عِنْدَ إِلَهَتِهِمُ الَّتِي افْتَرَوْهَا

جَلَبَ مَنَافِعَ لَهُمْ، وَدَفَعَ مَضَارَّ عَنْهُمْ، وَيَسْتَمْسِكُونَ بِعَقَائِدَ بَاطِلَةٍ وَاضِحَةٍ  
الْبُطْلَانِ، مُضَادَّةٍ لِمَا يَجِبُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ،  
وَوَاجِبِ شُكْرِهِ بِإِفْرَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ، وَاتِّبَاعِ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ.  
وَهَؤُلَاءِ الْكَفَرَةُ مِنَ النَّاسِ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ لِتَزِينِ عَقَائِدِهِمُ الْبَاطِلَةَ،  
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ.

إِنَّ وَسَائِلَ اكْتِسَابِ الْمَعْرِفَةِ بِالنَّسَبَةِ إِلَى النَّاسِ تَرْجِعُ إِلَى ثَلَاثَةِ  
جُذُورٍ:

**الجذر الأول:** مَا يُكْتَسَبُ بِهِ عِلْمٌ جَلِيٌّ، وَلَهُ طَرِيقَانِ: طَرِيقُ الْإِذْرَاكِ  
الْحِسِّيِّ، وَطَرِيقُ الْبُرْهَانِ الْعَقْلِيِّ، الْمُسْتَنِدِ إِلَى مُقَدِّمَاتٍ عَقْلِيَّةٍ ذَوَاتِ  
دَلَالَاتٍ قَطْعِيَّةٍ، كَالْحِسَابِيَّاتِ، وَالْهَنْدَسِيَّاتِ، وَالتَّنَائِجِ الْعَقْلِيَّةِ الْمُبْنِيَّةِ عَلَى  
الْبَدْهِيَّاتِ، وَمِنْهَا الْوَاجِبَاتُ الْعَقْلِيَّةُ، وَالْمُسْتَحِيلَاتُ الْعَقْلِيَّةُ، وَالْجَائِزَاتُ  
الْعَقْلِيَّةُ.

وَيُظْهَرُ لِي أَنَّ هَذَا الَّذِي أَطْلَقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ «عِلْمٌ» فِي هَذِهِ الْآيَةِ،  
وَفِي نَظِيرِهَا فِي سُورَةِ (الحج/ ٢٢ مصحف/ ١٠٣ نزول) فِي الْآيَةِ (٨)  
مِنْهَا. هُوَ لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَ وَسَائِلِ الْمَعْرِفَةِ، وَلَيْسَ هَذَا فِي كُلِّ مَا أَطْلَقَ اللَّهُ  
عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ عِلْمٌ.

**الجذر الثاني:** مَا يُكْتَسَبُ بِهِ عِلْمٌ تَجْرِبِيٌّ، نَاتِجٌ عَنْ تَجَارِبِ  
مُتَكَرِّرَةٍ، كَالطَّبِيبَاتِ، وَالْغَذَائِيَّاتِ، وَالزَّرَاعِيَّاتِ، وَالصَّنَاعِيَّاتِ، وَالْإِدَارِيَّاتِ،  
وَالْحَرَبِيَّاتِ، وَالتَّرَبُّوِيَّاتِ، وَنَحْوَهَا.

وَيُظْهَرُ لِي أَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي أَطْلَقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ «هُدًى» فِي الْآيَتَيْنِ،  
لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَ وَسَائِلِ اكْتِسَابِ الْمَعْرِفَةِ، لِأَنَّ أَصْحَابَ التَّجَارِبِ يَهْتَدُونَ إِلَى  
الْأَفْضَلِ وَالْأَكْثَرِ صَوَاباً مِنْ خِلَالِ تَجْرِبَاتِهِمُ الْمُتَكَرِّرَاتِ وَالْمَتَنَوِّعَاتِ،  
وَبِالتَّنَوُّعِ وَالتَّكْرِيرِ يَهْتَدُونَ إِلَى الْأَفْضَلِ، وَالْأَكْثَرِ صَوَاباً وَاقْتِرَاباً مِنَ الْكَمَالِ  
الْمَطَابِقِ لِلْعِلْمِ الْيَقِينِيِّ الْجَلِيِّ.

الجذر الثالث: مَا يُكْتَسَبُ بِهِ عِلْمٌ خَبْرِيٌّ، آتٍ عَنْ طَرِيقِ كِتَابٍ مُنِيرٍ الدَّلَالَاتِ، صَحِيحِ الثَّبُوتِ لِمُصَدِّرٍ يُحْتَجُّ بِأَقْوَالِهِ وَبَيِّنَاتِهِ عَقْلًا.

وَالكِتَابُ الَّذِي يُحْتَجُّ بِهِ عَقْلًا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَرُبوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَنْقُولًا نَقْلًا صَحِيحًا عَنْ رَسُولٍ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ الصَّادِقِينَ الْمُؤَيَّدِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ الْبَاهِرَاتِ، وَالْمُبْلَغِينَ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ مِنْ رِسَالَاتٍ.

وَيُظْهِرُ لِي أَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي أَطْلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ فِي الْآيَتَيْنِ، «أَنَّهُ كِتَابٌ مُنِيرٌ» للتفريق بَيْنَ وَسَائِلِ اكْتِسَابِ الْمَعْرِفَةِ.

وَالْكَفَرَةُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ مِنْ مُشْرِكِينَ وَغَيْرِهِمْ يُجَادِلُونَ بِالْبَاطِلِ، مُسْتَحْدِمِينَ زُخْرَفًا مِنَ الْقَوْلِ قَائِمًا عَلَى الْمَغَالِطَاتِ، وَالْأَكَاذِيبِ، وَاسْتِرْضَاءِ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ، وَمَطَالِبِ النُّفُوسِ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَلَا يُقَدِّمُونَ أَدِلَّةً حَسِيَّةً، وَلَا بَرَاهِينَ عَقْلِيَّةً، وَلَا تَجَرِبَاتٍ مَقْرُونَاتٍ بِنَتَائِجِ صَحِيحَةٍ صَادِقَةٍ، وَلَا خَبْرًا صَادِقًا عَنْ رَسُولٍ مَعْصُومٍ فِي كِتَابٍ مُنِيرٍ.

وَهَؤُلَاءِ يُكَابِرُونَ فِي جَدَلِيَّاتِهِمْ، وَيَسْتَحْدِمُونَ مُخْتَلِفَ الْوَسَائِلِ الْإِغْرَائِيَّةِ الْإِغْوَائِيَّةِ الْخِدَاعِيَّةِ، لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، وَلِيُضِلُّوا عَنْهُ الَّذِينَ لَدَيْهِمُ الْاسْتِعْدَادُ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ، وَلِيُجَنِّدُوا الْأَشْرَارَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فِي جَيْشِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ.

وَمِنْ حُجَجِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ، الَّتِي لَا تَعْتَمِدُ عَلَى دَلِيلٍ مَقْبُولٍ عَقْلًا، مِنْ مَسَلِكٍ مِنْ مَسَالِكِ اكْتِسَابِ الْمَعْرِفَةِ الصَّحِيحَةِ، قَوْلُهُمْ: إِنَّا نَنْبُعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا...﴾ . ﴿٢٠﴾

أي: وإذا قيل لهؤلاء الكفرة المشركين المقلدين لإبائهم: اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ حَقَائِقِ إِيمَانِيَّةٍ، وَشَرَائِعِ وَأَحْكَامِ سُلُوكٍ نَافِعٍ فِي الْحَيَاةِ،

وَمُسْعِدٍ لَّكُمْ بَعْدَ الْمَمَاتِ، قالوا: لَا نَتَّبِعُ مَا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ، بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا مِنْ عَقَائِدَ شَرِكِيَّةٍ، وَسَلُوكٍ تَعْبُدِيٍّ لِأَوْثَانِنَا، وسائر أنواع السلوك في الحياة.

مِنَ الظَّاهِرِ أَنَّ هَذَا رَدُّ عِنَادِيٍّ، لَا يَعْتَمِدُ عَلَى مِيزَانٍ عَقْلِيٍّ يَفْتَضِيهِ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْآيَةِ تَعْلِيمُ الرَّدِّ الْمَفْحَمِ لَهُمْ، يَرُدُّ بِهِ عَلَيْهِمُ الدَّاعِيَ إِلَى اللَّهِ مُفْصَلًا وَشَارِحًا، وَهُمْ يَسْمَعُونَهُ مِنْ تِلَاوَةِ الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿.. أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ۖ﴾

أي: أَيْعَانِدُونَ مُصْرِيْنَ عَلَى اتِّبَاعِ آبَائِهِمْ وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ بِالْإِضْرَارِ عَلَى هَذَا الْإِتِّبَاعِ إِلَى عَذَابِ أَلِيمٍ فِي النَّارِ الْمَوْقَدَةِ يَوْمَ الدِّينِ.

الْإِتِّبَاعُ: سَيْرُ التَّابِعِ فِي أَثَرِ مَتَّبِعِهِ، وَتَقْلِيدُ الْمُقْتَدِي إِمَامَهُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَطَاعَتُهُ فِي أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَالِاسْتِجَابَةُ لَهُ فِي دَعْوَتِهِ، وَالِاجْتِهَادُ فِي تَطْبِيقِ وَصَايَاهُ.

وَجَاءَ فِي سُورَةِ (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول) قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْمُقَلِّدِينَ أَيْضًا تَقْلِيدًا أَعْمَى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۖ﴾

﴿أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: أَيُّ: وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا.

وَبَيَّنَ هَذِهِ الْآيَةُ، وَآيَةُ سُورَةِ (لُقْمَان) تَكَامُلٌ فِي تَعْلِيمِ الرَّدِّ عَلَى الْمُقَلِّدِينَ تَقْلِيدًا أَعْمَى، فَآيَةُ سُورَةِ (البقرة) تَكْشِفُ وَصْفًا يَتَعَلَّقُ بِالْآبَاءِ، وَهُوَ اخْتِمَالُ أَنْ يَكُونَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا مِنْ حَقَائِقِ الْعِلْمِ، وَلَا يَهْتَدُونَ عَنْ طَرِيقِ التَّجَارِبِ الْمُتَكَرِّرَةِ إِلَى مَا هُوَ الْأَفْضَلُ وَالْأَكْثَرُ صَوَابًا،

إِذْ كُلُّ هَمِّهِمْ مُنْصَرِفٌ إِلَىٰ إِرْضَاءِ غَرَائِزِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَائِهِمْ وَمَا يَسْتَنْزِلُهُمْ إِلَى الْأَثَامِ مِنْ مُغْرِبَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَكَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ تَأْخِيرُ هَذَا الرَّدِّ إِلَى أَوَائِلِ الْعَهْدِ الْمَدَنِيِّ، وَإِنْزَالُهُ فِي سُورَةِ (البقرة) أَوَّلِ سُورَةِ مَدَنِيَّةٍ، لئَلَّا يُثِيرَ عَصِيَّةَ مُشْرِكِي مَكَّةَ لِأَبَائِهِمْ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْقُوَّةِ وَالسُّلْطَانِ فِيهَا، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَئِذٍ مُضْطَّهِدِينَ فِيهَا، فَيَزِيدُوا فِي اضْطِهَادِهِمْ لَهُمْ، أَوْ يُعْلِنُوا الْحَرْبَ ضِدَّهُمْ وَضِدَّ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ قُدْرَةٌ عَلَى مُقَاتَلَتِهِمْ ضِمَّنِ الْأَنْظِمَةِ السَّيِّئَةِ لِلْمُوَاجَهَاتِ الْحَرْبِيَّةِ، وَلَيْسَ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ حِينَئِذٍ أَنْ يَتَدَخَّلَ بِالْمُعْجَزَاتِ لِنَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ.

«الواو» بَعْدَ هَمَزَةٍ الاسْتِفْهَامِ فِي ﴿أَوَلَوْ كَانَتْ﴾ فِي آيَتِي سُورَةِ «لُقْمَانَ» وَسُورَةِ «البقرة» تَعْطِفُ عَلَى مَحْذُوفٍ، مِنَ السَّهْلِ اسْتِخْرَاجُهُ ذَهْنًا. وهو: أَيْعَانِدُونَ مُصْرِيْنَ عَلَى اتِّبَاعِ آبَائِهِمْ وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ، وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّنًا حَالَةَ مَنْ يُسَلِّمُ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ، مَعَ الْإِلْمَاحِ إِلَى ثَوَابِهِ الْعَظِيمِ عِنْدَ رَبِّهِ، فِي مُقَابَلِ الْكَافِرِ الْمُعَانِدِ الْمَجَادِلِ بِالْبَاطِلِ:

• ﴿وَمَنْ يُسَلِّمِ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عِاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٢٢):

اسْتَمْسَكَ: أَي: أَمْسَكَ بِشِدَّةٍ وَقُوَّةٍ قَابِضًا.

الْعُرْوَةُ: مَدْخَلُ الزَّرِّ فِي الثَّوْبِ، وَدَائِرَةٌ مِنَ الْحَبْلِ تُعْقَدُ فِي وَسْطِهِ لِرَبْطِ شَيْءٍ مَا بِهَا أَوْ تَعْلِيْقِهِ. وَعُرْوَةُ الْكُوزِ أَوْ الْإِبْرِيْقِ أَوْ الْكَأْسِ مَا يُوَضَعُ عِنْدَ صُنْعِهِ فِي جَانِبِهِ وَيُقْبَضُ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَيُحْمَلُ بِهِ.

وَتُطْلَقُ الْعُرْوَةُ بِطَرِيقِ الاسْتِعَارَةِ عَلَى مَا يُسْتَمْسَكَ بِهِ مِنْ عَقَائِدَ وَمَفْهُومَاتٍ وَقَوِيٍّ غَيْبِيَّةٍ، وَعَلَى مَا يُعْتَصَمُ بِهِ.



الْوُثْقَى: مُؤَنَّثُ «الْأُوثَق» أَي: الْعُرْوَةُ الْأَشَدُّ إِحْكَامًا وَتَوْثِيقًا.

إِسْلَامُ الْوَجْهِ لِلَّهِ: كِنَايَةٌ عَنِ انْقِيَادِ الْإِنْسَانِ صَاحِبِ الْوَجْهِ، مِنْ قَبْلِ وَجْهِهِ فِي مَسِيرَتِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ.

فَالْإِنْسَانُ يَسِيرُ فِي حَيَاتِهِ فِي الْإِتِّجَاهِ الَّذِي يُوجِّهُ لَهُ وَجْهُهُ، وَلَا يَسِيرُ إِلَى جِهَةٍ دُبِّرَ تَرَاجُعًا، وَلَا إِلَى جِهَةٍ يَمِينِهِ أَوْ يَسَارِهِ مَعَ بَقَاءِ وَجْهِهِ مُتَّجِهًا إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى، فَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهُهُ لِلَّهِ انْقَادًا لِأَوْامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ انْقِيَادًا تَامًا، فِي مَسِيرَتِهِ الْإِبْتِلَائِيَّةِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ.

• ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾: أَي: وَمَنْ يَكُنْ مُنْقَادًا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ لِأَوْامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ مِنْ قَبْلِ وَجْهِهِ طَائِعًا مُخْتَارًا.

«مَنْ» شَرْطِيَّةٌ «يُسْلِمُ» فَعْلٌ الشَّرْطُ مجزوم.

• ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ، أَي: وَالْحَالُ أَنَّهُ مُحْسِنٌ عِبَادَتَهُ وَطَاعَتَهُ لِرَبِّهِ، مِنْ أَهْلِ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ، وَهُمْ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ، وَمَرْتَبَةُ الْإِحْسَانِ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْمُؤْمِنِينَ.

• ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾: أَي: فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِأَوْثَقِ الْعُرَى، الْمُوَصَّلَةِ إِلَى الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

• ﴿... وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾: أَي: وَبَعْدَ حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ الَّتِي يَمْنَحُ اللَّهُ فِيهَا الْمَوْضُوعِينَ مِنَ الْخَلَائِقِ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ حُرِّيَّاتِ اخْتِيَارِ أَعْمَالِهِمْ، وَيَخْلُقُ لَهُمْ مَا يُرِيدُونَ مِنْهَا، مَا لَمْ تَتَعَارَضْ مَعَ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ السَّابِقِينَ، يَسْلُبُهُمُ اللَّهُ حُرِّيَّاتِهِمْ، وَمَا كَانُوا يَرَوْنَ لِنُفُوسِهِمْ مِنْ قُدْرَاتٍ عَلَى التَّصَرُّفِ فِيمَا كَانَ مُسَخَّرًا لَهُمْ، وَتَكُونُ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ عَاقِبَتُهَا.

هُوَ الَّذِي يُحَاسِبُ، وَهُوَ الَّذِي يَحْكُمُ وَيَقْضِي، وَهُوَ الَّذِي يُجَازِي،  
وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ تَصَرُّفٌ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ.

عاقبة كل شيء أو أمر: هو ما يأتي عقبه، مُبَاشَرَةً، أو بَعْدَ فَاصلٍ  
زَمَنِيّ.

هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ (٢٢) مِنْ سُورَةِ (لُقْمَانَ)  
بِشَأْنِ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ، جَاءَ بَيَانُهُ فِي نَصِّينِ آخَرَيْنِ، وَهُمَا  
نَصَّانِ مَدْنِيَا التَّنْزِيلِ.

(١) • فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول)  
بِشَأْنِ مَقَالَةٍ قَالَهَا الْيَهُودُ، وَقَالَهَا النَّصَارَى:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ  
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٣﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ  
مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٤﴾﴾.

هُودًا: هُمُ الْيَهُودُ. وَهُوَ جَمْعُ «هَائِدٍ» بِمَعْنَى التَّائِبِ الرَّاجِعِ إِلَى  
الْحَقِّ.

﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾: أَي: فَلَهُ أَجْرُهُ الْمَلَائِمُ بِفَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
لِإِحْسَانِهِ فِي عِبَادَتِهِ لَهُ.

(٢) • وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول):

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ  
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ  
وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾.

فجاء في الآية (١٢٤) مِنْ هَذَا النَّصْرِ بَيَانٌ عَنِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَمْ  
يَرْتَقِ إِلَى مَرْتَبَةِ الْمُحْسِنِينَ بَأَنَّهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَيُمنَحُ مِنَ الثَّوَابِ بِفَضْلِ اللَّهِ

فِيهَا شَيْئًا عَظِيمًا. وَلَا يُظْلَمُ قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِذَا حُوسِبَ  
وُجُوزِي عَلَى مَعَاصِيهِ وَلَمْ يُعْفَرْ لَهُ مِقْدَارٌ نَقِيرٍ.

النَّقِيرُ: نُقْرَةٌ فِي خَشَبَةٍ، أَوْ حَجَرٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، تُنْقَرُ بِأَدَاةٍ مَا مِنْ  
حَدِيدٍ أَوْ غَيْرِهِ، مَهْمَا كَانَتْ صَغِيرَةً لَا تَتَّسِعُ لِنَمْلَةٍ صَغِيرَةٍ.

وَالْمَرَادُ: لَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا مَهْمَا كَانَ هَذَا الشَّيْءُ صَغِيرًا، كَنَقِيرٍ  
أَحَدْتُهُ فِي سَطْحٍ مَا، مِنْقَارُ كِرَاسٍ مِنْقَارٍ عُصْفُورٍ صَغِيرٍ، أَوْ غَيْرِهِ مِنْ ذِي  
أَدَاةٍ نَاقِرَةٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الصُّغْرَى.

وَجَاءَ فِي الْآيَةِ (١٢٥) مِنْ هَذَا النَّصِّ بَيَانٌ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَحْسَنُ دِينًا  
مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ. فَذَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ لَفْظَةَ  
«مُحْسِنٍ» مُرَادٌ بِهَا مَنْ بَلَغَ دَرَجَةَ الْإِحْسَانِ، وَهِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْمُؤْمِنِينَ،  
الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خِطَابًا لِرَسُولِهِ مُرَبِّيًا، وَيُلْحَقُ بِهِ كُلُّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ  
وَالِئِ سَبِيلِهِ مِنْ أُمَّتِهِ ﷺ، بِشَأْنِ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ وَلَا يَسْتَجِيبُونَ لِلدَّعْوَةِ:

• ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنْكَ كُفْرُهُ﴾ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ  
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٣﴾ نُنَبِّئُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٣٤﴾:

تَكَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ التَّوْبِيُّ لِلرَّسُولِ، وَيُلْحَقُ بِهِ الدَّعَاةُ  
إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ، وَجَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ بَأَنَّهُ لَا يَحْزَنُ مِنْ أَجْلِ كُفْرِ الَّذِينَ  
يَكْفُرُونَ، فِي مَنَاسِبَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ.

فَفِي مَنَاسِبَةٍ مَشَاعِرِ حُزْنِهِ مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ مِنْ عَشِيرَتِهِمُ الْأَقْرَبِينَ  
أَوْصَاهُ اللَّهُ بِأَنَّهُ لَا يَحْزَنُ مِنْ أَجْلِهِمْ، إِذْ هُمْ مَوْضُوعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
مَوْضِعَ امْتِحَانٍ إِرَادَاتِهِمْ الْحُرَّةَ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ.

وَفِي مَنَاسِبَةٍ مَشَاعِرِ حُزْنِهِ لِأَنَّ جُمْهُورَ قَوْمِهِ فِي مَكَّةَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا

لِدَعْوَتِهِ، وَهُمْ يَعْمَلُونَ عَلَى اضْطِهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، أَوْصَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ لَا يَحْزَنَ، وَالْمَحْ إِلَيْهِ بِأَنْ اللَّهُ نَاصِرُهُ وَنَاصِرُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ.

وَفِي مُنَاسَبَةِ حُزْنِهِ لِأَنْ كُبرَاءَ قَوْمِهِ اتَّهَمُوهُ بِأَنَّهُ كَاذِبٌ، أَوْ شَاعِرٌ، أَوْ مَجْنُونٌ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، أَوْصَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ لَا يَحْزَنَهُ قَوْلُهُمْ، وَأَبَانَ لَهُ أَنَّهُ سَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرُهُ عَلَيْهِمْ، وَيُذِلُّهُمْ.

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مُنَاسِبَاتٍ.

وَفِي هَذَا النِّصْرِ مِنْ سُورَةِ (لُقْمَانَ) أَوْصَاهُ اللَّهُ بِأَنْ لَا يَحْزَنَهُ كُفْرُ الَّذِينَ يُمْتَنِعُهُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فِي حِينٍ أَنَّ أَكْثَرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ يُعَانُونَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ وَالضَّعْفِ، وَبَشَّرَهُ بِأَنْ هَؤُلَاءِ الْكَافِرَةُ سَيَمْتَنِعُهُمْ قَلِيلًا بِمَتَاعَاتِ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لَكِنَّ مَصِيرَهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ يَوْمَ الدِّينِ، بِخِلَافِ أَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ وَدَرَجَاتِهِمْ فِيهَا.

• ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهَا﴾ وَفِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى: [فَلَا يَحْزَنُكَ]: أَي: وَمَنْ كَفَرَ مِنْ قَوْمِكَ فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَتِكَ، وَكَذَّبَكَ فِيمَا تُبَلِّغُ عَنْ رَبِّكَ، مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ سَعَةٍ فِي مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بِخِلَافِ حَالِ الَّذِينَ آمَنُوا بِكَ وَاتَّبَعُوكَ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْمَكِّيَّةِ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ.

الْحُزْنُ: مَشَاعِرُ أَلَمٍ فِي النَّفْسِ بِسَبَبِ فَوَاتِ مَحْبُوبٍ أَوْ مَرْغُوبٍ فِيهِ، أَوْ بِسَبَبِ مَكْرُوهِ نَازِلٍ أَوْ مُتَوَقَّعٍ التَّزُولِ قَرِيبًا، وَرُبَّمَا يَكُونُ بَعِيدًا.

• ﴿إِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ﴾: أَي: إِلَى حِسَابِنَا، وَفَضْلِ قَضَائِنَا، وَتَنْفِيذِ جَزَائِنَا مَرْجِعُهُمْ، حِينَ نَبْعَثُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ مُدَّةِ الْبَرَزَخِ، لِيَلْقُوا الْحَيَاةَ الْآخِرَةَ الَّتِي لَا مَوْتَ فِيهَا، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِيهَا حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ، بَلْ يَكُونُونَ مَجْبُورِينَ، مَدْفُوعِينَ بِالْاضْطِرَارِ إِلَى مَصَائِرِهِمْ، الَّتِي تَقْتَضِيهَا مُكْتَسَبَاتُهُمْ الَّتِي قَدَّمُوهَا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. يَتَحَدَّثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ.

• ﴿فَنَنْتِهِمْ بِمَا عَمِلُوا﴾: أي: فَنُخَبِّرُهُمْ بِمَا عَمِلُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فِي مَحْكَمَةِ الْعَدْلِ الَّتِي نَقِيْمُهَا لَهُمْ، هَذَا الْإِنْبَاءُ أَحَدُ فِقَرَاتِ الْمُحَاكَمَةِ الَّتِي يُجْرِيهَا اللَّهُ لَهُمْ، وَذَكَرَهَا يُعْتَبَرُ كِنَايَةً عَنْ سَائِرِ فِقَرَاتِ الْمُحَاكَمَةِ.

• ﴿.. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٢٣): أي: وَنَكْشِفُ مَا كَانُوا يُضْمِرُونَ وَيَكْتُمُونَ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ سَرَائِرٍ يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يَكُونُوا بِهَا خَالِدِينَ فِي عَذَابِ الْجَحِيمِ.

ذَاتُ الصُّدُورِ: هِيَ صَاحِبَةُ الصُّدُورِ، وَهِيَ السَّرَائِرُ.

وَقَدْ جَاءَ مُصَرِّحاً بِهِ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الطَّارِق/ ٨٦) مَصْحَف/ ٣٦ نزول):

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾.

السَّرَائِرُ: جَمْعُ «السَّرِيرَةِ» وَهِيَ مَا يَكْتُمُهُ الْإِنْسَانُ وَيُخْفِيهِ، وَمِنْ السَّرَائِرِ النَّيَاتُ مِنْ وَرَاءِ الْأَعْمَالِ.

• ﴿نُنْتِجُهُمْ قَلِيلًا﴾: أي: نُعْطِيهِمْ مِمَّا يُحِبُّونَ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَتَاعًا قَلِيلًا فِي مِقْدَارِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَقَلِيلًا فِي زَمَانِهِ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْخُلُودِ الْأَبَدِيِّ يَوْمَ الدِّينِ.

إِنَّهَا رِحْلَةُ امْتِحَانٍ، وَمِنْ الْحِكْمَةِ أَنْ يَنَالَ الْمُتَمَتِّحُنْ حُظُوظَهُ الْمَقْسُومَةَ لَهُ مُدَّةَ امْتِحَانِهِ.

• ﴿.. ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٢٤):

﴿نَضْطَرُّهُمْ﴾: أي: نُلْجِئُهُمْ بِالْجَبْرِ، دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ اخْتِيَارٌ، وَدُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ قُدْرَةٌ عَلَى دَفْعِ شَيْءٍ مِمَّا يُلْجَأُونَ إِلَيْهِ.

﴿إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: أي: شَدِيدُ الْإِيلَامِ. الْغَلِيظُ فِي اللُّغَةِ: خِلَافِ الرَّقِيقِ فِي الْمَادِّيَّاتِ، وَالْعَصَا الْغَلِيظَةُ: هِيَ الْعِظِيمَةُ الْقَوِيَّةُ الْمَوْجِعَةُ فِي

الضَّرْب. وَاسْتُعْمِلَ اللَّفْظُ فِي الْمَعْنَوِيَّاتِ، فَيُقَالُ: أَمْرٌ غَلِيظٌ، أَيْ: شَدِيدٌ صَعْبٌ، وَعَذَابٌ غَلِيظٌ: أَيْ: شَدِيدٌ الْإِيلَامُ.

فَالْمَعْنَى: ثُمَّ بَعْدَ الْبَعْثِ، وَالْحِسَابِ وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، نُلْجِئُهُمْ بِالْجَبْرِ وَالْإِكْرَاهِ، إِلَى جَهَنَّمَ لِنَلَّأُوا فِيهَا عَذَابًا غَلِيظًا شَدِيدًا الْإِيلَامُ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس السادس من دروس سورة (لقمان).  
والحمد لله على معونته ومدده وتوفيقه وفتحته.



(١٢)

## التدبر التحليلي للدرس السابع من دروس سورة (لقمان) وهو الآيتان (٢٥) و (٢٦)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾.

تمهيد:

لَمَّا كَانَتِ السُّورَةُ تَشْتَمِلُ فِيمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ عَلَى مُعَالَجَةِ الْمُشْرِكِينَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ إِلَهَتَهُمْ لَهَا رُبُوبِيَّةٌ مَا فِي الْأَرْضِيَّاتِ، كَقَضَايَا الرِّزْقِ، وَالتَّوْفِيقِ فِي الْأَسْفَارِ، وَالْحِمَايَةِ وَالنَّصْرِ لِعَابِدِيهَا عَلَى أَعْدَائِهِمْ، كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ تَقْرِيرُهُمْ بِشَأْنِ عَقِيدَتِهِمْ فِي خَلْقِ اللَّهِ لِلْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالانْطِلَاقِ مِنْهَا إِلَى إِبْثَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ مِنْ أَقْصَاهُ إِلَى أَقْصَاءِ، وَمِنْ ذَلِكَ رُبُوبِيَّتُهُ لِأَرْزَاقِهِمْ، وَمَرْضِهِمْ، وَصَحَّتِهِمْ،

وَنَضْرِهِمْ وَهَزِيمَتِهِمْ، وَكُلَّ التَّصَارِيفِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِهِمْ، مِمَّا فِيهِ نَفْعُهُمْ أَوْ ضَرُّهُمْ.

فَالْمَنْهَجُ الْجَدَلِيُّ يَجِبُ أَنْ يَبْدَأَ مِنْ قَاعِدَةٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهَا لَدَى الْمُتَحَاوِرِينَ الْمُتَنَاطِرِينَ، وَالْإِنْطِلَاقِ مِنْهَا إِلَى مَا بَعْدَهَا مُبَاشَرَةً مِمَّا هُمَا مُخْتَلِفَانِ فِيهِ، وَهَذَا مِنْ أُسُسِ الْحَوَارِ السَّوِيِّ الْمُجْدِي، نَزَلَ بِهِ تَعْلِيمُ رَبَّانِيٍّ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُعَلِّمًا حِوَارًا جَدَلِيًّا لِلْمَشْرِكِينَ:

● ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾ (٢٥)

أَي: نُوَكِّدُ لَكَ أَيُّهَا الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ وَإِلَى وَحْدَانِيَّتِهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ، أَنَّ الْمَعَانِدِينَ مِنَ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى أَنْ يَتَّبِعُوا مَا وَجَدُوا عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ مِنْ شِرْكٍ وَلَوَازِمِهِ فِي السُّلُوكِ، إِنْ سَأَلْتَهُمْ فِي حِوَارِ جَدَلِيٍّ؛ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ لَيَقُولُنَّ بِتِلْقَائِيَّةٍ حَاضِرَةٍ فِي أَذْهَانِهِمْ دُونَ إِبْطَاءٍ: اللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.

فَإِذَا أَقْرَأُوا بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ فَأَعْلِنُ مَعَهُمُ الْإِتِّفَاقَ عَلَيْهَا، وَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَي: كُلُّ الشَّأْنِ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ هُوَ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

وَاعْتِرَافَهُمْ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ ذُو لَوَازِمَ فِكْرِيَّةٍ تَهْدِي إِلَى أَنَّ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، هُوَ الْمُتَصَرِّفُ دَوَامًا بِالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكُلِّ مَا فِيهِمَا وَكُلِّ مَنْ فِيهِمَا، فَلَا يَجْرِي شَيْءٌ فِيهِمَا وَلَا فِي أَيِّ كَائِنٍ فِيهِمَا إِلَّا هُوَ خَاضِعٌ لِتَصَارِيفِ رُبُوبِيَّتِهِ وَحْدَهُ.

●... بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾: أَي: بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَ مَا وَهَبَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ مَوَازِينَ عَقْلِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ، لِإِدْرَاكِ أَنَّ الْخَالِقَ الرَّبَّ لَا

يُمْكِنُ أَنْ يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي رُبُوبِيَّتِهِ لِمَا خَلَقَ، فِي تَصَارِيفِهِ وَهَيْمَنَتِهِ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا هُوَ خَلَقَهُ وَمَلَكَهُ.

فَعَلَى الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكْشِفَ لَهُمْ فِي حِوَارِهِ وَمُنَاطَرَتِهِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ عَقْلاً أَنْ يَتْرُكَ اللَّهُ لِأَحَدٍ مِمَّا هُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ، أَنْ يَتَصَرَّفَ بِمَرْبُوبِيَّةٍ تَصَرُّفاً يُشَارِكُهُ فِيهَا بِرُبُوبِيَّتِهِ لَهُ، وَيَسْقُوطُ كُلُّ رُبُوبِيَّةٍ لِعَیْرِ اللَّهِ تَسْقُطُ بِاللُّزُومِ الْعَقْلِيِّ كُلِّ إِلَهِيَّةٍ لِعَیْرِهِ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ.

• ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٦):

فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانُ قَضِيَّتَيْنِ تَشْتَمِلَانِ عَلَى مَفَاتِيحَ فِكْرِيَّةٍ تُعَلِّمُ الْمُنَاطِرَ الْمَحَاوِرَ الدَّاعِي إِلَى التَّوْحِيدِ وَبِنْدِ الشَّرْكِ، مَا يُقْنِعُ بِهِ الْمَشْرِكِينَ بِبُطْلَانِ عَقِيدَتِهِمُ الشَّرْكِيةِ، وَبُطْلَانِ كُلِّ لَوَازِمِهَا فِي سُلُوكِهِمْ فِي حَيَوَاتِهِمْ، سَوَاءً أَكَانَتْ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْمُحَضَّةِ لِلْأَوْثَانِ، أَمْ كَانَتْ مِنْ أَحْكَامِ الْمُعَامَلَاتِ، وَأَنْظِمَةِ الْعَلَاqَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

الْقَضِيَّةُ الْأُولَى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:

أَي: بِمَا أَنَّكُمْ تُؤْمِنُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ وَالْأَحْيَاءِ فِيهِمَا، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ خَلْقِهِ تَبَعاً لَهُمَا. وَإِذَا كَانَتْ كُلُّهَا خَلْقاً مِنْ خَلْقِهِ فَهِيَ مِلْكُهُ بِلَا شَكٍّ، فَلَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي مِلْكِيَّتِهِ لَهَا، وَادِّعَاءُ أَنَّ لِعَیْرِهِ تَأْثِيراً فِيهَا بِنَفْعٍ أَوْ ضَرٍّ بَعِيداً عَنْ إِرَادَةِ مَالِكِهَا، مُنَاقِضٌ لِمَوَازِينِ الْعَقْلِ السَّلِيمَةِ الَّتِي يَشْتَرِكُ الْعُقَلَاءُ فِيهَا. وَلَمْ يَأْتِ عَنِ اللَّهِ الْمَالِكِ، مَا يُثْبِتُ أَنَّهُ مَنَحَ شَيْئاً مِنْ رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ إِلَهِيَّتِهِ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فِي كَوْنِهِ.

فَادِّعَاءُ أَنَّ لِعَیْرِ اللَّهِ تَأْثِيراً مَا بِنَفْعٍ أَوْ ضَرٍّ يَسْتَحِقُّ بِهِ إِلَهِيَّةٌ مَا ادِّعَاءُ تَوْهَمِيٍّ كَاذِبٍ، أَوْحَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ بَوَسَاوِسِهَا وَدَسَائِسِهَا، لِدَفْعِ النَّاسِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ.



## القضية الثانية: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾:

أي: إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - غَنِيٌّ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ الْأَزَلِيَّةِ الْأَبَدِيَّةِ، عَنْ أَنْ يَتَّخِذَ شُرَكَاءَ لَهُ يُعِينُونَهُ فِي تَدْبِيرِ أُمُورِ كَوْنِهِ، وَخَلَقَ مَا يَشَاءُ بِأَمْرِ التَّكْوِينِ، وَلَهُ غَايَاتُ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ النُّقْصَانِ، وَهُوَ بِذَلِكَ مَحْمُودٌ، يُنْطَقُ بِحَمْدِهِ كُلُّ شَيْءٍ فِي كَوْنِهِ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا هُوَ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ مِنْ أَقْصَى الْكَوْنِ إِلَى أَقْصَاهُ، وَلَا يَشِدُّ عَنْ هَذَا إِلَّا إِرَادَاتُ الْكَفَرَةِ الْجَا حِدِينَ، الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، أَمَّا ذَرَاتُ ذَوَاتِهِمْ فَهِيَ مُسَبِّحَةٌ بِحَمْدِهِ أَيْضًا، بِنُطْقٍ خَاصٍّ بِهَا أَنْطَقَهَا اللَّهُ بِهِ، لَا تَصِلُ مَدَارِكُ النَّاسِ إِلَى فَهْمِهِ.

الحَمِيدُ: أي: الْمَحْمُودُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوَجْهِ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ. وَيُضْلَحُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى «حَامِدٌ» لِأَنَّهُ تَعَالَى يَحْمَدُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ مِنْ عِبَادِهِ، وَقَدْ أَثْنَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُمْ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدرس السابع من دُرُوس سورة (لقمان). والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمُدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٣)

**التدبر التحليلي للدرس الثامن من دُرُوس سورة (لقمان)**  
**وهو الآية (٢٧)**

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

## القرارات:

(٢٧) • قرأ أبو عمرو، ويعقوب: [وَالْبَحْرُ] بالتصّب عطفًا على اسم «أن» في: [أنما].

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَالْبَحْرُ] بالرفع على أنه مبتدأ، وجملته حالية.

## تمهيد:

مضمون هذه الآية مرتبط ارتباطاً تكاملياً بما جاء في السورة بشأن شمول علم الله، وإحاطته بكل شيء، فهو مرتبط بما جاء في الآية (١٦) وبما جاء في الآية (٢٣). ومرتبط بما جاء في نجوم التنزيل بشأن شمول علم الله قبل سورة (لقمان) ثم بما في القرآن كله.

## التدبر التحليلي:

(١) الله عز وجل محيط بكل شيء علماً إحاطة لكل ما هو ظاهر فيه، ولكل ما هو باطن فيه.

فالذرة مثلاً في مدرجات علماء الكيمياء والفيزياء، ذات نواة في عمقها، وذات مصغرات جداً تدور في فلك أو أكثر حول نواتها. ونواة الذرة والمصغرات التي تدور حولها، ذوات ظواهر وأعماق.

وعلم الله - جلّ جلاله وسمت صفاته - محيط بالظواهر، ومحيط بالأعماق حتى عمق العدم.

(٢) وكل معلوم مهمما دق وصغر، له عند الله كلمة تدل عليه، وتميزه عما سواه تمييزاً تاماً بحدوده، وصفاته.

(٣) وكل كلام له رموز كتابية عند الله، حتى تتميز كل كلمة عما سواها، لدى كتابتها، بحدود فاصلة، وحتى لا تتداخل كلمة بأخرى شبهة بها.

وَهُنَا يَضْرِبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ افْتِرَاضاً تَمَثِيلِيّاً لِكَلِمَاتِ اللَّهِ الدَّلَالَاتِ عَلَى وَحَدَاتٍ مَعْلُومَاتِهِ، الْمُحِيطَةِ بِكُلِّ شَيْءٍ وَلَوْ كَانَ مُسْتَحِيلَ الوجودِ، أَوْ مُمَكِّنَ الوجودِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ، وَهُوَ افْتِرَاضٌ لِتَقْرِيبِ الْمَعْنَى إِلَى مَا يُدْرِكُ النَّاسُ، إِذْ مَا عِنْدَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْهُ وَأَوْسَعُ، بِمَا لَا تَصِلُ إِلَى إِدْرَاكِهِ أَوْهَامُ الْخَلَائِقِ.

والافتِرَاضُ التَّمَثِيلِيُّ التَّقْرِيبِيُّ لِأَفْهَامِ النَّاسِ هُوَ كَمَا يَلِي:

• افْتَرِضُوا أَيُّهَا الْمُتَلَقُّونَ لِهَذَا الْبَيَانِ، لَوْ أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ قُطِعَ أَقْلَاماً بِمِقْدَارِ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ مِنْ أَقْلَامٍ يَكْتُبُونَ بِهَا.

• وَافْتَرِضُوا أَنَّ الْبَحْرَ الْعَامِرَ لِمُعْظَمِ سَطْحِ الْأَرْضِ كَانَ مِدَاداً لِكِتَابَةِ كَلِمَاتِ اللَّهِ، وَهَذَا الْبَحْرُ يَمُدُّهُ بَعْدَ نَفَادِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ.

• وَافْتَرِضُوا أَنَّ خَلْقاً مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَعْطَاهُمْ اللَّهُ قُدْرَةً عَلَى الْكِتَابَةِ بِالْأَقْلَامِ مُسْتَمِدِّينَ مِدَادَ أَقْلَامِهِمْ مِنَ الْبُحُورِ الثَّمَانِيَةِ، وَشَرَعُوا يَكْتُبُونَ كَلِمَاتِ اللَّهِ الَّتِي يُمْلِيهَا عَلَيْهِمْ دُونَ تَكَرَّرِ.

• وَافْتَرِضُوا أَنَّ اللَّهَ أَحْيَاهُمْ أَرْمَاناً طَوِيلَةً جِدّاً لِإِنْجَازِ كِتَابَةِ كَلِمَاتِ اللَّهِ الَّتِي لَا تَكَرِّرُ فِيهَا.

فَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَقْلَامَ تَذُوبُ وَتَفْنِي، وَأَنَّ الْبُحُورَ الْمَفْتَرَضَ أَنْ تَكُونَ مِدَاداً تَدُونُ بِهِ الْكِتَابَةَ تَنْفَدُ، لَكِنَّ كَلِمَاتِ اللَّهِ لَا تَنْفَدُ.

مَا أَرَوَعَ هَذِهِ الصُّورَةَ الدَّلَالَةَ عَلَى شُمُولِ عِلْمِ اللَّهِ وَإِحَاطَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَشُمُولِ كَلِمَاتِ اللَّهِ الدَّلَالَاتِ عَلَى كُلِّ مَعْلُومَةٍ مِنْ مَعْلُومَاتِهِ مَهْمَا صَغُرَتْ وَدَقَّتْ، بِحُدُودٍ وَصِفَاتٍ تُمَيِّزُ كُلَّ كَلِمَةٍ عَنْ سَائِرِ كَلِمَاتِهِ تَمَيِّزاً يَمْنَعُ التَّدَاخُلَ وَالِاشْتِبَاهَ.

• ﴿.. إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٧﴾ :

هَذَا خِتَامٌ يَرْبُطُ ظَوَاهِرَ كَلِمَاتِ اللَّهِ بِعَنَاصِرِ الْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذُو الْقُدْرَةِ الْعَالِيَةِ لِكُلِّ قُوَّةٍ، وَالْمَذَلَّةِ لِكُلِّ عَسِيرٍ، فَهُوَ يَخْتَارُ مِنَ الْاِحْتِمَالَاتِ الَّتِي لَا تَتَنَاهَى مِنَ الْكَلِمَاتِ، لِكُلِّ مَعْلُومَةٍ مَهْمَا دَقَّتْ وَصَغُرَتْ كَلِمَةً خَاصَّةً بِهَا لِتَدُلَّ عَلَيْهَا وَحْدَهَا ضِمْنَ حُدُودِهَا وَصِفَاتِهَا، وَهُوَ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - حَكِيمٌ فِي اخْتِيَارَاتِهِ كُلِّهَا، وَمِنْهَا حِكْمَتُهُ فِي اخْتِيَارِ الْكَلِمَاتِ الدَّالَّاتِ عَلَى الْوَحْدَاتِ الصُّغْرَى لِمَعْلُومَاتِهِ، فَلَا تَخْتَلِطُ مَعْلُومَةٌ بِأُخْرَى، وَلَا تَشْتَبِهُ مَعْلُومَةٌ بِأُخْرَى عِنْدَهُ، لَا فِي الْعِلْمِ وَلَا فِي التَّعْبِيرِ بِالْكَلَامِ عَنْهُ.

﴿مِنْ شَجَرَةٍ﴾: بَيَانٌ لِاسْمِ الْمَوْصُولِ «مَا» فِي: ﴿أَنَّمَا﴾.

هَذَا الْبَيَانُ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ، قَدْ عَلَّمَ اللَّهُ رَسُولَهُ فَكُلَّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ فِي حِوَارِهِ لِلنَّاسِ وَمُنَاطَرَتِهِ لَهُمْ، أَنْ يَقُولَ لَهُمْ نَظِيرَهُ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْكَهْفِ/ ١٨ مَصْحَف/ ٦٩ نَزُول):

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١٦٩).

مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ نَفْهَمُ أَنَّ التَّعْبِيرَ بِسَبْعَةِ أَبْحُرٍ فِي آيَةِ سُورَةِ (لُقْمَانَ) لَيْسَ الْغَرَضُ مِنْهُ تَحْدِيدَ السَّبْعَةِ وَإِنَّمَا الْغَرَضُ مِنْهُ التَّكْثِيرُ، مَعَ مَا فِي كَلِمَةِ «سَبْعَةَ» مِنْ انْسِجَامٍ مَعَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَغَيْرِهَا مِنْ اخْتِيَارِ عَدَدِ السَّبْعَةِ لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ.

النَّفَادُ: فَنَاءُ الشَّيْءِ وَإِنْتِهَائُوهُ عَنْ آخِرِهِ، يُقَالُ لَعَةً: «نَفِدَ الشَّيْءُ»، يَنْفَدُ، نَفَادًا، وَنَفَادًا أَي: فَنِيَ وَذَهَبَ وَانْتَهَى عَنْ آخِرِهِ.

جاء في أسباب نزول آية سورة (لُقْمَانَ) روايات، مِنْهَا مَا يَلِي:

(١) أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لِلرَّسُولِ أَوْ أَغَرَوْا بَعْضَ الْقُرَشِيِّينَ أَنْ يَقُولُوا لَهُ،

لَمَّا سَمِعُوا أَنَّهُ ﷺ قَالَ بِشَأْنِهِمْ مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ (الْإِسْرَاءِ/ ١٧ مَصْحَف/ ٥٠ نَزُول):

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٥٥):

قالوا: كَيْفَ وَأَنْتَ تَتْلُو فِيمَا جَاءَكَ أَنَّا قَدْ أُوتِينَا التَّوْرَةَ، وفيها تبيان كُلِّ شيءٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هِيَ فِي عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ (٢٧) من سُورَةِ (لُقْمَان).

(٢) أَنَّ قُرَيْشًا قَالَتْ: «مَا أَكْثَرَ كَلَامَ مُحَمَّدٍ!» فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

إلى غير ذَلِكَ مِنْ رِوَايَاتٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، عَلَى أَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ.

وبهذا انْتَهَى تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الثَّامِنِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (لُقْمَان).  
والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٤)

### التدبر التحليلي للدرس التاسع من دروس سورة لقمان) وهو الآية (٢٨)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٨):

تمهيد:

بما أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الْمُعَالَجِينَ فِي السُّورَةِ يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ، وَلَا يُقَدِّمُونَ دَلِيلًا غَيْرَ التَّعْجُبِ، وَيُظْهِرُ أَنَّ قَائِلِينَ مِنْهُمْ قَالُوا: كَيْفَ يَبْعَثُ اللَّهُ الْأُمَمَ كُلَّهَا يَوْمَ الْبَعْثِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ خُلِقُوا فِي أَطْوَارٍ غَيْرِ أَحْقَابٍ وَقُورٍ كَثِيرَةٍ جَدًّا؟!

فَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ قُدْرَتَهُ الْعَظِيمَةَ قَادِرَةٌ عَلَى خَلْقِ النَّاسِ جَمِيعاً بِأَمْرِ التَّكْوِينِ، فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، كَقُدْرَتِهِ عَلَى خَلْقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ .

### التدبر التحليلي :

يَخَاطَبُ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - النَّاسَ جَمِيعاً، وَالْمَقْصُودُونَ الْأَوَّلُونَ مُنْكَرُوا الْبَعْثِ، اسْتِغْرَاباً مِنْ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ النَّاسَ جَمِيعاً إِلَى الْحَيَاةِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِدَفْعِ تَعَجُّبِ الْمُتَعَجِّبِينَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، أَنَّ خَلْقَ النَّاسِ جَمِيعاً فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَخَلْقَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ ابْتِدَاءً، وَأَنَّ بَعَثَ النَّاسِ جَمِيعاً فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَبَعَثَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ إِلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، بِالنَّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ كَخَلْقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَكَبَعَثِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ .

وفي العبارة مَطْوِيَّاتٌ مِنَ السَّهْلِ عَلَى الْمَتَدَبِّرِ إِبْرَارُهَا .

أي : مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ أَثِيهَا النَّاسُ جَمِيعاً، إِلَّا مِثْلُ خَلْقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَبَعَثِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ .

فَخَلَقَ النَّاسَ جَمِيعاً كَخَلْقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، بِالنَّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ، وَبَعَثَ النَّاسَ جَمِيعاً إِلَى الْحَيَاةِ كَبَعَثِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ بِالنَّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ .

• ﴿ . . . إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (٢٨) : أي : فَلَا يَتَصَوَّرُ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ غَيْرُ مَجْزِيٍّ عَلَى مَا اكْتَسَبَ بِإِرَادَتِهِ الْحُرَّةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، حِينَمَا يَرْجِعُ إِلَى حِسَابِ رَبِّهِ، وَفَضْلِ قَضَائِهِ، وَتَنْفِيذِ جَزَائِهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ مَا اكْتَسَبَهُ بِإِرَادَتِهِ الْحُرَّةِ غَيْرُ مَعْلُومٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاعْلَمُوا جَمِيعاً أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ كُلُّ أَقْوَالِكُمْ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَقْوَالِكُمْ خَافِيَةٌ مَا . وَاعْلَمُوا جَمِيعاً أَنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِكُلِّ أَعْمَالِكُمْ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا خَافِيَةٌ مَا .

وَقَدْ سَبَقَ فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ بَيَانُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُتَلَاذِمِينَ الرَّقَبَاءَ عَلَى النَّاسِ، يُسَجِّلُونَ فِي أَدْوَاتِ التَّسْجِيلِ الَّتِي خَلَقَهَا لَهُمْ كُلَّ مُكْتَسَبَاتِهِمْ الْإِرَادِيَّةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَأَنَّ النَّاسَ يَطْلَعُونَ عَلَيْهَا فِي صُحُفِ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الدِّينِ.

وَسَبَقَ بَيَانُ أَنَّ جَوَارِحَهُمْ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِمَا قَدَّمُوا إِذَا جَحَدُوا وَأُنْكَرُوا مَا فِي صُحُفِهِمْ، وَمَا يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِهِ الشُّهُودُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَيُذَكِّرُ الْمَتَدَبِّرُ بِأَنَّهُ أَنَّ بَيَانَ كَوْنِ خَلْقِ النَّاسِ جَمِيعاً كَخَلْقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ بِالنَّسَبَةِ إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ، وَأَنَّ بَيَانَ كَوْنِ بَعْثِ النَّاسِ أَنَّ عَمَلِيَّاتِ الْإِيجَادِ وَالْإِعْدَامِ بِالنَّسَبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَكْفِي فِيهَا أَنْ يَقُولَ لِلشَّيْءِ: «كُنْ» فَالْمَقْضِيُّ بِقَضَاءِ اللَّهِ يَكُونُ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ.

وَسُلْطَانُ اللَّهِ الْمُهَيِّمُ عَلَى كُلِّ ذَرَّةٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ الْعَظِيمِ الْمَمْتَدِّ يَدُلُّ عَلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ.

وبهذا انتهى تدبر هذا الدرس من دروس سورة (لقمان). والحمد لله على معونته، ومدَّه، وتوفيقه وفتحه.



(١٥)

**التدبر التحليلي للدرس العاشر من دروس سورة (لقمان)**  
**وهو الآيات من (٢٩ - ٣٢)**

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٩) ذَلِكَ

يَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَخَّسَهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ .

### القراءات:

(٣٠) • قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر: [وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ] بتاء المخاطبين.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ] بياء الغائين.

وبين القراءتين تكامل في الأداء البياني، أحدهما فيها مواجهة للمشركين بالخطاب، والأخرى فيها الحديث عنهم لغيرهم.

### تمهيد:

في آيات هذا الدرس عرض لبعض آيات الله في كونه، الدالات على عدد من صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنى، وعلى إيقانه لكل ما خلق في كونه، وعلى نعمه الكثيرة على عباده.

وفيهما بيان حال الناس تجاه ما يتفضل الله به عليهم حينما يُنجيهم من الشدائد العظمى التي لا يُنجيهم منها سواه.

### التدبر التحليلي:

في آيات هذا الدرس التنبيه على أربع آيات كبرى من آيات الله في كونه، مع التنبيه على ما تدل عليه من عقائد إيمانية.

الآية الكونية الأولى: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ أَلَيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي أَلَيْلٍ ..﴾ (٢٩):



سَبَقَ فِي سُورَةِ (فاطر/ ٣٥ مصحف/ ٤٣ نزول) بَيَانُ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا:

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ..﴾ ﴿١٣﴾

وَكَانَ هَذَا فِيهَا بَيَانًا رَبَّانِيًّا عَنْ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ مِنْ ظَوَاهِرِ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ.

وَجَاءَ هُنَا فِي سُورَةِ (لقمان/ ٥٧ نزول) خِطَابٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُوجَّهٌ لِكُلِّ مُتَلَقٍّ بِأُسْلُوبِ الْخِطَابِ الْإِفْرَادِيِّ، وَبُصِيغَةَ الْاسْتِفْهَامِ الَّذِي فِيهِ مَعْنَى التَّلْوِيمِ لِمَنْ لَمْ يَسْتَفِدْ مِنَ الْبَيَانِ الَّذِي جَاءَ فِي سُورَةِ (فاطر/ ٤٣ نزول) الْآيَةِ: ١٣ فَقَالَ تَعَالَى لَهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ ..﴾.

وَلَدَى تَدْبِيرِ النَّصِّ الَّذِي جَاءَ فِي سُورَةِ (فاطر/ ٤٣ نزول) أَوْرَدْتُ النُّصُوصَ الْقِرَائِيَّةَ الْخَمْسَةَ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ بِشَأْنِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، مَعَ بَيَانِ مَا ظَهَرَ لِي مِنْ حِكْمَةِ إِبْرَادِهَا فِي خَمْسَةِ سُورٍ، اثْنَانِ مِنْهَا مَكِّيَّانِ، وَثَلَاثَةٌ مِنْهَا مَدَنِيَّةٌ.

وَأَقْتَصِرُ هُنَا عَلَى تَدْبِيرِ النَّصِّ الَّذِي جَاءَ فِي سُورَةِ (لقمان) مُسْتَفِيدًا مِمَّا سَبَقَ لَدَى تَدْبِيرِ النَّصِّ الَّذِي جَاءَ فِي سُورَةِ (فاطر/ ٤٣ نزول).

﴿يُولِجُ﴾: أَي: يُدْخِلُ، يُقَالُ لُغَةً: «أُولِجَ الشَّيْءُ فِي الشَّيْءِ» أَي: أَدْخَلَهُ فِيهِ. وَيُقَالُ: «وَلَجَ، يَلِجُ، وَلُوجًا، وَلِجَةً شَيْءٌ فِي شَيْءٍ» أَي: دَخَلَ فِيهِ.

وَإِبْلَاجُ شَيْءٍ فِي شَيْءٍ آخَرَ يَكُونُ بِإِدْخَالِهِ فِيهِ شَيْئًا فَشَيْئًا بِالتَّابِعِ، لَا عَلَى طَرِيقَةِ دَفْعِهِ بِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ، أَوْ إِلْقَائِهِ وَقَذْفِهِ فِيهِ.

إِنَّ الظَّاهِرَةَ الَّتِي عَبَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا بِإِبْلَاجِ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ، وَإِبْلَاجِ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ، تَدُلُّنَا عَلَى آيَةٍ بَاهِرَةٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، وَنَحْنُ

نُشَاهِدُ مِنْهَا عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ تَتَابَعِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ دَائِرَيْنِ، فَكُلَّمَا امْتَدَّتْ أَحَدُهُمَا مِنْ جِهَةٍ تَقْلَصَ الْآخَرُ مِنَ الْجِهَةِ نَفْسِهَا، وَكُلَّمَا اخْتَفَى أَحَدُهُمَا مِنْ جِهَةٍ ظَهَرَ الْآخَرُ مِنَ الْجِهَةِ نَفْسِهَا، وَهَكَذَا دَوَّالِيكَ مَعَ تَوَالِي الْأَيَّامِ.

وَاكْتَشَفَ عُلَمَاءُ الْكُونِيَّاتِ بِالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ، أَنَّ حَرَكَةَ دَوَّرَانِ الْأَرْضِ حَوْلَ نَفْسِهَا بِاتِّجَاهِ الشَّمْسِ، ضَمَنَ نِظَامٍ مُتَقَنَّ عَجِيبٍ، يَجْعَلُ اللَّيْلَ يَخْتَفِي شَيْئًا فَشَيْئًا عَنْ سَطْحِ الْأَرْضِ، كُلَّمَا امْتَدَّتْ بِالتَّدْرُجِ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ صَبَاحًا، عَلَى مَسَافَاتٍ مِنَ الْأَرْضِ بِتَتَابُعِ الشُّرُوقِ.

هَذِهِ الظَّاهِرَةُ تُشَبِّهُ إِيْلَاجَ شَيْءٍ فِي شَيْءٍ آخَرَ، إِذْ يَخْتَفِي مِنَ الْوَالِجِ مَا يَدْخُلُ مِنْهُ فِي الْمَوْلُوجِ فِيهِ، فَكَأَنَّ اللَّيْلَ مَعَ تَتَابُعِ الشُّرُوقِ عَلَى مَسَافَةٍ فَمَسَافَةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَلِجُ فِي النَّهَارِ الَّذِي يُخْفِيهِ.

وَهَذِهِ الْحَرَكَةُ نَفْسُهَا إِذَا شَاهَدَهَا النَّاطِرُ، وَهُوَ مُرْتَفِعٌ فِي الطَّائِرَةِ، وَيَنْظُرُ مِنَ الْجَوِّ، عِنْدَ تَتَابُعِ غُرُوبِ الشَّمْسِ، عَلَى مَسَافَةٍ فَمَسَافَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ يَرَى اخْتِفَاءَ النَّهَارِ شَيْئًا فَشَيْئًا، كَمَا يَخْتَفِي مِنَ الْوَالِجِ بِمَقْدَارِ مَا يَدْخُلُ مِنْهُ فِي الْمَوْلُوجِ فِيهِ، فَكَأَنَّ النَّهَارَ مَعَ تَتَابُعِ الْغُرُوبِ يَلِجُ فِي اللَّيْلِ الَّذِي يُخْفِيهِ.

فَجَاءَ فِي التَّصْ تَشْبِيهِ تَتَابُعِ ذَهَابِ اللَّيْلِ، عِنْدَ تَتَابُعِ أَحْوَالِ الشُّرُوقِ، وَتَشْبِيهِ ذَهَابِ النَّهَارِ عِنْدَ تَتَابُعِ أَحْوَالِ الْغُرُوبِ بِوُلُوجِ شَيْءٍ فِي شَيْءٍ آخَرَ.

وَجَاءَ فِي النُّصُوصِ إِثَارُ الْبَدْءِ بِاخْتِفَاءِ اللَّيْلِ عِنْدَ الشُّرُوقِ، لِأَنَّ اللَّيْلَ ظَلَامٌ وَلِأَنَّ النَّهَارَ ضِيَاءٌ، وَبَدْءُ الْكَلَامِ بِحُدُوثِ الضِّيَاءِ أَوَّلَى مِنْ بَدْءِ الْكَلَامِ بِحُدُوثِ الظَّلَامِ.

وَلَكِنْ طَوَى فِي النُّصُوصِ التَّصْرِيحُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّشْبِيهِ، وَاسْتَعِيرَ مِنْهُ لَفْظُ «يُولِجُ» لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ، فِي التَّعْيِيرِ اسْتِعَارَةً وَاضِحَةً بِحَسَبِ مُصْطَلَحِ الْبَلَاغِيِّينَ.

وَلَا يَخْفَى عَلَى المتَدَبِّرِ الحَصِيفِ مَا فِي هَذِهِ الاستِعَارَةِ القَائِمَةِ عَلَى التَّشْبِيهِ، مِنْ إِبْدَاعٍ رَائِعٍ فِي عَرْضِ الصُّورَةِ، مَعَ مَا فِيهَا مِنْ دِقَّةٍ بِالِغَةِ العَالِيَةِ فِي تَوْصِيلِ المعْنَى المرادِ بِيَانِهِ.

إِنَّ التَّشْبِيهَ الَّذِي اعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الاستِعَارَةُ، يَدُلُّ بِأَوْجَزِ عِبَارَةٍ عَلَى حَرَكَةِ شَيْئَيْنِ، مُتَلَاصِقَي الرَّأْسَيْنِ عَلَى شِبْهِ دَائِرَةٍ، أَحَدُهُمَا يَخْتَفِي وَالْآخَرُ يَظْهَرُ، وَاخْتِفَاءُ اللَّيْلِ يَكُونُ عِنْدَ الشُّرُوقِ مِنْ جِهَةِ مَطْلَعِ الشَّمْسِ، وَاخْتِفَاءُ النَّهَارِ يَكُونُ عِنْدَ الْغُرُوبِ مِنْ جِهَةِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، وَهَذَا الاختِفَاءُ مِنْ كِلَيْهِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الحَرَكَةَ حَرَكَةٌ دَائِرِيَّةٌ، إِذْ يَدْخُلُ كُلُّ طَرَفٍ مِنْ طَرَفَيْ أَحَدِهِمَا، فِي الطَّرَفِ الْآخَرِ مِنَ الْآخَرِ مِنْهُمَا، وَهَكَذَا دَوَائِلُكَ مَعَ تَتَابُعِ الْأَيَّامِ.

وَعَرَضُ هَذِهِ الْآيَةِ بَعْنَايَةٍ فِي خَمْسَةِ نُصُوصٍ قُرْآنِيَّةٍ، مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، يَحُثُّ الْمُشْتَغِلِينَ بِالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ فِي الْكَوْنِيَّاتِ، عَلَى الْبَحْثِ الْجَادِّ عَنْ سَبَبِهَا التَّكْوِينِيِّ، وَحِينَ يَتَوَصَّلُونَ إِلَى مَعْرِفَةِ السَّبَبِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى التَّنْظِيمِ الْبَدِيعِ، وَالْإِتْقَانِ الْمُدهِشِ الْعَجِيبِ، فِي وَضْعِ كُلِّ مِنَ الشَّمْسِ وَالْأَرْضِ فِي مَجْمُوعَةِ نُجُومِ مَجَرَّتِنَا وَكَوَاكِبِهَا، وَفِي حَرَكَةِ دَوْرَانِ الْأَرْضِ حَوْلَ نَفْسِهَا فِي اتِّجَاهِ الشَّمْسِ، مَعَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْمَسَافَةِ وَمِقْدَارِ الحَرَكَةِ، طَوَالَ مِائَاتِ الْمَلَائِينَ مِنَ الْقُرُونِ، فَإِنَّ ذَوِي الْأَلْبَابِ الْمُنْصَفِينَ مِنْهُمْ، لَا بُدَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْخَالِقِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ إِتْقَانُهُ وَسَمَتْ حِكْمَتُهُ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُذْعِنُوا لَهُ، وَيَخْضَعُوا، وَأَنْ يَتَوَجَّهُوا لَهُ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ، وَأَنْ لَا يُشْرِكُوا بِعِبَادَتِهِ أَحَدًا.

وَمَعَ مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَوْنِيَّةِ مِنْ دَلَالَاتٍ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ، وَشُمُولِ عِلْمِهِ، وَعَظِيمِ إِتْقَانِهِ، وَجَلِيلِ حِكْمَتِهِ، فَفِيهَا أَيْضًا دَلَالَةٌ عَلَى عِنَايَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ فِي الْأَرْضِ، وَعَلَى وَاسِعِ رَحْمَتِهِ، وَفِيُوضِ إِنْعَامِهِ عَلَى خَلْقِهِ الَّذِينَ لَهُمْ مَنَافِعُ جَلِيلَةٌ وَكَثِيرَةٌ مِنْ تَتَابُعِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ.

الآية الكونية الثانية: دَلَّ عَلَيْهَا فِي هَذَا الدَّرْسِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:  
 ﴿.. وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ﴾ (٢٩):

أي: أَوْ لَمْ تَرَ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي  
 إِلَىٰ أَجَلٍ مَّعْلُومٍ مُّعَيَّنٍ مُّسَمًّى بِاسْمِهِ الْخَاصِّ بِهِ .

وقد سبق في الآية (١٣) من سُورَةِ (فاطر/ ٥٣ نزول) بَيَانُ هَذِهِ الْآيَةِ  
 مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْكَوْنِيَّةِ . إِلَّا أَنَّ مَا جَاءَ هُنَا فِي سُورَةِ (لقمان/ ٥٧ نزول) قَدْ  
 جَاءَ بِأَسْلُوبِ خِطَابٍ إِفْرَادِيٍّ، وَبَصِيغَةٍ اسْتِفْهَامٍ فِيهِ مَعْنَى التَّلْوِيمِ لِمَنْ لَمْ  
 يَسْتَفِدْ مِنَ الْبَيَانِ الَّذِي جَاءَ فِي سُورَةِ (فاطر) وَجَاءَ فِي سُورَةِ (لقمان)  
 اسْتِعْمَالُ: ﴿إِلَىٰ﴾ فِي عِبَارَةٍ: ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ بَيْنَمَا جَاءَ فِي  
 سُر «فاطر، ويسر، والزمر، والرعد» اسْتِعْمَالُ حَرْفِ اللام .

وَإِذْ سَبَقَ فِي تَدْبِيرِ الْآيَةِ (١٣) مِنْ سُورَةِ (فاطر) شَرْحُ تَحْلِيلِيٍّ مُّطَوَّلٍ  
 لِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَوْنِيَّةِ، فَإِنِّي أَقْصِرُ هُنَا عَلَىٰ بَيَانٍ فِيهِ إِيجَازٌ مَا .

التَّسْخِيرُ: يَأْتِي بِمَعْنَى تَطْوِيعِ الْمَخْلُوقِ بِالْجَبْرِ الرَّبَّانِيِّ، لِلْعَمَلِ  
 وَالتَّحْرُكِ عَلَىٰ وَفْقِ إِرَادَتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ .

وَيَأْتِي بِمَعْنَى تَذْلِيلِ الْمَخْلُوقِ لِعَمَلٍ مَا أَوْ أَمْرٍ مَا، وَجَعَلِهِ مُطَاوِعاً لِمَا  
 يُرَادُ بِهِ أَوْ يُرَادُ مِنْهُ ضِمْنِ قَانُونِ تَسْخِيرِهِ .

وَقَدْ دَلَّ التَّنْبِيهُ عَلَىٰ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي  
 كَوْنِهِ، وَنِعَمِهِ الْجَلِيلَةِ الْوَفِيرَةِ عَلَى النَّاسِ فِي الْأَرْضِ، تَسْخِيرُهُ الشَّمْسَ  
 وَالْقَمَرَ لِتَحْقِيقِ كَثِيرٍ مِنْ مَنَافِعِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ، وَضُرُورِيَّاتِ حَيَاتِهِمْ .

فَبِالشَّمْسِ يَكُونُ ضِيَاءُ النَّهَارِ، وَمِنْهَا يَأْتِي الدَّفْءُ وَالْحَرَارَةُ الصَّرُورِيَّةُ  
 لِكُلِّ ذِي حَيَاةٍ عَلَى الْأَرْضِ، وَبِدُونِ الضَّوِّ وَامْتِدَادِ أَشْعَتِهِ، وَبِدُونِ الْحَرَارَةِ  
 لَا تَنْبُتُ النَّبَاتَاتُ الَّتِي هِيَ الْمَادَّةُ الْأُولَى لِغِذَاءِ الْأَحْيَاءِ، وَإِمْدَادُهَا بِقُوَّةِ  
 بَقَائِهَا إِلَى آجَالِهَا الْمَقْدَّرَةِ لَهَا .

وَيَسْخِرِ الْقَمَرَ تَحْصُلُ مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ لِلنَّاسِ فِي الْأَرْضِ، مِنْهَا أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ، وَمِنْهَا مَا كَشَفَهُ مُتَّبِعُو الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ فِي الْكُونِيَّاتِ بِشَأْنِ عِلَاقَةِ الْقَمَرِ بِالشَّمْسِ مِنْ جِهَةٍ وَبِالْأَرْضِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. وَظَاهِرٌ لِكُلِّ نَاطِرٍ مِنَ النَّاسِ مَا لِلْقَمَرِ مِنْ نُورٍ فِي اللَّيْلِ نَافِعٍ وَمُمْتِعٍ. وَقَدْ أَثَبَّتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ جَرَيَانَ كُلِّ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يَسْبَحُ فِي فَلَكٍ خَاصٍّ بِهِ.

وَخَصَّ اللَّهُ الشَّمْسَ بِالتَّغْيِيرِ عَنْ جَرَيَانِهَا بِعِبَارَةٍ صَرِيحَةٍ، فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ (يس/ ٣٦ مصحف/ ٤١ نزول):

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾:

وَقَدْ كَانَ فِي أَوَائِلِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ الْمِيلَادِيِّ حَتَّى أَوَاسِطِهِ، يُدْرَسُ فِي مَادَّةِ الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ، الْمَأْخُذَةُ مِنْ مُقَرَّرَاتِ الْعُلُومِ الْغَرِيبَةِ، أَنَّ الشَّمْسَ ثَابِتَةٌ لَا تَجْرِي، وَأَنَّ الْأَرْضَ وَالْكَوَاكِبَ مِنْ حَوْلِ الشَّمْسِ التَّابِعَةِ لِلْمَجْمُوعَةِ الشَّمْسِيَّةِ هِيَ الَّتِي تَجْرِي حَوْلَهَا.

وَانْطَلَقَتِ الْأَسْئَلَةُ حِينَئِذٍ تَدُورُ مِنْ قَبْلِ دَارِسِي هَذِهِ الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَنِ الْكُونِيَّاتِ، بِشَأْنِ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَ الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ عَنِ الشَّمْسِ وَجَرَيَانِهَا، وَبَيْنَ مَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ مِنْ أَنَّهَا ثَابِتَةٌ.

وَأَخَذَ الْمَشْكُوكُونَ حِينَئِذٍ يُوجِّهُونَ الْمَغَامِرَ وَالْمَطَاعِنَ لِلْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ.

وَقَامَتِ جَدَلِيَّاتٌ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُرْآنِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ، وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَقَالَاتِ الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ دُونَ تَحْقُظِ.

فَالْمُؤْمِنُونَ يَبْنُونَ أَقْوَالَهُمْ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ كَوْنُهُ وَخَلْقُهُ، فَهُوَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ بِهِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُخْبِرَنَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا بِالْحَقِّ وَالصِّدْقِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُنْزَلَ فِي كِتَابِهِ إِلَّا حَقًّا وَصِدْقًا.

أَمَّا مُقَرَّرَاتُ عُلَمَاءِ الْعُلُومِ الْكُونِيَّةِ، الْمُسْتِنْدَةِ إِلَى مَلَاخِظَاتِهِمْ، وَتَأَمُّلَاتِهِمْ وَتَجَرِّبَاتِهِمْ، فَكَثِيرٌ مِنْهَا قَدْ كَانَ مَبْنِيًّا عَلَى الْحَدْسِ وَالظَّنِّ وَالرَّوْيِ النَّاقِصَةِ، مَعَ إعْطَائِهَا قَرَارَاتٍ عَامَّاتٍ، تَتَنَاولُ مَا لَمْ تَصِلْ بَعْدُ إِلَيْهَا عُلُومُهُمُ الْمُحَقَّقَةُ، وَكَانَ هَذَا الْكَثِيرُ مِنْ مُقَرَّرَاتِهِمْ غَيْرَ مَبْنِيٍّ عَلَى الْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ وَالْيَقِينِ.

وَكَانَ أَهْلُ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالْإِنْصَافِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، ذَوِي التَّمَكُّنِ فِي مُخْتَلِفِ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ، يُقَرَّرُونَ أَنَّهُ إِذَا تَنَاقَضَتْ مُقَرَّرَاتُ الْعُلُومِ الْكُونِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، الَّتِي لَمْ تَبْلُغْ مَبْلَغَ الْيَقِينِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ التَّعْدِيلَ وَالتَّبْدِيلَ وَالنَّقْصَ، مَعَ مَفَاهِيمِ النُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ، دُونَ إِمْكَانِ التَّأْوِيلِ الَّذِي تَسْمَحُ بِهِ قَوَاعِدُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَقَوَاعِدُ اسْتِنْبَاطِ الْمَعَانِي وَالْأَحْكَامِ لَدَى عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْتَوِقِينَ، فَالْحَقُّ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، أَوْ فِي السُّنَّةِ الْقَطْعِيَّةِ الثُّبُوتِ، وَالْقَطْعِيَّةِ الدَّلَالَةِ، لَا مَا قَرَّرَتْهُ النُّظَرَاتُ الطَّنِيَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ النَّاقِصَةُ فِي الْعُلُومِ الْكُونِيَّةِ.

ثُمَّ تَقَدَّمَتِ الْبُحُوثُ الْعِلْمِيَّةُ الْفَلَكيَّةُ، وَاثْبَتَتْ دِرَاسَاتُ عُلَمَاءِ الْفَلَكِ، أَنَّ الشَّمْسَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَجْمُوعَتِهَا الدَّائِرَةِ حَوْلَهَا، وَالَّتِي هِيَ أُسْرَتُهَا، ذَاتُ وَضْعٍ ثَابِتٍ، لَكِنَّهَا مَعَ كُلِّ أُسْرَتِهَا تَجْرِي بِحَرَكَةٍ خَاصَّةٍ فِي فَلَكَ أَكْبَرَ ضَمْنِ الْمَجَرَّةِ، فَهِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى وَضْعِهَا مَعَ أُسْرَتِهَا فِي الْمَجَرَّةِ جَارِيَةٌ غَيْرُ ثَابِتَةٍ.

وظَهَرَ بِهَذَا صِدْقُ النَّصْرِ الْقُرْآنِيِّ، وَمُطَابَقَتُهُ لِلْوَاقِعِ، وَظَهَرَ نَقْصُ الدِّرَاسَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ السَّابِقَةِ، بِشَأْنِ هَذَا الْمَوْضُوعِ عَنْ مُطَابَقَتِهِ لِلْوَاقِعِ.

أَمَّا اسْتِعْمَالُ: ﴿إِلَى﴾ فِي عِبَارَةِ: ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فِي سُورَةِ (لُقْمَانَ/٥٧ نزول) بِخِلَافِ اسْتِعْمَالِ حَرْفِ اللَّامِ فِي النُّصُوصِ الْآخَرَى، فَقَدْ قَالَ بِشَأْنِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: إِنَّ اللَّامَ بِمَعْنَى «إِلَى» الدَّلَالَةُ عَلَى الْغَايَةِ، فَهَمَّا يَصْلُحَانِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ وَالْمُخَالَفَةُ تَفْتَنُ فِي النِّظْمِ.

لِكِنَّ الزَّمَحْشَرِيَّ رَفَضَ هَذَا بِشِدَّةٍ، وَاعْتَبَرَهُ مِنْ ضَيْقِ مَوْقِعِ الْمَتَدَبِّرِ  
فِي فَهْمِ الْفُرُوقِ اللَّغَوِيَّةِ، وَفَهْمِ النُّصُوصِ.

وَقَدْ فَهَمَ الزَّمَحْشَرِيُّ أَنَّ اللَّامَ فِي النُّصُوصِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا: ﴿كُلُّ  
يَجْرَى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هِيَ بِمَعْنَى «التَّغْلِيلِ» أَي: لَتَحْقِيقِ الْوُضُفَةِ الْمَسْخَرِينَ لَهَا  
طَوَالَ مُدَّةِ الْأَجَلِ.

أَمَّا حَرْفُ «إِلَى» فَهُوَ بِمَعْنَى بُلُوغِ الْغَايَةِ.

أَقُولُ: مِنْ مَعَانِي «الْأَجَلِ» الْمُدَّةُ الْمُحَدَّدَةُ لِلشَّيْءِ، وَالْمَحْضُورَةُ بَيْنَ  
أَوَّلٍ وَآخِرٍ، وَهَذَا الْمَعْنَى يُنَاسِبُهُ وَيَلَائِمُهُ اسْتِعْمَالُ حَرْفِ «الْلام» لِلإِشَارَةِ  
إِلَى قِيَامِ كُلِّ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ بِوُضُوفِهِمَا الَّتِي سَخَّرَهُمَا اللَّهُ لَهَا طَوَالَ  
هَذَا الْأَجَلِ مِنْ بَدَايَتِهِ وَحَتَّى نِهَائِهِ.

وَمِنْ مَعَانِي «الْأَجَلِ» غَايَةُ الزَّمَنِ الْمُحَدَّدِ لِشَيْءٍ مَا، وَهَذَا الْمَعْنَى  
يَلَائِمُهُ وَيُنَاسِبُهُ اسْتِعْمَالُ حَرْفِ «إِلَى» أَي: كُلُّ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ يَجْرِي  
إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ الزَّمَنِ الْمُحَدَّدِ، إِذْ يَتَوَقَّفُ عِنْدَهُ جَرَيَانُهُمَا، أَمَّا مَاذَا يَحْدُثُ  
لَهُمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ فِي عِلْمِ اللَّهِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ بَيَانُ أَنَّ الشَّمْسَ  
وَالْقَمَرَ سَوْفَ يُجْمَعَانِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقَمَرَ يَقْتَرِبُ مِنَ الشَّمْسِ،  
فَتَجْذِبُهُ الشَّمْسُ إِلَيْهَا بِجَاذِبِيَّتِهَا الْقَوِيَّةِ فَتَبْتَلِعُهُ.

﴿مُسَمًّى﴾: أَي: مُعَيَّنٌ بِاسْمِهِ الْمُحَدَّدِ لَهُ فِي عِلْمِ اللَّهِ، وَفِي الْكِتَابِ  
الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ قَضَاءَهُ وَقَدَرَهُ.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ زَمَنِ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْعَدَدِ،  
يُمَيِّزُهُ عَنْ سَائِرِ الْأَزْمَانِ.

الآيَةُ الثَّالِثَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا فِي هَذَا الدَّرْسِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَأَنَّ

اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾:

أي: أَوَلَمْ تَرَ أَيُّهَا الْمُتَلَفِّي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَبِيرٌ بِمَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فالاستفهام الذي جاء في أول الآية، والذي فيه معنى تلويح من لم يستفد مما جاء في نجوم التنزيل السابقة من كشف لما في نفوس الناس، ولما يدبر أعداء دعوة الرسول ﷺ من مكاييد ضده وضد دعوته، ولما يقولون بينهم سراً، ومنها ما يلي:

(١) مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (القمر/ ٣٧ نزول) وهو قول الله تعالى فيها:

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾: أي: نحن إذا اجتمعنا ودبرنا أمر مقاتلة الرسول والذين آمنوا به واتبعوه، فإننا سنكون منتصرين، وبهذا نتخلص من هذه الدعوة الجديدة، وكان هذا سراً بين كبرائهم، ففضحهم الله به، وأبان لهم أنه خير بما يعملون، وهذا من آياته الدالات على أنه محيط بكل شيء علماً.

(٢) وَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ (ص/ ٣٨ نزول) وهو قول الله تعالى فيها:

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّ وَشَفَاقٍ﴾: وكان كبراء مشركي مكة ياتَمرون سراً بأن يعدوا قواهم الحربية، ويعلنوا موقفهم الحربي المشاق للرسول والذين آمنوا معه، لقتالهم، والتخلص من دعوته، ففضح الله ما كان كبراء مشركي مكة ياتَمرون به، وأبان لهم أنه تبارك وتعالى خير بما يعملون سراً، وبما يدبرون من مكر وكيد، وهذا من آياته الدالات على أنه محيط بكل شيء علماً.

بهذا الفهم ندرك كيف جعل الله عز وجل خبرته بما يعمل الناس آية من آياته في كونه، مع ما جاء في سوابق نجوم التنزيل من أن الله بكل شيء عليم، وأنه محيط بكل شيء علماً، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض.

وأضاف الله عز وجل بعد ذكره الآيات الثلاث التي سبق شرحها



بَيِّنَا نَا يُكْشِفُ بِهِ فَسَادَ عَقِيدَةِ الْمُشْرِكِينَ ، وَفَسَادَ عِبَادَتِهِمُ إِلَهَتَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ،  
وَيُثَبِّتُ فِيهِ أَنَّ اللَّهَ هُوَ وَحْدَهُ الْحَقُّ وَأَنَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ ،  
فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

• ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ  
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٣٠) ﴿ وَفِي الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى : [وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ  
الْبَاطِلُ] خِطَابًا لِلْمُشْرِكِينَ .

• ﴿ذَلِكَ﴾ أَيُ : ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَاتِ ، ذَكَرْنَاهُ  
بَيِّنًا إِفْنَاعِيًّا بُرْهَانِيًّا لِلْمُشْرِكِينَ ، بِسَبَبِ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ وَحْدَهُ فِي  
مُقَابِلِ مَا يَعْتَقِدُهُ الْمُشْرِكُونَ فِي إِلَهَتِهِمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِهِ .

فَالْقَصْرُ فِي عِبَارَةٍ : ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ قَصْرٌ إِضَافِي ، أَيُ : بِالْإِضَافَةِ  
إِلَى مَا يَعْتَقِدُهُ الْمُشْرِكُونَ فِي إِلَهَتِهِمْ .

وَبِسَبَبِ أَنَّ مَا يَدْعُونَ (أَيُ : يَعْبُدُونَ) مِنْ دُونِ اللَّهِ هُوَ الْبَاطِلُ فِي  
مُقَابِلِ كَوْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ . وَبِسَبَبِ أَنَّ مَا تَعْبُدُونَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
هُوَ الْبَاطِلُ .

وَبِسَبَبِ أَنَّ اللَّهَ هُوَ وَحْدَهُ الْعَلِيُّ الَّذِي لَا يَقْرُبُ مِنْ عُلُوِّهِ ذُو عُلُوٍّ ،  
وَأَنَّهُ وَحْدَهُ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ الْكَبِيرُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .

الآيَةُ الْكُونِيَّةُ الرَّابِعَةُ : دَلَّ عَلَيْهَا فِي هَذَا الدَّرْسِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :  
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣١) :

• ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ : الْخِطَابُ هُنَا كَالْخِطَابِ الَّذِي جَاءَ فِي الْآيَةِ (٢٩)  
السَّابِقَةِ ، مُوجَّهٌ لِكُلِّ مُتَلَقٍّ بِأَسْلُوبِ الْخِطَابِ الْإِفْرَادِيِّ ، وَبِصِيغَةِ الْاسْتِفْهَامِ  
الَّذِي فِيهِ حَضْرٌ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكُونِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى طَائِفَةٍ  
مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ ، الْوَاحِدِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْكُونِ ،

مِنْهَا إِحَاطَةٌ عِلْمِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهَا قُدْرَتُهُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ، وَمِنْهَا  
إِتْقَانُهُ صُنْعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهَا عِنَايَتُهُ بِعِبَادِهِ، وَرَحْمَتُهُ بِهِمْ، وَمِنْهَا حِكْمَتُهُ فِي  
تَصَاريفِهِ، مُبْتَلِيًّا، وَمُذَكِّرًا، وَمُنْذِرًا.

• ﴿.. أَنْ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ ..﴾:

الْفُلْكَ: مَرْكَبُ الْبَحْرِ، يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَغَيْرِهِ، وَيُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ،  
وَجَاءَ فِي الْعِبَارَةِ هُنَا تَأْنِيثُهُ بِفَعْلٍ: ﴿تَجْرِي﴾.

وَالنِّعْمَةُ: هِيَ الْمِنَّةُ وَالْعَطِيَّةُ مِمَّا يُحِبُّ مَنْ أُعْطِيَهَا، وَنِعْمَةُ اللَّهِ أَثَرُ مِنْ  
أَثَارِ رَحْمَتِهِ، الَّتِي هِيَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ نَفْسِهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ،  
وَنِعْمَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ كَثِيرَةٌ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِحْصَاءَهَا.

أَي: أَلَمْ تُفَكِّرْ حَتَّى تَرَى رُؤْيَا عِلْمِيَّةً، أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي لِخُطَابِ رَبِّكَ لَكَ  
خُطَابًا إِفْرَادِيًّا، عِنَايَةً بِكَ، وَلِتَحْمِيلِكَ مَسْئُولِيَّةَ مَعْرِفَةِ آيَاتِ رَبِّكَ فِي كَوْنِهِ،  
حَتَّى تُؤْمِنَ بِهِ وَاحِدًا فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَوَاحِدًا فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَحَتَّى تَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا  
تُشْرِكُ بِعِبَادَتِهِ أَحَدًا.

أَلَمْ تُفَكِّرْ فِي ظَاهِرَةِ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ تَفْكِيرًا سَلِيمًا بِوَعْيٍ  
وَتَأَمُّلٍ، لِتَرَى أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ، إِنَّمَا تَجْرِي مَضْحُوبَةً وَمُحْمِيَّةً  
وَمُسَيَّرَةً بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ، ضَمَّنَ عَطَاءَاتِهِ وَإِنْعَامَاتِهِ الْكَثِيرَاتِ اللَّاتِي لَا  
يَسْتَطِيعُونَ إِحْصَاءَهَا؟!.

إِذَا كُنْتَ لَمْ تُفَكِّرْ فَاجْتَهِدْ فِي أَنْ تُفَكِّرَ لِتَرَى كَيْفَ تَجْرِي الْفُلْكَ فِي  
الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ.

هَذَا الْحُضُّ عَلَى التَّفَكُّرِ لِلْوُصُولِ إِلَى رُؤْيَا عِلْمِيَّةٍ صَحِيحَةٍ شَامِلَةٍ  
لِلدَّقَائِقِ التَّكْوِينِيَّةِ، الدَّالَّةِ عَلَى إِتْقَانِ اللَّهِ الْمُدهِشِ، وَعِلْمِهِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ  
شَيْءٍ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ، وَحِكْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ فِي اخْتِيَارَاتِهِ،  
يَتَطَلَّبُ دِرَاسَةً خُصَائِصِ الْمَاءِ، وَخُصَائِصِ نِظَامِ الطَّفْوِ، وَكَيْفَ يَكُونُ

الْجَرَيَانُ السَّلِيمُ لِلْفُلْكِ، لِبُلُوغِ الْأَمَاكِنِ وَالْبُلْدَانِ الْبَعِيدَةِ عُبُوراً فِي الْبَحَارِ وَجَزْياً عَلَى سَطُوحِهَا، إِلَى كُلِّ مَا تَحْتَاجُهُ الْأَسْفَارُ الْبَحْرِيَّةُ.

هَذِهِ الدِّرَاسَةُ ذَاتُ هَدَفَيْنِ، دُنْيَوِيٍّ، وَدِينِيٍّ أُخْرَوِيٍّ:

**الْهَدَفُ الدُّنْيَوِيُّ:** هُوَ الَّذِي يُوصِلُ إِلَى مَعْرِفَةِ أَفْضَلِ الْأَسْبَابِ الصَّنَاعِيَّةِ، وَالشَّرُوطِ الْمَطْلُوبَةِ لِتَسْيِيرِ الْفُلْكِ تَسْييراً يَغْلِبُ فِيهِ الْأَمْنُ مِنْ عَوَارِضِ الْهَلَاكِ بِالْعَرَقِ، حِينَمَا تَأْتِي الرِّيَّاحُ الْعَاصِفَةُ وَالْقَاصِفَةُ، وَتَرْفَعُ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ فَتَجْعَلُهَا كَالْجِبَالِ، وَتَضْرِبُ الْفُلْكَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَتَرْفَعُهَا وَتَخْفِضُهَا حَتَّى تَمْتَلِئَ قُلُوبُ رُكَّابِهَا خَوْفاً مِنَ الْعَرَقِ، الَّذِي لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ إِلَّا أَنْ تُدْرِكَهُمْ رَحْمَةُ اللَّهِ بِنِعْمَتِهِ، فَيُسْكِنَ الرِّيَّاحَ بِقُدْرَتِهِ.

هَذَا الْهَدَفُ الْعِلْمِيُّ لَا يَسْتَطِيعُ الْوُصُولُ إِلَى الْمَطْلُوبِ الْغَايِيِّ مِنْهُ، إِلَّا كُلُّ صَبَّارٍ فِي بُحُوثِهِ الْعِلْمِيَّةِ، الَّتِي يَتَّبِعُ فِيهَا الدَّقَائِقَ بِالتَّجَارِبِ الْكَثِيرَةِ، وَالْمُلاحَظَاتِ الْقَائِمَاتِ عَلَى التَّأَمُّلِ وَالنَّظَرِ السَّلِيمِ، وَتَدْوِينِ هَذِهِ الْمُلاحَظَاتِ، وَوَضْعِهَا مَوْضِعَ التَّنْفِيزِ لِمَعْرِفَةِ مَدَى الْإِنْتِفَاعِ بِهَا، وَمُتَابَعَتِهَا بِالتَّطْوِيرِ وَالتَّحْسِينِ وَالتَّجْوِيدِ، كُلَّمَا أَدْرَكَ الْبَاحِثُونَ الْعِلْمِيُّونَ شَيْئاً أَفْضَلَ وَأَحْسَنَ مِمَّا سَبَقَ أَنْ تَوْصَلُوا إِلَيْهِ، وَنَفَّذُوهُ فِيمَا سَبَقَ أَنْ صَنَعُوهُ.

**الْهَدَفُ الدِّينِيُّ الْأُخْرَوِي:** هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ الْمُتَفَكِّرِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ يُدْرِكُونَ عَظَمَةَ إِتْقَانِ اللَّهِ الْجَلِيلِ لِكُلِّ مَا خَلَقَ وَصَنَعَ فِي كَوْنِهِ، وَيُدْرِكُونَ وَافِرَ إِنْعَامِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَوَاسِعَ رَحْمَتِهِ بِهِمْ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْمَنَازِلَ الْعَالِيَةَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ، إِنَّمَا تَكُونُ لِلْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ، فَيَحْرِصُونَ عَلَى بُلُوغِ هَذِهِ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، فَيَزِيدُونَ مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ وَالْقُرْبَاتِ، فَوْقَ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ، شُكْراً لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ، رَغْبَةً فِي أَنْ يَكُونُوا شُكُورِينَ.

• ﴿.. لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾ .. ﴿: جَاءَ الْخِطَابُ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ

لِلنَّاسِ جَمِيعاً بِأَسْلُوبٍ خِطَابِ الْجَمَاعَةِ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْفَاتِ، لِلإِشْعَارِ بِأَنَّ  
الْإِرَاءَةَ مُوجَّهَةٌ لِلْجَمِيعِ، وَأَنَّ الْحِكْمَةَ اقْتَضَتْ تَحْمِيلَ كُلِّ فَرْدٍ مَسْئُولِيَّتَهُ تَجَاهَ  
مَا هُوَ مَطْلُوبٌ مِنْ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ النَّاسِ حِينَ يُوجَّهُ لَهُمُ التَّكْلِيفُ  
الْجَمَاعِي.

أي: لِيُرِيَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بَعْضَ آيَاتِهِ، لِأَنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَتَوَصَّلُوا  
إِلَى رُؤْيَا كُلِّ آيَاتِهِ، وَلَوْ عَلَى سَبِيلِ الرُّؤْيَا الْعِلْمِيَّةِ، فَفِي الْكَوْنِ دَقَائِقُ هِيَ  
مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ الْوُصُولَ إِلَى إِدْرَاكِهَا وَمَعْرِفَتِهَا.

• ﴿...﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾:

أي: إِنَّ فِي ذَلِكَ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ ظَاهِرَةُ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ  
بِنِعْمَةِ اللَّهِ، لآيَاتٍ كَثِيرَاتٍ، وَعَلَامَاتٍ مُتَعَدِّدَاتٍ، دَوَاتٍ هَدَفِينَ:

• فَالْهَدَفُ الدُّنْيَوِيُّ الْعِلْمِيُّ يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ كُلُّ صَبَّارٍ فِي الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ.

• وَالْهَدَفُ الدُّنْيَوِيُّ الْآخِرِيُّ يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ وَيَسْتَفِيدُ مِنْهُ كُلُّ شَكُورٍ.

صَبَّارٌ: صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ لَصَابِرٍ، أَي: هُوَ صَابِرٌ صَبْرًا شَدِيدًا.

شَكُورٌ: صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ لَشَاكِرٍ، أَي: هُوَ شَاكِرٌ شُكْرًا كَثِيرًا بَلَغَ إِلَى  
مَرْتَبَةِ الْأَبْرَارِ، أَوْ الْمُحْسِنِينَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُبَيِّنُ أَقْسَامَ النَّاسِ تَجَاهَ الْمَخَافِ الَّتِي تُحِيطُ  
بِهِمْ وَمِنْ أُمُثْلَتِهَا مَخَافُ الْعَرَقِ فِي الْبَحْرِ، حِينَمَا يَكُونُونَ فِي الْفُلْكِ  
وَتَأْتِيهِمُ الْأَمْوَاجُ كَالظُّلُلِ، الَّتِي تَجْعَلُهُمْ يَتَرَقَّبُونَ الْعَرَقَ لَحْظَةً فَلَحْظَةً.

• ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَحَتْهُمْ إِلَى  
الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِإِذْنِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾:

غَشِيَهُمْ مَوْجٌ: أَي: ارْتَفَعَ مَوْجٌ مِنْ جِهَتِي الْفُلْكِ أَوْ مِنْ إِحْدَاهُمَا  
حَتَّى سَتَرَتْهُمْ فَصَارَتِ الْفُلُكُ كَالْغَارِقَةِ بَيْنَ الْمَوْجِ، فَلَا يَرَوْنَ وَلَا يَرَوْنَ.

يُقَالُ لغة: «غَشِيَ الشَّيْءُ شَيْئًا» أَي: غَطَّاهُ وَجَلَّلَهُ فَحَجَبَهُ.

كَالظُّلِّ: الظُّلُّ جَمْعُ «الظِّلَّةِ» وَهِيَ مَا أَظْلَّ مِنْ شَجَرٍ وَغَيْرِهِ.

إِنَّ رُكَّابَ السُّفُنِ فِي الْبِحَارِ، قَدْ يَتَعَرَّضُونَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ لِأَحْدَاثٍ مُرْهِبَةٍ، تُنَزِّلُ بِهِمْ دُعْرًا شَدِيدًا، يَتَرَقَّبُونَ مَعَهُ الْغَرَقَ لِحَظَّةٍ فَلَحَظَةً.

فَقَدْ يَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رِيحًا عَاتِيَةً، تَضْرِبُ مِيَاهَ الْبَحْرِ، فَتَجْعَلُ أَمْوَاجَهُ تَرْتَفِعُ كَالْجِبَالِ، وَقَدْ يَصِلُ ارْتِفَاعُهَا إِلَى أَكْثَرِ مِنْ ارْتِفَاعِ جُدْرَانِ السَّفِينَةِ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ، فَتَكُونُ سَاتِرَةً لَهَا.

فَإِذَا يَسُوءُ مِنَ اتِّخَاذِ أَسْبَابٍ تُنْجِيهِمْ:

● .. دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ .. ❦ : أَي: تَوَجَّهُوا لِلَّهِ يَدْعُوهُ لَا يُشْرِكُونَ بِدُعَائِهِ أَحَدًا وَلَا شَيْئًا.

إِخْلَاصُ الدِّينِ لِلَّهِ فِي الدُّعَاءِ، دُعَاءُ الدَّاعِينَ لَهُ مُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ الرَّبُّ الَّذِي لَا رَبَّ فِي الْوُجُودِ غَيْرُهُ، فَلَا خَلْقَ إِلَّا خَلْقُهُ، وَلَا أَحَدٌ يُنْجِي مِنَ الْهَلَاكِ وَالْكَرْبِ سِوَاهُ، وَمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ بِحَقِّ فِي الْوُجُودِ غَيْرُهُ، وَلَا عِبَادَةً بِالْدُّعَاءِ وَغَيْرِهِ إِلَّا لَهُ.

● .. فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ .. ❦ : أَي: فَلَمَّا أَسْكَنَ اللَّهُ الْبَحْرَ، وَهَيَّأَ لَهُمْ وَسَائِلَ النِّجَاةِ، وَنَجَّاهُمْ مِنْ أَهْوَالِ الْبَحْرِ، وَأَوْصَلَهُمْ إِلَى الْبَرِّ آمِنِينَ، وَوَجَدُوا نَفُوسَهُمْ عَلَى الْيَابِسَةِ.

● .. فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِإِثْمِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ❦ :

الْخَتَّارُ: الْعَدَارُ بِأَفْبَحِ الْعَدْرِ، يُقَالُ لغة: «خَتَرَ فُلَانٌ فُلَانًا، يَخْتَرُهُ» أَي: عَدَرَ بِهِ أَفْبَحَ الْعَدْرِ. وَلَفْظُ «خَتَّارٍ» صِيغَةُ مَبَالِغَةٍ لِاسْمِ الْفَاعِلِ «خَاتِرٌ».

الْكَفُورُ: صِيغَةُ مَبَالِغَةٍ لِاسْمِ الْفَاعِلِ «كَافِرٌ» فَالْكَفُورُ هُوَ ذُو الْكُفْرِ الشَّدِيدِ بِالْحَقِّ، وَالْكَفْرِ الشَّدِيدِ لِإِنْعَامِ الْمُنْعَمِ.

دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ بِصَرِيحِ اللَّفْظِ وَالْمَطَوِيَّاتِ فِيهِ عَلَى أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ سَبَقَ أَنْ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، يَنْقَسِمُونَ بَعْدَ أَنْ يُنْجِيَهُمُ اللَّهُ مِنَ الشَّدَّةِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا إِلَى الْأَقْسَامِ الَّتِي يَنْقَسِمُ إِلَيْهَا النَّاسُ جَمِيعًا، قَبْلَ أَنْ يَتَعَرَّضُوا إِلَى أَحْدَاثٍ مُرْهِبَةٍ تَخْلَعُ قُلُوبَهُمْ بِالذُّعْرِ مِنَ الْهَلَاكِ.

وَجَاءَ فِي النَّصِّ التَّصْرِيحُ بِقِسْمَيْنِ، مَعَ طَيِّ سَائِرِ الْأَقْسَامِ، الَّتِي يَسْتَخْرِجُهَا الْمُتَدَبِّرُ الْمُتَأَنِّي بِالتَّفْكِيرِ الْمُتَعَمِّقِ مَعَ دَلَالَاتِ نُصُوصٍ أُخْرَى جَاءَتْ فِي سَوَابِقِ نُجُومِ التَّنْزِيلِ.

إِنَّ النَّاسَ فَرِيقَانِ: فَرِيقٌ مُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمِينِ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ كَافِرٌ مِنْ أَصْحَابِ الشِّمَالِ أَهْلِ النَّارِ.

• أَمَّا الْفَرِيقُ الْأَوَّلُ الْمُؤْمِنُونَ أَهْلُ الْيَمِينِ، فَهُمْ أَقْسَامٌ ثَلَاثَةٌ.

(١) مُقْتَصِدُونَ.

(٢) وَأَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُقْتَصِدِينَ، وَهُمْ السَّابِقُونَ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ.

(٣) وَأَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْمُقْتَصِدِينَ، وَهُمْ الظَّالِمُونَ لِنَفْسِهِمْ بِكَثْرَةِ مَعَاصِيهِمْ مَعَ إِيْمَانِهِمْ.

وَقَدْ سَبَقَ فِي سُورَةِ (فاطر/ ٣٥ مصحف/ ٤٣ نزول) بَيَانُ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ أَتْبَاعِ الرِّسَالَةِ الْمَحْمَدِيَّةِ:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ .. ﴿٣٢﴾﴾.

فَالْقِسْمُ الْأَدْنَى وَهُمْ الْأَكْثَرُ عَدَدًا: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الظَّالِمُونَ لِنَفْسِهِمْ بِكَثْرَةِ الْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتِ وَارْتِكَابِ الْكَبَائِرِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ.

وَكُلُّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ هَذَا الْقِسْمِ صَحَّ إِيمَانُهُ وَإِسْلَامُهُ، لَكِنَّهُ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَأَسْرَفَ عَلَيْهَا وَجَنَى بِاقْتِرَافِ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ، وَارْتِكَابِ الْكَبَائِرِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا نَهْيًا مَقْرُونًا بِتَحْذِيرٍ شَدِيدٍ، وَرَتَّبَ عَلَيْهَا عِقَابًا أَلِيمًا.

وهؤلاء على دَرَجَاتٍ مُتَفَاضِلَاتٍ تَحْتَ سَقْفِ مَرْتَبَةِ التَّقْوَى، بِحَسَبِ نِسْبَةِ مَعَاصِيهِمْ وَجَنَايَاتِهِمْ وَإِسْرَافِهِمْ عَلَى نَفْسِهِمْ.

وَالْقِسْمُ الْأَوْسَطُ: هُمُ الْمُفْتَصِّدُونَ، وَهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ حُقُوقَ مَرْتَبَةِ التَّقْوَى، بِتَأْدِيَةِ الْوَاجِبَاتِ، وَاجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَقَدْ يُجْبَرُ الْخَلَلُ فِيهَا بِالِاسْتِعْفَارِ وَالتَّوْبَةِ، وَبِتَأْدِيَةِ بَعْضِ نَوَافِلِ الْقُرْبَاتِ مِنْ غَيْرِ فِعْلِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ.

وَالْقِسْمُ الْأَعْلَى: وَهُمْ الْأَقْلُ عَدَدًا، هُمُ قِسْمُ السَّابِقِينَ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ.

وأفراد هذا القسم هُمُ الَّذِينَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِالنَّوَافِلِ مِمَّا يُحِبُّهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَوْقَ أَدَائِهِمْ لِلْوَاجِبَاتِ، وَتَرْكِهِمْ لِلْمُحَرَّمَاتِ، وَهُمْ يَسْتَرِيدُونَ مِنْ نَوَافِلِ الْقُرْبَاتِ طَلَبًا لِمَرْضَاةِ اللَّهِ، وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ عِنْدَهُ.

وأفراد هذا القسم على دَرَجَاتٍ مُتَفَاضِلَاتٍ كَثِيرَاتٍ، بِمِقْدَارِ سَبْقِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ.

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْقِسْمِ الْأَبْرَارُ، وَالْمُحْسِنُونَ، وَجَاءَ التَّعْبِيرُ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمُ الْمُقَرَّبُونَ.

فَدَلَّتْ عِبَارَةٌ: ﴿فَمِنْهُمْ مُقْنَصٌ﴾ فِي آيَةِ سُورَةِ (لقمان/ ٥٧ نزول) عَلَى الْقِسْمِ الْأَوْسَطِ، مِنْ أَقْسَامِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلِ الْيَمِينِ، أَصْحَابِ الْجَنَّةِ، بِصَرِيحِ اللَّفْظِ.

وَدَلَّتْ عَنْ طَرِيقِ اللَّزُومِ الْفِكْرِيِّ عَلَى الْقِسْمَيْنِ الْآخَرَيْنِ اللَّذَيْنِ سَبَقَ بَيَانُهُمَا فِي سُورَةِ (فاطر/ ٤٣ نزول).

إِنَّ عِبَارَةَ: ﴿فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ هِيَ عَلَى تَقْدِيرٍ: فَقَسَمَ مِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذِكْرَ قِسْمٍ مِنْ أَقْسَامِ جَمَاعَةٍ ذَاتِ عُنْوَانٍ وَاحِدٍ، يَسْتَدْعِي ذَهْنًا سَائِرَ الْأَقْسَامِ الْمَعْلُومَةِ.

• وَأَمَّا الْفَرِيقُ الثَّانِي: الْكَافِرُونَ أَصْحَابُ الشَّمَالِ، فَهُمْ أَيْضًا أَقْسَامٌ ثَلَاثَةٌ، فِي مُقَابِلِ أَقْسَامِ الْفَرِيقِ الْأَوَّلِ.

(١) أَصْحَابُ الدَّرَكَاتِ الْأُولَى مِنَ النَّارِ، وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ عَلَى تَنَازُلِ دَرَكَاتِهِمْ، فِي نِسْبَةِ الشَّرْكِ وَارْتِكَابِ الْجَرَائِمِ الْكُبْرَى.

(٢) أَصْحَابُ الدَّرَكَاتِ الْوُسْطَى فِي الْجَحِيمِ، وَهُمْ الْكَافِرُونَ الْمَعَانِدُونَ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ إِقْنَاعِهِمْ بِالْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ، مَعَ إِسْرَافٍ فِي ارْتِكَابِ بَعْضِ الْجَرَائِمِ الْكُبْرَى.

(٣) أَصْحَابُ الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، وَهُمْ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ الْجَبَّارُونَ، الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، الْجَا حِدُونَ الْكَافُرُونَ، وَمِنْهُمْ الْمُنَافِقُونَ، لِأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ رَذِيلَتَيْنِ خَسِيسَتَيْنِ هُمَا الْكُفْرُ وَالتَّفَاقُ.

وَقَدْ دَلَّ عَلَى أَصْحَابِ الدَّرَكَاتِ الْوُسْطَى، مَا سَبَقَ أَنْ جَاءَ فِي سُورَةِ (الصَّافَاتِ/٣٧ مصحف/٥٦ نزول) بِشَأْنِ الْمَكْذِبِ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَقَرِينِهِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَطَلَبَ مِنْ جُلَسَائِهِ فِيهَا أَنْ يَطْلِعُوا عَلَى قَرِينِهِ الَّذِي كَانَ يُحَاوِلُ إِقْنَاعَهُ بِأَنْ يَكْفُرَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا:

﴿فَاطْلَعَ قَرَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾: أَي: فِي وَسْطِهَا لَا فِي أَدْنَاهَا، وَلَا فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ فِيهَا.

وَدَلَّتْ سَوَابِقُ النُّصُوصِ فِي سَوَابِقِ نُجُومِ التَّنْزِيلِ عَلَى أَنَّ عَذَابَ أَهْلِ النَّارِ مُتَفَاوِثُ النَّسَبِ بِحَسَبِ مَقَادِيرِ الْكُفْرِ وَالْجَرَائِمِ، وَمِنْهَا مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ (٣٨) مِنْ سُورَةِ (الأعراف/٣٨ نزول) وَمَا جَاءَ فِي الْآيَتَيْنِ (٦٠) وَ(٦١) مِنْ سُورَةِ (ص/٣٨ نزول).



والتَّقَابُلُ بَيْنَ أَقْسَامِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلِ الْيَمِينِ، وَأَقْسَامِ الْكَافِرِينَ أَصْحَابِ الشَّامِ، مَعَ النَّظَرِ إِلَى وَاقِعِ أَحْوَالِ النَّاسِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَهْلَ النَّارِ أَقْسَامٌ رَئِيسَةٌ ثَلَاثَةٌ، وَهُمْ عَلَى دَرَكَاتٍ مُتَنَازِلَاتٍ إِلَى قَرَارِ الْجَحِيمِ.

وَقَدْ دَلَّتْ عِبَارَةٌ: ﴿... وَمَا يَجْحَدُ بِإِثْمِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (٣٣) فِي سُورَةِ (لُقْمَان/ ٥٧ نزول) عَلَى الْقِسْمِ الْأَخْسَّ مِنَ الْكَافِرِينَ، لِأَنَّهُ التَّجَاؤُ إِلَى رَبِّهِ دَاعِيًا مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ فِي سَاعَةِ الشَّدَّةِ، فَلَمَّا أَنْجَاهُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ بِرَحْمَتِهِ كَانَ غَذَارًا نَاقِضًا عَهْدَهُ، وَكَانَ كَفُورًا شَدِيدَ الْكُفْرِ عِنَادًا وَكِبْرًا وَفُجُورًا.

وَهَذَا الْجَا حِدُ الْعَذَارُ الْكُفُورُ، يُشَارِكُ فِي الدَّرَكَاتِ السُّفْلَى مِنَ النَّارِ، أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَالْإِضْلَالِ، وَالْمُنَافِقِينَ، وَالطُّعَاةَ الْجَبَّارِينَ، وَلِكُلِّ مِنْهُمْ دَرَكَةٌ ثَلَاثُ مُسْتَوَى جَرَائِمِهِ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس العاشر من دروس سورة (لقمان).  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



(١٦)

التدبر التحليلي للدرس الحادي عشر من دروس سورة (لقمان)  
وهو الآيتان (٣٣) و (٣٤) آخر السورة

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْرِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣٤).

## القراءات:

(٣٤) • قرأ نافعٌ، وابنُ عامر، وعاصم، وأبو جعفر: [وَيُنْزِلُ] مِنْ فعل: «نَزَلَ» المضَعَّف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَيُنْزِلُ] من فعل: «أَنْزَلَ» المَهْمُوز.  
والقراءتان مُتَكَافِئَتَانِ، فالفعل المَهْمُوز أخو الفعل المضَعَّف.

## تمهيد:

في آتَيْ هَذَا الدَّرْسِ الْآخِرِ مِنْ دُرُوسِ السُّورَةِ نَدَاءٌ لِلنَّاسِ جَمِيعاً  
بأنَّ يَتَّقُوا اللَّهَ رَبَّهُمْ، وبأنَّ يَخْشَوْا عَذَابَهُ الْمُعَدَّ لِلْعَصَاةِ وَالْكَافِرِينَ يَوْمَ  
الَّذِينَ.

وفيهما بَيَانٌ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ، لَمْ  
يُعْطِ اللَّهُ بَيَانَ وَقْتِ قِيَامِهَا لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ.

وفيهما بَيَانٌ أَنَّهُ يُنْزِلُ الْعَيْثَ بِحُكْمَتِهِ. وَأَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ مَا فِي الْأَرْحَامِ،  
وَبَيَانٌ أَنَّهُ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ  
تَمُوتُ. لَكِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ خَيْرٍ.

## التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي نِدَاءٍ مُوجَّهِ لِلنَّاسِ جَمِيعاً:

• ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا  
مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا  
وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾﴾:

في هَذِهِ الْآيَةِ مَوْعِظَةٌ تَحْذِيرِيَّةٌ تَرْهِيبِيَّةٌ، مِنْ عِقَابِ اللَّهِ عَلَى الْكُفْرِ بِمَا  
أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَعَلَى مُخَالَفَةِ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ اللَّاتِي رَتَّبَ عَلَى  
مُخَالَفَتِهَا عِقَابًا.

وَهَذَا الْعِقَابُ مِنْهُ مَا هُوَ مُعَجَّلٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمِنْهُ مَا هُوَ مُؤَجَّلٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، الَّذِي يَكُونُ الْجَزَاءُ فِيهِ شَخْصِيًّا، فَلَا يَكْفِي وَلَا يُغْنِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا.

• ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُولُوا رَبِّكُمْ...﴾: أي: اتَّقُوا جزاء ربِّكم العقابيَّ كُلَّهُ عاجِلَهُ وآجِلَهُ.

وَاتِّقَاءُ عِقَابِ اللَّهِ يَكُونُ بِالْإِيمَانِ بِمَا أَمَرَ بِالْإِيمَانِ بِهِ، فِيمَا أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِهِ، وَإِعْلَانِ الْإِسْلَامِ لَهُ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَطَاعَتِهِ بِفِعْلٍ مَا أَمَرَ بِفِعْلِهِ أَمَرَ إيجاباً، واجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ نَهْيٍ تَحْرِيمٍ.

واخْتِيرَ هُنَا مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ صِفَةُ «الرَّبِّ» لِأَنَّ الصِّفَاتِ الَّتِي تَدْخُلُ تَحْتَ عُنْوَانِ «رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ» هِيَ الصِّفَاتُ ذَوَاتُ الْعَلَاقَةِ بِإِيجَادِهِمْ، وَإِمْدَادِهِمْ، وَتَكْلِيفِهِمْ، وَحِسَابِهِمْ، وَمُجَازَاتِهِ لَهُمْ، وَمَوْتِهِمْ، وَبَعْثِهِمْ، وَكُلِّ تَصَارِيفِهِ فِي ذَوَاتِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ، فَمِنْ حَقِّ رُبُوبِيَّتِهِ لَهُمْ الشَّامِلَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ فِيهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَيُسَلِّمُوا لَهُ، وَيُطِيعُوهُ، وَمَنْ سَعِيَهِمْ لِمَا يَنْفَعُهُمْ، وَحِمَايَةِ نَفْسِهِمْ مِمَّا يَكْرَهُونَ مِنْ جَزَاءِ عِقَابِي، التِّزَامُهُمُ الْعَمَلِ بِمَا يُحِبُّ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْهُمْ أَنْ يَعْمَلُوهُ، واجْتِنَابُهُمُ اقْتِرَافَ مَا لَا يُحِبُّ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْهُمْ أَنْ يَقْتَرِفُوهُ.

• ﴿... وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا...﴾:

أي: وَخَافُوا وَقَائِعَ يَوْمٍ يَكُونُ فِيهِ الْحِسَابُ وَفَضْلُ الْقَضَاءِ وَتَنْفِيزُ الْجَزَاءِ، هُوَ يَوْمُ الدِّينِ بَعْدَ الْبَعْثِ.

وَمِنْ أَوْصَافِ وَقَائِعِ هَذَا الْيَوْمِ، أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ مَوْضُوعاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، يَأْتِي فِيهِ فَرْدًا لِمُلَاقَاةِ حِسَابِ رَبِّهِ وَفَضْلِ قَضَائِهِ بِشَأْنِهِ وَتَنْفِيزِ مُجَازَاتِهِ لَهُ، وَيَفْرُ فِيهِ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، إِذْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ.

فَلَا يَكْفِي وَلَا يُغْنِي فِيهِ وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ شَيْئاً، إِذْ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ أَنْ يُسَاعِدَ أَحَدًا أَوْ يَنْصُرَ أَحَدًا.

وَلَا يَكْفِي وَلَا يُغْنِي فِيهِ مَوْلُودٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً، إِذْ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ أَنْ يُسَاعِدَ أَحَدًا أَوْ يَنْصُرَ أَحَدًا يَوْمَئِذٍ.

إِنَّ الْأَمْرَ يَوْمَئِذٍ كُلُّهُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، لَهُ الْمُلْكُ كُلُّهُ وَحْدَهُ، لَا يُشَارِكُهُ فِي سُلْطَانِهِ مُشَارِكٌ، وَمَلَائِكَتُهُ يُنْقِذُونَ أَوَامِرَهُ.

﴿لَا يَجْزِي﴾: أي: لَا يَكْفِي وَلَا يُغْنِي. يُقَالُ لُغَةً: «جَزَى الشَّيْءُ يَجْزِي، جَزَاءً» أي: كَفَى، وَأَعْنَى.

• ﴿..﴾ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ .. ﴿﴾: أي: كُلُّ وَعْدٍ وَعَدَهُ اللَّهُ مِمَّا سَيَكُونُ أَوْ سَوْفَ يَكُونُ هُوَ وَعْدٌ حَقٌّ، لِأَنَّهُ صِدْقٌ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَحَقَّقَ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ، إِذْ هُوَ قَدِيرٌ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ، بِأَمْرِ التَّكْوِينِ، وَلَهُ كُلُّ صِفَاتِ الْكَمَالِ.

وَالْمَقْصُودُ الْأَوَّلُ بِالْوَعْدِ هُنَا هُوَ الْبَعْثُ وَيَوْمُ الدِّينِ، وَكُلُّ الْأَحْدَاثِ الَّتِي جَاءَ فِي النُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ أَنَّهَا سَوْفَ تَجْرِي فِيهِ.

• ﴿..﴾ فَلَا تَعْرِزْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا .. ﴿﴾: أي: فَلَا تَخْدَعَنَّكُمْ زِينَاتُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَمَاتِنُهَا، وَلَا تَصْرِفَنَّكُمْ عَنِ الْبَصِيرَةِ الْمُدْرِكَةِ لِلْحَقِّ.

يُقَالُ لُغَةً: «عَرَّه، يَغُرُّه، عَرًّا، وَغُرُورًا، وَغِرَّةً» أي: خَدَعَهُ وَأَظْمَعَهُ بِالْبَاطِلِ.

وَالْمُرَادُ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا فِيهَا مِنْ شَهَوَاتٍ، وَلَذَاتٍ، وَزِينَاتٍ وَأَهْوَاءٍ مِمَّا يَخْدَعُ نَفُوسَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَيَصْرِفُهُمْ عَنِ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ الْخَالِدَةِ، وَنَعِيمِهَا الْمَقِيمِ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ.

• ﴿..﴾ وَلَا يَعْزِزْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾: ﴿٣٣﴾

الْغُرُورُ: مِنْ صِيغِ الْمَبَالِغَةِ، أَي: شَدِيدُ الْخَدَعِ بِالْبَاطِلِ، وَيَنْطَبِقُ هَذَا اللَّفْظُ عَلَى كُلِّ خَدَاعٍ يُطْمَعُ بِالْبَاطِلِ.

وَيُطْلَقُ غَالِبًا عَلَى الشَّيْطَانِ وَمَنْ كَانَ مِثْلَهُ.

والتَّعْدِيَةُ بِالْبَاءِ فِي: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ هِيَ فِيمَا أَرَى عَلَى مَعْنَى: وَلَا يَخْدَعَنَّكُمْ بِتَرْيِيبِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ لِنُفُوسِكُمْ، وَيَافَنَاعِكُمْ بِأَنَّهُ لَا بَعَثَ وَلَا حِسَابَ وَلَا جَزَاءَ، وَأَنَّ يَوْمَ الدِّينِ خُرَافَةٌ، الْغُرُورُ بِوَسَاوِسِهِ وَدَسَائِسِهِ وَتَسْوِيلَاتِهِ وَتَرْيِيفَاتِهِ وَزُخْرُفِ الْقَوْلِ الَّذِي يَصْطَنِعُهُ لِيَخْدَعَ بِهِ بِالْبَاطِلِ.

إِنَّ كُلَّ مَا يُقَدِّمُهُ الْكَافِرُونَ، الَّذِينَ يُنْكِرُونَ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، هُوَ مِنْ قَبِيلِ الْأَكَاذِيبِ، وَزُيُوفِ الْأَقْوَالِ، وَأَبَاطِيلِهَا، مُزَيَّنًا بِزُخْرُفٍ مِنَ الْقَوْلِ.

وَرَبُّ النَّاسِ يُحْذِرُهُمْ مِمَّا يَتَّخِذُهُ الْمَضِلُّونَ مِنْ وَسَائِلَ وَأَسْبَابَ، لِإِغْوَاءِ النَّاسِ، وَإِضْلَالِهِمْ، وَصَدَّهُمْ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَجَعَلَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ رَبُّهُمْ لِهَدَايَتِهِمْ وَخَيْرِهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ الْأَبَدِيَّةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ آيَاتِ السُّورَةِ:

• ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾.

فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانٌ سِتِّ قَضَايَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ السَّوِيِّ، أَنْ يَكُونَ عَلَى عِلْمٍ بِهَا، وَأَنْ يَجْعَلَهَا فِي سَاحَةِ تَصَوُّرِهِ الْحَاضِرِ، أَوْ قَرِيبَةِ الْحُضُورِ فِيهِ، دُونَ إِجْهَادِ نَفْسِيٍّ فِي الاسْتِذْكَارِ.

الْقَضِيَّةُ الْأُولَى: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾.

السَّاعَةُ: أُطْلِقَ لَفْظُ «السَّاعَةِ» فِي الْقُرْآنِ عَلَى عِدَّةٍ مَعَانٍ سَبَقَ بَيَانُهَا

لدى تَدَبُّرِ الآيَةِ (١٨٧) من سورة (الأعراف/ ٣٩ نزول) وَمِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي: وَقْتُ انْهَاءِ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَحْدَاثُهَا. وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمَرَادُ هُنَا.

وَفِي عِبَارَةٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إشْعَارٌ بِأَنَّ الْعِلْمَ بِوَقْتِ انْهَاءِ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَحْدَاثُهَا لَا يُوجَدُ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ، أَخْذًا مِنْ تَقْدِيمِ الظَّرْفِ «عِنْدَهُ» عَلَى عَامِلِهِ فِي: «عِلْمُ السَّاعَةِ» وَلَيْسَتْ هَذِهِ الدَّلَالَةُ قَطْعِيَّةً.

وَلَكِنْ جَاءَ فِي الْآيَةِ (١٨٧) مِنْ سُورَةِ (الأعراف/ ٣٩ نزول) مَا يَدُلُّ دَلَالَةً قَطْعِيَّةً عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُعْلَمْ أَحَدًا بِوَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ وَأَنَّهَا لَا تَأْتِي إِلَّا بَعَثَةً، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُنَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ تَدَبُّرِيٍّ مُوسَّعٍ لَدَى تَدَبُّرِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي مَوْضِعِهَا مِنْ سُورَةِ (الأعراف/ ٣٩ نزول) وَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ هُنَا تَكْرِيرُ مَا سَبَقَ شَرْحُهُ حَوْلَ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ.

وَيُظْهِرُ لِي أَنَّ مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (لُقْمَان/ ٥٧ نزول) اسْتِغْنَى فِيهِ عَنْ إِبْرَادِ نَصِّ قَطْعِيٍّ الدَّلَالَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُعْلَمْ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ بِوَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، اعْتِمَادًا عَلَى مَا جَاءَ فِي آيَةِ سُورَةِ (الأعراف/ ٣٩) السَّابِقَةِ نَزُولًا.

القَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿.. وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ..﴾: أَي: وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِاخْتِيَارِهِ الْحَكِيمِ، يُنَزِّلُ الْغَيْثَ الَّذِي يَرْزُقُ بِهِ عِبَادَهُ، وَهُوَ مِنْ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ.

الغَيْثُ الْمَطَرُ، وَقِيلَ: هُوَ الْخَاصُّ بِالْخَيْرِ مِنَ الْمَطَرِ.

أقول: وَتَشْهَدُ الِاسْتِعْمَالَاتُ بِتَرْجِيحِ هَذَا الْقَوْلِ.

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُ عِبَادَهُ، فَيَقْضِي لِبَعْضِهِمْ بِالسَّعَةِ فِي الرِّزْقِ، وَيَقْضِي لِبَعْضِهِمْ بِجَعْلِ رِزْقِهِمْ غَيْرَ ذِي سَعَةٍ، لِيُبْلُوا كُلًّا فِيمَا آتَاهُ بِحَسَبِ خَصَائِصِ نَفْسِهِ الَّتِي فَطَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا.

وَقَدْ يُكَافِي اللَّهُ بَعْضَ عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ أَوْ الْأَبْرَارِ بِرِزْقٍ خَاصٍّ بِهِمْ، دُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا وَسَائِلَ مَادِّيَّةَ ظَاهِرَةً يُنْسَبُ إِلَيْهَا هَذَا الرِّزْقُ.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ هَذَا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاحٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ<sup>(١)</sup>، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاجِ<sup>(٢)</sup> قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَعَ الْمَاءُ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ، لِلْأَسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي؟. قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَأْوُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟. قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتُ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلْثِهِ، وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلْثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلْثًا».

أقول: وَيَسَبِّبُ أَنَّهُ كَانَ فِي صَدَقَتِهِ مِنَ الْأَبْرَارِ، رَزَقَهُ اللَّهُ بِالْعَيْثِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الطَّلَاقِ/ ٦٥ مصحف/ ٩٩ نزول):

(١) الْحَرَّةُ: أَرْضٌ ذَاتُ حِجَارَةٍ سَوْدٍ كَأَنَّهَا أُحْرِقَتْ.

(٢) الشَّرْجَةُ: مَجْرَى مَاءٍ يَسِيلُ مِنَ الْهَضَابِ إِلَى مَا دُونِهَا مِنَ الْأَرْضِ.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝﴾ .

القضية الثالثة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ...﴾ .  
أي: وَيَعْلَمُ كُلَّ مَا فِي أَرْحَامِ الْإِنَاثِ مِنْ كُلِّ ذِي حَيَاةٍ، حَتَّى الْبُعُوضَةِ فَمَا دُونَهَا مِنَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ، عِلْمًا يَشْمَلُ كُلَّ الدَّقَائِقِ وَيُحِيطُ بِهَا.

هَذَا السُّمُولُ الْعِلْمِيُّ لِكُلِّ أَرْحَامِ الْإِنَاثِ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الْخَاصَّةِ بِهِ، إِذْ هُوَ جَلَّ جَلَالُهُ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

أَمَّا عِلْمُ مَا فِي بَعْضِ أَرْحَامِ الْإِنَاثِ، بِآلَاتٍ وَأَدَوَاتٍ كَاشِفَاتٍ، فَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ النَّاسَ إِمْكَانَ أَنْ يَعْلَمُوا مِنْهُ بَعْضَ الظَّوَاهِرِ، وَهَذَا مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ الْمُخْتَصُّونَ، وَهُوَ لَا يَتَعَارَضُ مَعَ الْفَهْمِ السَّلِيمِ لِلنُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ الصَّحِيحَةِ فِي الْإِسْلَامِ، الْوَارِدَةِ بِشَأْنِ هَذَا الْمَوْضُوعِ.

عَلَى أَنَّ الْعِبَارَةَ الْقُرْآنِيَّةَ هُنَا عَنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ لَيْسَ فِيهَا قَصْرٌ وَلَا حَضْرٌ.

القضية الرابعة: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا...﴾ : أي: وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَخْلُوقٍ مَا أَيْ مَخْلُوقٍ مَهْمَا سَمَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ رَبِّهِ مَا الَّذِي تَكْسِبُهُ فِي الْيَوْمِ التَّالِي لِيَوْمِهَا الَّذِي هِيَ فِيهِ.

• ﴿مَآذَا﴾ مَوْضُولٌ بِمَعْنَى الَّذِي. أي: وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ الشَّيْءَ الَّذِي تَكْسِبُهُ غَدًا.

• ﴿تَكْسِبُ﴾ : أي: تَفْعَلُ.

إِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُقَرَّرُ أَنْ يَفْعَلَ فِعْلًا مَا فِي الْيَوْمِ التَّالِي لِيَوْمِهِ، وَكَثِيرًا مَا يَفْعَلُهُ، لَكِنْ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ مَشِيئَةٌ فِي أَنْ يَفْعَلَهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْعَلَهُ، فَقَدْ تَأْتِيهِ مَيِّئُهُ، أَوْ يَمْرَضُ، أَوْ تَقُومُ عَوَاقِقُ نَعُوقِهِ، فَيُعْجِزُ عَنْ فِعْلِ مَا كَانَ قَرَرَهُ.



وَلِذَا خَاطَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنَ بِقَوْلِهِ لَهُ فِي سُورَةِ (الْكَهْف/ ١٨)  
مصحف/ ٦٩ نزول):

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً ۖ (٣٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَّبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۖ﴾ (٢٤).

لفظ «فاعل» بمنزلة الفعل المضارع، يدلُّ هنا على الاستقبال.

وَالْمُرَادُ الْجَزْمُ بِأَنَّهُ سَيَفْعَلُهُ قَطْعًا، لَا مُجَرَّدُ الْعَزْمِ عَلَى فِعْلِهِ، فَالْجَزْمُ يُعَارِضُهُ احْتِمَالُ وُجُودِ مَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُضَادَّةً لِفِعْلِهِ، وَلِذَلِكَ يَعِدُ وَيَقُولُ مَعَ وَعْدِهِ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، أَيْ: وَإِنْ لَمْ يَشَأْ اللَّهُ فَإِنِّي لَا أَفْعَلُهُ.

وَمَا يَنْطَبِقُ عَلَى الْغَدِ يَنْطَبِقُ عَلَى كُلِّ أَزْمَانٍ الْمُسْتَقْبَلِ الَّذِي يَبْدَأُ عَقِبَ لَحْظَةِ التَّكَلُّمِ، أَمَا مَا بَعْدَ الْغَدِ فَهُوَ مِثْلُ الْغَدِ مِنْ بَابِ أَوْلَى. وَأَمَا مَا دُونَ الْغَدِ مِنْ بَعْدِ لَحْظَةِ التَّكَلُّمِ، فَالْأَمْرُ فِيهِ احْتِمَالَانِ.

الاحْتِمَالُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ دَاخِلًا تَحْتَ عِبَارَةِ ﴿عَدَاً﴾ عَلَى اغْتِبَارِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْغَدِ كُلِّ أَزْمَانٍ الْمُسْتَقْبَلِ الَّذِي لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ فِيهِ، لِاحْتِمَالِ وُجُودِ مَانِعٍ أَوْ أَكْثَرَ سَبَقَتْ بِإِرَادَتِهِ مَشِيئَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الاحْتِمَالُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ فُسْحَةً مَنَحَهَا اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ لِرَفْعِ الْحَرَجِ عَنْهُ، إِذَا لَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فِي أَمْرِ عَزَمَ أَنْ يَفْعَلَهُ الْيَوْمَ، لِصُعُوبَةِ مُلَاحَظَةِ هَذَا دَوَامًا، عَلَى أَنَّ الْأَفْضَلَ لَهُ أَنْ يَقُولَ أَيْضًا: إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَلَوْ فِي سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ يَوْمِهِ.

الْقَضِيَّةُ الْخَامِسَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ...﴾: أَيْ: وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَخْلُوقٍ مَا أَيِّ مَخْلُوقٍ حَيٍّ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ.

إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ مِمَّا حَجَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ النَّفُوسِ، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ حَيَّةٌ مَا الْأَرْضُ الَّتِي سَيَكُونُ مَوْتُهَا فِيهَا.

لَقَدْ سَبَقَ فِي تَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ، تَعْيِينَ الْمَكَانِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ مَوْتُ النَّفْسِ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتُ، مَعَ تَعْيِينِ الزَّمَانِ الَّذِي يَكُونُ مَوْتُهَا فِيهِ وَلَكِنْ أَعْلَمَ اللَّهُ نَفْسًا بِأَجَلِهَا الَّذِي سَتَمُوتُ فِيهِ، فَإِنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - أَخْفَىٰ عَنْهَا الْمَكَانَ الَّذِي سَتَمُوتُ فِيهِ.

وَلِلَّهِ حِكْمٌ جَلِيلَةٌ فِي كُلِّ تَصْرِيفٍ مِنْ تَصَارِيفِهِ لِخَلْقِهِ، وَفِي كُلِّ تَقْدِيرٍ مِنْ تَقَادِيرِهِ، وَفِي كُلِّ قَضَاءٍ مِنْ أَقْضِيَّتِهِ.

فَاضِلٌ مِنَ الْفَضْلَاءِ يَعِيشُ بِنَحْوِ عَشْرِ قَلْبِهِ الْمَرِيضِ، الَّذِي أُجْرِيَتْ لَهُ فِيهِ عِدَّةٌ عَمَلِيَّاتٍ، وَعَاشَ سِنِينَ عَدِيدَةً زِيَادَةً عَلَىٰ مَا قَدَّرَ الْأَطِبَّاءُ لَهُ أَنْ يَعِيشَ.

عَزَمَ عَلَىٰ أَنْ يُسَافَرَ إِلَى الرَّبَاطِ مِنَ الْمَمْلَكَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ، وَكَانَ مُقِيمًا فِي مَكَّةَ هُوَ وَأَهْلُهُ، وَلَهُ فِي مَدِينَةِ الرَّبَاطِ سَكَنٌ وَبَعْضُ مَصَالِحٍ.

وَرَجَاهُ إِخْوَانُهُ وَمُحِبُّوهُ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ أَطِبَّاءُ بَأَن لَّا يُسَافِرَ، لِأَنَّ حَالَتَهُ الصَّحِيَّةَ لَا يُنَاسِبُهَا هَذَا السَّفَرُ الطَّوِيلَ، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا السَّفَرُ خَطَرًا عَلَيْهِ، وَالْحُجَا عَلَيْهِ إِلْحَاحًا شَدِيدًا بَأَن لَّا يُسَافِرَ.

لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِرَجَاءَاتِهِمْ وَالْحَاحَاتِهِمْ، وَسَافَرَ إِلَى الرَّبَاطِ، وَبَعْدَ مُدَّةٍ غَيْرِ طَوِيلَةٍ جَاءَتْهُ مَنِيَّتُهُ فِيهَا، وَدُفِنَ هُنَاكَ، رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

سَبَقَ فِي تَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ أَنَّ الْأَرْضَ الَّتِي سَيَكُونُ مَوْتُهُ فِيهَا، هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي مَاتَ عَلَيْهَا بِالرَّبَاطِ، فَحَرَّكَ اللَّهُ قَلْبَهُ بَأَن يُسَافَرَ إِلَيْهَا، وَلَمْ تَوَثِّرْ فِيهِ نَصَائِحُ إِخْوَانِهِ وَمُحِبِّيهِ، فَقَدْ كَانَ قَضَاءُ اللَّهِ غَالِبًا، فَجَعَلَ حِرْصَهُ عَلَى السَّفَرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي سَيَكُونُ مَوْتُهُ بِهَا نَابِعًا مِنْ عُمُقِ قَلْبِهِ<sup>(١)</sup>.

وَكَانَ قَدْ وَقَعَ فِي ظَنِّي أَنَّ حِرْصَهُ عَلَى هَذَا السَّفَرِ مَدْفُوعٌ بِقَضَاءِ رَبَّانِي، لِأَمْرِ سَبَقَ بِهِ تَقْدِيرُ اللَّهِ وَقَضَاؤُهُ.

(١) إِنَّهُ الدُّكْتُور «مُحَمَّدُ خَيْرِ عَرْقُوسِي» تَعَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ، وَأَسْكَنَهُ فَيْسِحَ جَنَّتِهِ.

وَالْقِصَصُ الْمُشَابِهَةُ فِي تَارِيخِ النَّاسِ كَثِيرَةٌ، وَمِنْهَا غَرَائِبُ تَدْخُلُ فِي  
أَمْثَلَةِ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ.

الْقِصَّةُ السَّادِسَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣٤):

فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ تَذَكِيرٌ بِبَعْضِ عَنَاصِرِ الْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، ذَاتِ الصَّلَةِ  
بِمَا جَاءَ فِي هَذَا الدَّرْسِ الْأَخِيرِ مِنْ دُرُوسِ السُّورَةِ، وَبِمَا جَاءَ أَيْضاً فِي  
أَثْنَاءِ السُّورَةِ.

عَلِيمٌ: صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ لاسِمِ الْفَاعِلِ «عَالِمٌ» وَهُوَ يَدُلُّ بِمُسَاعَدَةِ نُصُوصِ  
قُرْآنِيَّةٍ أُخْرَى عَلَى أَنَّهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ عِلْمٍ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مَعْلُومَةٌ مَا، مَهْمَا  
كَانَتْ دَقِيقَةً تَتَعَلَّقُ بِأَصْغَرِ صَغِيرَةٍ.

خَبِيرٌ: صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ أَيْضاً، إِلَّا أَنَّ الْخَبَرَ أَحْصُ مِنْ عُمُومِ الْعِلْمِ، إِذْ  
هِيَ تَتَعَلَّقُ بِعِلْمِ الْأَشْيَاءِ النَّاتِجِ عَنْ مُمَارَسَةِ صُنْعِ كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ فِيهَا.  
وَبِهَذَا تَمَّ تَذَبُّرُ الدَّرْسِ الْأَخِيرِ مِنْ دُرُوسِ السُّورَةِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى  
مُعُونَتِهِ وَمَدَدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَفَتْحِهِ.



(١٧)

**مُلْحَق: مُسْتَخَرَّجَاتُ بَلَاغِيَّةٍ مِنَ السُّورَةِ**

تَوْجَدُ فِي سُورَةِ (لَقْمَان) اخْتِيَارَاتُ بَلَاغِيَّةٍ عَدِيدَةٍ، وَقَدْ اسْتَخَرَجْتُ  
مِنْهَا بِعَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذَا الْمُلْحَقِ الْاِخْتِيَارَاتِ الْبَلَاغِيَّةِ التَّالِيَةِ:

**أَوَّلًا**

مِنَ الْفُنُونِ الْبَلَاغِيَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا عُلَمَاءُ الْبَلَاغَةِ وَلَمْ  
يُنَبِّهُوا عَلَيْهَا.

الاعتِرَاضُ بِكَلَامٍ مُبَاشِرٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُوجَّهٍ لِلنَّاسِ، ضَمَّنَ حِكَايَتَهُ كَلَاماً لِعَیْرِهِ، لِلإِشْعَارِ بِتَصْدِيقِ المَحْكِيِّ عَنْ غَیْرِهِ، وَأَنَّهُ مُسْتَفَادٌ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي رِسَالَاتِهِ السَّابِقَةِ لِلنَّاسِ.

لقد ذَكَرَ الْبَلَاغِيُّونَ الاعتِرَاضَ بِوَجْهِ عَامٍّ، وَلَكِنْ لَمْ يُنَبِّهُوا عَلَى هَذَا الْغَرَضِ الَّذِي ذَكَرْتُهُ.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ هَذَا الْفَنِّ الرَّفِيعِ الاعتِرَاضُ بِالْآيَتَيْنِ (١٤) وَ(١٥) أَثْنَاءَ حِكَايَةِ وَصَايَا لُقْمَانَ الْحَكِيمِ لِابْنِهِ، تَأَمَّلْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُہُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ١٤ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ نَسَمَ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ١٦﴾.

## ثَانِيَاً

مِنَ الْفُنُونِ الْبَلَاغِيَّةِ «الاستِعَارَةُ» وَهِيَ اسْتِعْمَالُ لَفْظٍ مَا فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ فِي اصْطِلَاحٍ بِهِ التَّخَاطُبُ، لِعَلَاقَةِ الْمَشَابَهَةِ، مَعَ قَرِينَةٍ صَارِفَةٍ عَنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْمَوْضُوعَ لَهُ فِي اصْطِلَاحٍ بِهِ التَّخَاطُبُ.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ الْاسْتِعَارَةِ فِي السُّورَةِ مَا يَلِي:

المثال الأول: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ٢٢﴾.

(١) فِي هَذِهِ الْآيَةِ شُبَّهَ الْأَنْقِيَادُ لِأَوَامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ بِمَنْ يُسَلِّمُ وَجْهَهُ لِقَائِدٍ يَقُودُهُ مِنْ جِهَةٍ وَجْهَهُ، وَاسْتُعِيرَ لَفْظُ: ﴿يُسَلِّمُ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى: «يَنْقَادُ لَهُ».

وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ دَقِيقَةٌ الدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى الْأَنْقِيَادِ الْكَامِلِ لِلَّهِ تَعَالَى، كَمَا تَنْقَادُ النَّاقَةُ مَثَلًا مِنْ قَبْلِ وَجْهٍهَا لِقَائِدِهَا مُطَاوَعَةً. وَلَيْسَ فِي هَذَا التَّشْبِيهِ الَّذِي بُنِيَ عَلَيْهِ الْأَسْتِعَارَةُ إِهَانَةٌ لِلْمُنْقَادِ، بَلْ فِيهِ تَكْرِيمٌ لَهُ، لِأَنَّ الْقَائِدَ لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

(٢) وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ شُبَّهَ الْأَنْقِيَادُ الْمُتَتَابِعُ مَعَ الْأَزْمَانِ الْمُتَتَابِعَةِ، بِاسْتِمْسَاكِ مُرَافِقٍ قَافِلَةٍ يَخْشَى عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْإِنْفِرَادِ وَالضِّيَاعِ بِعُرُودِ وَثَقَلِ مِنْ عُرَى أَحْمَالٍ رَوَّاجِلِهَا، وَاسْتُعِيرَ هَذَا الْأَسْتِمْسَاكِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شِدَّةِ حِرْصِ الْمُؤْمِنِ الْمُنْقَادِ لِأَوَامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ عَلَى أَنْ يَسْتَمِرَّ مُتَتَابِعًا مُنْقَادًا خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الضِّيَاعِ وَالْهَلَاكِ، وَرَغْبَةً فِي الْوُصُولِ سَالِمًا آمِنًا نَاجِيًا، سَعِيدَ الْعَاقِبَةِ.

المثال الثاني: قول الله عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْكَافِرِينَ:

• ﴿نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿١٤﴾:

شُبَّهَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْأَلَمُ الشَّدِيدُ بِالشَّيْءِ الْغَلِيظِ، أَخْذًا مِنْ أَنَّ الْعَصَا الْغَلِيظَةَ يَكُونُ الضَّرْبُ بِهَا فِي الْعَادَةِ أَشَدَّ إِيْلَامًا مِنَ الْعَصَا الَّتِي هِيَ مِنْ نَوْعِهَا وَصِنْفِهَا، إِذَا كَانَتْ غَيْرَ غَلِيظَةٍ وَضُرِبَ بِهَا.

وَوُصِفَ الْعَذَابُ الشَّدِيدُ الْأَلِيمُ بِأَنَّهُ غَلِيظٌ عَلَى سَبِيلِ الْأَسْتِعَارَةِ، وَلَا تَخْفَى الْمُلَاءَمَةُ بَيْنَ الْأَلَمِ الشَّدِيدِ وَالضَّرْبِ بِالْعَصَا الْغَلِيظَةِ.

### ثالثاً

مِنَ الْفُنُونِ الْبَلَاغِيَّةِ الَّتِي يَحُلُّو لِلْمُرَبِّي أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا لِلتَّقَرُّبِ وَالتَّحَبُّبِ إِلَى مَنْ يُرَبِّيه «التَّصْغِير».

وَمِنْ هَذَا الْفَرْقِ مَا جَاءَ فِي حِكَايَةِ أَقْوَالِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ لِابْنِهِ، إِذْ قَالَ لَهُ: ﴿يَا بُنَيَّ﴾ بَدَل: «يا ابني» فِي الْآيَاتِ «١٣ وَ ١٦ وَ ١٧».

### رابعاً

من الفنون البلاغية التي يُعبَّرُ فيها عَنِ الْمَرَادِ بِتَغْيِيرِ دَلَالَتِهِ غَيْرُ مُبَاشَرَةٍ «الكناية».

وهي عِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ: اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِيمَا وُضِعَ لَهُ فِي اصْطِلَاحِ التَّخَاطُبِ لِلدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى مَعْنَى آخَرٍ لَازِمٍ لَهُ، أَوْ مُصَاحِبٍ لَهُ، أَوْ يُشَارُ بِهِ عَادَةً إِلَيْهِ، لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَلَابَسَةِ بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

والكنايات في سورة (لقمان) كثيرة، وَمِنْ أَمْثَلِهَا مَا يَلِي:

المثال الأول: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿... وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١٧):

أي: فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئاً، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ مُلْكِ اللَّهِ شَيْئاً، فَهُمْ هَذَا مِنْ لَازِمِ مَعْنَى الْعِبَارَةِ لَا مِنْ صَرِيحِهَا، فَهِيَ كَنَايَةٌ.

المثال الثاني: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿... ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٥):

أي: ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحَاسِبُكُمْ وَأَفْصِلُ الْقَضَاءَ بَيْنَكُمْ وَأَجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ بِحَسَبِهَا.

جَاءَتِ الْكَنَايَةُ عَنْ هَذَا بِذِكْرِ ﴿فَأُنَبِّئُكُمْ﴾ لِأَنَّ هَذَا مُصَاحِبٌ لِمَا يَجْرِي فِي مَحْكَمَةِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ.

المثال الثالث: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي حِكَايَةِ مَا أَوْصَى بِهِ «لُقْمَانُ»

ابْنُهُ:

• ﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَنْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾:

(١) ﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: أي: وَلَا تَتَكَبَّرْ، لِأَنَّ إِمَالَةَ الْخَدِّ لِلنَّاسِ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِيرِ الْكِبَرِ.

(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾: أي: لَا تَكُنْ مُخْتَالًا فَخُورًا، لِئَلَّا تُعَرِّضَ نَفْسَكَ لِسَخَطِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ.

(٣) ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾: أي: فَلَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ رَفْعًا مُرْغَبًا كَمَا تَرْفَعُ الْحَمِيرُ أَصْوَاتَهَا، فَإِنَّ هَذَا يَخْفِضُ مَنْزِلَتَكَ فِي نَظَرِ النَّاسِ، وَيُخْرِجُكَ عَنْ دَائِرَةِ فَضْلَاءِ النَّاسِ، الَّذِينَ يَلْتَزِمُونَ بِالْأَدَابِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الرَّاقِيَةِ.

أَمْثَلَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ يَجِدُهَا الْبَلَاغِيُّ فِي خَوَاتِيمِ الْآيَاتِ (٢٢) وَ (٢٣) وَ (٢٦) وَ (٢٧) وَ (٢٨).

### خامساً

ومن الاختيارات البلاغية الرفيعة في السورة (الإيجاز بالحذف) ومن أمثلته فيها ما يلي:

المثال الأول: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْمَعَانِدِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ:

• ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾:

(١) أي: قَالُوا: لَا نَتَّبِعُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا.

(٢) ﴿أَوَّلَوْ كَانَ﴾: أَتَتَّبِعُونَ مَا وَجَدُوا عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ.

المثال الثاني: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿.. وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (٢٠):

أي: وَفَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَسَامِي حِكْمَتِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ.

المثال الثالث: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا ..﴾ (٣٣):

أي: اتَّقُوا عِقَابَ رَبِّكُم بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَبِفِعْلٍ مَا أَمَرَ بِهِ، وَتَرْكِ مَا نَهَى عَنْهُ، وَأَخْشَوْا عَذَابَهُ فِي يَوْمٍ....

## سادساً

من دواعي اختيار اسم الإشارة الموضوع للمشار إليه البعيد، مع أن المشار إليه في البيان قريب، تَكْرِيمُهُ، وَبَيَانُ ارْتِفَاعِ مَنْزِلَتِهِ وَعُلُوِّ شَأْنِهِ.

ومن الأمثلة على هذا في السُّورَةِ ما يلي:

المثال الأول: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿الَمْ﴾ (١) تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾:

جاءت الإشارة بعبارة: ﴿تِلْكَ﴾ إِلَى الْآيَاتِ الْقَرِيبَةِ الْمُثْلَوَةِ الْمُسْمُوعَةِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى ارْتِفَاعِ مَنْزِلَتِهَا، وَعُلُوِّ شَأْنِهَا.

المثال الثاني: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْمُحْسِنِينَ:

• ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٥):

جاءت الإشارة إليهم باسم الإشارة الموضوع للبعيد في: ﴿أُولَئِكَ﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى ارْتِفَاعِ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَعُلُوِّ شَأْنِهِمْ.



المثال الثالث: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِكَايَةً لِبَعْضِ أَقْوَالِ لُقْمَانَ لابْنِهِ:

• ﴿يَبْنَىٰ أَقْمَرُ الصَّلَاةَ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ ١٧:

أي: إِنَّ ذَٰلِكَ الْمَقَامَ الرَّفِيعَ فِي جِهَادِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَهُوَ أَنْ تَصْبِرَ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ وَأَنْتَ تُجَاهِدُ هَٰذَا الْجِهَادَ، هُوَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ.

### سابعاً

مِنَ الْفُنُونِ الْبَلَاغِيَّةِ الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا الْإِيجَازُ وَالِاِقْتِصَادُ فِي التَّعْبِيرِ مَا فِيهِ مِنْ حَرَكَةٍ فِكْرِيَّةٍ مُعْجِبَةٍ «الْاِلْتِفَاتِ» وَهُوَ التَّحَوُّلُ فِي التَّعْبِيرِ الْكَلَامِيِّ بَيْنَ التَّكَلُّمِ، وَالْخُطَابِ، وَالْعَيْبَةِ، وَمِنْ مُحَاطَبٍ إِلَى مُحَاطَبٍ آخَرَ فِيمَا ظَهَرَ لِي.

وَمِنْ أَمْثَلِهِ فِي السُّورَةِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَوْسَىٰ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ ١٦ هَٰذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٧﴾:

كَانَ الْكَلَامُ مُوجَّهًا بِأَسْلُوبِ خُطَابِ النَّاسِ جَمِيعًا، وَالتَّفَتُّ إِلَى التَّكَلُّمِ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ: ﴿وَأَنْزَلْنَا ..﴾ وَالتَّفَتُّ أَيْضًا بَعْدَ ذَٰلِكَ إِلَى خُطَابِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿فَأَرُونِي ..﴾ وَأَخِيرًا تَوَجَّهَ الْخُطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

مَا أَعْجَبَ هَٰذَا الْأَسْلُوبَ الرَّفِيعَ وَالْطَّفْعَةَ مَعَ إِيجَازٍ رَائِعٍ.

## ثَامِنًا

من الفنون البلاغية اسْتِخْدَامُ اللَّفْظَةِ فِي الْمَعْنَى الْمَضَادِّ لِمَعْنَاهَا لِدَوَاعِ بَلَاغِيَّة. وَمِنْ أَمْثَلَتِهِ فِي السُّورَةِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْمُسْتَكْبِرِ الَّذِي يَتَوَلَّى عَنْ آيَاتِ رَبِّهِ:

• ﴿وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ ءَايُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾:

أَصْلُ التَّبَشِيرِ الْإِخْبَارُ بِمَا يُفْرَحُ وَيَسْرُرُ، وَمِنْ دَوَاعِي اسْتِعْمَالِهِ فِي الْإِنذَارِ بِمَا يَسُوءُ وَيَضُرُّ، إِرَادَةُ التَّهْكُمِ بِمَنْ يُوجَّهُ لَهُ الْقَوْلُ.

## تَاسِعًا

وَمِنْ الْفُنُونِ الْبَلَاغِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْبَلَاغِيُونَ «الْقَصْر» وَهُوَ: تَخْصِصُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ بِعِبَارَةٍ كَلَامِيَّةٍ تَدُلُّ عَلَيْهِ. وَمِنْ الْقَصْرِ فِي السُّورَةِ: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ:

• ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾:

فَفِي عِبَارَةٍ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ قَصْرٌ بِتَعْرِيفِ طَرَفِي الْإِسْنَادِ مَعَ ضَمِيرِ الْفَصْلِ أَيْضًا، فَالْفَلَاحُ الْعَظِيمُ مَقْصُورٌ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الدِّينِ.

## عَاشِرًا

من الفنون البلاغية خُرُوجُ الاسْتِفْهَامِ عَنْ أَصْلِ دَلَالَتِهِ الَّتِي هِيَ طَلَبُ الْإِفْهَامِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعَانٍ أُخْرَى، وَمِنْ أَمْثَلَةِ هَذَا الْخُرُوجِ، مَا يَلِي:

(١) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خِطَابًا لِلنَّاسِ:

• ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا .. ﴿٢٠﴾﴾:

الاسْتِفْهَامُ فِي ﴿أَلَمْ تَرَوْا . . ﴾ يُرَادُ بِهِ هُنَا حُثُّ مَنْ لَمْ يَرَ عَلَى أَنْ يَرَى. وَتَلْوِيْمٌ وَتَثْرِيْبٌ مَنْ رَأَى، لِأَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ بِمُقْتَضَى دَلَالَةِ مَا رَأَى.

(٢) وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَسْلُوبِ الْخِطَابِ الْإِفْرَادِي:

• ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾: وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَيْضًا:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾:

الاسْتِفْهَامُ بَعْبَارَةً: ﴿أَلَمْ تَرَ . . ﴾ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، نَظِيرُ الاسْتِفْهَامِ فِي الْآيَةِ (٢٠) الْآيَةِ الذَّكْرِ.

## حادي عشر

من الفنون البلاغية «التشبيه» وهو الدلالة على مشاركة شيء لشيء في معنى من المعاني أو أكثر على سبيل التطابق أو التقارب لغرض ما.

وَمِنَ التَّشْبِيهِ الْحَكِيمُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الَّذِي يَتَوَلَّى عَنْ آيَاتِ اللَّهِ مُسْتَكْبِرًا:

• ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قُفْرًا ۚ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾:

جاء في هذه الآية تشبيهان للذي يتولى عن سماع آيات الله مُسْتَكْبِرًا، دُونَ حَرْفِ عَطْفٍ بَيْنَهُمَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَحْوَالِ بَهَذَا الْمُتَوَلَّى، أَوْ أَحْوَالِ لِأَفْرَادِ الْمُتَوَلِّينِ.

فَمِنْهُمْ يُشَبِّهُ حَالَهُ حَالَ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ مَا تُلِي عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَهُوَ

كَالْأَصَمِّ، لَأَنَّ شِدَّةَ عِنَادِهِ فِي كُفْرِهِ أَغْلَقَتْ عَلَيْهِ كُلَّ الْأَبْوَابِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ  
تُوصَلَ إِلَى مَرَائِزِ سَمْعِهِ فِي دِمَاغِهِ مَا تُلَيِّ بِحُضُورِهِ.

وَمِنْهُمْ يُشَبِّهُ حَالَهُ مِنْ حَالٍ فِي سَمْعِهِ ثِقَلٌ شَدِيدٌ، فَهُوَ يَسْمَعُ وَلَكِنَّ  
سَمْعَهُ بَاهِتٌ وَضَعِيفٌ جَدًّا.

الْوَقْرُ: ضَعْفٌ شَدِيدٌ فِي السَّمْعِ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الصَّمَمِ.

وَأَكْتَفَى بِهَذِهِ الْمُسْتَخْرَجَاتِ مِمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ السُّورَةُ مِنْ اخْتِيَارَاتِ  
بَلَاغِيَّةٍ حَكِيمَةٍ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَفَتْحِهِ.



## خاتمة المجلد الحادي عشر

هَذَا مَا فَتَحَ اللَّهُ بِهِ عَلَيَّ فِي تَذَبُّرِ الْمَجْلَدِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ كِتَابِ  
«مَعَارِجِ التَّفَكُّرِ وَدَقَائِقِ التَّدَبُّرِ» الْمَشْتَمِلِ عَلَى تَدَبُّرِ مَا يَلِي:

(١) سُورَةُ (الْحَجَرِ/ ٥٤) نَزُولُ) وَمُلْحَقُ مُسْتَخْرَجَاتِ بِلَاغِيَّةٍ مِنْهَا.

(٢) سُورَةُ (الْأَنْعَامِ/ ٥٥) نَزُولُ) وَمُلْحَقُ مُسْتَخْرَجَاتِ بِلَاغِيَّةٍ مِنْهَا.

(٣) سُورَةُ (الصَّافَّاتِ/ ٥٦) نَزُولُ) وَمُلْحَقُ مُسْتَخْرَجَاتِ بِلَاغِيَّةٍ مِنْهَا.

(٤) سُورَةُ (لِقَامَانَ/ ٥٧) نَزُولُ) وَمُلْحَقُ مُسْتَخْرَجَاتِ بِلَاغِيَّةٍ مِنْهَا.

وَقَدْ انْتَهَيْتُ مِنْ تَسْطِيرِ هَذَا الْمَجْلَدِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ٢ رَبِيعِ الْآخِرِ  
مِنْ سَنَةِ ١٤٢٣ هِجْرِيَةِ الْمَوْافِقِ لـ ١٣ حَزِيرَانَ مِنْ سَنَةِ ٢٠٠٢ مِيلَادِيَّةٍ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْعَلِيمَ الْحَكِيمَ الْجَوَادَ الْوَهَّابَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ الْقَبُولَ  
الْحَسَنَ، وَأَنْ يَنْفَعَهُ بِهِ نَفْعًا كَثِيرًا وَاسِعًا، وَأَنْ يَجْعَلَ عَمَلِي فِيهِ خَالصًا  
لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

وَعَلَى طَرِيقَتِي فِي الْمَجْلَدَاتِ السَّابِقَاتِ، فَقَدْ اجْتَهَدْتُ فِي الْإِلْتِمَازِ  
بِالْقَوَاعِدِ الْأَرْبَعِينَ الَّتِي اشْتَمَلَ عَلَيْهَا كِتَابِي «قَوَاعِدُ التَّدَبُّرِ الْأَمْثَلِ لِكِتَابِ اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ».

رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَفَضَّلْتَ بِهِ عَلَيَّ مِنْ عَطَايَاكَ وَمِنْكَ وَمَعُونَتِكَ  
وَمَدَدِكَ، وَفَتْحِكَ الْمُيِّنِ، إِنَّكَ الْجَوَادُ الْوَهَّابُ الْمَنَّانُ.

رَبِّ أَوْزِعْنِي وَوَقِّفْنِي وَاقْضِ لِي أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْدًا شَكُورًا، مَا  
أَبْقَيْتَنِي فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، حَتَّى آخِرِ نَفْسٍ مِنْ أَنْفَاسِي فِيهَا.

وَأَسْأَلُكَ رَبِّي أَنْ أَكُونَ عِنْدَكَ يَوْمَ الدِّينِ مِنَ الْمُحْسِنِينَ الْأَبْرَارِ  
الْمُتَّقِينَ، إِنَّكَ أَنْتَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

وَأَخْرَجَ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ،  
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ  
بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

مكة المكرمة في ١٤٢٣/٤/٢ هـ  
و ٢٠٠٢/٦/١٣ م

عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

## الفهرس

## الموضوع

## الصفحة

## سورة الججر

## ١٥ مصحف ٥٤ نزول

٧	(١) نصّ السّورة وما فيها من قرش القراءات .....
١٣	(٢) موضوع سورة (الحجر) .....
١٥	(٣) دروس سورة (الججر) .....
١٧	(٤) التدبر التحليلي للدرس الأول من سورة (الحجر) الآيات من (١ - ١٥) .....
١٨	- القراءات .....
١٩	- تمهيد .....
٢٠	- التدبر التحليلي .....
٢٠	• ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ (١) .....
٢٢	وهي تتضمن قضيتين: .....
٢٢	الأولى: أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .....
٢٢	الثانية: أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ حَقًّا وَصَدَقًا .....
٢٣	• ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٢) .....
٢٥	• ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَشْتَبِعُوا وَيَبْغُوا أَلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾ (٣) .....
٢٦	• ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ (٤) .....
٢٦	• ﴿مَا تَسْقِي مِنْ أَمَةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾ (٥) .....
٢٧	• ﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (٦) .....
٢٧	• ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ (٧) .....
٢٩	• ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ (٨) .....
٣٠	• ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٩) .....
٣١	• ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٠) وَمَا يَأْنِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ .....

## الموضوع

## الصفحة

- ٣٢ • ﴿كَذَلِكَ نَسْأَلُكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾﴾ ..... ٣٢
- ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٩﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سَكِرَاتُ أَبْصَرْنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ..... ٣٢
- (٥) التدبر التحليلي للدرس الثاني من سورة (الحجر) الآيات من (١٦ - ٢٥) ... ٣٤
- القراءات ..... ٣٥
- تمهيد ..... ٣٥
- التدبر التحليلي ..... ٣٥
- ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَازِقَهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَن أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ ..... ٣٥
- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْرُودٍ ﴿١٩﴾﴾ ..... ٣٨
- وفيه بيان ثلاث قضايا ..... ٣٨
- ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَاشٍ وَمَنْ لَّسْتُمْ لَمْ يَرْزُقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ ..... ٤٠
- ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ ..... ٤١
- ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ لَوَافِحُنَا مِن السَّمَاءِ مَاءً فَالْتَفَيْنَاكُمْ وَمَا كُنْتُمْ لَمْ تَحْزَنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ ..... ٤٢
- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَفَعْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ..... ٤٤
- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ ..... ٤٥
- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ ..... ٤٦
- (٦) التدبر التحليلي للدرس الثالث من سورة (الحجر) الآيات من (٢٦ - ٤٤) .. ٤٧
- القراءات ..... ٤٨
- تمهيد ..... ٤٩
- التدبر التحليلي ..... ٤٩
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ ..... ٤٩
- ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ ..... ٥٠
- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُمُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ..... ٥٠
- ﴿فَسَجَدَ الْمَلَكِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ ..... ٥٢
- ﴿قَالَ يَبْنَيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِيَاسُجِدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ الْعَنْةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ ..... ٥٣



- ٥٤ ..... ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦) .....
- ٥٥ ..... ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَفْتِ الْمَعْلُومِ ﴿﴾ (٣٨) .....
- ٥٥ ..... ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴿﴾ (٤٠) .....
- ٥٥ ..... ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿﴾ (٤٢) وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿﴾ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿﴾ (٤٤) .....
- ٥٦ ..... (٧) التدبر التحليلي للدرس الرابع من سورة (الحجر) الآيات من (٤٥ - ٥٠) ..
- ٥٨ ..... - القراءات .....
- ٥٩ ..... - تمهيد .....
- ٥٩ ..... - التدبر التحليلي .....
- ٥٩ ..... ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (٤٥) .....
- ٥٩ ..... ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ (٤٦) .....
- ٦٠ ..... ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَنِينَ﴾ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿﴾ (٤٨) .....
- ٦٠ ..... ﴿تَبَتَّ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿﴾ (٥٠) .....
- ٦١ ..... (٨) التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ لِلدَّرْسِ الْخَامِسِ مِنْ سُورَةِ (الحجر) الآيات من (٥١ - ٥١) ..
- ٦٢ ..... (٧٧) .....
- ٦٣ ..... - القراءات .....
- ٦٤ ..... - تمهيد .....
- ٦٥ ..... ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَافٍ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٥١) .....
- ٦٥ ..... ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ﴾ (٥٢) .....
- ٦٦ ..... ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ﴾ (٥٣) .....
- ٦٦ ..... ﴿قَالَ أَبَشِّرْنِي بِنَجْوَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَا كُنْتُ بَشِيرًا﴾ (٥٤) قَالُوا بَشِّرْنَا بِمَا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَتِيلِينَ ﴿﴾ (٥٥) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿﴾ (٥٦) ..
- ٦٦ ..... ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٥٧) .....
- ٦٨ ..... ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ (٥٨) .....
- ٦٨ ..... ﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥٩) .....
- ٦٨ ..... ﴿إِلَّا أَمْرَانَهُمَا قَدْ رَجَا إِنَّا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٦٠) .....

الموضوع

الصفحة

- ٦٩ ..... ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٦٦) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ ﴿٦٧﴾ .....
- ٧٠ ..... ﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَاءٍ كَانُوا فِيهِ يَسْمُرُونَ﴾ (٦٣) ..... ﴿وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٦٤) .....
- ٧٠ ..... ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْفِتْ مِنْكَ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ (٦٥) .....
- ٧١ ..... ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحِينَ﴾ (٦٦) .....
- ٧٢ ..... ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفَى فَلَا تَفْضَحُون ﴿٦٨﴾  
وَأَنقَرُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزَنُوا ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ  
بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَعِلَالٍ ﴿٧١﴾ .....
- ٧٣ ..... ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٢) .....
- ٧٥ ..... ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ  
سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّا لَنَسِيلٌ لِّمُتَّبِعِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ .....
- ٧٦ ..... (٩) التدبر التحليلي للدرس السادس من سورة (الحجر) الآيات من (٧٨ - ٨٤) ..
- ٧٨ ..... - القراءات .....
- ٧٨ ..... - تمهيد .....
- ٧٨ ..... ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَبُ الْأَيْكَةِ ظَالِمِينَ﴾ (٧٨) فَأَنزَلْنَاهُمْ مِنْهُمْ وَإِنَّمَا لِيَامَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ .....
- ٧٨ ..... ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٨٠) وَأَتَيْنَهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ  
﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْحِحِينَ ﴿٨٣﴾  
فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ .....
- ٨٠ ..... (١٠) التدبر التحليلي للدرس السابع من سورة (الحجر) الآيات من (٨٥ - ٩٩) ..
- ٨٢ ..... (٩٩) آخر السورة .....
- ٨٣ ..... - القراءات .....
- ٨٣ ..... - تمهيد .....
- ٨٦ ..... - التدبر التحليلي .....
- ٨٦ ..... ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَحْ  
الصَّصْحَ الْجَمِيلَ﴾ (٨٥) .....
- ٨٦ ..... ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٦) وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ  
الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ  
جَنَاحَكَ لِمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ .....

- ٩٢ ..... ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ (٨٩) .....  
 ٩٣ ..... ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ  
 ٩٥ ..... ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٤) .....  
 ٩٦ ..... ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ  
 ..... يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ .....  
 ٩٨ ..... ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَاكَ بِمَا يَصِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ  
 ..... السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ .....  
 ٩٩ ..... ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَقًّا يَا أَيُّكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩) .....  
 ١٠٠ ..... (١١) ملحق حول مستخرجات بلاغية من سورة (الحجر)

## سُورَةُ الْأَنْعَامِ

## ٦ مصحف ٥٥ نزول

- ١٠٩ ..... (١) نص سورة (الأنعام) وما فيها من قراءات .....  
 ١٣٧ ..... (٢) ممّا جاء في السنة بشأن سورة (الأنعام) .....  
 ١٣٨ ..... (٣) موضوع سورة (الأنعام) .....  
 ١٤٠ ..... (٤) دروس سُورَةِ (الأنعام) .....  
 ١٤٨ ..... (٥) التدبر التحليلي للدرس الأول من سورة (الأنعام) الآيات من (١ - ١٠) .....  
 ١٤٩ ..... - القراءات .....  
 ١٥٠ ..... - تمهيد .....  
 ١٥١ ..... - التدبر التحليلي .....  
 ..... ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 ١٥١ ..... بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١) .....  
 ١٥٢ ..... ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (٢) .....  
 ١٥٥ ..... ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (٣) ..  
 ..... ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا  
 ١٥٥ ..... بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٥) .....  
 ..... ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ  
 وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَحَلْنَا الْأَنْهَارَ يَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا  
 ١٥٧ ..... مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (٦) .....

الموضوع

الصفحة

- ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِيْنَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (٧) ..... ١٥٩
- ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيْسُونَ﴾ (٩) ..... ١٦٠
- ﴿وَلَقَدْ أَسْنَهَيْتُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِيْنَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٠) ..... ١٦٤
- (٦) التدبّر التحليلي للدرس الثاني من سورة (الأنعام) الآيتان (١١) و(١٢) ..... ١٦٤
- تمهيد ..... ١٦٤
- التدبّر التحليلي ..... ١٦٥
- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِيْنَ﴾ (١١) ..... ١٦٥
- ﴿قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ ..... ١٦٦
- ﴿قُلْ لِلَّهِ كُنْزٌ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ...﴾ ..... ١٦٧
- ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِيْنَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٢) ..... ١٦٨
- (٧) التدبّر التحليلي للدرس الثالث من سورة (الأنعام) الآية (١٣) ..... ١٦٩
- ﴿وَلَوْ مَا سَكَنَ فِي آيِلٍ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٣) ..... ١٦٩
- (٨) التدبّر التحليلي للدرس الرابع من سورة (الأنعام) الآيات من (١٤ - ١٦) ... ١٧١
- القراءات ..... ١٧١
- تمهيد ..... ١٧٢
- التدبّر التحليلي ..... ١٧٢
- ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ...﴾ (١٤) ..... ١٧٢
- ﴿... قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ﴾ (١٥) ..... ١٧٤
- ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٥) مَن يُصِرَّ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْنَاهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (١٦) ..... ١٧٥
- (٩) التدبّر التحليلي للدرس الخامس من سورة (الأنعام) الآيتان (١٧) و(١٨) ... ١٧٦
- تمهيد ..... ١٧٦
- التدبّر التحليلي ..... ١٧٦
- ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧) ..... ١٧٧

- ١٧٨ ..... ﴿وَهُوَ أَقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١٨) .....  
 ١٧٩ ..... (١٠) التدبر التحليلي للدرس السادس من سورة (الأنعام) الآية (١٩) .....  
 ١٧٩ ..... - القراءات .....  
 ١٧٩ ..... - تمهيد .....  
 ١٨٠ ..... - التدبر التحليلي .....  
 ١٨٠ ..... ﴿قُلْ أَتَىٰ شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَدَةً...﴾ .....  
 ١٨١ ..... ﴿قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ ۖ وَمَنْ يَلُغْ...﴾ .....  
 ١٨٢ ..... ﴿أَيُّكُمْ لَتَشْهَدَنَّ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (١٩) .....  
 ..... (١١) التدبر التحليلي للدرس السابع من سورة (الأنعام) الآيات من ٢٠ -  
 ١٨٤ ..... (٣٩) .....  
 ١٨٥ ..... - القراءات .....  
 ١٨٧ ..... - تمهيد .....  
 ١٨٨ ..... - التدبر التحليلي .....  
 ..... ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠) .....  
 ١٨٩ ..... ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢١) .....  
 ..... ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٢٢) .....  
 ..... ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْصَرِفْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (٢٣) .....  
 ١٩٠ ..... أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٢٤) .....  
 ..... ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٥) .....  
 ..... وَهُمْ يَبْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٦) .....  
 ١٩٣ ..... ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَ لَنَا نَارُ وَلَا تُكَذِّبُ رَبَّنَا وَكَانُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧) .....  
 ..... بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢٨) .....  
 ١٩٩ ..... ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٢٩) .....  
 ٢٠٣ ..... ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُقُوا﴾ (٣٠) .....  
 ٢٠٣ ..... الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٠) .....

الموضوع

الصفحة

- ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْصِرُنَا عَلَى مَا قَرَّرْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ ..... ٢٠٥
- ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَيُخْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ..... ٢١٥
- ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرُوا .. ﴿٣٤﴾﴾ ... ٢١٦
- ﴿... وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ .. ﴿٣٤﴾﴾ ..... ٢١٦
- ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ ..... ٢١٧
- ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِثَابِتٍ .. ﴿٣٥﴾﴾ ..... ٢١٨
- ﴿... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ ..... ٢١٨
- ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ... ﴿٣٥﴾﴾ ..... ٢١٩
- ﴿وَالْمَوْتُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ..... ٢٢٠
- ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّا اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ ..... ٢٢١
- ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَلِكُمْ مَا قَرَّرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ ..... ٢٢١
- ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا يَبْتَئِتْنَا صُورًا وَبِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ ..... ٢٢٥
- (١٢) التدبر التحليلي للدرس الثامن مِنْ سُورَةِ (الأنعام) الْآيَتَانِ (٤٠) وَ(٤١) ..... ٢٢٦
- تمهيد ..... ٢٢٦
- التدبر التحليلي ..... ٢٢٦
- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ ..... ٢٢٦
- (١٣) التدبر التحليلي للدرس التاسع مِنْ سُورَةِ (الأنعام) الْآيَاتِ مِنْ (٤٢ - ٤٥) ..... ٢٢٩
- القراءات ..... ٢٢٩
- تمهيد ..... ٢٣٠
- التدبر التحليلي ..... ٢٣٠
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ... ﴿٤٢﴾﴾ ..... ٢٣٠



## الموضوع

## الصفحة

- ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْسِرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا سَفِيْعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ ..... ٢٤٦
- ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ ..... ٢٤٧
- ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ ..... ٢٥٣
- ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنْتُمْ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا يَجْهَلُونَ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ ..... ٢٥٤
- ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِلَّذِينَ يَتْلُونَ سُبُلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ ..... ٢٥٦
- ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَنْجِي أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَكْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ ..... ٢٥٧
- (١٧) التَّدْبِيرُ التحليلي للدَّرْسِ الثالث عشر من سورة (الأنعام) الآيات من (٥٩ - ٦٢) ٢٦١
- القراءات ..... ٢٦٢
- تمهيد ..... ٢٦٢
- التَّدْبِيرُ التحليلي ..... ٢٦٢
- ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ ..... ٢٦٢
- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ ..... ٢٦٥
- ﴿وَهُوَ الْفَاحِشُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَرُسُلٌ عَلَيْكُمْ حَفَظَةٌ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ ﴿٦٢﴾﴾ ..... ٢٦٨
- (١٨) التَّدْبِيرُ التحليلي للدَّرْسِ الرابع عشر من سورة (الأنعام) الآيات من (٦٣ - ٦٦) ٢٧٢
- القراءات ..... ٢٧٢



الموضوع

الصفحة

- ٢٧٣ ..... تمهيد
- ٢٧٣ ..... التدبر التحليلي
- ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُمْ ضُرْعًا وَخُفْيَةً لَّيْنِ أَجْنَانًا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٣) .....
- ٢٧٣ ..... ﴿قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْكِرُونَ﴾ (٦٤) .....
- ٢٧٥ ..... ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شَيْعًا وَيُؤَيِّدَ بَعْضَكُمْ بِأَسْ بَعْضٍ أُنْظُرْ كَيْفَ تُصْرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ﴾ (٦٥) .....
- ٢٧٦ ..... ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ بِوَكِيلٍ﴾ (٦٦) .....
- ٢٧٨ ..... (١٩) التدبر التحليلي للدرس الخامس عشر من سورة (الأنعام) الآيات من (٦٧ - ٧٠) .
- ٢٧٩ ..... القراءات
- ٢٧٩ ..... تمهيد
- ٢٨٠ ..... التدبر التحليلي
- ٢٨٠ ..... ﴿لِكُلِّ نَبَلٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٦٧) .....
- ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٦٨) .....
- ٢٨١ ..... ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِىَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٦٩) .....
- ٢٨٣ ..... ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا سَفِيْعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (٧٠) .....
- ٢٨٤ ..... (٢٠) التدبر التحليلي للدرس السادس عشر من سورة (الأنعام) الآيات من (٧١ - ٧٣) .....
- ٢٨٨ ..... القراءات
- ٢٨٨ ..... تمهيد
- ٢٨٩ ..... التدبر التحليلي
- ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتَهِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمَرْنَا لِتُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧١) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٧٢) .....
- ٢٨٩ .....

الموضوع

الصفحة

- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٧٣) ..... ٢٩٣
- (٢١) التدبر التحليلي للدرس السابع عشر من سورة (الأنعام) الآيات من (٧٤-٨٢) ٣٠١
- القراءات ..... ٣٠٢
- تمهيد ..... ٣٠٣
- قوم إبراهيم عليه السلام من الصابئين ..... ٣٠٣
- التدبر التحليلي ..... ٣٠٥
- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَزَّرَ اتَّخَذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٧٤) ..... ٣٠٥
- ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (٧٥) .. ٣٠٦
- تدرُّج إبراهيم عليه السلام لإبطال عبادة الكواكب والنجوم في دعوته ..... ٣٠٧
- ﴿فَلَمَّا جَاءَ عَلَيْهِ أَيْتُلْ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (٧٦) ..... ٣٠٧
- ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (٧٧) ..... ٣٠٩
- ﴿قَالَ يَقُومُ إِنِّي بُرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٧٨) ..... ٣٠٩
- ﴿إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩) ..... ٣٠٩
- ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ اتَّخَذُوهُنَّ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ...﴾ ..... ٣١٠
- ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٨٠) ..... ٣١١
- ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمُ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨١) ..... ٣١٢
- ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْآمَنُونَ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢) ... ٣١٢
- (٢٢) التدبر التحليلي للدرس الثامن عشر من سورة (الأنعام) الآيات من (٨٣-٩٠) ٣١٣
- القراءات ..... ٣١٤
- تمهيد ..... ٣١٥
- التدبر التحليلي ..... ٣١٥

- ﴿وَبَلَّغْنَا حُجَّتَنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٣) ..... ٣١٥
- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٤)
- ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٨٥) ..... ٣١٦
- ﴿وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٨٦) ..... ٣١٦
- ﴿وَمِنَ ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٨٧) ..... ٣٢٦
- ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨٨) ..... ٣٢٦
- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ (٨٩) ..... ٣٢٦
- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْسَدَهُ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرُنِي لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩٠) ..... ٣٢٨
- (٢٣) التدبر التحليلي للدرس التاسع عشر من سورة (الأنعام) الآية (٩١) ..... ٣٢٩
- القراءات ..... ٣٢٩
- تمهيد ..... ٣٣٠
- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ...﴾ (٩١) ..... ٣٣٠
- ﴿... قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ...﴾ (٩١) ..... ٣٣١
- ﴿... تَجْعَلُونَهُ قَرَارِيسَ يَبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٩١) ..... ٣٣٢
- (٢٤) التدبر التحليلي للدرس العشرين من سورة (الأنعام) الآيات من (٩٢ - ٩٤) . ..... ٣٣٣
- القراءات ..... ٣٣٤
- تمهيد ..... ٣٣٤
- التدبر التحليلي ..... ٣٣٤
- ﴿وَهَٰذَا كِتَابُ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩٢) ..... ٣٣٤
- ﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ يِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٩٣) ..... ٣٣٧

## الموضوع

## الصفحة

- ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْتَكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَّا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ ..... ٣٣٩
- (٢٥) التدبر التحليلي للدرس الحادي والعشرين من سورة (الأنعام) الآيات من (٩٥ - ٩٩) ..... ٣٤١
- القراءات ..... ٣٤٢
- تمهيد ..... ٣٤٣
- التدبر التحليلي ..... ٣٤٣
- ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوَىٰ .. ﴿٩٥﴾﴾ ..... ٣٤٣
- ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ .. ﴿٩٥﴾﴾ ..... ٣٤٤
- ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ ثَوَابِكُمْ .. ﴿٩٥﴾﴾ ..... ٣٤٥
- ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ .. ﴿٩٦﴾﴾ ..... ٣٤٦
- ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا .. ﴿٩٦﴾﴾ ..... ٣٤٦
- ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا .. ﴿٩٦﴾﴾ ..... ٣٤٧
- ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ ..... ٣٤٨
- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ... ﴿٩٧﴾﴾ ..... ٣٤٨
- ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ ..... ٣٤٩
- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ... ﴿٩٨﴾﴾ ..... ٣٥٠
- ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ ..... ٣٥٢
- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَبَرَّعَهُ إِن فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ ..... ٣٥٣
- (٢٦) التدبر التحليلي للدرس الثاني والعشرين من سورة (الأنعام) الآيات من (١٠٠ - ١٠٣) ..... ٣٥٨
- القراءات ..... ٣٥٨
- تمهيد ..... ٣٥٨
- التدبر التحليلي ..... ٣٥٩
- ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُم بَيْنِينَ وَبَنَيْنَا بَيْنَهُمْ سُبُحَاتِهِمْ وَنَعَلَيْنَا عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ ..... ٣٥٩

- ﴿يَدْبِغُ السَّمَنَاتِ وَالْأَرْضَ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ..... ٣٦١
- ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ..... ٣٦٣
- (٢٧) التدبر التحليلي للدُّرس الثالث والعشرين من سورة (الأنعام) الآية (١٠٤) ٣٦٧
- تمهيد ..... ٣٦٧
- التدبر التحليلي ..... ٣٦٧
- ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَآئِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ..... ٣٦٧
- (٢٨) التدبر التحليلي للدُّرس الرابع والعشرين مِنْ سُورَةِ (الأنعام) الآيات من (١٠٥ - ١١٧) ..... ٣٦٩
- القراءات ..... ٣٧٠
- تمهيد ..... ٣٧١
- التدبر التحليلي ..... ٣٧٢
- ﴿وَكَذَٰلِكَ نَضَرُّنَا الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ..... ٣٧٢
- ﴿أَتَبِعَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ..... ٣٧٤
- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ..... ٣٧٤
- ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ..... ٣٧٨
- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ..... ٣٨٠
- ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ..... ٣٨٣
- ﴿وَلَوْ أَنَّا زُلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكُكَةِ وَكَلَّمَهُمُ الْتَوَقَّ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ..... ٣٨٥
- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ..... ٣٨٧
- ﴿إِنِّيهِ أَفْعَدُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ ..... ٣٨٧
- ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ..... ٣٩١

## الموضوع

## الصفحة

- ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١١٥) ٣٩٣
- ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (١١٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ..... ٣٩٦
- (٢٩) التدبر التحليلي للدرس الخامس والعشرين من سورة (الأنعام) الآيات من (١١٨ - ١٢١) ..... ٤٠٠
- القراءات ..... ٤٠٠
- تمهيد ..... ٤٠١
- التدبر التحليلي ..... ٤٠١
- ﴿فَكُلُوا وَمِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (١١٨) وَمِمَّا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا وَمِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ..... ٤٠١
- ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ (١٢٠) ..... ٤٠٥
- ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِكُحُودٍ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّلُوَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (١٢١) ..... ٤٠٦
- (٣٠) التدبر التحليلي للدرس السادس والعشرين من سورة (الأنعام) الآيات من (١٢٢ - ١٢٥) ..... ٤٠٨
- القراءات ..... ٤٠٩
- تمهيد ..... ٤١٠
- التدبر التحليلي ..... ٤١٠
- ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٢) ..... ٤١٠
- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٢٣) وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ..... ٤١٢
- ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٥) ..... ٤١٧

(٣١) التدرّج التحليلي للدرس السابع والعشرين من سورة (الأنعام) الآيات من

٤١٩ ..... (١٢٦ - ١٣٤)

٤٢٠ ..... - القراءات

٤٢١ ..... - تمهيد

٤٢١ ..... - التدرّج التحليلي

• ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ (١٢٦) ﴿لَهُمْ دَارُ

٤٢١ ..... السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٧)

• ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَسَرُ الْيَحْيَى قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوٍ لَكُمْ

٤٢٤ ..... خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (١٢٨)

٤٢٦ ..... • ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ الْظَالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٢٩)

• ﴿يَمْعَسَرُ الْيَحْيَى وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَنُذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ لِحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ

٤٢٧ ..... أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (١٣٠)

• ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ (١٣١)

٤٣٠ ..... • ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٢)

٤٣١ ..... • ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا

يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ (١٣٣) ﴿إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا

٤٣٢ ..... أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (١٣٤)

(٣٢) التدرّج التحليلي للدرس الثامن والعشرين من سورة (الأنعام) الآية (١٣٥)

٤٣٤ ..... - القراءات

٤٣٤ ..... - تمهيد

٤٣٥ ..... - التدرّج التحليلي

• ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ

٤٣٥ ..... عَقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (١٣٥)

(٣٣) التدرّج التحليلي للدرس التاسع والعشرين من سورة (الأنعام) الآيات من

٤٣٦ ..... (١٣٦ - ١٤٠)

٤٣٦ ..... - القراءات

٤٣٨ ..... - تمهيد

٤٣٨ ..... - التدرّج التحليلي

- ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ ..... ٤٣٨
- ﴿وَكَذَلِكَ رُبَّمَا لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيُرْثُوهُمْ وَلَيْلَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ ..... ٤٤٠
- ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامُنَا وَأَنْعَامُ حُرَمِنَا لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِمْ سَجَيرَةٌ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لَذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى الْأَرْوَاحِ وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَجَيرَةٌ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ ..... ٤٤٣
- ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ ..... ٤٤٦
- ٣٤) التدبر التحليلي للدرس الثلاثين من سورة (الأنعام) الآيات من (١٤١ - ١٤٧) .. ٤٤٧
- القراءات ..... ٤٤٧
- تمهيد ..... ٤٥٠
- التدبر التحليلي ..... ٤٥٠
- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُشْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ ..... ٤٥٠
- ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ تَمْنِيَةَ أَرْوَاحٍ مِنَ الْفُتَنِ وَتَمْنِيَةَ أَنْتَنَ قُلْ الْذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِيُّنِي يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الْذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ ..... ٤٥٤
- ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَازِرٍ فَإِنَّهُمْ رَجَسٌ أَوْ فَسَقًا أَيْ هَذَا لِعَنْتِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضَلُّ مِنْ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلُّ ذِي طُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ ..... ٤٥٧



(٣٥) التدبر التحليلي للدرس الحادي والثلاثين من سورة (الأنعام) الآيات من

٤٦٢ ..... (١٤٨ - ١٥٣)

٤٦٢ ..... - القراءات

٤٦٣ ..... - تمهيد

٤٦٤ ..... - التدبر التحليلي

• ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَأَوُا بَأْسًا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾

٤٦٤ ..... • ﴿قُلْ هَلَمْ شُهِدَافُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا

تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿٥٠﴾﴾

٤٦٨ ..... • ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّهُمْ لَفَافِحُونَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ

وَالْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ أَنْ لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾

٤٦٩ ..... • ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾

• ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾

(٣٦) التدبر التحليلي للدرس الثاني والثلاثين من سورة (الأنعام) الآيات من

٤٨٠ ..... (١٥٤ - ١٦٠)

٤٨١ ..... - القراءات

٤٨٢ ..... - تمهيد

٤٨٢ ..... - التدبر التحليلي

• ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يُلَقَّاءُ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٤﴾﴾

٤٨٢ ..... • ﴿وَهَذَا كِتَابُنَا أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَآتِیْهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا

أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِعَايِنَتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَعَجَرَى الَّذِينَ

يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿٥٧﴾﴾

٤٨٤ ..... • ﴿يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿٥٧﴾﴾

الموضوع

الصفحة

- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ ..... ٤٨٧
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ ..... ٤٨٨
- ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ ..... ٤٨٩
- (٣٧) التدبر التحليلي للدرس الثالث والثلاثين من سورة (الأنعام) الآيات من (١٦١ - ١٦٥) وهو الدرس الأخير ..... ٤٩٠
- القراءات ..... ٤٩١
- تمهيد ..... ٤٩٢
- التدبر التحليلي ..... ٤٩٢
- ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ ..... ٤٩٢
- ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ ..... ٤٩٤
- ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِيَّ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَإِزْرَةً وَزَرَّ أَغْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ ..... ٤٩٥
- (٣٨) مُلحق: مُسْتَخْرَجَاتُ بِلَاغِيَّةٍ مِنَ السُّورَةِ ..... ٥٠٠

سورة الصّافات

٣٧ مصحف ٥٦ نزول

- (١) نص السّورة وما فيها مِنْ فَرْشِ القراءات ..... ٥٢٩
- (٢) مِمَّا وَرَدَ بِشَأْنِ سورة (الصّافات) ..... ٥٣٨
- (٣) مَوْضُوعُ سورة (الصّافات) ..... ٥٣٩
- (٤) دُرُوسُ سورة (الصّافات) ..... ٥٤٠
- (٥) التدبر التحليلي للدرس الأول من سورة (الصّافات) الآيات من (١ - ١٠) ... ٥٤٣
- القراءات ..... ٥٤٤

- ٥٤٤ ..... تمهيد
- ٥٤٥ ..... التدبر التحليلي
- ﴿وَالصَّفَاتِ صَفًا ۝١﴾ فَالْتَجَرَّتْ زَجْرًا ۝٢﴾ فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ إِنَّ إِلَهُكُمُ لَوَّحٌ ۝٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝٥﴾ ..... ٥٤٥
- ﴿إِنَّا رَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَرِيقَةَ الْكَوكَبِ ۝٦﴾ وَحَفَظًا مِّنْ كُلِّ سَيِّطَانٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمٍ لَّا فَوْقَ وَلَا تَلْفُفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝٨﴾ نُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ ..... ٥٥١
- (٦) التدبر التحليلي للدرس الثاني مِنْ سُورَةِ (الصَّافَات) الآيات من (١١ - ٧٤)
- ٥٥٤ ..... وفيه ثلاثة فصول
- ٥٥٤ ..... الفصل الأول: الآيات من (١١ - ٣٩)
- ٥٥٥ ..... القراءات
- ٥٥٧ ..... تمهيد
- ٥٥٧ ..... التدبر التحليلي
- ﴿فَأَسْتَفْنِيهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١﴾ ..... ٥٥٧
- ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢﴾ ..... ٥٥٩
- ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝١٣﴾ ..... ٥٦٠
- ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ۝١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ ..... ٥٦٠
- ﴿إِذَا مَنَّآ وَكُنَّا زُرَّابًا وَعِظْمًا إِذَا لَمُبْعُونَ ۝١٦﴾ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ ۝١٨﴾ ..... ٥٦١
- ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَبْطُرُونَ ۝١٩﴾ وَقَالُوا يَتَوَلَّىٰ هَذَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝٢٠﴾ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ۝٢١﴾ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَجِهِمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٢٢﴾ مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝٢٣﴾ وَفَقُّوهُمْ إِنَّهُمْ مُّسْتَوْلُونَ ۝٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝٢٦﴾ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَخَسِّئُونَ ۝٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۝٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ۝٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰيِقُونَ ۝٣١﴾ فَأَعْوَبْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ۝٣٢﴾ ..... ٥٦٢
- ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝٣٣﴾ إِنَّا كَذَبْنَاكَ فَفَعَلْ بِالْمُجْرِمِينَ ۝٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا تَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَٰيِقُوا الْعَذَابِ أَلِيمٍ ۝٣٨﴾ وَمَا تُجْرُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٩﴾ ..... ٥٦٨

## الموضوع

## الصفحة

الفصل الثاني من الدرس الثاني من سورة (الصفات) الآيات من (٤٠ - ٦١) .... ٥٧٠

- القراءات ..... ٥٧٠

- تمهيد ..... ٥٧٢

- التدبر التحليلي ..... ٥٧٢

• ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ﴾ (٤٠) ..... ٥٧٢

• ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ (٤١) ﴿فَوَكَّهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ (٤٢) ﴿فِي جَنَّاتٍ التَّعِيمِ﴾ (٤٣) عَلَى

سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (٤٤) ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكُأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ (٤٥) ﴿بِضَاءٍ لَذِقٍ لِلشَّرِيبِ﴾ (٤٦)

لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ﴾ (٤٧) ..... ٥٧٣

• ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ (٤٨) ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ (٤٩) ..... ٥٧٦

• ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٥٠) ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ (٥١)

يَقُولُ أَأِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ (٥٢) ﴿أَوَدَا مِنْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَهْنَا لَمُتْنُونَ﴾ (٥٣) ﴿قَالَ هَلْ

أَنْتُمْ مُطْلَبُونَ﴾ (٥٤) ﴿فَأُطْلِعَ قَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ (٥٥) ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتَزِدَّ

الْأَوَّلَى وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (٥٦) ﴿أَمَّا نَحْنُ بِمَبِيتَيْنِ﴾ (٥٨) ﴿إِلَّا مَوْتَنَا

الْأَوَّلَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٥٩) ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ﴾ (٦٠) ..... ٥٧٧

• ﴿لِيُثَلَّ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (٦١) ..... ٥٨١

الفصل الثالث من الدرس الثاني من سورة (الصفات) الآيات من (٦٢ - ٧٤) ... ٥٨٢

- القراءات ..... ٥٨٢

- تمهيد ..... ٥٨٢

- التدبر التحليلي ..... ٥٨٣

• ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ (٦٢) ..... ٥٨٣

• ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ (٦٣) ..... ٥٨٤

• ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (٦٤) ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ﴾ (٦٥) .. ٥٨٤

• ﴿فَاتَّخَذُوا مِنْهَا سُلَكُونًا﴾ (٦٦) ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ

حَمِيمٍ﴾ (٦٧) ..... ٥٨٥

• ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾ (٦٨) ..... ٥٨٦

• ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آجَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ (٦٩) ﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ مُرْغَوْنَ﴾ (٧٠) ..... ٥٨٦

• ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٧١) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (٧٢)

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَذَابُهُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (٧٣) ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ﴾ (٧٤) ..... ٥٨٧

(٧) التدبر التحليلي للدرس الثالث من سورة (الصفات) الآيات من (٧٥ -

١٤٨) وفيه ستة فصول ..... ٥٨٩

الموضوع

الصفحة

- ٥٨٩ ..... الفصل الأول: الآيات من (٧٥ - ٨٢) ..... ٥٨٩
- ٥٨٩ ..... - تمهيد ..... ٥٩٠
- ٥٩٠ ..... - التدبر التحليلي ..... ٥٩٠
- ٥٩٠ ..... ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُوْنَ﴾ (٧٥) ..... ٥٩٠
- ٥٩٠ ..... ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيْمِ﴾ (٧٦) ..... ٥٩٠
- ٥٩٠ ..... ﴿وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُوَ الْبَاقِيْنَ﴾ (٧٧) وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِيْنَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِيْنَ ﴿٧٩﴾ ..... ٥٩١
- ٥٩٣ ..... ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ﴾ (٨٠) إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٨١﴾ ..... ٥٩٣
- ٥٩٣ ..... ﴿ثُمَّ أَعْرِفْنَا الْآخِرِيْنَ﴾ (٨٢) ..... ٥٩٤
- ٥٩٤ ..... الفصل الثاني من الدرس الثالث من سورة (الصفات) الآيات من (٨٣ - ١١٣) ..... ٥٩٥
- ٥٩٥ ..... - القراءات ..... ٥٩٦
- ٥٩٦ ..... - تمهيد ..... ٥٩٧
- ٥٩٧ ..... - التدبر التحليلي ..... ٥٩٧
- ٥٩٧ ..... ﴿وَإِن مِنْ شَيْعَةٍ لِأِزْهِيْمَ﴾ (٨٣) ..... ٥٩٧
- ٥٩٧ ..... ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ﴾ (٨٤) ..... ٥٩٧
- ٥٩٧ ..... ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُوْنَ﴾ (٨٥) أَفَبِكُلِّ إِلَهَةٍ دُونِ اللَّهِ تُرِيدُوْنَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴿٨٧﴾ ..... ٥٩٨
- ٦٠١ ..... ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُوْمِ﴾ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيْمٌ ﴿٨٩﴾ ..... ٦٠٢
- ٦٠٢ ..... ﴿فَقُولُوا عَنْهُ مُدْبِرِيْنَ﴾ (٩٠) ..... ٦٠٢
- ٦٠٢ ..... ﴿فَرَأَىٰ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُوْنَ﴾ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُوْنَ ﴿٩٢﴾ ..... ٦٠٣
- ٦٠٣ ..... ﴿فَرَأَىٰ عَلَيْهِمْ صُرًى بِالْيَمِيْنِ﴾ (٩٣) ..... ٦٠٤
- ٦٠٤ ..... ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُُوْنَ﴾ (٩٤) ..... ٦٠٤
- ٦٠٤ ..... ﴿قَالَ أَتَعْبُدُوْنَ مَا تَنْحِتُوْنَ﴾ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُوْنَ ﴿٩٦﴾ ..... ٦٠٥
- ٦٠٥ ..... ﴿قَالُوا أَبْنَاؤُا لَمْ يُلْنَا فَاَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيْمِ﴾ (٩٧) ..... ٦٠٥
- ٦٠٥ ..... ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِيْنَ﴾ (٩٨) ..... ٦٠٦
- ٦٠٦ ..... ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَبِّحِيْنَ﴾ (٩٩) ..... ٦٠٦
- ٦٠٦ ..... ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِيْنَ﴾ (١٠٠) ..... ٦٠٧
- ٦٠٧ ..... ﴿فَبَسَّرْنَاهُ بَعْلَمٍ حَلِيْمٍ﴾ (١٠١) ..... ٦٠٨
- ٦٠٨ ..... ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ (١٠٢) ..... ٦٠٨

الموضوع

الصفحة

- ٦٠٩ ..... ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (١٠٣) •
- ٦١٠ ..... ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (١٠٤) قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾
- ٦١٠ ..... ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَّ الْبَالُوتُ الْمُمِيزُ﴾ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾
- ٦١١ ..... ﴿وَوَرَّكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٠٨) سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
- ٦١١ ..... ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٠) •
- ٦١١ ..... ﴿وَنَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٢) •
- ٦١٢ ..... ﴿وَوَرَّكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (١١٣) •
- ٦١٢ ..... الفصل الثالث مِنَ الدَّرْسِ الثَّالِثِ مِنْ سُورَةِ (الصَّافَّاتِ) الْآيَاتِ مِنْ ١١٤ -
- ٦١٢ ..... (١٢٢) •
- ٦١٣ ..... - القراءات •
- ٦١٣ ..... - تمهيد •
- ٦١٣ ..... - التدبر التحليلي •
- ٦١٣ ..... ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ (١١٤) وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَأَوَّيْنَاهُمَا الْكَتَبَ الْمُسْتُخْفَىٰ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ •
- ٦١٣ ..... ﴿وَوَرَّكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ (١١٩) سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ •
- ٦١٥ ..... الفصل الرابع مِنَ الدَّرْسِ الثَّالِثِ مِنْ سُورَةِ (الصَّافَّاتِ) الْآيَاتِ مِنْ ١٢٣ -
- ٦١٦ ..... (١٣٢) •
- ٦١٦ ..... - القراءات •
- ٦١٧ ..... - تمهيد •
- ٦١٧ ..... - تَعْرِيفُ بِالرَّسُولِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ •
- ٦١٨ ..... - التدبر التحليلي •
- ٦١٨ ..... ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٣) •
- ٦١٩ ..... ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٣٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٣٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٦﴾ •
- ٦٢٠ ..... ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُّخْضَرُونَ﴾ (١٣٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٣٨﴾ •
- ٦٢١ ..... ﴿وَوَرَّكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٣٩) سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٤٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٢﴾ •

## الفصل الخامس من الدرس الثالث من سورة (الصفّات) الآيات من (١٣٣) -

٦٢٢ ..... (١٣٨)

٦٢٢ ..... - تمهيد

٦٢٢ ..... - التدبر التحليلي

٦٢٢ ..... • ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٣) •

٦٢٢ ..... • ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣٤) • إِلَّا نَجَّوْا فِي الْغَيْرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا

٦٢٣ ..... الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾

٦٢٤ ..... • ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ لَنُزُولٍ عَلَيْهِمْ مُّصِيبٍ﴾ (١٣٧) • وَبَالِغٍ أَفْلًا نَّعْلُوكَ ﴿١٣٨﴾ •

## الفصل السادس من الدرس الثالث من سورة (الصفّات) الآيات من (١٣٩) -

٦٢٥ ..... (١٤٨)

٦٢٥ ..... - القراءات

٦٢٥ ..... - تمهيد

٦٢٦ ..... - مقدمة عامة حَوْلَ يُونسَ عليه السلام وقومه

٦٢٩ ..... ما جاء في القرآن بشأن يونس عليه السلام وهي ستة نصوص

٦٣٠ ..... دِرَاسَةٌ تكاملية للنصوص القرآنية بشأن يونس عليه السلام

٦٣٠ ..... أمّا آيات «يونس» عليه السلام في سورة (الصفّات) فهي:

٦٣٠ ..... • ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٩) •

٦٣٢ ..... • ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (١٤٠) •

٦٣٣ ..... • ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ (١٤١) • فَالْنَّعْمَةُ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ •

٦٣٥ ..... • ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (١٤٣) • لَلَبْتُ فِي بِطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ •

٦٣٧ ..... • ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (١٤٥) • وَأَبْنَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ •

٦٣٧ ..... • ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (١٤٧) • فَتَأَمَّنُوا فَمَرَّعْتَهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ •

## (٨) التدبر التحليلي للدرس الرابع من سورة (الصفّات) الآيات من (١٤٩) -

٦٣٨ ..... (١٦٣)

٦٣٩ ..... - القراءات

٦٣٩ ..... - تمهيد

٦٣٩ ..... - التدبر التحليلي

٦٣٩ ..... • ﴿فَأَسْقَتْنَاهُمْ...﴾

٦٤٠ ..... • ﴿الرَّيِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُسُوتُ﴾ (١٤٩) •

٦٤١ ..... • ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ (١٥٠) •

الموضوع

الصفحة

- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥٦﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٦﴾ أَصْطَفَىٰ  
الْبَنَاتَ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ ..... ٦٤١
- ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَنُؤَا بِكَيْبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ ..... ٦٤٣
- ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ ..... ٦٤٤
- ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ ..... ٦٤٦
- ﴿فَذَكِّرْهُمْ وَمَا تُعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتَ عَلَيْهِ بِقَاتِلِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ ..... ٦٤٦
- (٩) التدبر التحليلي للدرس الخامس من سورة (الصافات) الآيات من ١٦٤ -  
١٦٦ ..... ٦٤٧
- تمهيد ..... ٦٤٧
- مقدمة عامة ..... ٦٤٨
- التدبر التحليلي ..... ٦٥٠
- ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ ..... ٦٥٠
- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ ..... ٦٥٣
- (١٠) التدبر التحليلي للدرس السادس من سورة (الصافات) الآيات من ١٦٧ -  
١٧٠ ..... ٦٥٤
- القراءات ..... ٦٥٥
- تمهيد ..... ٦٥٥
- مقدمة عامة ..... ٦٥٥
- التدبر التحليلي ..... ٦٥٦
- ﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ  
الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكُفِّرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ ..... ٦٥٦
- (١١) التدبر التحليلي للدرس السابع من سورة (الصافات) الآيات من ١٧١ -  
١٨٢ آخر السورة ..... ٦٥٨
- تمهيد ..... ٦٥٨
- التدبر التحليلي ..... ٦٥٩
- ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كُفْمُنَا لِإِِبَادِنَا الْفَرَسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ هُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّا جُنْدَنَا لَهُمُ  
الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ ..... ٦٥٩
- ﴿فَقُولْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾ ..... ٦٦١
- ﴿أَفِعْذَابِنَا يُسْتَعْجَلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِبِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ ..... ٦٦٢
- ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ ..... ٦٦٤



- ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٢﴾ ..... ٦٦٤
- (١٢) مُلْحَق: مُسْتَخَرَّجَاتُ بَلَاغِيَّةٍ مِنْ سُورَةِ (الصَّافَّاتِ) ..... ٦٦٦

## سُورَةُ لُقْمَانَ

## ٣١ مصحف ٥٧ نزول

- (١) نَصُّ سُورَةِ (لُقْمَانَ) وَمَا فِيهَا مِنْ فَرْشِ الْقِرَاءَاتِ ..... ٦٧٣
- (٢) مِمَّا وَرَدَ بِشَأْنِ سُورَةِ (لُقْمَانَ) ..... ٦٧٨
- (٣) سَبَبُ نَزُولِ سُورَةِ (لُقْمَانَ) ..... ٦٧٨
- (٤) مَوْضُوعُ سُورَةِ (لُقْمَانَ) ..... ٦٧٨
- (٥) دُرُوسُ سُورَةِ (لُقْمَانَ) ..... ٦٧٩
- (٦) التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ لِلدَّرْسِ الْأَوَّلِ مِنْ سُورَةِ (لُقْمَانَ) الْآيَاتِ مِنْ (١ - ٥) ..... ٦٨١
- الْقِرَاءَاتُ ..... ٦٨١
- تَمْهِيدٌ ..... ٦٨٢
- التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ ..... ٦٨٢
- ﴿الْمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ .. ٦٨٢
- ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ..... ٦٨٥
- ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ..... ٦٨٧
- (٧) التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ لِلدَّرْسِ الثَّانِي مِنْ سُورَةِ (لُقْمَانَ) الْآيَاتِ (٦) وَ(٧) ..... ٦٨٨
- الْقِرَاءَاتُ ..... ٦٨٨
- تَمْهِيدٌ ..... ٦٨٩
- التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ ..... ٦٩٠
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦﴾ ..... ٦٩٠
- ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا فَلْيَشْرُهُ بَعْدَ آيِ الْيَمِّ ﴿٧﴾ ..... ٦٩٤
- (٨) التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ لِلدَّرْسِ الثَّالِثِ مِنْ سُورَةِ (لُقْمَانَ) الْآيَاتِ (٨) وَ(٩) ..... ٦٩٦
- تَمْهِيدٌ ..... ٦٩٦
- التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ ..... ٦٩٦
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ..... ٦٩٦

## الموضوع

## الصفحة

- ٦٩٧ ..... ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٩) ..... ٦٩٩
- (٩) التدبر التحليلي للدرس الرابع من سورة (لقمان) الآيتان (١٠) و(١١) ..... ٦٩٩
- تمهيد ..... ٦٩٩
- التدبر التحليلي ..... ٧٠٠
- ٧٠٠ ..... ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَوْسَى أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (١٠) ..... ٧٠٠
- ٧٠٤ ..... ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١١) ..... ٧٠٤
- (١٠) التدبر التحليلي للدرس الخامس من سورة (لقمان) الآيات من (١٢) - (١٩) ..... ٧٠٥
- القراءات ..... ٧٠٦
- تمهيد ..... ٧٠٧
- تعريف بلقمان ..... ٧٠٧
- التدبر التحليلي ..... ٧٠٨
- ٧٠٨ ..... ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١٢) ..... ٧٠٨
- ٧١٠ ..... ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ أَشْرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) ..... ٧١٠
- ٧١٢ ..... ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا أُمًّا وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصِّلْهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَىٰ الصَّبَرِ﴾ (١٤) ..... ٧١٢
- ٧١٨ ..... ﴿لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثَمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٥) ..... ٧١٨
- ٧٢١ ..... ﴿يَبْنَىٰ إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦) ..... ٧٢١
- ٧٢٨ ..... ﴿يَبْنَىٰ أَقْرِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧) ..... ٧٢٨
- ٧٢٨ ..... ﴿لَا يُحِبُّ كُلُّ مُخَالَ فَخُورٍ﴾ (١٨) ..... ٧٢٨
- ٧٢٨ ..... ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَسْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٩) ..... ٧٢٨
- مأثورات من وصايا لقمان ..... ٧٢٨

- (١١) التدبر التحليلي للدرس السادس من سورة (لقمان) الآيات من (٢٠ - ٢٤) . ٧٣٣
- القراءات ..... ٧٣٣
- تمهيد ..... ٧٣٤
- التدبر التحليلي ..... ٧٣٤
- ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ..﴾ (٢٠) ..... ٧٣٥
- ﴿... وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (٢١) ..... ٧٣٦
- وإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢٢﴾ ..... ٧٣٦
- ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٢٢) ..... ٧٤٠
- ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهَا إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٢٣) نُمْنُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ..... ٧٤٣
- (١٢) التدبر التحليلي للدرس السابع من سورة (لقمان) الآيتان (٢٥) و(٢٦) ..... ٧٤٦
- تمهيد ..... ٧٤٦
- التدبر التحليلي ..... ٧٤٧
- ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٥) ..... ٧٤٧
- ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٦) ..... ٧٤٨
- (١٣) التدبر التحليلي للدرس الثامن من سورة (لقمان) الآية (٢٧) ..... ٧٤٩
- القراءات ..... ٧٥٠
- تمهيد ..... ٧٥٠
- التدبر التحليلي ..... ٧٥٠
- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧) ..... ٧٥٠
- (١٤) التدبر التحليلي للدرس التاسع من سورة (لقمان) الآية (٢٨) ..... ٧٥٣
- تمهيد ..... ٧٥٣
- التدبر التحليلي ..... ٧٥٣
- ﴿مَّا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْسُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٨) ..... ٧٥٣

## الموضوع

## الصفحة

- (١٥) التدبر التحليلي للدرس العاشر من سورة (لقمان) الآيات من (٢٩ - ٣٢) ٧٥٥
- ٧٥٦ ..... - القراءات
- ٧٥٦ ..... - تمهيد
- ٧٥٦ ..... - التدبر التحليلي
- ٧٥٦ ..... • ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ...﴾
- ٧٦٠ ..... • ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾
- ٧٦٣ ..... • ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٩)
- ٧٦٥ ..... • ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدَّعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٣٠)
- ٧٦٥ ..... • ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣١)
- ٧٦٨ ..... • ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوَجٌ كَاطِلٌ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهَهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (٣٢)
- (١٦) التدبر التحليلي للدرس الحادي عشر من سورة (لقمان) الآيات (٣٣) ٧٧٣
- ٧٧٤ ..... و(٣٤) آخر السورة
- ٧٧٤ ..... - القراءات
- ٧٧٤ ..... - تمهيد
- ٧٧٤ ..... - التدبر التحليلي
- ٧٧٤ ..... • ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٣٣)
- ٧٧٧ ..... • ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣٤) ...
- ٧٨٣ ..... (١٧) ملحق: مستخرجات بلاغية من سورة (لقمان)
- ٧٩٣ ..... - خاتمة المجلد الحادي عشر من كتاب «معارض التفكير ودقائق التدبر»
- والحمد لله رب العالمين..